د. جوزف عبدالله

منتخبات التواريخ والآثار

(مما خلفه الرحالة الغربيون)

حول عكار والجوار

(بين طرابلس وحمص والهرمل واللاذقية)

القبيات ٢٠١٠

اسم الكتاب: منتخبات التواريخ والآثار في مواضع عكار والجوار
اسم المؤلف: د. جوزف عبدالله
النوع: تاريخ
الصفحات: ٤٨٤
منشورات: المؤلف
الطبعة ١: ٢٠١٠

الفهرس

المقدمة ٦- ٧

الفصل الأول: الرحالة... ٨- ٢٣١

١- وصف الأرض المقدسة

بوركار دو مون سيون Burchard de Mont Sion.................... ٩- ٢٢

٢- رحلة من حلب إلى القدس في عيد الفصح عام ١٦٩٧

هنري موندريل Henri Maundrell.............................. ٢٣- ٤٠

٣- رحلة ريشارد بوكوك

ريشار بوكوك Richard Pockocke.............................. ٤١- ٥١

٤- يوميات رحلة من حلب إلى دمشق

جون لويس بوركار John Lewis Burckhardt.................... ٥٢- ٧٠

٥- عكار منذ حوالي القرنين

إيلي سميث Eli Smith... ٧١- ٧٧

٦- من الحصن إلى الأرز فبيروت

إيلي سميث.. ٧٨- ٨٩

٧- من بيروت إلى حلب في العام ١٨٤٥

وليام م. تومسن W. M. Thomson............................. ٩٠- ١٠٥

٨- بعثة إلى فينيقيا

إرنست رنان Ernest Renan..................................... ١٠٦- ١٤٥

٩- رحلة في سورية

رونيه دوسّو René Dussaud.................................... ١٤٦- ١٨٤

١٠- ملاحظات في نقوش وطبوغرافيا منطقة حمص

هنري لامنس H. Lammens....................................... ١٨٥- ٢٣١

الفصل الثاني: مباحث طبوغرافية وتاريخية............................ ٢٣٢- ٣٤٩

١- الطبوغرافيا التاريخية لعكار وجوارها

رونيه دوسو René Dussaud...................................... ٢٣٣- ٢٧١

٢- كونتية طرابلس، المستعمرات الفرنجية في سورية
إيمانويل غوييّوم راي E. G. Rey.............................. ٢٧٢- ٣٠٣
٣- عكار وحصن الأكراد
موريتز سوبرنهايم Moritz Sobernheim........................ ٣٠٤- ٣٢٦
٤- "مقام الرب" في بيت جعلوك
هنري سيريغ Henri Seyrig.................................... ٣٢٧- ٣٣٤
تقرير حول المسح العام للآثار في بعض مناطق عكار
ك. ماتسوموتو Ken Matsumoto وهـ. وادا Hisahiko Wada.... ٣٣٥- ٣٤٩

الفصل الثالث: وثائق صليبية منطلقية.......................... ٣٥٠- ٤٤١
١- وثيقتان (عقدان) من القرن الثاني عشر........................ ٣٥١- ٣٥٥
٢- عرقة في وثائق تعود لأيام الصليبيين
جان ريشار Jean Richard..................................... ٣٥٦- ٣٩٩
٣- وثائق دير القديسة مريم اللاتينية
جان ريشار.. ٤٠٠- ٤٠٨
٤- مسائل في طوبوغرافيا طرابلس
جان ريشار.. ٤٠٩- ٤١٤
٥- القليعات el-Qlē‘āt
ماكس ڤان برشم Max van Berchem.......................... ٤١٥- ٤٢٨
٦- مقتطفات من جغرافيا استرابون
استرابون Strabon, Strabo.................................... ٤٢٩- ٤٣٢
٧- مقتطفات من الحروب الصليبية
جاك دو فيتري Jacques de Vitry............................. ٤٣٣- ٤٤١
الفصل الرابع: الآثار البابلية.................................. ٤٤٢- ٤٨٤
١- على سبيل المقدمة، حوار مع نبوخذنصر......................... ٤٤٣- ٤٤٦
٢- من هو هنري بونيون Henri Pognon؟ تعريف بالكاتب والكتاب.. ٤٤٧- ٤٥٠
٣- تقرير بونيون... ٤٥١- ٤٥٥

٤ - السياق التاريخي العام لوضع النقوش البابلية في وادي بريصا.... ٤٥٦ - ٤٥٨
٥ - النقوش البابلية في وادي بريصا
هنري بونيون.. ٤٥٩ - ٤٨٣
٦ - نصب السبع (وادي السبع، أكروم)
هنري لامنس.. ٤٨٤ - ٤٨٦
٧ - ملاحظات في الأركيولوجيا الشرقية
سيباستْيّنْ رونزفال Sébastien Ronzevalle........................ ٤٨٧ - ٤٩١
٨ - شير الصنم، نصب بابلي جديد في عكار
موريس تالّون Maurice Tallon.................................. ٤٩٢ - ٤٩٨
٩ - النقوش البابلية في وادي بريصا
ستيفان لاندون Stephen Langdon................................ ٤٩٩ - ٥٢٦
١٠ - نقوش نبوخذنصر الثاني في وادي بريصا ونهر الكلب
ويزباخ Weissbach (F. H.)...................................... ٥٢٧ - ٥٥٤
ملحق: .... ٥٥٥ - ٥٧١

المقدمة

نشأت فكرة هذا الكتاب عفوياً على هامش اهتمامات لم يكن قصدها البحث في التاريخ. فإعدادي الجامعي لم يكن في مجال التأريخ، بل في مجال السوسيولوجيا. ومشاغلي الفكرية وهمومي العملية العامة كانت في مجال النشاط السياسي التغييري والنظريات الفاعلة في فهم طبيعة الصراع الاجتماعي عموماً، وفي بلادنا على وجه الخصوص. فلماذا اتجهت ناحية التأريخ؟ وفي الجواب على هذا السؤال أقول:

أولاً: كنت أتساءل باحثاً عن أسباب الهزائم التي منيت بها منطقة المشرق العربي تاريخياً في الصراع العالمي في العصر الحديث والراهن (وهي على الدوام مركز المحور فيه، أو هي على الأقل واحد من موضوعاته المركزية)، وباحثاً بالمقابل عن العوامل التي قد تحزم بها المنطقة أمرها، فتخرج من هزائمها. وهنا كانت تحضرني مسألة حروب الفرنجة (الصليبية) في حالتي الهزيمة والرد عليها. وكل ذلك بالمقارنة مع هزيمة المنطقة أمام هجوم الغرب الرأسمالي واستعماره، وخروجه منها بعد أن خلف فيها صنيعته "الكيان الصهيوني". وهذا ما استدعى مني ولوج التأريخ وقرع أبوابه.

ثانياً: وكان لا بد لي بالتالي من مراجعة الكتابات العربية والغربية في هذا السياق. ولكم أرعبني أن أجد الكثير من الأدب التاريخي العربي مطموراً طي النسيان إلى أن أتى الغرب لينفض عنه الغبار. فهو الذي يحقق الكثير من المخطوطات العربية ويمحصها وينشرها، فنتعرف عليها من خلال لغاته أحياناً و"بفضله" احياناً أخرى. ولكم أرعبني أكثر أن أجد دول هذا الغرب تنظم عملية التعرف إلى بلادنا وتاريخها وآثارها بشكل منسق وناضج وهادف، فترسل البعثات وتكلف القناصل بمهام الاستطلاع بكافة أنماطه، وتفتح فروع الجامعات للتخصص في مجالات معرفة بلادنا وشعوبها.

ثالثاً: على هامش هذه القراءات وجدت مادة غنية عن عكار وجوارها مبعثرة في أدب الرحالة الغربيين، ووجدت من المفيد جمعها في مصنف واحد، فولدت فكرة هذا الكتاب.

قصدنا تحت هذا العنوان "منتخبات التواريخ والآثار في مواضع عكار والجوار" تقديم وترجمة النصوص التاريخية المتعلقة بمنطقة عكار، لنسهل على الباحث في شؤون هذه المنطقة الوصول بسهولة إلى المراجع والمعلومات المطلوبة. وكذلك لنضع أمام أبناء المنطقة حقيقة تاريخهم وتراثهم العريق ومدى اهتمام الغربيين به، وكيفية نظرتهم إلى بلادنا وشعبها.

لقد استَعْجَلَنا، بنشر نصوص هذا الكتاب تباعاً على الإنترنت، المهندس القبياتي إيلي عبود، صاحب موقع kobayat.org، وهو العامل متطوعاً بجد وهمة لا يفتران في سبيل خدمة بلدته القبيات ومحيطها عكار، فلم يتوفر لنا الوقت الكافي لتحقيق النصوص المترجمة ورد المراجع العربية الواردة فيها إلى أصولها. وكنّا نأمل أن نسد هذه الثغرة لاحقاً، ومع ذلك لم نتمكن من الالتزام بالأمر. وكلما كنّا ننجز نصاً كنّا ندفعه للنشر على موقع الإنترنت المذكور.

ندفع بترجمة هذه النصوص لنضع بمتناول العكاري، مواطناً عادياً كان أم طالباً أم باحثاً أم سياسياً أم مهتماً بالشأن العام، صورة عن واقع حال منطقته عبر التاريخ كما جاءت بها ملاحظات الرحالة الغربيين عموماً. ومن ذلك نأمل إثارة اهتمامه بتاريخ بلاده وآثارها على أمل حثه على التفكير بكيفية حمايتها من سوء التعامل معها تعاملاً يقضي عليها فيلغيها كقيمة معنوية ثمينة (كما هي حال الكسارات، وحال عرقة...). وعلى أمل الاهتمام باستثمارها في مشاريع التنمية، ومنها التنمية السياحية الناشطة لدى الباحثين عن معاينة تاريخ الشعوب وما خلفته حضارتها عبر الزمن من عمارة.

ولا شك لدينا بأن عملنا تعتريه النواقص والثغرات والأخطاء في أكثر من مكان. وعلى ذلك نعتذر من القارئ الكريم. ونأمل من ذوي الاهتمام والإلمام ممارسة النقد الصارم لعملنا بغية تصويبه وتصحيحه. وله على ذلك كل التقدير والشكر من قبلنا. وهنا نوجه النداء لمن يتقن اللغة الألمانية والإيطالية والفرنسية القديمة واللاتينية وندعوهم للتطوع وللمساهمة في هذا العمل الثقافي التراثي.

جوزف عبدالله

الفصل الأول: الرحالة

١- وصف الأرض المقدسة: بوركار دو مون سيون Burchard de Mont Sion

٢- رحلة من حلب إلى القدس في عيد الفصح العام ١٦٩٧: هــ. موندريل Henri Maundrell

٣- رحلة ريشارد بوكوك: ريشار بوكوك Richard Pockocke

٤- يوميات رحلة من حلب إلى دمشق: جون لويس بوركار John Lewis Burckhardt

٥- عكار منذ حوالي القرنين: إيلي سميث Eli Smith

٦- من الحصن إلى الأرز فبيروت: إيلي سميث

٧- من بيروت إلى حلب في العام ١٨٤٥: وليام. م. تومسن W. M. Thomson

٨- بعثة إلى فينيقيا: إرنست رونان Ernest Renan

٩- رحلة في سورية: رونيه دوسّو René Dussaud

١٠- ملاحظات في نقوش وطبوغرافيا منطقة حمص: هنري لامنس H. Lammens

١- "وصف الأرض المقدسة"[١]

الكاتب والكتاب

الرحالة بوركار دو مون سيون Burchard de Mont Sion راهب دومينيكي ألماني، غير معروف مكان ولادته، جاب في الأرض المقدسة في الربع الأخير من القرن الثالث عشر حيث أمضى حوالي العقد (١٢٧٤- ١٢٨٤) في ربوعها، خصوصاً بين عكا والقدس، وكان ذلك خلال ولاية السلطان قلاوون. عرض سيرة رحلاته في الأرض المقدسة (ومنها سورية) وفي أرمينيا في ظل سيطرة المغول، في مؤلف له بعنوان "وصف الأرض المقدسة" Descriptio Terrae Sanctae. تضمن مؤلفه تسجيلاً لطبيعة الأرض المقدسة وعمرانها ومدنها الأساسية وآثارها وخصوصاً فلسطين التاريخية ومعالمها المقدسة. وعلاوة عليه فإنه وصف نباتاتها وحيواناتها، كما قام بعرض لشتى الفرق الدينية فيها.

يُعتبر "وصف الأرض المقدسة" أول مبحث قروسطوي في الجغرافية الفلسطينية. وامتاز بمقاربة نقدية لواقع المملكة الصليبية في الشرق بالقياس على أزمنة المسيحية الغابرة. ومن ذلك مقولته الشهيرة "اللاتين يلوثون الأرض المقدسة"، وكان له تأثير في شيوع اتهام الداوية بالخيانة. واعتبرت كتاباته نموذجاً احتذى به الحجاج من بعده. ولقد لقي في حينه انتشاراً واسعاً في أوروبا الغربية والوسطى، في العصر الوسيط، وكان له تأثير كبير على أدب الأرض المقدسة وعلى الرأي العام الأوروبي. ولهذا عرف المؤلف ٢٧ مخطوطة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، واستمر طبعاته تتالى حتى القرن السابع عشر.

لا شك بأن أفضل الكتابات في العصور الوسطى عن فلسطين وسورية هو مؤلف بوركار دو مون سيون "وصف الأرض المقدسة"، وقد ميز فيه بين ما لاحظه هو شخصياً وما اقتبسه عن غيره. وكانت كتاباته بمثابة دليل شامل للأرض المقدسة من

---

[1] المرجع: Burchardi de Monte Sion, Descriptio Terrae Sanctae, in Peregrinatores Medii Aevi Quatuor, J. C. M. Laurent, Lipsiae, J. C. Hinrichs Bibliopola, 1864. – بوركارد دو مون سيون، "وصف الأرض المقدسة"، في مصنف "أربعة رحالة من العصور الوسطى"، إعداد: J. C. M. Laurent, 1864.

قام بترجمة هذه النصوص من اللاتينية إلى الفرنسية متطوعاً الاستاذ الفرنسي جان ريبو Jean Riou بناءً لطلب من الصديق د. جوزف عبدو (من القبيات ومقيم في فرنسا). وهذا ما يستحق عليه السيدين المذكورين الشكر الجزيل وعميق الامتنان من قبلنا.

شأن الحجاج اعتماده. ولكنه لم يُستفاد منه عملياً، لأنه في العام ١٢٩١ سقطت آخر مواقع الصليبيين في الشرق. وجاء بعدها تحريم البابوية القيام بالحج بغية الحؤول دون استفادة السلاطين المماليك من وارداته، وفرض الحصار على السلطنة. ومن الجدير ذكره أن بوركار دو مون سيون وضع خطة حملة صليبية، أوصى فيها باحتلال صربيا الأرثوذكسية والقسطنطينية كمقدمة ضرورية للنجاح.
ثمة شبه إجماع على تعيين تاريخ مؤلَّف "وصف الأرض المقدسة" في العام ١٢٨٣.

الترجمة

(ص ٢٨) على مسافة فرسخين من أنفة تقع طرابلس[١] هذه المدينة المشهورة جداً والقائمة كلها تقريباً على البحر، مثل مدينة صور. هي وافرة السكان حيث يقيم فيها الروم (اليونان Grecs) واللاتين والأرمن والموارنة والنساطرة وغيرهم الكثير من الأقوام. ويكثر فيها إنتاج الحرير، وهذا ما أعتبره مؤكداً بحكم وجود الكثير من مغازل الحرير والتجار وغيرها من الأعمال المشابهة.
ويمكننا القول أن هذه المنطقة هي جنة بفعل كرومها الرائعة للغاية وبساتين الزيتون والتين وقصب السكر ما لا أذكر أني رأيت مثيله في أي مكان آخر.
تبعد هذه المدينة ثلاثة فراسخ عن جبل لبنان. وعند سفح هذا الجبل يخرج نبع الجنات[٢] مندفعاً بسيول عارمة من لبنان كما جاء في "نشيد الأناشيد"[٣]. يبدأ النبع ضعيفاً في مخرجه، ولكنه سرعان ما يتحول في هبوطه إلى نهر جارف وبالغ الحجم. وهو يروي جميع الحقول والسهل الكائن بين طرابلس والجبل، ما يجعل المنطقة على روعة عظيمة. مياهه من أعذب المياه وأطيبها، والعديد من المواضع الدينية والكنائس تقوم على ضفافه. وهو يخرج، كما يُقال، من سفح الجبل ويحيط جزئياً بجبل الفهود[٤] (جبل تربل) لينطلق من ثم إلى الحقول فيرويها. ويتقدم نحو البحر مع ثلاثة أنهار كبيرة أخرى والعديد من الينابيع التي تتجه إلى البحر من

---

[1] تبعد طرابلس مسافة أربع ساعات ونصف عن البترون، راجع: Ritter XVII (1), p. 588
[2] (fons ortorum) بالقرب من طرابلس هو نهر أبو علي، نهر قاديشا (النهر المقدس)...
[3] راجع "نشيد الأناشيد"، ٤، ١٥.
نضع هنا النص الحرفي من "نشيد الأناشيد": "ينبوع جنات وبئر مياه حية وأنهار من لبنان"، الكتاب المقدس، العهد القديم، دار المشرق، ١٩٨٩، صفحة ١٣٨٦ (المترجم).
[4] جبل الفهود mons leopardorum معروف اليوم باسم جبل تربل Dschebel Turbul، راجع: Robinson N. F. p. 760. Ritter XVII, 910, p. 610.

مواضع شتى. ولعل ما قيل عن هذا النبع في "سفر أستير"[1] صحيح تماماً، لأن هذا النبع الصغير يتحول إلى نهر كبير وينبعث مجدداً في عدة مجارٍ مائية.

على مسافة فرسخين من طرابلس يقع جبل الفهود (جبل تربل) الذي يبدو دائرياً ومرتفعاً، وهو على مسافة فرسخ واحد من جبل لبنان. شاهدت عند سفحه الشمالي مغارة بداخلها مقام بطول ١٢ قدماً يقصده المسلمون بورع، لأنهم يزعمون أنه قبر يشوع؛ لا أعتقد أن هذا صحيح لأن الكتاب المقدس يروي أن قبره موجود في تامناتسار (تمنة سارح[2]) Thamnathsare بالقرب من شكيم (نابلس) Sichem على منحدرات جبل أفرائيم Effraym. وأظن بالأحرى أنه قبر كنعان بن سام، وهو نفسه ابن نوح، أو قبر أحد أحفاده الذين حسب النصوص سكنوا بالتأكيد بالقرب من هذا المكان، كما سيرد لاحقاً.

على مسافة ثلاثة فراسخ من هذه المغارة ولجهة الجنوب تقريباً نصل إلى نهاية كل من السلسلة الشرقية Antilibani والسلسلة الغربية Libani للبنان. وحيث تنتهي السلسلتان معاً تظهر لنا اليوم قلعة عرقة[3] Arachas التي (ص ٢٩) بناها أركايوس Aracheus بن كنعان، وسمّاها باسمه، كما جاء في "سفر التكوين"[4] وفي "سفر الأخبار الأول[5] والثاني". وهي موضع رائع، جميل وخصب. وهنا ينتهي لبنان الذي سأتحدث عنه وعن طوله في مكان لاحق، عندما سأتناول قيصيرية فيليب والأردن.

على مسافة نصف فرسخ إلى الشرق من قلعة عرقة يقع حصن السن Syn الذي استمد اسمه من سينوس Syneus بن كنعان، واخ أركايوس، الذي بناه بعد الطوفان على مقربة من عرقة، كما جاء في "سفر التكوين"[6]. ولقد أخبرني نسطوري مقيم

---

[1] "سفر أستير"، ٩، ٣.
هنا استعارة من حلم مردكاي، وفيه أن أستير هي "الينبوع الصغير الذي أصبح نهراً... والمياه الغزيرة"، الكتاب المقدس، العهد القديم، مرجع سابق، ص ٩٤٥ (المترجم).

[2] "... مات يشوع بن نون ... فدفنوه في أرض ميراثه، في تَمنَة سارح التي في جبل أفرائيم..."، الكتاب المقدس، المرجع السابق، "سفر يشوع"، ٢٤: ٢٩-٣٠، ص ٤٦٢؛ وكذلك في "سفر القضاة، ٩: ٢: "ودفن في أرض ميراثه في تمنة حارس (؟) (الأصح سارح)، في جبل أفرائيم"، ص ٤٧٠ (المترجم).

[3] أراكاس Arachas، هي ارك Erek القديمة، قيصرية عرقة Arca Caesarea، عرقة Arka’ الراهنة؛ راجع: Ritter XVII (1), p. 610

[4] الكتاب المقدس، "سفر التكوين" ١٠: ١٥ و١٦، ص ٨٣.

[5] المرجع السابق، "سفر الأخبار" ١: ١٣-١٦، ص ٧٣٤-٧٣٥.

[6] المرجعان السابقان.

هناك، لدى سؤالي له، أن هذا الحصن يُسمى سينوشيم Synochim؛ وحصلت على نفس الإجابة من أحد المسلمين.

ثمة تحت قلعة عرقة وحصن سينوشيم سهل[١] فسيح وبالغ الخصوبة، يمتد تقريباً حتى كراك (حصن الأكراد)[٢] Krach الذي كان مقراً للاسبتالية[٣] ويمتد حتى أنتيرادوم Anteradum المعروفة اليوم باسم طرطوس Tortosa. يبلغ هذا السهل ١١ فرسخاً طولاً و٦ فراسخ عرضاً. وهو عامر بالكثير من القرى، وبالحقول الرائعة المزروعة بالزيتون والتين وبغيرها الكثير من الأشجار المتنوعة وبالغابات. وهو غني بالجداول والمراعي الرائعة الجمال. ويقيم فيه التركمان والمديانيون Madianite والبدو Bodwini، يسكنون الخيم مع زوجاتهم وأبنائهم ودوابهم وجمالهم. ولقد رأيت قطعاناً كبيرة من الجمال التي أظن أن عددها يبلغ عدة آلاف.

تحيط الجبال[٤] بهذا السهل، وهي غير مرتفعة لجهة الشرق، وتبدأ بالقرب من عرقة ممتدة حتى حصن الأكراد. وعلى هذه الجبال يعيش قوم معروف باسم فانيني[٥] Vannini (العلويون، الباطنية) وهم قساة ومخادعون ومعادون للمسيحيين[٦].

من قلعة عرقة وسينوشيم يمتد السهل حتى أنتيرادوم[٧] (طرطوس) بطول عشرة فراسخ. نقول أنتيرادوم لأنها تقع تقريباً "أمام أراديوم"[٨] Ante Aradium (جزيرة أرواد)، أي قبالة أرواد.

أرواد جزيرة في البحر على مسافة نصف فرسخ من اليابسة. وفيها اليوم المدينة المشهورة التي قيل فيها في "سفر حزقيال": "بنو أرواد مع جيشك كانوا على

---

[1] يُسمى هذا السهل اليوم البقيعة Bokeia (Bukei'a)، راجع: Ritter XVII (1), p. 836, 938. Robinson N. F. p. 730….
هذه الملاحظة غير صحيحة فسهل البقيعة في موضع آخر. بينما السهل الذي يتحدث عنه "بوركارد دو مون سيون" هو سهل عكار، المعروف باسم جون عكار (المترجم).

[2] يُعرف حالياً باسم قلعة الحصن Kal'at el-Hösn، الحصن Husn، حصن الأكراد Husn el-Akrad الذي دمره السلطان بيبرس عام ١٢٧١. راجع: Ritter XVII (1), p. 837

[3] حتى العام ١٢٧١.

[4] هو جبل الشعرة Jebel Scha'rah.

[5] فانيني: قوم غير معروفين، أم لعلهم النصيريون. راجع: Ritter XVII (1) 15, p. 979, 993
يعتبر ر. دوسو أن الرحالة بوركار دو مون سيون يذكر في Descriptio Terrae Sanctae النصيريين (العلويين) باسم لا تفسير له هو فانيني Vannini؛ راجع: René Dussaud, Histoire et Religion des Nosairîs, Librairie Emile Bouillon Editeur, Paris, 1900m p. xxv. (المترجم).

[6] المسيحيون المقصودون هم الصليبيون أو الفرنجة (المترجم).

[7] هي أنترادوس القديمة Antaradus، طورطوزا Tortosa، وحالياً طرطوس Tartûs.

[8] هي أرادوس Aradus قديماً، أما اليوم فهي جزيرة رواد Ruâd.

أسوارك"[١]. وفي المعجم Glossa: "مدينة أرواد تحيطها المياه من كل الجهات، وهي قبالة أنتيراديوم، وبالقرب من صور. صحيح أنها تبعد عنها مسير خمسة أيام. ولقد بنى أراديويس بن كنعان، هذه المدينة بعد الطوفان".

(ص ٣٤) ... يعيش في لبنان العديد من الأقوام، كما قلنا سابقاً: الموارنة، الأرمن، الروم (اليونان)، النساطرة، اليعاقبة، الجيورجيون، جميعهم مسيحيون، ويخضعون لكنيسة روما كما يصرحون أنفسهم.

(ص ١٦٩)[٢] "بعد أن استرحنا لبضعة أيام، انطلقنا على الأحصنة نحو كوليكات Culicath (القليعات) وماناكوزين[٣] Manacusine, Manacusi قلعتين دمرهما المسلمون. ولقد وجدنا هناك حقولاً يغطيها نبات الشمرة وأشجار مثمرة يغطيها زغب نسميه صوف الشجر.

تركنا على يميننا كراك Crac (حصن الأكراد)، قلعة للاسبتالية، هامة وشديدة التحصين، وبالغة الضرر على المسلمين. لم أغامر بوصف هذا الموضع وتحصيناته، لأني لم أشاهده شخصياً. ولكنه رائع على حد ما قيل لنا. كان يحرسه في زمن السلم ألفا جندي يزعمون أنهم من الاسبتالية الذين أقسموا اليمين.

وكنا نرى في نفس الجهة الحصن البيض[٤] Casteblans، قلعة كبيرة ومحصنة في الجبل على حدود بلاد "شيوخ الجبل[٥]" الذين على حد ما يُقال ذبحوا الكثير من أمرائنا[٦]. ولقد سمعتم ما يكفي عن حياتهم وعن الجنة الموعودين بها، فلا حاجة بي إلى مزيد من الكلام عليها. هذه القلعة وملحقاتها من أكثرها ضرراً. ولقد تملكها فرسان الداوية وحصنوها".

---

[1] الكتاب المقدس، مرجع سابق، "سفر حزقيال"، ٢٧: ١١، ص ١٨١٣.

[2] النص الآتي مأخوذ من رحلة ويلبراند دولدنبورغ Wilibrandi de Oldenborg، المرجع المذكور في الحاشية رقم ١، ص ٩: Peregrinatores Medii Aevi Quatuor, J. C. M. Laurent...

[3] كوليكات وماناكوزين موضع مجهول.

[4] Casteblans, Castiblans حالياً هي في صافيتا Safita؛ وهي الحصن الأبيض Castelblans, château blanc. راجع: Robinson N. F. p. 739.

[5] "شيخ الجبل" زعيم فرقة الحشاشين (المترجم).

[6] المقصود أمراء الفرنجة (الصليبيين) (المترجم).

وصف بورتشارد راهب جبل صهيون للأرض المقدسة[1]

(ص ١٤٤) عليكم أن تعرفوا في البداية أن ما ندعوه باسم الأرض (ص ١٤٥) المقدسة هو ما وقع حصة لأسباط بني إسرائيل الاثني عشر...

"إن مجمل البلاد الواقعة فيما بين نهر دجلة ومصر تدعى بشكل عام شورية؛ والجزء الأول من هذه البلاد هو الواقع ما بين نهري الفرات والدجلة، وهو الممتد طولياً من جبل طوروس حتى البحر الأحمر، ويدعى هذا الجزء باسم سورية الجزرية، لأنها تقوم في وسط المياه... وإن الجزء الأول من هذا القسم الجزري كله، هو الجزء الذي يمتد نحو الشمال، وهو الذي اسمه بشكل خاص الجزيرة السورية، وفي هذا الشطر تقوم مدينة الرها[2]، التي كانت تُعرف في القديم باسم راسيس Races والآن باسم راسك Rasc فهذه هي سورية الأولى.

وسورية الثانية هي سورية المجوفة، التي تبدأ عند نهر الفرات، وتنتهي عند نهر بانياس[3] الذي يجري عابراً قلعة المرقب[4]، ويصب في البحر المتوسط عند مدينة بانياس، التي هي مقر أسقف، وتبعد فرسخاً واحداً (ص ١٤٦) عن القلعة المتقدمة الذكر، وفي مقاطعة سورية المجوفة هذه تقوم مدينة أنطاكية مع ملحقاتها، مثل اللاذقية وأفاميا وسواهما كثير.

---

[1] المرجع: د. سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، رحلات غربية (١١٨٧- ١٣٥٠)، الجزء ٣٧، دمشق، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م. ص ١٣٥- ٢٤٩.

بينما كنّا بصدد مراجعة الموضوعات الواردة في هذه "المنتخبات" وإعدادها للطباعة عثرنا على الترجمة العربية لنص بوركار دو مون سيون ("وصف الأرض المقدسة") من قبل د. سهيل زكار، في عمله الجبار الوارد أعلاه. وكان لا بد لنا من نشر الترجمة التي اشتغل عليها الاستاذ ريو، عرفاناً مناً بجميله. ووجدنا من المفيد أن نعيد نشر مقتطفات أوسع من ترجمة د. زكار، لا سيما وأننا اخترنا أقل ما يُمكن من النص اللاتيني كيلا نُثقل كثيراً على الأستاذ الفرنسي ريو الذي قام بالترجمة متطوعاً مجاناً بناءً لطلب قريبنا د. جوزف عبدو.

من الجدير هنا أن نذكر أن د. سهيل ذكر اعتمد في ترجمته على نفس المرجع الذي اعتمدناه نحن حيث يقول في "استهلال"، ص ١٣٧: "ج. س. م. لورانت الذي اعتمدت على طبعته في هذه الترجمة". ولكنه لم يُحدد تاريخ النشر ولا داره. ولكم كان مفيداً لو تفضل د. زكار بترجمة كامل مصنف لورانت: "أربعة رحالة من العصور الوسطى"، إعداد: J. C. M. Laurent, 1864.

[2] في متن نص لورانت (J. C. M. Laurent, 1864)، ص ٢١، يرد الاسم إديسا Edissa، وفي الحاشية ٩ من نفس الصفحة يرد: إديسا- راسك Edissa-Rasc، وإديسا Edessa s. Edissa بتسمية أحدث أورفا Orfa. وترد روهام Roham، وراجس Rages، ورقة Rakka. (الحاشية من وضعنا).

[3] باللاتينية فالانيا Valanie. (الحاشية من وضعنا).

[4] باللاتينية المرقب هي المرقط Margath. (الحاشية من وضعنا).

وسورية الثالثة هي سورية فينيقية، التي تبدأ في الشمال عند النهر المتقدم الذكر، أي نهر بانياس، وتمتد جنوباً حتى بترا إنشيسا Incisa، أو القفار عند سفوح جبل الكرمل، ويُدعى هذا المكان في هذا اليوم قلعة الحجاج (عثليت) وهي من أملاك فرسان الداوية، وفي سورية الفينيقية هذه كثيراً (كثيرٌ) من المدن، من ذلك مثلاً: المرقب، وطرطوس، وطرابلس وبيروت، وصيدا، وصور، وعكا، وكفرناحوم، وقد عرفت هذه المنطقة باسم سورية الفينيقية صدوراً عن اسم ابنة أغينور التي كانت أختاً لقدموس، فهو الذي بنى صور، وجعلها المدينة الرئيسية في هذه البلاد، وأطلق اسمه على البلاد، فعُرفت به.

وسورية الرابعة هي سورية دمشق، حيث مدينة دمشق هي العاصمة هناك، وسورية هذه متصلة بسورية الثالثة، أي سورية فينيقية، وذلك من الجهة الشرقية هناك، وتدعى سورية الرابعة هذه أيضاً باسم سورية لبنان، لأن جبل لبنان المشهور موجود فيها...

(ص ١٥٤) ... يمتد الكرسي المطراني لمدينة صور لمسافة ثلاثة فراسخ بعد بيروت، أي إلى ممر نهر الكلب، فهناك يصب هذا النهر في البحر، ومثل ذلك تنتهي هنا حدود بطريركية القدس، وهنا تبدأ بطريركية أنطاكية وكونتية طرابلس، ويُدعى هذا المكان باسم ممر نهر الكلب، ولا يُمكن عبوره إلاّ بإذن من المسلمين، لأن عدة رجال فقط يمكنهم أن يمنعوا العالم كله من العبور هناك.

وعلى بعد ستة فراسخ من بيروت، وعلى شاطئ البحر، تقوم مدينة بيبلوس (جبيل)، وهي أول مدينة في بطريركية أنطاكية، ولهذه المدينة أسقف خاص بها... وصاحب جبيل هو من أتباع كونت طرابلس، ... وهي مدينة صغيرة جداً.

وعلى بعد أربعة فراسخ من جبيل تقوم البترون[١]، وهي مدينة كانت فيما مضى غنية جداً بإنتاج خمر رائع، ولم يكن في الدنيا أجود منه، غير أنها مدمرة الآن تماماً.

(ص ١٥٥) وعلى بعد ثلاثة فراسخ تقوم قلعة (أنفة) راس شكا[٢]، التي معظمها تقريباً قائم في البحر، وهي من ممتلكات أمير أنطاكية، ولقد رأيت فيها اثني عشر

---

[1] جاء في الحاشية رقم ٧٨ من الصفحة ٢٧ من لورانت (J. C. M. Laurent, 1864): باللاتينية بوتروم Botrum، وهي بوتريس Botrys القديمة، وحديثاً البترون el-Batrûn. (إدراج الحاشية من قبلنا).

[2] في الحاشية ٨٠ من المرجع الوارد في الحاشية السابقة، لعل المقصود هو رأس الشقعة Râs esch-Schak'ah، لا أنفة Enfeh. ونلحظ اسم قلعة أنفة: Castrum Nephin, Nefrino, Nefro. (إدراج الحاشية من قبلنا).

برجاً، والموقع بالفعل حصين جداً، والخمرة في هذه البلدة هي الخمرة الأكثر شهرة في جميع هذه الأماكن.

وعلى بعد فرسخين من راس شكا، وخلفها تقوم مدينة طرابلس، وهي مدينة جميلة جداً، قائمة كلها تقريباً في البحر، مثلها في ذلك مثل صور، وهي مليئة بالناس، حيث يسكن فيها الاغريق واللاتين والأرمن، والموارنة والنساطرة، وآخرون كثر، وكثير من الأعمال تعمل فيها من الحرير، وسمعت بشكل مؤكد أن فيها نساجون للحرير، ولوبر الجمل، ولأقمشة أخرى مماثلة.

ولا شك أن المنطقة المحيطة يمكن دعوتها باسم الفردوس، بسبب وجود ما لا حدود له من الكروم الجميلة، ومغارس الزيتون، والتين، وقصب السكر، ولا أذكر أني رأيت مثل هذا في أي مكان آخر من العالم.

وطول السهل القائم أمام المدينة فرسخ، وعرضه نصف فرسخ، ويوجد في هذه البقعة حدائق، فيها مختلف أنواع الفواكه بوفرة كبيرة، حتى قيل بأن دخل أصحابها منها كل سنة يبلغ ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية.

وعلى بعد ثلاثة فراسخ وراء هذه المدينة يقوم جبل لبنان، الذي ينبع عند سفحه "نبع الحدائق" (نهر قاديشا)، وهو نبع لمياه الحياة، وجداول من لبنان، نقرأ عنها في نشيد سليمان، ويظهر هذا النبع أنه ينبع قليلاً، ولكنه يقوم فجأة بجمع قواه، فيعمل نهراً قوياً وفائق العظمة، وهو يسقي جميع الحدائق والسهل بين طرابلس ولبنان، ويزيد من ثراء المنطقة بشكل رائع، ومياهه ممتازة، حيث أنها باردة وعذبة، ويوجد على ضفته كثيراً (كثير) (ص ١٥٦) من الصوامع، كما جرى بناء الكثير من الكنائس، وينبع كما قلنا من سفح الجبل، ويلتف جزئياً حول جبل النمور، ثم يساق بين الحدائق لسقايتها، هذا ولن نقوم بذكر الجداول الأخرى التي مثل هذا تصب في البحر، في أماكن مختلفة، ومؤكد ما جاء في سفر أستير وقيل عن هذا النبع "ومن نبع صغير صنعت فيضاً عظيماً، وماء كثيراً" (أستير ١١/١٠).

وعلى بعد فرسخين من طرابلس يقوم جبل النمور، الذي له شكل مستدير، وهو مرتفع بعض الشيء، قائم على بعد فرسخ واحد من لبنان، ولقد رأيت عند سفحه، في الجانب الشمالي كهفاً فيه قبر طوله اثني عشر قدماً، ويزور المسلمون هذا المكان بتقوى، ويقولون بأنه قبر يوشع، وهذا ما لا أعتقد أنه صحيح، لأن العهد

القديم قال بأنه دُفن في تمنه- حارس (القضاة، ٩/٢) إلى جانب جبل افرايم، قرب شكيم، والذي أميل للاعتقاد به أن هذا هو قبر كنعان بن حام بن نوح، أو قبر واحد من أولاده، الذي من الممكن البرهنة على أنه سكن في ذلك المكان نفسه، وذلك حسبما سنتحدث فيما بعد.

وعلى بعد حوالي ثلاثة فراسخ إلى الشمال من هذا الكهف تقع نهاية جبل لبنان وسلسلة جبال لبنان الشرقية، ويرى الإنسان عند المكان الذي يلتقيان فيه قلعة عرقة، وهي القلعة التي بناها عرقة بن كنعان، واطلق عليها اسمه، فهذا ما نتعرف عليه من سفر التكوين: ١٠، ومن أخبار الأيام الأول: ١٠/١، وهذه الأرض الذي (التي) ينتهي بها جبل لبنان رائعة جداً وجميلة، وخصبة، أما من أجل وضع وطول جبل لبنان فلسوف أحدثكم عن ذلك لدى الحديث عن قيسارية فيليب (بانياس) ونبع نهر الأردن.

وعلى بعد نصف فرسخ إلى الشرق من قلعة عرقة، تقوم السن، وهي بلدة بُنيت من قبل سينوس بن كنعان، وهو أخو عرقة، وكان ذلك بعد (ص ١٥٧) الطوفان، وليس بعيداً عن عرقة، وذلك حسبما جاء الخبر في شروح سفر التكوين، ومهما يكن من أمر، فإن النساطرة الذين يسكنون هناك قد أخبروني، بعدما سألتهم، بأن البلدة قد حملت اسمها من سينوكيم Synochim، ولقد حصلت على الجواب نفسه من مسلمي ذلك المكان.

ودون قلعة عرقة وبلدة سينوكيم، يوجد سهل كبير، فائق الجمال والخصوبة، ويمتد حتى الكرك (حصن الأكراد)، التي كانت فيما مضى من ممتلكات فرسان الاسبتالية، وذلك امتداداً حتى انطرطوس التي تعرف الآن باسم طرطوس، وطول هذا السهل حوالي أحد عشر فرسخاً، وستة فراسخ عرضاً، ويحتوي هذا السهل على الكثير من القرى، والحدائق الجميلة، وأشجار الزيتون، وأشجار التين، وبقية أنواع أشجار الفواكه من مختلف الأنواع، إلى جانب الكثير من الأخشاب، فضلاً عن هذا كله، في هذا السهل وفرة من الجداول، والمراعي، ولهذا يسكن التركمان، والمدينيين (المدينيون) Midianites، والبدو هناك في الخيم مع زوجاتهم وأولادهم، وقطعانهم وجمالهم، ولقد رأيت هناك قطيعاً كبيراً جداً من الجمال، وأعتقد أنه كان هناك عدة آلاف من الجمال.

ويحد هذا السهل من جهة الشرق جبال مرتفعة لكن ليس كثيراً، وترتفع هذه الجبال على مقربة من عرقة، وتمتد حتى الكرك، ويسكن في هذه الجبال قوم اسمهم الباطنية جفاة، وأناس قساة يكرهون الصليبيين، والمسافة بين بلدتي عرقة وسينوكيم، عبر هذا السهل إلى طرطوس هي ثمانية فراسخ، وعُرفت طرطوس بهذا الاسم لأنها تقوم مقابل أرواد.

وأرواد هي جزيرة في أعماق البحر، وذلك على بعد نصف فرسخ عن اليابسة، وقام فيها وما يزال حتى أيامي هذه مدينة جميلة، ورد ذكرها لدى حزقيال في قوله: "بنو أرواد مع جيشك على الأسوار من حولك" (حزقيال: ١١/٢٧)، وقد جاء في الشرح قوله: "ارواد مدينة (ص ١٥٨) قائمة في البحر في مقابل طرطوس وعلى مقربة من صور"، وفي الحقيقة إن المسافة فيما بينها وبين صور سفر خمسة أيام، وأسس هذه المدينة أراديوس، وهو ابن كنعان، وكان ذلك بعد الطوفان.

ولنلاحظ هنا أن حام بن نوح، قد ولد كنعان، بعد الطوفان، وولد كنعان صيدون، الذي كان أول أولاده، وكذلك حثياً، واليبوسي، والأموري، والجرجاشي، والحوي، والعرقي، والسيني، والأروادي، والصماري، والحماتي (التكوين: ١٠/ ١٥- ١٨)، ومن هؤلاء انتشرت أسر الكنعانيين في الخارج، وأربعة من الأحد عشر ولداً من أولاد كنعان، وأعني بذلك: صيدون، بكره، وهو الذي بنى صيدا، وعرقة وهو الذي أسس عرقة، وسينوس وهو الذي أسس سينوكيم، وأرواد وهو الذي أسس أرواد، وكما قلنا، إن هؤلاء الأربعة قد بقيوا في تلك البلاد القائمة عند نهاية لبنان، وذلك حسبما حُكي لنا، غير أن السبعة الآخرين، اي حيثاً، ويبوس، وأمور، وجرجاش، وحوي، وعرقة وحماتي، قد تركتهم يا رب إسرائيل لأنفسهم، حتى يتعلموا كيف يقاتلون، هذا وأوابد وأضرحة الأولاد الأربعة الأول مرئية في هذه الأيام على بعد فرسخ واحد قبل أن يصل الإنسان إلى طرطوس، وهي فائقة الثراء ولها حجم رائع، ولقد رأيت الحجارة هناك، وقمت بقياس إحدى الحجارة فوجدت طولها أربعة وعشرين قدماً وعرضها مثل ارتفاع رجل طويل، وعلى هذا إنه لأمر رائع النظر إليها، فكيف جرى رفع هذه الأحجار ومن ثم استخدامها في البناء، فهذا كله فوق فهم الناس وإدراكهم.

وإلى جانب طرطوس، وعلى بعد نصف فرسخ إلى الشرق منها، هناك بعض الجبال، غير أنها ليست عالية جداً، كما أنه ليس من الصعب الوصول إليها، وهؤلاء في البلاد التي أسمها بلاد الحشيشية، الذين سوف نأتي على وصف طقوسهم بشكل مطول أكثر فيما بعد.

(ص ١٥٩) وقد بشر القديس بطرس لمدة طويلة في طرطوس، وذلك عندما كان في طريقه إلى انطاكية، فهذا ما نقرأ عنه في رحلة القديس كليمنت.

فهنا وجد كليمنت أمه، وهنا أيضاً بنى القديس بطرس أول كنيسة تشريفاً للعذراء المباركة، وهذه الكنيسة موجودة حتى هذا اليوم، وقد احتفلت فيها بقداس، لأني أقمت هناك لمدة ستة أيام.

وعلى بعد سبعة فراسخ من طرطوس تقوم قلعة المرقب، التي هي من أملاك رهبان الاسبتارية، أي فرسان مشفى القديس يوحنا، وهذه القلعة مطلة على مدينة بانياس، وعلى بعد فرسخ واحد عن البحر، وهي محصنة بشكل جيد، وقائمة فوق جبل مرتفع جداً، وقد نُقل الآن مقر الأسقف الذي كان في بانياس، إلى القلعة، وذلك بسبب إهانات المسلمين، والأسقف هناك هو نائب لرئيس أساقفة أفاميا، مثله في ذلك مثل أسقف عرقة.

وتشكل مدينة بانياس، والنهر الذي يحمل الاسم نفسه، وهو الذي يجري مجتازاً لها، حدود مملكة القدس، وهنا، بالوقت نفسه، تبدأ إمارة أنطاكية، والآن، إنه على كل حال، لقد سافرت إلى ما وراء هذا المكان، ورأيت البلاد، ومع هذا لم أكتب شيئاً عنها، لأنني لا أنوي أن أكتب شيئاً، إلاّ عن الأرض المقدسة...

(ص ٢٣٩) **أنواع الديانات في الأرض المقدسة**: يسكن في داخل الأرض المقدسة أناس من كل أمة تحت (ص ٢٤٠) السماء، ويتبع كل إنسان عقيدته، وفي الحقيقة لا بد أن أذكر، أن قومنا، من اللاتين، هم أسوأ من الشعوب الأخرى كلها في البلاد، وسبب هذا كما أعتقد هو أن أي إنسان اقترف إثماً أو جريمة مثل: اللواطة، والنهب، والسرقة، والزنا، يعبر البحر كعقوبة، أو لخوفه على نفسه، حيث لا يتجرأ على البقاء في موطنه، ولهذا يقدم الناس إلى ها هنا من جميع الأصقاع: من ألمانيا، وإيطاليا، وفرنسا، وإنكلترا، واسبانيا، وهنغاريا، ومن جميع أجزاء العالم، ومع هذا فإن كل الذي يفعلونه هو مجرد تغيير أجوائهم المناخية، ولكن ليس عقلياتهم، لأنهم

بعدما يصبحون هناك وينفقون ما جلبوه معهم، يبات عليهم كسب المال، ولهذا يعودون ثانية إلى دنسهم، ويقترفون آثاماً أسوأ مما اقترفوه من قبل، حيث يتولون إسكان الحجاج الذين هم من شعوبهم في بيوتهم، وإذا لم يعرف هؤلاء الناس كيف يعتنون بأنفسهم، يثقون بهم، فيفقدون كل مقتنياتهم وشرفهم، ويقومون أيضاً بإنجاب أولاد، يتولون تقليد جرائم آبائهم، وهكذا ينجب الآباء السيؤن أبناء أعظم سوءً منهم، ومن هؤلاء ينحدر أحفادهم الأكثر شروراً وفساداً، وهؤلاء يدوسون على الأماكن المقدسة بأقدام ملوثة، ولهذا السبب كان ما وقع، هو أنه لذنوب السكان في البلاد ضد الرب، تعرضت البلاد نفسها، وموضع مخلصنا إلى العار والشنار.

وإلى جانب اللاتين عدد كبير آخر من مختلف الأجناس، من ذلك على سبيل المثال: المسلمون، الذين يؤمنون (بنبوة) محمد (صلعم) ويطبقون شريعته، وهم يقولون بأن ربنا يسوع المسيح كان أعظم الأنبياء، ويعتقدون بأن حمله جاء بوساطة الروح القدس، وأنه ولد من العذراء مريم، غير أنهم ينكرون بأنه قد تألم ودُفن، بل اختاروا أن يقولوا بأنه صعد إلى السماء، وأنه يجلس على يمين الآب، لأنهم يعترفون به أنه ابن الرب (كذا)، وهم أيضاً يقولون بأن محمداً (صلعم) يجلس على يساره، وهم (ص ٢٤١) غير نظيفين كثيراً، ويتخذون عدداً كبيراً من الزوجات بقدر ما يستطيعون إطعامهن، وهم يمارسون ذنوباً غير طبيعية، ولديهم ماخور في كل مدينة، هذا وهم كرماء جداً ومضيافين (مضيافون)، وأدباء ولطفاء.

وإلى جانب هؤلاء السريان، والبلاد كلها مليئة بهؤلاء، وهم مسيحيون، لكنهم على غير وئام مع اللاتين، وهم يلبسون بشكل بائس جداً، وبخلاء لا يقدمون صدقات، وهم يسكنون بين المسلمين، وفي معظم الأحيان كأنهم خدم لهم، ويرتدون من الملابس مثلما يرتدي المسلمون، ويتميزون عنهم فقط بحزام صوفي.

ومثل هذا نجد أن الاغريق مسيحيين (مسيحيون)، ولكنهم هراطقة منشقين (منشقون)، باستثناء أن عدداً كبيراً منهم قد عادوا إلى طاعة الكنيسة إثر المجمع المسكوني الذي عقده مولانا غريغوري العاشر (مجمع ليون ١٢٧٤)، وفي الكنيسة الاغريقية جميع رجال الدين رهبان، وهم رجال ذوي (ذوو) حياة صارمة جداً واصحاب فضائل رائعة.

والاغريق أتقياء بشكل كبير ويحترمون في غالب الأحيان رجال الكنيسة لديهم ويبجلونهم، ولقد سمعت واحداً من بطاركتهم يقول بحضوري: "إننا على استعداد لأن نعيش تحت طاعة كنيسة روما، وأن نحترمها، لكنني مندهش إزاء ترتيبنا بالدرجات دون أدنى رجال الدين، مثل رؤساء الأساقفة والأساقفة، فبعض رؤساء الأساقفة والأساقفة يريدون مني وأنا بطريرك أن أقبل أقدامهم، وأن أكون خادماً لهم، الأمر الذي لا أجد نفسي متوجب عليها القيام بذلك، وعلى كل حال أنا على استعداد للقيام بهذا مع البابا، ولكن ليس مع أي إنسان آخر".

وهناك أيضاً الأرمن والجورجيين (الجورجيون)، والنساطرة، والنوبيين (النوبيون)، واليعاقبة، والكلدانيين (الكلدانيون)، والميديين (الميديون)، والفرس، والإثيوبيين (الإثيوبيون)، والمصريين (المصريون)، وشعوب أخرى كثيرة، كلها مسيحية، ويوجد من هؤلاء أعداد لا تُحصى، ولكل (ص ٢٤٢) منهم بطريرك خاص بهم يطيعونه، وأعلن رجال الكنيسة لديهم أنهم على استعداد للانضمام إلى كنيسة روما عن طواعية، وبين هؤلاء نال النساطرة، واليعاقبة أسماءهم من خلال بعض الهراطقة، الذين تقدم وكانوا رؤساءهم، فضلاً عن هذا يوجد في الأرض المقدسة المدينيين (المدينيون)، الذين يُعرفون في هذه الأيام باسم البدو والتركمان، وقد أوقف هؤلاء أنفسهم على رعاية قطعان الماشية والجمال، التي يمتلكون منها أعداداً كبيرة جداً...

ومن حول قلعة عرقة، عبر طرابلس، حتى قلعة الحصن، يسكن مسلمون اسمهم الباطنية، ويجاورهم المسلمون الذين يُعرفون باسم الحشيشية، الذين يسكنون الجبال القائمة وراء طرطوس على مقربة من قلعة المرقب، وهم يمتلكون عدداً من القلاع والمدن مع أرض خصبة...

(ص ٢٤٣) ... جميع المسيحيين وراء البحر هم مشارقة من حيث الأمم، وصحيح أنهم مسيحيين (مسيحيون)، غير أنهم بوضعهم الحالي غير معتادين كثيراً على استخدام السلاح، وعندما يُهاجمون من (ص ٢٤٤) من قبل المسلمين، أو الأتراك، أو أي شعب آخر مهما كان، يستسلمون لهم، ويشترون السلام ويدفعون الجزية بكل هدوء، ويعين المسلمون والسادة الآخرون نوابهم عليهم، ويجمعون منهم الضرائب، ولهذا راج بين الناس وقيل بأن ممالكهم عائدة إلى المسلمين، مع أن الحقيقة الواقعية

هي أن جميع الناس مسيحيين (مسيحيون)، باستثناء هؤلاء النواب وجباة الضرائب وأسرهم... في البلدان فيما وراء البحار، يسكن النساطرة، واليعاقبة، والموارنة، والجورجيين (الجورجيون)، وطوائف أخرى نالت تسمياتها من هراطقة أدانتهم الكنيسة، ولهذا السبب من المعتقد أن هؤلاء الناس هم هراطقة، ويتبعون آثام الذين نالوا تسمياتهم منهم، وليس هذا صحيحاً بأي شكل من الشكال، والرب يحرمه: ذلك أنهم أناس بسطاء، أتقياء في حياتهم، مع أنني لا أنكر وجود حمقى كثر بينهم، رائياً أنه حتى كنيسة روما نفسها ليست خلوة من الحمقى، ولنعلم أن جميع الشعوب المتقدمة الذكر، وشعوب أخرى كثيرة، يحتاج أمر الكتابة عنهم إلى وقت طويل، لهم رؤساء أساقفة، وأساقفة، ورعاة ديرة، ورجال دين آخرين، مثلما لدينا نحن أنفسنا، ويدعونهم بالأسماء نفسها، وذلك باستثناء النساطرة، الذين يُدعى رئيسهم الديني باسم الجاثليق، فهو البابا الخاص بهم، وقد علمت بشكل مؤكد أن سلطان رعويته يمتد عميقاً في الشرق، أكثر من كل أملاك الكنيسة الغربية، (ص ٢٤٥) ويُدعى بقية رجال الدين لدى هذه الطائفة باسم رؤساء أساقفة، مثلما الحال في تسمية رجال الدين لدينا...

٢ - رحلة من حلب إلى القدس في عيد الفصح ١٦٩٧[1]

هنري موندريل Henri Maundrell

هنري موندريل (١٦٦٥- ١٧٠١) كاهن أنغليكاني كان مرشداً لكنيسة المشرق ومركزها في حلب. قام بزيارة إلى فلسطين عام ١٦٩٧. وسجل كصحفي دقيق الملاحظة مشاهداته ومعاناته. ومن الجدير ذكره أنه لم يبذل أي محاولة لتعلم العربية أو لفهم الإسلام.

ترجمة النص: (ص ١) أربعة عشر شخصاً من كنيستي[٢]، من مواطني، شكلوا مجموعة لزيارة الأرض المقدسة بمناسبة أعياد الفصح؛ ومع أني وصلت حديثاً إلى حلب، لم أرغب بتفويت مناسبة ملائمة لهذه الدرجة. وبما أني قد صممت سابقاً القيام بهذا الحج قبل عودتي إلى انكلترا، فقد اعتبرت أني لن أقوم بالحج بأقل إساءة ممكنة لرعيتي، ولا بأكثر الرضى نحوي، بغير هذا الزمن الذي أكون فيه برفقة قسم كبير من هذه الكنيسة.

(ص ٢) انطلقنا[٣] من حلب يوم الجمعة الواقع فيه ٢٦ شباط ١٦٩٧، في الثالثة من بعد الظهر، على اعتبار أننا لن نبعد كثيراً في هذا اليوم، ولنعرف إن كان لدينا كل ما هو لازم لرحلتنا. قضينا ليلتنا في خان العسل Kan de Miel (Honey-Kane) على مسافة فرسخ ونصف غربي حلب، وذلك بكثير من الضيق.

لا يتوفر للمسافر في هذا البلد، كما هي الحال في انكلترا، بلدات وحانات ليبيت فيها ليلاً. وأفضل مأوى يمكنك العثور عليه هنا هو في ظل خيمتك، عنما يسمح الطقس، أو في بعض الأبنية العامة المبنية لاستعمال المسافرين على سبيل أعمال البر.

---

[1] Henri MAUNDRELL: Voyage d’Alep à Jerusalem, à Pâques en l’année 1697, traduit de l’anglais, Autrecht, chez Guillaume van Poolsum, 1705.
الأصل الإنكليزي للمرجع: A Journey from Aleppo to Jerusalem, at Easter, A. D. 1697, by Henry Maundrell, first American edition, Boston, 1836.
ثمة نسخة إنكليزية أخرى: A Journey from Aleppo to Jerusalem, at Easter, A. D. 1697, by Henry Maundrell, a new edition, London, printed for C. and J. Rivington, 1823.

[2] الكنيسة الأنغليكانية. جاء في النص الإنكليزي: الأشخاص من أبناء أمتي أو قوميتي our nation، بينما في النص الفرنسي من أبناء كنيستي: mon Eglise (المترجم).

[3] يبدأ النص الإنكليزي، ص ١، بعبارة: "تبعاً لقرارنا هذا انطلقنا..." (المترجم).

يسمي الأتراك هذه الأبنية خانات. ونجدها في المدن والبلدات وعلى الطرقات الأساسية موزعة على مسافات ملائمة. هذه الخانات مبنية على شكل رواق حول فناء مربع من ثمانين أو ستين قدماً، تبعاً لقدرة أو لكرم مؤسسه. ومن المسموح لجميع المارة اللجوء إليه، مقابل القليل الذي يُعطى لمن يسهر على إدارته، وفي الكثير من الحالات قد لا يدفع المسافر شيئاً. ولكن غالباً ما لا نجد فيه غير حيطانه الأربعة، بحيث يتوجب على المسافر أن يحضر معه (ص ٣) الطعام والشراب والسرير والنار والغطاء.

السبت ٢٧ شباط: انطلقنا باكراً باتجاه الغرب لنصل بعد ساعة ونصف إلى عُريم (أو-ريم) Oo-rem، بلدة قديمة ليس فيها ما يلفت النظر غير دواثر كنيسة صغيرة. على مسافة نصف فرسخ منها عثرنا على قرية كفر Keffre، بعد ثلاثة أرباع الفرسخ موضع باسم إصوين Essoyn. ثم ولجنا سهول كفتيين Keftéen (Kefteen)... وقرية بنفس الاسم. لم نقطع إلاّ حوالي خمسة فراسخ في هذا اليوم، ونحن نتقدم باتجاه الجنوب الغربي...

(ص ٤) الأحد ٢٨ شباط: لما كان علينا اجتياز مسافة طويلة خرجنا من قرية كفتيين في الصباح الباكر، وتقدمنا دوماً في هذا السهل الخصب... (ص ٥) وبلغنا في ثلاثة أرباع الساعة حربنوز Harbanoose، قرية صغيرة على طرف السهل... ودخلنا وادياً جميلاً باسم روج Rooge... بعد أربع ساعات من السير فيها وصلنا إلى تجمع للماء يُسمى البحيرة، أو تبعاً للغة الشرقيين بحر الروج... على مسافة فرسخ منها بلغنا تي-ني-ريه Te-ne-rée (Te-ne-ree)، حيث دفعنا أول كفارة Caphar لنا.

الكفارة نوع من الضريبة يتوجب على المسافرين دفعها في (ص ٦) عدة ممرات، حيث يقيم موظفون لجبايتها. هذه الضرائب كان يجمعها المسيحيون سابقاً بغية صيانة الطرق الأساسية وتأمين الكلفة اللازمة لوقف غزوات العرب واللصوص. واستمر الأتراك على نفس المنوال... وهم يجبرون المارة، وخصوصاً الفرنجة، على دفع مبالغ اعتباطية، وغير معقولة... نزلنا في وادٍ آخر موازٍ للأول ولا يفصله عنه غير سلسلة من الجبال. في مدخل الوادي صادفنا قرية بل-معاز Bell-Maez، وبعد ساعتين منها وصلنا إلى مدينة الشغل Shoggle. كنا نتابع سيرنا معظم

النهار نحو الغرب والجنوب الغربي، واجتزنا ما قدره عشرة فراسخ... (ص ٧) نزلنا في خان جميل (في مدينة الشغل) يتجاوز بكثير جميع الخانات المشابهة...
(ص ٨) الاثنين ١ آذار: انتقلنا من الشغل باتجاه الغرب لنجتاز الجبل من هذه الجهة من الوادي... استغرق اجتياز الجبل ساعتين... ثم هبطنا في وادٍ ثالث شبيه بسابقيه. وكانت قرية بي-دا-م Be-da-me عند مدخله ومنها استمد الوادي اسمه. بعد مسير مسافة فرسخين دخلنا في منطقة مليئة بالغابات والجبال، حيث تنتهي باشوية Bassalique (Bashalick) حلب وندخل باشوية طرابلس...
(ص ١٠) وصلنا... إلى موضع صغير يُسمى حجر السلطان Hadyar ib (il) Sultane حيث نصبنا خيامنا لقضاء الليل... الثلاثاء ٢ آذار: غادرنا مخيمنا باكراً... وصلنا بعد ساعة من انطلاقنا إلى كفارة كروسيا Caphar de Crusia بالقرب من خان بنفس الاسم... بعد ساعة وصلنا إلى سفح جبل يُسمى العقبة Occaby... (ص ١١) استلزمنا بلوغ قمته ساعة. ومن هناك لم نعد نرى لا الغابات ولا الجبال بل مناطق جميلة مزروعة جيداً وملؤها البساتين. تركنا على يميننا قرية الست غاله Citte Galle... التي لا يسكنها غير الموارنة، وبعد ساعة وصلنا إلى قرية بلولكا Bellulca. وقصدنا خان القرية المستخدم كمنزل للآغا، وحيث قررنا أن نأوي ليلتنا لأن هطول المطر كان شديداً...
(ص ١٣) الأربعاء ٣ آذار: غادرنا بللولكا... وصلنا بعد أربع ساعات... إلى سلفتيا Sholfatia، قرية فقيرة على حافة جدول كان علينا اجتيازه. (ص ١٤) نصبنا خيامنا هناك...
(ص ١٧) الخميس ٤ آذار: شاهدنا البحر Ocean للمرة الأولى، ومدينة اللاذقية Latichez (Latichea) على مسافة فرسخين (ص ١٨) إلى الغرب. وهي تقع في منطقة سهلية بالغة الخصوبة على الساحل. ولقد بناها سلوقس نيكاتور Seleucus Nicator، وسماها تيمناً باسم أمه... ثم هبطنا من الجبل إلى سهل فسيح تقدمنا فيه إلى الجنوب والبحر على يميننا وسلسلة من الجبال على يسارنا...
(ص ١٩) فاجأنا في سيرنا هطول البَرَد بكثافة وأعقبه مطر شديد ما دفعنا للإسراع نحو جبلة Jebilée (Jebilee)، (ص ٢٠) بينما أمتعتنا تتبعنا ببطء. لم نقطع غير ستة فراسخ في هذا اليوم، كنا نتقدم في الصباح نحو الغرب ثم اتجهنا نحو الجنوب،

والبحر على يميننا، وعلى يسارنا سلسلة من الجبال تبعد عنا مسافة فرسخين. وكنا نتابع سيرنا على هذا المنوال طيلة عدة أيام دونما أي فرق في المواضع، أللهم إلاّ أن الجبال كانت في بعض المواضع أقرب إلى البحر من غيرها. ولهذه الجبال أسماء تختلف في العديد من المواضع على الساحل، وتسكنها أقوام بربرية مختلفة الأسماء. ويطلق الأتراك على قاطني المنطقة فوق جبلة اسم نصيريين Neceres. هم قوم من طابع خاص...

(ص ٢١) الجمعة ٥ آذار: بقينا طيلة اليوم في جبلة لنستريح من عناء الأمس. نزلنا في خان جديد بناه عثمان Ostan، باشا طرابلس اليوم، عند مدخل المدينة إلى الشمال.

تقع جبلة على شاطئ البحر ويحيطها من باقي الجهات سهل بالغ الخصوبة. ليست اليوم على شأن كبير، ولكنها تحتفظ بطابع المدينة، ونرى فيها آثاراً تكشف أنها كانت في ما مضى على وضع أفضل... ليس فيها ما يلفت النظر غير جامع بجانبه مستشفى، بناهما السلطان إبراهيم Sultan Ibrahim، وجثمانه يرقد في الجامع حيث يدل اسمه على قبره، وهو موضع إجلال كبير عند الأتراك. (ص ٢٢) نعثر بالقرب من الجامع على حمّام جميل وعلى حقل شاسع من الليمون اعتاد المسافرون على نصب خيامهم في ظلال أشجاره صيفاً...

(ص ٢٥) بيد أن أقدم وأهم معلم في جبلة يعكس ما كانت عليه سابقاً هو آثار مسرح جميل عند مدخلها الشمالي. وهو بنظر الأتراك مجرد قصر قديم... ولكن ما تبقى من هذا البناء الكبير لا يتجاوز ارتفاعه ٢٠ قدماً... (ص ٢٦) لم يبقَ منه اليوم غير نصف دائرة قطرها ٣٠٠ قدم، فيها ١٧ فتحة دائرية على مستوى الأرض تقريباً... ونرى في جهته الغربية مقاعد المشاهدين... وسوره الخارجي بسماكة ١٢ قدماً ومبني على صخور صلبة. لقد انقذته قوته من عاديات الأيام حتى الآن...

السبت ٦ آذار: بعد أن اكتفينا من ملاحظة جبلة تركناها في الصباح الباكر على أمل أن يكون الطقس أفضل (ص ٢٧) مما كان عليه سابقاً. تبعنا شاطئ البحر فوصلنا في مدى ساعتين إلى ضفة نهر عميق يسميه الأتراك نهر الملك Nahr-il-Melech. رأينا على جانبيه أكوام الآثار وغيرها من دواثر الأبنية الضخمة. على

مسافة نصف فرسخ اجتزنا نهراً آخر باسم جوبر Jobar، شاهدنا عليه بقايا جسر من الحجر كان حسن البناء سابقاً. ونرى على الجانب الآخر من النهر في الأرض المزروعة برجاً كبيراً مربعاً تحيطه دوائر الكثير من الأبنية. كما رأينا أيضاً خلال كل يومنا الكثير من دوائر القلاع والمنازل التي تشي بأن هذا البلد المهمل اليوم كان في مضى بأيدي شعب عرف قيمته فاهتم بتحصينه. يسمي سترابون كل المنطقة بين جبلة وأرواد بلد الأرواديين الذين سنتحدث عنهم في حينه. ويسمي أيضاً كثرة من المواضع التي كانت قديماً على طول هذا الشاطئ: بالتوس Paltus، بالانيا (بانياس) Balanea، كارانوس Caranus، إنيدرا Enydra، ماراتوس Marathus، سيميرا Xymira. ولكنه من الصعب معرفة إذا كانت الآثار التي نصادفها اليوم هي آثار (ص ٢٨) هذه الأمكنة، بفعل فارق الزمن، لا سيما وأن الكاتب يكتفي بتسمية الأماكن دون تقديم علامات كافية للتعرف عليها. يُظن أن بالانيا سترابون ما تزال قائمة في نفس الموضع الذي يسميه الأتراك بانياس Baneas، إذ لم يفعلوا غير تصحيف الاسم قليلاً. يقع هذا الموضع على مسافة أربعة فراسخ من جبلة. وهي تقوم على منحدر خفيف على مرحلة من البحر ويرويها من الجنوب جدول صغير وسريع. هي خالية من السكان اليوم. ولكن من الواضح تبعاً لوضعها وآثارها أنها كانت في ما مضى مدينة جميلة يُمَكِّنها خليجها من ممارسة التجارة. وهناك طُلبت منا كفارة جديدة.

لدى خروجنا من بانياس تابعنا سيرنا على طول الشاطئ، وبعد ربع فرسخ صادفنا قلعة قديمة على قمة جبل عالٍ. وهي تبدو بمظهر مثلث متساوي الأضلاع. واحدة من الزوايا باتجاه البحر. يسميه الأتراك المرقب[1] Merchab، ويتحدثون مطولاً عن حصاره: ولكن مهما كانت قوته سابقاً، فهو اليوم مجرد مكان لإقامة فقراء الفلاحين.

(ص ٢٩) على مسافة فرسخ ونصف من بانياس صادفنا جدولاً صغيراً صافي المياه، فقررنا قضاء ليلتنا بجانبه. نصبنا الخيام في السهل على مرحلتين أو ثلاث

[1] "هي على الأرجح نفس القلعة التي يذكرها أندريخوميوس Adrichomius وغيره باسم مرقط Margath والتي إليها اضطر أساقفة بانياس نقل مركز أسقفيتهم لتحاشي شتائم المسلمين"، النسخة الإنكليزية، ص ٢٩. هذا المقطع غير متوفر في النسخة الفرنسية (المترجم).

من البحر، ومن هناك كنا نرى على الجبال المحيطة بنا قرية اسمها صوفيا Sophia يقطنها الموارنة فقط[١]، وبعدها بقليل بزاق Besack قرية أخرى يقطنها الأتراك، وأبعد منهما بقليل مرقيه Merakiah (Merakia) التي يقطنها مسيحيون ومحمديون. لم نسِر هذا اليوم غير ست ساعات.

الأحد ٧ آذار: غادرنا الموقع باكراً، لنجد بعد ثلاثة فراسخ جدولاً جميلاً وعميقاً باسم نهر حسين Nahor Hussine. عليه جسر من قنطرة واحدة كبيرة وحسنة البناء. بعد ساعة ونصف وصلنا إلى طرطوس Tortose (Tortosa) ونحن نسير دوماً على الشاطئ. كان هذا الموضع يُسمى قديماً باسم أرطوسية[٢] Orthosie (Orthosia). وكانت مدينة أسقفية في مقاطعة صور. ويذكرها الكتاب الذين تناولوا الحروب الدينية مراراً (ص ٣٠) كموضع محصن، وهذا ما يبدو من آثارها.

تقع على شاطئ البحر ويحيطها السهل من جهاتها الأخرى. ما تزال فيها قلعة قديمة كبيرة ومسكونة. تبللها من جهة أمواج البحر ومحصنة من الأخرى بسور مزدوج من الرخام غير المنحوت، ومبنية بطريقة غير متقنة. يفصل خندق بين السورَين، ويحيط خندق آخر بالسور الخارجي... كانت المدينة في السابق تحيط بالقلعة من الجنوب والشرق. وكانت محاطة بسور حصين وبخندق ما تزال بقاياه الضخمة واضحة. ولكن لا يبدو فيها أي بناء غير كنيسة على (ص ٣١) مسافة مرحلة من القلعة إلى الشرق. ويبلغ طولها ١٣٠ قدماً وعرضها ٩٣ وارتفاعها ٦١...

عملنا في طرطوس على أن تتقدمنا امتعتنا نحو طرابلس بحيث نتمكن من بلوغها صباح الغد. ثم تبعناها بعد قليل، فبلغنا بعد ربع ساعة ضفة نهر جاف تقريباً، مع أنه يبدو، بحكم عرض مجراه، نهراً كبيراً، كما يبدو من بعض الاثار أنه كان عليه جسر من الحجر لعبوره.

بعد مسافة نصف فرسخ وجدنا أنفسنا قبالة جزيرة صغيرة تبعد فرسخاً عن اليابسة. يسميها الأتراك رواد Ru-ad، ونفترض أنها أرفاد Arvad القديمة، أو Arphad، أو Arpad؛ أسماء مختلفة لنفس الموضع الذي نجده في سفر الملوك الثاني[٣] ١٩: ١٣،

---

[1] عبارة "فقط" واردة في النسخة الإنكليزية، وغير واردة في النسخة الفرنسية (المترجم).

[2] من الضروري عدم خلطها مع موضع أرطوسية الكائنة بالقرب من مصب النهر البارد على حدود عكار والضنية (المترجم).

[3] "أين ملك حماة، وملك أرفاد، وملك مدينة سفروائيم وهيناع وعوّة" (الحاشية من وضع المترجم).

والتكوين[1] (ص ٣٢) ١٠: ١٨، وحزقيال[2] ٢٧: ١١؛ وأرادوس Aradus اليونان والرومان. تبدو للنظر أنها لا تتجاوز طول مرحلتين أو ثلاث، وهي مليئة بالمنازل الكبيرة الشبيهة بالقلاع. كان سكان هذه الجزيرة القدماء مشهورين كبحارة، وكانوا يسيطرون على المنطقة حتى جبلة.

بلغنا مكاريتنا على مسافة ربع فرسخ من هنا، حيث نصبوا الخيام مع أننا طلبنا منهم التقدم أكثر ذلك. ولكن ذلك لم يكن مدعاة أسفنا لأننا اكتشفنا في المكان الكثير من العاديات التي لربما لم يكن سيتسنى لنا ملاحظتها لولا ذلك. كان ذلك في حقل على مسافة فرسخ من طرطوس جنوبي أرواد وعلى بعد حوالي ربع فرسخ من البحر. عثرنا هناك على نبع حسن ولكنه سيء الاسم لأنه يُدعى نبع الحية fontaine du serpent (Serpent Fountain).

الأثر الأول الذي عثرنا عليه كان عبارة عن سد كبير بعرض ٩٠ قدم منحوت في الصخر القاسي. تهبط جوانبه عبر مدرج منحوت في الصخر من الأعلى إلى الأسفل. يتجه السد شرقاً وغرباً (ص ٣٣) على مسافة مرحلة، ويحتفظ بنفس عدد الدرجات المستقيمة على طوله. وينتهي بأرض مغراقة ومسطحة تقع على مسافة حوالي مرحلتين بينه والبحر...

يقع هذا السد شمالي نبع الحية: اكتشفنا على الجهة الأخرى مباشرة أثراً آخر لفت نظرنا. هو عبارة عن فناء مربع محفور في الصخر ضلعه ١٦٥ قدماً. أما جوانبه المحفورة في الصخر فبعلو تسعة أقدام وهي تشكل سوره. إنه محاط من ثلاثة جوانب، بينما جانبه الرابع ينفتح على الشمال. وفي وسط الفناء قطعة مربعة من الصخر بعلو تسعة أقدام وبضلع من ١٦ قدماً. وهو يشكل قاعدة عرش مرفوع عليه. يتألف العرش من أربعة حجار كبيرة، يُشكل اثنان منها جانبيه بينما يشكل الثالث مسند الظهر، في حين أن الرابع يُعتبر قبته. ويبلغ ارتفاعه الكلي حوالي ٢٠ قدماً، بمواجهة موضع (ص ٣٤) الفناء المفتوح. يبلغ ضلع الحجر المربع الذي يلعب دور القبة حوالي ١٧ قدماً ونصف القدم، وهو مثبت على شكل إفريز. لم

---

[1] "وكنعان ولد صيدون بكره وحِثاً (١٥) واليبوسي والأموري والجرجاشي والحُوِّي والعَرقي والسيني والأروادي والصِّيماري والحماتي" (الحاشية من وضع المترجم).

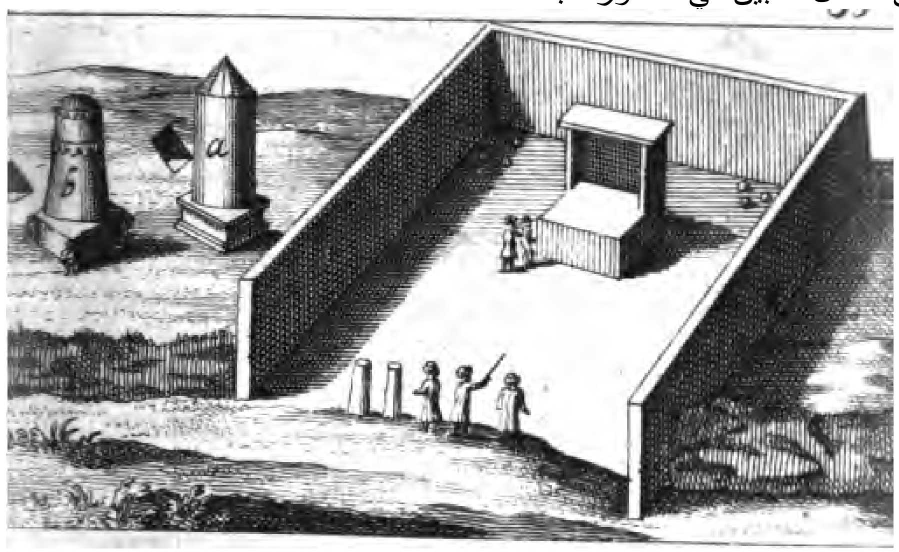
[2] "بنو أرواد مع جيشِك كانوا على أسوارك من حولك..." (الحاشية من وضع المترجم).

نتمكن من تصور ما الفائدة من هذا العرش، أللهم إلاّ إذا كان الفناء بمثابة معبد لصنم ما، بحيث يكون العرش مكرساً له: وهذا ما يبدو أكثر احتمالاً لا سيما وأن هرقل Hercules، أي الشمس، الذي يشكل الصنم الأفضل لدى الفينيقيين كانت تتم طقوس عبادته في معبد مفتوح... ثمة برجان على مسافة نصف ميل جنوبي هذه الآثار. ولكن اقتراب الليل ألزَمَنا على تأجيل التدقيق فيها إلى الغد...

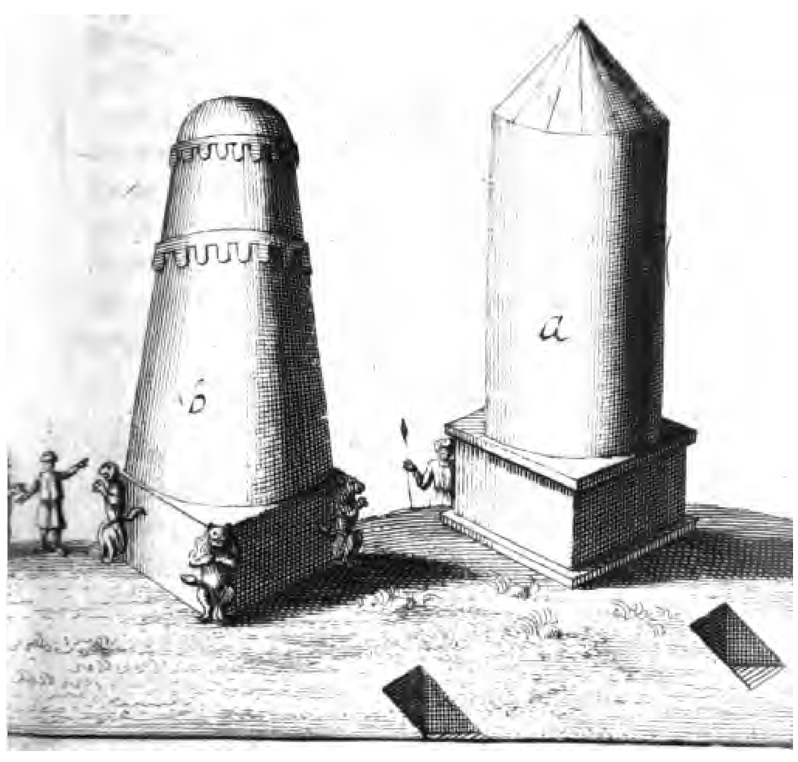
الاثنين ٨ آذار: بعد قضاء ليلة مزعجة نهضنا باكراً لتفحص البرجين المذكورين أعلاه. فوجدناهما عبارة عن قبرين يقومان فوق (ص ٣٥) مقبرة قديمة. كان الواحد منهما يبعد عن الآخر مسافة ثلاثين قدماً، ونرى شكلهما وبنيتهما في الصورة أ والصورة ب.

يبلغ ارتفاع البرج أ ٣٣ قدماً. وارتفاع قاعدته المربعة عشرة أقدام وضلعها ١٥ قدماً. وفوق القاعدة حجران كبيران الأول أسطواني الشكل، بينما الثاني مخروطي.

البرج الثاني ب ارتفاعه ٣٠ قدماً وإصبعان. وقاعدته المربعة عُلوُّها ستة أقدام وضلعها ١٦,٥. وهو مدعم بأربعة أسود كل منها منحوت على واحدة من الزوايا. النحت فظ، ولم تؤثر فيه عوامل الزمن. أما القسم العلوي فمؤلف من حجر واحد على الشكل المبين في الصورة ب.



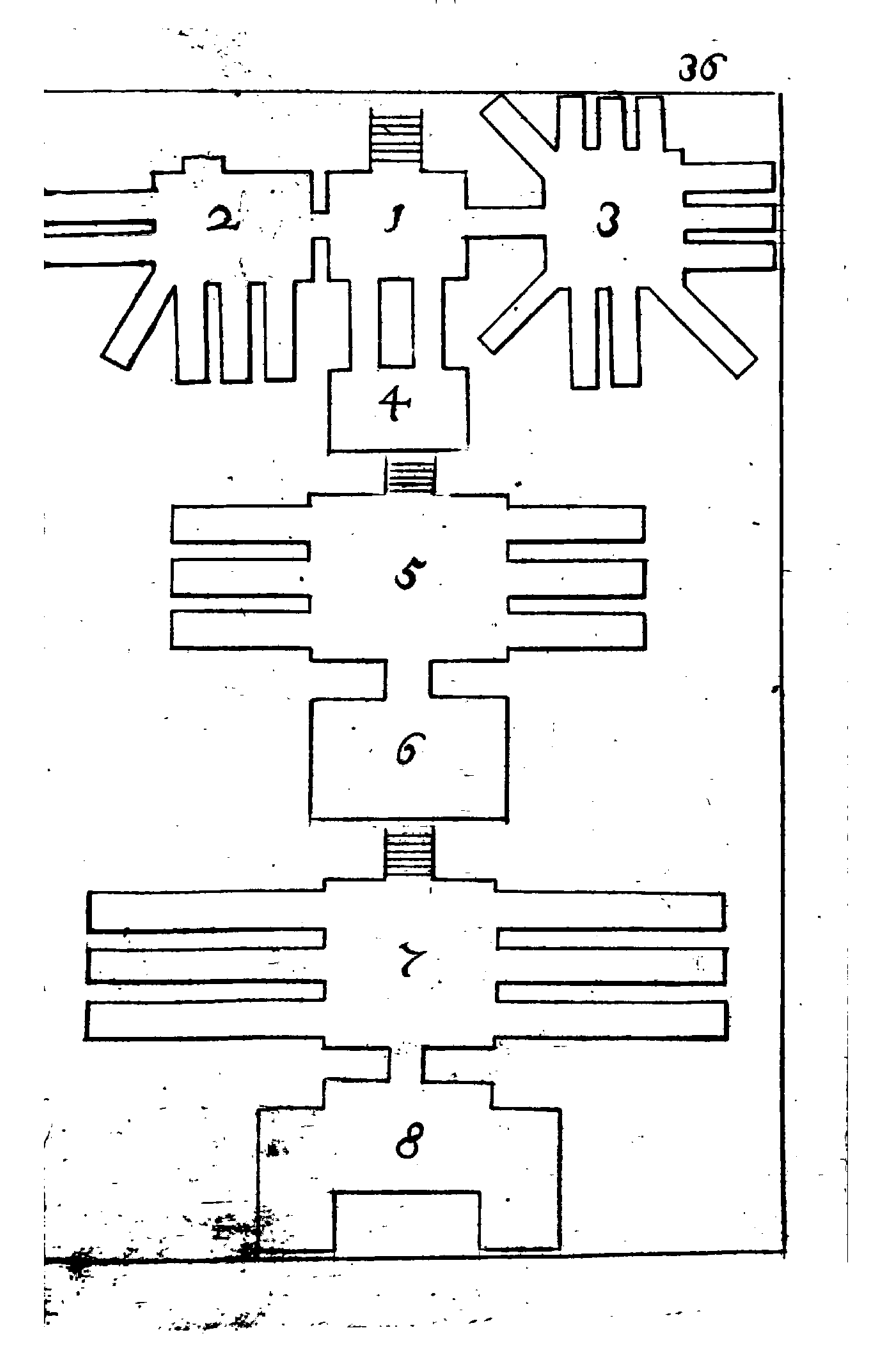
الصورة أ



الصورة ب

يوجد تحت كل واحد من النصبين عدة قبور مدخلها إلى الجنوب. ولقد دخلناها بصعوبة لأن المداخل مسدودة بالعليق وغيره من النبات والقمامة. ولكننا تغلبنا على هذه العقبات يشجعنا الأمل (ص ٣٦) بالعثور فيها على كنوز مخفية...

كانت الغرف تحت البرج أ كما هو مبين في الصورة. فبعد سبع أو ثمانية درجات نصل إلى مدخل القبر حيث ندخل متقدمين على أيدينا وأرجلنا، ونصل إلى الغرفة (١) وهي بعرض ٩ أقدام وإصبعين عرضاً، و١١ قدماً طولاً. ونتجه إلى اليمين فنجتاز ممراً ضيقاً منه نلج إلى الغرفة (٢) وهي بعرض ٨ أقدام و١٠ طولاً. في كل غرفة سبعة مواضع للجثامين... منحوتة في الصخر. أخذنا قياس العديد منها فوجدناها بطول ٨,٥ أقدام، وعرض ثلاثة أقدام وثلاثة أصابع. لم استنتج (ص ٣٧) من ذلك أن الجثامين يجب أن تكون على هذا المقاس، مع أن حفر مثل هذه الأنفاق في مثل هذا الصخر القاسي، يكون من الإفراط القيام به دونما ضرورة ملزمة له.



رسم الغرف والأنفاق

من الجهة الأخرى للغرفة (١) ثمة ممر ضيق بطول سبعة أقدام يؤدي إلى الغرفة (٣) وهي بطول ١٢ قدماً وعرض تسعة أقدام. وفيها ١١ موضع للجثامين، أصغر

قليلاً من السابقة، وموزعة بشكل متساوٍ... (تتوزع باقي الأنفاق كما هو مبين في الرسم أعلاه).

(ص ٣٨) على مسافة مرحلة من هنا اكتشفنا برجاً آخر شبيهاً بالبرج الأخير الموصوف أعلاه... وبما أنه كان علينا السير لبلوغ طرابلس اليوم، فلم نتوقف عنده طويلاً...

(ص ٣٩) يجب ألا يفوتنا ذكر أننا عثرنا حوالي نبع الحية وحتى بالقرب من البرج الأخير، على العديد من المقابر الأخرى، وأبنية قديمة وغيرها من العاديات، ما يدفعنا إلى استنتاج أنه كان هنا سابقاً مكان لإقامة كبيرة. ولكني أترك للمهتمين بتقدير ما إذا كان هنا موضع سيميرا Ximyra التي جعلها استرابون Strabon في هذه المنطقة، كما سماها بلين Pline في (Histoire Naturelle, Liv. 5, chap. 20) Simyra، والتي قد تكون بلد الصماريين Zemarites المذكورين في سفر التكوين (١٠: ١٨) مع الأروادبين Arvadites.

في عكار[1]

بعد أن تركنا هذه الآثار (على الساحل قبالة جزيرة أرواد) دخلنا في سهل فسيح وعريض للغاية يقع بين البحر والجبال. ويمتد طولاً حتى يبلغ طرابلس. يسميه أهل البلاد جونيه Junia، أي السهل بامتياز وذلك بحكم اتساعه. استلزمنا اجتيازه سبع ساعات. (ص ٤٠) وجدنا هذا السهل بالغ الخصوبة، لكثرة ما فيه من الجداول والمياه التي ترويه. أول هذه الأنهار على مسافة ستة فراسخ قبل طرابلس. عليه جسر من الحجر مبني بثلاث قناطر. وهو أكبر الأنهار التي تروي السهل ما اسبغ عليه اسم النهر الكبير Nahor il kibber. على مسافة نصف فرسخ منه، ثمة نهر آخر اسمه نهر الأبرص Nahor Abrosh نسبة إلى البرص. بعد ثلاثة أرباع الفرسخ منه، هناك نهر ثالث باسم نهر عكار Nahor Acchar، عليه جسر حسن بقنطرة واحدة من الحجارة. وعلى بعد فرسخين منه ثمة نهر رابع اسمه[2] ... أو المياه

---

[1] هذا العنوان من وضع المترجم.

[2] يرد في النسخة الإنكليزية الصادرة في بوسطن، ١٨٣٦، ص ٤١، اسم "نهر البارد" "Nahor el Bered". بينما يرد "a fourth river called … or the Cold Waters" في ص ٢٣ من النسخة الإنكليزية الصادرة في لندن، ١٨٢٣.

الباردة، وعليه أيضاً جسر بقنطرتين. ومن هذا النهر إلى طرابلس المسافة فرسخين كاملين. توقفت لأصف كل هذه الأنهار بغية إلقاء بعض الضوء على ذلك الاختلاف بين الجغرافيين حول موضع نهر إلوتيروس la Rivière Eleutherus. يجمع الجغرافيون المحدثون على إطلاق هذا الاسم على نهر يقع بين صور وصيدا، الذي يطلق عليه الأتراك اسم قاسميير Casimeer (القاسمية). ولكن هذا يتعارض مع إجماع شهادة (ص ٤١) القدماء الذين يضعون هذا النهر في موضع أبعد إلى الشمال. جعله استرابون في موضع ما بين أرطوسية Ortosia وطرابلس، كحد يفصل بين سورية Sirie وفينيقيا. أما بلين Pline فيضعه بالقرب من أرطوسية، ويجعله ينتهي في البحر مقابل أرواد Aradus، Hist. Nat., Liv.5, C. 20. أما واضع سفر المكابيين-١ Maccabées I, Macc. 12. 25. 30 فيجعله في بلاد حماة، ما يعني أنه بالتأكيد خارج حدود إسرائيل، كما يبدو استناداً إلى نفس المؤلف. يتفق معه جوزيف Joseph بوضع إلوتيروس شمالي صيدا، كما يبدو من الكتاب ١٤ من مؤلفه Antiq. Jud., Chap. 7. 8، حيث يقول في معرض كلامه على هبة مارك أنطوان Marc Anthoine إلى كليوبترا Cleopatre: أن هذا العاشق السخي أعطاها جميع المدن الواقعة بين إلوتيروس ومصر، باستثناء صور وصيدا. وبطليموس Ptelomée، على حد زعم تيرانيوس Terranius، فيجعله أبعد إلى الشمال، بين أرطوسية وبلانية Balania (بانياس). يثبت كل ذلك بوضوح أن النهر الذي يزعم المحدثون أنه نهر إلوتيروس، ليس هو ذاته أبداً. بل يبدو لي أن الظواهر تدفع أكثر إلى الاعتقاد بأن إلوتيروس هو اسم أحد أنهار جونية[1]. أو إذا أخذنا بقول بلين، هو النهر الجاف اليوم الذي ذكرته (ص ٤٢) سابقاً وهو قبل طرطوس بقليل، حيث يكون مصبه مقابل أرواد تقريباً. لن أكون حاسماً في هذا الصدد، بل أكتفي بما رويته عن هذه الأنهار، بمناسبة اجتيازنا لها.

الثلاثاء ٩ آذار: باقترابنا من طرابلس تردد المكارية عن المتابعة خشية مصادرة بغالهم لصالح الأعمال العامة، كما حصل لاحقاً مع أسفنا الشديد، على الرغم من

---

[1] جون عكار (المترجم).

كل حرصهم[1]. تركناهم في سهل جونية، وتابعنا السير حتى طرابلس التي وصلنا إليها مع المغيب. لقد سرنا ١٠ ساعات هذا اليوم.

أمضينا ثمانية أيام لنرتاح في طرابلس حيث استضافنا بسخاء السيد فرانسوا هاستينغز François Hastings قنصلنا، والسيد جان فيشر Jean Fisher، تاجر ويمثل البيت الإنكليزي الوحيد في طرابلس. تقع طرابلس على مسافة نصف فرسخ من البحر. يقع القسم الأساسي للمدينة بين تلتين، واحدة إلى الشرق حيث توجد قلعة تطل على الموضع، والثانية إلى الغرب بين (ص ٤٣) المدينة والبحر. ويُقال أن التلة الثانية تكونت بداية وهي تكبر يومياً بفعل أكوام الرمل التي ينقلها الهواء من الشاطئ...

الأربعاء ١٠ آذار: هذا اليوم، استضافنا جميعاً السيد فيشر في الجبل. ولقد تناولنا الغداء في وادٍ ضيق ورائع إلى جانب نهر، على مسافة ميل شرقي المدينة. تقطع عبر هذا الوادي قناة ماء على قنطرة جميلة، وهي تجتاز الوادي من جبل إلى آخر، وفيها تسيل كمية من المياه كافية لتلبية حاجات المدينة. ويُسمونها جسر البرنس Pont du Prince ويُفترض أن بانيها غودفروا دو بويّون Godefroi de Bouillon.

(ص ٤٤) الخميس ١١ آذار: تناولنا جميعاً الغداء في منزل القنصل هاستينغز، وبعد ذلك قمنا بزيارة عثمان، باشا طرابلس، وذلك بعد أن كنا قد قدّمنا له إكرامياتنا، هذه الوسيلة الوحيدة للحصول على استقبال لائق من قبل الأتراك...

(ص ٤٥) الجمعة ١٢ آذار: قمنا بعد الظهر بزيارة دير البلمند الأرثوذكسي Belmont Couvent Grec (Bell-Mount a convent of Greeks)، الكائن على مسافة مرحلتين[2] جنوبي طرابلس. وكان قد أسسه أحد كونتات طرابلس، وهو يقع على جبل صخري بالغ الارتفاع يطل على البحر، والصعود إليه صعب للغاية، ولكن جهد الرهبان الفقراء جعل الوصول إليه ممكناً. لقد وصلنا إليه بينما كانوا منصرفين إلى خدمة المساء. كنيستهم كبيرة ولكنها مظلمة، وكان المذبح محصوراً كيلا يتمكن من الاقتراب منه أحد غير الكاهن تبعاً لطقوس الكنيسة الأرثوذكسية.

---

[1] عندما قرر الرحالة متابعة رحلته من طرابلس، رفض المكارية السير معه خشية مصادرة بغالهم (المترجم).

[2] "على مسافة ساعتين" في النص الإنكليزي، ص ٤٥، فهل معنى ذلك أن مسافة الفرسخ تستلزم سير ساعة؟ (المترجم).

وكانوا يجمعون رعيتهم بنوع من الصوت تصدره مطرقتان خشبيتان تصدمان لوحاً يتدلّى على باب الكنيسة، وذلك لأن الأتراك يمنعون استخدام الأجراس المعدنية.
تكمن خدمتهم في تلاوة بعض الصلوات والتراتيل بسرعة وبدون أي احترام، وتوجه إلى فادينا والطوباوية العذراء، وفي بعض الطقوس المبهمة. أما الكاهن الذي يقيم القداس فيصرف ثلثي وقته في الدوران حول المذبح وتبخيره بالمبخرة؛ ومن ثم يدور حول المصلين وهو يهز مبخرته إلى الأمام (ص ٤٦) والوراء ليُبَخِّرً بهزات ثلاث كل واحد من الحضور. وعند نهاية الخدمة توضع داخل الكنيسة طاولة صغيرة يغطيها شرشف أبيض وعليها خمس قطع من الحلوى، أو الخبز تتوزع على شكل صليب، وفي وسط كل قطعة حلوى شمعة صغيرة مضاءة موضوعة في ثقب فيها.

⊙ ⊙
⊙
⊙ ⊙

شكل الصليب[1]

وفي هذا القداس يقرأ الكاهن مقطع الإنجيل المتعلق بقيام فادينا المسيح بتكثير الخبز انطلاقاً من بضعة أرغفة فقط. بعد ذلك ينقل الخبز إلى السكرستيا[2] حيث يُقطع إلى قطع صغيرة ويُوزع على جميع المشاركين ليأكل كل واحد قطعة صغيرة. وبعدها يُعطي الكاهن البركة وتنتهي الخدمة. يوجد في صدر الكنيسة، على الجانبين "مواضع" مخصصة للرهبان، كما هي الحال في المعاهد في أوكسفورد؛ ولكل موضع" ركيزة على كل من جانبيه. هذه هي الطريقة المعتمدة في معظم كنائس هذه البلاد. وعلى هذه المواضع يستند الكهنة، وهم غير مسموح لهم بالجلوس، وبما أن خدمة القداس تكون أحياناً طويلة فيصعب متابعتها للنهاية بدون (ص ٤٧) ذلك. كما أن الكهنة الشباب الذين يستطيعون الاستغناء عنها يستعملونها...
يبلغ عدد رهبان هذه الدير الأربعين. وجدناهم في غاية الطاعة والنشاط، ولكنهم على جهل بالغ، لدرجة أنهم يعجزون عن تفسير خدمتهم الدينية. ولا أستطيع لتعيين

---

[1] اعتمدنا الشكل الموجود في النسخة الإنكليزية (ص ٤٦) لأنه أوضح مما هو عليه في النسخة الفرنسية (المترجم).
[2] بناء ملحق بالكنيسة لاستخدامات الكاهن ولوضع بعض الآنية والأغراض الخاصة بالكنيسة (المترجم).

بساطتهم المفرطة إلاّ أن أروي الإطراء الذي قدمه رئيسهم إلى قنصلنا، بحيث أنه اعتبر زيارة القنصل مدعاة بهجة كما لو أنه رأى المسيح بالذات يزوره.
ولكن علينا أن لا نتفاجأ من جهلهم لأنهم مجبرون على صرف وقتهم المتوفر خارج أوقات العبادة، لا في الدراسة، بل في رعاية ماشيتهم وزراعة أرضهم والعناية بكرومهم، وغير ذلك من الأعمال الزراعية المجبرون على القيام بها بأنفسهم. وهم مضطرون إلى ذلك ليس لمجرد تأمين ضرورات حياتهم، بل أيضاً من أجل تأمين الأتاوات التي يطالبهم بها الأتراك الجشعون بلا مبرر...
(ص ٤٨) السبت ١٣ آذار: قمنا في الصباح بزيارة عثمان باشا... (ص ٥١) بعد أن انتهينا من الزيارة، ذهبنا بعد الغداء للتنزه على الأحصنة على شاطئ البحر، على مسافة نصف فرسخ[1] من المدينة. كان المرفأ مفتوحاً تماماً، ولكنه محمي جزئياً من الموج (ص ٥٢) بجزيرتين صغيرتين على بعد حوالي مرحلتين من اليابسة. واحدة باسم جزيرة العصافير والأخرى باسم جزيرة الأرانب، وذلك بحكم انتشار الحيوانات فيها. وللدفاع عن المرفأ بوجه القراصنة تم بناء عدة تحصينات أو أبراج مربعة على طول الساحل، وعلى مسافة ملائمة. ويبدو لي عددها ستة، ولكنها خالية تماماً اليوم من الرجال والسلاح.
وكنا نرى في الحقول المنتشرة على طول الساحل الكثير من بقايا الآثار ومن أعمدة الرخام والكثير من الأشياء الأخرى التي تؤشر إلى وجود أبنية ضخمة في السابق. وهذا ما يتفق تماماً مع قول كازوبون Casaubon استناداً إلى ديودور Diodorus في ملاحظاته حول استرابون (ص ٢١٣) أن الموضع المسمى اليوم طرابلس كان في ما مضى تجمعاً لثلاث مدن تقع الواحدة على مسافة مرحلة[2] عن الأخرى. كانت الأولى مقر الأرواديين، والثانية مقر الصيدونيين، والثالثة مقر الصوريين. وعليه من المرجح أن طرابلس كانت اسماً أطلق بداية على ثلاث تجمعات متميزة ومتجاورة، وليس اسماً لمدينة واحدة بُنيت، حسب الرأي الشائع، بناءً لمصلحة مشتركة بين صور وصيدا وأرواد. لأنه من الصعب أن نتصور (ص ٥٣) اتفاق

---

[1] في النسخة الإنكليزية (ص ٥٢): "ذهبنا لمشاهدة الميناء (المرفأ) على مسافة نصف ساعة" (المترجم).
[2] في النص الفرنسي المسافة بمقياس مرحلة stade، بالإنكليزية بمقياس فورلونغ furlong، ما يعادل نصف ميل (المترجم).

ثلاث جمهوريات مستقلة كهذه على بناء مدينة واحدة مشتركة بينها، أو كيف تمكنت من التوافق لاحقاً على حكمها المشترك.

الأحد ١٤ آذار: ما نزال في طرابلس.

الاثنين ١٥ آذار: غادرنا طرابلس في الثالثة بعد الظهر. تبعنا شاطئ البحر، فوصلنا في ساعة ونصف إلى القلمون Callemone، قرية صغيرة واقعة (ص ٥٤) تحت البلمند مباشرة. في الثامنة مساءً اعترض طريقنا رأس مرتفع داخل في البحر بشكل عمودي تقريباً (رأس الشقعة). ولتجاوز هذه العقبة انعطفنا يساراً في وادٍ ضيق فيه تمر الطريق الأساسية، وبما أن الليل بدأ يهبط خيمنا تحت أشجار الزيتون، بعد أن اجتزنا ما يساوي خمسة فراسخ تقريباً.

هذا الرأس الذي أنهى يومنا يبدو أنه الذي سماه استرابون[1] وجه الله face de Dieu الذي اعتبره هذا الجغرافي نهاية جبل لبنان. ولقد ذكر أيضاً وجود مدينة باسم الهري (تريبريس Trieris) بين هذا الرأس وطرابلس. ولكننا لم نعثر على أي بقايا لها، باستثناء بعض القبور المنحوتة في الصخر على مسافة ساعة ونصف قبل بلوغنا الرأس.

الثلاثاء ١٦ آذار: نهضنا في الصباح الباكر لاجتياز هذه العقبة التي يشكلها الرأس الذي تحدثنا عنه للتو. هذا الممر على مسافة نصف ميل من (ص ٥٥) البحر. تجاوزناه صعوداً وبصعوبة في مدى ساعة لنصل إلى وادٍ ضيق من الجهة المقابلة حيث عدنا لرؤية إلى البحر. عند مدخل هذا الوادي حصن صغير قائم على صخرة ترتفع عامودياً من كل الجهات. وتبدو أسواره المساوية لأطراف الصخرة كأنها استمرار لها. يُسمى هذا الحصن تمسيدا[2] Temseida ويتحكم بالوادي.

بلغنا بعد نصف فرسخ من هناك البترون Patrone التي نفترضها هي المعروفة قديماً باسم بوتروس Botrus. وهي تقع على شاطئ البحر؛ ولم يكن طريقنا ليمر من هناك ولكننا خرجنا إليها لمشاهدتها. عثرنا فيها على بعض آثار كنيسة قديمة ودير مدمر تماماً، كما هي حال المدينة أيضاً. ولم يبقَ منها ما يشير إلى أنها كانت موضعاً هاماً.

---

[1] Strab. lib. 16. Pomp. Mela, lib.I. cap. 12.

[2] لا بد أنه حصن المسيلحة (المترجم).

بعد ثلاثة فراسخ منها وصلنا إلى جبيل Gibyle التي سمّاها اليونان بيبلوس Byblus، موضع مشهور قديماً بولادة ومعبد أدونيس Adonis. وهو موضع رائع على البحر؛ ينطوي اليوم على مجال صغير، (ص ٥٦) ولكنه شاسع جداً بالنسبة لقلة ساكنيه...

الأربعاء ١٧ آذار: (ص ٦١) لدى اجتيازنا هذا الممر (نهر الكلب) لاحظنا على جوانب الصخور فوقنا عدة لوحات وصور منحوتة يبدو أنها تشي بأمور قديمة. صعد إليها بعضنا (ص ٦٢) مستطلعاً فوجدنا فيها علامات جعلتنا نحكم بأنها الممر القديم الكائن قبل أن يعمل الأمبراطور أنطونين Antonin على حفر الممر الأدنى منه (الراهن) في موضع أكثر ملاءمة. وشاهدنا في عدة مواضع صوراً غريبة وقديمة لرجال منحوتة في الصخر، وهي بحجم الإنسان العادي. وكان هناك بجانب كل صورة لوحة مسطحة في بطن الصخرة ويحيطها إطار. ويبدو أن الصور واللوحات كانت سابقاً مليئة بالنقوش. لكن الحروف اليوم ممحوة بحيث لم يبقَ منها غير بعض البقايا المرئية. ومع ذلك وجدنا صورة ملامحها ونقوشها كاملة.

ولسوء الحظ فاجأتنا عاصفة هوجاء من الرعد والمطر في هذا المكان ما حال دون بقائنا مدة أطول. وهذا ما منعني، مع أسفي الكبير، من نسخ هذا النقش، ومن تفحص هذا الأثر القديم بقدر ما يستحق. وإني لآمل أن يتوفق أكثر مني رحالة آخر قد يمر في هذا المكان. تشبه الصور المومياءات، ولعلها كانت صور بعض الشخصيات المدفونة حولها، والتي يمكن اكتشاف قبورها.

(ص ٢٣٨) الأحد ٩ أيار: رغبت بذل الجهد مجدداً لرؤية الأرز وقنوبين، خشية أن تفوتني فرصة قد لا تعوض أبداً. بعد مسير ثلاث ساعات في اجتياز سهل طرابلس بلغت سفح لبنان. صعدت فيه مدة أربع ساعات ونصف الساعة، بصعوبة بالغة، فوصلت إلى قرية باسم أهدن Eden، بعد ساعتين ونصف منها وصلت إلى الأرز.

كانت هذه الأشجار الرائعة وسط الثلج، (ص ٢٣٩) على مقربة من قمة لبنان. يا لها من أشجار عظيمة بعمرها وضخامتها، كما بالتمليحات الكثيرة إليها من خلال كلام الله (الكتاب المقدس). منها الشجر المغرق في قدمه وبضخامته الخارقة، ومنها ما هو أصغر عمراً وضخامة. أحصيت من الصنف الأول ست عشرة شجرة فقط، أما الباقيات فهي بأعداد كبيرة. أخذت قياس واحدة من الأشجار الضخمة فبلغ

قطرها ٣٦ قدماً وست بوصات، وهي ما تزال سليمة البنية. أما امتداد أغصانها فكان بطول ١١١ قدماً. وعلى ارتفاع من ١٥ إلى ١٨ قدماً يتفرع جذعها إلى خمسة فروع كل منها يساوي شجرة كبيرة... وصلنا إلى قنوبين مع مغيب الشمس حيث استُقبِلنا بكل ترحاب...

(ص ٢٤٠) قنوبين دير للموارنة ومقر بطريركهم الذي هو اليوم اسطفان الإهدني Stephanus Edenensis، رجل علامة وبشوش.

(ص ٢٤١) الأبعاء في ١١ أيار: استأذَنّا أصدقاءنا الطيبين في طرابلس (ص ٢٤٢) لنعود إلى حلب. لم نكن نعرف ما إذا كان علينا العودة على الطريق التي سلكناها في المجيء، أو ما إذا سنتخذ طريق العودة عبر حمص Emissa Hempse وحماة. ولما علمنا أن الطريق الأخيرة معرضة للمخاطر بسبب بعض القلاقل في تلك الأنحاء، قررنا العودة على أعقابنا من حيث أتينا. هذا فضلاً عن أننا كنا قد شفينا غليلنا، وأخذ منا عناء السفر مأخذه، حتى بتنا راغبين بالعودة بأسرع ما يمكن. وهكذا عدنا للمرور في جميع الأماكن التي مررنا بها سابقاً دون أن نلحظ أي تغيير يُذكر، فوصلنا بثمانية أيام إلى خان العسل.

٣- رحلة ريشارد بوكوك

الكاتب والكتاب

ريشار بوكوك Richard Pockocke (١٧٠٤- ١٧٦٥) أسقف إنكليزي من مدينة ساوثمتون Southampton. بعد أن تلقى تعليماً تقليدياً وحصّل إلماماً بعدة لغات شرقية، حصل على شهادة الدكتوراه عام ١٧٣٣.

أمضى الكثير من حياته في الرحلات. ففي العام ١٧٣٣- ١٧٣٤ زار فرنسا وإيطاليا. وفي العام ١٧٣٦ ذهب في بعثة إلى الشرق. ووصل إلى الإسكندرية في أيلول من العام ١٧٣٧، وفي ١١ ت[٢] وصل إلى القاهرة. ثم انتقل إلى فلسطين فوصل إلى يافا في ١٤ آذار ١٧٣٨، ومن هناك انتقل إلى القدس، ثم قام بزيارة معظم مناطق فلسطين. وانتقل بعدها بحراً إلى صور وصيدا وجبل لبنان، وقام باستكشاف بعلبك، وبعدها زار دمشق وحلب. وزار أنطاكية ومنها اتجه بمحازاة الساحل حتى طرابلس. وفي ٢٥ ت[١] أبحر إلى قبرص، ومن هناك قام بزيارة أهم المدن اليونانية، ليعود إلى إنكلترا عام ١٧٤١. نشر بعد سنتين بالإنكليزية مجلداً ضمنه خلاصة مشاهداته مع جملة من الخرائط واللوحات، بعنوان وصف الشرق وبعض البلاد الأخرى، وأتبعه بمجلدين شبيهين. وفي العام ١٧٧٢-١٧٧٣ نشرت معطياته عن رحلاته بالفرنسية مترجمة عن الإنكليزية في سبعة مجلدات بعنوان "رحلات ريشار بوكوك في الشرق: مصر والعربية وفلسطين وسورية واليونان وتراقيا وغيرها، وما تضمنته من وصف دقيق للشرق وعدة بلدان أخرى، كفرنسا وإيطاليا وألمانيا وبولونيا وهنغاريا وغيرها؛ بالإضافة إلى ملاحظات هامة عن كل بلد في ما خص التقاليد والعادات والأديان والقوانين والحكم والفنون والعلوم والتجارة والجغرافيا والتاريخ الطبيعي والحضاري، وبالتالي حول كل ما هو مثير في الطبيعة والفنون". والنصوص المترجمة أدناه مأخوذة من الجزء الرابع من هذه الترجمة الفرنسية[١].

---

[1] المرجع: Voyages de Richard Pockocke en Orient…, traduit de l’anglais sur la seconde édition, tome quatrième, Paris, 1772; (Chapitres XXV, XXVI, XXVII et XXVIII: pp. 88-125).

الفصل الخامس والعشرون: حول اللاذقية Latichée (المسماة قديماً Laodicée) وجبلة Jébilée (المسماة قديماً Gabala)

(ص ٨٨) بنى اللاذقية Laodicée، المسماة اليوم Latichée، سلوقوس الأول Seleucus I، ملك سورية، الذي بنى أيضاً أنطاكية وسلوقيا Seleucie وأفاميا Apamée. وسماها اللاذقية Laodicée على اسم أمه. وهي تقع على شاطئ البحر في سهل لم يفقد شيئاً من خصوبته التاريخية. كانت هذه المنطقة مشهورة بخمورها التي تصدرها إلى (ص ٨٩) الإسكندرية في مصر، وكانت الكروم تغطي كل الجبال الواقعة غربيها[1]. وفيها نجد نوعاً من الخراف بأربعة قرون، اثنان يتجهان إلى الأعلى واثنان إلى الأسفل. ونرى جنوبي المدينة الحديثة، على بعض التلال، الأسوار التي كانت على الأرجح قائمة هناك؛ واستناداً لما نعثر عليه في الحقول والبساتين من القرميد والرخام، واستناداً لقرب المرفأ، من السهل الحكم بأن أحياءها الأساسية كانت هناك...

(ص ٩٤) انطلقنا في ١٥ ت[1] باتجاه الجنوب، لنسير بالقرب من البحر، وعندما ابتعدنا حوالي ميلين عن المدينة وصلنا إلى نهر باسم النهر الكبير Nahr-Gibere، كان ضيق المجرى ولكنه عميق. يبعد الجسر حوالي ميلين عن البحر، ولكن بدا لي أن الطريق القديمة والجسر القديم كانا أقرب إلى البحر في السابق. ولقد عملت على تفحص آثار الجسر حيث عثرت على نقش غير كامل. ويُقال أن هذا النهر يخرج منبعه من جبال الشغل Shogle، ولعله من المرجح أن المياه كانت تصل إلى اللاذقية عبر قناة ما تزال بقاياها ظاهرة، ولقد بناها هيرودس Herode على الأرجح[2]. ورأيت في البعيد على الطريق إلى حلب قرية باسم يوحنا Johan، وآثار كنيسة رائعة كانت مكرسة لمار يوحنا. وصلنا إلى نهر اسمه نهر شوبر (جوبر) Nahr-Shobar، ومعناه نهر الصنوبر؛ وهناك قدم لي الإنكليز (ص ٩٥) الذي رافقوني من اللاذقية طعام الغداء. وبعد أن استأذنتهم تابعت سيري، وما أن وصلت

---

1 Stabo, XVI, p. 751.
2 Josephus, de bello Jud. I, 21.

إلى جبلة Jebilée، المسماة قديماً Gabala، حتى عملت على الإقامة عند الآغا Aga...

(ص ٩٧)

الفصل السادس والعشرون: حول بانياس Balanea القديمة وقلعة المرقب Merkab وطرطوس Tortosa وجزيرة أرواد Aradus

غادرنا جبلة في ١٧ (ت١) واجتزنا النهر المسمى باسمها، وقطعنا نهراً آخر بعد قليل من الوقت، وبعد نصف ساعة خيَّمنا عند نهر ثالث باسم كانيرك Kanierck. ونرى على شاطئ البحر مرتفعاً كان عليه على الأرجح مدينة صغيرة. يبعد نهر السن Sin الصغير مسير حوالي ساعتين عن جبلة؛ وهو يدير مطحنة كبيرة تُعرف باسم طاحونة الملك Tahouna-el-Melec... ورأيت على الجهة المقابلة بعض الآثار جعلتني (ص ٩٨) افترض أن پالتوس Paltos كانت في هذا الموضع؛ وعلمت في حينه أن موضعها يُسمى بولدو Boldo، وان المدينة القديمة كانت مدمرة تماماً، وأنه لم يبقَ منها غير مطحنة قديمة، ما جعلني أعتقد أنه نفس الموضع الذي ذكرته للتو. كما أن سولوقيا بيلوم Seleucia ad Belum كانت بالضبط على نفس المستوى ولا بد بالتالي أنها كانت إلى الشرق. وعلى بعد بضعة أميال إلى الشرق من نهر السن تبدأ سلسلة من الجبال تتجه إلى الشرق ومن ثم إلى الجنوب. تقع قرية سارّ Sarr إلى الغرب على شاطئ البحر. وفيها رأيت بعض الأبنية القائمة، ولكني لم أتمكن من معرفة ما إذا كان يوجد في جوارها قدر من الدواثر لأقتنع أنها هي سلوقيا القديمة؛ ولكني علمت فقط أن مترجماُ إنكليزياً قد عثر في هذه الجبال، على مسير يومين من طرابلس، على بقايا معبد وعلى نقش يوناني؛ وبما أن المسافة هي نفسها بالتمام، فمن المحتمل جداً أن سلوقيا بيلوم قد كانت في هذا الموضع.

بلغنا بمدى ساعة (ص ٩٩) نهر حنشون Henshoun، وبعد نصف ساعة نهر جوبا Joba، ومن هناك بانياس Baneas البعيدة عنه مسير ساعة؛ وهي على الأرجح بالانيا القديمة Balanea ولكنها اليوم خاوية. وكانت في العصور القديمة الوسطى معروفة باسم فالانيا Valania. وهي تقع على مرتفع في سفح جبل ينتهي في البحر، ويحيطها شمالاً وجنوباً خندق يفصلها عن الجبل؛ كما كانت محصنة بسور بسماكة

ثلاثة أقدام ما زالت بعض بقاياه صامدة في ثلاثة مواضع منه. وبدا لي أن المدينة كانت قليلة الأهمية؛ وما نزال نرى إلى الشرق منها بقايا كنيسة صغيرة لعلها كانت كاتدرائية الأسقف المقيم فيها؛ وفي أسفل الجبل إلى الجنوب، ثمة خليج صغير وحصن لتحصيل المكوس؛ وفي الوادي جنوبي المدينة القديمة يجري نهر يُسمى نهر بانياس، وهو على الأرجح المُسمى نهر فالانيا في العصور الوسطى. وفي شرقي المدينة نحو قمة الجبل هناك آثار قلعة (ص ١٠٠) أسوارها صلبة للغاية؛ وقيل لي أنها كانت سابقاً مقر حكام هذه المناطق قبل استقرارهم في قلعة المرقب Merkab. وهذه القلعة تقع جنوبي بانياس، والوصول إليها وعر للغاية واستلزم منّا مسير ساعة ونصف.

يبلغ محيط قلعة المرقب حوالي ميل ونصف، بما في ذلك قمة الجبل. وهي على هيئة مثلث ومتينة للغاية. وتبلغ سماكة أسوارها الداخلية خمسة عشرة قدماً؛ بالإضافة إلى سور خارجي يحيطها بمجملها تقريباً... ويروي السكان أن التقليد يخبرهم أن الفرنجة هم الذين بنوها... أن أجدادكم هم الذين بنوها- هكذا أخبرنا الحاكم- ونحن انتزعناها منهم (ص ١٠١) بحد السيف؛ ولعمري هذا صحيح- أجبته- ولكن لماذا تتركونها تقع خراباً؟...

نزلنا من قلعة المرقب وتابعنا طريقنا، وبعد مسير سبعة أو ثمانية أميال صادفنا نهراً باسم مرقية Merkeia، وبقربه تل يُسمى تل الحيّات Telchiate (ضفة الحيّات rive des serpents): ما يدعو للظن أنه هنا كان موضع (ص ١٠٢) موتاتيو ماراكياس Mutatio Maraceas التي تجعلها الرحلة إلى القدس itinéraire de Jérusalem على مسافة ميلين من بانياس. وثمة قرية في الجبال تُدعى مرقية Merakea. ومن المحتمل أن هذا اسم الجبال وأنه استناداً إليها استمدت قلعة المرقب اسمها. ومعظم الجبال هذه يقطنه موارنة. رأينا قرية باسم بزاق Bezac، وعلى الشاطئ برجاً قديماً يُدعى برج ناصب Bourge Nasib. وبعد ساعة اجتزنا نهر حَصَيْن Hassein، ولما استلمنا الطريق الأساسية وصلنا في مدى ساعة إلى طرطوس Tortosa التي يسميها البعض أرطوسية Orthosia: ولكنه من بالغ الصعوبة تعيين موضع هذه المدينة.

يبدو أن هذه المدينة بُنيت حوالي القرن الخامس أو السادس. وهي على شاطئ البحر، ويبلغ محيطها حوالي ثلاثة أرباع الميل. أسوارها القديمة مبنية بالحجر المقصوب الضخم، ويحيط بها خندق ما تزال بعض بقايا السور جلية في موضع منه. وفي الطرف الشمالي الغربي تقوم بقايا قلعة داخلها (ص ١٠٣) تم بناء المدينة الجديدة؛ أسوارها متينة ويبلغ ارتفاعها ٥٠ قدماً على الأقل؛ ويبلغ محيطها حوالي نصف ميل، هذا دون احتساب النطاق الخارجي، وما نزال نرى فيها كنيسة بجناح واحد؛ ثمة كنيسة أخرى بأجنحة ثلاثة في الطرف الشرقي للمدينة وهي مبنية بكاملها بالحجر المقصوب، ولا يبدو أن بناءها قد تم إنجازه، ولعلها تعود إلى القرن السادس. إنها من الطراز الكورنثي...

يقع الموضع الذي ترسو فيه السفن الآتية من جزيرة أرواد على حوالي نصف ميل شمالي طرطوس. وما تزال مرئية فيه آثار رصيف: ولكن من الجلي أن مرفأ رسو السفن كان بين الجزيرة واليابسة، كما هي حاله اليوم. وسواء صَحّ الأمر أم لا، فمن المؤكد أن كارانوس Caranus (ص ١٠٤) مرفأ أرواد كانت متصلة اليابسة[1].

ومن هناك انتقلت إلى أرواد (رواد Ruad) المسماة قديما أرادوس Aradus، وهي مجرد جزيرة تغطيها الصخور.

يقول اسطرابون أنها كانت واقعة بين ماراتوس Marathus ومرفأ كارانوس. وهي على مسافة ميلين جنوبي هذا المرفأ، ويُقدّر محيطها بحوالي سبع مراحل[2]. ثمة من يزعم أن بعض الصيدونيين المنفيين من بلادهم بنوا هذه المدينة. وبدأ يحكمها أمراؤهم، ليخضعوا لاحقاً إلى نفس مصير سورية. ولقد تدبر ملوك سورية أمرهم فحصلوا على امتياز حماية من يلجأ إليهم، ما جذب إليهم الكثير من السكان. ولقد ازداد عدد سكان الجزيرة (ص ١٠٥) كثيراً ما اضطرهم إلى بناء منازلهم من عدة طوابق، وإلى التوسع على اليابسة من جبلة حتى أرطوسية[3] Orthosie ونهر إلوتيروس Eleutherus...

---

[1] Strabo, XVI, 753.

[2] Strabo, ibid. Oppida, Simyra, Marathus, contraque Arados, septem stadiorum oppidum, et insula, ducentos passus a continente distans. Plin. Hist. V. 17. - يُخطئ بلين في تقدير المسافة التي يعتبرها ٢٠٠ قدم، بينما يؤكد اسطرابون أنها كانت بعيدة عشرين مرحلة عن اليابسة.

[3] لعل المقصود طرطوس Tortosa، لا أرطوسية Orthosie قرب النهر البارد (المترجم)

الفصل السابع والعشرون: من طرطوس إلى ماراتوس

وغيرها من المواضع التي نصادفها على الطريق إلى طرابلس

(ص ١٠٧) غادرنا طرطوس، ولما وصلنا على مسافة ميل منها إلى الجنوب، بلغنا مجرى نهر جاف. ثمة جسر فوق المجرى بثلاث أو أربع قناطر، وهو على مرحلة غربي الطريق. في جنوبه ربوة أعتقد أنها تضم آثار أبنية ما جعلني أعتقد أنها كانت أنتارادوس (طرطوس) القديمة، مع أنها أبعد من الجزيرة إلى الشمال. ولكن وضع النهر وبجواره مرفأ صغير أقنعني بأنها في هذا الموضع. وعلى بعد منها غربي غابة مقابل طرطوس يوجد بالقرب من الشاطئ تلة صغيرة مبحصة تؤدي إلى وادٍ ضيق بين الصخور، وحيث تمر الطريق هناك قناة صغيرة كانت (ص ١٠٨) جافة؛ تحت التلة نبع يُسمى عين الحية Ein-el-Hye تجري مياهها في قناة مغطاة من الجانبين؛ لعلها إنيدرا Enydra التي وضعها سترابون شمالي ماراتوس، وحيث كان أهل أرواد Aradus يتزودون بالمياه التي يحتاجونها. تحت النبع مطحنة، وجنوب الوادي يوجد فناء محفور في الصخر، مع أريكة في وسط كل جانب منه. الفناء مقفل باستثناء جانب الشمال حيث يوجد مدخلان؛ وتتكون الأريكة من أربعة أحجار بدون القاعدة، ويشكل مسندها واحد من الحجارة الأربعة، وحجر آخر المقعد، والحجران الباقيان يشكلان الجوانب. المقعد مزين بإفريز شبيه بما نراه في مصر العليا. ويبدو أنه كان يوجد في زاويتي الفناء منزل صغير أبوابه منحوتة في الصخر، وهي ما تزال قائمة. ومن المرجح أن الأريكة كانت مخصصة للصنم الذي كان معبوداً في هذا المعبد. وإني لأظن أنه من الصعب العثور على نصب أقدم منه وعلى هذه الدرجة من الروعة. في الجانب الآخر من الوادي (ص ١٠٩) باتجاه الشرق يوجد نوع من الخندق المحفور في الصخر بطول يبلغ حوالي المرحلة، وله سبع درجات من كل جهة لا تبلغ القعر، ويبدو أنها تنتهي لجهة الشرق بشكل نصف دائرة. الصخرة القائمة على الطرف الغربي منحوتة بشكل يوحي أنه كان هناك في ما مضى بعض المنازل في ذلك الموضع؛ وقسم منها يشكل نوعاً من فناء مربع؛ ولقد تم شق طريق للانتقال بين هذا الفناء والمعبد الذي تحدثت عنه. كان هذا الموضع على الأرجح مدرجاً اعتاد سكان أرواد وطرطوس

وماراتوس الاجتماع فيه لإحياء احتفالات الأعياد. ومباشرة جنوبي الفناء أو المعبد تمت تسوية الصخر المشرف عليه وتم حفره في بعض المواضع لجعله نوعاً من الخزانات؛ كما نرى أيضاً العديد من الأسوار المحفورة في الصخر، ومن بينها منزل كامل حُفرت فيه كوات وأبواب ونوافذ، وحائط يقسمه في وسطه. وعلى مسافة ميل إلى الجنوب توجد الأضرحة التي ترك لنا موندريل[١] (ص ١١٠) مخططها. عدنا من هناك إلى الطريق الأساسي الذي يبعد حوالي مرحلة إلى الغرب؛ وبعد أن سرنا ما يعادل نصف ميل عثرت وسط غابة على نصب استحال عليّ الاقتراب منه بسبب كثافة الدغل والعليق المحيط به. وإلى الشرق من هناك صخرة تم تحويلها إلى قاعدة من تسعة أقدام ارتفاعها، ومن حوالي ٢٨ قدماً مساحتها، مع ثقب في واجهتها الشرقية بعلو خمسة أقدام، وحيث نصعد إليه بثلاث أو أربع درجات؛ من المرجح أن تكون قاعدة قبر ما. ومن المعتاد إقامة مثل هذه النصب على المغاور التي يُدفن فيها الموتى. قد يكون الموقع الذي أتحدث عنه مقبرة لأهل أرواد، مع العلم أن هذه المدينة هي جنوبي الجزيرة. ولكن من الممكن أنهم كانوا ينقلون موتاهم إلى اليابسة، كما كان أهل ديلوس Delos ينقلون موتاهم إلى جزيرة مخصصة لهذا الغرض.

دخلنا سهلاً فسيحاً يسميه الفرنجة سهل جونيه، وهو يمتد حتى النهر البارد القريب من طرابلس. (ص ١١١) تحده من الشرق جبال أظنها جبل برجيلوس Bargylus الذي اعتبره بلين[٢] Pline يبدأ مباشرة حيث ينتهي جبل لبنان، مضيفاً أن السهول تفصل بينهما؛ ولاحظت أني أرى من موضعي كل البلاد في شمال لبنان والممتدة حتى بحيرة العاصي قرب حمص Hems، وكذلك تلك الممتدة حتى تدمر. وعندما أصبحت شمالي السهل قيل لي أنها صافيتا، لأن الجبال الكائنة في الشرق لا تسمح للنظر بتجاوز هذه الحدود. ولا حظت عندما دخلت السهل من الشرق، بالقرب من الجبال بناءً ضخماً وإلى الأبعد بعض الآثار على تل، وبقايا برج. قد تكون تلك هي ماراتوس Marathus لأن هذا الموضع على مسافة ٧ أميال من طرطوس، وليست بالأحرى موتاتيو سبيكلين Mutatio-Spiclin التي يجعلها خط سير الرحلة إلى

---

[1] راجع العنوان السابق: هنري موندريل، "رحلة من حلب إلى القدس في عيد الفصح عام ١٦٩٧" (المترجم).

[2] Pline, Hist. nat. V. 17.

القدس Itinéraire de Jerusalem على مسافة ١٢ ميلاً من طرطوس. صادفنا على مسافة فرسخين إلى الجنوب نهراً يُسمى نهر الأبش Nar-Abash، الذي لا يعدو (ص ١١٢) كونه جدولاً صغيراً. وقيل لي أن ثمة جسراً إلى الغرب. وبما أن الجبال هنا أدنى ارتفاعاً من غيرها فلقد اكتشفنا بعدها سلسلة من الجبال تمتد جنوباً حتى لبنان تقريباً. وبعد أن مشينا حوالي الساعة تركنا الطريق الأساسية، ووصلنا في نفس الفترة الزمنية إلى مخيم للعرب يُسمى سيموهيا Simohea، خيمه بمعظمها من القصب.

وصلنا في ٢٠ من الشهر إلى النهر الكبير Nar-Gibere الذي أظنه هو نهر إلوتيروس Eleutherus الذي يشكل الحدود بين فينيقيا وكاسيوتيس دو سلوقيا Cassiotis de Seleucie. ليس من السهل تعيين موضع إلوتيروس الذي يشكل حدود فينيقيا من الشمال، لأن خط سير الرحلة إلى القدس، بعد أن يتحدث عن بانياس، يذكر حدود سورية المجوفة (البقاع) وفينيقيا، قبل أن يقول شيئاً عن ماراكاس Marraccas وطرطوس، ما يسمح بالظن أن إلوتيروس كان شمالي كارانوس Caranus. يضع بطليموس Ptolomée، بالعكس، طرطوس في كازيوتيد فينيقيا Casiotide de Phœnicie، وسيميرا Simyra وأرطوسية Arthosia (ص ١١٣) بين طرطوس وطرابلس، مع تعيين ارتفاعات مغلوطة. ليست أرطوسية في الجداول على غير مسافة ١٢ ميلاً من طرابلس، وهذه هي المسافة التي ينسبها خط سير الرحلة إلى القدس إلى بروتوس Brutus. أما استرابون Strabon الآتي من الشمال إلى الجنوب فإنه وضع إلوتيروس تحت أرطوسية، وخط سير الرحلة جعل فينيقيا تبدأ جنوبي عرقة Arcas. بينما جعل بطليموس أرطوسية وسيميرا (التي هي شمالي أرطوسية) في فينيقيا؛ وبالتالي ليس هناك غير خط سير الرحلة إلى القدس الذي يخالف الثلاثة الآخرين. وعلى العموم، بما أن خط سير الرحلة واسترابون يضعان إلوتيروس جنوبي عرقة وأرطوسية، فإننا نميل إلى اعتباره النهر البارد، لولا أن بطليموس لا يقول العكس. لذلك أعتبر أن النهر الكبير هو إلوتيروس القديم، وهو نهر عميق يصلح لأن يشكل الحدود بين المنطقتين. وبما أن السيد موندريل Maundrel لا يتفق معي حول ما قلته في موضوع النهرين الكائنين بين طرطوس وطرابلس، وجدت لزاماً عليّ الاستعلام بعناية حول اسمهما ووضعهما. وإذا

صرفت النظر عن أخطاء بطليموس بتعيين الارتفاعات، فإني اعتبر أن سيميرا[١] (ص ١١٤) كانت على هذا النهر لجهة الجنوب، بل بالقرب من مصبه، ومن المحتمل أن سيموهيا احتفظت بشيء من اسمها. ويُظن أنها تاكسيميرا Taxymira سترابون التي يضعها قبل أرطوسية وإلوتيروس، لأن طريقته كانت بالمجيء من الشمال إلى الجنوب؛ ولكني أفضل العودة إلى بطليموس. وقد يكون من المرجح أن موتاتيو بازيليكوم الواردة في خط سير الرحلة إلى القدس واقعة على هذا النهر، وفي موضع الطريق. يقع نهر عكار Accar على مسافة فرسخ إلى الجنوب. وهنا يُمكن أن تكون أرطوسية، المدينة الفينيقية الساحلية. علمت أن ثمة اسم يشبهها في سجلات الضرائب العائدة للسلطنة، ولكني لم أتمكن من معرفة موقعها. كانت عرقة Arcas تقع على نهر عرقة Arka، وعلى الأرجح على مسافة نصف فرسخ جنوبي نهر عكار. وكانت مجرد خان، لا عرقة Arca المدينة الفينيقية، الواقعة في الجبال حيث يمر هذا النهر. يجعل خط سير الرحلة فينيقيا تبدأ تحت عرقة[٢] Arcas، أو بين عرقة وطرابلس. نجد على مسافة فرسخين من هناك، في زاوية (ص ١١٥) الخليج جدولاً يمر مجراه في وادٍ مزروع بأشجار التوت. لعل بروتوس Bruttus هناك، أو على النهر البارد الواقع على مسافة فرسخ إلى الشمال، مع أن هذا الكلام لا يطابق أبداً المسافات التي تقدم بها المؤلفون القدماء[٣].

يقع نبع السمك على مسافة ميلين قبل طرابلس. وهو يشكل حوضاً مربعاً كبيراً تنبع فيه كثرة من العيون. وفيه وفرة من السمك المتميز جداً إذ أنه يقترب ليتناول أكله باليد، ولكن صيده محرم.

الفصل الثامن والعشرون: التاريخ الطبيعي، الحكم، تقليد سكان سورية

... ...

(ص ١١٨) الحيوانات المفترسة اليوم (في سورية) أقل مما كانت عليه في الماضي، فلم يعد فيها أسود، والقليل من النمور الموجودة في البلاد تقبع في الجبال.

---

[1] يكتب بوكوك هذا الاسم بطريقتين مختلفتين: Simyra و Symira، (المترجم).

[2] يكتب بوكوك اسم عرقة بثلاث صيغ: Arcas, Arka, Arca؛ فما الحكمة؟ يبدو أنه لم يزرها. كيف ميز بين عرقة المدينة وعرقة الخان؟ وما يتقدم به حول سهل عكار (جون) لا يوحي بأنه زار المنطقة، وتنقل في ربوعها. (المترجم).

[3] يجعل خط سير الرحلة إلى القدس بروتوس على مسافة أربعة فراسخ من عرقة و ٢١ فرسخاً من طرابلس .(من الغريب أن بوكوك يتقدم بأمر يخالف منطق القدماء، ولا يتحقق مما يقول! المترجم).

ولكن تكثر فيها الضباع والثعالب[1] والغزلان[2] والخنازير البرية. يربي السكان فصيلة حسنة من الخيول المنقرضة. وعندهم نوعان من الجمال، جمل الصحراء العربية الواسع الانتشار، ونوع آخر يستخدمه التركمان. هذا الأخير أقوى ولكنه كريه المنظر. رأيت الحباري بين حلب والفرات، وهي طيور ضخمة للغاية. قيل لي أنها تحط (ص ١١٩) في الربيع على الأشجار، وتغرق بالتغريد بحيث يُمكن اصطيادها بلا أدنى عناء. نجد في نواحي حلب نوعاً جميلاً للغاية من طائر الكركي الذي يسميه الأوروبيون الطائر الراقص. كما نجد البجع حول الأنهار والينابيع.

سورية، خصوصاً الشمالية، مسكونة بأقوام متعددة. وهذا البلد الذي استمر بأيدي خلفاء (النبي) محمد لا يعرف لغة غير العربية، باستثناء مناطق شمالي حلب حيث يهيمن التركمان والأكراد، وحيث يتحدثون التركية. الأكراد يتحدثون التركية أيضاً، مع أن لهم لغتهم الخاصة. لا نجد العرب أبداً في هذه النواحي، بل الكرد فقط الذين أتوا من كردستان على بحر قزوين. وهم أسوأ من العرب، ولكنهم جبناء بطبعهم؛ ولهذا لا يهاجمون السواح إلاّ متى شعروا أن لهم الغلبة. وهم أسياد قسم كبير من جبل طوروس... (ص ١٢٠) ينتمي التركمان إلى نفس أرومة العثمانيين، وهم مثلهم أتوا من تركمانستان على بحر قزوين. وهم فرعان بعضهم حضر يعيشون تحت الخيام أو في القرى، يمارسون الزراعة وتربية الحيوان. وخيامهم كروية عادة ومصنوعة من القصب مع غطاء خفيف صيفاً. وفي الشتاء يغطونها بنوع من اللباد للحماية من المطر. ويعملون في حياكة السجاد غير المتقن. التركمان الآخرون، يُسمونهم بغدلية Begdelis، يركبون الخيل ويعيشون تحت الخيام، ولا يتعاطون لا الزراعة ولا تربية الحيوان. وبينهم نوع من التحالف ويعيشون من اللصوصية، وأحياناً يحتشدون بعدد يتجاوز الألف، فيفرضون الخوة على القرى بذريعة حمايتها. وحيث يكون هؤلاء أسياد الموقف (ص ١٢١) فأفضل ما يفعله الرحالة أن يضع نفسه بحماية أحد هؤلاء اللصوص، لأنهم يقيمون بين بعضهم نوعاً من المحالفة؛ وجميعهم يحترمون حق الضيافة. يشكل الرشوانية Rushowans صنف آخر من

---

[1] ثعلب جاكال Jackall الذي يسميه اللاتين Canis aureus، والأتراك Chical، هو نوع من الثعالب التي تكثر أكثر من غيرها في أنحاء يافا وغزة والجليل. أترك لغيري تقدير أي منها هو من نوع سامفون Samfon.

[2] ثمة نوعان من الغزلان: منها نوع يعيش في الجبال، والآخر في السهول. الأول أضخم وأكثر وحشية وأسرع في الجري من الغزال العادي، ولا يمكن اصطياده دون الاستعانة بالصقر. يسميه اللاتين: capracervicapra.

التركمان الذين ينتقلون شتاءً مع حيواناتهم من أرضروم عند منابع الفرات ويخيمون جنوبي دمشق، ويعودون صيفاً مع قافة حلب. ولقد سافرت مع بعضهم، فبدوا لي قوماً من الشرفاء. يعيش الشنغاني Chingani المنتشرون في كل مكان، خصوصاً شمالي حلب، والذن يبدون مسلمين، تحت الخيام، وفي مغاور تحت الأرض أحياناً. يشتغلون بحياكة السجاد المخصص لتغطية السرج، ويتاجرون بالحيوانات عندما يكونون بجوار المدن... (ص ١٢٢) ثمة فِرَق متعددة بين المسلمين، منهم من سأتحدث عنهم الآن. النصيرية Noceres الذين يقيمون خصوصاً شمالي اللاذقية، يبدو دينهم ...[1] يحتقرهم الأتراك كثيراً، ما جعلهم يفضلون العيش مع المسيحيين... ربما أنهم يتحدرون من قوم نازِريني Nazerini الذي ذكره بلين[2] Pline، وقال أن نهر مرسياس Marsyas يفصلهم عن إقليم أفاميا. أما قوم جاسادس Jasades فكل ما يمكننا (ص ١٢٣) قوله أنه يبدو أنهم يعبدون الشيطان، ويرون أن أكبر تحد يوجه إليهم عندما يتم الحديث عن الشيطان باحتقار؛ ويبدون الكثير من الصداقة تجاه الإفرنجي الذي إذا شاء بلوغ مراده مدح الشيطان. وهم يقيمون في مناطق في شمالي سورية...

مسيحيو سورية هم من الروم على العموم ويرتبطون ببطريرك أنطاكية المقيم في دمشق. كنيستهم في حال بائسة ناجمة عن سوء سلوكهم. وبما ان كهنتهم يمارسون التجارة، ويحبون الرفاهية فهم يبلصون الرعية قدر استطاعتهم، كما أن الأغنياء من جهتهم يستغلون الفقراء؛ باختصار يمتازون بكل عيوب الأتراك، وهم قليلو التمسك بإيمانهم فيزعمون أنهم مسلمون للخلاص من القرع بالعصا، او للانتقام من خصومهم. الموارنة المقيمون في جبل لبنان وفي المرافئ محترمون على العموم. ثمة بعض الأرمن جنوبي حلب؛ ولكن كل مسيحيي شمالي سورية هم من هذه الجماعة. جميعهم تقريباً يمارسون التجارة. وهم شجعان ومثابرون ومحنكون وفي غاية التهذيب؛ ولكنهم يشتركون في عيب مع الشرقيين هو الكذب والبخل. بين المسيحيين بعض السريان أو اليعاقبة، غالبيتهم يتركون قراهم في الصيف ويعيشون تحت الخيام...

---

[1] يطرح بوركارد أوصافاً قاسية ومن غير اللائق ترجمتها (المترجم).

[2] Pline, Hist. nat., v 23.

٤ - يوميات رحلة من حلب إلى دمشق[١]
عبر وادي العاصي وجبل لبنان، شباط وآذار ١٨١٢

المقدمة

جون لويس بوركار John Lewis Burckhardt (١٧٨٤-١٨١٧) مستشرق سويسري، تعلم العربية واقام في حلب سنتين لتعميق لغته العربية وللتكيف مع حياة المسلمين. ويُقال أنه اعتنق الدين الإسلامي. مات بوركارد في ريعان شبابه وكان عالماً مستشرقاً واعداً. ومن أبرز خصوصيات تراثه أنه وضع أسماء المواضع باللغة العربية، وإن يكن البعض منها كتابته غير دقيقة[٢]. لم يذكر الكثير عن عكار، وإن كان عمله الذي غطى الكثير من مناطق لبنان وسورية على كثير من التفصيل. ولكن القليل الذي وضعه عن مروره في عكار على قدر من الأهمية.

ترجمة النص

(ص ١٠٣) ١٤، شباط: تركت حلب ظهراً، وبعد نصف ساعة بلغت قرية الشيخ أنصاري Sheikh Anszary البائسة حيث ودعت الصديقين المحترمين: القنصل الإنكليزي السيد باركر Barker والقنصل الهولندي السيد فان ماسيك Van Masseyk. مررت بحوضين كبيرين معروفين باسم جب محاود Djob Mehawad وجب مبلط Djob Emballat؛ وبلغت بعد ساعتين ونصف الخان المعروف باسم

---

[1] المرجع: Journal of a Tour from Aleppo to Damascus, through the Valley of the Orontes and Mount Libanus, in February and march, 1812. وهذا النص مأخوذ من: John Lewis Burckhardt: Travels in Syria and the Holy Land, eBooks@Adelaide, 2004، ومنه اعتمدنا كتابته لأسماء المواضع، ولقد صححنا البعض منها، ووضعنا كتابته الأصلية بين هلالين. أما ترقيم الصفحات فهو مأخوذ عن الكتاب المطبوع الخالي من كتابة الأسماء بالعربية: **John Lewis Burckhardt**, Travels In Syria and the Holy Land, Published by the association for promoting the discovery of the interior parts of Africa, 1822.

[2] مؤلفاته: Travels in Nubia, African Association, Londres, 1819.
Travels in Arabia, African Association, Londres, 1829.
Arabic Proverbs, or the Manners and Customs of the Mod. Egyptians, Afr. Ass., Londres, 1830.
Notes on the Bedouins and Wahabys, Afr. Ass., Londres, 1831.

تومان Touman بالقرب من بلدة بنفس الاسم قائمة على نهر كويك (قويق) (ص ١٠٤) أو نهر حلب. كان الخان بحالة سيئة فالباشا لا يهتم بترميم المنشآت العامة.
١٥، شباط: بعد مسير ١٠ ساعات ونصف بلغت سرمين Sermein... ١٦، شباط: بعد ساعتين ونصف من سرمين وصلنا بلدة أدلب التي تبدو رائعة المنظر لمن يقترب منها وهي واقعة على سفح جبل يقسمها قسمين، ما دفع رفيقي، مسافر إنكليزي، إلى مقارنتها بأثينا وجوارها... أحصيت منازلها فقارب عددها ألفاً. معظم سكانها من الأتراك، ولا يقطنها غير ٢٤ عائلة من المسيحيين الروم الأرثوذكس، وثلاثة من الأرمن الأرثوذكس، وعندهم كنيسة وثلاثة كهنة، وهم يتبعون مباشرة لبطريرك دمشق الأرثوذكسي. تعتبر تجارة الصابون أهم تجارات ادلب، وفيها بعض مصانع القطن، وبعض المصابغ. أسواق البازار فيها حسنة البناء، وبعضها من الحجر. وفي المدينة عدد من الخانات، اثنان منها لاستقبال الغرباء. (ص ١٠٥) بيد أن أفضل بناء فيها هو بناء كبير مخصص لصناعة الصابون، المصبنة El Meszbane... مدينة جسر شغر، على مسافة ست ساعات من أدلب على الطريق إلى اللاذقية...
(ص ١٠٦)... ١٧، شباط: غادرنا ادلب بعيد الظهر، على طريق عبر حقول الزيتون الخصبة. بلغنا بعد مسير ساعة مقبرة الشيخ حسن؛ وبعد ساعة وربع بلغنا "تل ستمك" Tél Stommak (ربما السماق) مع بلدة ستمك على منحدره الغربي... بعد ساعتين وأربعين دقيقة بلغنا ريحا التي لم نغامر بدخولها خشية من عصيان سيد آغا Seyd Aga المتمرد فيها...
(ص ١٠٧) بعد حوالي ساعتين جنوبي شرقي ريحا تقع قرية مرصاف Marszaf، وعلى مسافة ساعة إلى الجنوب منها تقع خراب بنين Benin. صعدنا الجبل انطلاقاً من ريحا، ودرنا حول زاويته الشرقية لنصل في مدى ساعة إلى قرية كفرلاتة Kefr Lata حيث تم الترحيب بنا في منزل شيخها الذي لم يكن يوجد فيه غير النساء... كانت كفرلاتة بتصرف ابن صياف Ibn Szeyaf من أبرز عائلات حلب...
١٨، شباط (ص ١٠٩): غادرنا القرية في منتصف النهار واتجهنا شمالاً حتى جبل الأربعين... ومنه تابعنا سيرنا باتجاه الجنوب والجنوب الغربي، على منحدر جبل ريحا. بعد نصف ساعة مررنا بنبع غزير اسمه المنبوع El Monboaa. على يميننا

في السهل بدت لنا قرية كفر زبو، وبعد نصف ساعة إلى الغرب منها توجد قرية باسم عريم (أورم Ourim)؛ ولقد صادفنا على الطريق الكثير من المدافن. بعد ساعة وعشر دقائق بلغنا نحلة Nahle، بعد ساعتين وأربعين دقيقة قرية مغارة Meghara وفيها الكثير من الأبنية القديمة الداثرة. وصلنا بثلاث ساعات قرية مرعيان Merayan، بثلاث ساعات وعشرين دقيقة وصلنا قرية أحسين Ahsin، وبعد نصف ساعة إلى الغرب منها تقع قرية إبليم Eblim. المحصول الأساسي لكل هذه القرى هو العنب الذي يُباع في سوق حلب تقريباً بسعر ٩ شلنات shillings للكنتال في الأيام العادية، أو يُصنع منه الدبس الذي حل مكان السكر في كل الشرق. بعد أربع ساعات ونصف وصلنا إلى قرية البارة (البارا El Bara) حيث أنهينا سيرنا لهذا اليوم، ولقينا ترحاباً فاتراً مع أني حرصت على حمل رسالة توصية إلى شيخ القرية من جانب سيده طالب أفندي من أرقى عائلة حلبية: شلبي أفندي طه زادة Tcheleby Effendi Toha Zade...

٢٠ شباط (ص ١١٢): غادرنا البارة غير المضيافة ظهراً، برفقة رجلين مسلحين لحمايتنا في وادي العاصي. اجتزنا بعد نصف ساعة جسراً من الحجر في وادٍ ضيق، وهو يستند إلى أعمدة من كتل صخرية كبيرة. بعد ساعة وعشرين دقيقة وصلنا إلى كون صفرا Kon Szafra في وادٍ خصب في أعلى الجبل حيث تعيش بضع عائلات في أكواخ بائسة وسط خرائب مدينة قديمة. بعد ثلاثة أرباع الساعة تقريباً إلى الشمال الغربي تقع قرية مزرعة Mezraa. بعد ساعة وأربعين دقيقة وصلنا إلى مدينة جرادة Djerada الداثرة، وبعد ساعتين ونصف قرية صغيرة هي كفر عويط Kefr Aweyt، وكفر بِلُغَة العامة تعني خرائب. اتجهنا إلى الجنوب الغربي والجنوب حيث بلغنا بعد ساعة ونصف من كفر عويط قرية فطيري Feteyry. (بعد مسير ثلاث ساعات مررنا بمنطقة غنية بنبات سيريس Siris الذي يصنع منه نوع من الغراء).

إن قسم جبل ريحا الذي يمتد من كون صفرا إلى وادي العاصي يتجه من جهة نحو قلعة المضيق Kalaat el Medyk ومن الأخرى نحوى جسر الشغر Djissr Shogher، ويُسمى جبل شحسابو Djebel Shaehsabou. أما بقية الجبل المتجهة نحو ريحا فتحمل علاوة على اسم جبل ريحا اسم جبل الزاوية (زاوي Djebel Zaouy).

بعد أربع ساعات وربع بلغنا السهل بالقرب من تلة منعزلة يبدو أنها اصطناعية وتعرف باسم تل عنقية Tel Aankye.

(ص ١١٣) يُسمى الوادي المحصور بين جبل شحسابو وجبل النصيرية الغاب El Ghab. ويرويها العاصي Aaszy أو أورونطس Orontes... وسكانه خلاسيون من البدو والفلاحين يُسمون عرب الغاب Arab el Ghab...

تركنا عنقية باتجاه اليسار متابعين السير جنوباً في الوادي، فمررنا بالقرب من عين العنقية وعين الخربة وعين الحواش، وبعد أربع ساعات وثلاثة أرباع الساعة من البارة وصلنا إلى قرية الحواش، حيث نزلنا في بيت شيخها (ص ١١٤) محمد العمر Mohammed el Omar...

٢١، شباط: غادرنا الحواش في الصباح الباكر وسرنا بمحازاة الجبال الشرقية في هذا الوادي الجميل الذي يمكنني مقارنته بوادي البقاع بين سلسلتي جبال لبنان؛ بيد ان وادي الغاب يمتاز عن وادي البقاع بكونه يُروى بنهر كبير وبالعديد من الجداول، بينما لا يعرف الثاني صيفاً غير القليل من المياه، هذا إن لم تجف. بعد نصف ساعة من الحواش صادفنا الكثير من قواعد (ص ١١٥) الأعمدة على جانب طريق قديمة مبلطة. تابعنا هذه الطريق لأكثر من ساعة... ولقد افترضت أنها طريق رومانية والأعمدة هي نصب المسافات عليها، ولعلها على الأرجح امتدت على طول الوادي من أفاميا إلى جسر الشغر. بعد ساعة ونصف من الحواش نصل إلى عين حويت Ayn Houyeth الغزيرة. وهنا عرض الطريق الرومانية حوالي ١٦ قدماً. وعلى اليمين في السهل تقع قرية حويت، وبقربها قرية عين اقتل Ain Uktol. بعد ساعتين وربع نصل إلى عين الطقة Ayn el Taka...

(ص ١١٦) بعد ساعة من عين الطقة... وصلنا إلى سفح تلة عليها قلعة المضيق Kalaat el Medyk... (ص ١١٧) تبعاً لرغبتنا بمتابعة السير في وادي العاصي، اتجهنا إلى الجنوب الغربي على طول السهل، بدل اعتماد الطريق إلى حماة. بعد نصف ساعة من قلعة المضيق تقع عين جوفر Ayn Djoufar التي يخرج منها جدول يسيل في وادي جوفر... فوق هذه التلال باتجاه وادي جوفر، تقع قرى كفر امبودا Keframbouda قرناص (كورناص Kournas) شيخ حديد Sheikh Hadid جورنية Djournye، بعد قليل من عين جوفر مررنا في عين أبو عطوف Ayn

Abou Attouf... بعد مسير لمدة ساعتين... اتجهنا يساراً... ووصلنا إلى قرية سقيلبية Sekeylebye... (ص ١١٨) على مسافة ساعتين جنوبي سقيلبية يقع تل عشيرنة، وبعد نصف ساعة منها تل شهرية Tel el Shehryh. وفي الوادي على مسافة ساعة ونصف جنوبي غربي سقيلبية تقع قرية الحوارة El Haourat...

(ص ١١٩) ٢٢، شباط: انطلقنا في الصباح الباكر باتجاه حماة، بعد مسير ساعة ونصف في السهل وصلنا إلى تل صبة Tel Szabba، مرتفع معزول في السهل، وعلى نصف ساعة منه تمتد بحيرة ترمسي (بحيرة تريمسي Behirat Terimsy) أو الترمسي El Terimsy فقط، تمتد البحيرة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي بطول من ٥ إلى ٦ أميال وبعرض من ميلين إلى ثلاثة.

(ص ١٢٠) بعد ساعتين ونصف من سقيلبية، صادفنا على يسار الطريق دواثر جامع الجلام El Djelame، ساعتين ونصف تل الملاح Tel el Mellah على مرتفع وسط السهل. استمر سيرنا وسط حقول خصبة غير مزروعة. شرقي تل الملاح على مسير ساعتين هناك تل الصياد Tel Szeyad. بلغنا نهر العاصي بعد مسير ثلاث ساعات ونصف، بالقرب من ناعورة للمياه... بعد أربع ساعات وصلنا إلى جسر على النهر، تقع قلعة سيزر Seidjar على جانبه الثاني. يقوم الجسر، حسبما أذكر، على ثلاث عشرة قنطرة... جنوبي شرقي القلعة، على الضفة اليسرى للنهر يوجد قبر الشيخ أبي عبيدة الجراح (أبا عبيدا الجراح Aba Aabeyda el Djerrah)، وعلى الضفة المقابلة يقوم المصلى التركي، الخضر El Khudher. يقع على الجسر تماماً خان قديم البناء، لعله يعود إلى أيام الصليبيين، ويسكنه اليوم بضع مئات من الفلاحين... ولعله كما يبدو من الآثار الكثيرة العائدة إلى الهندسة اليونانية أنه كانت هنا مدينة يونانية قديمة.

(ص ١٢١) اجتزنا التلال جنوبي سيجر ودخلنا سهل حماة. اتجهنا نحو الجنوب الشرقي... عبرنا بعد ساعة وثلاثة أرباع الساعة (من سيجر) جسراً صغيراً على جدول يرفد نهر العاصي، هو نهر السروج El Saroudj... بعد ساعتين شاهدنا على يسارنا (ص ١٢٢) على مسافة نصف ساعة تقريباً قرية هجم Hedjam على الضفة اليمنى للنهر، وبعد ساعتين وثلاثة أرباع الساعة قرية صغيرة الشيحي El Shyhy، وبعد ثلاث ساعات تجاوزنا قرية الجاجية El Djadjye الواقعة على مسافة ربع

ساعة على يسار الطريق، وبالقرب منها قرية القسا El Kasa. بعد أربع ساعات وصلنا إلى حماة، حيث نزلنا في منزل سليم قبلان Selym Keblan أحد مساعدي المتسلم...

تقع حماة على صفتي العاصي، وقسم منها مبني على منحدر تلة، والقسم الآخر في السهل. أحياء السهل اسمها: الحاضر Hadher والجسر El Djissr، أما الأحياء المرتفعة فهي العليات El Aleyat والمدينة El Medine. يقيم المسيحيون في حي المدينة. تمتد مدينة حماة على مساحة شاسعة، ويبلغ سكانها ثلاثين ألف نسمة على الأقل، منهم عائلات أرثوذكسية تبلغ ثلاثمئة على حد معلومات الأسقف... ثمة أربعة جسور على العاصي داخل المدينة. تتغذى المنطقة العليا من المدينة بالمياه بواسطة النواعير... منها حوالي ١٢ ناعورة، أكبرها باسم ناعورة المحمدية Naoura el Mohammedye، قطرها حوالي ٧٠ قدماً...

(ص ١٢٤) ٢٧، شباط: بقينا خمسة أيام في ضيافة سليم... المسافة بين حماة وطرابلس، على الطريق المباشرة تبلغ أربعة أيام، أو ثلاثة أيام بمعدل ١٣ ساعة يومياً بين حماة والحصن، ولكننا كنا نود زيارة قلعة مصياد، مقر الإسماعيلية، الواردة على معظم خرائط سورية، والتي نادراً ما زارها الرحالة. غادرنا في منتصف النهار تقريباً باتجاه الجنوب الغربي لنصل إلى القرية المسيحية كفر بهون Kefrbehoun بساعة ونصف، وبلغنا بعد ساعتين تل أفيون Tel Afyoun... بعد خمس ساعات ونصف بلغنا قرية بيصين Byszyn التي يسكنها النصرية، وحيث بتنا ليلتنا...

٢٨، شباط: على مسافة ساعة ونصف من بيصين تقع قرية شيغاتة Shyghata... بعد ساعتين ونصف بلغنا جسراً مدمراً على مجرى ماء شتوي هو السروج El Saroudj...

(ص ١٢٥) اتجهنا انطلاقاً من الجسر باتجاه الشمال والشمال الغربي لنصل بعد ساعة وثلاثة أرباع الساعة، اجتزنا خلالها عدة مجاري مائية، قلعة مصياد Maszyad أو كما يرد اسمها في كتب الميري Miri مصياف Meszyaf...

(ص ١٢٨) الحرير هو الإنتاج الأساسي لمنطقة مصياد، ولهذا تكثر فيها زراعة التوت المروية بالعديد من الجداول التي تهبط من كافة جوانب الجبل...

تبدو من القلعة (مصياد) آثار دير صُليب Deir Szoleib إلى الغرب على مسافة ساعتين ونصف. قيل لي أن فيها أبنية ضخمة مبنية بحجارة ضخمة وعليها نقوش وثنية، بيد أن سكان المنطقة يعجزون عن تمييز اللغات المجهولة وسط الحروف المزخرفة، كما أن الرحالة خدعهم كبر الحروف فاعتبروها مجرد زخارف هندسية.
٢٩، شباط: توجهنا نحو طرابلس، بعد أن فقدنا الأمل بالعثور على أمر مميز في قلعة مصياد. وبدأنا نخشى أن يؤدي هطول المطر المتواصل إلى فيضان المجاري المائية وبالتالي العجز عن اجتيازها. أرسل الأمير معنا أحد رجاله ليرشدنا ويحمينا في مناطقه. وبعد مسير لمدة ساعة ونصف... وصلنا إلى قرية سويدا Soeida بالقرب من مزار الشيخ محمد Mezar Sheikh Mohammed، وسط حقول التوت. على مسافة نصف ساعة إلى الشرق منها ثمة قرية داثرة هي خربة معينية Kherbet Maynye، وفي الجبل فوقها آثار قلعة الرصافة Reszafa وقلعة القاهر Kalaat El Kaher. ثمة الكثير من القلاع الداثرة في هذه المنطقة، ويبدو أنها جميعها تعود ببنائها إلى حوالي القرن الثاني عشر. على مسافة ساعتين ونصف هناك بياضين Beyadhein قرية يسكنها التركمان؛ وشرقيها بنصف ساعة تقريباً ثمة تل في السهل عليه بناء مقبب يُسمى قبة العدرا Kubbet el Aadera أو العذراء مريم... وعلى قمة جبل جنوبي القرية على مسافة ساعة توجد دواثر قلعة بعرين (بارين Barein). بعد ساعتين ونصف قرية كرتمان Kortouman المأهولة بالتركمان... (ص ١٢٩)... أمضينا ليلتنا في قرية شينين Shennyn النصيرية...
(ص ١٣٠) ١، آذار: انفرج الطقس قليلاً، فانطلقنا لنبلغ في ساعة ونصف قمة الجبل، حيث تمتعنا بمنظر جميل على كامل السهل إلى الشرق، وإلى الغرب والجنوب نحو الحصن ولبنان. ومن هناك تبدو حماة إلى الشرق والشمال الشرقي، وقلعة مصياد إلى الشمال. أما قلعة الحصن castle of Hossn فهي إلى الجنوب والجنوب الغربي. وهذا القسم من الجبل يُسمى مرج الدلب (مرج الضلب Merdj el Dolb) أو ضهرة حزور (ظهرة حاذور Dhaheret Hadsour). ثمة مراع ممتازة على التلة؛ إلى اليسار على مسافة نصف ساعة النقطة المرتفعة اسمها ضهرة (ظهرة) قصير Dhaheret Koszeir، حيث توجد قلعة مدمرة، ويبدو أن المكان هو أعلى منطقة في الجبل. القمة على الطرف الغربي معروفة باسم نير عين قدريح

(كيدريح) Near Ayn Kydrih. بعد ساعتين وصلنا إلى قرية حزور Hadsour، حيث مزار الشيخ ناصر... هبطنا إلى وادي رويد Rowyd الرائع (الرومنسي)، سهل مليء بالتوت وبغيره من الأشجار المثمرة، وفيه جدول يجري في عمقه. بعد ساعتين وثلاثة أرباع الساعة وصلنا إلى قرية دويرلين Doueyrellin، على الجانب الشرقي من الوادي؛ وعلى الجانب الغربي، في موقع أكثر ارتفاعاً هناك قرية الكيمة El Keyme. بعد ساعة إلى الجنوب وعلى نفس الجهة قرية الدغلة El Daghle. قطعنا الوادي وتابعنا على طول جانبه اليمين، على سفح الجبل، حيث الحقول المزروعة بالخضار، وذلك قبل أن نصل إلى سفح الجبل الذي تقوم عليه قلعة الحصن Kalaat el Hossn. كانت خيولنا منهكة فأرسلناها إلى دير مار جرجس Deir Djordjos، حيث قصدنا قضاء الليل، واقتربنا من القلعة البعيدة ست ساعات ونصف عن شينين Shennyn.

القلعة مبنية على رأس قمة معزولة تتصل من جهتها الغربية فقط بسلسلة الجبال التي اجتزناها. وتقع مدينة الحصن تحت أسوار القلعة لجهة الشرق، (ص ١٣١) وهي من حوالي ١٥٠ منزلاً. القلعة من أفضل أبنية العصور الوسطى التي رأيتها. من الواضح أنها أوروبية الطراز، والأسود المنحوتة على الأبواب تعود إلى شعارات النبالة التي اعتمدها كونتات تولوز المذكورين دوماً في تاريخ الحروب الصليبية. يحيط بالقلعة خندق عميق خارج الأسوار التي تقوم عليها التحصينات والأبراج. جسم القلعة بالذات مبني بشكل متناسق ومزين في العديد من مواضعه بقناطر قوطية عالية... تبلغ القلعة من الداخل ٦٠ خطوة عرضاً و١٢٠ طولاً، تحميها التحصينات. فيها سلم عريض في ممر تحت قنطرة عالية يؤدي إلى باب القلعة ويسمح بمرور الخيالة. لفت نظرنا في داخلها صالة كبيرة من أفضل نماذج الهندسة القوطية، بقناطر متقاطعة في السقف. وفي وسط الدار لاحظنا وجود رصيف دائري من الحجارة يرتفع قدماً ونصف عن الأرض، وهو بقطر ١٨ خطوة، لم نجد تفسيراً لاستخدامه، ويسمونه اليوم السفرة El Sofra أو الطاولة. ثمة الكثير من المنازل الصغيرة في القلعة وعدة غرف قوطية معظمها ما يزال محفوظاً بحالة كاملة. وخارج القلعة قناة ماء قائمة حتى الآن، تغذيها قنوات تأتي بالماء من الجبال، لتصب في الخندق الذي يشكل خزان المياه لحامية القلعة ويزيد في منعتها.

ونرى على الجدران الخارجية الأسود المنحوتة في مواضع متفرقة، ونرى كذلك نقوشاً عربية عالية جداً بحيث تعذرت علينا قراءتها. وفي مواضع أخرى وجدنا نقوشاً ضاع نصفها، ميزنا فيها اسم المالك الظاهر El Melek el Dhaher. لم أرَ فيها أي نقش يوناني أو أي أثر للهندسة اليونانية...

لو كتب على سورية أن تصبح من جديد مسرحاً لحرب أوروبية فلا بد أن هذه القلعة ستكون موقعاً هاماً؛ ففي جوارها ينتهي لبنان وتبدأ جبال سورية الشمالية. وهي تتحكم بالتالي بالمواصلات بين السهول الشرقية (ص ١٣٢) والساحل. الحصن عاصمة مقاطعة تابعة لسلطة حماة. والميري تلتزمه من باشا حماة عائلة الديب (أو دياب) El-Deib الأرثوذكسية، أكثر عائلة منظورة هنا. وتقيم في القلعة حامية من بضعة رجال بإمرة آغا.

بعد أن تفحصنا الحصن هبطنا إلى دير ما جرجس الكائن على مسافة ساعة ونصف إلى الشمال الغربي، حيث قضينا الليل. تحيط بالدير في الوادي أشجار الكستناء البري، وأظن أنه لا مثيل لها في كل سورية، ولهذا يسميه العرب باسم "أبو فروة"، أي من له فروة.

٢، آذار: دير مار جرجس الأرثوذكسي مشهور في كل سورية بالعجائب التي أحدثها. يقيم فيه رئيس الدير وثلاثة رهبان يعيشون حياة رغد. وبما أن دخل الدير وفير جداً، فجميع العابرين في تلك المناطق على طريق حمص طرابلس يأكلون فيه مجاناً. والطعام عادة هو البرغل والخبز والزيتون؛ كما يُقدم للمسيحيين الخمر الفاخر. للدير كروم كثيرة وحقول الزيتون في محيطه، وهو يجمع الصدقات من جميع أنحاء سورية والأناضول. كما أنه معفي من الضريبة بفرمان من الباشا. ولكن يوسف باشا والي دمشق فرض على الدير غرامة أربعين ألف قرش لأنهم بنوا خاناً على الطريق بدون اذنه. ينتخب الرهبان رئيس الدير لمدى الحياة وهو يرتبط مباشرة ببطريرك دمشق. يتدفق النبع المجاور للدير على مراحل، من يومين أو ثلاثة. وأخبرني رئيس الدير أن هذا الدير بني مع بناء قلعة الحصن.

تركنا مار جرجس في ظل مطر عاصف وهبطنا الوادي لنصل بعد ساعتين إلى السهل بالقرب من نبع الخليفة Neba el Khalife الذي تحيطه بعض الجدران القديمة. فانفتح أمامنا سهل فسيح يجاور البحر إلى الغرب، ولكننا لا نستطيع تبينه

بعد؛ وينفتح إلى الشمال على جبال طرطوس، وإلى الشرق جبال النصيرية وإلى الجنوب جبل الشعرة (شارة Djebel Shara) الذي يشكل امتداداً لجبل لبنان وجبل عكار. إلى اليمين، وبعد ثلاث ساعات رأينا قلعة صافيتا Szaffytta، عاصمة النصيرية حيث يقيم زعيمهم الفقر El-Fakker. تقوم القلعة (ص ١٣٣) على منحدر جبال النصيرية وبقربه برج قديم يُسمى برج مار مخايل Berdj Mar Mykhael. بعد سبع ساعات من صافيتا نحو قلعة مصياد هناك دوائر معبد يُسمى الآن حصن سليمان Hossn Soleiman؛ وهو يستحق، على ضوء تقرير أحد الرحالة، زيارة كما هي الحال مع كل جبال صافيتا وأرض النصيرية، حيث تقوم قلاع المرقب Merkab والخوابي Khowabe وقدموس Kadmous والعليقة El Aleyka والكهف El Kohf وبرج تقله Berdj Tokhle ويحمور Yahmour وبرج ميعار Berdj Miar وعريمة Areyme والكثير غيرها. وتستلزم زيارتها عشرة أيام.

تابعنا السير على سفوح التلال المكونة لجبل الشعرة والتي يقطنها التركمان والأكراد. واجتزنا عدة جداول واعترضتنا صعوبة اجتياز الأرض المغراقة. وبعد مسير خمس ساعات ونصف وصلنا إلى جدول فاضت مياهه بأمطار ليلة الأمس واليوم، فلم نغامر بعبوره. والتقينا بالكثير من الفلاحين الراغبين باجتيازه مثلنا ولكنهم لم يتمكنوا من دفع بغالهم فيه. وبعدما توقف المطر انتظرنا انخفاض المياه الذي يجب أن يحصل بسرعة كما هي العادة، ولكن هطول المطر عاد مجدداً على الجبال، وبالتالي أصبحت المياه أكثر ارتفاعاً. وكان علينا والحال هذه الاختيار بين العودة إلى الدير أو النوم بجوار النهر في الخلاء، فضّلنا الخيار الثاني، وأمضينا ليلة متعبة على الأرض الرطبة. ومع الصباح أصبحت المياه منخفضة فعبرنا النهر بدون أي حادث.

في عكار[1]

٣، آذار: على الجانب الآخر صادفنا جدولاً آخر أوسع من الأول ويعود لنفس المجرى؛ وبعد ساعة وربع بلغنا النهر الكبير Nahr el Kebir (إلوتيروس القديم the ancient Eleutherus) بالقرب من جسر مدمر. وهو في مثل هذه الأيام من السنة

---

[1] العنوان من وضعنا (المترجم).

يشكل حامولة خطرة بفعل سرعته. ولقد علمنا أن قوافل حماة تخيم على جنباته لأسابيع دون أن تتمكن من عبوره. وعلى الجانب الآخر منه هناك خان عياش، مع قبر الشيخ عياش Sheikh Ayash، وهو عادة محطة اليوم الثالث على طريق القوافل بين حماة وطرابلس. بعد أن اجتزنا النهر تابعنا السير عند آخر امتدادات جبل عكار الشمالية باتجاه جنوب غرب بحيث أصبح السهل بكامله على يميننا. بعد ساعة وربع من الخان، مررنا بعد نصف ساعة إلى الجنوب بتلة معزولة في السهل (ص ١٣٤) فيها بعض الأبنية المدمرة تسمى قلع Kella (لعله يقصد القليعات)، وإلى الشرق منها بنصف ساعة تلة صغيرة أخرى هي تل عروس Tel Aarous (تل العروس)، وبنفس المسافة إلى الجنوب الشرقي قرية حيصا Haytha.

بعد ساعتين وربع من خان عياش اجتزنا جدول الخريبة Khereybe، الهابط من وادٍ بنفس الاسم؛ وعلى يسارنا، على مسافة ربع ساعة من الطريق قلعة وقرية الخريبة. بعد ساعتين وثلاثة أرباع الساعة، قرية حلبا Halbe على منحدر الجبل. بعد ثلاث ساعات ونصف، جامع قديم على الجبل فوق الطريق، وقرية باسم الجامع El Djamaa (the mosque). بالقرب من هناك، وعند نقطة التقاء الجبال في الشمال ثمة تلة اسمها تل عرقة Tel Arka الذي يبدو، تبعاً لشكله المخروطي بجوانبه الملساء، اصطناعياً. قيل لي أن على قمته توجد آثار أبنية وأسوار. وعلى مرتفع لجهته الشرقية وجوانبه الجنوبية التي تطل على منظر بديع على السهل والبحر وجبال النصيرية توجد أكوام من القمامة وبقايا المساكن القديمة وقطع الحجر المنحوت وبقايا الأسوار وقطع أعمدة الغرانيت؛ من الأعمدة أحصيت ثمانية، ستة منها رمادية اللون، والاثنان الباقيان من الغرانيت الأحمر الممتاز. هنا إذن يجب أن تكون مدينة عرقة Arca القديمة حيث وُلد اسكندر سفيروس Alexander Severus: كانت القلعة على الأرجح على التلة، حيث من الممكن أن يكون هناك معبد على القمة. إلى الجهة الغربية من التلة يتجه وادي عرقة[1] مع جدول بنفس الاسم اجتزناه على جسر بالقرب من مطحنة. من هناك تابعنا سيرنا باتجاه الغرب والجنوب الغربي. من بقعة مرتفعة نرى على بعد أربع ساعات ونصف باتجاه الشمال

---

[1] في النص وادي عكا Wady Akka، ولا بد في ذلك خطأ مطبعي (المترجم).

والشمال الشرقي قرية الشيخ عياش، بعد خمس ساعات وصلنا ساحل البحر. يشكل البحر هنا خليجاً يمتد من طرطوس حتى طرابلس.

عدنا الآن على طول ساحل البحر والجبال على يسارنا، اجتزنا عدة مخيمات للتركمان. بعد خمس ساعات ونصف، وعلى مسافة قريبة إلى اليسار هناك برج قديم على سفح الجبل يُدعى أبو حنين[١] Abou Hannein (بحنين؟). خمس ساعات وثلاثة أرباع الساعة خان البارد Khan el Bered وجسر على نهر البارد. بعد ست ساعات ونصف قرية المنية Menny، إلى اليسار وعند قاعدة الجبل تسير الطريق في سهل منبسط بين الجبل المدعو تربل Torboul والبحر، هذا القسم القريب من البحر هو المزروع فقط. وصلنا بتسع ساعات إلى طرابلس، فقصدنا منزل الوكيل الإنكليزي السيد كاتزيفليس Catziflis.

(ص ١٣٥) تقوم هذه المدينة التي يدعوها العرب طرابلس Tarabolos، واليونان والطليان تريبولي Tripoli، على سفح التلال المنخفضة من لبنان، ويقسمها نهر قاديشا[٢] إلى قسمين، الجنوبي هو الأكبر. على قمة تلة القسم الشمالي يوجد قبر الشيخ أبو ناصر Sheikh Abou Naszer، وفي التلة على الجهة المقابلة في القسم الجنوبي، تقوم القلعة المشهورة والمبنية في أيام الصليبيين، ولقد رمم بربر آغا هذه القلعة التي كانت مهدمة على الدوام. إن الكثير من مواضع طرابلس يحمل بصمات المرحلة الصليبية؛ من بينها القناطر العالية ذات الهندسة القوطية وتحتها الطرق المفتوحة. وعلى العموم فالمدينة حسنة البناء تزينها البساتين التي لا يقتصر وجودها حول المنازل، بل يمتد على كامل السهل المثلث المحصور بين المدينة والبحر. تقع طرابلس في أفضل مواضع سورية، لكونها تمتاز بالسهل الساحلي والجبال المجاورة ما ينعم على سكانها بتنوع مناخي على مسافة قصيرة. إن وادي قاديشا الذي يرتفع كلما صعدنا في الجبال يجعل من طرابلس من أكثر الوديان التي رأيتها روعة. ثمة قناة ممدودة على نصف ساعة من المدينة في الوادي، وهي مبنية على قناطر يسميها السكان قنطرة البرنس Kontaret el Brins، ولعل الاسم تصحيف

---

[1] لعل المقصود قرية بحنين (المترجم).

[2] قاديشا باللغة السريانية تعني القدس، أما الاسم الخاص بالنهر فهو نهر أبو علي.

لعبارة Prince (الأمير). وهي تجلب ماء الشرب إلى المدينة بقناة على طول الضفة اليسرى لوادي قاديشا. وثمة جسر على علو بضعة ياردات فوق القناة.

أقدر عدد سكان طرابلس بحوالي ١٥ ألف، ثلثهم من المسيحيين الروم Greek Christians على رأسهم مطران. ولقد قيل لي أن الروم لديهم فرمان من الباب العالي يسمح لهم بمنع أي روم منشق من دخول المدينة. ولكن الواقع ليس على هذه الحال؛ بيد أنه من الثابت أنه كلما عُثر على منشق في المدينة، أودع السجن والحديد وتعرض لمعاملة سيئة. مثل هذا الكلام مُمكن تصديقه لأنهم الوحيدون الذين يحاطون علماً بالتعصب مع المسيحيين الشرقيين. ليس في المدينة بناية رسمية تستحق الملاحظة. فالسرايا تهدمت في تمرد بربر آغا. أما خان الصابون فموقع حسن البناء، يتوسطه حوض ماء.

ثمة صومعة للدراويش convent of Derwishes، على مسافة ١٠ دقائق فوق المدينة، في وادي قاديشا، في موضع رائع للغاية فوق النهر، ولكنها مهجورة الآن. وتقع الميناء El Myna على مسافة نصف ساعة تحت المدينة، في زاوية السهل المثلث، هذه المدينة الصغيرة تشكل مرفأ طرابلس؛ كانت المستنقعات تغطي السهل في ما مضى، ولكنه تم تجفيف معظمها (ص ١٣٦) وتحويله إلى بساتين. ويمكن بسهولة رسم معالم السور في السهل المثلث؛ ويبدو أن في جهته الغربية كانت تقوم المدينة القديمة؛ وحيثما حُفرت الأرض في هذا الاتجاه ظهرت أساسات المنازل والحيطان. وفي الحقيقة بهذه الحجارة المنبوشة هناك تم بناء منازل الميناء.

من الميناء إلى الشمال حتى فتحة وادي قاديشا ثمة سلسلة من ستة أبراج يبعد الواحد عن الآخر مسافة ١٠ دقائق سيراً. لا شك أنها كانت مخصصة لحماية المرفأ؛ وحول الأبراج وعلى الشاطئ وفي البحر ثمة الكثير من أعمدة الغرانيت الرمادي المطمورة. منها ثمانون بقطر قدم وربع القدم في البحر، والكثير الآخر كان موضوعاً في حيطان الأبراج للزينة. ولقد أعطى سكان المحلة لكل برج اسمه. الأبعد شمالاً هو برج راس النهر Berdj Ras el Nahr، وذلك لقربه من وادي قاديشا، والبقية إلى الجنوب هي: برج التكية Berdj el Dekye، برج السباع[1] Berdj

[1] يقول سكان البلد أن الدرع المنقوش على العبارة المؤدية إلى هذا البرج كانت مرئية سابقاً. وكانت عبارة عن رمز الكونت دو تولوز. رأيت في طرابلس ختماً من الرصاص يعود إلى هذا الكونت وعليه برج ربما هو برج السباع.

el Sebaa، برج القناطر Berdj el Kanatter، برج الديون Berdj el Deyoun، برج المغاربة Berdj el Mogharabe.

يتكون مرفأ طرابلس من سلسلة من الصخور المنخفضة الممتدة شمالاً من رأس الميناء لمسافة ميلين في البحر تقريباً، ويسميها السكان المحليون فيلون[1] Feitoun. من الشمال فإن موقع طرطوس يخفف من حدة البحر، ولكن عندما تعصف الرياح الشمالية غالباً ما تندفع السفن نحو الشاطئ. وفي اتجاه الجنوب والجنوب الغربي من المرفأ يمتد خط من الجزر الصغيرة تصل أبعدها نحو عشرة أميال عن اليابسة. وهي تسمى على التوالي: البقر El Bakar وهي الأقرب إلى المرفأ؛ بلان Billan وهي على دائرة تبلغ نصف ميل وعليها بقايا أبنية قديمة والكثير من الآبار العميقة؛ ثمة العديد من الصخور الصغيرة المعروفة باسم عام هو مقاطيع El Mekattya، وهي: تاراس، طويله، لوقس، ذلله، غرقه، ارميله؛ يليها سننيه Sennenye، نخل Nakhle أو الأرانب El Eraneb وفيها شجر النخيل وكانت مليئة سابقاً بالأرانب، الرمكين El Ramkein، شعيشة القاضي Shayshet El Kadhi.

معظم سكان الميناء هم من الروم Greek البحارة أو من صانعي السفن، ولقد عثرت هنا على نصف دزينة من سفن البلاد قيد التصليح أو الإعداد. وفي الميناء خان جيد. وعلى الطرف الجنوبي للسهل المثلث ساحل رملي تكونت رماله في نفس المكان بفعل حركة الأمواج واصطدامها بالصخور التي تنتشر فيها عدة آبار كبيرة. وداخل الخليج المتكون من السهل واستمرار الشاطئ نحو الجنوب ينفجر (ص ١٣٧) نبع ماء عذبة وبقربه رواب كبيرة من الرمل رفعتها إلى مستوى الشاطئ حركة الرياح الغربية. تكثر في البحر القشريات والأسماك؛ وإليكم أسماء أفضلها بالعربية والفرنسية كما زودني بها تاجر فرنسي أقام لمدة طويلة في طرابلس: قجيج Dorade، سلطان إبراهيم Rouget، براق Loupe، تراخور Severelle، لنتياس Leeche، بروي Mulaye، حفش Maire noir، قلوقس Maire blanc، شليق Vieille؛ ويتم جمعها في أقفاص صغيرة يوضع الطعم داخلها، بحيث أن السمكة التي تدخل من فتحة القفص لا تستطيع الخروج منه. ويُقال أنه لا يدخل القفص غير تلك

---

[1] اللفظة الإنكليزية فيتون Feitoun بينما العربية فيلون! (المترجم).

الأنواع من السمك. أما أسماء غيرها من بعض السمك الصالح للطعام فهي: (قريدنه أو غزال، خنزير، اصفرني، عريل Pajot).

على مسافة نصف ساعة من طرابلس، على الطريق التي سلكناها في المجيء، يقع قبر الشيخ البداوي Sheikh El Bedawy، وبقربه فوارة ماء غزيرة في الحائط، وفيها كمية كبيرة من السمك يعتبره مسلمو (أتراك) طرابلس مقدساً، ويقدم له حراس القبر والطرابلسيون الطعام يومياً، ولا يتجرأ أحد على قتل أي سمكة منها. إنها كما يقول الأتراك هي وقف للقبر. نفس نوع السمك نجده في قاديشا.

تراجعت تجارة طرابلس في الأزمنة الأخيرة تماشياً مع كل تجارة سورية. ولا يوجد فيها أي مؤسسة فرنسية، والفرنسيون الباقون هنا على درجة كبيرة من البؤس. ومع ذلك يقيم هنا قنصل فرنسي، السيد غيز Guys، عالم ضليع بالآثار، ولقد كان مفيداً جداً لنا في معارفه الأدبية. ولديه مجموعة هامة من الميداليات السورية. أما السيد كاتزيفليس اليوناني فهو رجل محترم للغاية وقدم خدمات عظيمة إلى الجيش الإنكليزي أثناء الحرب في مصر. وهو بالغ الضيافة والترحيب بالرحالة الإنكليز.

تقوم تجارة طرابلس أساساً على الحرير الذي ينتجه الجبل، وتصدر منه سنوياً حوالي ٨٠٠ كينتالاً، بسعر ٨٠ ليرة استرلينية الكينتال. كان التجار الفرنسيون في السابق، يقايضون سلعهم بالحرير، لأنه كان من الصعب الحصول على المال في التجارة مع المشرق، وكان من الطبيعي أن يتم بيعه بخسارة في فرنسا، ومع ذلك لم تكن الخسارة أكبر مما لو أنهم اشتروه بالنقود لأنهم كانوا سيجرون عليه حسومات. وكان يتم بيع الحرير في مرسيليا لصالح التجار المغاربة merchants of Barbary الذين يحصلون عليه بسعر أقل مما يستطيعونه في طرابلس. بيد أن هذه التجارة توقفت إثر تراجع التجارة الفرنسية، ويأتي المغاربة Moggrebyns اليوم إلى طرابلس بأنفسهم سعياً وراء هذه السلعة (الحرير)، ويأتون معهم بمنتجات كالنيلة والقصدير التي يشترونها من مالطة. ولقد ازداد كثيراً بيع القهوة الآتية من غرب الهند في سورية في الأزمنة الأخيرة، بعد أن أجمع الأتراك على استهلاك هذه السلعة لأنها على سعر لا يزيد على نصف سعر قهوة موكا Mokha coffee، ما أدى إلى فتح سوق هائلة (ص ١٣٨) لصالح مزارعي غربي الهند...

تأتي سلعة الإسفنج في المرتبة الثانية في صادرات طرابلس؛ ويتم جمعها على شاطئ البحر، ولكن أفضل الأنواع يكون في الأعماق. كان الطلب على الإسفنج في السنتين الأخيرتين ضعيفاً، ولكنه قيل لي أنه يتم تصدير طرود من ١٢٥٠٠ إسفنجة سنوياً، ويقارب سعرها حوالي ١٢٠ قرشاً للألف. ويتم تصدير الصابون نحو طرطوس ومنها إلى بلاد الأناضول والجزر اليونانية... أما باقي الصادرات فهي حوالي ١٠٠ إلى ١٢٠ كينتالاً من غدة العفص (قليح) من جبال النصيرية، وحوالي ١٢٠ كينتالاً من الشمع الصفر من لبنان بسعر ١٥٠ قرشاً للكينتال، وسلعة القوة Rubia tinctorum الذي ينبت في سهول حمص وحماة، بكمية تقارب ١٤٠٠ كينتالاً، بسعر من ٢٠ إلى ٢٤ قرشاً للكينتال. والقليل من التبغ الذي يُصدر منه بضعة كينتالات إلى مصر.

يمتد إقليم طرابلس على معظم مناطق جبل لبنان . وهذه الباشوية مقسمة إلى عدة أقسام أو مقاطعات (مقاطع Mekatta) كما يسمونها: الزاويه El Zawye أو المنطقة السفلية من جبل لبنان على يمين قاديشا؛ جبة بشري Djebbet Bshirrai الكائنة حول قرية بنفس الاسم بالقرب من غابة الأرز Cedars؛ القلع El Kella؛ الكورة (القورة El Koura) أو المنطقة السفلية من جبل لبنان على يسار قاديشا؛ القاطع El Kattaa أو الجبال باتجاه البترون؛ البترون (باترون)؛ جبيل؛ الفتوح El Fetouh بعد جبيل نحو كسروان؛ عكار (أقار Akkar) المنقلب الشمالي لجبل لبنان، وهو قضاء يديره اليوم علي بك Aly Beg، رجل معروف بكرمه وسعة صدره ومعرفته بالأدب العربي؛ الشعرة (الشارة El Shara) تحت حكم علي بك أيضاً؛ الضنية (ظنيه El Dhannye) وهي الجبال شمالي وشمالي غربي بشري[1]؛ الهرمل El Hermel باتجاه بعلبك على المنحدر الشرقي للبنان؛ صافيتا (صافيته Szaffeita)؛ طرطوس (تارتوس Tartous). معظم أهل الجبال مسيحيون، في بشري جميعهم مسيحيون؛ في عكار والشعرة والكورة ثلاثة أرباعهم مسيحيون؛ للمتاولة Metawelis أملاك (ص ١٣٩) في جبيل والضنية والهرمل. منذ حوالي ٨٠ سنة بات هؤلاء أحدث

[1] هكذا في النص، والصحيح شرقي بشري (المترجم).

سكان قضاء بشري والزاوية والضنية وقسم من عكار، بيد أن الترك والمسيحيين المستائين من تصرفاتهم المسيئة استدعوا الدروز وطردوا المتاولة بمساعدتهم.

منذ ذلك الحين صار الدروز أسياد كل الجبل وقسم من السهل. ويدفع الأمير بشير لباشا طرابلس ميري الجبل المقدر ١٣٠ بورصة purses، بينما يجمع لنفسه أكثر من ٦٠٠. ويتم احتساب الضريبة المفروضة على الفلاحين تبعاً لكمية أرطال الحرير Rotolas of silk التي من المقدر أن ينتجها الفلاح سنوياً من دود الحرير؛ ويتم احتساب الضريبة على شجر التوت أيضاً بالقياس إلى الضريبة على الحرير. ويُعادل تقريباً ما يتوجب على الفلاح العامل بالحرير دفعه بين ٢٠ و٢٥ بالمئة من دخله، بينما الذي يعيش من دخل حقله يدفع أكثر من ٥٠ بالمئة.

حصلت على المعلومات الآتية المتعلقة بالتاريخ الحديث لباشوات طرابلس. فتاح باشا Fettah Pasha طرده سكان طرابلس حوالي العام ١٧٦٨، بعد أن حكم لبضع سنوات. وحل مكانه عبد الرحمن باشا Abd-er-rahman Pasha، ولكن المتمردون حافظوا على سيطرتهم على المدينة. ولقد كان سابقاً كابيجي Kapydji (قائد) الجردة Djerde أو القافلة التي تنطلق سنوياً من طرابلس لملاقاة قافلة الحج العائدة من مكة. وكان قد جعل من مصطفى زعيم المتمردين تفكنجياً له Touenkdji، وخاضعاً لإرادته، إلى أن تَحَيّن الفرصة للتخلص منه فقتله في اللاذقية حيث كان يجمع الميري. ثم فاجأ المدينة، واستولى على القلعة وقتل جميع قادة التمرد. وحكم عبد الرحمن باشا لمدة سنتين.

وحكم يوسف باشا، ابن عثمان باشا والي دمشق، ومن عائلة العظم، طيلة ٨ أو ١٠ سنوات، ليحل مكانه أخوه عبدالله باشا الذي بقي في الإدارة ٥ سنوات، وتم تعيينه بعدها والياً على دمشق، وهو اليوم والي أورفه Orfa.

بقي حسن باشا سنتين في الموقع. (ص ١٤٠) ولقد تم إرسال حسين باشا على رأس الجردة ليقتل الجزار العائد من مكة. ولكن الجزار قتله بالسم قبل أن يتمكن من تنفيذ خطته. ثم حكم درويش باشا لمدة سنتين، وخلالها استغل أحد قادة قواته، حسن يوسف، السلطة، إلى أن قُتل بأمر من الباشا. وحكم سليمان باشا، وهو اليوم والي عكا، حوالي العام ١٧٩٢، بينما كان الجزار في دمشق.

عندما اجتاح الفرنسيون سورية طرد سكان المدينة خليل باشا، ابن عبدالله باشا. استولى مصطرا دلبي Mustara Dolby، أحد قادة التمرد، على القلعة وحكم لمدة سنتين. وحل مكانه إبراهيم سلطان الذي طرده مصطفى آغا بربر Mustafa Aga Berber، وهو رجل موهوب وعلى حمية فائقة. فرفض تسديد الميري إلى والي دمشق يوسف باشا الذي كان والياً لطرابلس أيضاً، وقام بتحصين القلعة وانتظر بشجاعة مع جماعته وصول يوسف باشا الذي اقترب من المدينة بقوات من خمسة أو ستة آلاف رجل. هرب جميع سكان المدينة إلى الجبال، باستثناء القنصل الفرنسي العدو السري لبربر. ما أن دخلت قوات يوسف باشا المدينة حتى بدأ النهب، وفي مدى بضعة أشهر تم تدمير كل شيء ولم يبقَ غير الجدران العارية، وتم سحب كل قطعة من الحديد، كما أن الأرصفة الرخامية تم اقتلاعها وبيعها. ولقد جمع ابن القنصل الفرنسي مبالغ كبيرة من بيع المنهوبات. وتم حصار القلعة، وبعض وحدات المدفعية الفرنسية المستقدمة من قبرص قصفت القلعة، وأَحدثت فيها ثغرة، ولكن لم يجسر أحد على مهاجمة القلعة المحمية جيداً من قبل ١٥٠ رجلاً فقط. بعد حصار دام خمسة شهور تدخل سليمان باشا والي عكا بين بربر آغا ويوسف باشا الذي سره حصول ذريعة لفك الحصار، فمنح القلعة كل التشريفات العسكرية، وتم بيع كل ما بقي في القلعة للباشا لقاء مال نقدي، وفي شباط ١٨٠٩ غادر بربر آغا القلعة يصحبه ضباط سليمان باشا إلى عكا. وهناك عُين مجدداً والياً على طرابلس بينما كان سليمان باشا والي عكا ودمشق مكلفاً بباشوية طرابلس عام ١٨١٠. واستلم سليمان باشا عام ١٨١٢، نفس المهام.

(ص ١٤١) خلال إقامتنا في طرابلس، كان بربر آغا بجوار اللاذقية يشن الحرب على النصيرية المتمردين، وكانت قلعة طرابلس في عهدة أحد أغوات الأرناؤط الذي لم يكن تابعاً لبربر. إنه لمن المرجح فعلاً أن بربر شخصية فذة عارفة بالشؤون السورية، لكونه شخصية نابغة وحازمة وعادلة. ولم تكن مدينة طرابلس بوضع أفضل مما كانت عليه تحت إمرته.

١٢ آذار: بعد أن قضينا عشرة أيام رائعة في طرابلس... انطلقت مع مرشد باتجاه دمشق، قاصدين زيارة كسروان وتقديم آيات الاحترام لزعيم الجبل الأمير بشير في دير القمر Deir el Kammar. وودت في الطريق زيارة بعض خرائب الكورة التي

سمعت عنها في طرابلس. فغادرت الطريق الأساسية التي تتبع الساحل حتى بيروت... ووصلت بمدة ساعة ونصف إلى دير كفتين (دير كيفتين Deir Keiftein) حيث أمضينا الليل. تمر الطريق في غابة من الزيتون على الضفة اليسارية لقاديشا في المنحدرات المنخفضة للبنان. نقصد بذلك قسماً من قضاء الكورة، حيث الزيت هو الإنتاج الأساسي. والزاوية من الجهة الأخرى لقاديشا تنتج الزيت أيضاً، ولكنها تنتج من الحبوب أكثر من الكورة... صادفنا هناك بعض خيام عرب الزريقات Arabs Zereykat والهيب El Hayb الذين يرعون أغنامهم على جانبي الطريق حيث تكثر الأعشاب البرية.

على مسافة نصف ساعة على يميننا جبل القلع Djebel Kella المتجه من الشمال إلى الشرق نحو البحر، وهو تحت حكم طرابلس مباشرة، أما الأمير بشير الذي يحكم لبنان بكامله فلم يكن بمقدوره بعد الاستيلاء عليه. وهذه هي أهم قرى هذه المنطقة: دير سقوب Deyr Sakoub، دده Diddy، فيع Fya، قلحات Kelhat، بتوراتيج Betouratydj، راس مسقا Ras Meskha، برسا Bersa، نخله Nakhle، بطران Beterran، بيش Besh، ميسين Mysyn، عفص ديق Afs Dyk.

٥- عكار منذ حوالي القرنين

أبرز بلداتها وقراها، وتوزع مذاهب سكانها[١]

على سبيل التقديم

النص الوارد أدناه هو عبارة عن مسرد مكثف بأسماء المواضع، من مدن وبلدات وقرى ومزارع، عامرة وداثرة، وضعه الرحالة المستشرق إيلي سميث (Eli Smith)، منذ حوالي القرنين إلاّ القليل، استناداً إلى رحلاته في سورية وفلسطين ولبنان وغيرها، في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر (١٨٣٤-١٨٣٨...)، ونشرها في Biblical Researches..., vol. III, 1841، في الملحق الثاني من هذا المجلد الذي جاء بعنوان "اللغة العربية، ولائحة بالأسماء العربية للمواضع"، وتحت عنوان فرعي في الملحق: "أسماء الأماكن، بصورة رئيسية في ولاية Pashalik دمشق، جمعها أثناء رحلة في ربيع العام ١٨٣٤"[٢].

تتبع قيمة هذا النص بداية من كفاءة واضعه، إيلي سميث، الذي أمضى أكثر من ١٢ سنة مقيماً في الشرق، سورية خصوصاً، حيث اختلط بالسكان، وتعلم العربية مستعيناً بأفضل أعمال العلماء الأوروبيين. لم يتجول في سورية وفلسطين فحسب، بل أيضاً في أرمينيا ومصر وفارس، واشتغل في إعداد الكتب العربية وتصحيحها. وبذلك أتقن العربية كتابة ولفظاً، من منابعها المحلية. وبرهن على اتقانه العربية بوضعه بحثاً مقتضباً حول كيفة لفظ اللغة العربية، المنطوقة في سورية خصوصاً، وما يلحق بلفظ الغربيين من أخطاء يسببها الجهل بطبيعة الحروف[٣]. وعالج بحثه التمييز بين الحروف الشمسية والقمرية، والحركات والتنوين، والضم والتشديد والتسكين، وأحرف العلة والحروف الساكتة وأدوات التعريف... وسوى ذلك مما يوحي بثقة كبيرة في اتقانه العربية وحسن تدوينه للأسماء.

---

[1] المرجع: E. Robinson and E. Smith: Biblical Researches..., vol. III, 1841.

[2] المرجع السابق، الملحق الثاني (Second Appendix: "Names of Places, chiefly in the Pashalik of Damascus, obtained during a Journey in the Spring of 1834.)، ص ١٣٩.

[3] المرجع السابق: "Essay on pronunciation of the arabic chiefly as spoken in Syria; with an account of the corruptions to which the several letters are liable."، ص ٨٩-١١١.

واحتاط فضلاً عن ذلك باستعانته بمن كتب الأسماء من أبناء المنطقة الموثوقين من قبله، كما هي الحال مع مرافقه طنوس الحداد "المذكور باستمرار في مقدمة الجزء الثاني الذي وضع لائحة الأسماء لرحلة في العام ١٨٣٤ من منطقة بيسان إلى الحولة". وفيه يقول سميث "عرفته لمدة طويلة، كمدير مدرسة وكاتب، وله دائماً الأذن صحيحة جداً، وقواعد إملائه جيدة، وذلك طبقاً لتلفظ اللغة كما سمعها على لسان العامة من أهل المنطقة"[١].

الأمر الثاني الذي يعطي لهذا النص قيمة علمية تاريخية وسوسوسيولوجية، يكمن في شيء من موضعة البلدات جغرافيا انطلاقاً من اتخاذه بلدة الشيخ محمد كنقطة ارتكاز لتعيين المواضع. هذا فضلاً عن أنه صنف سكان البلدات والقرى تبعاً لانتمائها المذهبي والعرقي أحياناً، وهذا ما يمكننا اليوم من قراءة الحراك المذهبي، بمعنى حراك الاختلاط والتعايش والتجاور. كما أنه جعل مسرد المواضع ينطق بحال البلدات والقرى... المدمرة أو الخالية من سكانها، ما يعطي فكرة عن أحوال تدهور العمران.

في كيفية قراءة مسرد المواضع

١- ينطوي المسرد على أسماء المواضع مكتوبة بالعربية وبالإنكليزية.
٢- الاسم الذي ينتهي بنجمة (*) يشير إلى موضع داثر أو غير مأهول.
٣- أسماء المواضع المأهولة ترافقت بمختصرات تعين مذهب (أو مذاهب) سكانها كالآتي: المسلمون، ويعني بهم السنة فقط (مس.، .Mus)؛ الشيعة (شي.، .Mu)؛ العلويون، ويسميهم النصيريين (عل.، .Nus)؛ الاسماعيليون (إس.، .Is)؛ الدروز (در. .Dr)؛ الروم الأرثوذكس (رو. .Gr)؛ الكاثوليك (كا.، .Cath)؛ الموارنة (مو.، .Mar)؛ وأحياناً يرد المسيحيون عموماً (مسي.، .Chr)[٢].

[1] المرجع السابق، ص ١٣٩.

[2] اعتمدنا المختصرات الآتية: المسلمون السنة (مس.)؛ الشيعة (شي.)؛ العلويون (عل.)؛ الاسماعيليون (إس.)؛ الدروز (در.)؛ الروم الأرثوذكس (رو.)؛ الكاثوليك (كا.)؛ الموارنة (مو.)؛ المسيحيون عموماً (مسي.)، (المترجم).

مسرد أسماء المواضع[1]

'Akkâr, عكّار

يقع قضاء عكار في الجوار الجنوبي لقضاء الحصن. ويحتل النهاية الشمالية للبنان. لكنه يمتد إلى البحر غرباً، حيث يعتنق سهلاً شاملاً وخصباً حول الخليجِ المعروف باسم "جون عكار" جون عكار، ويتصل بعيداً في الداخل، بعد المنحدرات الشمالية للبنان، بمنطقة معروفة باسم الشعرة الشعره، وهي غابة غالباً ما يعشش فيها اللصوص.

اتخذنا قرية الشيخ محمد، التي كنا توقفنا فيها في رحلتنا من الحصن إلى طرابلس، نقطة مركزية لتعيين المواقع. وهنا حصلنا على أسماء المواضع.

١- غربي الشيخ محمد

esh-Sheikh Muhammed, Gr.	الشيخ محمد، رو.	Deir Delûm, Gr. Mus.	دير دلوم، رو، مس.
Halba, Mus. Gr	حلبا، مس. رو.	Bibnin, Mus. Gr.	ببنين، مس. رو.
Es-Semmawîneh*	السمّوينه*	Muhammera, Mus. Gr.	محمّرا، مس. رو.
Ka'berîn*	قعبرين*	esh-Sheikh Tâba, Gr.	الشيخ طابا، رو.
Tell Seb'al*	تل سبعل*	ez-Zawârib, Gr.	الزواريب، رو.
Kefr Melky*	كفر ملكي*	el-Kantarah, Mar.	القنطرة، مو.
Mar Lîya*	مار ليّا*	Mukŭrzela, Mar.	مقرزلا[2]، مو.
Zûk el- Bâcha, Mus.	زوق الباشا، مس.	el-Humeireh, Mar.Gr.	الحميره، مو. رو.
el-Kulei'at*	القليعات*	Seisûk, Mus. Mar.	سيسوق، مس. مو.
Khirbet el-Kulei'at, Arabs	خربة القليعات، عرب[3]	Mejdela. Mus. Gr.	مجدلا، مس. مو.
el-Judeideh, Gr.	الجديده، رو.	el-Judeideh, Mus.	الجديده، مس.
Menyârah, Gr.	منياره، رو.	Bŭrkâil, Mus.	برقايل، مس.

---

[1] حرصنا على بقاء الأسماء تماماً كما هي واردة في الأصل، بلا أي تعديل عليها. (المترجم)
[2] معروفة اليوم باسم بقرزلا (المترجم).
[3] يقصد البدو (المترجم)

Kerm ’sfûr, Gr.	**كرم عصفور، رو.**	es-Sefîneh	السفينه[١]
el-Mezra’ah, Gr. Mus.	**المزرعه، رو. مس.**	Tell ’Abbâs*	تل عباس*
el-Hâkûrah, Gr	الحاكوره[٢]، رو.	el-Haissa, Nus.	الحيصا، عل.
’Arka, Gr.	عرقا[٣]، رو.	Tell Kerry, Nus	تل كري، عل.
Mâr Tûma, Mus. Gr.	**مار توما، مس. رو.**	Tell Bîby*	تل بيبي*
el-Mas’ûdîyeh, Nus	المسعوديه، عل.	el-Bŭsîseh, Nus.	البصيصه. عل.
el-Kuneiyiseh, Arabs, Nus. Chr.	الكنَيّسه، عرب. عل. مسي.	Khirbet el-Kerâd, Nus, Arabs.	خربة الكراد، عرب. عل.
es-Semâkîyât, Arabs, Nus,	**السماقيات، عرب. عل.**	Shâs, Nus	شاص، عل.
ed-Dukeikeh, Nus	الدكَيكَه، عل.	es-Saudah, Nus.	السوده، عل.
er-Rendesiyeh, Nus.	الرندسيه، عل.		

٢- شمالي الشيخ محمد

el-Kuweikhât, Nus.	الكويخات، عل.	el-Musheirifeh, Gr.	المشيرفه، رو.
Sa’în, Gr. Nus.	سعدين، رو. عل.	Ernebeh, Nus. Chr.	ارنبه، عل. مسي.
Tell el-Humeira, Nus. Gr.	تل الحميرا، عل. رو.	Jûrat Bŭrsha, Nus. Gr.	جورة برشا، عل. رو.
Tell el-Bîry, Nus.	تل البيري، عل.	el-Khŭrnûbiyeh, Nus. Gr.	الخرنوبيه، عل. رو.
el-Hasana, Nus.	الحسنا، عل.	Jânîn, Gr. Nus.	جانين، رو.عل.

[1] غير محددة الهوية الدينية ولا الحال العمرانية في الأصل (المترجم).
[2] معروفة اليوم باسم الحاكور، (المترجم)
[3] تكتب أيضاً عرقه، ربما هي نسبة إلى العرقيين، تكوين: ١٧.

٣- شرقي الشيخ محمد

Kerûm ’Arab, Mus. Nus. Chr.	كروم عرب، عل. مسي.	ez-Zuweîny, Gr.	الزويتيني، رو.
Khureibet el-Jundy, Mus.	خريبة الجندي، مس.	Heitela, Nus. Gr.	هيتلا، عل. رو.
Kûsha, Is.	كوشا، إس.	Mezâhimy, Mar. Gr.	مزاحمي، مو. رو.
Meshha, Mus. Gr.	مشحا، مس. رو.	Mŭsrin, Gr.	مصرين، رو.
Haizûk, Mus. Gr.	حيزوق، مس. روم.	Wâdy el-Hawar, Gr.	وادي الحور، رو.
el-Mezra’ah, Mus. Mar.	المزرعه، مس.مو.	Serâr, Nus.	سرار، عل.
es-Sueisy, Mus.	السويَسي، مس.	Tuleil, Mar. Gr.	تليل، مو. رو.
el-Kuneiyiseh, Chr.	الكنَيِّسِه، مسي.	Shŭrbîla, Gr.	شربيلا، رو.
Kefr Hara, Gr.	كفر حرا، رو.	Jubb el-Musŭlla, Nus	جب المصلا، عل.
Beldy, Gr.	بلدي، رو.	Amâr el-Bâikât, ’Mus. Gr.	عمار البايكات، مس. رو.
Humeis, Chr. Nus.	حميّص، مسي. عل.	en-Naura, Nus. Is.	النورا، عل. إس.
Kŭty, Is.	قتي، إس.	el-’armeh, Nus.	العرمة، عل.
er-Rihânîyeh, Nus.	الريحانيه، عل.	es-Sefîneh, Nus.	السفينه، عل.
el-Ghuzeileh, Nus.	الغزيله، عل.	Bŭrbârah, Nus.	برباره، عل.
et-Tŭlâ’y, Nus.	الطلاعي، عل.	el-Mâlikîyeh, Gr.	المالكية، رو.
’Ain Tinty, turc. Is.	عين تنتا، ترك،	Beit Melât, Mar.	بيت ملات، مو.

	إس.		
’Ain ez-Zeit, Nus.	عين الزيت، عل.	Bînu, Gr.	بينو، رو.
Fsâkîn, Nus.	فساقين، عل.	Kŭbûla, Gr.	قبولا، رو.
ed-Dŭghleh, Nus.	الدغله، عل.	Burj el-kurei’ah, Mus.	برج القريعه، مس.
Denky, Nus.	دنكي، عل.	Bzebîna, Mus. Gr. Mar.	بزبينا، مس. رو. مو.
Delîn, Nus. Is.	دلين، عل. إس.	’Ain Ya’kôb, Mus. Gr.	عين يعقوب، مس. رو.
’Osh esh-Shûha, Nus. Gr.	عش الشوحا، عل. رو.	’Ayât, Mus.	عيات، مس.
Beit Ja’lûk, Gr.	بيت جعلوك، رو.	ed-Dûrah, Mus.	الدوره، مس.
el-Bâridy, Nus.	الباردي، عل.	’Akkâr, Mus.	عكار، مس.
en-Nahriyeh, Gr.	النهرية، رو.	Khirbet er-Rummân, Nus.	خربة الرمان، عل.
’Aidemûn, Gr. Turk	عيدمون، روم، ترك	Kabûr el-Bîd, Nus.	قبور البيض، عل.
Rŭmmâh, Gr. Nus.	رماح، رو. عل.	el-’Aweinât, Gr. Mar.	العوينات، رو. مو.
esh-Sheikh Lâr, Nus.	الشيخ لار، عل.	Kefr Nûn, Mar.	كفرنون، مو.
’Andakîd,Mar.	عندقيد[1]، مو.	Saidanâya, Nus.	صيدنايا، عل.
el-Kubeiyât, Mar.	القبيات، مو.	el-Jdeideh, Turk	الجديدة، ترك،
el-Bîry,Mus.	البيري، مس.	el-Mŭghrâka, Gr.	المغراقا، مو. رو.
Deir Jenin, Mar.	دير جنين، مو.	es-Sindiyâneh, Nus.	السنديانه، عل.
el-Hedd, Mar.	الهد، مو.	’Ain el-Ghâra,	عين الغارا، عل.

[1] اسها المعتمد عندقت (المترجم)

		Nus.	
Menjaz, Mar.	منجز، مو.	el-Mejdel, Mus. Gr.	المجدل، مس. رو.
en-Nufeiseh, Mar.	النفيَسة، مو.	Memma’, Mar.	ممنع، مو.
’Adbel, Gr.	عدبل، رو.	Tâsha’, Mus. Gr.	تاشع، مس. رو.
Jibra′il, Gr.	جبرايل، رو.	Sindiyânet el-Kaweisïra, Turk. Mus.	سنديانة الكويسرا، ترك، مس.
ed-Dohr, Gr.	الضهر، رو.		

٤- جنوبي الشيخ محمد

Eilât, Mus.	ايلات، مو.	el-Huweish, Mus.	الحويش، مس.
Rahbeh, Gr.	رحبه، رو.	Khureibet el-Jurd, Mus.	خريبة الجرد، مس.
Tekrît, Mus. Gr.	تكريت، مس. مو.	Deir Ebya, Chr.	دير ابيا، مسي.
Deir ’Auza	دير عوزا[1]	Kureiyât el-Jurd, Mus.	قريات الجرد، مس.
Mushmish, Mus.	مشمِش، مس.	Kubei’ah, Mus.	قبيعه، مس.
Fendîk, Mus.	فنيدق، مس.	Harâr, Mus.	حرار، مس.
el-Kurneh, Mus.	القرنة، مس.	Merjahîn*	مرجحين*
Mezra’at el-Jurd, Mus.	مزرعة الجرد، مس.		

[1] غير محددة الهوية الدينية ولا الحال العمرانية في الأصل (المترجم).

٦ - إيلي سميث

"من الحصن إلى الأرز فبيروت"[١]

(ص ٥٧٠) كان هدفنا وأمنيتنا أن ننطلق من الحصن وصولاً إلى الأرز عبر الأقسام الشمالية من لبنان، عبر عكار. ولكن اعترضتنا عقبة كأداء في الحصول على معلومات حول الطريق الممكن اعتمادها. كان يبدو لنا من الممكن اتباع الطريق المباشر (هذا ما لم نحصل عليه) باجتياز الجسر الأسود Jisr el-Aswad القائم في القسم الجنوبي من البقيعة، ومن هناك نصعد تلال لبنان الكائنة خلفه. ولكن أحداً، في الحصن أو حوله، ولا في الدير الذي قصدناه بعد الحصن، لا يعرف أي طريق في هذه الأنحاء، ولا أي طريقة لبلوغ عكار بغير اجتياز النهر الكبير عند الجسر الأبيض Jisr el-Abyad الكائن على مسافة أربع ساعات إلى الغرب. قال لنا جميع رهبان الدير بأن الطريق الوحيد الممكن إلى الأرز يمر عبر طرابلس. ولم نكن في حينه مدركين أن القس تومسون الذي كان في عكار في تشرين الأول من العام ١٨٤٥ والذي رغب بالانتقال شمالاً إلى برج صافيتا Burj es-Safita وهو على مرآه مباشرة إلى الشمال، اضطر إلى هبوط الجبل والاتجاه غرباً لمدة ساعتين ونصف حتى يجتاز النهر الكبير عند الجسر الأبيض. كانت الطريق التي اتبعها عبارة عن هبوط مستمر على الصخور المتجمعة أكمواماً في مناطق غنية بشجر البلوط المغضن والقصير والسميك. لقد اضطر إلى السير غرباً كل هذه المسافة ليتفادى الوديان السحيقة التي تتخلل المنطقة من الشرق إلى الغرب، حيث لا توجد أي طريق، وحيث تشق الأنهار مجراها بقوة إلى السهل[٢].

عند ذلك لم يكن لنا بد من العبور إلى الجسر الأبيض لنصعد من هناك في الجبال عند أول فرصة مناسبة.

---

[1] المرجع: Later Biblical Researches in Palestine and in the adjacent regions, a Journal of Travels in the year 1852, by E. Robinson, E. Smith, and others, Berlin, 1856; Section XIII, "From el-Hosn by way of the Cedars to Beirut".

[2] راجع: W. M. Thomson in Bibliotheca Sacra, 1848, pp. 21, 22: العنوان الآتي مباشرة، الرقم ٧، "من بيروت إلى حلب في العام ١٨٤٥" وفيه مقتطفات من رواية طومسن عن رحلته.

الاثنين ١٤ حزيران: غادرنا قلعة الحصن في الثامنة والربع صباحاً، وهبطنا منحدراً حاداً باتجاه الشمال الغربي. في هذا الجزء من الوادي ثمة منفرج واسع، حسن الزراعة. (ص ٥٧١) اتجاهنا الشمالي الغربي أدى بنا إلى وادٍ ضيق يقع فيه دير مار جرجس Mar Jirjis. يقوم الدير على المنحدر الشمالي، في موضع قليل الارتفاع حيث تحيطه بساتين الزيتون. تمر الطريق فوق الدير وتلتف حوله. ويقابل الدير جنوباً تلال عالية، تغطيها خضرة أشجار البلوط. وصلنا الدير في الثامنة و٥٥ دقيقة. وبينما كنا نجري بعض التحقيقات مع عربي صادفناه، خرج إلينا ثلاثة أو أربعة رهبان ورجونا لنترجل وندخل ديرهم. لبينا الدعوة، فقدموا لنا فوراً العصير والقهوة. ورجوناهم بأسف أن لا يعدوا الفطور لنا. كانوا في غاية التهذيب. هذا الدير مبني بحجارة ضخمة، هائلة وقوية جداً. مدخل الدير الرئيسي يمر عبر باب يكاد ارتفاعه لا يبلغ أربعة أقدام. يقيم في الدير حالياً حوالي العشرين راهباً، ولكن كثيرين منهم غائبون[١]. توقفنا هناك حوالي ٢٥ دقيقة، ثم تابعنا هبوطنا في الوادي المعروف أيضاً باسم مار جرجس.

هذا الدير العظيم، دير مار جرجس الحميرا Mar Jirjis el-Humeira، هو أهم أديار سورية وأكثرها شهرة في شمال سورية؛ وتعرفه العامة بالمعجزات التي حصلت فيه. وبقربه كروم العنب وبساتين الزيتون. عائداته وفيرة، وتأتيه التبرعات من جميع أنحاء سورية والأناضول وجزر اليونان. وهو يقدم مجاناً بالمقابل للمسافرين والرحالة والحجاج كل أنواع الطعام، وفي الغالب الرز والخبز والزيتون. ولكونه على الطريق الكبرى بين حماة وطرابلس، وكذلك بين حمص وطرابلس، فهو مقصد الكثير من الزوار[٢]. في أيار ١٨١٦، شهد فيه بكنغهام حشداً عظيماً من الناس الذين أتوا يحجون من كل المنطقة، كما من دمشق وحلب، وليشاركوا في الاحتفال في مار جرجس. وفي نفس الوقت تقوم في الدير وبرعايته سوق كبيرة حيث تباع وتشترى كل أنماط السلع[٣].

---

[1] عندما زاره بوركارد عام ١٨١٢، لم يكن فيه غير كاهن وثلاثة رهبان فقط. Burckhardt, Trav. In Syria, p. 159. راجع في مكان آخر من "منتخبات التواريخ..." مقتطفات عن هذه الرحلة.

[2] بوركارد، المرجع السابق، ص ١٥٩-١٦٠.

[3] راجع: Buckingham, Arab Tribes, p. 504.

لقد قيل مسبقاً لبوركارد أن الدير بُني في نفس وقت بناء الحصن[١]. لربما كان هناك شك في هذا الكلام، فهل ثمة كلام أكثر دقة في ذلك[٢].

(ص ٥٧٢) تركنا الدير في الساعة التاسعة و٢٠ دقيقة، سائرين باتجاه قعر الوادي، لنصل في ٢٠ دقيقة إلى نبع غزير، معروف باسم فوار الدير Fauwâr ed-Deir، و"نبع الدير". يخرج هذا النبع من كهف صغير بمدخل ضيق، من على المنحدر الشمالي. الصخر هنا كلسي. كان النبع اليوم هادئاً، ولكنه كان منبعثاً في اليوم السابق. تفحصنا مجرى الماء في الوادي وقنوات ري حقول الدير في قعر الوادي؛ فكانت المياه عبرها جميعاً تجري بكميات كبيرة. وفي مدخل الكهف كان ثمة غدير صغير يغور إلى الأسفل؛ وكان يُسمع صوت المياه القليلة المتساقطة خلف الصخور. تنخفض أرض الكهف بين ثلاثة وأربعة أقدام عن وجه الأرض. أخبرنا الرهبان وأهل المنطقة أن هذا النبع غير عادي مطلقاً. فأوقات الانقطاع تختلف باختلاف مواسم المطر والجفاف في العام. يفيض النبع أحياناً مرتين أو ثلاث في الأسبوع، وفي هكذا مواسم يستمر فائضاً ساعتين أو ثلاثة، وأحياناً يستمر لعشرين أو ثلاثين يوماً منقطعاً ليعود فيفيض لمدة أطول. يدل قاع الوادي على وجود مجرى كبير يتغير تبعاً لتقلبات النبع[٣].

سمع بوركارد عن النبع داخل الدير ولكنه لم يدرِ أنه مرّ به مباشرة[٤]. كما أن بوكنغهام مرّ بهذا النبع ولكنه لم يسمع به[٥]. كان السيد تومسون الذي مرّ من هنا عام ١٨٤٠، أول من وصفه، وربطه بالنهر السبتي الذي تحدث عنه جوزيفوس[٦].

---

[1] بوركارد، مرجع سابق، ص ١٦٠.

[2] لقد افترض أوكلي Ockley أن الدير العظيم الذي يسميه الواقدي دير أبي القدس Deir Abi'l Kodes هو نفسه دير مار جرجس الحالي. راجع: Hist. of the Saracens, Bohn's, edit I. pp. 164-168. كذلك: Lord Lindsay's Letters, 4th. Edit., p. 317, and note p. 436؛ و: Ritter, XVII, p. 844. يقول أوكلي نقلاً عن الواقدي أنه في زمن الخليفة عمر، حوالي منتصف القرن السابع، أقيم احتفال كبير في الدير المذكور، وفيه كانت ابنة حاكم طرابلس وعريسها هناك، مع مرافقة كثيرة، للزواج على يد كاهن الدير الجليل. لقد تم اعتقال الجميع من قبل ٥٠٠ فارس مسلم، وتمت مصادرة كل ما في الدير ومعه العروس أيضاً. يُقال أن الدير يقع بين طرابلس وحران. في هذا الموقع دير مار جرجس موافق تماماً. ولكن عندما يُقال أن التعزيزات وصلت من دمشق في نفس اليوم، يصبح علينا البحث عن الدير في موقع آخر، أو اعتبار كل الحكاية أسطورة.

[3] خرج بوكنغهام الذي رأى مجرى الوادي في وقت جفاف النبع بالآتي: "النبع الأساسي كان جافاً أو مياهه تحولت إلى اتجاه آخر"؛ Arab Tribes, pp. 505, 606.

[4] مرجع سابق، ص ١٦٠.

[5] مرجع الحاشية ما قبل السابقة، ص ٥٠٥.

[6] راجع: W. M. Thomson in Silliman's Journal of science, second- ser. Vol. II, nov. 1846, pp. 305-310.

يروي جوزيفوس[١] أن تيتوس في رحلته من بيروت إلى إنطاكية شاهد نهراً بين عرقة Arcæa 'Arka في مملكة أغريبا ورفنية Raphanæa؛ كانت طبيعة هذا النهر تستأهل تذكره. وبالرغم من أنه كان نهراً كبيراً وتدفقه سريع، فهو قد تنقطع ماؤه في الربيع لمدة ٦ أيام. ومن ثم يعود الماء للجريان في اليوم السابع كما في الأيام السابقة. هكذا كانت طبيعته دوماً، ولذلك عُرف باسم النهر السبتي. يشير بلين على الأرجح لهذا النبع، وإن قلب ترتيب الزمن، فجعله جافاً يوم السبت اليهودي[٢] Jewish Sabbath...

(ص ٥٧٤) مهما قيل فمن الأرجح أن النبع كان على ما هو عليه الآن. فالتدفق والانقطاع كان مجرد اعتقاد شعبي، أو بساطة شعبية، وهكذا سذاجة ما تزال قائمة. فلقد أخبر شيخ نصيري مسن، يقيم على حوالي ٢٠ ميلاً، السيد تومسن أن النبع يتدفق مرة في الأسبوع، يوم الجمعة، معادل السبت عند المسلمين[٣]...

غادرنا النبع في التاسعة و٥٥ دقيقة وتجاوزنا قعر الوادي في العاشرة و١٠ دقائق وبدأنا بصعود السفح الجنوبي، تاركين الوادي المستمر باتجاه الشمال الغربي إلى السهل الكبير. لما بلغنا القمة العريضة بدت أمامنا رؤية واسعة على الساحل حتى طرابلس. كان البحر يبعد عنّا مسافة ثلاث إلى أربع ساعات. الحرف الذي يحد البقية من الشمال الغربي والذي عبرنا من خلاله الآن، يهبط من الشرق هبوطاً حاداً نحو ذلك الوادي؛ أما من الغرب فهو يهبط متدرجاً وعبر تلال متعرجة بين هبوط وصعود، وبذلك يكون السهل الغربي منخفضاً عن البقيعة من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ قدم. تحول اتجاهنا إلى الجنوب الشرقي بعد اجتيازنا التلال المنخفضة المتجهة غرباً وبينها الوديان الخفيفة الانحدار. في العاشرة و٤٥ دقيقة، صارت قرية شالوح Shelûh بعيدة إلى يسارنا مسافة نصف ميل. بعد عشرة دقائق رأينا برجاً منفرداً على تلة تبعد عن يسارنا مسافة ميل.

بعبورنا وادياً قليل العمق صادفنا بالقرب من نهايته، في العاشرة و١٠ دقائق ما يشبه التل إلى الغرب يُسمى تل الحوش Tell el-Hausḥ. تحت التل، إلى الشمال،

[1] Jos. B. J. 7. 5. 1.

[2] Plin, H. N., 31. 18: “In Juduea rivus Sabbatis omnibus Siccatur” ". لا يعود الاسم إلى السبت اليهودي، ولا بالأحرى إلى الاسم العبري لساتورن، ولا على الأقل إلى أسطورة فينيقية؛ Phonizier, I, p. 666.

[3] راجع: Silliman's Journal, ib. p, 310.

ثمة مستنقع ونبع باسم نبع العروس Neba’ el-’Arûs يسيل منه مجرى ماءٍ في السهل يتجه إلى الجنوب الغربي حتى النهر الكبير. قمنا بالتفاف من الأعلى حول الجهة الغربية فخرجنا إلى سهل مرتفع يمتد نحو الجنوب، وينتهي بالغرب والجنوب الغربي بسهل منخفض يمتد حتى النهر الكبير. ويتخلل غربيه نحو البحر تلال ووديان منخفضة. استمر سيرنا باتجاه الجنوب الغربي، وعلى يسارنا هضبة من التلال. في الساعة ١١ و٢٥ دقيقة كانت قرية كفر ريش Kefr Rîsh على مسافة نصف ميل إلى يسارنا، وهنا قال مرشدنا أنها تشكل الحد بين منطقة الحصن وصافيتا.

في الساعة ١١,٥٠ إنحدرنا إلى السهل الأوطأ، فوجدته (ص ٥٧٥) أحد أخصب وأغنى ما رأيت حتى الآن. أرضه من التربة السوداء الغنية، والسهل مغطى بالغلال الوفيرة من القمح والذرة البيضاء والقطن وبمساحات من العشب وهو ما يزال أخضر. في الثانية عشرة كان هناك جدول وقرية مصيده Mesaideh على مسافة ميل على يسارنا[١]. بعد ١٥ دقيقة شاهدنا، على يسارنا أيضاً وعلى مسافة ربع ميل، جدولاً آخر وقرية برج المكسور Burj el-Maksûr. بلغنا في الساعة ١٢,٣٥ جدولاً أكبر يسيل في قناة عميقة وبجوارها نبات الدفلى وأشجار الدردار، حيث توقفنا ساعة لتناول الغداء وطلب الراحة. كانت زهور الدفلى كثيفة هنا، كما على طول الجدول. هنا، على مسافة ساعة وربع من جسر الأبيض Jisr el-Abyad، احتُجز بوركارد في آذار ١٨١٢، طيلة الليل بكامله بفعل الجدول الفائض بمياهه[٢]. السهل هنا بعرض ميل ونصف، وهو متجه إلى الجنوب والجنوب الغربي نحو النهر الكبير. وإلى الغرب، نحو البحر يمتد سهل أعلى، على يسارنا تقع قرية كفر صاريد Kefr Sa’rîd على مسافة ميل على منحدر التلال؛ وعلى مسافة نصف ساعة في نفس الاتجاه، تقبع قرية سوس العفريت Suth el-Afrît، التي لا نراها بين التلال. لقد اجتزنا الآن منطقة صافيتا إلى منطقة أخرى تسمى الشعره esh-Shâreh، وتقع بين صافيتا وعكار.

---

[1] لعلها بصيدا Besaida الواردة في لوائحنا السابقة التي يقطنها التركمان. BibL. Res. 1st., edit., III, App., 182.

[2] Trav. p. 161.

انطلقنا مجدداً في الساعة ١,٣٥، فكانت قرية سميكه Semikeh على يسارنا على بعد ميل ونصف، في الساعة ١,٥٥. وفي الثانية و٥ دقائق، على يسارنا بالضبط نبع صغير رائع، يُسمى نبع الشعره Neba' esh-Shâreh. كان الحصاد في أوانه في هذه الحقول، والحنطة مكدسة هناك لتتم دراستها في الوقت الملائم. ثم رأينا الناس تحمِّل على ظهور الجمال والحمير مثل هذه الأكوام. في الثانية و١٥ دقيقة وصلنا إلى الطريق الآتية من حمص عبر البقيعة على الجسر الأسود. بعد فترة خرجت الطريق من السهل الغربني، وما أن طوينا منطقة حتى وصلنا إلى النهر الكبير يخرج من بين قمم موازية تقريباً لبعض الوقت للمسار الذي قطعناه. كانت قرية العريمة el-'Oreimeh على الضفة اليمنى، بعيدة مقدار نصف ساعة فوق الجسر. يتقاطع جسر الأبيض عمودياً مع الطريق، من الأسفل والأعلى على السواء. اجتزنا الجسر في الثانية و٤٥ دقيقة، بعد أن مررنا بقافلة من الجمال توقفت هناك للراحة. الجسر حديث، يشبه جانبي سقف يستند إلى قنطرة مرتفعة[1]. تستمر الطريق إلى طرابلس، لبعض الوقت، على يسار النهر. وبعد نصف ميل من الجسر تقريباً، نصل إلى ولي الشيخ عياش Wely of Sheikh 'Aiyâsh، وخان كبير في حال من الخراب.

يُعرف الجسر الأبيض باسم جسر الشيخ عياش Jisr Sheikh 'Aiyâsh، وباسم الجسر الجديد Jisr el-Jedîd. مجرى النهر واسع وعميق؛ (ص ٥٧٦) وبالرغم من أن كمية المياه الآن ليست كثيرة، فعناك علامات واضحة على أن النهر في الفصل الممطر يصبح سيلاً جارفاً يحفر طريقه إلى البحر. وفي الحقيقة، كانت القوافل قبل رفع هذا الجسر تعسكر لمدة أسابيع على ضفة النهر، قبل أن تتمكن من اجتيازه[2]. يشكل النهر الكبير الحدود الكبرى الفاصلة لبنان وفينيقيا عن المنطقة الأبعد شمالاً؛ وهو بحد ذاته يطابق بالكامل إلوتيروس Eleutherus القدماء، الذي يصفه سترابون بطريقة مشابهة باعتباره الحد الشمالي لفينيقيا وسورية المجوفة[3] Cœlesyria.

---

[1] يوم مرّ عليه بوركارد، كان مجرد جسر مدمر؛ مرجع سابق، ص ١٦١.

[2] المرجع السابق، ص ١٦١.

[3] راجع: Strabo, 16. 2, 12. p. 753، و Comp. Plin, H. N. 5. 17: طرابلس... أرطوسية، نهر إلوتيروس". من المرجع أن نفس إلوتيروس وارد في "مكابيون ١، ١٢، ٣٠. و Ritter, XVII, p. 819 et suiv. يقترح موفرز Movers أن اسم الكبير "العظيم" ربما يكون مشتقاً من "كبيري" التي سادت عبادتها في فينيقيا، die Phönizier, I,

لقد كنا في رحلتنا حتى الآن نسير على طريق حماة طرابلس؛ وبها تلتقي، كما سبق ورأينا، الطريق الآتية من حمص عبر البقيعة حيث تتحد الطريقان عند الجسر الأسود. وجميع القرى التي صادفناها حتى الآن تقع في مقاطعة الحصن. كان النهر الكبير منذ القدم يفصل منطقة الحصن عن منطقة عكار في الجنوب؛ وتضم عكار القسم الشمالي من لبنان وتمتد إلى البحر؛ أما الحصن ففي غربيه منطقتا صافيتا والشعره.

كان هدفنا بلوغ قرية هيتلا Heitela، ومن هناك كنا نأمل، كما قيل لنا، أن نجد طريقاً مؤدية إلى الجبال. وهكذا تابعنا سيرنا على طريق طرابلس حتى الساعة الثالثة، حيث اتجهنا إلى الجنوب على الطريق المؤدية مباشرة إلى قرية الشيخ محمد Sheikh Muhammed. في ذلك الوقت كانت قرية جورة برشا Jûrat Bŭrsha على يسارنا مسافة ٢٠ دقيقة. كانت الطريق متشعبة، فاتجهنا إلى الجنوب والجنوب الشرقي، نحو هيتلا حتى الثالثة و١٥ دقيقة، ثم اتجهنا جنوباً. في الثالثة و٢٠ دقيقة تركنا قرية شير حميرين Sharahmarîn على يسارنا، وفي الثالثة و٣٠ دقيقة قرية سرار Serâr، والقريتان بين جورة برشا وهيتلا، وقضينا حوالي العشرين دقيقة على التلال. ولما هبطنا منحدراً أدى بنا إلى سهل ضيق بدت لنا هيتلا على المنحدر المقابل. بلغنا في الثالثة و٤٠ دقيقة مرتفعاً في السهل حيث كان العديد من أهل القرية منهمكين في العمل. ولقد أكد لنا هؤلاء جميعاً أنه لا توجد في القرية طريق تؤدي إلى الجبال العالية. وهكذا لم يعد لنا مناص غير الاتجاه إلى قرية الشيخ محمد.

اتجهنا الآن إلى الجنوب الغربي على طول السهل الضيق متنقلين بين الحقول دونما وجود طريق معينة، حتى التقينا بطريق هيتلا الشيخ محمد. في الرابعة وخمس دقائق (ص ٥٧٧) كانت قرية سعدين Sa'dîn على يميننا على مسافة ميل واحد؛ وبعد ١٠ دقائق كانت قرية الجامع Jâmia' على يسارنا بمسافة نصف ميل. هنا التقينا بالطريق المباشرة من الجسر إلى الشيخ محمد التي كنّا قد تركناها سابقاً. صار اتجاهنا الآن إلى الجنوب والجنوب الغربي، في الرابعة و٤٥ دقيقة بدت لنا،

---

p. 666. cop. 651 sq.؛ تبدو الأمور بهذه الطريقة على شيء من التكلف، فصفة "الكبير" ملائمة تماماً بدونه. يروي بلين ان نهر إلوتيروس يعج بالسلاحف في بعض فصول السنة، H. N., 9. 12.

على يميننا بمسافة نصف ميل، قرية تل عباس Tell ’Abbâs على تل في السهل تبدو فيه بعض الآثار. من نهر الكبير إلى الجنوب تتبع الطريق سفح التلال، أو بالأحرى امتدادات الجبل المسمى هنا جبل عكار Jebel ’Akkâr، والسهل الكبير على يميننا.

في الرابعة و٥٥ دقيقة بلغنا نهر عكار الذي يخرج من وادٍ بين التلال على يسارنا ليتجه من هنا نحو الشمال. ثمة قناة ممدودة إلى جهة الشمال لأغراض الري. تابعنا طريقنا على الضفة اليسار للنهر لمسافة قصيرة حيث صادفنا سداً صغيراً أقيم لتحويل المياه إلى القناة. وجدنا هنا أيضاً بناءً للحرير بدولاب تحركه الماء. صناعة الدولاب غير متقنة بألواح تلعب دور السواعد. على مسافة ميل على يسارنا، عند مخرج الوادي، وعلى الضفة الجنوبية للنهر، تقع قرية خريبة الجندي Khureibet el-Jundy بقلعتها القديمة؛ يُعرف النهر هناك باسم نهر الخريبة، وعندما يبلغ الغرب في البعيد يُعرف باسم نهر الحيصا Nahr el-Hîsa، حيث توجد قرية بنفس الاسم[١] el- Hîsa. يُقال أن المياه التي تسقي الحقول تأتي من عكار على مسافة خمس أو ست ساعات[٢].

مع تقدمنا إلى الأمام وبالتفافنا حول التلال، وصلنا في الخامسة والنصف إلى مسيل خفيف، على جهته الجنوبية فوق الهضبة وجدنا بلدة (قرية كبيرة) الشيخ محمد. لم نرغب بالتسلق إلى القرية، فعسكرنا في الوادي، بالقرب من عين ماء خفيفة. كان البحر على مرأى بصرنا على مسافة حوالي أربعة أو خمسة أميال. كنا نشاهد من خيمتنا بناءً مربعاً بأبراج على الزوايا، في السهل على مسافة حوالي نصف ساعة أو أكثر من البحر، ويُسمونه قليعات Kulei’ât، وموضعه على الخريطة ٥٠ درجة غرباً[٣]. وهي تقع على مسافة ساعتين شمالي نهر البارد. ربما تبعد عنا قرية سموينه Semmawîneh ساعة، في موضع على الخريطة ٧٠ غرباً.

---

[1] تقع قرية الحيصا على مسافة ساعة مباشرة على الطريق من جسر الأبيض إلى طرابلس: Dr. De Forest Ms. Letter.

[2] قام السيد تومسون بزيارة مدينة عكار المدمرة في العام ١٨٤٦ (الأصح ١٨٤٥)؛ وتم وصفها في Bibliotheca sacra, 1848, pp. 19-21. يخرج نهر عكار من جوارها، ويتدفق عبر وديانها.

[3] يذكرها أبو الفدا مع حلبا وعرقة في واحدة من حملات بيبرس بالقرب من طرابلس؛ راجع: A. D. 1266; Annales, ed. Reiske, V. p. 17. وكذلك: Tab. Syr. p. 204. Wilken de Bellor. Cruc. Hist. p. 238.

كل القرى القريبة التي عبرناها اليوم بيوتها مبنية بالحجارة البركانية السوداء، وذلك بحكم طبيعة المنطقة. لكن من هذه النقطة جنوباً، تعود المنطقة ثانية كلسية.

هناك بين الحدائق تحت خيمتنا (ص ٥٧٨) بجانب الطريق شجيرة كبيرة، أو بالأحرى شجرة دفلى بيضاء. كانت جميلة للغاية ومليئة بالأزهار؛ شاهدنا شجيرة صغيرة من نوعها في باحة منزل القنصل البريطاني في دمشق؛ وكانت زوجته تعتبرها أمراً عظيماً لندرتها وصعوبة الحصول عليها. بينما هنا فأزهارها رائعة ووفيرة، ولا أحد يهتم بقيمتها.

الثلاثاء، ١٥ حزيران: لقد أحبط تماماً هدفنا بالذهاب مباشرة من الحصن إلى الأرز عبر جبال لبنان الشمالية. لم نكن قادرين لا على العثور على الطريق، ولا على السماع عنها من أحد. فكل من سألناه خلال طريقنا أكد لنا ما قاله الرهبان بأن الطريق الوحيدة إلى الأرز تمر عبر طرابلس.

وخطر لنا أن ننطلق من الشيخ محمد إلى بلدة عكار عبر قرية جبرايل، على الطريق التي سلكها تومسن. ولكن الوقت داهمنا لأنه يتوجب علينا أن نكون في بيروت يوم السبت على أبعد تقدير. ولقد علمنا أن الطريق من عكار إلى الأرز تستغرق ثلاثة أيام، بينما الطريق الأخرى تستلزم يوماً ونصف اليوم. وهكذا تراجعنا مرغمين عن تحقيق هدفنا عبر عكار، وقررنا البقاء ما أمكن بالقرب من سفح الجبال لنصل إلى طريق طرابلس الأرز، بعيداً ما أمكن عن المدينة، وذلك على أمل اختصار الطريق الطويلة. أسفنا لاحقاً لأننا لم نحاول على الأقل العبور من عكار، ولكننا وجدنا أننا كسبنا بعض الوقت بتحاشي طرابلس.

انطلقنا من معسكرنا تحت الشيخ محمد في السادسة و٢٥ دقيقة، وتابعنا السير باتجاه الجنوب الغربي على طول سفح التلال؛ كان موضع تل عرقا منحرفاً قليلاً نحو الداخل ليشكل نوعاً من مدرج على يسارنا. ثمة أربع قرى بين هذه التلال، هي على التوالي تبعاً للوقت والمسافات: حلبا Halba في السادسة و٣٥ دقيقة على بعد ربع ميل[١]؛ الشيخ طابا Sheikh Tâba في السادسة و٤٥ دقيقة على بعد نصف ميل؛ الزواريب ez-Zawârîb في السادسة و٥٥ دقيقة على بعد ثلاثة أثمان الميل؛ منيارة

---

[1] مذكورة عند أبو الفدا، راجع الحاشية السابقة.

Menyârah في السابعة وخمس دقائق على مسافة ثلاثة أرباع الميل. والسهل على يميننا يلتف بالتفاف الخليج الممتد شمالي طرابلس، والمعروف باسم جون عكار[١] Jun ’Akkâr.

في السابعة و٢٠ دقيقة بلغنا عرقة على التل المذكور. آثار المدينة قليلة. المدينة التي كانت قائمة إلى الشمال على الهضبة تشرف على السهل والجبل. أكوام البقايا التي رأيناها تتكون الآن بمعظمها من الأحجار العادية، ما يدعو إلى استنتاج أن المنازل القديمة بنيت من مثل هذه الحجارة. رأينا بين الركام (ص ٥٧٩) أجزاءً مختلفة من أعمدة الغرانيت. التل على ارتفاع مائة قدم، سطحه منطقة مستوية من هكتارين أو ثلاثة، وهي محروثة ومزروعة. هناك آثار لحائط على الأجزاء الشرقية والجنوبية الغربية، وربما في أمكنة أخرى، وعثرت على أجزاء من عمود الغرانيت الرفيع، وصهاريج محفورة باتقان في الصخر. لم نلاحظ شيئاً غير ذلك على القمة، ما عدا أكوام الحجارة العادية مثل تلك التي لاحظناها تحت. في القاعدة الجنوبية للتل يجري نهر عرقة آتيا من الجبال فوقه ويسرع على طول قناته الصخرية نحو البحر[٢]...

تقع قرية عرقة الراهنة شرقي التل؛ وإلى البعيد على يسار ضفة مجرى الماء قرية الحاكوره Hâkûrah، وأبعد بقليل إلى الأعلى على اليمين قرية كرم عصفور Kerm ’Asfûr.

(ص ٥٨١) كان د. شو Dr Shaw من أول الرحالة الحديثين الذي زار عرقة في العام ١٧٢٢ ولفت النظر إليها[٣]. مرّ بوكوك Pococke على هذه الطريق في العام ١٧٣٨، ويذكر نهر عرقة ويفترض أن المدينة لا بد قد استندت عليه، ويظهر أنه لم يكن لديه فكرة أوسع عنها[٤]. يبدو أن أحداً لم يسمع بعرقة قبل بوركارد من

---

[1] يمتد هذا السهل الرائع على طول الساحل مقابل صافيتا وعلى مسافة ما من نهر الأبرص. راجع: Pocoke, II, i. p. 204; Thomson in Miss. Herald, 1841, p. 98.

[2] لم نتوقف طويلاً في وصف سميث لعرقة، خصوصاً لأن الأبحاث الراهنة حول عرقة تجاوزت بكثير مجرد ملاحظات الرحالة السطحية غالباً. (المترجم).

[3] Travels, Lond. 1757, p. 270.

[4] Pococke II., p. 205..

الرحالة الذين يتبعون اليوم طريقه، لكن ما وضعه عنها مختصر جداً[1]. زار السيد تومسون عرقة في العام ١٨٤٦، وقدم وصفاً مفصلاً عنها[2].

(ص ٥٨٢) قدم بوكوك Pococke بشكل صحيح ترتيب الأنهار الخمسة الأساسية التي تصب في البحر شمالي طرابلس[3]. على مسافة ساعتين وربع من طرابلس يقع نهر البارد؛ شمالي الموقع يوجد خان وفوقه آثار مدينة واسعة[4]. هي على الأرجح أرطوسية التي لا يصفها الجغرافيون القدماء بدقة، ولكن يبدو انها كانت بين طرابلس وعرقة[5]. النهر القادم بعد ساعة هو نهر عرقة، ويليه نهر عكار في ساعة ونصف، والنهر الكبير بساعة منه، وبعده بساعة واحدة النهر الأبرص[6].

تركنا جسر عرقة في الساعة الثامنة، صعدنا ضفة النهر الحادة والعالية إلى السهل. بقيت طريقنا على طول السهل بمحازاة التلال. في الثامنة و٢٠ دقيقة، على يسارنا قرية دير دلوم Deir Delûm على تل، وهي تبعد مسافة نصف ميل. في الثامنة و٣٥ دقيقة وصلنا إلى موضع تفترق فيه الطريق؛ يؤدي اليمين مباشرة إلى طرابلس؛ أخذنا مفرق اليسار لنجتاز المنبسط الأعلى الكائن شرقي جبل تربل Jebel Turbul. مباشرة بعد المفترق يوجد وادٍ وجدول صغير، يُعرف الوادي باسم وادي برقايل Bŭrkâil، وهي قرية على مسافة نصف ساعة إلى الأعلى على جوانب الوادي وغير مرئية. هذه القرية هي مقر السلطة في هذه الناحية. في التاسعة صادفنا جدولاً آخر، ينحدر من وادي الجاموس Wady Jâmûs، وصارت الجداول تتكرر منحدرة من الجبال ما جعلني أتوقف عن تسجيلها. في التاسعة و١٠ دقائق قرية ببنين Bibnîn قريبة على يسارنا، الطريق هنا تؤدي أيضاً إلى طرابلس. في التاسعة و٢٥ دقيقة تركنا الطريق وانعطفنا باتجاه الجنوب و١٠ درجات إلى الغرب، على سفوح التلال. في التاسعة و٤٠ دقيقة بلغنا طرف وادي نهر البارد

---

[1] Burckh. Trav. p. 162. سمى بوركارد نهر عكار باسم نهر الخريبة فقط؛ وكتب نهر عرقة باسم وادي عكا.

[2] Biblioth. Sacra, 1848, pp. 15-17.

[3] Vol. II. i. p. 204, 206.

[4] W. M. Thomson, ib, p. 14.

[5] المدن الست الأساسية لأبرشية بيروت في ولاية تيودوسيس الأصغر هي بالترتيب الآتي من الجنوب: بيبلوس، البترون، طرابلس، أرطوسية، عرقة، أنتارادوس (طرطوس)؛ راجع: Le Qnien Oriens Christ, II. 815. See above, p. 580.

[6] W. M. Thomson, in Biblioth. Sacra, 1848, p. 14. أيضاً في: Miss. Herald, 1841, p. 97. يضع موندريل نهر الأبرص جنوبي النهر الكبير؛ Journ. Mrch 8 th.

العميق، واجتزنا مجرى الماء في التاسعة و٤٥ دقيقة. كانت المياه عميقة وسريعة الجريان متدفقة على المجرى المبحص. وكاد الحمار الصغير لمرشدنا أن تبتلعه الماء، فخرج كالجرذ الغارق في المياه. يحيط مجرى الماء نباتُ الدفلى بكثافة، ويُقال أن كمية المياه في النهر فاقت هذه السنة في هذا الفصل أي كمية أخرى. الماء فيه مضاعف الآن، كما في النهر الكبير. ويُقال أنه ينبع من سفح أعلى قمة في لبنان فوق قرية صو[١] Sû. ها هو نبع غزير يُسمى النبع المسحور -Neba' el Mas-hûr، تزوده الثلوج بزوبانها فيصبح غزيراً مبكراً في الربيع ومطلع الصيف. أبلغنا مرشدنا أنه قادر على أن يرى ويرينا مجرى الماء المزبد كما يخرج من (ص ٥٨٣) النبع. في هذا الفصل نهر البارد يضاعف حجمه مرتين عن حاله في الشتاء والصيف. وهو يشكل الحدود الجنوبية لقضاء عكار[٢]...

---

[1] ما هي هذه القرية المكتوب اسمها Sû؟

[2] اعتبر شو نهر البارد بمثابة نهر إلوتيروس القديم، Trav., p. 271.

٧ - رحلة القس تومسن

من بيروت إلى حلب[1] في العام ١٨٤٥

على سبيل التقديم: لعل هذا النص من أكثر ما قدمه الرحالة الغربيون من معطيات حول عكار التي تجول فيها القس تومسون (مبشر بروتستنتي في بيروت) من نهر البارد حيث عاين موقعه وجواره. ثم بلغ مدينة عرقا التاريخية ووصفها بشيء من التفصيل، وصعد من هناك ليقضي ليلته الأولى في بلدة جبرايل. ومن هناك مرّ في بيت ملات والعيون وبينو وقبولا، ليستضيفه بعد ذلك محمد بك (المرعبي) في بلدة البرج التي يسميها برج القريعيه. وبعد ذلك ينتقل إلى عيات حيث عاين موقعاً أثرياً فيه عجول نحاسية، ومنها إلى بلدة عكار فيصفها مستخلصاً مدى الدمار الذي لحق بها وبأهلها جراء إحراقها وتدميرها من قبل فخرالدين. وتابع رحلته شمالاً إلى بلدة القبيات التي اعتبرها بلدة متناثرة، فبات فيها ليلته على الرغم من موقف أهلها غير المرحِّب به، لكونه إنكليزياً وبروتستنتياً. ومنها انتقل إلى بلدة البيرة ليستضيفه هناك عبود بك (المرعبي)، الذي أرشده إلى موقع أثري تحت قصره فيه عجول نحاسية كالتي شاهدها في عيات، وليزوده بخيال ليرشده إلى الطريق ويقدم له الحماية كما فعل قريبه في البرج. ثم اجتاز عمار البيكات، فبلدة الشيخ عياش على النهر الكبير، ليتابع رحلته داخل سورية وصولاً إلى حلب.

تعود قيمة نص تومسون لكونه يقدم صورة عن التقسيم الإداري في عكار، والتنوع الديني، والتعايش بين الطوائف، وانعدام الأمن في الجرود العكارية، وطبيعة الاقطاع السائد في عكار، وعدد السكان التقريبي موزعين على الطوائف؛ فضلاً عما في المنطقة من حيوانات كالفهد والدب والضبع، تسرح في غاباتها الكثيفة والرائعة والتي يشهد بأنه لم يرَ مثيلها في رحلاته كلها.

---

[1] المرجع: W. M. THOMSON: Bibliotheca sacra, VOL., 5, N^O XVII, 1848, "Tour from Beirût to Aleppo", pp. 1- 23; N^O XVIII, pp. 243-262. – سبق للقس تومسون أن نشر خلاصة رحلة مماثلة قام بها في العام ١٨٤٠ في: Missionary Herald, 1841, p. 28 et suiv. ولكنها اقتصرت جداً حول عكار بمجرد ذكرها وتوسعت في الساحل السوري، أرواد، طرطوس... ندين للصديق الأستاذ خالد أبو حيط بشكر عميق على تطوعه بترجمة هذا النص (المترجم).

لهذا النص قيمة أخرى في الجدل الذي دار قديماً وحديثاً حول "القليعات" (وصلتها بالقبيات) لجهة موقعها وطبيعتها (قرية أم قلعة)، سأستكمله في ثنايا الهوامش في هذا النص.

نُشر النص في مكانين وبلغتين. أولاً في العام ١٨٤٨، باللغة الإنكليزية في: W. M. THOMSON: Bibliotheca sacra, VOL., 5, N° XVII, 1848؛ ثانياً في العام ١٨٥٤، باللغة الألمانية، بحرفها القديم في: Carl Ritter: Die Erdkunde von Asien, Band VIII Zweite Abcheilung, Die Sinai- Halbinsel, Palästina und Syrien, Dritter Abschnitt Syrien, Berlin, 1854. تعتري النص الثاني أخطاء طباعية في بعض أسماء العلم، سنشير إلى ما يعنينا منها في حينه. وهو عبارة عن عرض مفصل للنص الأول. ولكن اعتماده من قبل البعض شكل مصدر تأويل والتباس من شأنه تحوير بعض الوقائع والمعطيات، لذلك من الضروري العودة إلى النص الأول، فهو أكثر أصالة ووضوحاً ومصداقية.

ترجمة نص القسّ و. م. تومسن W. M. Thomson

في السنوات القليلة الماضية تجول الرحالة الأوروبيون والأميركيون في شتى أنحاء فلسطين؛ ولقد نشرت بطرق متنوعة نتيجة اكتشافاتهم. ولكن شمالي سورية نادراً ما كان موضع اهتمام الرحالة، وبالتالي فمعرفتها محدودة نسبياً. لعل هذه الحقيقة تبرر أمام طلابنا المستشرقين نشر هذا المختصر لنتيجة تجوالنا هناك.

١٦ تشرين الأول ١٨٤٥: غادرت بيروت في الثالثة من هذا اليوم في رحلة إلى حلب، برفقة نيوبولد Newbold، النقيب في "جهاز الهند الشرقية" East India service. بعد مسير نصف ساعة في البساتين الغنية بالتوت وصلنا إلى نهر بيروت- ماغوراس Magoras عند سترابون Strabo وبلين Pliny– واجتزناه على جسر حجري من سبعة قناطر...

١٨ تشرين الأول: غادرت البترون في الثالثة والنصف... ... بعد مسير خمس ساعات توقفنا لتناول الفطور في القلمون التي سماها سترابون كالوميس Kalumis. إنها الآن مدينة حديثة وصغيرة، ماؤها عذب وتحيطها البساتين الرائعة... استلزمنا بلوغ طرابلس من القلمون أكثر من ساعة بقليل... تضم طرابلس حوالي ١٣ ألف نسمة، ثلاثة أرباعهم من المسلمين والبقية من المسيحيين الأرثوذكس.

توجد، بالقرب من السفيرة في قضاء الضنية شرقي طرابلس، بقايا معبد يوناني. منها في جانب واحد ثلاثة أبواب، ارتفاع الوسطي منها يبلغ على الأقل خمسة وعشرون قدماً وعرضه ثمانية...

استناداً لسجلات دافعي الضريبة التي وضعها إبراهيم باشا يوجد في طرابلس والميناء ٢١٦٧ من المسلمين، ٩٢٥ من الأرثوذكس، ٨٨ من الموارنة، ١٨ من اليهود. وإذا ما ضربنا مجموع دافعي الضرائب بخمسة يكون عدد سكان طرابلس ١٥٩٦٣. لقد سبق وقدر بوركارد Burckhardt عدد سكان طرابلس بحوالي ١٥ ألف نسمة في العام ١٨١٢.

٢٢ تشرين الأول: تركنا طرابلس في السابعة والثلث صباحاً، وتوقفنا في الثامنة لتفحص "ولي الدراويش" Wely of Dervîshes المعروف باسم "قبة البداوي" Kubet el-Bedawy؛ لم أكن قادراً على التحقق من مصدر الاسم إن كان مشتقاً من اسم "البدوي" الكاتب العربي المشهور في التشريع، أَو من اسم قدّيسِ مسلمِ عظيم. أبنية مقام الدراويش هذا البالية والمهدمة تقوم بجانب نبع تتجمع مياهه في حوض فيه الآلاف من نوع سمك أردوازي اللون، هو سمك مقدس يقوم الدراويش بإطعامه. لا يسمح بقتل هذا السمك، حتى الدراميش لا يحق لهم ذلك، والرويات الرائعة عنه واسعة الانتشار في كل البلد...

نصل بساعتين وربع من طرابلس إلى نهر البارد، هذا النهر الكبير الذي يهبط من المنحدر الشمالي للبنان. السهل مروي جيداً وهو خصب. ولكن السواقي التي تخترقه والقرى التي تزين المنحدرات الأولى للجبل لا تنطوي على أي قيمة تاريخية. بعد بضع دقائق جنوبي الجسر على النهر، ثمة أكمة ملفتة بآثارها القديمة للغاية على القمة. يسمونها برج حكمون اليهودي Burj Hakmone el-Yehûdy. لا أستطيع التحقق الآن من هوية حكمون اليهودي هذا. ولكن الآثار تبدو على الأرجح فينيقية أو يهودية، ومن بين المؤشرات التي تساعد في توضيح الأمر أن المملكة اليهودية تمددت في زمن قديم إلى هذا السهل وإلى قسم على الأقل من جبال النصيرية. بالقرب من هذا التل قبور تعود بشكلها إلى أزمنة قديمة جداً؛ وشمالي النهر، فوق الخان، توجد بقايا مدينة شاسعة. انتزعت حجارتها الكبيرة بمجملها ربما لبناء مدينة طرابلس وقلاعها. فالبقايا والفخاريات والآبار وتقطيع الصخور تشير

إلى وجود هذه المدينة الكبيرة. ولعل اسمها – كل ما له علاقة بالاسم- مدفون في ظلمة العصور القديمة جداً[1]. البناء الوحيد الموجود هنا هو الخان القديم الذي يحمل اسم النهر، ولقد بناه السلطان مراد. وهو ككل الخانات العامة في سورية في حال من التقهقر التدريجي. يتحدث الجغرافيون العرب عن ثلاث قلاع قديمة في هذه الأنحاء، ولكنّا لا نرى أثراً لها، أللهم إلا إذا كان الموضع المثير المعروف باسم بحنين هو أحدها، لأنه الوحيد القائم في السهل تحت بلدة المنية. لربما كان المقصود وجود قلعة حكمون، وأخرى القليعات Kulâât التي كانت قائمة في وسط جون عكار.

بعد ٢٥ دقيقة من نهر البارد اتجهنا من شاطئ البحر إلى الشرق لزيارة آثار عرقة، عاصمة العرقيين، التي تبعد عن البحر مسافة خمسة أميال تقريباً. لاحظنا في الكثير من المواضع آثار الطريق الرومانية القديمة، حيث على طول هذه الطريق قاد تيتوس، منذ حوالي ١٨ قرناً فيالقه المظفرة بعد تدمير القدس، وهي تجر خلفها الأسرى اليهود؛ وفي معبد الزهرة Venus Achites الرائع (في عرقا) قدم هذا القائد المظفر تشكراته لدى عودته أمام الأعمدة المحطمة التي نوشك على رؤيتها. تعبر الطريق سهلاً جميلاً يصعد متدرجاً نحو الجبال الشرقية. وفي منتصف الطريق بين البحر والمدينة ثمة موقع مدافن قديمة يُسمى براجيَف[2] أو بوراجيَف B'ragief or Buragief، السهل خالٍ تماماً لا سكن فيه على مرآنا، باستثناء مخيم مؤقت للعرب. كم من التقلبات الهائلة شهدها هذا السهل!

عرقة Arca

كل شيء هنا مثير للأهتمام. النهر (الذي يجب أن يكون موضوعاً على خرائطنا بين نهر البارد ونهر عكار) ينحدر من التلال الشرقية قافزاً فوق الصخور وغائراً في الوهاد المظلمة بأسلوب فريد. أعمدة دعم الجسر عميقة تستند عليها قنطرة لا يقل عرضها عن عشرة أقدام. يقوم الجسر على قاعدة تل مرتفع تشكلت عليه

---

[1] ألا تشير هذه الآثار إلى موقع أرطوسية Orthosia القديم؟ يضع جدول بتنجر هذه المدينة على مسافة ١٢ ميلاً رومانياً من مدينة طرابلس، وعلى مسافة ثلاثين من أنتارادوس (طرطوس)، وهذا ما يتفق تماماً تقريباً مع هذا الموضع. ولغة سترابون في هذا الموضوع غير محددة. ويجعلها Synecdemus of Hierocles شمالي عرقة، ولكن مصداقيته لا تجاري دقة الجداول. (ناشرو النص الأصلي).

[2] لم استطع التحقق من هذا الموقع؛ ربما يستلزم الأمر مزيداً من البحث عنه، هل من صلة مع برقايل؟ (المترجم).

القلعة، وعلى قمة التل يقوم معبد الزهرة المشهور. يبلغ إطار التل حوالي الميل، ويرتفع كالمخروط بعلو حوالي ٢٠٠ قدم انطلاقاً من مجرى النهر. نصفه العلوي اصطناعي، أما النصف الآخر فهو من الصخر الصلب. يقوم المعبد في الجهة الجنوبية الشرقية حيث ينحدر الصخر عمودياً. الأعمدة مرمية على الأرض؛ أحصيت منها أربعة وستين عند أسفل الصخور، معظمها مكسور. وحوالي ثلثها من الغرانيت المصري، بينما الباقي رمادي اللون. لاحظت بين الأعمدة أحجاراً كبيرة وقديمة (فينيقية؟) مقطوعة بشكل منحرف ما يشكل العلامة الوحيدة على أصلها العرقي. كانت المدينة مبنية إلى الشرق والشمال والجهة الغربية من التل. الدمار شامل، والكثير من أعمدة الغرانيت مختلط بالركام والكلس. معظم حجارة البناء الكبيرة المعروفة بأنها من عرقة نُقلت منها، ما جعلها عبر العصور كمقلع لطرابلس. ولعل هذا هو مصدر الحجر المقطوع منحنياً الذي عُثر عليه في بعض قلاع طرابلس. وثمة تقليد يروي عن وجود ممر من قمة التل إلى النهر بالقرب من الجسر.

رأينا باب هذا الممر مقفلاً بحائط ضخم غير متقن، في المطحنة عند الجسر. وفي الأعلى مقابل الصخرة العمودية التي بني عليها المعبد، ثمة نفق أفقي يؤدي إلى تحت المعبد. ومن الواضح أن مجرى ماءٍ كان يجري في هذا النفق ويهبط على الأرجح عبر مركز التل حيث المعبد. كما أن القناة التي كانت تمد المعبد بالمياه من الجبال على مسافة ثلاث ساعات كان تمر بنفق محفور في الصخور أو على قناطر قائمة فوق الوديان، وذلك تبعاً لطبيعة المكان. مجرى الماء إلى الطاحونة على الجسر يمر عبر نفق في الصخر. وهو على الأرجح قديم ولم يكن في الأصل مخصصاً للطاحونة. ولقد أكد لي الكثير من الناس، ومنهم كاهن مسن جليل، أن النفق الذي يغذي القناة بالماء يستمر في الجبل لمسير نصف ساعة. لم أتمكن من زيارة هذا النبع الفريد، لأنه يقع خارج طريقنا.

تفحصت بعض الجرف الصخري على الجانب الجنوبي للنهر، فكان من الرمل الكلسي الأبيض يتكدس فيه الصدف الحديث المحفوظ تماماً كذلك الذي نراه على شاطئ البحر. جمعت الكثير من نماذجه...

تضم القرية الراهنة ٢١ عائلة أرثوذكسية وسبع عائلات مسلمة؛ إنها مزرعة بائسة تقوم بين أعمدة مدينة كانت ذات مرة رائعة.

قمنا بجولة لساعتين ونصف في الجبال انتهت بنا في جبرايل حيث قضينا ليلتنا. وبينما السهل خالٍ من القرى، فالجبال عامرة بها حيث يختلط السكان من المسلمين Moslems (يقصد السنة) والمتاولة Mettawalies والروم Greeks والموارنة Maronites. الطريق التي سلكناها بترابها الصلصالي تشرف على رؤية جميلة تضم الجبل والوادي والسهل والبحر. وفي الساعة الأخيرة اجتزنا العديد من الحواجز (الطبيعية) والوديان والطبقات الكلسية والصلصالية، وتعرجات متنوعة.

٢٨ تشرين الأول: غادرنا جبرايل Jibraîl مع شروق الشمس. نجتاز الآن منطقة بنوعية جديدة من التربة. لم يسبق لأهل هذه البلدة أن شاهدوا فرنجياً من قبل، وكانوا فضوليين جداً ووقحين لدرجة ألزمتنا على استعمال الكرباج corbej لإبعادهم عن خيمتنا، حتى نتمكن من الخلود إلى النوم. بعد نصف ساعة من جبرايل وصلنا إلى قرية بيت ملات Beit Millat- موارنة؛ بعد ١٠ دقائق أخرى دخلنا العيون el-Aiyune، حيث توجد مطحنة؛ وبالقرب منها بلدة أرثوذكسية اسمها بينو Bainow. ومنها بسبع دقائق وصلنا إلى قبولا Cubbûla المظللة بالأشجار، فضلاً عن سحر منظرها العام. بلغنا برج القريعيه Burj el-Kuraiyeh بعد ١٢ دقيقة، حيث يوجد قصر محمد بك Muhammed Beg، الحاكم، المتولي على هذا القضاء. وهو من عائلة مرعب Miriab، العائلة الاقطاعية العريقة والقوية. جده علي باشا المشهور في كل هذه المناطق بحروبه وأعماله وحكمته. عبرنا القصر بدون أي مراسم؛ ولكن لحق بنا خيال مع أمر بالعودة للتعبير عن احترامنا إلى زعيمه البك. شكل ذلك إثارة كبيرة، ولكن بعد مجادلة لوقت ما قبلنا الدعوة، وما كان لنا في النهاية ما نأسف عليه. لقد استقبلنا البك بكل احترام، وقاموا بلعب الجريد لتسليتنا، وقدموا لنا الفطور، وبعد إلحاحه علينا، بلا جدوى، لقضاء اليوم بضيافته، أرسل معنا خيالاً ليرشدنا ويقدم الحماية لنا حتى عكار. ولولا ذلك لكنا ضللنا طريقنا عشرين مرة، وربما تعرضنا للسرقة. ثمة فكرة غير متناسبة مع البلد، وهي أننا كنا سنلج إلى السكان الأكثر وحشية.

بعد ١٠ دقائق من القريعيه وصلنا إلى عيات Aiyât حيث توجد آثار معبد من الطراز القديم، يُعرف باسم مار مانوس[1] Mar Manos، أعمدته مربعة ومجهولة العصر والطراز. لقد أكد لنا مرشدنا (وهو ضابط محترم عند البك) أنه كثيراً ما وُجدت العجول النحاسية بين هذه الخرائب. وفي شبابه شاهدها لعدة مرات، ومن وصفه لها كانت شبيهة تماماً بالعجول التي عُثر عليها في لبنان، والتي تفحصت شخصياً واحداً منها. هذا يُثبت بأن هذه العجول ليست أصناماً للدروز. من عيات صعدنا، خلال ساعة، جبلاً اجتيازه صعب، وعند قمته المعروفة باسم الضهر Dahar وتل القوس Tel el-Kous، أخذنا الصلات الآتية: طرابلس النقطة ٨٤٢، جزيرة النخل ٩٢، أرواد ١٤٥. وإلى الشمال الشرقي يتبين لنا بصعوبة في البعيد تلة مبهمة اعتبرها دليلنا حماة، إنها تحتل النقطة ٤٨. المنظر من موقعنا رائع وشاسع، يبدأ من لبنان الشمالي فطرابلس، وبعيداً إلى الجنوب- ساحل أرواد وطرطوس، وقبرص في الأفق- وجبال النصيرية والتلال نحو حمص وحماة. عكار، وهي موضوع بحثنا تقبع في أسفل الممر إلى الشرق مباشرة منا، وعلى مسافة ساعة. الانحدار نحو عكار مشهد جميل بالصنوبر وغيره من الأشجار. ولكن المكاري وبّخنا بأننا أتينا به إلى مكان لا يمكنه العودة منه وبغاله حية، ونحن بدورنا ذكّرناه بأنه خدعنا من قبل عندما أعلمنا أنه يعرف المكان جيداً، ويمكنه أن يقودنا إليه.

تُعرف آثار (عكار) باسم المدينة el-Medîneh، على سبيل التقدير لها. تقع هذه الآثار على المنحدر الشمالي الغربي لتل حاد، وهي في حال من عدم الوضوح، لأن الأشواك والورد البري والأشجار تغطيها. إنها آثار حديثة. وجدت التأريخ ٧٢٠ على مسجد قديم هو على أي حال قد كان كنيسة قبل تحويله إلى جامع منذ ٥٤٢ سنة. حيطان العديد من القصور والقلاع المتينة البنية ما تزال قائمة؛ ولكن الأحجار، على أية حال، لَيست كبيرةَ، وليس هناك أعمدة. أبرز ما فيها القصر المعروف باسم التكية et-Tekîyeh. عالي المدخل، ومبني من الحجر المنحوت والكلس. بعض هذه القصور مغطى بعباءة من نبات اللبلاب الذي لم أرَ مثله أبداً.

[1] راجع لاحقاً حاشية حول الخطأ المطبعي في كتابة اسم هذا الموقع، في النص الألماني.

إن أشجار الجوز الكبيرة والسنديان وغيرها، مع شبكة لا يمكن اختراقها من العليق والشجيرات والعنب البري تحجب هذه الآثار عن الملاحظ البعيد، وتجعل الزائر مندهشاً وحائراً في معرفة طريقه كأنه في دهليز متعرج وضيق من الممرات الذاهبة في كل الاتجاهات في هذه التلة البرية.

تنتصب القلعة على صخرة وعرة الانحدار جنوبي المدينة، بحيث تنفصل عنها بوادٍ سحيق. ترتفع الصخرة عمودياً إلى مستوى عالٍ، وتشكل الأبراج وحائط مكمل لدائرة الموقع دفاعات القلعة. وهي تشكل مشهداً رائعاً؛ والوصول إليها كأنه دخول في بطن الجبال عبر هذا الوادي المظلم والمخيف. وإذا أخذنا المشهد بمجمله – جرد عكار بغاباته المعتمة، والمجرى المخيف لنهر عكار الذي تغذيه ماءة من الجداول التي تأتيه عبر دهاليز الصخور وعبر نباتات كثيفة وغضة، والوحشة التامة لهذه الآثار، الملاذ المناسب للبوم والمخلوقات الحزينة- نعم ، إذا أخذنا المشهد بمجمله، فإني لم أرَ ما يعادل عكار في جميع حالات تجوالي في هذا العالم الغريب. ولكنها برية جداً، وقاسية للغاية، هي جنة اللصوص وقطاع الطرق، ولعلي أول من قام بزيارتها.

لطالما كانت عكار محكومة من أمراء بيت سيفا، هذه العائلة المنقرضة الآن. ويشير التقليد في كل لبنان إلى أن فخر الدين المشهور هو الذي قضى على هذه المدينة وهذه العائلة. ولكن مجد هذا الزعيم الدرزي الذي ذاع صيته لا يطابق أمير عكار الذي تزوج بأخت فخر الدين...

غادر فخر الدين عكار غاضباً وأقسم اليمين بأنه سيبني قصره في دير القمر من أفضل حجارة عكار[1]. ولقد تم، كما يُقال، تنفيذ هذا التهديد جزئياً بتدمير المدينة. والبعض من أحجار التكية موجود في أحد قصور دير القمر. ولقد أخبرنا مرشدنا بأن أمير عكار تمرد على الحكومة، فسار إليه جيشان، واحد آتياً من بعلبك عبر الجبل، والآخر صعد إليه من طرابلس. وهكذا تم شن الهجوم، فذبح السكان واحترقت المدينة. ولربما كان الأمير فخر الدين مع أحد الجيشين المهاجمين. الناجون هربوا إلى طرابلس، ولقد التقيت بتاجر مسلم عاش أجداده في عكار وما

[1] يقول فخر الدين في ردة شهيرة حول هذه المناسبة : نحنا كبار وبعيون الأعادي زغار، انتو خشب حور ونحنا للخشب منشار، وحق طيبة وزمزم والنبي المختار، ما بعمّر الدير إلاّ من حجر عكّار. (المترجم).

يزال محتفظاً بأوراق ملكية عائلته منذ مئات السنين. وفي الوقت الحالي ليس هناك مالك لهذه الأراضي؛ ومن يرغب باستثمارها يقوم بذلك مقابل دفع الضرائب إلى محمد بك في القريعيه. تقتصر القرية اليوم على حوالي ثلاثين بيتاً متواضعاً (أكواخ). والسكان غير مستقرين. فيها الآن ثلاث عوائل من الروم، إثنان من الموارنة، وحوالي العشرين من المسلمين (السنة) والمتاولة. وخلال سنة قادمة ربما لا يبقى فيها أحد، أو لربما ازداد عدد ساكنيها[١].

إن العديد من الجداول التي تنحدر مسرعة من سفوح الجرد المتقطع تتوحد تحت القلعة في نهر عكار الذي يحفر بصعوبة مجراه حتى السهل باتجاه الشمال الغربي وصولاً إلى البحر. إن طبقات الأرض على طول مجرى النهر اختلطت ببعضها بشكل كبير، لسبب واضح يكمن في اندفاع المياه بطاقة هائلة لا تقاس... الجبال المجاورة وتلك إلى الجنوب تعرف باسم جرد عكار Jeord Akkar. وهي ترتفع متعرجة، وصعبة المسلك للغاية، حتى القمم المكللة بالثلوج فوق الأرز، وتكسوها الغابات حيث تكثر الخنازير البرية والضباع والدببة والفهود.

في القبيات[٢]

تركنا عكار باتجاه الشمال تقريباً لنصل بعد ساعتين إلى قرية مبعثرة، قليعات Cûlaiât (أي القبيات)، وقد تهشمت وجوهنا وأيدينا بالأشواك، وثيابنا ممزقة، وكنّا منهكين من التسلق على الصخور وعلى الخرائب[٣]. يوجد هنا الكثير من خرائب الكنائس، بعضها تاريخه عريق يعود إلى عصور المسيحية الأولى. فاجأنا أهل هذا الموضع المنعزل بقولهم لنا: نحن كلنا فرنسيون، وبما أننا إنكليز وبروتستانت رفضوا بيعنا الطعام لنا أو لدوابنا. ولكن لغز المفاجأة زال بظهور كاهن يسوعي

---

[1] يطرح ما يرويه طومسون عن حال بلدة عكار بعد مرور أكثر من قرنين على قيام فخر الدين بتدميرها وتشتيت أهلها، في معرض قضائه على سلطة آل سيفا، سؤالاً حول جذرية التدمير وهوله. كما يطرح سؤالاً آخر حول قصور السلطات العكارية في حينه في إعادة إعمار المنطقة التي بعد أن كانت بلدة عكار، عاصمتها، عامرة هي وجوارها بالطبع، أصبحت يقتصر ساكنوها بعد قرنين على تدميرها على حوالي ثلاثين عائلة فقط. ويعني ذلك من ضمن ما يعنيه أن مجتمع عكار العتيقة وجوارها (ومن ضمنه القبيات) مجتمع حديث نسبياً، أي مجتمع تجدد بعيد العام ١٨٤٥. ولربما هنا نجد تفسير صفة "العتيقة" الملازمة لبلدتي عكار والقبيات.

[2] هذا العنوان الفرعي من وضعنا (المترجم).

[3] من الواضح أن تومسون سلك ممراً غير معتمد، أو على الأقل هو ممر غير صالح للانتقال من بلدة عكار إلى القبيات. أم لعل تدمير وحرق عكار على يد فخر الدين أدى إلى تدمير القبيات أيضاً، وبالتالي اندثرت مع الزمن الطريق الواصلة بين الموضعين، وضاعت معالمها. أو أن الأمر أكثر بساطة: ضل الأب تومسون الطريق فسار خبط عشواء في مناطق صعبة المرور (المترجم).

استقر مؤخراً بينهم[1]. بيد أن هذا الرجل المحترم قد لا يكون المسؤول لوحده عن فظاظتهم، فهم كفلاحين موارنة فقراء لديهم الكفاية من القساوة تجاه البروتستانت بدون أي أيعاز خارجي[2].

٢٤ تشرين الأول: تركنا مخيمنا مع شروق الشمس، وبعد ٤٥ دقيقة وصلنا إلى قليعات العتيقة old Culaiyat (أي القبيات العتيقة)، المبنية بالبازلت الأسود، وهي في الغالب خراب[3]. الساقية في وادي القليعات[4] Culaiyat (أي القبيات) تصب في نهر عكار. صعدنا من القرية القديمة تلاً عالياً حاداً باتجاه شمالي- غربي، والماء على شمالي هذا التل يمر في النهر الكبير N. Kebeer. سلكنا منحدراً قاسياً على الصخور البركانية فأدى بنا في ٢٥ دقيقة إلى البيره Beri. هذه القرية هي عاصمة الناحية المسماة دريب Draib، والحاكم فيها عبود بك Abood Beg من عائلة مرعب Miriab. أخبرني البك بأن القصر يقع في موضع آثار قد تكون لدير قديم. وفي محاولة لرفع بعض الأنقاض في المكان عُثر على قنطرة فيها بقايا متنوعة ومنها عجول من النحاس كتلك التي عُثر عليها في مار مانوس[5] Mar Manos قرب عيات Aiyât. لقد حصلنا على هذه المعلومات صدفة وليس بنتيجة تحقيقنا، وبالتالي تستحق التصديق. ويظهر أن عبادة العجل سادت في جميع أنحاء هذه الجبال.

---

[1] منذ منتصف الثلاثينيات والآباء الكرمليون مستقرون في القبيات. فمن أين أتى هذا الأب اليسوعي؟ هل صدفت زيارة هذا الأب اليسوعي في لحظة وصول القس تومسون؟ أم أن هذا القس خلط بين الأب اليسوعي والأب الكرملي؟ أم هي لحظة في محاولة من اليسوعيين للإقامة في القبيات؟ (المترجم).

[2] لطالما كان التنافس بين قناصل الدول وإرسالياتها التبشيرية على أشده في لبنان خصوصاً وفي سورية عموماً، ومن أخص أشكاله التنافس بين الكاثوليك والبروتستانت، كانعكاس للمنافسة بين إنكلترا وفرنسا. يذكر ما قاله تومسون هنا بما قاله بعده بأكثر من نصف قرن رفيق التميمي ومحمد بهجت، مؤلفا كتاب "ولاية بيروت" الصادر عام ١٩١٦، عن مطبعة الولاية، في جزئه الثاني: "يُعثر في "منياره" و"القبيات" على بضعة أشخاص يتذرعون بمصاهرة بعض الأجنبيين ويتأكون على قدرتهم..." (ص ٢٨٢)، أو ما هو أهم: "أما السكان المسيحيون في عكار، فقد أضلتهم تلقينات الرهبان..." (ص ٢٨٥). (المترجم).

[3] لربما لحقها الدمار إثر تهديم بلدة عكار على يد فخر الدين (المترجم).

[4] من الملاحظ أن اسم قليعات يرد ثلاث مرات بصيغتين مختلفتين، وفي الألمانية يرد بصيغ ثلاث مختلفة. سنعالج اسم قليعات في نهاية نص تومسون، محاولين معرفة السبب في عدم استعماله اسم القبيات (المترجم).

[5] في حاشية سابقة عند ورود اسم مار مانوس، قلنا أننا سنعود إلى هذا الاسم. في النص الألماني يرد الاسم مرتين: أولاً، ص ٨١٤، فيأتي على صيغة Mar Maros، وهذه صورته من النص الألماني Mar Maros، وفي الصفحة ٨١٧ عل صيغة Mar Marôn، وهذه صيغته بالألمانية مع اسم بلدة عيات Mar Marôn bei Aiyât. من الواضح أن الاسم مكتوب بشكلين مختلفين. بينما يرد الاسم مرتين باللغة الإنكليزية في ص ١٨ و٢٠ وبصيغة واحدة Mar Manos، Mar Manos. ما يعني أن الاسم الفعلي هو مار مانوس. (المترجم).

زودنا البك بخيال ليرشدنا ويحمينا في رحلتنا إلى صافيتا. ولكنه فاجأنا بان جعلنا نسير ساعتين ونصف باتجاه الغرب تقريباً، بينما قلعة صافيتا تبدو للعين المجردة إلى الشمال. وكان طريقنا نزولاً مستمراً بين أكوام الحجارة المتراكمة على مدّ النظر، وفي كل الاتجاهات. وفيها ينمو بلوط مغضن قصير وسميك. هذه الأراضي الواسعة الغنية بالبلوط تشكل الميزة الرئيسية للمنظر الطبيعي، وهي تمتد من الاتجاه الجنوبي الغربي إلى الاتجاه الشمالي الشرقي على مدى عشرين أو ثلاثين ميلاً. في عمار البيكات Amar Beg-kat التي وصلناها بعد مسير ساعة ونصف، شاهدت عدة قبور من البازلت تستعمل اليوم كآنية للشرب عند النبع. هبطنا من هذا الموضع تلة قاسية الانحدار بين الصخور، ثم أعقبها نزلتين مماثلتين فبلغنا النهر الكبير عند الجسر المدعو جسر الشيخ عياش Sheikh Aiyash أو الجسر الجديد Jedeed. وكان قد بناه علي باشا من بيت مرعب، المتوفي قبل ١٧ عاماً. إنه بناء ممتاز بقنطرة كبيرة، وعليه تمر الطريق الكبرى من حماة إلى طرابلس. لقد كنا ملزمين على اتباع الوجهة الغربية كل هذه المسافة لتفادي الوديان السحيقة الهابطة عمودياً التي تقطع البلاد من الشرق إلى الغرب، وحيث لا يمكن عبورها. وعبر هذه الوديان السحيقة يشق النهر طريقه إلى السهل. يشكل النهر الكبير (إلوتيروس Eleutherus عند اليونان) الحدود الشمالية لناحية الدريب. وجنوبيه تقع ناحية جونيا Junia أو جومه Jumeh، التي يحكمها محمد بك، وثمة ناحية ثالثة أبعد إلى الجنوب باسم قيطع Kaîteh and Kaitah، وهي أيضاً تحت حكم مصطفى بك- الجميع من عائلة مرعب. تشكل هذه النواحي الثلاث عكار، وفيها على العموم ١٤١ قرية، ١٤١٥ دافع ضريبة من المسلمين Moslems (Mettawalies)، و٧١٠ من النصيرية، ١٧٧٥ من الروم، و٩١٠ من الموارنة. وإذا ضربنا مجموعهم أي ٤٨١٠ بخمسة نحصل على عدد السكان ٢٤٠٥٠. الحكام جميعهم الملتزمون Mettawallies، أما الشعب فهو أقنانهم، والكل يقدم صورة كاملة عن الاقطاع القديم الذي نراه في البلاد بكل رونقها الذي يشكل واجهة للفقر.

اتجهنا من الجسر الجديد نحو الشرق والشمال، فدخلنا سهلاً خصباً، وبعد نصف ساعة عبرنا جدولاً كبيراً اسمه مشاهير Mshahîr، في قرية باسم مديليه Medhĕleh، حيث رأينا مخيماً للعرب من غير الرحل، وبقربه تلة عريضة باسم

الجاموس Jamûs. تشير مديليه إلى الحد الغربي لناحية الشعره es-Shaarah الممتدة شرقاً إلى تلة الحصن. بعد نصف ساعة أخرى عبرنا رافداً آخر للنهر الكبير باسم نهر تل الخليفة Nahr Tel el-Khalîfeh، على مقربة منه تقح القرية النصيرية أرزونه Arzuneh. ومن هناك إلى الشمال وصلنا في ٢٥ دقيقة إلى نهر العروس N. Arûs. الرافد الأخير للنهر الكبير هو الذي سماه جوزيفوس النهر السبتي Sabbatic river of Josephus، والذي ينبع تحت دير مار جرجس، من نبع عظيم ينقطع، والمعروف باسم نبع الفوار[١] Nebâ el-Fuâr. كل هذه الجداول هي روافد للنهر الكبير، وكلها موضوعة بشكل خاطئ على الخريطة التي بمتناولي...

قليعات أم قبيات؟

كيف ورد اسم قليعات في النصين المنسوبين إلى القس تومسون؟

ورد اسم القليعات (القبيات) في النص الإنكليزي (الأصلي) لتومسون، في مرجعه: Bibliotheca sacra, vol., 5, N^O XVII, 1848 ثلاث مرات في صفحة واحدة (ص ٢١)، وذلك على الشكل الآتي: ١- قليعات Cûlaiât، ٢- قليعات العتيقة old Culaiyat، ٣- وقليعات Culaiyat. يختلف الشكل الأول عن الشكلين الأخيرين بأن الأول يشدد في حركة الحرف (û) والحرف (â) الأخير. بينما يغيب التشديد في الشكلين الأخيرين.

في النص الألماني[٢] الذي وضعه كارل ريتر في: Carl Ritter: Die Erdkunde von Asien, Band VIII Zweite Abcheilung, Die Sinai- Halbinsel, Palästina und Syrien, Dritter Abschnitt Syrien, Berlin, 1854 ورد اسم قليعات أربع مرات، واحدة في الصفحة ٨١٦، وثلاثة في الصفحة ٨١٧، وذلك على الشكل الآتي مع صورته المنقولة عن الأصل الألماني: ١- قليعات Kûlaiât (٨١٦) Külaiât، ٢- قليعات Kulaiât (٨١٧) Kulaiât، ٣- قليعات العتيقة Alt- Kulaiât (٨١٧) Alt-Kulaiât، ٤- قليعات Kuleiât (٨١٧) Kuleiât. هنا تختلف صيغة

[1] تقدم السيد تومسون Thomson بتقرير حول هذا النبع في: Silliman's Journal of Science, nov. 1846. EDS.

[2] تجدر الإشارة إلى ما قاله رينيه دوسو: "نحن لا نعرف (تومسون) إلا من خلال المقاطع التي نشرها عنه ك. ريتر في Erdkunde"، في مقدمة مؤلفه: Histoire et religion des Nosairîs, paris, 1900, p. XXIX

المرة الأولى بتشديدها حركة الحرف (û) علاوة على الحرف (â) الأخير الوارد في الضيغ الثلاث الأخيرة، بعكس الحرف (û) غير المشدد في الصيغ الثلاث الباقية؛ ولكن الصيغة الأخيرة استبدلت أول حرف (a) بالحرف (e). قليعات في النص الإنكليزي تبدأ بالحرف (C) بينما تبدأ في النص الألماني بالحرف (K). نستطيع القول أن جملة هذه الفوارق تعود لأخطاء مطبعية، خصوصاً في النص الألماني، بما فيها استبدال الحرف الإنكليزي الأول (C) بالحرف (K) في النص الألماني، مع ان الألمانية لا يعوزها هذا الحرف الذي يبدأ به اسم كارل ريتر Carl Ritter، إلاّ إذا كان الناشر استنسب التغيير لسبب يروقه ولم يُفصح عنه.

ولكن جميع حالات كتابة الاسم هنا تجمع على الحرف (L) في وسط الكلمة. ما يعني أن تومسون هو الذي كتب اسم قليعات عندما وصل إلى القبيات، واسم قليعات العتيقة عندما غادرها. هل سمع تومسون الاسم من الناس، من اهل البلدة أو الجوار؟ أمر مثل هذا مستبعد بالمطلق. فلو أن الناس كانت تسمي بلدتها القبيات باسم القليعات لبقي هذا الاسم حياً إلى اليوم. فالعام ١٨٤٥، تاريخ زيارة تومسون إلى البلدة وقضاؤه ليلة في ربوعها ليس من "عمر الملح". والذاكرة الجماعية كفيلة بالحفاظ عليه واستحضاره عند الضرورة. لا شك عندنا أن تومسون أخطأ في كتابة اسم قبيات فوضع مكانها قليعات، ولربما حصل الخطأ أثناء الطباعة. ولو أن موضع القبيات سُمي له باسم قليعات لكان ذلك لفت نظره لأنه دون اسم موضع القليعات Kulâât في سهل عكار قبل يومين من وصوله إلى البلدة. لا شك عندنا في خطأ كتابي ارتكبه تومسون أو في الخطأ المطبعي.

كما أن قرية قليعات واردة بجانب موقع قلعة القليعات في مسرد المواضع العكارية الذي وضعه إيلي سميث، في العام ١٨٤٥، حيث جاء فيه: القليعات el-Kulei'at، وخربة القليعات Khirbet el- Kulei'at يقيم فيها عرب، في سهل عكار. بالإضافة إلى ورود اسم القبيات في سياق ذكر مواضع جوارها[1].

[1] راجع: E. Robinson and E. Smith: Biblical Researches…, vol. III, 1841. راجع أيضاً على موقع القبيات على الإنترنت، تحت عنوان منتخبات التواريخ والآثار...: "عكار منذ حوالي القرنين".

ولكن الذاكرة المكتوبة أيضاً تؤكد ان الموضع الذي سماه تومسون قليعات هو قبيات. ففي عريضة مقدمة قبل أكثر من خمس سنوات على زيارة تومسون، في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٤٠، رفع أهالي القبيات عريضة إلى "البادري اغناطيوس وكيل عام المرسلين الكرملتانيين" في روما يرجونه فيها إبقاء "البادري اليشع كرملتاني" في القبيات، وكانت موقعة كالآتي: "راجين الدعا اهالي قريت القبيات في بلاد عكار"[١]. ولقد اعتمد الآباء الكرمليون اسم البلدة القبيات في العام ١٨٣٦، ففي النبذة التاريخية الموضوعة من قبلهم حول تاريخ إرساليتهم إلى المنطقة يرد بوضوح أنهم أسسوا ديراً في القبيات[٢]. هذا فضلاً عن أن اسم القبيات وارد قبل ذلك التاريخ بكثير في السجلات العثمانية[٣] منذ إحصاء العام ١٥١٩.

ماكس فان برشم Max van Berchem وإسم وموقع القليعات Villa Coliath؟

كان ماكس فان برشم أول من أثار إشكالاً حول هذا الموضع، وربط بين اسم القبيات والقليعات. فخصص في الجزء الأول من مؤلفه Voyage en Syrie لحصن القليعات الصفحات من رقم ١٣١ حتى ١٣٥. وأشار إلى الصعوبات في وضع تاريخ هذا الحصن. من هذه الصعوبات يعتبر أن إسم الحصن بالذات، القليعات، لا يسهل البحث. لماذا؟ لأنه توجد في سورية عدة حصون من الدرجة الثانية، جاءت تحت اسم الجنس (لا اسم العلم) "قلعة" "qal´a" (حصن) أو "قليعة" "qulai´a"، حصن صغير، "petite forteresse, fortin". صحيح أنه في حالتنا هنا يأتي الاسم بصيغة الجمع al-qulai´āt الحصون الصغيرة les fortins [(٤)]. هنا يحيلنا برشم إلى حاشية

---

[1] زودنا بنسخة مصورة عن هذه الوثيقة الأب الكرملي أوغسطين شدياق، من القبيات.

[2] "بناءً لالتماس من البطريرطية المارونية افتتح آباؤنا مقراً في منطقة عكار، في القبيات. كانت القبيات في حينه قرية صغيرة من ٨٠٠ نسمة، وكان عموم أهلها تقريباً من المسيحيين المنشقين، فاستطاع آباؤنا في قلة من السنين إعادتهم جميعاً إلى الإيمان الكاثوليكي؛ ولم تتوقف هذه العملية على سنوات التأسيس الأولى بل استمرت لفترة أطول تعيد إلى حضن الكنيسة العائلات المنشقة التي كانت تأتي إلى عكار لزراعة التوت...". المرجع: La missione Carmelitana in Siria، المصدر موقع القبيات على الإنترنت، الرابط: http://www.kobayat.org/data/religious_life/ex_religious/benedetto/benedetto.htm. ننصح د. فؤاد سلوم بقراءة هذه الوثيقة على ضوء مقولته: "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"، اللهم إلاّ إذا كان أكثر مصداقية، كيلا نقول صدقاً، من وثائق ومراجع الرهبنة الكرملية بالذات!

[3] عبدالله، جوزف: تحقيقات في تاريخ عكار والقبيات، مكتبة السائح، طرابلس، ٢٠٠، ص ١٤١-١٤٥.

[4]- راجع: Berchem et Fatio, Voyage en Syrie, Mémoires publiés par les menbres de I.F.A.O. du Caire, t.1, 1914, p. 132

رقم ٣، يقول فيها: "هل تعكس هذه الصيغة وجود عدة مواقع هي، من الأصل، منفصلة عن بعضها؟ إن موقع الحصن المكون من تلة منخفضة، وبشكل موحّد، لا يتناسب مع هذه الفرضية. ولعله ليس لصيغة الجمع من غرض غير تمييز هذا الحصن عن غيره من الحصون التي تحمل نفس الاسم بصيغة المفرد"(١).

ويضيف برشم: "يرد اسم Coliat(h)، كموضع، في الهبات التي قدمها كونت طرابلس، بونز Pons، إلى فرسان الاسبتارية، في ٨ شباط ١١٢٨، وفيها، هذا الموضع عبارة عن قرية أو مزرعة Villa، لا كحصن. وفي العام ١١٥٣ نجده أيضاً في الممتلكات التي يثبتها البابا لهؤلاء الفرسان. وفي هذين المصدرين يظهر السياق العام أن المقصود هو القليعات el-Qlē´āt. ولكننا لسنا واثقين من ذلك تماماً. فعلى مسافة ساعتين إلى الشمال من بلدة عكار... هناك بلدة مزدوجة اسمها قبيات Qubai´at (٢). ورد هذا الاسم مكتوباً Koubayat وVieux Koubayat في خارطة جليس Gelis، وKubajat و Alt Kubajat في خارطة بلانكنورن Blanekenhorn، وkoubaiyat في رحلة دوسو Dussaud الذي مرَّ فيها آتياً من عكار. ويتابع برشم: "أما في رحلة تومسون Thomson، فإن هذا الإسم يرد بشكل Qulai´at؛ وفضلا عن ذلك ثمة تفصيل مثير للغرابة، إذ يقدم السكان أنفسهم للرحالة الأميركي بانهم من أحفاد الفرنجة (الفرنسيين)، وهذا ما يدل على أن القرية قد لعبت دوراً ما في زمن الصليبيين"(٣).

مع نص برشم هذا بدأ الالتباس منطلقاً مما جاء عند تومسون، أي من هذا الخطا الكتابي أو الطباعي، بكل بساطة. وهنا أخطأ برشم في تفسير ما قاله تومسون، فأهل القبيات قالوا بوضوح أنهم فرنسيون لا فرنجة (فالإنكليز فرنجة)؛ وأوضح تومسون أن موقفهم جاء رداً على كونه بروتستنتياً وإنكليزياً، وربطه جزئياً بوجود كاهن يسوعي (هو في تقديرنا كرملي على الأرجح). يعني ذلك أن موقفهم لا علاقة

---

[1] - المرجع السابق، ص ١٣٢، حاشية ٣.

[2] - المرجع السابق، ص ١٣٣.

[3] - يحيلنا برشم هنا في الحاشية ٥ ص ١٣٣ إلى مرجعه: RITTER, Erdkunde, XVII, p. 816 et suiv. وفيه كُتب الاسم Kulaiât و Alt Kulaiât. إن وجود القبيات العتيقة Vieux Qubai´āt (أو Qubai´āt)، التي سجل تومسون آثارها البازلتية، يؤدي إلى نفس الاستنتاج.

له أو لدورهم في الحروب الصليبية، بل هو مرتبط في الصراع بين القناصل الأوروبيين، وفي التعبئة المتسعة بوجه البروتستنتية.
أمر آخر كان على برشم تجاوزه، كان عليه العودة إلى النص الإنكليزي لطومسون، لا الاكتفاء بما جاء عند كارل ريتر في: Die Erdkunde, XVII, p. 816 et 817.
انطلاقاً من تركيز برشم على ما جاء عند تومسون، طرح د. سيزار موراني إشكالية العلاقة بين قلعة القليعات، وقرية القليعات، وزعم أن هناك إصراراً على المماثلة بينهما من قبل الباحثين. واقترح أن قرية القليعات قائمة في موقع بلدة القبيات ولكن الناسخ الغربي أخطأ في كتابة حرف (b) فكتب مكانه حرف (l)، ما جعل اسم قبيات يبدو قليعات. نظرية خرقاء. ننصحه بقراءة إيلي سميث في المرجع المذكور، وبالعودة إلى جان مسكي Jean Mesqui: Forteresses Médiévales au Proche-Orient، حيث يقول أن القليعات كانت في زمن الهبة (١١٢٥-١١٢٧) قرية تحولت مع الاسبتارية إلى قلعة: "village de Qûleiî'at/ Coliath, qui fut plus tard le site d'un château Hospitalier". ومن ناحية أخرى، من المعروف أن قليعات واردة في سجل الضرائب العثمانية منذ العام ١٥٧١، كقرية في ناحية عرقا[1].

[1] خليفة، عصام: الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٩٣.

٨ - بعثة إلى فينيقيا

المقدمة

ترافق النشاط الاستعماري الفرنسي في المشرق مع النشاط العلمي في استكشاف الآثار. ولكن علينا التمييز جيداً بين الجانب العلمي والجانب الاستعماري أو التبرير والتمهيد له.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بتنا نرى الدبيلوماسيين الفرنسيين، لا سيما القناصل، مندرجين في البحث في الآثار، وفي ظل مرحلة "ملكية تموز" عُرف كثير من الدبيلوماسيين بلقب "القناصل الأركيولوجيين". ومنهم بونيون مكتشف الآثار البابلية في وادي بريصا.

في العام ١٨٦٠-١٨٦١ ارسل نابوليون الثالث حملة عسكرية إلى لبنان، بموازاة "بعثة إلى فينيقيا"، برئاسة إرنست رونان، لتقدم لها الحماية والدعم.

يُعتبر رونان أب الأركيولوجيا اللبنانية، خصوصاً من خلال أعمال بعثته المعروفة باسم "بعثة إلى فينيقيا" التي أجرت أوسع عملية بحث وتنقيب في الأثار على الساحل اللبناني والسوري.

ركزت "البعثة" أعمالها في نقاط أربع هي من الشمال إلى الجنوب: أرواد وجوارها، جبيل، صيدا، وصور. هذا بالإضافة إلى جولات استكشافية في مناطق جبل لبنان والجنوب والبقاع والسهول بين حمص وحماة والمنطقة الممتدة منهما إلى البحر المتوسط.

كان لعكار وجوارها نصيب ضعيف في اهتمام رونان، ولكننا لم نضرب صفحاً عنه، بل نعرضه هنا في تفاصيله.

ولقد وجدنا من المفيد أن ندخل في هذه المقدمة ما قاله عن عكار وجوارها أحد أبرز مساعدي رونان السيد لوكروا في مقال له بعنوان "رحلة إلى سورية"، وذلك لما فيه من بعض التفاصيل غير الواردة في الكتاب الصادر بعنوان "بعثة إلى فينيقيا"، بالإضافة إلى انطباعاته، فضلاً عن إقامته يومين في بلدة القبيات.

رحلة لوكروا إلى سورية[1]

(ص ٣٣) فينيقيا

إذا كانت مدن فينيقيا وأهلها يشبهون ما نراهم عليه اليوم فلا بد أنها كانت مدناً فقيرة والفينيقيون كانوا أسياداً بؤساء. وإني لأعتقد أن شعباً في العالم لم يبلغ انحطاطه هذه الدرجة الشاملة. لقد نسي الفينيقيون المعاصرون الفن والتجارة والملاحة، بل إنهم نسوا حتى الكتابة. فبالكاد تلجأ بعض قوارب الصيادين للاحتماء في موانئهم، وأقل نفخة ريح تخيفها وتعيدها إلى مكان انطلاقها؛ شعب الملاحين هذا يخاف من الماء. وإنه ليدهشنا كون الممالك المجهرية التي كانت تؤلف فينيقيا قد لعبت ذلك الدور التاريخي. كان القدماء يضخمون الأمور: فأصغر صخرة تبدو لهم جبلاً، وباقة من الأشجار غابة، وأربعة بيوت مهملة مدينة، ويجعلون بركة الماء الصغيرة بحيرة، وجداول ذلك الزمن تصبح كأنها أنهار، هكذا كانت الأمور رائجة. وإني لأعتبر أن فينيقيا تدين بشهرتها لحد كبير إلى خيالهم الجامح. فإما أن مؤرخي العصور القديمة قد اختلقوا كل شيء عنها، وإما أن سكانها قد تقهقروا بشكل غريب.

كان هدف البعثة العلمية بإدارة إ. رونان أن تجمع وتدرس كل ما له صلة بهذا البلد المشهور بقدر ما قلما هو معروف. (ص ٣٤) لم تكن المهمة سهلة: ففينيقيا هذه التعيسة، لطالما تعرضت للضرب والنهب والسلب مع كل عابر (الإسكندر في عدادهم) بحيث لم يبقَ لها سوى القليل مما لديها، وحتى هذا القليل المتبقي يبدو أنه لم ينتمِ إليها شرعاً، لكثرة ما أقتبسته أشور ومصر واليونان.

بدأت، في جبيل، أعمال التنقيب التي توسعت بفضل المساهمة السخية من الجيش (الفرنسي) إلى أربع مناطق معاً: صور، صيدا، عمريت (ماراتوس Marathus)، جبيل...

حوالي أواسط تشرين الثاني من العام ١٨٦٠، سرية من فوج المشاة القناصة السادس عشر (الفرنسي)، المواكبة للبعثة وهي بقيادة المقدم رئيس الحملة، دخلت

---

[1] المرجع: LOCKROY (E): “Voyage en Syrie”, texts et dessins inédits, Le Tour du Monde, Nouveau Journal des Voyages, vol. 7, 1863, 1ier semestre, pp. 33-64.

دخول الفاتحين إلى مدينة أدونيس المقدسة. ومنذ ذلك اليوم من العام ١٢٦٦ الذي هربت فيه الحامية المسيحية ليلاً عبر بوابة سرية في شمالي جبيل لم تشهد المدينة جنوداً فرنسيين. مرّ الجنود وفي الطليعة منهم نافخو الأبواق أمام مصطفى غنوم Mustapha Gannoum، الذي انحنى لدى رؤيتهم، وهو أحد الحكام الأربعة، والوحيد من بقايا حزب صلاح الدين القديم[١]...

(ص ٣٦) سكان سورية

لعل سورية البلد الوحيد من بين جميع بلدان العالم حيث يتجمع العدد الأكبر من الأعراق والأديان المتنوعة في أضيق مجال.

الموارنة، هؤلاء المسيحيون التابعون للكنيسة الرومانية، يسكنون خصوصاً في المنحدر الغربي للبنان بين بيروت وطرابلس، وإن كانوا ينتشرون مبعثرين في كل مكان. والدروز، أتباع دين مشهور جداً سره بخلوّه من أي دين[٢]، يقطنون المتن وحوران وبعض مناطق السلسلة الشرقية. المتاولة، مسلمون شيعة، أتوا من بلاد فارس، يمتدون إلى الجنوب، في قضاءي صيدا وصور حتى جوار عكا، وإلى الشمال في سهل بعلبك وعلى كل المنحدر الشرقي للبنان. أخيراً، من طرابلس حتى أنطاكية، هناك النصيرية، قوم المعرفة به ضعيفة، وهم منقسمون إلى عدة شيع أشهرها شيعة الحشاشين الذين يرأسهم شيخ الجبل. ثم هناك البدو والكرد والتركمان، وهم رحل على الدوام. ثم هناك اليهود، والأرمن الكاثوليك والمنشقون schismatiques، والروم الكاثوليك والمنشقون، والكلدان الكاثوليك والمنشقون، والمسلمون من العرق العربي والترك[٣]. جميع هذه الأعراق والأديان تختلط في هذا البلد، ولقد عاشت فيه جنباً إلى جنب طيلة قرون، دونما أن يتمكن التجاور والتساكن، إن جاز القول، من تخفيف الأحقاد المتبادلة.

---

[1] كلما دار حديث الغربي عموماً (والفرنسي خصوصاً) عن المشرق العربي عادت به الذاكرة إلى المرحلة الصليبية، مازجاً افتخار نجاح الغزو الصليبي بمرارة الهزيمة التي أصبح صلاح الدين رمزها. ولا بد أن حلم العودة مستمر في الغرب على الدوام (المترجم).

[2] موقف عنصري ممزوج بموقف سياسي. فهل هذا رأي الإنكليز مثلاً؟ (المترجم).

[3] يصنف الجميع تبعاً للمذاهب بالتفصيل، باستثناء السنة. والغريب أنه يستبعد العرب ضمناً من بقية المذاهب والأديان! (المترجم).

قوم المدن الساحلية مشرقيون، وهم على العموم حصيلة مزيج من العرب والإيطاليين واليونان والمالطيين. وهم هناك منذ أقدم العصور...
(ص ٣٩) العرب الذين أثارتهم كثيراً عمليات التنقيب كانوا يراقبونها بكل دقة، فلم يصدقوا أن هدفنا ليس البحث عن الكنوز. وعندما لاحظوا أننا نجمع من الحجارة القديمة أكثر مما نجمع من قطع الذهب، بدأوا بالسخرية، ثم صرّحوا علناً عن قلة تقديرهم لذكاء العاملين. ذات يوم بينما كان المطلوب رفع الغطاء الثقيل عن تابوت حجري أحضر العمال رافعة. لدى رؤيتها لم يستطع الحضور إخفاء اشمئزازه، وارتفعت أصوات السخرية المرة، والقهقهة المستمرة. اعتبر الموارنة الرافعة كآلة إطفاء، وبالتالي بدا لهم السعي لرفع حجر ثقيل بآلة إطفاء مدعاة لمنتهى السخرية. ولكن دهشتهم جاءت متعذرة الوصف عندما شاهدوا هذه الآلة التي يحركها شخص واحد تقلب قطعة الغرانيت الثقيلة. والجنود بدورهم، لكثرة ما سمعوا العرب يتحدثون عن الكنوز المخفية والثروات المطمورة، شرعوا بالبحث بحماس منقطع النظير. وكان برفقتي رقيب متقاعد يُدعى روبيّار Robillard، فإنه قال لي، بعد ثلاثة أشهر من التنقيب دون العثور على أي فينيقي يحتفظ بقطع نقدية من فئة ٢٠ فرنك : "لا تحدثني عن مقبرة بيبلوس خاصتك هذه؛ فلم يُدفن فيها غير المتسولين".

دور القناصل

يا لها من منطقة مثيرة سورية، ويا لها من سلطة غريبة أيضاً السلطة التركية. فهي المفروض بها تطبيق القانون تجدها بلا تأثير أبداً على البلد، بل تتركه كساحة صراع واسعة للدبلوماسية الأوروبية. فسورية فرنسية مرة، وإنكليزة مرة ثانية، وروسية مرة ثالثة؛ ولكنها لن تكون تركية أبداً. فمجرد قنصل، إذا ما تمتع بالجدية والحماس، يغير ببضع سنوات عقلية السكان ويستطيع اكتساب سلطة هي بالتأكيد أكبر من سلطة الباشوات، أي السلطة القائمة والمعترف بها.
لقد تغيرت الوسائل السياسية اليوم، في ما مضى غالباً ما كانت الوسائل الأعنف والأكثر غرابة هي مصدر النصر في هذه المعارك الدبلوماسية.
تمنح الحماية، أي نصف الجنسية، تقريباً لكل من يرغب بها. العربي، المحمي، يتخلص من قضاته الطبيعيين، وبذلك يلجأ إلى الأعمال البعيدة عن الاستقامة.

وعندما تقرر فرنسا التخلص منه ومعاقبته، إذا كانت هي التي اختارها لتمنحه الحماية، فإنه يلجأ إلى القنصلية البريطانية. وهكذا تسحبه إنكلترا من فرنسا، وبذلك يستمر المحمي في أعماله الفاضحة. وينتقل من ثم إلى روسيا والنمسا وإسبانيا وإلخ...؛ ثم يصبح ثرياً وهاماً ومعتبراً، وبالتالي يصبح قادراً على السخرية بدوره من الحكومة التركية ومن حماته وحمايتهم. لكل دولة رجالها وتراجمها وامراؤها ومقاتلوها أو خدمها، وعندما تستخدم إحداها عربياً قادراً على القيام بأمور كثيرة، تستخدم الأخرى واحداً قادراً على القيام بكل شيء. وعلى هذا النحو يستمر الجميع.
(ص ٤٨) انتهت عمليات التنقيب في جبيل، فحضر الطراد البخاري لو كولبير le Colbert، في ٣٠ آذار، لينقل سرية المشاة القناصة إلى جوار طرطوس، في الموضع الذي كانت تقوم عليه ماراتوس قديماً... وصلنا في نفس اليوم مع مغيب الشمس بعد أن مررنا قبالة طرابلس، وكانت أمام ناظرنا طرطوس وجزيرة أرواد المشهورة. سهل فسيح أخضر يمتد من شاطئ البحر حتى سلسلة صغيرة من التلال تحده من الشرق. وإلى الجنوب ترتفع قمم لبنان الشاهقة المكللة بالثلج حيث تسد الأفق. إلى الشمال تنتصب قلعة تمتد قاعدتها إلى البحر المتوسط: إنها طرطوس. أما جزيرة أرواد فهي مقابلها على بعد فرسخين من اليابسة، حيث تطل من البحر بيوتها الصغيرة التي تقارب الألف ومرفأها وأسورها القديمة، كما لو أنها نصف مدينة ما تزال ظاهرة بعد أن تعرضت للطوفان. وإلى البعيد في السهل نرى مشاهد غريبة وهائلة يتراءى خيالها في السماء الصافية. أرخت لو كولبير مرساتها على مقربة من جزيرة أرواد.
طرطوس وقمم الشرق يقطنها النصيرية، قوم من الفقراء، في صراع دائم مع السلطات التركية وإرهاب السوريين. وما أن توقفنا حتى وصلتنا أخبار غير مطمئنة: جاء من يخبرنا من أرواد أن النصيرية يعارضون نزولنا؛ ثم أنهم باشروا بزحفهم، وأخيراً أنهم حوالي ستة آلاف رجل يتخفون خلف كثبان الرمل على الشاطئ بانتظارنا. وبما أنه كان لا بد من النزول، تقرر أن الطراد يقترب صباح الغد ما أمكنه من الشاطئ فيكون جاهزاً لتمشيط الساحل بقذائفه، بينما سرية المشاة، حوالي مئة رجل، تتخذ موقعاً على تلة صغيرة معزولة، حيث يبدو الدفاع أسهل. وما أن تبلغ الموقع عليها البقاء فيه ثمانية وأربعين ساعة، في غضونها يذهب

الطراد ليأتي بالدعم. ولم تكد الشمس تبلغ الأفق حتى بدأت المناورة. اقترب الطراد ليقف على مسافة ٢٠٠م من اليابسة، وتم توزيع عبوات البارود على رماة المدفعية، وفتحت كوة السفينة فنزلنا منها إلى الزوارق. كانت الكثبان تحجب عنا الأرض تماماً. تقدمت السرية بصمت حتى المرتفع المحدد لها، ثم تسلقنا التلة ركضاً، وما أن بلغنا القمة حتى دوى صوت صارخ: "عاشت فرنسا!". نظرنا إلى تحتنا في السهل، فإذا بأرنب يدفعه هذا الصوت إلى التغلغل في العشب، شاهدناه يهرب إلى الشرق. كان ذلك هو الكائن الحي الوحيد الذي بدا لنا في الأفق...

(ص ٦٠) (لوكروا آتياً من حماة فحمص يتابع كلامه) كان علينا المسير ليومين بعد، وقضاء الليل في قرية صغيرة، القصر (الأقصر El-Okser)، حيث كدنا نموت اغتيالاً على يد حوالي أربعين بدوياً، قبل بلوغ سهل البقاع وأول تضاريس لبنان. وبعد أن تابعنا سيرنا جنوباً، رغبنا اجتياز لبنان والهبوط إلى الأرز على المقلب الآخر، ثم العودة ثانية إلى البقاع واجتيازه عرضاً حتى بعلبك.

استضافنا شيخ متوالي يقيم مع بعض الرعاة في عمق وادٍ، وأوقد لنا ناراً قوية بإشعال شجرتي أرز. هذا الجانب من لبنان مغطى بالغابات. والكثير من أشجارها قد حرقه في مكانه المتاولة...

وصلنا أخيراً إلى أعلى قمة في لبنان. يا له من مشهد رائع يمتد أمامنا: إلى الشرق، البقاع والسلسلة الشرقية؛ إلى الشمال، السهول التي كنا قد عبرناها والصحراء التي هي امتداد لها؛ إلى الغرب، الساحل وجبيل وطرابلس والبترون، وآلاف وديان لبنان، الأرز، وأخيراً البحر الأزرق الفسيح الغارق في السماء. أما الأرز (ص ٦١) فهذه خدعة. فبالكاد لا نجد ١٠ أو ١٢ شجرة أرز جميلة فعلاً وتستحق الإعجاب. وهي الضائعة في خضم هذا المشهد الهائل، لا تبدو فيه غير مجرد نقشة. وفي وسطها بنى الموارنة كنيسة. لو كانت في فرنسا لكنا فتحنا فيها مقهى. وفي اليوم التالي عدنا أدراجنا وبلغنا بعلبك[1].

---

[1] من الغريب أن مساعد إرنست رونان مرّ بالقرب من وادي بريصا، ولعله بات فيها عندما حدثنا عن الشيخ المتوالي الذي استقبله مع الرعيان في وادي سحيق، ومع ذلك لم يسأل عنها! ترى ألم يخبره رونان بما قاله له الحجار في مشنقة، عن بريصا والتماثيل الكبيرة والنقوش؟ والغريب أيضاً أن لوكروا لم يذكر مرج حين. فهل يفوته منظرها، إذ صعد الجبال وصولاً إلى مشاهدة الأرز، آتياً على ما يبدو من جوار الهرمل؟! (المترجم).

إلى جبل عكار

بعد يومين على مغادرتي اللاذقية، انطلقت من طرابلس إلى حصن السفيرة وجبل عكار ومنابع العاصي. حصن السفيرة الواقع في الجبل العالي شرقي طرابلس هو معبد يوناني قائم اليوم في موضع أجرد، على قمة مرتفعة. كل هذا القسم من لبنان الممتد من أهدن والأرز حتى قلعة الحصن، أكثر القلاع غرابة وأقلها معرفة بها، مليء بالآثار؛ ولا يوجد أي درب ليرشد من يجوبه، ما يضطر الزائر على سلوك ممرات الجداول ويخوض الغابات ويتسلق الصخور. حصن السفيرة محفوظ بكامله تقريباً. ولعله كان صغيراً وبسيطا: كانت تكفي لزينته الخارجية بعض الأعمدة الناتئة في أعلاها.

جبل عكار الذي دخلته في اليوم التالي تغطيه الغابات الكثيفة التي تقطعها الوديان الضيقة، وتتخلله الأنهار وممرات السيول، وهو موضع مهجور ووحشي تماماً، لم يزره الرحالة أبداً. ويكاد لا يتجاوز من قصده من الأوروبيين غير اثنين أو ثلاثة. تهبط الجبال في الوديان عمودياً كأنها الأسوار؛ ويغطي الثلج القمم حيث تتساقط منها شلالات تتلاشى بين الأشجار. لا يوجد في سورية نظير لهذا الموضع، هنا لا وجود للمنحدرات الحادة الجرداء والمزروعة بالحجارة، بل يوجد على العكس غابات، وأشجار شاهقة الارتفاع، والخرنوب والجميز، والعنب البري المتسلق على الأغصان مغطياً اشجار السنديان بقباب من الخضار تحرمه من الهواء وتخنقه أحياناً؛ ويحجب الياسمين البري الأدغال تحت (ص ٦٢) خمار أبيض؛ والسرو ينبت جنباً إلى جنب مع الليمون؛ وتكثر فيه الأزهار بكثرة الأعشاب؛ وورود برية ونباتات معترشة وبخور مريم ونباتات زاحفة؛ نبات أوروبا ونبات آسيا يجتمعان في الوهاد حيثما توفر لها قليل من الضوء ومن الماء.

(يومان في القبيات[1])

سكانه المتفرقون، على قلتهم من النصيرية والمتاولة والمسيحيين أو المسلمين، يعيشون في بعض مواضع هذه المناطق المعزولة. اللصوصية فيه منظمة على نطاق واسع. هناك من ينهب، وينصب الكمائن، ويقتل. وقلما يخرج السكان من

---

[1] هذا العنوان الفرعي ليس من وضع المؤلف، بل من وضع المترجم ، ما اقتضى التنويه.

جبالهم: لا تتوفر لهم الطرق للتواصل مع بقية سورية؛ منعزلون في الغابات فقلّما يسافرون، وبالكاد وضعوا بعض جذوع الأشجار على الأنهار الكبرى كجسر للعبور. بيد انه في وسط هذه المنطقة، في القبيات coubaïat، ثمة راهبان أحدهما من نيس[1] Nice والآخر من أريزّو[2] Arezzo أتوا إلى هنا لبناء دير يعيشون فيه لوحدهما. بقيت يومين عندهما، فوجدتهما لا البعد عن الوطن ولا بؤس منفاهما الإرادي ولا اختلاطهما المستمر بالعرب قد أضعف من لطافتهما الودودة، من هذه اللياقة المرهفة التي تميز في كل مكان الإكليروس الإيطالي.

عدت من جديد إلى قلعة الحصن، ومنها إلى الشرق في السهول المحيطة بحمص، ومن ثم في الصحراء...

ثم عدت إلى البقاع، وبلغت منبع نهر العاصي عند سفح لبنان، ينطلق من حوض عميق تظلله أشجار باسقة. يبدأ النهر كسيل مندفع في الربيع... على مسافة قصيرة منه ينتصب في السهل النصب المعروف باسم قنليس[3] الهرمل Kanlis-el-Hurmul، قاموع الهرمل. يستند إلى قاعدة من خمس درجات ويتألف من ثلاثة أجزاء: مكعبين فوق بعضهما وهرم. عند كل زاوية منه يوجد عمود، وعلى كل أوجه المكعب الأول نقش تمثال. يبدو أن هذا النصب البالغ الأهمية يعود إلى الزمن الروماني. ثمة مجموعة من المغاور تحمل اسم مار مارون موجودة في وادي نهر العاصي، على مقربة من منبعه. يشكل ذلك داراً بثلاثة طوابق مفرغاً بكليته داخل الجبل؛ نوافذه وأبوابه وخزائنه وأدراجه كلها محفورة بعناية كبيرة في الغرانيت. وكل ذلك اليوم مهجور. وبعد ان اجتزت لبنان مجدداً[4]، قضيت يومين في طرابلس، ثم صعدت إلى الجبل المسيحي.

في تنورين صادفت البطريرك الماروني في جولة رعوية، ممتطياً بغلة بيضاء، مرتدياً ثوباً أحمر، ويتبعه الأساقفة. كان يتجول في كل البلاد وسط ترحيب الشعب المتجمع على طريقه. كانت المنحدرات والدروب الوعرة والصخور مغطاة بالبشر؛

---

[1] مدينة فرنسية، ثاني مدينة بعد مرسيليا في منطقة بروفنس ألب Prvence-Alpes. (المترجم).

[2] اسم مدينة إيطالية هي عاصمة مقاطعة أريزو في توسكانة. (المترجم)

[3] لماذا كتب اسم قاموع الهرمل على هذه الشاكلة مع أنه وارد في نص "بعثة إلى فينيقيا" بشكله السليم Kamoa el-Hurmul.

[4] مرة أخرى لا يأتي على ذكر وادي بريصا والنقوش البابلية فيها، (المترجم).

وكانت الوديان تردد صدى طلقات البنادق ودوي الهتافات. تناول البطريرك طعام الغداء في تنورين: قدموا لنا خروفين محشوين بالرز. أما الخبز الموضوع تحت الطاولة، تبعاً لعادة البلاد، فقد كان بمثابة وسادات تحت أقدام الضيوف العارية...

نص إرنست رونان[1]

(ص ١١٤) ليس لدينا غير القليل من المعطيات لنضيفه إلى تلك المعروفة عن السهل الواسع والمقفر الممتد من عمريت Amrit إلى طرابلس. فآثار هذه المنطقة من أكثر آثار سورية عمقاً وأكثرها صعوبة في استكشافها. لقد نجم تخلف سورية دوماً عن هؤلاء البدو اللصوص (أكراد، (ص ١١٥) عرب، إلخ) الذين لم تتمكن أي إمبراطورية من إخضاعهم. وإذا كان الجبلُ قد حفظ الساحل الممتد جنوبي طرابلس من غزواتهم، فإن شيئاً لا يقف عقبة بوجههم ما أن يدخلوا الفرجة القائمة عند طرف جبل عكار، حيث كانت هذه العشائر تصل إلى البحر كالسيل الجارف. بيد أنه تندر المناطق المشابهة لهذه المنطقة بما حبتها الطبيعة من مزايا. ففي كل مكان منها تغطي الأرض طبقة سميكة من التربة الخصبة، كما يخترقها الكثير من مجاري المياه، أهمها النهر الكبير. إنه من أهم أنهار سورية، وهو المعروف قديماً باسم إلوتيروس Eleutherus. كما سماه البحارة اليونان إلفليتوس Elfletos، كتصحيف لاسم Ἐλεύθερος ([2]). إن مثل هذه العناصر في خصوبة الأرض، ومزايا الموقع الجغرافي الذي يربط هذه المنطقة عبر وادي النهر الكبير (البقيعة) بسورية الداخلية (البقاع)، لمما يُفسر أسباب نشوء المدن العظيمة الأهمية، منذ أقدم العصور في هذه البقعة. وإزاء كل خطوة يخطوها المرء يجد أمامه العاديات والآثار. ولقد كانت دواثر المدن المهجورة، لعدة قرون خلت، مواقع منها توفرت المواد اللازمة لما بناه الفرنجة والمسلمون في مناطق طرطوس وطرابلس.

ومما لا ريب فيه أنه علينا أن نحدد في هذا السهل موقعي اثنين من أقدم المدن في العالم، وهما مدينتا سمرة צמר وعرقة ערק اللتان ورد اسما من سكنهما في الفصل

---

[1] مصدر هذا النص المترجم: Ernest RENAN, Mission de Phénicie, Paris, 1864, (Chapitre IV, Environs de Tortose..., p. 114-128). (المترجم).

[2] أدين بهذه المعلومات وبكثير غيرها مما يتعلق بمنطقة طرابلس إلى السيد بلانش Blanche، نائب قنصل فرنسا في طرابلس.

العاشر من سفر التكوين، إلى جانب الأرواديين. ولقد ظهر اسم السماريين في مرحلة لاحقة في سيميرا Simyra، التي يجب موضعتها على ما يبدو في موقع زمرة Zimreh أو سمرة Sumrah، بالقرب من النهر الكبير[1]. وليس هناك أدنى شك بوجوب البحث عن عاصمة العرقيين في عرقة أو قيصرية لبنان، فَتَلٌّ عرقة، الواقع على ٢٠ كلم شمالي شرقي طرابلس، يعتبر حقلَ آثار عظيمة[2]. ولا ريب في أن أهمية المدينة في العصر الروماني وفي زمن الصليبيين تستند إلى إرث يعود إلى زمن أقدم بكثير. (ص ١١٦) ولقد أخبرني الخوري السمعاني، من طرابلس، أنه لاحظ نقشاً في تل عرقة، بالقرب من قنطرة الجسر[3].

ثمة مواقع سكنية أخرى عديدة وُجدت سابقاً في هذا السهل الخصب[4]. منها مدينة واحدة، غير التي ذكرناها، بلغت شيئاً من الشهرة: إنها مدينة أرطوسية Orthosie. ويجب على الأرجح البحث عن موقعها في موضع أرطوسي Arthusi، على مسافة ١٢ كلم شمالي طرابلس، على شاطئ البحر، بالقرب من مصب النهر البارد[5]. لقد اندثرت كل أبنيتها، بل إن أرضها تعرضت للتنقيب على عمق كبير.

---

[1] ثمة موقع آخر باسم زمرة Zimreh، هو مدينة مندثرة تقع بين طرطوس والمرقب حيث يوجد قضاء زمرين Zimrin. ولكننا لا نستطيع أن نعين في تلك الناحية موضع سيميرا Simyra التي ذكرها سترابون، والتي يجب تعيينها بلا ريب في موقع مدينة צפר. Voy. Shaw, Voyages, II, p. 7; Movers, Die Phœn. I, 1, p. 115, note; Ritter, XVII, p. 65 et 880.

[2] Thomson, Bibliotheca sacra, V, p. 15-17.

[3] ثمة مدينة أخرى أشار إليها رونان (Mission, p. 111) يذكر سفر التكوين اسم مؤسسيها مع ذكره للصماريين والعرقيين، إنها مدينة السن وسكانها السينيون: "يعين بروكار (يسند رونان كلامه هنا، في الحاشية رقم ٢ من الصفحة ١١١، إلى: Rudimentum novitiorum, fol. 168 a, p. 29 de l’édition de M. Laurent, Leipzig, 1864) بالقرب من عرقة مدينة السن أو السينوشيس Syn ou Synochis التي ذكرها سفر التكوين" يتابع رونان في نفس المكان قوله: "إن مدينة بلدة Baldeh الواقعة بالقرب من قلعة راي السن Kalaat Rey el-Sein هي بالتوس Paltus القديمة". يهمنا الإشارة هنا إلى أن قرية "مزرعة بلدة" ليست بعيدة كثيراً إلى شمالي غربي موقع السن في عكار. فهل من صلة ما، ولو بالتسمية بين "مزرعة بلدة" وبالتوس؟ (المترجم).

[4] Thomson, Bibliotheca sacra, V, p. 14-15.

[5] Shaw, loc. cit., Ritter, p. 805 et suiv.; John Kenrick, Phœnicia (Londres, 1855), p. 7-8 عين سترابون، XVI, II, 13, 15، أرطوسية شمال إلوتيروس، وافترضها معظم الطبوغرافيين أبعد إلى الشمال في الموضع الذي حددناه لها. ولكن بطليموس، Ptolémée, V, XV, 2، وضعها بصواب جنوبي مصب إلوتيروس، بل إنه يضع سيميرا بين هذا المصب وأرطوسية. ولقد سبق لنا أن بينا أنه من العبث مماثلة أرطوسية بطرطوس.

لم نقم بغير استكشاف مقتضب لجبل عكار الذي يلفت النظر، على العموم، بروعة طبيعته البكر وبسحره كمنطقة برية[1] أكثر مما هو بفعل ما فيه من آثار عظيمة. إن السيد لوكروا Lokroy هو الذي قام بجولة سريعة في هذه النواحي التي رسم معالمها، بعناية فائقة، في تقرير طوبوغرافي، السادة ضباط قيادة البعثة العسكرية إلى سورية. قبل هذه الأبحاث كان جبل عكار أرضاً مجهولة. سأقدم هنا بعض الملاحظات التي جمعها السيد لوكروا في هذه الجولة:

"بعد أن غادرت حوارة Hawara، متجهاً إلى عكار، مررت بقرية عدبل Debel ou Debaïl حيث عثرت على الكثير من الحجارة التي بدت بوضوح أنها قديمة. وإلى الأسفل، في النبي موسى، عثرت في قعر الوادي على بقايا أبنية على شيء من الضخامة، مستورة خلف أشجار الغابة؛ بيد أنه مع الأسف تم استعمال حجارتها في بناء قرية صغيرة، ولم أتمكن من العثور على غير بقايا عمود وبعض الحجارة المنحوتة.

"تحتوي منازل جبرايل Abraïl حجارة قديمة بالتأكيد. وفي بلدة عكار، ثمة من قادني إلى برج مبني بحجارة صغيرة، تعرفت فيه إلى بناء إسلامي الطراز بالنظر إلى شكل بابه ذي القوس القوطية، والمزين ببلاطات سوداء وبيضاء على التوالي.

آثار القبيات

(ص ١١٧) "تشكل القبيات Cobbaïet نوعاً من مركز لهذه المناطق النائية. بالقرب منها، في حلسبان El-lesbey، ثمة بناء شاسع قديم، بقي منه جداران. حجارته كبيرة جداً، ولا تحمل أثر الملاط، وهي مبنية بطريقة رائعة، فوجه الحجر المعد ليلتقي بحجر آخر مقعر قليلاً، مما يجعل الحجرين يتركان بينهما نوعاً من مجال فارغ، وهو محجوب تماماً عن الخارج خلف حافتي التقعير اللتين تتلامسان. لم أرَ بقايا أعمدة، ولكني لاحظت وجود كوة مربعة داخل الحائط كتلك الموجودة في قلعة صربا، يحيطها إطار من الطراز اليوناني.

---

[1] راجع: Thomson, Bibliotheca sacra, V, p. 19 et sui. مع ملاحظة أن أسماء العلم تعرضت للتشويه بفعل الكثير من الأخطاء المطبعية.

"ومن هناك اتجهت إلى مكان قريب، بوتويج Boutouedj، لأرى ما وُصف لي بأنه آثار مثيرة، فلم أجد غير منزل من الواضح أنه حديث البناء. وبينما كنت أتفحص الجوار لاحظت وجود حجرة عميقة محفورة في الصخر، ولكنها قليلة الأهمية".

انتقل لوكروا من جبل عكار إلى قلعة الحصن، ومن هناك بلغ وادي العاصي. ويتابع لوكروا: "وجدت في تل النبي مندوم[1] (مند) Tell el-Nabi Mindaum، على مقربة من قرية الأقصر (القصر) El-Okser كثيراً من بقايا الأعمدة، وَصَفاً متكاملاً من الأعمدة التي لم يبقَ منها غير القواعد. لم أجد في جوسية القديمة التي وُصفت لي بأنها موقعاً اثرياً[2] غير برجين بناؤهما غير متقن، ومن حجارة كثيرة الشبه بحجارة قلعة جبيل".

كان نصب الهرمل الشهير هو الغرض الأساسي الذي من أجله أرسلت السيد لوكروا إلى تلك النواحي[3]. وجاء السيد لوكروا من هناك برسم للنصب أفضل من تلك الرسوم الموضوعة عنه حتى الآن[4].

يقول لوكروا: "تم تصميم النصب المعروف باسم "قاموع الهرمل" Kamoa el-Hurmul بنفس مخطط قبب عمريت Amrit، ولكنه منفذ بمقاييس أكبر بكثير وبوسائل مناقضة تماماً. فالحجارة المستعملة هنا صغيرة، وبما أن الزمن لم يأتِ عليها كثيراً فإن مجموعها يبدو وكأنه حديث البناء نسبياً. يستند النصب إلى قاعدة مكونة من خمس درجات من الحجر الأسود. وهو (ص ١١٨) يقسم إلى ثلاثة أقسام: مكعبان فوق بعضهما، فوقهما هرم. ويوجد على كل زاوية عمود ناتئ خارج الزاوية، ويزين كل وجه من وجوه المكعب الأسفل نقش يمثل حيوانات وأسلحة وعدة للصيد. أما المكعب الأعلى فلا يزينه غير أعمدة قليلة البروز. وهذا النصب غير فارغ، ما تبيّناه بسهولة بحكم انهيار جهتـــه الجنوبية الغربية. قادتني مـــقارنة

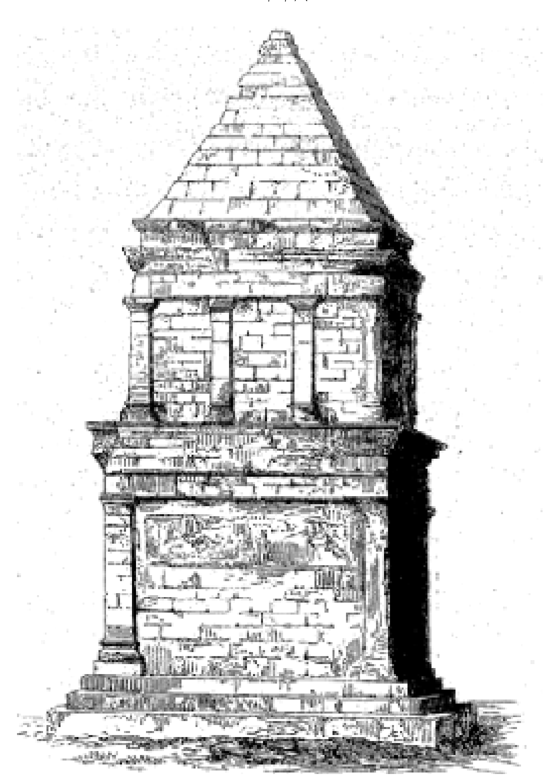
---

[1] هي لاذقية لبنان.

[2] هي باراديزوس Paradisus القديمة، حسب روبنسون Robinson.

[3] أخبرني أحد العاملين في تقطيع الحجارة في مشنقة Maschnaka أنه شاهد في بريصا Berisa فوق الهرمل نقوشاً وتماثيل ضخمة تمثل "رجالاً ونساء". فما هي بريصا هذه؟

[4] راجع: Thomson, Bibliotheca sacra, IV, 405; V, 695-96, et The Land and the Book, I, 362 et suiv. Robinson, Bibl. Res. III, 542 et suiv. Van de Velde, Reise, p. 389; Ritter, XVII, 161 et suiv. الرسم الذي يقدمه طومسون سيء. يبدو أن كاساس Cassas مرَّ في هذا الموقع، ولكن الرسم الذي وضعه لا يساوي شيئاً على الإطلاق.



قاموع الهرمل

النصب بمغازيل Méghazil عمريت بالطبع، إلى البحث عن مدخل لمدفن في الجوار. لم أعثر على شيء. وعلى العموم، بعد معاينتي المتأنية للنتوءات والأعمدة وطريقة تنفيذ النقوش والحجارة التي أظن أني تعرفت على أثر الملاط فيما بينها، بدا لي أن هذا الضريح لا يمكنه أن يعود إلى الزمن السحيق لنُصب عمريت".

إني أتبنى هذا الشعور تماماً. وبرأيي، أخطأ راولنسون Rawlinson عندما اعتبر نصب الهرمل ضريحاً (ص ١١٩) أشورياً قديماً[1]: إنه ما يمكن أن نسميه نصباً سورياً حديثاً néo-syrien، مبنياً في زمن حديث على الطراز العام للنصب القديمة في البلاد (هرم رباعي فوق مكعب). وإننا لنصادف نفس الأشكال في ضريح

[1] راجع: Ritter, XVII, 162. كان طومسون في البداية مؤيداً لهذا الرأي، Bibliotheca sacra, IV, 1847, 405، ولكنه عاد لاحقاً وجعل النصب في أيام السلوقيين. كما اعتبره دو فوريست de Forest من صنع أنطيوخوس سيديتيس Antiochus Sidétès: Journal of the American Oriontal Society, III, 356. راجع حول الآراء التي كونها العرب عن هذا النصب: Reinaud, Géographie d'Aboulfida, II, 62, note 1.

سمسيغراموس، بالقرب من حمص، وهو يعود إلى زمن الأنطونيين[١] Antonins.
نجد اسم هرمل هذا في لبنان، في موضع يُسمى الناووس Ναός، بالقرب من قرية شبطين[٢]. وهو يعني جمل chameau، هذا الاسم الذي كان يحلو لمخيلة العرب الغريبة أن تصف به القبور القديمة. وإني لأتساءل ما إذا كان هناك بعض الالتباس، وما إذا كان الاشتقاق الأولي للاسم هو من كلمة "هرم"، أو ما إذا كان الحرف ل نوعاً من أدوات التصغير، أو أن أصل هذا الحرف ل في أيل "إله".
"أظن أن مار مارون[٣]، الواقع على مقربة من "عين العاصي" إلى الجنوب، كان مجموعة من المغاور الطبيعية، تم نحتها بانتظام من الداخل، واستخدمت عبر عصور مختلفة، كمساكن أو كحصن. كان العمل في تفريغها هائلاً، ويذكر بالجهد المبذول في مغارة جبيل الكبيرة. وثمة بناء حديث نسبياً، تتخلله كوات للرمي يحجب المغاور كلياً، ويجعل الناظر من وادي العاصي إلى هذا المكان لا يرى غير حائط جديد تماماً يستند إلى الصخور. وبعد اجتياز نتوء وعر وصلنا أخيراً، باستعمال نوع من صقالة، إلى غرفة قدّرتها بعمق ٨ أمتار وبعرض ١٤ متراً. وهذه الغرفة مقسومة نصفياً بحاجز صخري ضخم. وعلى اليمين ثمة باب يؤدي إلى غرفة أخرى أصغر منها، ولكنها أفضل منها نحتاً؛ وهناك باب ثان في آخر الغرفة ينفتح على غرفة ثالثة بحجم الأولى، وتحتوي على بضع كوات، قوسها الأعلى عبارة عن عقد كامل بارز الملامح. وإلى يسار ونهاية هذه الغرفة نفسها هناك درج محفور في الصخر يؤدي إلى الطابق العلوي. وهنا ثمة ممر ينتهي بنوع من الصومعة حيث لاحظت وجود كوة. أخيراً، نصل بواسطة جذع شجرة، ومن خلال فتحة (ص ١٢٠) في سقف الممر، إلى طابق ثالث أوسع من الثاني، ولكن يبدو أن بناءه لم ينجز أبداً. كان يضم ثلاث غرف وبضع كوات. وهنا أيضاً فإن بناء النوافذ حديث، وكذلك عتبة الأبواب".

---

[1] Laborde, Voyage de la Syrie, pl. V ; Cassas, Voyage en Syrie, vol. I, pl. n^os 21, 22, 23, 23 bis. Cf. Corpus inscr. græc. n° 4511, texte qui répond aux chicanes du P. Bourquenoud, Etudes religieuses, hist. Et litt. publiées par des Pères de la société de Jésus, sept. oct. 1863, p. 844-845.

[2] يرى العقيد شيني Cheney أن عبارة الهرمل يُقصد بها اسم لقضاء: The expedition for the Survey of the rivers Euphrate and Tigris, I, 454.

[3] مغارة الراهب عند أبي الفدا: Reinaud, Géogr. d'Aboulféda, II, p. 62

بما أن كل منطقة طرطوس وطرابلس قلما هي معروفة، أرى من اللزوم أن أُدرج هنا لمحة تاريخية هامة، أعدّها لي كاهن ماروني من طرابلس، ينتمي إلى عائلة السمعاني المشهورة، وهو جدير بالاسم الذي يحمله لتذوقه العلم. إن تأكيدات هذا الكاهن المحترم قد تحتاج، في بعض المسائل، إلى التصحيح أو التدقيق، ولكن الدهشة ستأخذنا بالأحرى لأنه تمكن من الوصول إلى مثل هذه النتائج، باستناده إلى القليل من المصادر وفي ظروف غير ملائمة للغاية.

نبذة تاريخية حول أبرشية طرابلس الشام[١]

طرابلس: توفي الأمير بوموندو Baomondo عام ١٢٨٧. وكان قد بنى قصراً صغيراً في مقاطعة الكورة، استولى عليه لاحقاً الروم الأرثوذكس وحولوه إلى دير لرهبانهم، وهو لا يزال حتى الآن، وأطلق عليه اسم دير سيدة البلمند[٢].

عندما علم السلطان قلاوون بالمشاكل التي يعانيها الفرنجة في طرابلس زحف بجيش هائل، وكتب إلى والي دمشق حسن الدين لملاقاته بقواته. بدأ الحصار على طرابلس يوم الجمعة في الأول من شهر ربيع الأول، واستمر ثلاثين يوماً. وهكذا سقطت المدينة بعد هذا الحصار الدموي من قبل المسلمين، ومات فيه الكثير من الجانبين، وقتل كذلك الكثير من المسيحيين الذين جاؤوا من الجبال لمساعدة الفرنجة.

يقول المؤرخ ابن أيوب Eben-Ajub، وكان شاهد عيان: "اجتاز المسلمون على خيلهم البحر حتى وصلوا إلى جزيرة القديس توما، وكانت تعرف باسم جزيرة النخل، وهناك قتلوا الكثير من الرجال والنساء الذين هربوا إلى تلك الجزيرة، وأسروا البعض منهم، وأعطى السلطان أوامره بتدمير المدن الثلاث المكونة

---

[1] نشر رونان هذه النبذة التاريخية في مؤلفه Mission..., p. 120-128، وجاءت باللغة الإيطالية: Nota Storica, sulla diocesi della citta di Tripoli di Syria. وقامت بترجمتها إلى العربية الآنسة جوزفين عبدو مشكورة.

[2] يتم عادة اشتقاق هذا الاسم من: Belmonte, Beaumont. قارن بين ما جاء في Michaud et Poujoulat, Corresp. d'Orient, VI, p. 421-422 وما جاء في "كتاب الدر المنظوم، المنشور بالعربية للبطريك الماروني مسعد، مطبعة دير طاميش، ١٨٦٣، ص ٢٤٤.

لطرابلس. ثم تم بناء المدينة الجديدة في "وادي الكنايس"[1] (الكنائس) على مسافة ميل من مدينة طرابلس القديمة. وتم تحويل الكنائس إلى جوامع، وبقيت الأديرة على حالها (دون تدمير) وتحولت إلى مدارس لتعليم أبناء الأتراك[2]، وما تزال على هذه الحال حتى يومنا. وتم تحويل ممتلكات الكنائس إلى الجوامع والمدارس. استمر الفرنجة مسيطرين على طرابلس مدة ١٧٨ سنة. ومن هناك مرت جيوش المسلمين إلى جبل لبنان وكسروان، فدمروا وأحرقوا البلاد. لقد قُتل الفرنجة الذين هربوا للالتجاء عند مسيحيي الجبل، وقُتل مسيحيو الجبل الذين استقبلوهم وساعدوهم. هكذا جاء وصف الأمور عند المؤرخ المسلم.

بعد الحروب الصليبية صارت المدينة مقراً لمطران النساطرة، وكان يوجد فيها معهد تابع لهم. وفي هذه المدينة تابع ابن العبري، الكاتب السرياني الشهير بمفريان الشرق، دراساته. وبقيت في طرابلس كنيسة صغيرة للسريان، وهي الآن ملك الموارنة. وفيها أيضاً مزار على اسم القديس بهمان S. Bahaman، وذلك كما لاحظ نسيبي المونسنيور يوسف السمعاني في مجلداته الأربعة في روما والمشهورة بعنوان "المكتبة الشرقية" Biblioteca orientale.

طرابلس اليوم هي مقر الأسقف الماروني، المطران بولس مسعد؛ ومقر لأسقف الروم الأرثوذكس، المطران صوفرونيو، وهو من مواليد دمشق؛ ومؤخراً تعين فيها أسقف للروم الكاثوليك، المونسنيور إيوتنجي Iutungi، من مواليد حلب، وهو لم يستمر مقيماً في المدينة لقلة حجم رعيته.

ثمة آثار متنوعة في هذه المدينة، ولكن مرور الزمن أدى إلى تلفها. وأتلف المسلمون النقوش والكتابات والآثار الدالة على الأمراء المسيحيين، ووضعوا مكانها كتابات عربية، وفي وقت قصير غيروا واجهة الأبنية الكبيرة. ويبدو اليوم وجود الفن الهندسي الذي لم يكن معروفاً عند المسلمين. ويوجد فوق حمام شعار مكون من غزال إلى جانبه غزالين صغيرين يرضعان. وعلى واجهة هذا البناء الضخم الذي كان كنيسة نستطيع قراءة اسم القديس يعقوب S. JACOBUS منقوشاً بالحروف اللاتينية.

---

[1] هكذا وردت العبارة في أصل النص بالإيطالية وبالعربية معاً: Wadi-Elkenaies وادي الكنايس.

[2] تعني كلمة تركي، في لغة الموارنة الذين يحسنون اللغة الإيطالية، المسلم.

بالنسبة للعائلات المسلمة (التركية) لا توجد بينها عائلة عريقة في طرابلس. ولكن لا تزال توجد عائلة مارونية معروفة باسم البرنس، وهي لفظة فرنسية، ويُقال أنها عائلة قديمة موجودة منذ الحروب الصليبية.

الكورة: استمدت هذه المقاطعة اسمها من شكلها الجغرافي. ويسكنها حالياً المسلمون (الأتراك) والروم الأرثوذكس والموارنة والمتاولة أتباع علي. كانت هذه المقاطعة قديماً تابعة لولاية طرابلس. ومنذ حوالي ٤٥٠ سنة نقل إليها السلطان سليم من كردستان عائلة من الأمراء الأيوبيين، وولاّهم حكم هذه المقاطعة، ليكونوا سداً بوجه تعديات "أمير حمادي" (حمادة)، حاكم الجبل المشرف على طرابلس. ولقد احتل هؤلاء الأمراء الكثير من القرى وتكاثروا وازداد عددهم. وعندما جاءت عائلة "بيت العذار" استولت على قرية أميون، في ظل حكم الأمير يوسف شهاب، واضطر الأمراء الأكراد إلى التخلي عن نصف مقاطعة الكورة. وهذا ما أدى إلى قسمة الكورة قسمين: الكورة "كورة العالية"، والكورة "كورة التحتا".

الكورة التحتا بيد الأمراء الأكراد الذين افتقروا تدريجياً وصاروا مؤخراً فاقدي الوجاهة، وخسروا حكم المقاطعة. وكان مقرهم القديم راس نحاش في القلعة "القلع"[1] Ras-Necas nel Kalâ، وهم يملكون ثلاث كنائس مندثرة يعود بناؤها إلى زمن أباطرة القسطنطينية. وأفضل كنيسة توجد في قرية النخلة، وسُميت بهذا الاسم لأنها تقع في أعلى موقع في الكورة. ولقد احتفظ الأمراء الأكراد بلقبهم على الرغم من افتقارهم، وإلخ.

"الكورة الفوقة": تتبع حالياً حكام الجبل، وهي الآن بيد بعض وجهاء بيت العذار، وهم من الروم الأرثوذكس. يعود أصل هذه العائلة إلى رجل أتى من قرية "أزرع" في حوران، وسكن أميون عاصمة هذه المقاطعة، واستولى على كثير من الأراضي. وحصل من والي طرابلس على الحق في مشاركة الأمراء الأكراد في حكم مقاطعة الكورة، ومن ثم تقاسم معهم الأراضي، كما تقاسم السلطة.

اشتهر أحد هؤلاء الأعيان من الروم الأرثوذكس، وكان يُدعى باسم مرعب لشجاعته ومواهبه، ومن خلال حنكته حصل على حكم كل عكار من الباشا حاكم طرابلس،

---

[1] هكذا وردت هذه العبارة وغيرها (وضعناها بين مزدوجين) في العربية ضمن النص الإيطالي.

واستمر حكمه في عكار سبع سنين. هذه العائلة فقيرة حالياً، ولقد تكاثرت وازداد عددها، وكانت قد حصلت على حكم المقاطعة من حكام الجبل، وفقدت هذا الحكم بفعل الترتيبات الجديدة.

الزاوية: استمدت هذه المقاطعة اسمها من طبيعتها الجغرافية على شكل زاوية. يقطنها الموارنة والمسلمون والقليل من الروم الأرثوذكس. كانت سابقاً تابعة للحكم في طرابلس. ثم حكمتها عائلة حمادي، ثم استولى عليها حكام الجبل، وصارت بيد عائلة مارونية من "بيت الضاهر". وأصل هذه العائلة من قرية "بقوفا" التي هدمها الثلج الكثيف، وبعد ذلك حرقها سكان إهدن، وكان بعض الهراطقة اليعاقبة أتوا إليها من الزاوية، وأقاموا في قرية "كفرحورى" Kafarhaura، عام ١٦٠٠ ميلادي. وحصل أحدهم "الشيخ مخايل"، وكان قد صار مشهوراً، على حكم المقاطعة للمرة الأولى من الباشا والي طرابلس. وحافظ على حكم المقاطعة حتى يومنا هذا، وصار سيد الأراضي والأملاك في كل هذه المقاطعة حتى النهر البارد على حدود عكار. واشتهر من هذه العائلة المدعو كنعان باستعمال السلاح وركوب الخيل، فصار مضرب الأمثال. ولكن المسلمين حسدوه ووشوا به، فزجه والي طرابلس في السجن. ولم يكن قد ارتكب أي جريمة، ولكن بسبب أنه مسيحي. وأعدم بقطع رأسه في ٢ شباط ١٧٤٠، فأخذ المسيحيون جسده ودفنوه في طرابلس. وحتى الآن لا يزال حكم هذه المقاطعة بيد آل الضاهر، ولكنها أصبحت ضعيفة.

"**الضنية**": أصل اسم هذه المقاطعة يوناني: داناوس Danaos، ولا يزال فيها حتى الآن الكثير من الآثار والكتابات اليونانية القديمة، وفيها أيضاً معبد إلهة الصيد ديانا Diana Iddio، ولعله لذلك سُميت الضنية. وهذه المقاطعة كناية عن غابة للصيد، تقع ضمن سلسلة جبال لبنان. يقطن هذه المقاطعة مسلمون وموارنة وروم أرثوذكس. وتحكمها عائلة "بيت رعد"، وكانت قديماً تابعة لحكم الجبل، ولكنها تتبع اليوم لباشا طرابلس. وحكمتها عائلة "حمادى" لفترة طويلة حتى أيام الأمير "إسماعيل حمادى". لم يحفظ أولاده نهج أسلافهم في تأمين العدالة وصون الحرية. وبعد ذلك برز رجل من الضنية، حسين ديب، فتآمر عليهم، واضطر أمراء عائلة حمادى، بعد عدة معارك، إلى ترك المقاطعة. وقبل حكم الحماديين، وفي أيام حكم

"بيت صيفا" (سيفا)، جاء إلى الضنية السيد رعد من حوران، وصار صديقاً لعائلة سيفا الحاكمة في مدينة طرابلس. خدم رعد بيت سيفا بإخلاص لعدة سنوات، وكافأه هؤلاء بإقطاعه حكم الضنية. ومن هنا صارت هذه المقاطعة بيد بيت رعد، وهم حتى الآن حكامها المسالمون. وهكذا انتقل الحكم إلى ابنه محمد رعد، ومن بعده لأحفاده، وصاروا مالكين لكل المقاطعة، وأوضاعهم الآن حسنة.

عكار: كانت هذه المقاطعة في السابق تابعة لحكام الجبل. وفي زمن الأباطرة اليونان كانت مزدهرة، وانتشرت فيها المسيحية، كما يُستدل على ذلك من بقايا الكنائس القديمة، ومن خلال الأراضي الخصبة. كانت عاصمتها مدينة عكار، وهي اليوم قرية صغيرة يقطنها المسلمون وبعض المسيحيين، وفيها آثار مدينة كبيرة. سيطر عليها الصليبيون بعد معركة طويلة وضارية. ومن هناك انتقلوا إلى محاصرة مدينة "عرقا" القائمة على رأس السهل. دمرت الجيوش الإسلامية عرقة بعد محاصرتها لعدة سنوات، ولما لم يتمكنوا من إخضاعها أقاموا الحصون حولها وشددوا الحصار حتى أجبروا سكانها على الاستسلام. وبعد سيطرة المسلمين عليها دمروها تدميراً كاملاً، ولا تزال آثارها قائمة حتى الآن، حيث يوجد الكثير من الدهاليز، بالإضافة إلى جسر نهر عرقة. وثمة دهليز ينطلق من الجسر ويؤدي إلى قلعة المدينة. وهذه المدينة هي الآن مقر الأسقف الماروني المونسنيور جوزيف مارد Marid، النائب البطريركي.

هاجر مسيحيو هذه المقاطعة، مع الزمن، إلى جبل لبنان ليتحرروا من عبودية المسلمين. ولهذا يوجد فيها الكثير من آثار الكنائس القديمة. وحتى الآن ما يزال الكثير من مواضع هذه المقاطعة يحمل اسم هذا القديس أو ذاك. ولكن هذه المواضع هي الآن بيد المسلمين. يقطن هذه المقاطعة الموارنة والروم والمسلمون (الأتراك) والتركمان والأكراد والإسماعيليون والنصيرية والمتاولة والعرب الرحل.

يبلغ المسيحيون ثلثي عدد السكان. والثلث الباقي من الكفار الملحدين. كانت هذه المقاطعة تابعة دوماً للحكم في طرابلس. وفي ظل حكم "بيت صيفا" (سيفا) كان يحكمها مسيحي وأحياناً مسلم. وعندما سيطرت عائلة الأمير حمادى على الجبل، حكمت عكار أيضاً لعدة سنوات، واضطر باشا طرابلس، مع الوقت، إلى طرد عائلة

حمادى، فتآمر مع "الشيخ شديد مرعب"، وقام هذا الأخير وقتل فجأة عيسى حمادة، في دير "حماطورا"، في ٢٢ آذار ١٧١٤. فكان آخر حكام مقاطعة عكار من عائلة حمادى. وكافأ والي طرابلس شديد مرعب فولاّه حكم عكار.

عائلة مرعب كردية الأصل، من "أكراد الرشواني" التي كانت تعيش قبائلها بين مرعش و"بسناق" Posna. وترك أحد هؤلاء موطنه، وهو مرعب، وكان معه أشقاؤه، وجاء ليقيم في عكار. توفي الأشقاء وبقي مرعب لوحده. وصار معروفاً في المقاطعة. وتوفي عن ولدين، تامر وداود وهما اللذان تملكا عكار، وأصبحا مقربين من والي طرابلس. خلف تامر أولاداً حافظوا على اسم العائلة، وما زالوا معروفين باسم مرعب. وأبناء أخيه داود يُعرفون باسم "دواودة"، وهم الآن أغوات "بيري" (البيرة) في عكار. والمدعو شديد هو الذي قتل عيسى حمادى في حماطورا، وهو ابن مرعب. ومن أحفاده هناك باشا، وأبناء الباشا أصبح لقبهم "بيك"، ولهذا يوجد في هذه العائلة بكوات، وهم أبناء عم، وحصل مؤخراً محمد العبود على لقب بيك.

تكاثر عدد أبناء هذه العائلة، وتم تقسيم مقاطعة عكار لترضية الجميع، إلى ثلاثة أقسام: "قيطع"، "جيومي" (الجومة)، "دريب"[1]. يحكم حالياً كل بيك مع أقربائه قسماً من عكار. وأصبحوا أثرياء لأنهم تملكوا مع الوقت كل الأملاك ولا يدفعون الضرائب عنها. ولأنهم يلتزمون أراضي عكار بقيمة ٢٠٠ ألف قرش، بينما هم يربحون أكثر من ٩٠٠ ألف قرش. لقد قضى الحكم المصري على الكثير من بكوات وأغوات هذه المقاطعة، وصادر الأراضي والممتلكات ووزعها على الشعب المثقل بالديون، ما أفقر بعض البكوات والأغوات. ومنذ بضع سنوات، بعد سقوط الحكم المصري في سورية، عاد البكوات والأغوات إلى ممتلكاتهم، وعادوا إلى حالة جمع الثروة، وشرعوا بملاحقة المسيحيين الفقراء وسكان عكار. وهم يستولون يومياً على مواشيهم ويغزون بيوتهم ويفرغونها من محتوياتها، لدرجة أصبحت معها هذه المقاطعة السعيدة بهبات الطبيعة وخصوبة التربة، الأكثر بؤساً بسبب تعسف حكامها.

---

[1] هكذا وردت التسمية في النص الإيطالي وبالعربية: قيطع Kaiteh، جيومي Giumi، دريب Draib.

توجد حالياً، في هذه المقاطعة، إرسالية للآباء الكرمليين في قرية "قبيات" المارونية، كما يوجد في قرية "دير جنين" دير "مار جرجس دير جنين" للرهبنة المارونية.
لا تزال عكار تحتفظ بلقب مركز أسقفية للروم الأرثوذكس، وأسقفها هو المونسنيور جوزيف، واصله من يونيو ionio، ولعدم وجود مقر ثابت له فهو يتجول داخل رعيته.

"**شعرة الدنادشة**": كانت هذه المقاطعة تابعة لإقليم الحصن ولحكم طرطوس. لا تأتي الأخبار القديمة على ذكرها، ولا يوجد فيها من الآثار غير دير قديم بني في زمن الروم. يقطن هذه المقاطعة الآن المسلمون والموارنة والعرب والنصيرية وبعض التركمان. وتعرف اليوم باسم "شعرة الدنادشة"، أي غابة الدنادشة، لأنه منذ ما قبل ١٥٠ سنة جاءها رجل يدعى دندش، وعاش هناك، وصار معروفاً بشجاعته وجرأته في جرائم القتل التي ارتكبها. وهو من أقارب مرعب. إلاّ أنه ينتمي على الأرجح إلى إحدى قبائل العرب الموالي التي جاءت لتقطن المنطقة التي عُرفت باسمها. يحمل كل أبناء دندش وأحفاده لقب آغا. وهم ينقسمون إلى بيت إبراهيم، وبيت حسن، وبيت حمود الذين يتقاسمون المنطقة. لقد تكاثروا، وهم يتدربون من صغرهم على أعمال الفروسية وأساليب القتال واستعمال الرماح وسواها. ويحكم هذه المقاطعة الآن محمد العثمان من بيت إبراهيم الذي يملك أغلبية المقاطعة تقريباً، ويعيشون حياة شبيهة بحياة العرب، وهي كناية عن امتطاء الأحصنة بشتى أنماطه، ويشبهون البدو القدماء.

صافيتا: يقطن هذه المقاطعة الكبيرة والخصبة النصيرية والروم الأرثوذكس والموارنة. تعيش أمة النصيرية منذ زمن بعيد فيها، أي منذ الحروب الصليبية. ولكن المسيحيين كانوا يقطنون فيها سابقاً، وكانت مزدهرة بدليل الآثار الباقية من الأديرة والكنائس والقلاع، وهذه الآثار ما تزال قائمة الآن. وتوجد الآن آثار قلعة "المحاش" Mohasci و"برج عرب" وقليعة "ميعار" وحصن "يحمور" و"العريمة" و"برج الدنادشة" و"قلعة الزارة". أما آثار الكنائس فمنها، آثار كنيسة "شالوح" و"دير سمكه" و"كنيسة البويضة" وكنيسة السيدة العذراء في "كفرون" ودير مار الياس ومار جرجس. وهناك أيضاً آثار القديس سمعان العمودي، الذي بناه الأباطرة الرومان.

تدل كل هذه الآثار على أن هذه المقاطعة كانت كثيرة الازدهار، وكان يقطنها المسيحيون. وعلى ما يبدو من كتابات ابن العبري في كرونيكون Cronicon فإن النصيرية هم من بقايا جيوش المغول، وهذا ما ذكره نسيبي المونسنيور يوسف السمعاني في "المكتبة الشرقية" الشهيرة. لم يكن لهذه الأمة مبشرون ولا كهنة، وفقدت مع الوقت كل المبادئ الدينية السابقة. وديانتهم غير معروفة الآن، ولكنهم يقيمون بعض الاحتفالات خلال العام، مثل عيد الميلاد على التقويم القديم، وعيد الفصح. ويقيمون قداساً مرة في السنة حيث يستعملون الخبز والنبيذ، وهم يؤمنون بالتقمص، وليس عندهم لا كنائس ولا احتفالات دينية. وكل كريم ومضياف يكون قديساً كبيراً بنظرهم، ويبنون له مزاراً.

ينقسم النصيريون إلى خمس قبائل أساسية اشتقت منها القبائل الأخرى. الأولى قبيلة "خياطين"، ومنها تفرعت عشائر: "عيدية" و"فقراوي" و"حلبية"؛ الثانية هي قبيلة "رسلان"، ومنها تفرعت عشائر: "نواصرا" و"جهني" و"رشواني"؛ الثالثة قبيلة "حدادين"، ومنها تفرعت عشائر: "قرحالي" Korâli و"ياشوتي" و"عتاري" و"بشلاوي" و"عامودي" التي اتخذت اسمها لإقامتها في منطقة فيها آثار دير مار سمعان العمودي؛ والرابعة قبيلة "المتاورا"، ومنها "تمليية" و"بشراوي"؛ والخامسة قبيلة "بيت الأعرج" التي لم تعرف فروعاً لها. لهذه القبائل قادة دينيون ومدنيون تحترمهم رعيتهم وتطيعهم، وفي حال العصيان يتم إقصاء العصاة عن القبيلة بقرار ملزم، ومن يصدر بحقه قرار الإقصاء يتم التعامل معه كغريب عن القبيلة.

يحكم هذه المقاطعة زعماء القبائل في الغالب، ويتم تعيينهم من قبل حاكم طرابلس. ولكنه بعد حوادث إسماعيل بيك الأخيرة تسلم هذه المقاطعة حاكم تركي، ولكنه لم يتمكن من قمع الأشرار.

الحصن: استمدت هذه المقاطعة اسمها من وجود حصن فيها، والقلعة ما تزال بحالة جيدة. لقد بناها الصليبيون، وفيها حتى الآن نقوش النبلاء، وعلى مقربة منها دير مار جرجس للروم الأرثوذكس. يتبع الحصن حماة[1] Apamea، وبالتالي باشا دمشق. سكان الحصن هم نصيريون وروم أرثوذكس وقليل من المسلمين. يعيش

[1] خطأ، حماة هي إبيفانيا Epiphanie القديمة؛ (رونان).

المسيحيون في واد خصب هو وادي النصارى. ويحكمها زعماء النصارى، وفيها حاكم مسلم في القلعة، وأحد المسيحيين في وادي النصارى. والمسيحيون هناك يفرضون احترامهم على الآخرين. وأسقف هذه المقاطعة هو نفس أسقف عكار.

طرطوس: مقاطعة مشهورة منذ القدم، وطرطوس مدينة فينيقية تدل آثارها على عظمتها. يعيش فيها حالياً المسلمون وقليل من المسيحيين. توجد فيها كنيسة كبيرة بنيت على يد الرسول بطرس، كما يُستدل من النقوش الموجودة فيها. ومنذ تسعة أعوام تم احتلالها من قبل المسلمين، ولكونها معروفة جيداً فلن أطيل الكلام فيها. توجد فوق هذه المدينة قرية مارونية تابعة لأبرشية طرابلس، وهي قريبة من جزيرة أرواد التي سطا عليها الفرنجة عام ١٣٠٢ وأخذوا منها بعض الأسرى. يعيش في هذه الجزيرة حالياً مسلمون فقط، وفيها بعض الآثار القديمة.

جبة بشري: هي عاصمة جبل لبنان، حيث يوجد شجر الأرز، وتتبع غالبية هذه المنطقة إلى أبرشية طرابلس، والباقي لأبرشية جبيل والبترون. عانت هذه المنطقة كثيراً، ويقطنها الموارنة فقط. وفيها ديران مشهوران. الأول، دير قنوبين، مقام البطريرك الماروني، وهو مشهور منذ ما قبل الأباطرة اليونان. والثاني هو دير مار أنطونيوس. وقرب قرية إهدن هناك مار سركيس، وفيها مأوى للآباء الكرمليين قرب بشري. ومنذ زمن الأباطرة كانت هذه المقاطعة مقراً لأمراء الموارنة المعروفين في التاريخ العثماني، على ما جاء عند السمعاني. وخاض هؤلاء الأمراء عدة حروب ضد الأباطرة وضد المسلمين، كما يتبين من حوليات "بطرك اسطفان الدويه" (البطريرك اسطفان الدويهي). وبعد حكم الأمراء تولى هذه المقاطعة حكام باسم "شدياق". وخاضوا عدة معارك ضد المسلمين وحكام طرابلس. وبعد هذه الحروب، صار حكامها يعرفون باسم "مقدم". دام حكم المقدمين عدة قرون، وحاربوا كثيراً ضد المسلمين وباشوات طرابلس، وأخيراً أمراء "بيت حمادة" الذين حكموا هذه المقاطعة لقرن من الزمن. ولكن مؤخراً، وبعد أن أساء أبناء "إسماعيل حمادة" التصرف مع السكان، اضطر المسيحيون إلى التآمر عليهم، وبقوة السلاح حرروا أنفسهم من نير هؤلاء الكفار، وتعيين بعض وجهاء المسيحيين كحكام لهذه

المقاطعة. ولقد قسمت هذه المقاطعة إلى ثلاث مناطق، ولا يزال هذا التقسيم سائداً. والمقاطعة تابعة لحكم الجبل. هذا باختصار ما يتعلق بأبرشية طرابلس الشام.

منطقة طرابلس

(ص ١٢٩) لا يمكن مقارنة طرابلس، من حيث قيمة العاديات فيها، بصيدا وصور وجبيل وأرواد. والأهمية الكبرى التي بلغتها المدينة في العصور الوسطى قضت تقريباً على كل العاديات السابقة. ولم يُعرض علينا فيها أي أثر قديم، اللهم غير جدار ضخم في الميناء وبعض الأعمال في الصخور المعتبرة حتى الآن بمثابة حمامات، ولكنها في الواقع خزانات للمياه أو مجرد خزانات غلال مخروطية الشكل، شبيهة تماماً بما عثرنا عليه في جبيل بالقرب من البحر. عُثر من فترة قريبة على تمثال في المرفأ، لم نتمكن من رؤيته. ولا جود فيها لنقوش قديمة.
من المعروف أن طرابلس كانت بمثابة مدينة مشتركة للمحالفة الفينيقية، وكان لكل واحدة من أهم المدن الفينيقية حيّ (بلدة) خاص بها في المدينة[١]. ولكن مواقع هذه الأحياء التي منها اشتق اسم طرابلس مجهولة تماماً اليوم.
إن أهم أثر مثير في الجوار القريب لطرابلس نجده في الموضع المسمى كنز-أمور[٢] Kenz-Amour. وهو عبارة عن مقبرة بدائية للغاية، لا اثر للزخرفة فيها، ولا أمل بالعثور على أي نقش في بقاياها القديمة الخالية من أي تاريخ أو دلائل على طراز فني ما. تمتد المقبرة على طبقات صخور متراكمة فوق بعضها بانتظام تقريباً، كأنها طوابق متراجعة عن بعضها البعض. وسراديبها غير متناسقة وبأحجام مختلفة. ولا نظن باحتمال الحصول على نتيجة ما (ص ١٣٠)[٣] بالتنقيب فيها. ولكن ثمة فراغات غالباً ما لاحظنا وجودها فوق البواب، لعلها كانت معدة لوضع نقوش معدنية.

---

[1] راجع النصوص التي جمعها موفرز Movers وريتر Ritter.
[2] لم يحدد رونان موقعه، (المترجم).
[3] يشير الرقم ١٢٩ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

تحدث الكثير من الرحالة[1] عن أسماك كانت موضع احترام، بالقرب من طرابلس، في جامع صغير. لا شك أن في ذلك بقية من عبادة الأسماك المقدسة، وهي عبادة قديمة جداً في سورية، وكانت شعبية جداً[2]. ثمة من حدثني عن آثار في قمة جبل تربل. يبدو لنا الاسم مشتقاً على غرار اسم طرابلس بالذات. ويذكر بروكار Brocard قبراً بطول ١٢ قدماً، في مغارة في سفح الجبل، يعتبره المسلمون قبر يشوع[3] Josué.

يوجد في قضاء الضنية، شرقي طرابلس، موقع اثري بالغ الأهمية. إنه الموقع المعروف باسم حصن السفيرة، بالقرب من بلدة سير[4]، الذي قدم له لوكروا الوصف الآتي:

"يبدو حصن السفيرة مكوناً من ثلاثة معابد. اثنان منها مدمران تماماً، بينما بقي الثالث سليماً بكامله تقريباً. وبالنظر إلى حالة مدخله والإفريز الذي يزين قسمه العلوي يمكننا القول أنه بني للتو. فجميع حجارته في موضعها الأصلي، وزواياه البارزة ما تزال على حالها، وكأنما العمل فيها انتهى بالأمس القريب. يرتكز المعبد على ركن ارتفاعه بين ثلاثة أو أربعة أمتار؛ ولا نعثر على هذا الركن ولا أمام الواجهة أي أثر للأعمدة[5]. والمعبد عبارة عن مستطيل عرضه يعادل تقريباً نصف طوله. وحجارته ضخمة وجيدة النحت، ولا نرى بينها أثراً للملاط. يتقدم جداراه الجانبيان بضعة أمتار عن واجهته، وكان من شأنها أن تشكل سابقاً مقدمة للهيكل يؤدي إليها درج تغمره اليوم بقايا الواجهة. والمعبد على العموم بسيط جداً؛ تقتصر زخرفته الخارجية على بروز بعض أعمدته من الجدار بما لا يزيد عن ٥ إلى ٦سنتم على الأكثر. في واجهته ثلاثة أبواب، الوسط منها كبير وأعلى من الآخرَين، وإطاره بارز. والبابان الآخران أضيق منه وأقل ارتفاعاً، وبلا أي زخرفة. يؤدي باب اليسار إلى درج داخلي مبني في الجدار، ويفضي إلى الأقسام العليا من المعبد

---

[1] Laborde, G. Robinson, Thomson, Porter.

[2] Xénophon, Anab. I, IV; Ovide, Fastes, II, V, 461-474. نجد نفس العبادة في أمكنة أخرى من سورية، مثل أورفه Orfa.

[3] Dans le Rudim. novit. fol. 168 b ; p. 28, édit. de M. Laurent.

[4] Voir Michaud et Poujoulat, Corresp. d'Orient, tome VI, p. 416-417.

[5] يوحي تومسون Thomson وكأن الأعمدة مبعثرة في الجوار: Bibliotheca sacra, V, 13

(ص ١٣١)[1]. ويقسم قدس الأقداس الذي يبلغ طوله من ١٤ إلى ١٥م، إلى قسمين يرتفع الثاني ثلاثة أمتار عن الأول. وثمة مدرج في الوسط يؤدي إليه، بينما على الجانبين هناك بابان صغيران يحيط بكل منهما إطار بارز، وينفتح الواحد منهما على درج يؤدي إلى قبة سفلية طولها بعرض المعبد. ويبدو الطراز الروماني في كل ثنايا المعبد. وثمة نقش يوناني في جدار اليمين، على حجر لا يختلف بشيء عن باقي الحجارة.

"المعبد الثاني مدمر، ولم يبقَ منه غير أعلى الباب وعليه نقش.

"أما المعبد الثالث، فيحتفظ بباحته، وفيه ثلاثة أعمدة من الطراز الدوري dorique.

"تشرف على حصن السفيرة قمة عليها أنقاض بناء قديم مربع الشكل، وحجارته من نفس الموقع. وبالقرب منه مذبح نحته غير متقن. تحمل هذه الأنقاض اسم "حصن الحاطي" Hosn el-Hâti. وعند منتصف منحدر القمة نجد بناءً آخر، ضلعه حوالي ٦م، وهو على نفس شكل البناء الأول. في قاعدته نتوء، وبالقرب منه ثمة شاهدة قبر، في وسطها يرتسم طوق بداخله نقش على الأرجح، ولكنه تالف([2])." جاءني لوكروا بأرشم للنقشين المذكورين للتو. والاثنان سبق نشرهما ولكن بطريقة لا تمنع العودة إليهما. النقش الأول الموضوع في الحائط الجانبي للمعبد الأول، سبق أن نسخه كينيدي بايلي[3] Kennedy Bailie، وهو وارد في المجموعة تحت الأرقام (4528b et 4528c). بيد أن المؤشرات الطبغرافية التي يقدمها بايلي لا تتفق مطلقاً مع معطياتنا. يزعم بايلي أن النقش عُثر عليه في لبنان بالقرب من دير سان-ديميتري في الكورة. ولكن بالعودة إلى مقاطع روبنسون Robinson وبوركارد Burckhardt، مراجعه التي يحيلنا إليها، نرى بوضوح أن هذا الدير يقع عند سفح الناووس، الموضع المذكور في الكورة فعلاً. ولكن السيد بايلي ارتكب جملة مغالطات، والطريقة الملتبسة التي يعبر بها تثبت أن ملاحظاته هنا تعاني من الثغرات تلافاها بالاعتماد على الذاكرة.

---

[1] يشير الرقم ١٣٠ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[2] يشير الرقم ١٣١ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[3] Fasciculus inscr. Græc. III, 137 et suiv. Cf. Corpus, III, p. 1175.

كما أن أرشمه أو نسخه تعرضت هي الأخرى لعدم التنظيم، لأن النقشين اللذين ينشرهما كنقشين متميزين، واللذين اتخذا في المجموعة الرقم (4528b et 4528c) ليسا سوى النقش الواحد. سأعرض النقش كما هو في رشمنا. لقد تقيدنا بكل دقة بمسافات وترتيب النقش الأصلي.

السطور الثلاثة الأولى أكيدة، وقرأها جيداً السيد بايلي. أما السطور ٤ و٥ و٦ فهي معقدة للغاية. والتصحيح الذي اقترحه بايلي، وكذلك السيد فرانز Franz في المجموعة، مدعاة للرفض. ففي السطر السادس (ص ١٣٢) لا توجد الثغرات التي عرضها بايلي. فما يأتي بعد ЄΞΗΚΟΝΤΑ، في السطر السابع مشكوك به تماماً. ثم يتبع سطر فارغ (لقد تم بعناية شطب حقل النقش). والسطور الثلاثة الأخيرة فهي سليمة. وبداية السطر الأول منها هو بالتأكيد ΑΔ، كما لاحظه السيد بايلي بداية.

	ΥΠΟΙΠ
ΟΙΚΟΔΟΜΗΘΗΗΠΛΕΥ	ΚΟΔΟΜΟΥ
ΡΑΑΥΤΗΤΟΥΝΑΟΥΚΑΙ	ΚΑΙΒΕΝΝΙ
ΤΟΕΠΑΝWΤΗCΘΥΡΑC	ΥΚΑΙΠΟΥΠ
ΤΗCWΙΚΙCΗCΔ[illegible]ΑΤΟΥ	ΙΟΥΛΑΤΟΜ
ЄΙΦЄΤΟΥCΑΙCΟΝΘ	
CΑΝΠΗΧΙΛΙΟΥC	
ЄΞΗΚΟΝΤΑ[illegible]ΑΙΚ[illegible]WΗ	
ΑΔΙΟΔWΡΟΥΚΑΙCΙΛΑΝΟΥ	
ΔΙΟΙΚΗΤWΝ	ΚΟΝΤΑ
ΠΟΔЄCΧΙΛΙΟΥCЄΒΔΟΜΗ–	

ينتهي السطر السابق على الأرجح ب ΔΙ:

[δι]ὰ Διοδώρου καὶ Σιλανοῦ διοικητῶν.

وفي السطر الأخير عبارة χι- λίους ἑβδομήκοντα سليمة. أما KONTA فهي في الحقيقة ترحيل للسطر الأخير، كما تثبته علامة الوصل الواضحة بعد MH. ولا يوجد شيء مكتوب في الحقيقة بين ΔΙΟΙΚΗΤΩΝ وKONTA. ويبدو أن بداية السطر الأخير هي πόδες، لا πόδας.

ليس في النقش الصغير الموجود إلى جانب الكبير، أي حرف موضع شك، أللهم إلاّ في السطر الأول. **ΥΠΟ** هي صحيحة. وما يبقى من الحرف التالي يبدو أنه جزء من **Π** . تثبت وضعية نقش **ΕΒΔΟΜΗ-ΚΟΝΤΑ** أنه ينقصها القليل على يمين الحجر. بيد أنه يمكننا ايجاد مجال لاسم علم.

Ὑπὸ Π[. . . . . οἰ]
κοδόμου
καὶ Βεννί[ο]
υ καὶ Πουπ[λ]
ίου λατόμ[ων]

المقطع الذي يقدمه بايلي تحت رقم ٣٤٧ والذي يحتل الرقم (4528d) في المجموعة هو من حصن السفيرة بلا شك، ومن نفس المعبد كالنقش السابق. لم أعثر عليه في أرشم السيد لوكروا.

(ص ١٣٣) النقش الثاني الذي أخذ معاوني له رشماً كان قد سبق أن نسه سيتزن Seetzen، ولكنه عيّن موقعه بشكل غامض للغاية، وكذلك السيد بايلي ولكنه هذه المرة حدد مصدره. إنه النقش رقم ٤٥٢٨ من المجموعة (راجع الملحق). وكذلك فإن تومسون Thomson نسخه[1]. نسخة سيتزن هي الأفضل، وهي دقيقة بشكل كامل حتى **ΓΥΝΗ** ضمناً. بعد هذه الكلمة أقرأ في رشمنا **ΑΥΡΑΟΥЄΙΤΟΥ**، وهذا ما يتفق مع قراءة سيتزن وتومسون أكثر مما هي عليه قراءة بايلي. وما يلي غير مختلف، ولكني أجده أفضل في نسخة سيتزن ونسخة بوريل Borrell التي وصلت إلى بايلي، مما هي عليه الحال في نسخته هو. يجدر بنا ملاحظة أن بايلي على العموم غير متقن في نسخه ومتسرع في تقديره...

(ص ١٣٤) ... نعثر على اسم ربة تانيت Rabbat-Tanit الكامل في كلمة Κυρία Ἄρτεμις في اللاذقية (Corpus, n^{os} 4470, 4471).من المعروف أن عبدتانيت Abdtanit تعبر عنه عبارة في النقش الأول في أثينا[2]. كانت عبادة فينوس- أرتيميس Vénus-Artémis رائجة جداً في عرقة أو قيصرية لبنان، على

---

[1] Bibliotheca sacra, V, 13

[2] Voir Movers, Die Phœn., I, 618 et suiv.

مسافة أربعة أو خمسة فراسخ من حصن السفيرة. من الملاحظ أن الخوري السمعاني (راجع سابقاً) يقول أن حصن السفيرة كان مكرساً إلى ديان Diane. ولكننا نتساءل هل يقول ذلك لأن هناك تقليد في قوله هذا، أم أنه يفعل ذلك استناداً إلى مقاربة في اشتقاق اسم ضنية Dannié. سيريا Cyria نجدها بجانب بلوتون Pluton وسيريس Cérès، ويبدو أنه ملتبس مع كورا Cora في نقشين من أوزيا Auzia في إفريقيا، وهي مدينة تم فيها الاحتفاظ بشكل فريد بالعبادات القرطاجية[١].

من الواضح أن في نقوش حصن السفيرة أسماء هي في الغالب لاتينية. إن مرحلة أوسع انتشار لعبادة فينوس- أرتيميس، ومرحلة إشراق المعابد اللبنانية، تطابق زمن الأباطرة السوريين، فمن المعروف أن اسكندر سفيروس ولد في معبد في عرقة[٢].

ثمة موضعان، جنوبي طرابلس، في طرف سهل أميون، فيهما آثار رائعة لأديان قديمة. أحدهما في بزيزا Bziza (בית־עזיז، معبد عزيز[٣] Aziz) حيث يظهر معبد جميل إيوني محفوظ جيداً، وتم تحويله إلى كنيسة في مرحلة كانت العمارة فيها ما تزال راقية في هذه المناطق. تسمى هذه الكنيسة كنيسة العواميد "كنيسة العواميد". ولقد رسمه بدقة دو لابورد[٤] M. de Laborde. لا نقوش فيه. ثمة الكثير من الكلام وصلني حول وجود نقش في بزيزا، ولكن محاولاتي في استيضاح موقعه من أهل البلدة ذهبت سدى. وفيما بعد (ص ١٣٥)[٥] وردتني نفس المعلومات حول النقش على مسافة ٢٠٠ قدم من المعبد، في حقل بالقرب من القرية. من المرجح جداً أن يكون أهل بزيزا الذين يعتقدون بوجد كنز هناك، قد خدعوني. ولكني دعوت الذين يتبعوني إلى البحث بين المعبد والقرية، باتجاه البحر.

إن ناووس Naous، وهي فوق كسبا Kisbé، موضع أهم بكثير من بزيزا[٦]. من الواضح أن اسم الموقع يوناني[٧]: Ναός. وأحد رسوم السيد دو لابورد تمثل باباً

---

[1] راجع: Inscriptions rom. De l'Algérie, n^os 3576, 3581. يعود النقش الثاني إلى العام ٢٤١ ب.م.

[2] راجع: Tillemont, Hist. des Empereurs, III, p. 157-158.

[3] إن الحرف ب b في مطلع أسماء الأماكن (بتدين...) في لبنان هو عامة اختصار لكلمة بيت beth.

[4] Voyage de la Syrie, pl. XXII, 42 et 43; XXIII, 44. Comp. Michaud et Poujoulat, Corresp. d'Orient, VI, p. 419-420.

[5] يشير الرقم ١٣٤ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[6] راجع: Ritter, XVII, 594 et suiv. Michaud et Poujoulat, Corresp. d'Orient, VI, p. 418-419.

[7] يحمل الكثير من أنقاض المعابد في لبنان هذا الاسم، كما لاحظ بوركارد Burckhardt. وغالباً ما يختلط هذا الاسم بكلمة ناموس Namous "مدفن أو مقبرة"، راجع: Voy. Ritter, XVII, 199, 594.

لمعبد في ناووس[١]. وفي ناووس أنقاض معبدين بساحات واسعة مقدسة. قائمتا الباب من أبوابه مكونة الواحدة من حجر واحد ضخم، ومقور ليركب ناتئاً على قاعدته. المعبد الشرقي منها، نحته غير متقن، أبوابه ومدخله فقط من حجارة ضخمة، أما الباقي فمن حجارة متوسطة الحجم كما هي الحال في قلعة فقرا وأفقا. والباب تعلوه، كما في أم العواميد وجبيل، الكرة المجنحة التي بقيت حتى عصر الأنطونيين Antonins زخرفة إلزامية في جميع المعابد الفينيقية. أما المعبد الآخر فهو كورنثي، بقي منه قطع من زخرفة مدخله، وقطعة من إفريزه عليها، على ما يبدو، آثار مسامير لتثبيت النقش. جدران صحنه من حجارة ضخمة، كما هي الحال في دير القلعة. ونظن أننا وجدنا على قائمتي الباب نقاط تثبيت اللوحات المعدنية حيث يتم تدوين التعليمات المتعلقة بالطقوس المقدسة. وكان موضع تثبيت هذه اللوحات بمظهر فريد لم أشاهد مثله في مكان آخر.

تعود جميع الأبنية في ناووس إلى العصر الروماني، ولكنها على طابع سوري متميز، كما هي الحال في قلعة فقرا، وهي على أي حال، تختلف بعمق عن طراز البناء (ص ١٣٦) الروماني الصرف كما في بعلبك. لقد كان شائعاً في سورية وجود هذه الأبنية الدينية الكبيرة. حصن سليمان وحصن السفيرة ومشنقة وأفقا وقلعة فقرا ومعبد لاك ليمون ودير القلعة والفرزل كلها على طابع شبيه بناووس...

بصعودنا من كسبا إلى أعالي وادي قاديشا، نجد في طرزا، أو بطرزا، منحوتة غريبة. هي نوع من العنقاء المحفور على الصخر؛ طول الحيوان حوالي المتر ونصف. وعلى مقربة منه نرى قبو، كما هي الحال عند جميع (ص ١٣٧) النصب المحفورة على الصخر. وهو على شيء من الجمال وفيه تسع كوّات. ويقع مقابل المنحوتة.

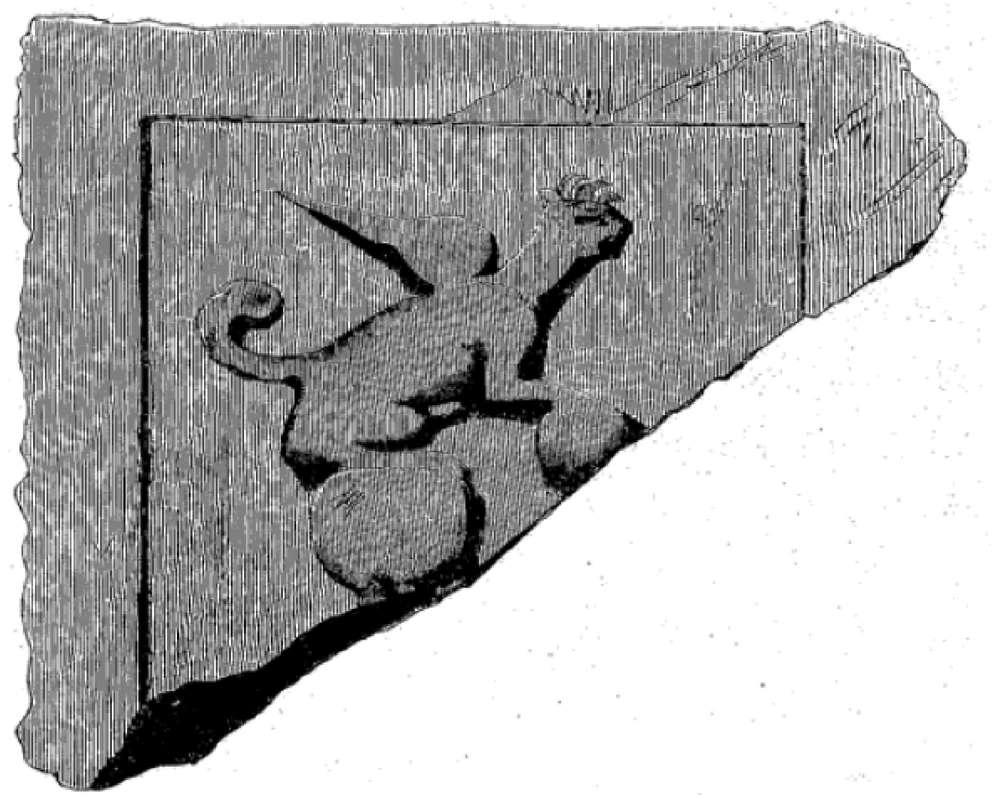
إن منطقة إهدن وبشري، "الوادي المقدس"، البالغة الأهمية في التاريخ الوسيط[٢] والحديث، بفعل التطور الأصيل لجماعة[٣] الموارنة، لم يكن لها دور هام في العصور القديمة.

---

[1] XII, 29. ثمة خطأ في لوحات دو لابورد جعل هذا النصب بجوار طرطوس.

[2] “Plura loca religiosa constructa sunt super rivos ejus et ecclesiæ multæ“, Brocard, dans le Rudimentum novitiorum, fol. 168 a, p. 28 de l’édition de M. Laurent.

[3] يستخدم رونان عبارة العرق الماروني race maronite، ففضلنا عليها عبارة جماعة الموارنة، (المترجم).



إني ارفض رفضاً مطلقاً أي علاقة بين إهدن واسم عدن Éden الوارد في سفر التكوين، ولا مع اسم בית־עדן الوارد في سفرعاموس Amos (١، ٥)، ولا مع Παράδεισος الوارد عند قدامى الجغرافيين، كما يُظن عادة[1]. لا يوجد في إهدن أي أنقاض لبناء كبير، فلم يكن في موقعها غير قرية بطريركية لجبليين طيبين. إن مماثلة إهدن مع עדן ومع Παράδεισος تنجم عن مجرد خطأ في الكتابة. يُكتب الاسم اهدن، لا اعدن، كما تصور روبنسون[2]. ومن المدهش القبول بمثل هذا الخطأ (ص ١٣٨)[3] حتى وقتنا هذا من قبل الكثير من رجال العلم[4]. إن ميل الموارنة لوضع عدن في واديهم المقدس[5] يجد تفسيره ببساطة بفعل وطنيتهم الساذجة،

---

[1] Gesenius, Thes. s. v. Ritter, XVII, 650 et suiv.

[2] Bibl. Res. III, 587, note.

[3] يشير الرقم ١٣٧ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[4] ظن روبنسون Robinson، من جهة أخرى، انه عثر على Παράδεισος في البقاع (III, 556). لا يبتعد طومسون Thomson كثيراً عن هذا الرأي Bibl. sacra, V, 689.

[5] Voy. F. Naironi, Evoplia, 84, 88-89.

وبمحبتهم لهذا الوادي الشاهد على صراعهم البطولي، علماً بأن هذا الوادي من ألطف المواقع في العالم. ولتبرير هذا الزعم، اعتمدوا الكتابة الآتية المعمول بها في الإكليروس، والتي يعتبرها المثقفون الكتابة الأصلية للاسم، بحيث تكون كتابة اهدن، برأيهم، مجرد تحريف عربي. ولكن التفسير الصحيح أن كتابة اهدن أصبحت ، بينما العكس يكون غير مفهوم[١]...

نقوش هدريان Adrien

(ص ٢٥٨) هنا المجال للكلام على نقوش أدريان المنتشرة في كل منطقة أعالي لبنان، بين صنين وممر الأرز، وكذلك في المنطقة الوسطى من تولا إلى سمار جبيل[٢]. تطرح هذه النقوش واحدة من أكثر المسائل فرادة في وضعية النقوش، بقيت غير ملحوظة حتى الوقت الراهن. لقد حدثوني باستمرار، في الشتاء وأنا في عمشيت، عن نقوش عديدة محفورة في الصخور في أعالي الجبل. ظننت الأمر في البداية مجرد توهم. ولكنه كان الحقيقة بعينها. ففي كل المنطقة المذكورة، وخاصة في أنحاء العاقورا وقرطبا وتنورين، نصادف لدى كل خطوة نفس النقش، وجميعها تحتوي على نفس الاسم أدريان Adrien، وهو نقش مكرر مئات المرات، بحروف من ثلاثين إلى أربعين سنتم طولاً (ص ٢٥٩)[٣]، وهي محفورة عميقاً في الصخر. والنقوش محفورة على العموم بعناية، وما فيها من عدم الانتظام يعود إلى أخاديد الصخور ليس إلاّ. لقد كان النقاش، في الحقيقة، مضطراً دوماً، بحكم طبيعة الصخور، على الانحراف، أو على ترك فراغات، وأحياناً ينتقل من صخرة لأخرى، أو يغير من حجم الحروف التي ينقشها.

إنه لأمر غريب أن يبقى هذا المجموع الكبير من النقوش، والذي يشكل سمة خاصة بهذه المنطقة، مجهولاً حتى مروري في لبنان. ليس هناك من شك بأنه كان لا بد لبعض الأوروبيين من رؤيتها، ولكنهم لم يفهموا منها شيئاً بالتأكيد، لأن هناك تقليد واسع الانتشار في البلاد جعل الرحالة الفرنجة ينسبون هذه النقوش إلى مجنون

---

[1] يشير الرقم ١٣٨ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[2] راجع خريطتنا (pl. I) حيث عينا المنطقة التي توجد فيها هذه النقوش، ببذر الحرف H.

[3] يشير الرقم ٢٥٨ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

وضع اسمه على الصخور وهو يتجول في الجبل. والبعض من رجال الدين الموارنة الذين تابعوا دراستهم في روما لاحظوا بدون شك هذه النقوش. ولكني لم أجد، حتى في أوساط الإكليروس الأكثر ثقافة، أي فكرة دقيقة حول قراءة هذه النقوش. وثمة منهم من سعى إلى إعطائها تفسيراً دينياً[١]. وقيل لي أن بعض المرسلين الكاثوليك عمدوا إلى قراءة النقش: "مريم أم الله الكلي القدرة".

لا يعني ذلك غياب بعض المؤشرات على معرفة البعض ممن سبقني من الرحالة بهذه النقوش. لقد حصل بركارد Burckhardt وأوتو ريختر Otto Richter وروبنسون Robinson على معلومات عن هذه النقوش من جانب أهل العاقورا[٢]؛ ولكن الأول لم يهتم بالتحقق منها؛ والثاني لم يجد مرشداً يقوده إليها؛ أما الثالث فافترض، خطأً، أن النقوش قد تكون عربية. يبدو أن أهل العاقورا قد سعوا، في مرحلة معينة، إلى إخفاء الممر اللبناني الذي ينفتح قرب بلدتهم؛ وعلى أي حال، لقد اشتكى الرحالة، الذين سبقوني واتصلوا بأهل العاقورة، من عدم الترحيب بهم هناك. بينما وجدتهم، على العكس، على كياسة رائعة، وشيخهم بالذات تجول معي في كل هذا (ص ٢٦٠)[٣] القسم من الجبل، ليرشدني إلى هذه النصوص المثيرة التي كان وحده يعرف مواقع الكثير منها. ثمة مقطعان عند غيز[٤] تدفعنا إلى الظن بأنه رأى نقشاً أو اثنين منها. أما الوحيد الذي سبقني وتعرف إليها معرفة أكيدة فهو المرسل الأميركي دو فوريست[٥] M. de Forest. لقد شاهد أربعة من هذه النقوش في القمم فوق بركة اليمونة، ونسخ منها اثنين أو ثلاثة. وقرأ بوضوح اسم الإمبراطور هادريان، ولكنه لم ينتبه إلى الباقي. كما أن مرشدوه أبلغوه بأن النصوص من هذا النوع كثيرة.

---

[1] راجع ص ٢٧٤، حيث نقرأ: "وجد الأوروبيون الذين تجولوا بين العاقورا وتنورين حجارة منقوشة، وقالوا بأن ثمة رجلاً مرّ من هناك، وكان يحلو له نقش اسمه على الصخور".

[2] Burckhardt, I, p. 340 (trad. de Gesenius); O. von Richter, Wallfahrten, p. 106-109; Robinson, Bibl. Res. III, 602. Cf. Ritter, Erdkunde, XVII, p. 556-557, 562.

[3] يشير الرقم ٢٥٩ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[4] Relation d'un séjour à Beyrouth et dans le Liban, II, p. 15 et 19. "في منتصف الطريق بين المروج وزحلة... رأيت اختصار اسم الأمبراطور هادريان": Mission, ..., p. 278

[5] Journal of the American Oriental Society, vol. III, n° II, p. 355 (1853).

لقد جمعت حوالي ثمانين نموذجاً من هذه النقوش المثيرة؛ وأكدوا لي وجود حوالي العشرين منها أيضاً، مع أنني لم أتمكن من رؤيتها؛ ولا بد أن العدد الكثير منها فاتتني ملاحظته؛ كما أن عدداً كبيراً قد يكون تعرض للتلف، أو أن حجارته مقلوبة فصار النقش غير مرئي. وهناك من كان يعتقد أن هذه النقوش علامات على وجود الكنوز، ما يفسر الحفر التي أحدثها الباحثون عن الكنوز تحت الصخور، وهذا ما جعل الكثير من النقوش معرضة للتلف[١]...

(ص ٢٧٨) هذا هو مجمل هذه الكتابات العجيبة التي لم أعرف مثيلاً لها. وتتألف جميعها، كما نرى من: ١، صيغة أساسية لا مجال للشك فيها؛ ٢، صيغ إضافية متغيرة. واحدة من هذه الصيغ، AGIVCP، فهمناها لأننا عثرنا على كتابتها الكاملة scriptio plena. صيغتان أخريان، DFS، و VIC، أو VIG، تبقيان موضع شك. وبما أني لم أتمكن من أن أرى بنفسي جميع المواقع التي يمكن أن تكون الكتابة فيها كاملة، فإني لا أعطي تأكيداً (ص ٢٧٩)[٢] أن تفسير هاتين الصيغتين لن يحصل يوماً. وإني لأنصح الرحالة خاصة بالذهاب مجدداً إلى وادي عين الشعرة Wadi-Aïn-Schara أو وادي التوت Wadi-Tout، ودرجة المحل Diradjet el-Mihal، وبعض النقوش فوق تنورين، خاصة نقوش الفوار El-Fouar وتم القبور Tumm el-Qobour وعين الحمرا Aïn el-Hamra، وأخيراً نقشي راس عقبة الجني Ras Akbet Djenny بالقرب من قرطبا.

علاوة على الصيغ الإضافية، يحمل الكثير من النقوش رقماً تسلسلياً. وتصل هذه الأرقام حتى ٨٠٠ على الأقل. ومن الملاحظ أن أرقام بعض النقوش القريبة من بعضها متباعدة كثيراً.

ثمة فرضية تفرض نفسها لتفسير الوقائع المعروضة أعلاه، وهي تكمن في اعتبار هذه النقوش الكثيرة بمثابة تنظيم قانوني معلن، بناء لأمر هادريان، في هذه المنطقة من لبنان المغطى بالغابات سابقاً، وبهذا التنظيم يمكن التمييز بين المناطق المخصصة للدولة بخصوص قطع الأشجار، والمناطق المتروكة للأفراد. لقد سبق لنا أن رأينا مناسبات تدفعنا إلى افتراض أن لبنان، فوق جبيل، كان كثيف الغابات

---

[1] يشير الرقم ٢٦٠ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[2] يشير الرقم ٢٧٨ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

في العصر الروماني. ومن المعروف أن التوراة تجعل السمة الأساسية المميزة للبنان هي غاباته[١]. وكان لبنان في زمن الاسكندر يوفر الخشب لبناء الأساطيل الضخمة[٢]. وفي أيام الرومان كثيراً ما كانت الأساطيل ترسو في هذه الأنحاء، لاختيار صواريها من أفضل أشجار الصنوبر في الجبل. وغالباً ما نصادف هذه النقوش في مواضع الانحدار الشديد، التي لا يمكن بلوغها، ونادراً جداً ما نجدها في الأماكن المزروعة، وقعر الوديان.

ولنعترف، مع ذلك، بأن بعض المواقع التي وجدنا فيها أحياناً هذه النقوش، تتعارض مع الفرضية التي تقدمنا بها. وليست هذه المواقع هي في واقعها اليوم جرداء فحسب، بل هي أحياناً، موجودة في أمكنة غريبة ورائعة بحيث أنه ثمة متعة بوضع النقوش فيها (ص ٢٨٠)[٣]، لما ينطوي الوصول إليها على مخاطر ما يجعل الأمر تحدياً: كما هي الحال في قمم جبل موسى، أكثر المواقع المهجورة تماماً في لبنان؛ وعلى قمم الأكثر ارتفاعاً بين العاقورة والبقاع، حيث يدوم الثلج حتى شهر حزيران على الأقل، وحيث لا ينبت غير النبات الدغلي؛ وعلى الصخور فوق ترتج وتنورين حيث نعتقد أن الإنسان لم يلج هذه المواقع أبداً؛ أو في مغارة أيوب، المحفورة في صخرة في قمة الجبل، وحيث لا يمكن الوصول دون الاستعانة بالشجيرات المعلقة فوق نهر أدونيس. ولما كانت هذه هي حال النقوش الأولى التي صادفتها، راودتني بداية الفكرة باعتبارها نوعاً بطاقات زيارة لقيصر الرحالة، مشابهة لبطاقات نفس الإمبراطور الذي نقرأ اسمه على الأهرامات الضخمة في مصر[٤] وفي مواقع أخرى كثيرة[٥]. إن اسم هادريان هو بالتأكيد الاسم المنشور في هذه النقوش في شتى المواقع. ومن المعروف أن هادريان قد أقام طويلاً في سورية، قبل وبعد ارتقائه سدة الإمبراطورية. وكل شيء يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه زار جبيل، وأنه لعب على

---

[1] راجع على سبيل المثال: II Reg. xix, 23; Isaïe, XXXVII, 24

[2] Quinte-Curce, X, 1.

[3] يشير الرقم ٢٧٩ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[4] Voir Letronne, Inscript. de l’Egypte, sect. II, init. P. 149.

[5] A Athènes, en Grèce, ect. (voir Bourquelot, Huit jours dans l’île de Candie, p. 11-13).

الأقل دوراً هاماً في تاريخها[١]. ومن المعروف أيضاً كم كان شغوفاً بزيارة المعابد المشهورة، ولا شك بأنه زار أفقا... وبالتالي ليس من المحال أن يكون لهذه النقوش صلة برحلات هادريان في لبنان. ولكن هدفها الأساسي هو بالتأكيد (ص ٢٨١)[٢] تنظيم الغابات. واعتقد أنه من المستبعد ألاّ يمكن العثور على نقوش مماثلة في الجبال المجاورة للبحر المتوسط. ثمة زميل لي يتذكر، بشكل مشوش، أنه شاهد ظاهرة مماثلة في رحلة له في البلقان[٣].

نعمل على تخليد إرنست رونان!
أكبر داعية إلى القضاء على المسيحية المشرقية وعلى الإسلام![٤]

جوزف عبدالله

في حفل ضم (في ١٤ نيسان ٢٠١٠) مجموعة من أرفع الرموز الرسمية والأكاديمية تم تخليد إرنست رونان مؤخراً في لبنان. إن أبرز ما قيل في طقوس هذا التخليد ما جاء على لسان المدير الاقليمي لمكتب الشرق الأوسط في الوكالة الجامعية الفرنكوفونية أوليفيه غارو، وهو كلمة رئيس الوكالة برنار سركغليني الذي ركز على أن رونان كان متعلقا بثقافة المنطقة التي نشأ فيها في فرنسا، مؤكداً أن أهداف الوكالة الجامعية الفرنكوفونية تتقارب مع أهداف رونان ولا سيما المتصلة بالثقافة المميزة والوحدة والعلوم والانسانية.

فما قيمة هذه الثقافة التي تحصن بها رونان؟ وكيف نظرت هذه الثقافة إلى لبنان ومحيطه؟ وما قصة رونان ولبنان؟ أن يُقيم في عمشيت، ويبني صداقات، يجعله

---

[1] يشهد على ذلك النقش الذي رآه روبنسون (Voy. en Pal. et en Syrie, II, p. 69). لقد وجه أسباسيوس Aspasius، خطيب جبيل، مديحاً لهادريان (Fragment. hist. græc. III, 576)؛ ولقد وضع فيلون الجبيلي سيرة حياة هادريان، وكان، مع مدرسته، على صلة مستمرة بهذا الأمبراطور (Ouvr. Cite, p. 560)

[2] يشير الرقم ٢٨٠ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[3] يشير الرقم ٢٨١ إلى رقم الصفحة في: ... ,Mission

[4] نعتذر من القراء عما في هذا النص من مواقف ومن ألفاظ تسيء إلى المسيحية المشرقية والإسلام والمسلمين، وكلها جاءت بقلم إرنست رونان. رفضت بعض الصحف اللبنانية نشر هذا النص الذي عرضناه كمقالة صحفية، فعممناه عبر الإنترنت. (جوزف عبدالله).

مستحقاً لهذا الاهتمام الرسمي والأكاديمي؟ فما المآثر التي قدمها رونان للبنان؟ وما هي قيمة رأيه وموقفه من الحضارة التي يندرج فيها لبنان؟

قلنا بداية: علينا التمييز جيداً في دور "أب الأركيولوجيا اللبنانية" بين النشاط الاستعماري الفرنسي في المشرق والنشاط العلمي في استكشاف الآثار. ومن ذلك التمييز جيداً بين الجانب العلمي والجانب الاستعماري أو التبرير والتمهيد له. ففي العام ١٨٦٠-١٨٦١ ارسل نابوليون الثالث حملة عسكرية إلى لبنان، بموازاة "بعثة إلى فينيقيا"، برئاسة إرنست رنان، لتقدم لها الحماية والدعم. كان ذلك في زمن السعي الأوروبي المحموم لتفتيت الإمبراطورية العثمانية تمهيداً للاستيلاء على بلادنا واستعمارها كما حصل لاحقاً.

موضوع الحملة العسكرية ليس عابراً، وقيمتها ليست مجرد حماية لبعثة علمية. فلنقرأ ما قاله بهذا الخصوص لوكروا مساعد إرنست رونان[1]:

"حوالي أواسط تشرين الثاني من العام ١٨٦٠، سرية من فوج المشاة القناصة السادس عشر (الفرنسي)، المواكبة للبعثة وهي بقيادة المقدم رئيس الحملة، دخلت دخول الفاتحين إلى مدينة أدونيس المقدسة. ومنذ ذلك اليوم من العام ١٢٦٦ الذي هربت فيه الحامية المسيحية ليلاً عبر بوابة سرية في شمالي جبيل لم تشهد المدينة جنوداً فرنسيين. مرّ الجنود وفي الطليعة منهم نافخو الأبواق أمام مصطفى غنوم Mustapha Gannoum، الذي انحنى لدى رؤيتهم، وهو أحد الحكام الأربعة، والوحيد من بقايا حزب صلاح الدين القديم...". هكذا، كلما دار حديث الغربي عموماً عن المشرق العربي عادت به الذاكرة إلى المرحلة الصليبية، مازجاً افتخار نجاح الغزو الصليبي بمرارة الهزيمة التي أصبح صلاح الدين رمزها. ولا بد أن حلم العودة مستمر في الغرب على الدوام.

وإذا كان أرباب الفرنكوفونية الغربيون مدركين لدعوة إرنست رونان، ومنهم الكنيسة الكاثوليكية اليوم، فذلك لأنه يعتبر المنظر الأهم المعادي للمسيحية المشرقية الأصيلة وللإسلام على السواء. ويكفينا من ذلك ترجمة كلام إرنست رونان بحرفيته

---

[1] LOCKROY (E): "Voyage en Syrie", texts et dessins inédits, Le Tour du Monde, Nouveau Journal des Voyages, vol. 7, 1863, 1ier semestre, pp. 33-64.

في النص أدناه. ولكن هل يُدرك المحتفون برونان، ومنهم المسؤولون اللبنانيون والعرب والمسلمون المفتونون بالفرنكوفونية، حقيقة الدعوة الفرنكوفونية؟

نص رونان[١]

"(ص ١٣) ... ما تزال الشعوب الأندو-أوروبية والشعوب السامية متميزة عن بعضها تماماً اليوم. لا أقصد اليهود الذين حباهم مصيرهم الفريد والرائع موقعاً متميزاً في البشرية، بل أكثر، إذا ما استبعدنا كل فكرة في اختلاف الأعراق، فاليهود أينما وجدوا تقريباً يشكلون مجتمعاً على انفراد، وإذا ما استثنينا فرنسا التي أرست في العالم مبدأ حضارة مثالية تماماً. أما العربي على الأقل، وبمعنى أشمل المسلم، فهما اليوم أبعد عنا من أي يوم مضى. فالمسلم (والروح الساميّة إنما يعبر عنها الإسلام في زمننا) والأوروبي يتقابلان كمخلوقين كل منهما من نوع مختلف، لا يتشاركان مطلقاً في طريقة التفكير والإحساس..."

"(ص ٢٤) ... ما أن استوعبت الحضارة اليونانية واللاتينية (الديانة) المسيحية حتى أصبحت (هذه الديانة) شأناً غربياً يواجه في الشرق بالتحديد، وهو مهد المسيحية، أكثر العقبات. لقد عجزت الجزيرة العربية خصوصاً، في القرن السابع، عن اعتناق المسيحية. (ص ٢٥) فبينما كانت مترددة بين اليهودية والمسيحية والمعتقدات التراثية المحلية وبقايا عبادة الأجداد، جاءت العناصر الميثولوجية التي أدخلها العرق الهندو-أوروبي في المسيحية لتصدمها فقررت العودة إلى دين إبراهيم، وبذلك أسست الإسلام. وظهر الإسلام بدوره كتفوق عظيم في خضم الأديان المنهارة في آسيا. فقضى بسهولة على المجوسية، التي كانت على ما يكفي من المنعة لتصمد بوجه المسيحية في زمن الساسانيين، وحولّها إلى شيعة صغيرة... باختصار، أدخل الإسلام في التوحيد جميع الوثنيين تقريباً الذين لم تنجح معهم المسيحية بعد. وأكمل في أيامنا رسالته باكتساح إفريقيا التي أصبحت الآن كلها

---

[1] Ernest RENAN: De la part des Peuples Sémitiques dans l'histoire de la civilisation, Discours d'ouverture du cours de langues hébraïque, chaldaïque et syriaque, au Collège de France, 4ème édition, Paris, 1862.

إرنست رونان: "في إسهام الشعوب السامية في تاريخ الحضارة"، "محاضرة افتتاحية" في "محاضرات في اللغات: العبرية والكلدانية السريانية" في كوليج دي فرانس، منشورة في طبعة رابعة في العام ١٨٦٢، في باريس.

مسلمة تقريباً. وإذا ما استثنينا بعض الحالات الثانوية الأهمية فإن العالم اعتنق بمجمله تقريباً الرسالة التوحيدية للساميين."

"هل يعني ذلك أن الشعوب الهندو-أوروبية تخلت نهائياً عن خصوصيتها باعتناقها للعقيدة السامية؟ لا بالتأكيد. فباعتناقنا للديانة السامية قمنا بتغييرها جذرياً. فالمسيحية، كما يفهمها معظم الناس، هي في الحقيقة من ابتكارنا. أما المسيحية البدائية الكامنة أساساً في معتقد "رؤيا القيامة" في مملكة الله الآتية، المسيحية كما كانت في تصور القديس يعقوب (يعقوب بن حلفى أحد الرسل) مثلاً، أو مسيحية بابياس[1]، فهي مختلفة تماماً (ص ٢٦) عن مسيحيتنا المشبعة بماورائية الآباء اليونان وبمدرسية العصر الوسيط، وحولتها من ثم تطورات الأزمنة الحديثة إلى تعليم في الأخلاق والإحسان. ولم يتوفر النصر للمسيحية إلاّ بعد أن حطمت تماماً غلافها اليهودي، وعندما عادت لما كانت عليه في أعماق وعي مؤسسها، أي إلى إبداع متحرر من قيود الفكر السامي الشديدة. ولكثرة ما هذه الحال حقيقية فإن اليهود والمسلمين لا يشعرون بغير الإشمئزاز تجاه هذه الديانة الشقيقة لديانتهما، والتي اكتست على يد عرق آخر بمسحة شاعرية مرهفة وبوشاح ناعم من الأساطير الرومنسية. ثمة عقول نافذة، حساسة ومخيالة، كواضع[2] مؤلف L'Imitation وروحانيات العصر الوسيط، كالقديسين عموماً، كانت تبشر بديانة أبدعتها في الحقيقة عبقرية سامية، ولكنها تغيرت رأساً على عقب بفضل عبقرية الشعوب العصرية، لا سيما شعوب السلت والجرمان. هذه العاطفية العميقة، وهذه الرقة، بمعنى ما، لديانة فرانسوا الأسيزي François d'Assise أو فرا أنجيليكو Fra Angelico، كانتا بالتحديد نقيض العبقرية السامية الجافة والقاسية اساساً."

"أما بالنسبة للمستقبل، ايها السادة، فإني أراه انتصاراً متزايداً للعبقرية الهندو-أوروبية. فمنذ القرن السادس عشر ثمة واقعة، غير مسبوقة حتى اليوم، تتجلى بحيوية ملفتة: إنها انتصار أوروبا النهائي، إنها تحقق هذا القول المأثور السامي

---

[1] بابياس Papias هو اسقف ايرابوليس Hiérapolis (تركيا) عاش في النصف الأول من القرن الميلادي الثاني، (المترجم).

[2] هذا الكتاب L'Imitation (محاكاة يسوع المسيح) الموضوع بين نهاية القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر مجهول المؤلف، أو على الأقل لا يوجد توافق على حقيقة واضعه، (المترجم).

القديم (ص ٢٧): "ليوسع الله ليافت، وليسكن في خيام سام، وليكن كنعان (حام) عبداً له"[1].

"حتى حينه كانت السامية ما تزال سائدة في إقليمها. والشرق الإسلامي يهزم الغرب، كانت لديه جيوش أفضل وسياسة أفضل، ويزوده بالموارد وبالمعارف وبالحضارة. وفيما بعد تغيرت الأدوار. فالعبقرية الأوروبية تنمو بمقدار لا مثيل له، بينما الإسلام على العكس يتفسخ تدريجياً، وهو ينهار في أيامنا متقصفاً. والشرط الاساسي اليوم لتتمكن الحضارة الأوروبية من الانتشار هو تدمير الشأن السامي بامتياز، تدمير سلطة الإسلام التيوقراطية، وبالتالي تدمير الإسلام، لأن الإسلام لا يمكنه الوجود إلاّ كدين رسمي؛ وعندما نحوله إلى حالة دين حرّ وفردي فإنه يضمحل. ليس الإسلام دين الدولة فحسب، كما كانت الكثلكة في فرنسا لويس الرابع عشر وكما ما تزال اليوم في إسبانيا، بل هو الدين المُسْتَبْعِد للدولة، وهو تنظيم لا تقدم نموذجاً عنه غير الدول الحبرية في أوروبا. وهنا، فالحرب أبدية، الحرب التي لن تتوقف إلاّ متى يلقى آخر أبناء إسماعيل موته بؤساً، أو متى دفعه الرعب منفياً إلى عمق الصحراء. الإسلام هو أكمل نقيض لأوروبا؛ الإسلام هو التعصب الذي بالكاد تعرفت عليه اسبانيا في زمن فيليب الثاني وإيطاليا في زمن بيوس الخامس؛ (ص ٢٨) الإسلام هو احتقار العلم، وإلغاء المجتمع المدني؛ إنه البساطة المرعبة للعقل السامي والمضيَقة لدماغ الإنسان، والعازلة له عن كل فكرة حية وعن كل شعور فذ، وعن كل بحث عقلاني، ولتجعله في موقف تكرار أبدي لما هو "تحصيل الحاصل": الله هو لله."

"وبالتالي، فالمستقبل أيها السادة، هو لأوروبا، ولأوروبا وحدها. أوروبا ستغذو العالم، وفيه ستنتشر ديانتها، وهي ديانة الحق والحرية واحترام الإنسان، هذا المعتقد الذي يعني وجود أمر سماوي في الإنسانية..."

---

[1] تكوين، ٩: ٢٧ (المترجم).

٩- رحلة في سورية

ملاحظات حول المواقع الأثرية[١]

رونيه دوسّو René Dussaud

(ص ٣٠٥) غرضنا أن نجوب جبل عكار والقسم الجنوبي من جبل النصيرية، أي المنطقة الممتدة بين طرابلس وبانياس وحماة وحمص. وفي الوقت الذي نؤجل فيه الشروع بدراسة مجمل سورية الشمالية، نقدم مسار رحلتنا بما فيه من ملاحظات عن المواقع الأثرية[٢].

عرقة (قيصرية لبنان، Cæsarea Libani): بانطلاقنا من طرابلس على الطريق الأساسية إلى حمص، سلكنا عند خان العبدة طريق حلبا. تستغرق الطريق أربع ساعات و١٠ دقائق من طرابلس المدينة حتى منيارة القرية الأقرب إلى آثار عرقة الخاوية. كانت المدينة القديمة تنتشر حول تل، لا سيما لجهة الشمال. ثمة الكثير من الأعمدة الممتدة على الأرض، بعضها من الغرانيت الوردي. يمثل لنا التل، حيث لا نرى غير الآبار المندثرة، القلعة التي أوقفت زحف الصليبيين طويلاً.

بصعودنا وادي نهر عرقة، مروراً بكرم عصفور والمزرعة، نصل بعد ٣٠ دقيقة من منيارة إلى القنطرة. تستمد هذه القرية اسمها- الذي يعني الجسر- من بقايا قناة ماء تجتاز رافداً صغيراً لنهر عرقة. (ص ٣٠٦) كانت هذه القناة تغذي بالمياه عرقة، المدينة الأساسية الوحيدة في المنطقة، والتي ذكرها الإدريسي[٣]. نجد أثر هذه

---

[1] المرجع: René DUSSAUD, «Voyage en Syrie, octobre-novembre 1896, Notes archéologiques», Revue Archéologique, troisième série, t. xxx, janvier-juin 1897, pp. 305-357. قام رينيه دوسو بهذه الرحلة ما بين ت[١] الأول وت[٢] الثاني من العام ١٨٩٦، ووضع تقريره هذا في ١٥ شباط ١٨٩٧؛ وتلا مضمون التقرير، في جلسة ١٤ نيسان ١٨٩٧ أمام Académie des inscriptions et belles- lettres؛ ونشره في Revue archéologique "مجلة العاديات" الواردة أعلاه، في عدد كانون الثاني- حزيران ١٨٩٧، (المترجم).

[2] بودي توجيه الشكر لقناصلنا الذين لم يوفروا فرصة لمساعدتنا كل مساعدة طيبة، وعلاوة على ذلك نوجه الشكر بشكل خاص للأب بارنييه Barnier من بعثة حمص حيث يقيم منذ أكثر من تسع سنوات، وهو الذي يلم بخفايا عكار والحصن وصافيتا. لقد كان بغاية اللطافة لمرافقته لي في جولتي في هذه المناطق. وإني لأرجوه أن يتقبل اعترافي بجميله. كما أن صديقي السيد لوسيان جوفروا Lucien Geofroy، ابن قنصلنا في اللاذقية، شاء بكل طيبة خاطر مشاطرتي مشقات كل هذه الرحلة. وقدم لي خدمات لا تقدر، لذا فأنا مدين له بجميل كبير.

[3] Idrisi, Géographie, p. 13.

القناة بعد عدبل حيث تكون القناة بمثابة الطريق أيضاً. تركنا على يسارنا ضهر رسين (لعلها ضهر الليسينة) فوصلنا إلى بيت ملات. تستغرق الطريق من القنطرة إلى بيت ملات ساعتين و ١٠ دقائق، ومن بيت ملات إلى عكار خمس ساعات. نمر بالعيون ونترك على يسارنا بينو التي حددناها بأنها قرية بانا Banna (الصليبية)، فنصل إلى البرج، مركز القائمقام قبل أن ينتقل إلى حلبا[١]. تقع عيات (عيا Ayé‘) على مقربة من منجم للحديد.

عكار: نجد، بجوار قرية عكار الحالية، آثار قلعة سماها الصليبيون جبل عكار Jibel ‘Akkar أو جبلتار Jibeltar، وسماها العرب حصن عكار[٢]. وهب الملك أموري Amaury، سنة ١١٧٠، هذه المقاطعة الهامة من كونتية طرابلس إلى فرسان الاسبتالية[٣]. لم نتمكن من العثور على أي علامة على تقطيع الحجارة ونحتها. فالأسوار الباقية تبدو أنها تعود إلى زمن بيبرس: إن إفريز السباع في أعلى البرج الجنوبي (صورة رقم ١) يشكل دلالة أكيدة على ذلك. نرى على الصخور التي تشكل قاعدة الحصن مجرى ماء يبدأ عمودياً، ثم يجتاز أفقياً الخندق المحفور اصطناعياً، ليعزل الحصن عن الجبل، ويغرق أخيراً بين الصخور. كان هذا المجرى يزود الحصن بالماء بطريقة السحارة Siphon الرائعة لدرجة جعلت الدمشقي يأتي على ذكرها[٤]. لم نتمكن من دخول البرج الجنوبي.

في شمالي الحصن، ما يزال قسم من الطابق الأول للدفاع (ص ٣٠٧) عنه محفوظاً: إنه دهليز صغير معقود بشكل مضلع، وفيه كوات للرمي موجهة إلى الأسفل بحدة. حجارته متناسقة ومتقنة النحت، ومع أننا لم نتمكن من العثور على علامات على طريقة النحت، فإننا نميل إلى نسبة الحصن إلى الفرنجة.

---

[1] إن حلبا المؤرخين العرب هي ألب Albe الصليبيين. تذكر Annales de Terre Sainte, p. 28 (extr. Des Archives de l’Orient lat., II) أركس Arches (عرقة Arqa‘) وألب (حلبا) وغوليات Gouliat (القليعات Qleï‘at).

[2] أظن أنه يجب تصحيح مقطع ياقوت المترجم في (Yaqout, éd. Wüstenfeld, III, p. 529) "طرطوس، مدينة سورية على البحر، بالقرب من المرقب وعكا". يجب أن نقرأ عكار مكان عكا. فإلى هذا الحرف أشار الشاعر محي الدين الذي ذكره أبو الفدا (Hist. or., des croisades, p. 153) عندما قال لبيبرس الذي استولت قواته على حصن عكار: "يا مليك الأرض بشراك لقد نلت الإرادة، إن عكار حقاً هي عكا وزيادة". ولقد وقع في نفس الخطأ كاترمير: Quatremère dans Maqrizi, Hist. des sultans mamlouks, II, p. 201.

[3] يتحفظ ديلافيل لورو على هذا التاريخ في M. Delaville Le Roulx, Revue historique, 1880, p. 184

[4] Dimashqi, ap. Guy le Strange, Palestine under the Moslems, p. 390.

ولعل العرب في أيام بيبرس لم يفعلوا غير ترميم الأسوار التي بناها فرسان الاسبتالية[١].

في الجهة المقابلة من الوادي، في موقع قرية عكار الحالية، كانت تقوم المدينة التي حملت نفس الاسم. كل الآثار الباقية منها تعود للزمن العربي. لا سيما (ص ٣٠٨) الجامع الصغير، مع ثلاثة نقوش عربية[٢]، ثمة جامع آخر يسمى التكية، وهو أكثر لفتاً للنظر من الأول، وتزينه سباع بيبرس، وله واجهة بيضاء وسوداء. ولم نتمكن من تدوين نقش محفور فوق بابه. نهبط من عكار، بمدة ساعتين و١٠ دقائق إلى بلدة القبيات الكبيرة.

مقام الرب Maqam er-Rab: على يمين الطريق من القبيات إلى منجز، وبعد مسافة ساعة و١٠ دقائق من الأولى، تشير كومة من الحجارة المنحوتة إلى وجود هيكل يوناني قديم. نلحظ مخططاً لمستطيل تتقدمه ستة أعمدة، اثنان منها خارج خط الجانبين. لا نلحظ وجود آثار لواجهة من الأعمدة تحيط بالمعبد. تشير هذه الأعمدة إلى انحطاط فريد، ولا تظهر أي بروز في قواعدها. يجب أن يكون هذا البناء عائداً للقرون المسيحية الأولى: عندما سرعان ما شرع الطراز اليوناني- المسيحي باجتياح سورية بكاملها. أفضل قسم محفوظ من البناء هو عبارة عن غرفة مقببة من العقد الكامل بعرض المعبد بكامله لجهته الخلفية. إنها بمستوى أدنى من المعبد، ولعلها كانت غرفة للخدمة office d’adytum. كما أن الحجارة المتقنة النحت تشير إلى عمل نحاتين ماهرين؛ ولقد أخذنا منها مجموعتي الحروف: (Ƨ٨ ٣٨).

قلعة الفِليس Qal‘at el-Felis (**فِليسيوم Felicium**): يلزمنا ٤٠ دقيقة من مقام الرب إلى قرية منجز المارونية، و٢٥ دقيقة حتى (كنيسة) السيدة Sa‘idé. أسس الأب بارنييه هنا داراً للمعلمين ليزود مدارس المنطقة بمدرسي اللغة الفرنسية، وكل هذه المدارس إنما قامت بفضل تفانيه الدؤوب. قادنا الأب المذكور إلى مكان بقرب

---

[1] إذا صح استنتاجنا هذا، فإن حصن عكار، حيث لا يوجد أي مقوس انحنائي، يؤكد ما سبق وقلناه (Revue archéol. 1896, I, p. 308-311) معارضين فرضية مدرستي الهندسة الفرنجية في سورية، والتي تميزت إحداها، مدرسة الاسبتالية، خاصة باستخدام البرج الدائري. يمكن ترداد نفس الملاحظة حول فيليسيوم (منجز).

[2] سلمنا جميع النقوش العربية التي جمعناها إلى السيد ماكس فان برشم M. Van Berchem الذي شرع بجرأة وبفائدة بالغتين، بوضع مصنف للنقوش العربية في مصر وسورية: Corpus des inscriptions arabes d’Egypte et de Syrie

السيدة لنرى على تلة مشرفة على ملتقى النهر الكبير بأحد روافده، آثار حصن صغير. كانت أسواره البازلتية متهدمة تماماً بفعل إقامة التركمان فيـــه منذ حوالـــي

الصورة رقم ١

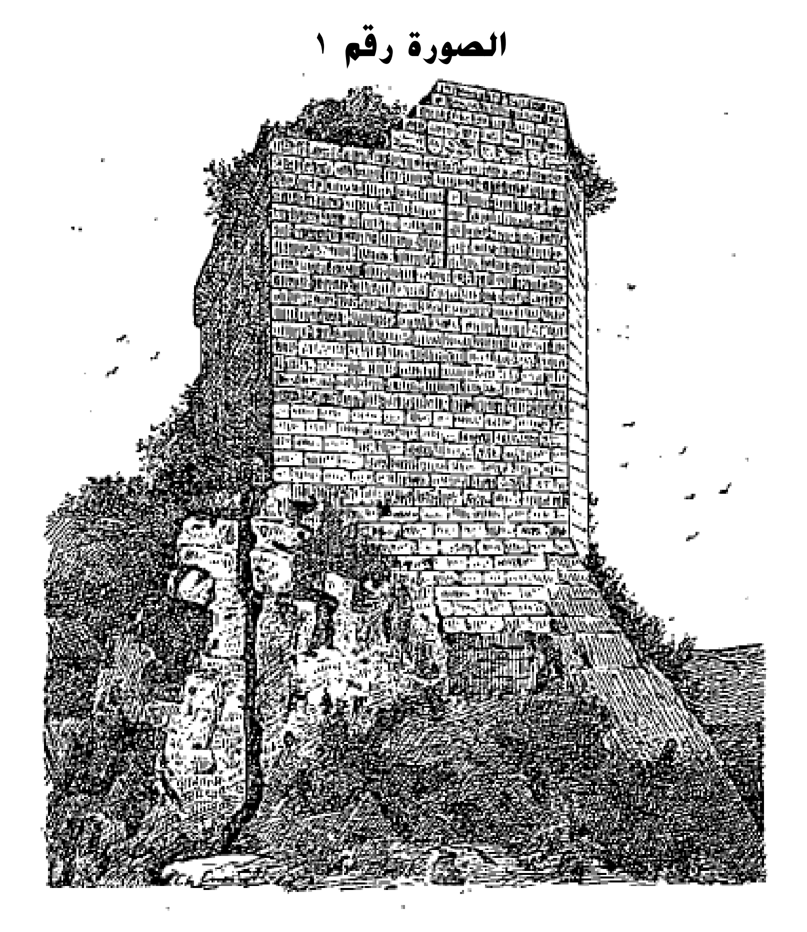


Fig. 1. — Château d'Akkar. Tour sud.

خمسين سنة. (ص ٣٠٩) ومنذ فترة قريبة استعملت هذه الحجارة في بناء السيدة. لذلك كان من الصعب الوصول إلى أمر جدي في شأن هذا الأثر. كثير من الحجارة المنحوتة فيها حدبة، بعضها يحمل علامة الصليب. يبدو واضحاً في هذا الموقع مخطط كنيسة صغيرة. يكفي كل ذلك لننسب هذه الآثار إلى الفرنجة، ونظراً لاسمها الراهن قلعة الفِليس، فلا يمكننا التردد لأن نتعرف فيها على فِليسيوم الصليبيين، والمعروف أنه تمت موضعتها بجوار عرقة. لقد باع جيلبير دو بوي لوران Gilbert de Puy-Laurent فِليسيوم ولاكوم Lacum إلى ريمون، كونت طرابلس، بقيمة ألف

بيزان besans. ولعله من المحتمل أن قلعة فِليسيوم لم تكن مبنية في ذلك الزمن: فالحصن من بناء الاسبتالية الذين انتقلت إليهم ملكية فِليسيوم ولاكوم عام ١١٤٢، مع حصن الأكراد[١]. وكان سبق للاسبتالية أن اكتسبوا ملكية في فِليسيوم[٢]، في العام ١١٢٨. نفهم من ذلك أنهم اقاموا الحصن ما أن أصبحوا أسياد الموقع. إن موقعه هام لأنه يتحكم بطريق تؤدي إلى طرابلس.

يعين النهر الكبير الحدود بين عكار والحصن (حصن الأكراد). والدبابية هي القرية الوحيدة التي تقع جنوبي النهر وتتبع الحصن.

حالات Halet: ننطلق من السيدة لنجتاز النهر الكبير بعد ٢٥ دقيقة؛ وبعد ٢٠ دقيقة نصل إلى القرية المارونية عزير Azer‘؛ ثم ٢٠ دقيقة فنبلغ حالات حيث تكثر الآثار. استخرجنا كتابتين بحروف كبيرة منقوشة على حجارة بازلتية.

ЄΤΟϹ	Ἔτο(υ)ς
Θ Λ Φ	θλφ'
Μ Α	Μαθγινελ.
Θ Γ Ι	
Ν Є Λ	

تبدأ السنة ٥٣٩ بالحساب السلوقي في الأول من تشرين الأول ٢٢٨ ميلادية. اسم المتوفي طابعه سامي بوضوح. ويبدو أنه يجب أن نعزل العنصر (Μαθ = מַת,) خادمة، ولكن الكلمة الثانية لا تعود إلى جذر سامي معروف.

(ص ٣١٠) النقش الآخر:

ЄΤΟ
ΥϹΗΞΤ
Μ Η Ν Ο
Ϲ Λ Ω Ο
Υ Α Β Δ
ΟΥϹΙΡΙ
Ϲ Β Є Є Λ
Β Α Ρ Α Χ
ΟΥ

---

[١] Delaville-Le Roulx, Cartulaire general des Hospit., I, p. 117.

[٢] المرجع السابق، ص ٧٧. يرد في هذا العقد الأخير اسم فِليسيوم Felicium، بينما جاء في العقد السابق Felitium و Felitum.

Ἔτους ηξτ', μηνὸς Λώου. Ἀβδούσιρις Βεελβαράχου.

كتابة شهر آب من العام ٥٥ ميلادية (Ἀβδούσιρις) "خادم أوزيريس Osiris"، وهو اسم شائع في النقوش الفينيقية[١]. وفي بيبلوس (جبيل) كان أوزيريس يتماثل بأدونيس[٢]. بيد أن هذه هي المرة الأولى التي نصادف فيها ترجمة يونانية أكيدة، وهي تثبت اللفظ أوزيريس الذي كان قد عينه كليرمون غانو[٣]. اسم الأب "الذي يباركه بعل" هو سامي بشكل مطلق. إن Βεελ ككتابة لكلمة بعل صحيحة للغاية في المناطق الفينيقية[٤].

من حالات إلى مرمريتا: أربع ساعات. نقطع طريق حمص على يسار تل القلعة[٥] Tell el-Qal‘a (تل كلخ)- مقر القائمقام الذي كان سابقاً في قلعة الحصن. وبعد اجتياز قرية الحجر الأبيض البائسة، ونترك على يميننا كفرريش Kefer Rich وشالوح Chelouh، نجتاز ساقية تخرج من النبع السبتي Fontaine Sabbatique.

النبع السبتي Fons Sabbaticus (الفوار El-Fouar): من السهل الوصول من مرمريتا إلى قلعة الصليبيين المشهورة، قلعة الحصن (حصن الأكراد)[٦]، وإلى دير مار جرجس المجاور للنبع السبتي. (ص ٣١١) ما يزال هذا الدير مركز احتفال سنوي كبير، حيث يجتمع أبناء المنطقة للصلاة والتسلية وقضاء أعمالهم.

يقدم لنا ناصري خسرو[٧] في القرن الحادي عشر وصفاً دقيقاً لهذا النبع: "شاهدنا في الجبل نبعاً لا يجري طيلة السنة، كما أخبرونا، إلاّ في ثلاثة أيام، اعتباراً من ١٥

---

[1] خاصة حيث ازدواجية اللغة في مالطة (C. I. S., 122 et 122 bis)، حيث المعادل اليوناني هو (Διονύσιος). كان أوزيريس (ὁ Αἰγύπτιος Διόνυσος)، راجع: Nonnus, 4, 269.

[2] Renan, Mission, p. 176.

[3] Clermont-Ganneau, Journ. Asiatique, 1878, II, p. 237.

[4] Philon de Byblos: Βεελσάμης; deVogüé, Journ. Asiatique, 1896, II, p. 328 et 330 : Βεελίαβος dans une inscription du Liban. وفي هاب، على مسافة قصيرة شمالي صافيتا، عثر رونان (Renan, Mission, p. 104) على اسم الإله (Βήλου). وفي تدمر بعل = بول (Ba‘al = Bôl). وفي نقش تدمري يعود للعام ٧٩ ميلادي، نعثر على (Βωλβιράχου): Waddington, Recueil, 2613.

[5] Post, P. E. F., Quarterly statement, 1893, p. 40, tanscrit: Tel Kalakh.

[6] وصفه راي في: REY, Monum. de l’archit. Milit. Des croisés, p. 39-67. سيقدم ماكس فان برشم قريباً دراسة إضافية عنه.

[7] Nassiri Khosrau, Sefer Namèh, trad. Schefer, p. 38.

شعبان، ثم يتوقف ولا تخرج منه قطرة واحدة حتى العام التالي. ويزوره عدد كبير من الحجاج لمرضاة الله بأعمال التقوى. ولقد شيدت الأبنية الكبيرة في هذا المكان، كما حفرت فيه الآبار[١].

يستفيد هذا المزار من موقعه على إحدى الطرقات الأكثر عبوراً في سورية، وهي الطريق التي تربط مباشرة طرابلس، عبر أرطوسية وعرقة، بحماة وأفاميا. ويخبرنا جوزيفوس[٢] (ὁ Σαββατικός)، وهو الذي نقل إلينا اسم النبع السبتي، أن تيتوس توقف هناك أثناء انتقاله من عرقة إلى أفاميا. وشرح لنا مصدر التسمية بأن الماء لا تجري منه إلاّ في سبعة أيام. وعليه يبدو هذا الاسم السامي كلمة محلية، لا سيما وأنه تم الاحتفاظ بها في نهر السبته[٣] Nahr es-Sabté المكون من النبع السبتي. وإلى هذا الاسم نسب بلانش Blanche شبطون Shebtoun أو شبطونا Schabtouna، المدينة المذكورة في النصوص المصرية المتعلقة بمعركة قادش. قد تكون شبطونا الاسم القديم لقلعة الحصن[٤]. أقرت مارييت Mariette هذه المماثلة. ويعترض ماسبيرو بأن شبطونا يجب أن تكون جنوبي قادش[٥]. لا يكون هذا الاعتراض مقبولاً إلاّ إذا كانت القوات المصرية قد وصلت إلى وادي العاصي عبر الليطاني والبقاع. ولكن لا شيء في (ص ٣١٢) النصوص المصرية يعني بشكل حاسم أن رعمسيس الثاني قد سلك هذه الطريق، غير الملائمة لجيش عديده بين ١٥ و٢٠ ألف رجل[٦]، وهي صعبة المسلك بالنسبة للعربات. ولما كانت الطريق عبر دمشق على شيء من المخاطرة بفعل تواجد البدو، فإن أفضل طريق للفتوحات تكون طريق الساحل عبر بيروت. وهذه الطريق تنحرف عند طرابلس إلى الشرق في وادي النهر الكبير. ويكفي أن نتذكر النصب التذكارية المحفورة على صخور نهر الكلب، والتي يروي

---

[1] نتساءل ما إذا كانت هذه الأحواض هي التي تؤدي إلى إخراج المياه في اليوم المحدد.

[2] Josèph, De bello jud., 5

[3] اسم ذكره طومسون؛ راجع: Ritter, Erdkunde, XVII, p. 846

[4] Blanche, Bulletin de l'Institut égyptien, 1874-1875, p. 128. يجعل بلانش من مريمون Meriamon وشبطونا مدينة واحدة. بينما تميز بينهما بوضوح قصيدة بنتاور Pentaour. سنرى لاحقاً موضعاً ممكناً لمريمون.

[5] Maspero, Histoire des peoples de l'orient classique, t. II, p. 390, n. 3. وفي موضع آخر، المرجع (ibid., p. 9, n. 20) يقترح ماسبيرو مع بعض التحفظات إطلاق أسماء شبطون والسبتي على النهر الكبير (إلوتيروس).

[6] راجع حول تقدير عديد الجيش المصري: Maspero, op. cit., p. 212, n. 5.

أقدمها مرور رعمسيس. وهذه الطريق هي الوحيدة التي تتوافق مع الروايات عن موقعة قادش[1]. وفي الحقيقة فإن المعطى الطبوغرافي الأساسي، وهو من أكثرها بعداً عن الجدل، والذي تقدمه هذه الروايات، هو الموقع الذي كان يحتله الفرعون في طليعة قواته لحظة الهجوم. إن نصوص إسامبول Ibsamboul تعينه شمالي غربي قادش، أما قصيدة بنتاور Pentaour فتجعله إلى الشمال. بيد إنه من غير المعقول أن يغامر رعمسيس الثاني شمالي قادش، بينما تكون قواته إلى الوراء، جنوبي المدينة. وإذا لم تواجهه قوات الحثيين التي تترقبه، فإن مجرد قوة منطلقة من قادش تقطع عليه طريق العودة. والحال، فإننا نرى رعمسيس يحتفظ باتصاله بمعظم جيشه، حتى في الوقت الذي بدأ فيه هجوم الحثيين وحلفاؤهم.

يتضح كل ذلك بجلاء إذا ما افترضنا أن الجيش قد جاء عن طريق الساحل: رعمسيس في الطليعة يبلغ شمالي قادش، في حين أن القسم الأكبر من جيشه يكون جنوبي شبطونا (قلعة الحصن). أما جيش العدو، فكان يكمن جنوبي قادش[2].

(ص ٣١٣) **حبنمرا**[3] **Abnumrah**: أربعون دقيقة إلى شمالي مرمريتا. وجدنا في حائط بقايا نقش يوناني محطم من جميع جوانبه.



يجب أن نقرأ في السطر الثاني α بدل λ.

---

[1] E, de Rougé, Le Poème de Pentaour, dans Recueil de Travaux, t. I, p. 1 ets. Et J. de Rougé, Le Poème de Pentaour, Revue égyptologique, t. III, p. 149 et s. et t. IV, p. 80 et s.et tomes suivants ; P. Guieysse, Textes historiques d'Ipsamboul, dans Recueil de Travaux, t. VIII, p. 1 et s. Maspero, op. cit., p. 390 et s. avec la bibliographie complète.

[2] هذه هي المواقع التي تعينها النصوص. يجب، وفق الفرضية التي تجعل الجيش المصري آتياً من الجنوب، أن نفترض بالضرورة تجمع الجيش الحثي شمالي شرقي قادش (راجع: ماسبيرو، المرجع المذكور، ص ٣٩١). والحال فالنصوص حاسمة: "اجتاز الحثيون الخندق جنوبي قادش واخترقوا وسط جنود صاحب السعادة" (راجع: P. Guieysse, op. cit., p. 132) "خرجوا من الجهة الجنوبية لقادش"، راجع (J. de Rougé, Revue (Egypt., t. IV, p. 124-125). إن خريطة بلانكنورن Blanckenhorn هي التي تعين بأفضل شكل تضاريس المنطقة: تقع بحيرة حمص في سهل فسيح حيث أدنى فروقات الارتفاع تأخذ قيمة إستراتيجية كبيرة.

[3] عبد نمرا Abdnumrah برأي راي. إن اسماء الأمكنة التي تدخل في تركيبها كلمة "نمر" لا تشير إلى وجود النمور في سورية، بل بالأحرى إلى وجود نوع منها هو اليربيس Onces. وبعض هذه الحيوانات يتواجد اليوم في لبنان وجبال النصيرية.

ثمة نقش يوناني آخر في حائط، الحجر مكسور من الأسفل. Γόρας أو Γέρας هو اسم المتوفي. تبدأ سنة ελτ' بالرزنامة السلوقية في ١ تشرين الأول، ٢٤ وفق رزنامتنا.

ΕΛΤ
ΓΟΡΑϹ
ΟΤΙΑΙΟ

على مصراعي باب بازالتي يشبه أبنية حوران نرى رسوماً من العصر المسيحي، نقدم أحدها الصورة رقم ٢ على المصراع الأول.

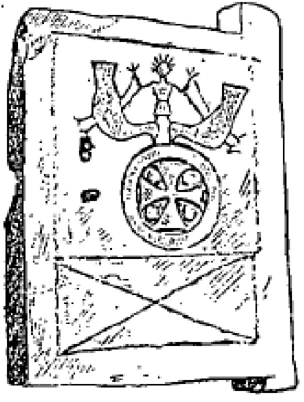


Fig. 2.
Dessin chrétien sur une porte en basalte.

وعلى المصراع الآخر نرى صليباً عارضته الأفقية مزدوجة double barre transversale.

بعيت: بعد ساعة وربع الساعة نصل إلى بعيت Bé‘it أو بعيد Bé‘id، حيث بضعة آثار يونانية- مسيحية. وبعد ٢٠ دقيقة وجدنا في قرية حربا Harba مقبرة هامة قبورها محفورة في الصخر، وكلها متموضعة كما في الصورة رقم ٣.

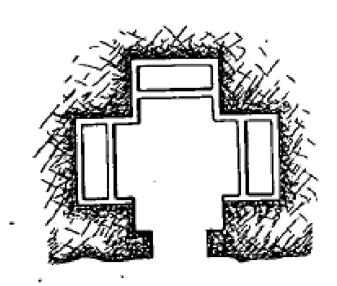


Fig. 3. — Tombeau dans le rocher.

ثمة سرداب للدفن يضم ١١ قبراً، أربعة في كل من كوة اليمين والشمال، وثلاثة في كوة مؤخرة السرداب. بعد ساعة وخمس دقائق نصل عين ملوعا ‘Ain Mallou‘a في سفح قرية بنفس الاسم؛ وبعد ٢٠ دقيقة نصل بيت سعيدة (أو سيدة) Beit Sa‘idé، وفي جوارها في حفة Hafé وبقطو Baqto، تبدو للعيان قبور محفورة في الصخور من نفس النوع (ص ٣١٤) المذكور أعلاه. يبدو جبل سعيدة المشرف على القرية كقمة منعزلة تكللها آثار قلعة هي صليبية على الأرجح. وبعد ٢٥ دقيقة نصل إلى كفرون، ومن هناك نجتاز بلدة المشتى الكبيرة، وعلى يسارنا العيون حيث قررنا موضعة قرية لي فونتين[1] Les Fontaines، فنصل إلى مريمين Mariamin بأقل من خمس ساعات.

مريمين: تكثر الآثار القديمة في هذه البلدة النصيرية. وجدنا نقشاً لاتينياً على حجر كلسي محطم من كل جوانبه، فأخذنا وشماً له. إنه شاهدة قبر لجندي مولود في انطاكية، ترقى إلى رتبة الحرس عند ماكسيموس سبيكولاتور Maximus Spiculator.



وجدنا نصباً بازلتياً، فأخذنا له وشماً، على أعلاه تاج، ونرى في إطار صغير النقش الآتي:

[1] REY, Col. Franques. De Syrie, s. v.

ΔΟ
M N   Δόμνους
ΟΥΣ

ترجمة عن اللاتينية دومينوس Dominus. وغالباً ما نجد (Δόμνος). ونقرأ تحت الإطار: AOC، ثم يصبح الحجر غير مصقول.

ثمة مسلة بازلتية تمثل جندياً لباسه على الطريقة الرومانية، يجب أن يكون من نفس المرحلة (الصورة ٤).



Fig. 4.
Stèle funéraire.
Mariamin.

هذه المسلة البازلتية العائدة إلى المرحلة اليونانية- الرومانية تحمل خطين من النقوش اليونانية. أما المتوفي فمحفور له تمثال نصفي، ويبدو ممسكاً بيده اليمنى

مقبض سيف. وفي الأعلى نجمية تتوسط شريطية، ما يشكل تحويراً، على سبيل الزينة، لشعار القرص والهلال المعروف جيداً.

(ص ٣١٥) أما النقش الكتابي فمشوه، عملنا على أخذ رشم له ونسخه وتصويره، فجاء على الأشكال الآتية:

رشم: ΔΟΜΝΟΞΟΔΕΜ▒ΠΡΟΜΟΙ · ⁝ ƆIIIIHHNIKI IIΨ \Ε

نسخة: ΔΟΜΝ□Η · LΕIIIΠΙ ΟΜΟΙ ΙΙ · ƆΠΕΙΕIIIIKIIIX : L I

صورة:

ΔΟΜ\□ · Ο · ΕΜ · ΠΡΟΜCII · · ƆΠΕΙ · I▒▒▒▒

رشم: Ο · IIHEHPAE IMIIHNШ NΠA I \ W · · · · · · · H

نسخة: ▒▒▒▒IEHHEIMKH · ШNIIA · · III · · N · IH

صورة: Σ · ΕΙΕΗΑΕΙω · Η · Ш ΝΗ · · · · · · · · M · MH

الأرجح أن اسم المتوفي هو Δόμνος.

يندرج في نفس صنف المنحوتات السابقة الرأس الشعاعي على القاعدة البازلتية (صورة ٦، من مريمين).

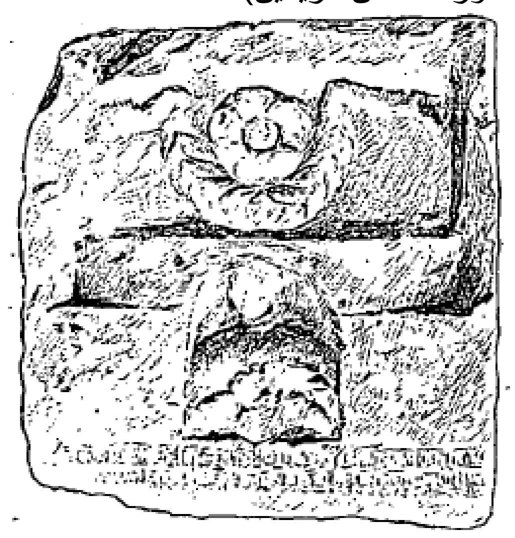


Fig. 5. — Stèle funéraire. Mariamin.



Fig. 6.5— Basalte. Mariamin.

يرجع النقش الكتابي الآتي إلى العصر المسيحي. وهو منقوش على ساكف على قسمين يفصل بينهما صليب. أخذنا له الرشم أدناه:

ΕΛΟΞΑΝ▨ V		ΤΟΕVΚΤΗΡΤΗC
ΟVΘVΗΝΟΝ	Croix	ΘΕΟΤΟΚȢΜΑ
ΙΙΤȢΟCΙω		ΡΙΑCωΚΟΔΟΜ
ΗCΚΚ\▨		ΕΤȢCΔωΜ

السطور الثلاثة الأولى من قسم اليسار كاملة، ربما يجب أن نقرأ (Ἔδοξαν) ونصحح في السطر (ص ٣١٦) الثالث (τοῦ ὁσιω(τάτου))، وفي السطر الأخير (ἡ ἐκκ[λησία]). اما المعنى فيفوتنا. وإلى اليمين:

Τὸ εὐκτήρ(ιον) τῆς Θεοτόκου Μαρίας ᾠκοδόμ(ησα?). Ἔτους δωμ΄

إذا اعتمدنا التقويم السلوقي، فسنة ٨٤٤ تبدأ في الأول من تشرين الأول من سنة ٥٣٣ ميلادية. وكما سنرى، فإن مريمين كانت في ذلك التاريخ مركز أسقفية.

تكفي هذه النصب لتبرهن أننا أمام موقع تاريخي قديم على قدر من الأهمية. فمريمين يذكرها في القرن الثالث عشر الجغرافي العربي ياقوت، تماماً بحالتها

الراهنة، كقرية بجوار حمص[١]. إنها مريام Mariamme التي يذكرها المؤرخون القدماء، والتي ماثلناها مع صافيتا Safita (الحصن الأبيض Chastel- Blanc)، ومن ثم مع قلعة الحصن (حصن الأكراد). كانت مريمين، قبل الفتح العربي في القرن الخامس والسادس، أسقفية مرتبطة بأفاميا[٢] Apamée. وفي العام ٢٦٩ دفن المسيحي جيلازيزس الذي رجم في بعلبك في موطنه مريام حيث أقيمت لتخليد ذكره كنيسة خاصة[٣].

وضع بطليموس[٤] هذه المدينة شرقي طرطوس Antarados وبمستواها، أما بلين فتحدث عن شعب المريميين[٥] Mariammitani. وجاء أقدم ذكر لها مع أريين[٦] Arrien: وضع جيروسترات، ملك أرواد، بالاتفاق مع باقي ملوك فينيقيا وقبرص، أسطوله في خدمة داريوس. ولكن ما ان شاع خبر عزم الاسكندر، إثر معركة إيسوس، على الدخول إلى سورية حتى أسرع إبنه ستراتون، بغياب والده، إلى ان يقدم المملكة الأروادية للمنتصر. وبهذه المناسبة وضع أريين حدود هذه المملكة: فهي تضم كل البلاد الواقعة بين الساحل وسيغون Sigon ومريام. أما سيغون فهي صهيون الراهنة[٧].

(ص ٣١٧) تعود أهمية مريمين في العصور القديمة إلى سببين: كانت مركزاً زراعياً من الدرجة الأولى، كما كانت تقع على الطريق المؤدية من طرطوس إلى وادي العاصي مقابل حمص والرستن.

تشرف مريمين على وادي العاصي الفسيح من بحيرة حمص حتى حماة؛ وأهمية موقع المراقبة هذا جعل منه مركزاً لحامية عسكرية منذ القدم. ولعل نصب الجنود التي ذكرناها للتو تشهد على ذلك في المرحلة اليونانية- الرومانية. ولقد رأينا أن

---

[1] مريمين. Yâqout, éd. Wüstenfeld, IV, p. 516: بينما يقرأها خطأً ليسترانج: Guy le Strange, Palestine under the Moslems: Marîmin

[2] Le Quien, Oriens Christ., II, 919. Cf. Notitia Antiochiæ et Ier. Patriarch., éd. Tobler et Molinier, p. 331. تدرجت كتابة الاسم من مريام Mariamme حتى وصل إلى مريمين Mariamin على الشكل الآتي: Mariani, Mariam, Mariania

[3] Chronicon Paschale, éd. Dindorf, I, p. 513.

[4] Ptolémée, V, 15, 16

[5] Pline, H. N., V, 23, 12

[6] Arrien, Anab., II, 13, 8

[7] سنعود لا حقاً إلى أهمية هذا التعيين. ويكفي لقبوله ملاحظة ان اليونان، عند الفتح العربي، ما كانوا يلفظون gamma، ولهذا فهم العرب Sion، وجاءت عندهم صهيون Sahion.

مريمين كانت في زمن المملكة الأروادية مدينة حدودية. ولعل أهميتها تعود إلى زمن الغزوات المصرية الكبرى[١].

إن مريمين المتراجعة جداً تدين بوجودها إلى واقعها الزراعي: فالقمم القليلة الارتفاع المحيطة بها تنتج أفخر أنواع العنب وأنواع التين المشهورة التي تجفف ويتم الاتجار بها بكثافة. وهذا ما أدى إلى تسمية هذه المنطقة، منطقة المريميين على حد كلام بلين، باسم جبل الحلو.

بعرين Bârîn (**مون فراندوس** Mons Ferrandus) **ورفنية** Raphanée: نصل من مريمين، عبر طعونة Ta‘oun بأقل من ساعتين، إلى بعرين[٢]. تقع القرية الحالية على تلة تكللها خرائب حصن ما تزال ظاهرة آثار سوره الصليبي مون فراندوس، قلعة بعرين. ولقد وجدنا، علاوة على النقوش العربية، النقش الآتي على حجر كلسي مكسور على يساره:

BIRONIEIROC
C · SIIAFSIVIXIIA
VILPBIRONIVS
SIMVSCONIVCIS\
FNSSIMFECIT

(ص ٣١٨) Bironii Roc… vixit an(nis)?? VI. L(ucius) P(ublius) Bironius … fecit

تقع آثار رفنية على مسافة ربع ساعة من بعرين. إن هذه المدينة على أهمية إستراتيجية عظيمة بفضل موقعها على منفذ على الطريق من طرابلس إلى حلب، عبر أرطوسية وعرقة والنبع السبتي ورفنية وأفاميا. هذه الطريق التي سلكها تيتوس[٣] Titus مذكورة في لائحة بوتنجر Table de Peutinger. وفي القرن الحادي

---

[1] ورد ذكر مريمين في أيام تحوتمس الأول، راجع: Brugsch, Geschichte Aegytens, p. 269؛ وفي حوليات تحوتمس الثالث، المرجع السابق، ص ٣٣٢. هل تكون مريمين هي المدينة الواردة في قصيدة بنتاور؟ راجع: J. de Rougé, Revue égyptologique, t. III, p. 157؛ يبدو ذلك ممكناً إذا اعتبرنا أن القوات المصرية قد جاءت على طريق الساحل الفينيقي.

[2] يقول ياقوت: بارين، ولكنه يلفت نظرنا إلى أنها تلفظ أيضاً بعرين، راجع: Guy le Strange, op. cit.

[3] Josèphe, De bello jud., VII, 5, 1.

عشر يخبرنا ناصر خسرو[١] بوجود طريقين تنطلقان من حماة؛ تؤدي الأولى إلى الساحل السوري عبر النبع السبتي وعرقة، بينما تتجه الأخرى نحو الجنوب وتصل إلى دمشق. أما لائحة بوتنجر فتعين أيضاً طريقاً تنطلق من رفنية إلى طرطوس. وكانت رفنية في زمن الرومان مركز فيلق عسكري. فالفيلق الثاني عشر أقام فيها فترة قبل أن يعود إلى ميليتين[٢] Mélitène. ولكن الفيلق السادس هو الذي استقر فيها تماماً. هذا ما نجد البرهان عليه في النقش الآتي المحفور بحروف واضحة على نصب أبعاده ١,٨٥م ، ٠,٨٠م، ٠,٧٢م:

ORIPL · A\\□
CORNELI
VXOR CVII
SEVERI TRI
MIL LEG VI FE
H S E

...Corneli(ae) uxor(is) cu(ra) Severi tri(buni) mil(itum) le(gionis)VI Fe(rratae). H(ic) s(ita) e(st)

يفسر اسم فراتا الذي يحمله الفيلق السادس تسمية حصن فراندوس (حصن بعرين)؛ وعليه فإن بعرين كانت المعسكر المحصن للفيلق.

تمتد مقبرة رفنية، حيث وجدنا النقش السابق، إلى شمالي المدينة. لقد عرضوا علينا تمثالاً برونزياً رومانياً (الصورة ٧) (ص ٣١٩) تم العثور عليه في رفنية. رجل اليسار مكسورة على مستوى الركبة، أما اليد اليمنى فبلا أصابع. هذا التمثال البرونزي على قدر من الأهمية بفعل زينة الرأس على طريقة الإلهة إيزيس. إنها فينوس التي تمسك المرآة بيدها اليسرى، وربما قليلاً من الحمرة باليد اليمنى، وهي تشبه تمثالاً برونزياً عثر عليه في طرطوس[٣].

---

[1] Nassiri Khosrau, Sefer Namèh, éd. Sxhefer, p. 38.
[2] Josèphe, De bello jud., VII, 5, 3
[3] Clermont-Ganneau, Mission en Palestine et en Phénicie, p. 124, pl. III, fig. D.



Fig. 7. — Bronze.
Raphanée.

على مسافة ١٥ دقيقة إلى الغرب من هذه المقبرة ثمة جامع مدمر، مبني بحجارة كلسية ضخمة وأعمدة محطمة. يبلغ حجم أحد الحجارة المزين بناتئة على طرفيه (مكسور بمنتصفه) ١,٥٠م طولاً، ١,٤٢م عرضاً، ٠,٧٧م سماكة؛ هذا القياس مأخوذ خارج الناتئات الحادة التي تميز المواقع الأثرية العائدة للعصر الروماني في سورية. وهذا المكان المسمى أرض حدرية Ard Hadrié هو موقع معبد قديم.

من هناك نتجه غرباً، بعد أن نترك قرتمان[١] Qurtmen على يميننا، فيظهر لنا في البعيد حصن مصيد Masyad، لنصل في مدى ساعة و٤٥ دقيقة إلى قرية عين

[1] عينها روهريخت كموقع لقرية كارتامار Cartamare الصليبية: Röhricht, ZDPV, X, 259

حلاقين. يلزمنا من هذا المكان ساعتين ونصف حتى نصل إلى حصن سليمان مروراً بعين شمس. وقبل وصولنا بقليل نجتاز على يسارنا قمة القليعة[١].

حصن سليمان Bætocécé: سبق أن زار هذا المعبد راي[٢] Rey وجيسوپ[٣] R. S. Jessup منذ أكثر من ٢٠ سنة. أخذ راي وشماً للنقش الكبير على الباب الشمالي ما مكن ودينغتون[٤] من وضع النص النهائي له. (ص ٣٢٠) أما جيسوپ فاكتشف نقشاً فوق الباب الشرقي. وتمكنا من أخذ خمسة نقوش جديدة، أو بقايا نقوش.

إن النقش الكبير على الباب الشمالي هي تثبيت من قبل الامبراطور فاليريان وغاليان الامتيازات التي منحها ملوك سورية إلى سكان بلدة حصن سليمان Bætocécé. وبهذه المناسبة فإن السكان سحبوا من أرشيفهم رسالة من أنطيوخس وقسماً من مرسوم موجه إلى أوغست كي ينقشوهما خلف النص اللاتيني. وحصلت هذه النقوش بين سنوات ٢٥٣ و٢٥٩ ميلادية. أما الآلهة فمذكورة مرة واحدة في رسالة أنطيوخس بشكل (θεοῦ Διὸς Βαιτοκαίκης).

يشبه حصن سليمان الشكل العام للمعابد السامية: نطاق واسع مسور بحيطان عالية جداً، ومبنية بحجارة ضخمة، تحجب عن عيون العامة المعبد والهيكل الصغير الذي يستطيع دخوله بضعة كهنة فقط. ولهذا النطاق أربعة أبواب كبيرة، واحد من كل جهة. النقش على الباب الشرقي (الصورة ٨، fig. 8) الذي سنقدم صورة عنه لأن صورة جيسوپ خاطئة، عبارة عن إهداء

---

[1] وجد فيها راي، Rey, Col. Fr., p. 363، القليعة التي عينها روهريخت، Röhricht, ZDPV, X, 260، في قضاء حصن الأكراد شرقي اللاذقية.

[2] Rey, Archives des missions scientific. et litt., III, p. 336 et s.

[3] S. Jessup, Palestine explor. Fund, 1873, p. 26 et suiv.

[4] Waddington, Recueil des inscriptions grecques et lat. de Syrie, n° 2720 a.

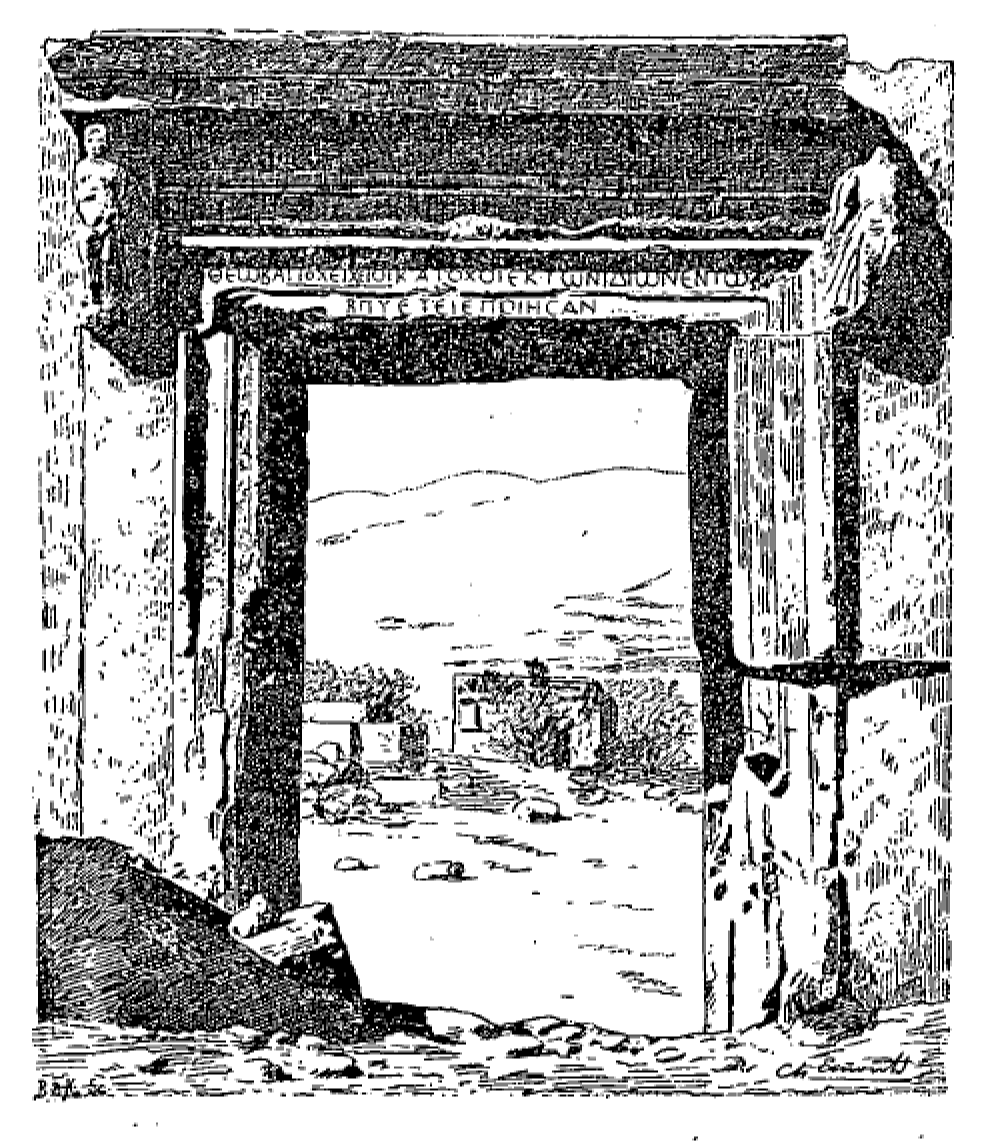


Fig. 8. — Porte Est de l'enceinte de Ḥoṣn Soleïman.

يعني أن سكان المحلة (οἱ κάτοχοι) شيدوا هذا البناء من مالهم الخاص للإله المحلي (θεῷ Βαιτοχείχει)، سنة ٤٨٢ بالتقويم السلوقي، وهي السنة التي تبدأ في الأول من تشرين الأول من عام ١٧١ ميلادية.

θεῷ Βαιτοχείχει οἱ κάτοχοι ἐκ τῶν ἰδίων
ἐν τῷ βπυ' ἔτει ἐποίησαν.

إن التاريخ أكيد رغم أن جيسوپ قرأه (βπχ). تجدر الملاحظة مباشرة أن التاريخ يعين فقط السنة التي تم فيها وضع ساكف الباب. هذا بينما نجد التاريخ مختلفاً على الباب الجنوبي. أما طراز الباب فهو الطراز المشهور في ذلك الزمن. فالناتئات الضخمة متناسقة مع حجم الحجارة وثمة علامتان للنصر (2 VICTOIRES) تسندان الإفريز: هما من النوع الهلنستي المكرسان بانتصار ساموتراس Samothrace، ونجدهما على الباب الغربي.

(ص ٣٢١) لكل واحد من الأبواب الثلاثة الباقية نقش إهداء. الباب الجنوبي (صورة رقم ٩، fig. 9) لم يبق فيه غير بضعة أحرف: (ΘЄωΝ Θ).

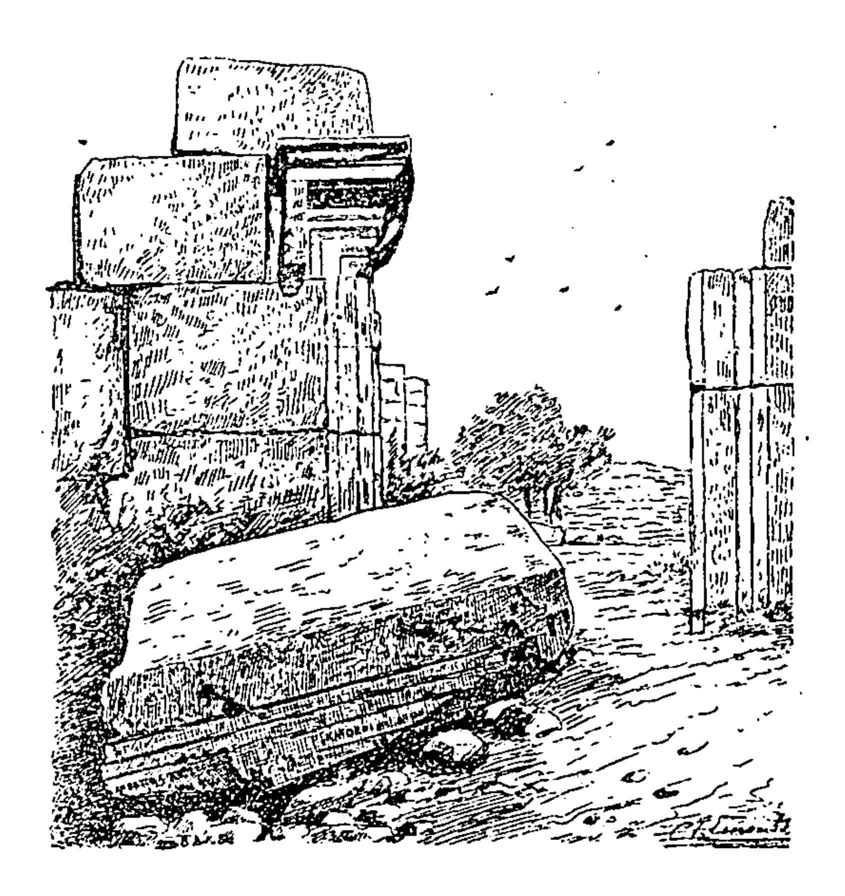


Fig. 9. — Porte Sud de l'enceinte de Ḥoṣn Soleïman.

إنه على الأرجح إهداء للإله (θεῷ Μ[εγίστῳ]) وهو النعت الكثير الاستعمال في سورية للإشارة إلى الإله توبيك[1] Topique.

ثمة على الأرض أمام الباب حجر ضخم له ناتئة (٢,٥٢م، ١,١٥م، ١م)، مكسور على يساره، (ص ٣٢٢) وعليه نقش من السهل ترميمه بفضل الإهداء الموجود على الباب الشرقي:

[θε]ῷ Βετοχα[ί]χι οἱ κάτοχοι ἐ[κ]
ἰδί[ων] ἐν τῷ εϙʹ (ἔτει ἐποίησαν).

أما التاريخ فيطابق، وإن يكن ذلك مع شيء من عدم الدقة بفعل وجود **ع**، العام ١٩٤-١٩٥ ميلادية. وإذا ما اعتبرنا القسم الجنوبي من السور قد أنجز بناؤه مع نهاية العمل، يمكننا إرجاع بناء هذا المعبد إلى النصف الثاني من القرن الثاني. إن لهذه التواريخ قيمتها الثمينة. ولولاها لوجب اعتبار هذا السور صناعة فينيقية، أو من صنع الجبابرة muraille cyclopéenne ou phénicienne، على اعتبارها تعود إلى أقدم العهود. فبعد بعلبك نستطيع في حصن سليمان أن نجد أكبر الحجارة المنحوتة، وهنا أيضاً فإن الأحجام المتماثلة وطريقة البناء ذاتها ونفس الزخرفة لا تسمح بافتراض أن البناء يعتمد على مواد سبق استعمالها في بناء آخر. هذا فضلاً عن أنها لنظرية غريبة تلك التي تعتبر أن الحجر يكون أكثر (ص ٣٢٣) قدماً كلما كان أكبر حجماً. فمثل حصن سليمان يساهم في تدمير بقايا التصور القديم عن وجود شعب العمالقة، لأنه يكشف أن سورية في العصر الروماني كانت مأخوذة فعلياً بجنون العظمة.

إن الحجر المطروح أرضاً أمام الباب الجنوبي لا يطابق، بناتئاته ولا بنقوشه، قسم الساكف الباقي في مكانه. وليس من المعلوم أين يجب وضعه فيما لو شئنا إعادة البناء كما كان في الأصل ، إلاً إذا شئنا وضعه فوق الساكف.

...[Β]αιτοχίχι...

فوق الباب الشمالي بوسعنا قراءة بقية من نقش: (·········ΟΣ········).

أما بخصوص الباب الغربي (الصورة رقم ١٠، fig. 10)- نجد في منتصف فرجة الباب قاعدة دائرية لم نتمكن من تحديد ما إذا كانت ثابتة- فنقشها صعب القراءة:

---

[1] Renan, Mission de Phénicie, p. 223-225 et 338.

حروفه معدنية مثبتة بألسنة موضوعة في خروم دقيقة، ولم يبق منها غير الألسنة النحاسية أو الخروم فقط.

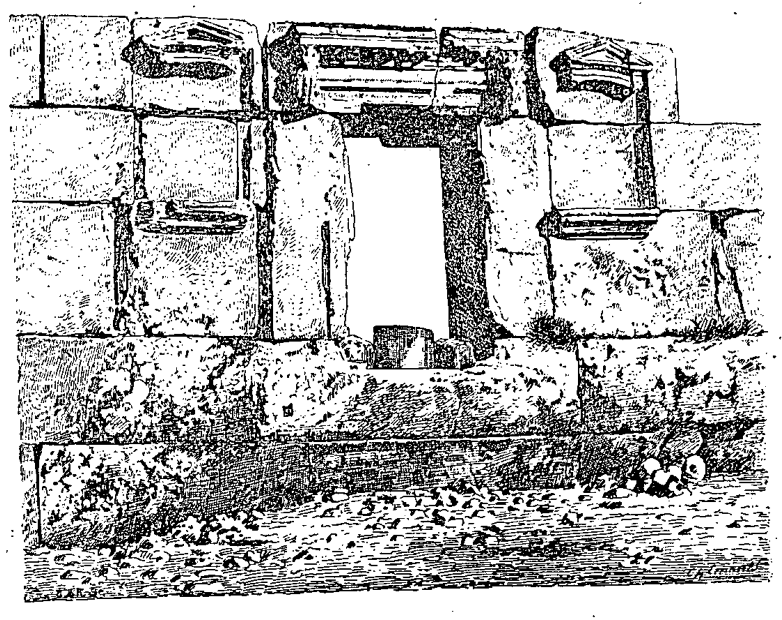


Fig. 10. — Porte Ouest de l'enceinte de Ḥoṣn Soleïman.

(ص ٣٢٤) نقدم هنا صورة طبق الأصل حرصنا فيها على تبيان دقيق لوضع جميع الخروم:

نقرأ بيقين (θεῷ Ἀσκαλων·α.....)، مع ملاحظتنا أنه بعد N فإن الخطين العموديين قريبان بحيث يعطيان H. وهكذا فإن الإلهة خاصة بشعب مدينة عسقلان. إن الصيغ المذكرة لا تؤدي بنا إلى نهاية في التصريف متوافقة مع آثار أمكنة نقش الحروف. أما صيغة المؤنث في (Ἀσκαλοναῖα) فهي أكثر موافقة. فيكون لدينا (θεῷ Ἀσκαλοναίᾳ)، مع (η = αι)، وبالتالي نرمم النقش لنحصل على:

ΘΕΩΑΣΚΑΛΩΝΗΑΙ

ومن هنا يصبح أمامنا إلى جانب Ζεύς، أو بعل Ba‘al، (Βαιτοκαίκη) إلهة parèdre هي الإلهة المعبودة في عسقلان. وهذه التسمية (θεὰ Ἀσκαλοναῖα) لا توجد في أي مكان آخر، ولكنها تحيلنا إلى معبد معروف جيداً، يشدد هيرودوت

على أهميته: "هذا المعبد (معبد عسقلان)، كما دلت أبحاثي، هو أقدم معابد هذه الإلهة، لأن معبد قبرص Cypre بُني على طرازه، على حد قول القبارصة أنفسهم، والفينيقيون المنطلقون من هذا الموقع من سورية هم الذين بنوا معبد جزيرة كيتيرا Cythère"[1]. إن معبد Bætocécé يؤيد شهادة هيرودوت.

إن إلهة عسقلان السورية، درسيتو Dercéto أو أترغاتيس Atergatis، كانت تتمثل بتمثال نصفه امرأة ونصفه سمكة[2]. وفي هيرابوليس Hiérapolis بالقرب من الفرات كان تمثال الإلهة بكامله على شكل امرأة، ولكن ذلك لا ينفي أصله البتة. وثمة من يزعم أيضاً أن معبد هيرابوليس كان في زمن لوسيان Lucien مكرس للإلهة درسيتو[3]. وكما هي الحال في عسقلان، كانت الأسماك مقدسة هنا أيضاً[4]. ثمة طقوس أخرى (ص ٣٢٥) تكشف الأصل البحري لهذه الإلهة: "فالاحتفالات الكبرى هي تلك التي يتم الاحتفال بها على شواطئ البحر"[5]. ومن هنا كان كل واحد يعود بوعاء يتم إقفاله بعد تعبئته بعناية من مياه البحر لتجري إراقته إكراماً للإلهة. وإذا كانت نفس خصوصيات العبادة معمولاً بها، كما هو مرجح في Bætocécé، فهذا يعني أن على المؤمنين ارتياد الشاطئ المقابل لأرواد. فمن أرواد أيضاً تغلغلت عبادة درسيتو إلى Bætocécé. ونحن لا نعرف رسماً تمثيلياً لعشترت Astarté أرواد. ولكن ثمة نقشاً مصرياً يسمح بتعيينها في هذه الإلهة السورية، ولهذه العشترت- الغريبة، كما يسميها هيرودوت، كان هناك معبد في ممفيس، في حرم الإله السمكة، في بروتيه[6] Protée، في مركز المستعمرة الفينيقية.

نعثر في أرواد على الإلهة المعبودة مع بعل ممثل على أقدم عملات الجزيرة[7] بنفس تمثال داغون Dagon عسقلان الموجود على ستاتير (ليرة ذهبية) مشهور[1].

---

[1] Hérodote, I, 105, trad. P. Giguet. Cf. Pausanias, I, 14, 6.

[2] Lucien, De dea Syria, 14; Diodore de Sicile, II, 4, 2-5.

[3] Lucien, ibidem.

[4] Lucien, ibid., 14 et 47.

[5] Lucien, ibid., 48. كان هذا الاحتفال يحصل مرتين سنوياً، المرجع السابق، ١٤.

[6] هذا ما بينه بروغش Brugsch استناداً إلى نقش عثر عليه رينان، راجع Renan, Mission de Phénicie, p. 56-57؛ Maspero, Hist. anc. des peuples de l'Orient, t. II, p. 170؛ راجع حول تأويل نص هيرودوت II, 112: Victor Bérard, Origine des cultes arcadiens, p. 152.

[7] E. Babelon, Les Perses achéménides, pl. XXII, fig. 1-6. يمكننا أن نتابع على هذه اللوحة تحولات أنماط الآلهة. فبعد أن كان يتم تمثيلها من خلال تمثال نصفي (صور ٧-٩) لم يعد الإله يتمثل بغير الرأس (صورة ١١ وما يليها)، وذلك وفق أسلوب متأثر، كما لاحظ بابلون، op. cit., p. CLVI، بالفن القبرصي. ولكنه بقي

إن علم المسكوكات الذي بين تقارباً واضحاً للغاية بين عسقلان وأرواد، يقدم تقارباً آخر بين أرواد وBætocécé. تضم الواجهة الشمالية لسور Bætocécé نقيشتين بارزتين. الأولى صورة سبع، والثانية سبع أمام شجرة سرو. ولقد أثبت لاجارد Lajard أن شجرة السرو ترمز إلى الإلهة السورية[٢]. أما السبع فيرمز إلى الإله، مثلما يمثل الثور الإلهة[٣]. (ص ٣٢٦) والحال فإن قطعة عملة أروادية من العام ٢١٧ ميلادية عليها شجرة سرو بين ثور وسبع متواجهين[٤]. ثمة استنتاج يفرض نفسه: كانت Bætocéce معبداً فينيقياً عظيماً، وكان من شأنه أن لعب بالنسبة لأرواد دوراً مشابهاً للدور الذي لعبته أفقا في لبنان بالنسبة لجبيل.

ليست سواكف الأبواب الكبيرة في المداخل هي الأمكنة الوحيدة التي نلاحظ عليها آثار النقوش. ففي كل جهة من الجوانب الداخلية للباب الشمالي ثمة مشكاة صغيرة محفورة لوضع تمثال صغير. وتحتها كان يوجد إهداء. وحده الإهداء لجهة اليمين قابل للقراءة جزئياً:

	. . . .
OY	.ου [εὐξάμε]νος
NOCAN · · HKA	ἀν[έθ]ηκα.

من المحتمل وجود نقوش أخرى، إما على الحيطان - خاصة تحت المشاكي - وإما على الأرض التي ارتفعت كثيراً. ولعلنا نصل إلى حصيلة وافرة من النذور فيما لو كانت الخروم المربعة المحيطة بمشاكي الباب الشمالي هي خروم لتثبيت الحروف. يمكن العثور بالتأكيد على الساكف المكسور للباب الجنوبي: فلا يمكن لكتلة بهذا الحجم أن تتفتت. ولكن الأمر يستدعي سرعة التحرك: فالنصيريون يقيمون داخل الخرائب. لقد لاحظنا أمام المعبد وجود بقايا أتون للكلس، ومن أبسط الأمور أنه يستعمل لانتاج المادة اللازمة لتبييض موقع الولي المجاور.

على الدوام نفس البعل البحري: اما الوجه الآخر فلم يتغير، وعندما اجتاح الفن اليوناني كل شيء، اتخذ رأس الإله سمات بوزيدون Poseidon، راجع: ibid., pl. XXIII, fig. 14.

[1] E. Babelon, ibid., pl. VIII, fig. 3.

[2] Lajard, Recherches sur le culte du cyprès, dans Mém. De l'Acad. Des inscript., t. XX.

[3] De Vogüé, Mélanges d'Arch. Orient., p. 67 ; Victor Bérard, Origine des cultes arcadiens, p. 123. cf. plus loin l'autet du Mechta.

[4] E. Babelon, Les Perses achéménides, Catal., n° 1174, pl. XXIV, fig. 22. Monnaie de Caracalla. Une monnaie d'Elagabale au même type frappé à Arados, dans Lajard, op. cit., pl. VI, fig. 2.

إن المصلى الضيق هو مجرد ناوس يبدو فيه التأثير الروماني بفعل وجود الأعمدة المستعارة التي تزين الجدران.

وفي قمة الجبهية رأس سبع مزخرف بشريطية من النقوش (صورة ١١، fig. 11). لقد عملنا على استخراجه، وتبين لنا، استناداً لنقيشيات الواجهة الشمالية، أنه لم يكن مجرد أمر للزينة.

وبالقرب من المعبد إلى الشمال حيث يقترن بعل Bætocécé (ص ٣٢٧) بإلهة عسقلان نجد آثار الأبنية الفسيحة والجميلة، وهناك اقترح راي التعرف على معهد الكهنة[1]. ثمة هيكل صغير ملاصق لها نلاحظ في مقدمته مشكاة عليها نقش مشوه (ص ٣٢٨) تماماً، وعلى ساكف الباب تظهر بوضوح الخروم المعدة لتثبيت الحروف. نقدم صورته (صورة ١٢، fig. 12)، على أمل المحاولة لاحقاً لكتابة هذا النقش[2].



Fig. 11. — Décoration d'un fronton. Ḥoṣn Soleïman.

---

[1] يمكن مقارنة هذا المجمع من الأبنية بقرية دير سمعان الصغيرة التي بنيت بعد قرنين أو ثلاثة، بجوار كنيسة مار سمعان العمودي الضخمة (قلعة سمعان). تكشف الآثار المحفوظة لدير سمعان أبنية دينية ومنازل خاصة وفنادق، سُمي أحدها في النقش المحفور على ساكف الباب (πανδοχεῖον)، ويعود تاريخ النقش إلى ٢٢ تموز سنة ٤٧٩ ميلادية. راجع: de Vogüé, Syrie centrale, Archit. Civile et relig., pl. 114.

[2] يبدو أن الحرف الأول هو Γ، ولكن النقطة العليا على اليسار غير موجودة في نسختنا؛ إن مختلف الصور المأخوذة لا تظهر هذه النقطة. وهذا ما يبرر إهماله، ويصبح بوسعنا قراءة ΔΙΙ. وبعد مسافة أبعد بقليل يبدو أثر ψ واضحاً للغاية، ما يسمح بافتراض كلمة (ὑψίστῳ.). إن عدد الحروف يفترض (Διὶ θεῷ ὑψίστῳ.). مجرد تخمين.

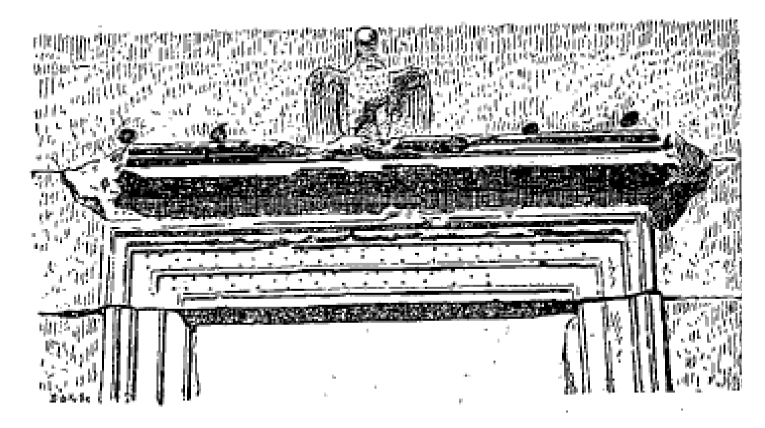
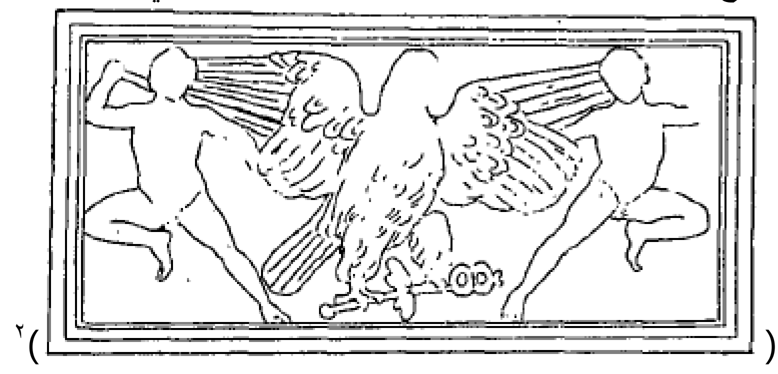


Fig. 12. — Linteau de porte à Ḥoṣn Soleïman.

ثمة عنصر زخرفي غالباً ما يعود إلى حصن سليمان هو النسر. ففي سقف كل باب كبير نجد نسراً باسطاً جناحيه يمسك بمخالبه صولجاناً، وعلى جانبيه صبيان جميلان هما على الأرجح فوسفوروس Phosphoros وهيسبيروس Hespéros، وتسلط نجمة الصبح ونجمة المساء أنوارهما عليه (الصورة أدناه). إن تكرار هذه الزخرفة يبين فعلاً أن المقصود رمز ما يدفعنا لنرى فيه تأويلاً فنياً عند اليونان للقرص المجنح، رمز القوة الموجود على مدخل كل معبد فينيقي[١].

()[٢]

يبقى أن نضيف شيئاً حول اسم هذا الموضع Bætocécé الثابت لجهة أصله السامي مع أنه لم يتم التوصل إلى تحديد معناه. النقوش المحلية تعطينا الترجمات التالية:

رسالة انطيوخوس (Wadd. 2720 a): θεοῦ Διὸς Βαιτοκαίκης.

---

[1] راجع حول القرص الفينيقي المجنح Renan, Mission, pl. IX et p. 69. لقد رسم هذا العنصر الزخرفي السيد راي (مرجع سابق، ص ٣٣٣، وجيسوب، مرجع سابق، ص ٤؛ ولكن ذلك بدون الأشعة التي تنطلق من اليد المرفوعة لكل من الصبيين نحو النسر.

[2] الصورة مأخوذة عن: R. Dussaud, Notes de Mythologie syrienne, Revue archéologique, Janvier -juin, 1903, p. 130, fig. 3. (المترجم)

الباب الشرقي (Jessup, P.E.F., 1873): θεῷ Βαιτοχείχει، ١٧١-١٧٢ ب.م.
الباب الجنوبي (حجر على الأرض): [θε]ῷ Βετοχα[ί]χι، ١٩٤-١٩٥ ب.م.
الباب الشمالي: [θεῷ Β]αιτοχίχι.

لا علاقة لمبادلة المصوتات والصامتات من الحروف الناجمة عن هذه المقارنة بالنقوش اليونانية في سورية. ومبادلة الصامتين κ و χ هو ظاهرة أكثر (ص ٣٢٩) غرابة، ولكن يمكن تفسيرها ببعض الخطأ في تصحيف الاسم السامي باليونانية. وفي هذا الاسم من السهل عزل العنصر Βετ أو Βαιτ = בית = بيت، معبد. أما معنى καίκη أو χείχη أو καίχη أو χίχη فأقل وضوحاً. فلا نرى غير حل واحد ممكن، هي أن تكون هذه العبارة اسم الخروع وقد صُحف من المصرية إلى اليونانية بصيغة κίκι، كما يبين هذا المقطع لهيرودوت: "إن المصريين القاطنين قرب المستنقعات يستخدمون مرهماً يستخرجونه من ثمرة الخروع sillicypria ويسمونه κίκι ... إنه جسم دهني ليس أقل صلاحية للإنارة من زيت الزيتون؛ ولكن رائحته غير محتملة"[١]. هذه النبتة معروفة لدينا من خلال التوراة: إنها كيكايون qiqayon الذي اشتهر من خلال النبي يونان[٢].

ليست نادرة أسماء الأمكنة بهذه الصيغة. ففي التوراة هناك بيت-هاكرم Beth-hakerem (بيت العنب)، بيت- هاشيتا Beth-hachitta (منزل الأكاسيا)، بيت-تافواح Beth-taffouah (بيت التفاح).

أما الخروع فقد لحظ وجوده بويه Boué في جوار دمشق[٣]، ويقول السيد بيدل Beadle أننا نجده بالقرب من بانياس (بالانيه Balanée)[٤]. كما يُصدّر من مرفأ طرابلس سنوياً أكثر من ٢١ طناً من حبوب الخروع[٥].

---

[1] راجع: Hérodote, II, 44, trad. Giguet. Cf. Low, flanzennamen, p. 353. يمكن العثور على هذه الكلمة في اللغة الأشورية؛ راجع: F. Delitzcsh, Assyrisches Handworterbuch, p. 50: ia-a-qu-qa-nu. انتقلت الكلمة إلى اللاتينية بشكل cici. راجع حول شتى التسميات: Pline, H. N., XV, 7, 1.
[2] يونان، ٤: ٦-١٠.
[3] راجع: Ritter, Erdkunde, XVII, p. 1358.
[4] المرجع السابق، ص ٨٨٧: " Auf diesem Boden (celui des environs de Banias) wurde viel Ricinus Zum Oerlertag gebaut".
[5] راجع: Vital Guinet, Syrie, Liban et Palestine, p. 130.

- ننزل من حصن سليمان إلى المشتى في مدى ساعتين. رأينا في هذه القرية مذبحاً مربعاً صغيراً بارتفاع حوالي ٠,٧٠م، مصدره كما أكدوا لنا من بعرين، وعليه نقش من ثلاثة سطور:

ΣΙΑΛΗΣΕΥΞΑ
ΕΝΟΣΑ
ΘΗΚΕΝ

[Ἐύ]αλης εὐξά[μ]ενος
ἀ[νέ]θηκεν.

(ص ٣٣٠) يوجد تحت النقش نصب يمثل أسداً وأمامه مذبح. وعلى جانبه الأيمن ثور مزين بحزام الأضحية وأمامه مذبح.

يوحي قرب معبد حصن سليمان أن هذه الرسوم تخلد، أو ترمز إلى التضحية بثور وأسد لآلهة Bætocécé. في هيرابوليس كان من بين الحيوانات التي يُضحى بها والمحفوظة في باحة المعبد أسود وثيران كبيرة[1].

بعد ٣٢ دقيقة مررنا مجدداً في بيت سعيدة (سيدة)؛ ٤٥ دقيقة، بشرايل Bechra‘il؛ ٣٠ دقيقة، عديده Adeidé‘، قرية نصفها موارنة ونصفها نصيرية؛ ١٥ دقيقة، بتارش[2] Btarech؛ ٣٠ دقيقة، مار سمعان؛ ٤٠ دقيقة، برج صافيتا، الحصن الأبيض بلغة الصليبيين[3]؛ ٣٠ دقيقة، تلعا Tel‘a؛ ٢٥ دقيقة عين المسقى، أي العين التي نشرب منها؛ من اسم على هذه الشاكلة نحت الفرنجة اسم المسكية " la Mesquie". ٤٨ دقيقة، نجتاز النهر الأبرش؛ ٣٥ دقيقة قلعة عريمة.

كانت هذه القلعة المدمرة تماماً اليوم بيد فرسان الداوية. وتكشف علامات النحت فيها أنها بنيت على يد الفرنجة. يقع دير مار الياس على مسافة ٣٠ دقيقة منها.

٤٠ دقيقة، حوزه Houzeh (راي: إلوزي El-Ousy)؛ ٢٠ دقيقة، حورا Haura؛ على اليمين دنيغيرا Dneighira (راي: نكيرا Nekira)؛ ١٤ دقيقة، راس دير؛ ٩ دقائق، سمكه Samké، مع معبد للنصيرية في صدر كنيسة قديمة مدمرة.

٢٨ دقيقة، برج ميعار المدمر. لم نعثر فيه على نقوش.

---

[1] Lucien, Dea Syria, 41.

[2] ربما تكون موقع Teres الصليبيين. يرد على خارطة السيد راي خطأ اسم Bterich، ما جعل روهريخت Rohricht (Z. D. P. V., X, 260) يعتبرها قرية بتير Betire.

[3] وصفه راي: Rey, Mon. de l’archit. Milit., p. 85 et sui.

٣٥ دقيقة، قلعة يحمور، الحصن الأحمر Chastel-rouge بلغة الصليبيين، هو يمور Jammour لائحة بوتنجر Peutenger، يبدو أنه كان مركزاً هاماً. ثمة (ص ٣٣١) قبران حجريان منبوشان، تم إرسالهما إلى القسطنطينية من حوالي عشرة أعوام، ولم نتمكن من معرفة مصيرهما[١]. لقد توفر في الموضع الكثير من القطع الأثرية الصغيرة. وتم تعديل سور القلعة جذرياً بعد المرحلة الصليبية[٢]. وفي الوسط منه نوع من برج مربع هندسته فرنجية: عمود مركزي تلتقي عليه زوايا أربعة قناطر[٣]. وثمة سلم ،على شكل القوس القوطية، مندرج في سماكة الحائط يؤدي إلى مصطبة بطابقين للدفاع: كوات رمي بقناطر صغيرة وفوقها فتحات. صالة الطابق الأرضي الفسيحة تحولت إلى اسطبل، وهي مظلمة بحيث لم نتمكن من تمييز نقوش ما. نرى في الخارج صلباناً ولكننا لا نستطيع الجزم بما إذا كانت الحجارة التي تحملها في موضعها الصحيح.

٢٥ دقيقة، مجلون البحر Medjloun eh-Bahr، بعض الدواثر. من هناك نصل بساعتين إلى طرطوس.

طرطوس Tortose (انتارادوس Antaradus): قدمنا في العام الماضي مخططاً لكنيسة طرطوس الشهيرة، ولكنه لم يكن (ص ٣٣٢) دقيقاً تماماً: خصوصاً أن القناطر غير موجودة إلاّ على الجوانب. نقدم النموذج الأدق (صورة ١٣، fig. 13):

- ممسك جرة عليه النقش الآتي: (ἐπὶ Ξενοφάντου . ΕΠΙΞΕΝΟ ΦΑΝΤΟΥ).

عُثر في طرطوس على تمثال فينوس واقفة Vénus diadémée من البرونز، علوه بدون القاعدة ١٣سنتم. يستند الجسم إلى القدم اليمين، بينما يد اليسار تمسك بتفاحة. إنه من صنع يوناني-روماني حسن؛ تفاصيله، كالتسريحة، متقنة للغاية. أما قاعدته فقديمة. تمثال صغير سليم تماماً، من أوكسيد البرونز الأخضر (الصورة رقم ١٤، fig. 14).

---

[1] ثمة معلومات حديثة تفيد بأن هذين القبرين لم يصلا إلى القسطنطينية أبداً. أما محتوياتها الذهبية فأصبحت ضمن مجموعة باريسية.

[2] النقش الكائن في الزاوية الجنوبية الغربية، والذي كان مشوهاً في زمن رينان(Mission, p. 105-106 et 852) غير مقروءٍ إطلاقاً.

[3] هذا الاسلوب في دعائم البناء الدارج جداً في فرنسا في الهندسة القوطية كنا نجده قبلاً في الزمن البيزنطي. راجع: Ch. Diehl, L'Afrique byzantine, p. 154, fig. 7.

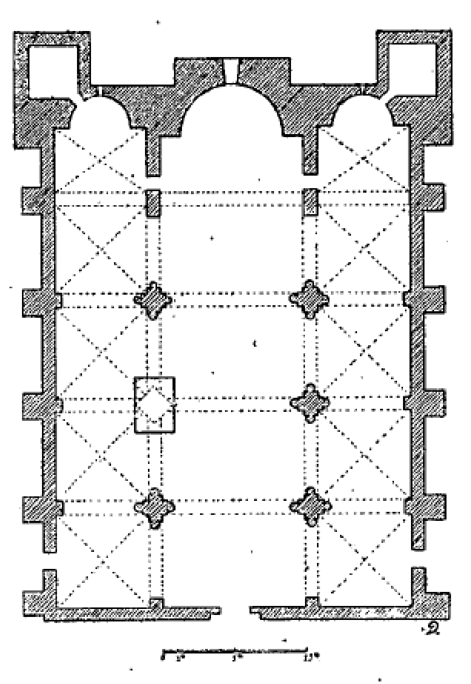


Fig. 13.
Plan de la cathédrale de Tortose.

برونز سوري: ارتفاعه ٥سنتم. مكسور عند منتصف الجسم ما لا يسمح بالقول إذا كان الفخذين مستورين. كما تغيب منه مقدمة الذراعين. إنه يمثل إلهاً أو محارباً ويُمكن تشبيهه بتمثال تيرنت[١] Tirynthe، وهو من برونز مسينا[٢] Mycènes أو كريت[٣] Crète. سبق وعُثر في طرطوس على تمثال برونزي[٤] من طراز أسبق على أي تأثير يوناني، ولكن صنعه يبدو أكثر قدماً. وفي كل هذه الصور تبدو التسريحة على شكل أكثر طولاً مما في البرونز المعروض هنا (في الصورة ١٥، fig. 15).

[1] Perrot et Chipiez, Hist. de l’Art, t. VI, fig. 353.
[2] المرجع السابق، صورة رقم ٣٥٤.
[3] Salomon Reinach, Chronique d’Orient, t. II, p. 498.
[4] Perrot et Chipiez, op. cit., t. III, fig. 277.



Fig. 15.
Bronze. Tortose.

- نقش فينيقي: أروادية أولى (اللوحة VIII): شددنا في العام الماضي في نفس هذا المصنف على الأهمية الآثارية للمقبرة الواسعة الممتدة جنوبي طرطوس على طول الساحل وصولاً إلى قبالة أرواد القديمة.

(ص ٣٣٣) النقش الفينيقي الذي ننشره هنا مصدره هذه المنطقة: عثر عليه على مسافة نصف ساعة جنوبي طرطوس، بالقرب من تل الغمق Tell Ghamqé. هذا أول نقش نجده في سورية الشمالية، أي الساحل السوري شمالي جبيل.

هو محفور على صفحة أعدت بعناية لقطعة من الرخام الأبيض بقياس ٠,١٠م و٠,٠٨٣م، والحفر على عمق يتراوح بين ٠,٠٢٨ و٠,٠٣٥م. ولقد تضررت صفحة النقش في ثلاثة مواضع بفعل ضربات المعول أو سكة الحراثة، ما يسمح بتقدير الحب الأبيض والدقيق للرخام. وكل باقي القطعة بلون الصدأ الغامق لطول طمرها في أرض حديدية. وحدود النقش واضحة، فالنقش بالتالي كاملاً. أما جانب القطعة الخلفي فترقق قليلاً.

النقش ممتاز، ومن صنع يد واثقة. النقش من ثلاثة سطور فقط، ولكنه كامل. ويشبه شكل الحروف النموذج الصيدوني المتميز بالنقش الصيدوني الثاني[١]، مع وجود بعض الخصوصيات البالغة الأهمية.

بفحص النقش بعناية من خلال الهيلوغرافي (الحفر الضوئي) نلاحظ في بداية السطر الثاني ونهايته وفي نهاية الثالث، أي ثلاث مرات، وجود رمز معلم بوضوح (א)، يُمكن اعتباره للوهلة الأولى كعلامة فصل. ولكن وجود علامة الفصل في

[1] Corpus Inscript. Semiticurum, 4.

مطلع السطر الثاني أمر لا قيمة له. ومن جهة أخرى، فهذا الرمز لا نجده إلاّ قبل الحرف ألف، وهو يشكل قسماً منه في الحقيقة. ليس هذا الرمز غير شاهد على وجود عارضة في حرف الألف القديم. أما النقش الصيدوني الثاني فيقدم حرف ألف من مرحلة وسيطة...

(ص ٣٣٤) باختصار فإن أبجدية هذا النقش الأروادي تعود إلى الزمن القديم. واقترح قراءتها على الشكل الآتي:

1. הבמים
2. אש יטנ[א] אל
3. דמד בנת אשל

وترجمته: "هذا المذبح رفعته إلداماد Eldamad ابنة إشيل Echel"...

(ص ٣٣٦) أرواد (Ruad, Arad): كانت جزيرة أرواد المرفأ الكبير ومركز الفينيقيين المتمركزين مقابلها على الشاطئ (Antaradus)، في قرنيه Qarné وإنيدرا Enydra وماراتوس Marathus. كانت هذه المدن بأسمائها المرومة لحد ما تشكل ما عُرف باسم بلاد أرواد "les Arad" أو الأرواديين، وأراتو Aratout بالأشورية؛ و(οἱ Ἀράδῳ πρόσοικοι) عند أرين[1] Arrien. وكانت المدن الأخرى، جبلة وبالتوس Paltoos وبالانيه Balanée في الشمال، وسيميرا Simyra في الجنوب، من من بنات أرواد، ويسمي سترابون مجموعها (ἡ τῶν Ἀραδίων παραλία)[2]. ولكن إقليم أرواد لم يقتصر على ضواحي توابعها. (ص ٣٣٧) بينّا سابقاً، بتحديدنا لموقع مريمين Mariamme وسيغون Sigon، أن مملكة أرواد كانت تمتد قبل الاسكندر حتى السفح الشرقي لجبال النصرية. ويبدو أن حماة بالذات كانت لفترة من توابع أرواد[3].

إن وجود معبد حصن سليمان Bætocécé في قلب الجبل يشهد أن هذا الاحتلال قديم للغاية. وارواد "الكائنة وسط البحر"، تبعاً لعبارات النصوص الأشورية، لم تكن تزود حلفاءها بالبحارة والسفن فحسب. ففي زمن الحرب، كان بوسعها أن تجند جيشاً هاماً. والأرواديون كانوا في الحقيقة حاضرين في جميع حروب المواجهة بين

---

[1] Renan, Mission, 19.

[2] Strabon, XVI, 2, 12. عيّن توسون مدينة سيميرا في قرية سومرة Sumrah (CF.Renan, Missin, p. 115). تحتفظ سمرة باسم سيميرا، مع بعض التعديل. نظن أن بوسعنا سريعاً تعيين الموضع الصحيح للمدينة القديمة.

[3] Etienne de Byzance, s. v. Epiphanie.

المصريون والأشوريين. واضطر تحوطمس الثالث أن يوجه عليهم ثلاث أو أربع حملات، وهم مذكورون بين الأعداء الذين طوقوا رعمسيس الثاني في معركة قادش المشهورة[١].

إن امتلاك البلاد الجبلية بين الساحل ووادي العاصي كان ضرورياً لفينيقيي الشمال لضمان أمن الطريق الكبرى نحو بلاد ما بين النهرين التي حفظ لنا جدول بوتنجر مراحلها. من أنتارادوس (طرطوس) نصل إلى جامورا Jammura (قلعة يحمور)، ثم رافانيا Raphanée؛ ونجتاز العاصي، وعبر أفاميا نصل إلى حلب ومنها إلى معابر الفرات[٢].

كانت الجبال ضرورة للفينيقيين من أجل خشبها اللازم لصناعة السفن، والذي كان الفائض منه يشكل سلعة هامة للتصدير[٣]. وكان أربعة (ص ٣٣٨) أنواع من الأشجار مخصصة لهذا الغرض: السرو والصنوبر والأرز والشربين. لقد بين رينان أن حرص الرومان على الحؤول دون تصحير الجبل- الكامل تقريباً اليوم- جعلهم ينظمون عملية قطع الأشجار[٤].

باختصار، يجب الإقرار بوجود مملكة أروادية بالغة القوة على اليابسة، والامتناع عن القول مع رينان أن "فينيقيا لم تكن بلداً" بل كانت فقط "مجموعة من المرافئ مع ضواحٍ ضيقة"[٥].

رصدنا في أرواد النص الآتي، على قاعدة مربعة من البازالت، لا شك كانت تحمل تمثالاً:

---

[1] لقد بين ماسبيرو بصواب في مؤلفه (Maspéro, Hist. des peuples de l'Orient classiq., t. II, p. 190) المزاج القتالي الذي يطبع الأرواديين. "يعود احتدام العداوة العنيدة إلى كونهم كانوا يعون قوتهم على اليابسة".

[2] يرى ماسبيرو (المرجع السابق، ص ٢٦٤) في سانزاورو Senzaourou النصوص المصرية مدينة لاريسا- شيزر. ومنها انقض تحوطمس الثالث على إقليم أرواد معتداً طريق رفنية ويحمور.

[3] من المعروف أن حاجة الحصول على الخشب لبناء المعبد كانت خلف المعاهدة بين حيرام وسليمان. كانت مصر بلد الاستقبال الأساسي لخشب فينيقيا. واستغل سيتي الأول حملة له في هذا البلد ليقوم بقطع كميات كبيرة من الأشجار. وثمة نصب يبين لنا هذه العملية (راجع: W. Max Nuller, Asien und Europa, p. 197). لقد كانت مصر هي التي تعمل على القضاء على أحراج سورية. يقول فيتال غينيه Vital Guinet (مرجع سابق، ص ١٥٣): "كانت الغابات تغطي قديماً كل امتداد جبال النصرية... ولكن الاستغلال المفرط في تلك الأثناء لتلبية طلب التجار المصريين، أدى إلى القضاء عليها".

[4] Renan, Mission, p. 279 et 858.

[5] من نافل القول أن نضيف: بالنسبة لباقي الدول السورية.

CIVITAS ETBVLE ARADIA
L · DOMITIOC · FFAB · CATVLLO□RAEF

Civitas et Bule Aradia, L(ucio) Domitio, C. f(ilio), Fab(ia tribu), Catullo [p]raef(ecto).

... (ص ٣٣٩) مروف المقطع المثير لسترابون[١] حيث يروي كيف كان أهل أرواد يتزودون، في زمن الحرب، بالمياه العذبة من نبع في قعر البحر. يعرف بحارة هذه المناطق هذا النبع. تخرج المياه من القعر فتجعل على سطح الماء بقعة راكدة. سبقنا د. غاياردو[٢] Gaillardot بملاحظة هذه الظاهرة. ولكن، إذا كان هذا النمط للتزود بالماء ممكناً، فمن المشكوك به كثيراً أن يكون قد استخدم. فجزيرة أرواد تحتوي في الحقيقة، علاوة على الأحواض العديدة، على الكثير من الآبار التي كانت تغذيها نفس الماء المنبعثة من البحر. بمعنى آخر كانت هذه الآبار غير قابلة للنضوب. والعرب الذين يسجلون بدقة كل ما له علاقة (ص ٣٤٠) بطبيعة الماء، يسمونها بعبارة نبع. ورواية الرحالة لوقا تؤكد هذه الظاهرة تماماً[٣]...

... (ص ٣٥١) من حماة إلى حمص الطريق صالحة لسير المركبات، وتستلزم ٨ ساعات. تقع الرستن (l'ancienne Aréthuse) في منتصف الطريق. الدواثر منتشرة جنوبي البلدة الراهنة، لم نتمكن من التوقف فيها. تقع تل بيسه Tell-Bisé بمنازلها المسقوفة بالعقد، في منتصف الطريق بين الرستن وحمص.

حمص: نشر ودينغتون[٤] عدداً كبيراً من النقوش اليونانية العائدة إلى حمص القديمة، ومعظمها يعود إلى نسخ جمعها جيرار دي ريال Girard de Rialle. لنضف إليها بعض البقايا:

ETC[...]
AΞY   Ἔτο[υς] αξυ'
Γ[...]

السنة تبدأ في الأول من تشرين الأول من سنة ١٥٠ ميلادية ...

---

[1] Strabon, XVI, 2, 13.

[2] Renan, Mission de Phénicie, p. 41-42.

[3] Revue archéol., 1896, I, p. 318, n. 2.

[4] Waddington, Recueil des inscript. grecq. et lat. de Syrie. في الرقم 2568 a التصحيح دقيق: فالحجر يحتوي على جميع الحروف. في الرقم 2568 b تصحيح طفيف للتاريخ: تموز ١٥٦ ميلادية، بدل تموز ١٤٩. أما الرقم 2569 a فقد أمله بكل صواب بورتن ودريك: Burton et Drake, Unexplored Syria, p. 379, 7.

(ص ٣٥٢) نرى نقشاً على حائط:

ETOYC	
ZOYΞA	Ἔτους ζου'
NΔIKOY	ξανδικοῦ λ'
ΛANE	Ἀνθε[ίας υ]ἱὸς......
IOC B	ἄλυπε χαῖρε
APHΓAΛV	
EXAIPE	

نقش يعود إلى ٣٠ نيسان ١٦٧ ب.م. ...

... (ص ٣٥٣)



معظم شواهد القبور في حمص يعلوها نجمية دائرية ونقش شريطي على شكل هلال وهما يشبهان ما هو موجود على نصب مريمين. إنه شكل تزييني (الصورة رقم ٥) لرمز الهلال المحيط بالقرص.

في الصورة (رقم ٢٠، fig. 20) تمثال فينوس، برونزي يوناني- روماني، متقن الصناعة.

على مسافة ساعة و٣٥ دقيقة نصل إلى تل الشور بالقرب من السد الذي يحجز مياه بحيرة حمص الاصطناعية؛ وبعد ٢٥ دقيقة نصل إلى قطينة، وهي قرية صغيرة أبنيتها قديمة؛ وعلى مسافة ٢٣ دقيقة نصل إلى كمان؛ وبعد ساعتين نبلغ قصير، البلدة الكبيرة التي تقطنها غالبية مسلمة، وجنوبيها تصل قناة تحت الأرض غزيرة المياه، ونعثر على آثارها في عدة أمكنة باتجاه جوسية.

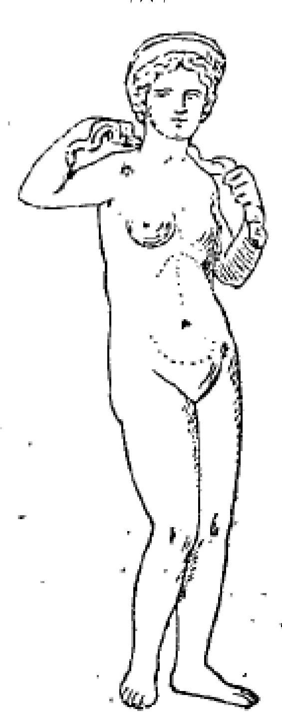


Fig. 20.
Bronze. Ḥomṣ.

يذكر الإدريسي هذه القناة باعتبارها تغذي مدينة حمص بالمياه[١]. بعد ساعة نصل بالقرب من زراعة، وبعد ٣٠ دقيقة نبلغ جوسية.

تحتل جوسية خرائب بلدة عربية كانت مزدهرة فيما مضى. ويبدو أن الجامع القديم الذي لم يبقَ منه غير مئذنته المربعة ونقش فوق قبلته، قد بني بحجارة ربما كانت من المدينة القديمة، جوسية الخراب، الواقعة على مسافة ٢٥ دقيقة (ص ٣٥٤) إلى الجنوب الشرقي.

لم نجد في جوسية الخراب غير الأبنية العائدة إلى أزمنة سابقة على العرب[٢]. ولم نعثر فيها على نقوش تعود للزمن المسيحي. أما المنازل فكانت مستطيلة الشكل، صغيرة ومرتفعة. ثمة سور كبير مربع، ضلعه حوالي ١٠٠م، له نتوء لجهة

---

[1] Idrîsî, Géogr., p. 18.

[2] قدم غوتييه مشهدين لها: M. J.-E. Gautier, Comptes rendus de l'Acad. des inscript., 1895, p. 450 et 451.

الشرق، يعود لنفس التاريخ، جعله يظهر بمظهر الحصن[١]؛ فلعله كان معبداً قديماً. وجدنا على ساكف الباب (الصورة ٢١، fig. 21) بقية نقش حروفه جيدة:

ΔΙΟΥ

أما داخله فهو مقلوب رأساً على عقب. ولقد عين روبسون[٢] في هذا الموقع برادیزوس Paradisos التي ذكرها سترابون، والمسماة أيضاً تريبراديزوس[٣] Triparadisos.

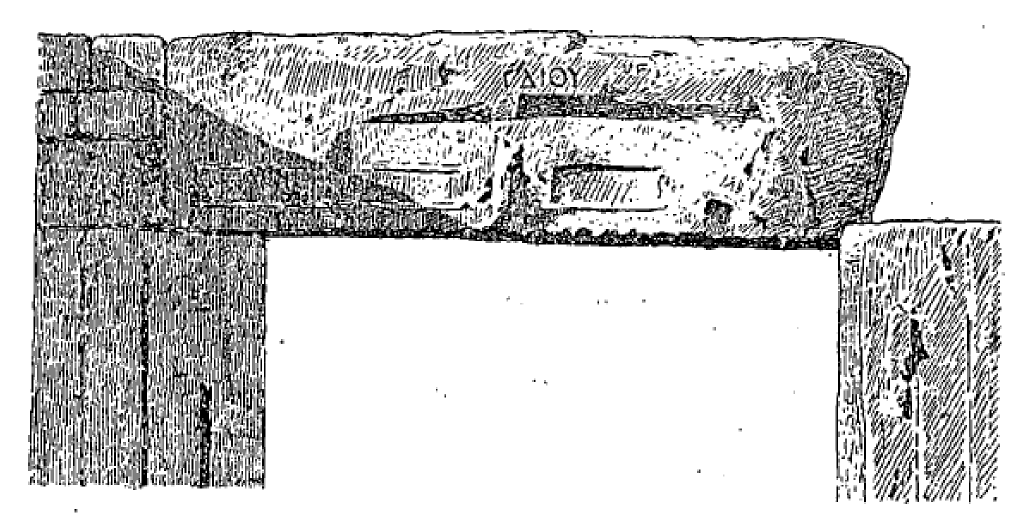


Fig. 21. — Linteau de porte. Djousiyé el-Khrab.

على مسافة ٢٥ دقيقة نصل من جوسية إلى ربلة. لا يكشف موقع ربلة القديمة أي أثر قديم. ولدى خروجنا منها نجتاز مخاضة على العاصي، ونبلغ تل النبي مند بعد ساعة و٤٥ دقيقة.

لقد بددت الحفريات التي قام بها غوتييه[٤] في (ص ٣٥٥) جزيرة بحيرة حمص كل الشكوك في حقيقة أن تل النبي مند هي فعلاً قادش القديمة الواردة في النصوص المصرية[٥]. لقد ذكر ياقوت أيضاً مدينة باسم قدس بجوار بحيرة حمص[١]. وفي صك

---

[1] Porter, dans Bibliotheca sacra, 1854, p. 670-672.

[2] Robinson, Palästina, t. III, p. 556.

[3] Droysen, Hist. de l'hellénisme, trad. Bouché-Leclercq, t. II, p. 126-129.

[4] J.-E. Gautier, Comptes rendus de l'Acad. des inscript., 1895, p. 441-464. لقد أكد تومكنز على موقع تل النبي مند في بحيرة حمص: Tomkins, Kadesch on Orontes, P. E. F., Quarterly statements, 1882, p. 47-50.

[5] Maspero, Histoire des peuples de l'Orient, II, p. 140 et note 4.

يعود لعام ١١٤٢، يمنح ريمون الثاني، كونت طرابلس، لفرسان الاسبتالية، مع قلعة الحصن (حصن الأكراد) حق الصيد في بحيرة حمص: " in piscaria Chamele a Chades usque ad Resclausam"[٢]. المقصود حق الصيد داخل بحيرة حمص، على اعتبار أن La Chamele هي حمص. اعتبر روهريخت[٣] أن usque ad resclausam تعني "حتى السد" الواقع شمالي البحيرة. لا يمكن لقادش إلاّ أن تكون في موقع جنوبي البحيرة، لأن الضفة الغربية سبخية للغاية، بينما الضفة الشرقية كانت أرضاً عربية. وهكذا فإن تل النبي مند يتوافق تماماً مع هذه الوضعية. اتخذت قادش في العصر اليوناني- الروماني رسمياً اسم لاذقية لبنان Laodicea ad Libanum.

لقد نسخنا هناك النقش التالي الموجود على لوحة رخامية مكسرة على كل أطرافها:



Φιλιππικό[ς]
ἰατρόνος.
..ακερδος
εμισηνός τὸν
αὐτοῦ φ[ί]λον.

واضع النقش من مواليد حمص.

من تل النبي مند، وعلى مسافة ساعة إلى الشمال والشمال الغربي نصل إلى دبين Debin (ربما جبانية Djubaniyé وفق بلانكنورن)؛ وبعد ساعة وربع نصل إلى لفتايا Liftaya.

لقد قام ڤان كاسترن[٤] le R. P. van Kasteren باستكشاف لفتايا منذ فترة قريبة، بناءً لتوصية الأب بارنييه. إن خرائبها يونانية مسيحية. وبعض منازلها ما تزال محتفظة بسقفها المكون من بلاط أفقي يستند إلى دعائم ترتكز إلى الحائط. ومعظم سواكف أبواب المداخل تحمل نقوشاً...

---

[1] راجع: Guy le Strange, op. cit., p. 468

[2] Delaville Le Roulx, Cartulaire génér. des Hospitaliers, I, p. 117.

[3] Röhricht, ZDPV, X, p. 259.

[4] Van Kasteren, Liftaya, ZDPV, t. XVI, 1893, P. 171-187.

من لفتايا نصل في مدى ٥٥ دقيقة إلى طريق العربات بين حمص وطرابلس، ومن هناك نصل إلى حديدية في ربع ساعة. وهذه المسافة في بلد كثير التضاريس تعتبر قصيرة. وبالتالي، لا يجوز الظن بأن لفتايا قد تقع في مكان ما على الطريق بين حمص وبعلبك...

من حديدية إلى طرابلس طريق المركبات معروفة كفاية بحيث لا حاجة بنا إلى التركيز عليها.

رونيه دوسو، ١٥ شباط، ١٨٩٧.

١٠- "ملاحظات في نقوش وطبوغرافيا منطقة حمص عكار (عندقت، أكروم، الوعر)"[1]

هنري لامنس H. Lammens

(ص ٣) ١٧ آب ١٨٩٩: غادرت زحلة هذه المدينة الصغيرة الواقعة على التخوم بين سورية المجوفة (البقاع) ولبنان. وكان برفقتي زميلي الأب دو مارتمبريه de Martimprez، المكلف خصيصاً بتصوير النصب والنقوش وغيرها مما له علاقة بالأركيولوجيا...

(كان) معنا مكاري لنقل أمتعتنا: آلات وصفائح التصوير، الأوراق وكرتون الرشم، بالإضافة إلى بطانيات استخدمناها للنوم. كنا نقيم في خيم البدو وفي أكواخ النصيريين البائسة...

(ص ٥) ١٩ آب: غادرنا مدينة الشمس العريقة (بعلبك)... تشكل اللبوة Labwé، بتلها ومياهها الحسنة النابعة من ينابيع انبعاثية فعلية (فوكلوزية)، موقعاً هاماً بالتأكيد. وتلّها يستحق تفحصه، بينما اكتفينا نحن بالمرور به...

لاحظنا في (راس بعلبك) آثار العديد من الكنائس القديمة. ويحتفظ السكان بذكريات عن أربعة أديرة؛ ونعثر في كل مكان على البقايا وجذوع الأعمدة والحجارة الضخمة. كانت فيما مضى مركزاً مسيحياً هاماً، لعله كونا Conna القديمة... (ص ٦) لعل الدير كان قديما لليعاقبة...

غالباً ما وُصف "دير مار مارون" بموقعه بالقرب من منابع العاصي (راجع: Jullien 178). الموضع عبارة عن مغاور طبيعية، استخدمها ووسعها نساك مسيحيون، على ما تروي التقاليد، في القرنين الخامس والسادس. لا أدري إن استمرت مسكونة في ظل العصور الإسلامية. سماها أبو الفدا "مغارة الراهب"، ولا يذكر ديراً فيها. ومن غير المعروف كيف ومتى ارتبط بها اسم مار مارون. أما

[1] المرجع: H. Lammens, Notes Epigraphiques et Topographique sur l'Emésène, Extrait du Musée Belge, Revue de philology classique, Louvain, 1902, p. 49 et suiv.

المتاولة، السكان الوحيدون لهذه المنطقة منذ قرون، فيسمون هذه المغاور "القصور"...

(ص ٧) ٢١ آب: بعد مسير ساعة ونصف وصلنا إلى جوسية التي اعتبرها السيد ر. دوسو موضع بارادیزوس Paradisos أو تريبارادیزوس Triparadisos...

(ص ٩) ربله على العاصي، على مسافة نصف ساعة من جوسية... من ربله إلى حمص عبر القصير، لا شيء يسترعي اهتمام الأركيولوجي.

٢٢ آب: وصلنا إلى هذه المدينة الأخيرة (حمص)، وهي أحد المواضع التي نقصد استكشافها...

... ...

(ص ٤٣) خرجنا من حمص وهدفنا الوعر Wa'r. يُطلق هذا الاسم على السهل الفسيح الممتد بين الجبل وبحيرة حمص والعاصي. قلما يتجاوز الوعر جنوباً خط تل النبي مند Tall Nabî Mand؛ ويمتد شمالاً حتى غور Goûr وطيبه Tayibé وتل دو[1] Tall Dau. إن طريق العربات بين حمص وطرابلس تقسم الوعر إلى قسمين متساويين تقريباً. تغطي كل هذا المجال الحجارة السوداء والصخور البركانية. إنها منطقة مقفرة، خالية من الأشجار والينابيع، صحراء فعلية من البازلت لا يرتادها السياح أبداً.

فما هو بالضبط ما دفعنا لزيارتها؟ ومع أن الآثار فيها وبعض القرى البائسة في حياتها هنا لا تعد باكتشافات هامة، فقد كنّا واثقين بالعثور على اكتشافات جديدة فيها. ثمة فرقة من العاملين تجهد منذ سنوات في التنقيب في أهم المواضع التاريخية في سورية. ولكن الوعر لا يجذب أحداً: لقد قام بزيارة خاطفة لها كل من روبنسون Robinson وتومسون Thomson، ومؤخراً فوسيه Fossey ودوسو Dussaud.

٢٤ آب: انطلقنا على طريق البحيرة (ص ٤٤) فوصلناها بعد مسير ساعتين. بالقرب من الناحية الشمالية الشرقية لبلدة قطينة الأرثوذكسية التي أعطت اسمها للبحيرة[2] اليوم اكتشفنا نقشاً من ثلاثة أو أربعة أحرف. والحجر الموجود عليه النقش

---

[1] يكتبها م. هارتمان: Tell dù، صيغة غير معروفة في المنطقة: M. Hartmann, ZDPV, XXIII, 23.

[2] بحرة القطينة، كما يقول أهل المنطقة، مع أل التعريف التي يجب الحفاظ عليها متوافقين مع كيبرت Kiepert وضد هارتمان Hartmann، ص ٨.

يُستعمل لمعالجة أمراض الظهر[1]، ويتم دهنه بالزيت[2]؛ إنها عادة مثيرة للغاية خصوصاً وأهل المحلة مسيحيون. يرتفع مستوى البحيرة اليوم بفعل الهواء القادم من الغرب عبر معبر النهر الكبير. تتشكل ضفة البحيرة الشرقية تتابعاً من الجرف الصخري الحاد وشواطئ صغيرة.

تقع قرية كفر عبده Kafr ’Abdé الصغيرة على مسافة ساعة جنوب قطينة. وكانت بمثابة رصيف انطلاق في البحيرة طيلة الشهور الأربعة التي أمضاها السيد غوتييه في تنقيبه هناك عام ١٨٩٤ لتحديد موقع قادش[3] Qadesh القديمة. بقايا الآثار تكثر فيها؛ حيث سجلنا النقوش الآتية التي يبدو أنها فاتت انتباه المستكشف العالم...

... (ص ٤٧) أجتزنا رافداً للعاصي يدير المطحنة: بعد بضعة حقول يبدأ الوعر. بعد ساعة على الحصان وصلنا إلى قرية نصيرية، دبين[4] Dibbîn. ولما كنا مستعجلين بإشراف مرشدنا للعثور على مأوى، اعتبرنا أنه لا توجد نقوش ولا آثار. ولكني مقتنع بالعكس: فكل قرى الوعر تقوم في مواضع مدن قديمة. وصلنا بعد ساعة إلى مخيم لعرب غمازه Arabes Gammâsé، أو رعيان الثيران، والمعروفين باسم "عرب وادي خالد"[5]. تتجمع خيمهم البائسة، البالغة حوالي ٣٠ خيمة، بالقرب من بركة طولها ٥٠٠م. وعرضها ١٠٠م.، تتكون في منخفض ملأته مياه الأمطار. وتغطي في الشتاء طبعاً مساحة أكبر. وتجف كلياً في صيف بعض السنوات.

تقع غوبانيه Goubâniyé على مسافة ثلاثة أرباع الساعة جنوب شرق (ص ٤٨) مخيم العرب، وسكانها من النصيرية ككل الوعر. شرعوا أمامنا، وهم أنصار التكتم المطلق، بالزعم أنهم مسلمون: أسلوب يتبعونه في كل مكان ويحول دون معرفة الكثير من الرحالة لعددهم الفعلي. ولما أدركوا أننا لسنا مغفلين، تراجعوا عن كلامهم. فوضعنا كمسيحيين بالإضافة إلى بعض التقدمات غير المضرة الموزعة لهذا الغرض، ما كان كافياً لجعلهم يتعاطفون معنا...

---

[1] راجع لاحقاً بعد النقش رقم ٤٨، وملاحظتنا حول نقش الجامع الكبير في حمص.

[2] كما يفعل البطريرك يعقوب. راجع: تكوين، ٢٨. ١٨.

[3] Comptes rendus de l’Acad. des Inscript., 1895, p. 441 sqq.

[4] رغب دوسو بمماثلتها بقرية غوبانية Goubâniyé: Dussaud, p. 51.

[5] راجع: zdpv, XVI, 186.

(ص ٤٩) .... في عندقت[١]، سمعت للمرة الأولى كلاماً على شيء من التفصيل حول جبل أكروم. سمعت روايات حول أمور ملفتة؛ لعل المنطقة "مجال مجهول" فعلاً. فرصة سعيدة بالنسبة لنا استهوانا اغتنامها، لربما كان في جبل أكروم نصب قديمة. وعلى حد علمي لم يسبق أن زار أي أوروبي هذه المنطقة. والجبل غير مذكور على أي خارطة؛ وحدها خريطة لبنان الصادرة عن هيئة الأركان الفرنسية تكتفي بذكر بلدة أكروم، دونما وضع إطار لسلسلة الهضاب حيث تقع البلدة.

يظهر جبل أكروم في أدب الجبال السوري كسلسلة من الهضاب طولها أكبر من عرضها وتقع بين **وادي خالد** و**الوعر**، يفصلها وادي خالد عن جبل عكار. وهي تبدأ في الجنوب بُعيد الهرمل بقليل، ويحدها من الشمال **البقيعة** و**وادي عودين**... والمنطقة الجنوبية منها تسمى جبل أكروم وبهذه الصفة تبدو على خارطة بلانكنورن Blanckenhorn.

يستمد **وادي عودين** اسمه من **عودين** دير ماروني تحيط به بضع مزارع. هو بداهة الكلمة السريانية **عودين** اسم دير يعقوبي في مقاطعة **العربية**[٢]. مررنا بالدير قبل الشروع بالصعود إلى جبل أكروم: قبل مسافة ١٠ دقائق من الدير، نمر بنبع **عين القبو** المشهور بفعالية مياهه لمعالجة أمراض الجلد. يقصده الناس (ص ٥٠) من البعيد ومن المعتاد تقديم البخور حوله. هنا أيضاً استمرار لعبادة الينابيع[٣].

إن صعود جبل أكروم صعب للغاية. فالسلسلة تتكون من تتابع لتلال حادة ووديان عميقة مشجرة بشكل رائع. وكان أعلى ارتفاع بلغناه على مستوى ١١٩٥م، وما تزال بعض القمم الأعلى تشرف علينا مباشرة. وبعد صعود لمدة ساعة عبر ممرات صعبة تلتوي تباعاً وسط غابات خاوية وصلنا إلى فرجة. إنها **خربة معروجا** حيث الدواثر لا قيمة لها؛ على مسافة نصف ساعة بلغنا **وادي صُلَيب** (١١٧٥م)، أجمة رائعة تظلل أشجارها كومة من الحجارة. جميع الأشجار مغطاة بخرق من القماش، نذور للقديس (الولي) المدفون في القبة الخضراء. ومما يلفت النظر أن أشجار

---

[1] راجع: Musée Belge, IV, 1900, p. 280. زار لامنس منطقة حمص في المرة السابقة انطلاقاً من طرابلس فحلبا فمنجز فسورية وحمص ومنها تفحص بعض المواقع في الوعر. وفي هذا المرة انطلق من زحلة في البقاع، ليمر في بعلبك... فالجوسية فحمص، ومنها عاد إلى الوعر، وصعد إلى عندقت ومنها إلى جبل أكروم... (المترجم).

[2] راجع: XIème congrès des Orientalistes, 4ème section, p. 131, nos 85 et 88.

[3] راجع حول آلهة الحميريين: ZDMG., LV, 245

السنديان حولها تتعرض لشتى أعمال التشويه من قبل حطابي ونيران رعاة المحلة. ولكن أحداً لا يتجرأ على مس غصن واحد من أشجار **ولي صُلَيِّب**.

من هنا يبدأ ممر للهبوط كان مستحيلاً على الدواب اجتيازه، واستلزمنا اتباعه ساعة لبلوغ قعر الوادي الضيق حيث يسيل جدول **نهر السبع**. بعد ١٠ دقائق منه يقع **نصب السبع** (على ارتفاع ٨٧٥م). إنه نصب مربع تقريباً على صخرة تشرف على الجدول عن مسافة بضعة أمتار. يبلغ ضلعه حوالي ٢,٥م". يمثل النصب، كما يبدو في الصورة، رجلاً يصارع حيواناً متوحشاً، يسمونه أسداً، وهو منتصب على قائمتيه الخلفيتين.



يعتمر المحارب قلنسوة حادة الرأس، ويرتدي ثوباً كاشفاً إحدى الركبتين. وجهه مشوه وكذلك ساعده الذي يبدو كأنه يمسك به سلاحاً. الرسوم بالحجم الطبيعي لما تصوره. ونظراً لغياب النقش ولضعف النور (في الرابعة بعد الظهر يكون الوادي كله في الظل)، لم نتمكن من التقاط غير كليشيه سيء للنصب.

يبدو مجمل النصب من الطراز الأشوري[١]. ولكن لنتذكر (ص ٥١) أن القوات الأشورية أقامت لفترة طويلة في ربلة، على مقربة من هذا الموضع[٢].

بعد نصف ساعة من المكان وصلنا إلى بلدة أكروم Akroûm، تجمع لحوالي عشرين منزلاً. لم يسبق لهؤلاء البشر، وهم "ما زالوا على الطبيعة" les naturels، أن شاهدوا أوروبياً: هم مسلمون سنة، يعيشون في عزلة قليلاً un peu sauvages، ولكنهم أقل تعصباً مما قيل لنا عنهم.

استناداً إلى الدواثر، لا بد أن أكروم كانت في القديم موقعاً هاماً. فبالقرب من المنزول عثرنا على ساكف من الحجر الكلسي عليه نقوش نحتها غير متقن. النقش رقم ٧٤.

٧٤: بدا لي النقش صعب التفسير مع أنه كامل. فما معنى المجموعة الأولى المكونة من حرفي XM؟ غالباً ما نصادف في النقوش المسيحية السورية الرمز XMΓ، والمتوافق على اعتباره كرمز للمسيح وميخائيل وجبرائيل. وبرأينا فإن ودينغتون على صواب بعدم الاكتفاء بهذا التفسير[٣]. نحن نعتقد أن حرفي XM مجرد اختصار لاسم المسيح ومريم.

لا يوجد على حد علمنا نموذج منشور عن شعار XM. لقد وجدناه في العام الماضي للمرة الأولى في نقش في غور، قرية على مسافة أربع ساعات شمال غرب حمص[٤]. يبدو لنا أقل وضوحاً القسم الثاني من النص. فهل نقرأ: واكيم KAIΣOMY، Joachim؟ تبدو هذه القراءة سليمة من وجهة قراءة النصوص القديمة.

جميع آثار أكروم هامة. وهي:

أ، مبنى صغير، هو معبد بلا شك، يُسمونه (ص ٥٢) جامع gâmî’، ما تزال جدرانه قائمة. واجهته تطل على الجنوب الغربي.

---

[1] بعض تفاصيل الزي، مثل الحذاء المدقق من الأمام والمعقوف قليلاً، تشير إلى احتمال أن يكون النصب من أصل حثي. ولكن القسم العلوي للشخص المشوه تماماً لا يسمح بالتقدم بكلام حاسم.

[2] يوجد على بعد بضعة أميال إلى الجنوب نقشان كبيران من الحروف المسمارية في وادي بريصا (قضاء الهرمل). راجع: Arch. Miss. Scient., 1888, p. 345

[3] بهذا الصدد، فإن النقش (Εἷς Θεὸς XMΓ μόνος) رقم ٢٦٦٠ عند ودينغتون معبر: فالحروف الثلاثة تبدو كحاشية مضافة إلى الصيغة التوحيدية.

[4] Musée Belge, IV, 1901, p. 291, nº 16.

ب، أثر واسع يُسمى "كنيسة شمشون الجبار" Kanisat Shamshoûn al-Gabbâr؛ نلاحظ قدس الأقداس فيها واسعاً وموجه تماماً، دعائمها منحوتة من حجارة حسنة الصنع ويبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار. سورها الواسع واضح جداً للعيان، وكذلك قواعد الأعمدة التي تشكل أجنحة ما كان من شأنه أن يكون كاتدرائية لها ملحقات كبيرة. وبناؤها متقن ويدل على بلد كان مزدهراً.

ج، على مقربة منها، ثمة مدماك نهائي لسور تحول اليوم إلى مزار، يُسمى مزار السيدة assyidé، وبنت يعقوب bint Ya'qoûb.

تشرف على القرية تلة من على ارتفاع ٩٧٥م في الشمال الغربي. وجدنا فيها آثار معبدين صغيرين، متلاصقين تقريباً. إنها خربة-حصين التي استمدت اسمها بلا شك من مزار حصين بجوارها. يقابل المعبدان وهما من طراز واحد شروق الشمس؛ ويشرفان على السهل بمنظر رائع يشمل البحيرتين وتعرجات العاصي وآخر تموجات السلسلة الشرقية التي تختلط بسهب حمص ما بين شمسين Shamshîn والحسيا Hasiâ.

المعبد الأول بناء معمد بثمانية أعمدة. وكان مسقوفاً، وما يزال محتفظاً بآثار إفريزه. ونلحظ في نهاية مقدسه قنطرة بعقد كامل. وحجارته بطول المتر فهي مبنية بدون ملاط. أما المعبد الثاني، فهو أكبر بقليل، وبمواد أضخم بكثير، ولكن دماره في حالة متقدمة عن الأول. لم نعثر في أي مكان فيه على نقوش، وليس لدى سكان المحلة أي علم بحجارة "مكتوبة" في جواره.

٢٧ أب: نظراً لرداءة الطرق امتنعنا عن زيارة كفرتون Kafr Toûn، القرية الثانية في جبل أكروم الذي لا توجد فيه مواضع سكنية أخرى. أرشدوني أيضاً إلى بعض الآثار: نحت، (ص ٥٣) نقوش... ولكن المعلومات المبهمة والمتناقضة لم تسمح لي بتحديد أي أمر.

انطلقنا في الساعة ١١ صباحاً باتجاه الشرق، فوصلنا في الساعة الواحدة إلى قرية هيت Hît في الوعر حيث استرحنا لنصف ساعة. ثم تابعنا نحو الشمال لننحرف بعد ٢٠ دقيقة إلى الغرب. قلما قام أحد بزيارة هذه المنطقة، وهنا أسجل أسماء القرى والخِرب التي تفحصناها في طريقنا، وجميعها قليلة الأهمية. هناك أولاً دعيتير Du'aitir غير المأهولة حالياً؛ بعد ١٠ دقائق إلى الغرب، كُنَيسة Konayisa الخالية

هي أيضاً؛ أخيراً وصلنا بعد ثلاث ساعات إلى قرية نصيرية على ارتفاع ٥٢٥م، (فقدت اسمها). كانت هذه المواضع تحتل أمكنة عامرة في ما مضى، بدليل ما فيها من بقايا المنمنمات، والحجارة المزينة بالصلبان البيزنطية، وإلخ؛ ولكننا لم نتمكن من العثور على أي نقش ينوِّرنا حول الماضي. لدى خروجنا من قارحه Qâriha (قرحة) أخطأنا الطريق إلى لفتايا، فانتهينا حوالي الرابعة والنصف للمرة الثانية في مخيم عرب غمازه.

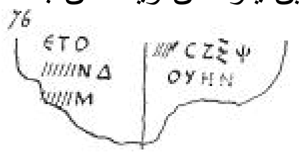
في السهرة حدثنا البدو عن آثار واسعة عليها صلبان ونقوش وخلافه، وهي تقع استناداً إلى مؤشراتهم في سفح جبل أكروم وبالقرب من وادي خالد. منها خربة باسم جرمنايا Germeneia أو إرمينيا Ermeneia. هي على الأرجح في موضع مركز الأسقفية الغابرة إرمينيا التابعة لمتروبوليت حمص[1]، والتي لعلها تكون هارمينية Harminiat التي تحدث عنها غوتييه ووضعها في الهرمل بالقرب من نبع العاصي الأساسي Comptes rendus de l’Acad. des Inscr., 1895, p. 445. لكم ندمت لعدم زيارتها، وكذلك قونيه Qonia خربة أخرى بالقرب من إرمينيا، كما فهمت.

٢٨ آب: انطلقنا في السابعة صباحاً باتجاه بحيرة حمص: بعد ٢٠ دقيقة وصلنا إلى خربة فيدا، آثارها بلا قيمة: بيوت صغيرة من البازلت الشديد السواد، قريبة من بعضها البعض، آبار، وإلخ. ثم ولجنا سهلاً تغطيه (ص ٥٤) نباتات شوكية، ومروي في الشتاء والربيع، وعبره تمر قطعان أبقار غمازا. خربة أصيلا Hirbet Aşîla على مسافة ٢٥ دقيقة في نفس الاتجاه، وهي من نوع الآثار السابقة. نسخنا عن ساكف مكسور النقش ٧٥.

٧٥: [Τ]οῦτο νικᾷ [Γο]ρπιαίου α' τοῦ [ἔτους] ϡ ἰνδ(ικτιῶνος) Ζ'

التاريخ ١ غوربيايوس Gorpiaeus من العام ٩٠٠ (بالتقويم السلوقي).

٧٦: ساكف مكسور إلى قسمين يتوافقان ويكملان بعضهما"



[1] Byzantinische Zeitschrift, I, 1892, p. 149-264; 266-268.

Ἔτους ζξψ' [Ξα]νδ[ικ]ου [η' Νικό]μ[αχος ?.....

التاريخ: العام ٧٦٧، ٨ كزانتيكوس Xanthicus.

تقع عامريه Amriya' (ارتفاعها ٥١٥م) المهجورة منذ بضعة أيام، على مسافة ٥٠ دقيقة من أصيلا باتجاه الشمال الغربي. لم نتمكن من العثور على نقش أشاروا علينا بوجوده.

من هناك وصلنا إلى خربة غازي Hirbet Ghâzi، من أكبر قرى الوعر الجنوبي، وهي مبنية بمواد مستمدة من خربة تقع على مسافة ربع ساعة إلى الشمال. نصل من هذه الخربة إلى طريق العربات طرابلس حمص في نصف ساعة؛ بعد ٢٥ دقيقة باتجاه حمص نصل إلى قرية خربة التين...

... ...

بلاد العلويين[١]

بيان رحلة وملاحظات في الآثار[٢]

هنري لامنس

(ص ٢٧٨) واتتني الفرصة في صيف ١٨٩٩ للتجول في القسم الجنوبي من "جبل النصيرية"[٣] Gabal An-Noşairiyé. فيما يأتي عرض عن الآثار التي جمعتها خلال هذه الرحلة.

١٩ آب ١٨٩٨: انطلقنا من طرابلس في الرابعة من مساء ١٩ آب ١٨٩٨، بعد نصف ساعة بلغنا موقع ولي البداوي[٤] walî Baddâwi مع حوض السمك المقدس الذي تتم تربيته هناك. وبعد مسير خمس دقائق إلى الشمال عثرنا، عند حافة خندق

---

[1] العنوان في الأصل "بلاد النصيرية..."، فضلنا عبارة العلويين مكان عبارة النصيرية (المترجم).

[2] المرجع: H. Lammens (S. J.): "Le Pays des Noşairis, Itinéraire et notes archéologiques" Musée Belge, 1900, pp. 278-310.

[3] ثمة من يصر بعناد على لفظة أنصارية Ansariehs، بعكس ما يقتضيه اشتقاق الكلمة. وهذا ما رفضه بصواب De Sacy (Acad. Inscript., IV, 69)، ومنذ فترة قصيرة ايضاً: Clément Huart (J. A., 1879, II, 190).

[4] هذه هي الكتابة الصحيحة لهذا الاسم المشوه في كتب الدليل وروايات الرحالة.

بالقرب من الطريق، على معلم روماني للطرق عليه نقش أخذنا وشماً له اثناء العودة. لقد لفت نظري إلى هذا المعلم، وإلى غيره من النصوص المنقوشة، مرافقي ودليلي الأب اليسوعي بارنييه Barnier S. J.، المقيم في هذه الأنحاء منذ ١٢ سنة[١].

لم نعثر خلال مسيرنا حتى منيارة Miniâra التي وصلناها حوالي الثامنة مساءً على ما يستحق الاهتمام. مررنا في اليوم التالي أمام حلبا Halbâ، المقر الحالي لقائمقام جبل عكار، وفيها أقترح تعيين قرية حَبَلا Habela (الصليبية)[٢]. في السيدة Saïydé (سيدة القلعة، منجز) التي وصلناها مساءً، عثرنا على قطعة (ص ٢٧٩) من حجر بازلتي[٣] عليه بعض الحروف التي تكاد تكون غير مقروءة. أظن أني ميزت بينها:

١: ... Δαφαθ... ...

تفيدنا بقية النقش هذه التي لم أفهم منها شيئاً أن هذا الموضع كان موجوداً قبل الصليبيين. إن الأعمال التي بدأت لتوسيع مبنى دار المعلمين في السيدة[٤] ستؤدي بلا شك إلى اكتشاف المزيد من النقوش الأكثر أهمية.

كنت قد كتبت هذه السطور عندما وصلتني رسالة من السيدة تعلمني أن آمالي بدأت تتحقق. فمع الحفر في القمة المسماة "القلعة" Al-Qal'a، حيث كان موقع حصن الاسبتالية القديم، تم اكتشاف أساسات كنيسة ثانية، شبيهة من حيث مخططها بالأولى[٥]. كما أظهرت الحفريات أيضاً شاهدة قبر، مكسورة على يسارها مع الأسف. ولكن سنحت لي الفرصة لأخذ نسخة جيدة عن نقشها. كانت بحجم ٠,٦٠م طولاً وبعرض ٠,٢٠م. كانت الحروف كاملة على جهة اليمين، الرقم ٢.

٢: (N° 2. "Ετο[υς] ..|υ' Αρτ[ε]μ<ι>σί[ο]υ Δα..|ας Β[εε||λβ[αράχου|)

بقي فقط رقم المئات ύ ٤٠٠ (التقويم السلوقي). سبق أن عثر دوسو[٦]، في حالات Hâlât على مقربة من هنا، على الاسم Βεελβάχος. قبل رؤيتي للنقش الذي لم يكن

---

[1] لقد سبق له وقدم نفس الخدمة، منذ ثلاث سنوات، إلى رونيه دوسو. راجع: René Dussaud, Voyage en Syrie, octobre- novembre 1896, Revue archéologique, 1897. سنذكر رحلته استناداً إلى طبعتها على انفراد.

[2] راجع: ZDPV, X, 211. نظراً لعدم وجود حروف خاصة سنعتمد: ج = g، ح = h، خ = kh، ش = sh، غ = gh.

[3] ككل الحجارة في المناطق التي اجتزناها: سنذكر الاستثناءات بدقة.

[4] راجع: Dussaud, op. cit., 4.

[5] المرجع السابق.

[6] Dussaud, p. 6, Comp. le nom *Barigbal* dans les inscriptions d'Afrique. C. I. L. VIII Indices p. 1020 ; et Arch. Miss. Scient., 1888, p. 14.

بحوزتي غير صورة له، اعتبرت الحرف الأخير[1] من السطر الرابع أنه Δ؛ نجد اسم العلم Δάςαδ (راجع الرقم 2566a، من نقوش ودينغتون)[2]. راجع: Archives des missions scientifiques 1895, p. 576.

لم يؤكد الفحص المباشر للحجر هذه القراءة. (ص ٢٨٠) يبدو الحرف المشكوك بأمره هو بالأحرى حرف A. ومن جهة أخرى فإن Δ الحرف الثاني من السطر الرابع يمكنه أن يعني اليوم الرابع من الشهر، كما يمكنه أن يكون حرفاً من اسم المتوفي، ومن هنا ارتباكي الشديد في وضعه بشكله الحقيقي.

انتقلنا في اليوم التالي إلى كفرنون Kafr Noûn، وهي قرية مختلطة من الموارنة والنصيريين، وعلى مسافة ثلاثة ارباع الساعة شرقي السيدة[3]. ثمة كنيسة كبيرة مهجورة، فيها الكثير من الآثار القديمة ولكنها خالية من النقوش. وعلى مثابة بئر القرية قرأنا الحروف الآتية: EYPIMOY؛ ولا يبدو أن هناك حروفاً أخرى. وإني لأقترح أن أعين في كفرنون قرية كورنونيوم Cornonium التي كانت من أملاك فرسان الاسبتالية[4]. وعلى مسافة ١٠ دقائق باتجاه قرية رماح Roummâh أشاروا عليّ بوجود نقش. كانت المعلومة صحيحة: إنه حجر بازلتي دائري ضخم واجهته خشنة، عليه نقش حروفه غير منتظمة، وسيئة الحفر، الرقم ٣.

٣: (N° 3. Ἔτους | αυ′ μηνὸ|ς Ἀπελλ|αίου Ἀβδ...)

التاريخ سنة ٤٠١ من التقويم السلوقي. تبدو لي مجموعة الحروف BΔA بداية اسم مركب من اسم إله بعد اسم آخر: σιρςούΑβδ، وإلخ.

تقع رماح، القرية الأرثوذكسية، على مسافة ١٠ دقائق إلى الشرق. نسخت عن باب أحد منازلها النقش الآتي، الكامل، ولكن البدائي. إنه الرقم ٤.

٤: (N° 4. Ἔτους | δνφ′ | θά|ρσ(ε)ι Ἡλι|όδω|ρε)

العام ٥٥٤ من التقويم السلوقي. ثمة نقطة كبيرة تحت السطر الأخير.

---

[1] أو حرف M؛ إن Δάμας موجود أيضاً في: Waddington, n° 2682.

[2] ثمة قديس باسم داداس Dadas في السنكسار الروماني (١٣ نيسان).

[3] يكتبها دوسو دوماً سعيدة Sa'idé. كثيراً ما يلتقي مسارنا بمسار دوسو. بذلنا جهداً خاصاً لكتابة اسماء المواضع الجغرافية بدقة.

[4] راجع: ZDPV, X, 257.

أسجل هنا نقشاً من عندقت Andaqit‘ (عندقت بدل **عين دقت**[1]) البلدة المارونية الكبيرة، وهي على مسافة ساعتين ونصف إلى جنوبي شرقي السيدة (منجز)؛ وإن يكن تسجيل هذا النقش قد تم في مرحلة لاحقة. النقش كامل، وهو غير متقن؛ إنه الرقم ٥.

٥: (N° 5. Ἔτ|ους | δκχ΄ | Δ(α)ισί[ο]υ | Ἀρε|ουά[σ]εος | θάρσ(ε)ι)

(ص ٢٨١) يجب أن يكون الحرف الأول من السطر الثالث δ، لقد عثرت عليه بنفس هذا الشكل في نقش رماح. يجب أن نقرب اسم Ἀρεουα(σ)εος من اسم Ὀςοθιασά الوارد في نقش من حمص غير منشور حتى الآن، والاسم σάύΟεος الذي يقارنه ودينغتون (n° 2562 g.) مع الجذر العربي **وسع**[2] amplus fuit.

يعود النقش للعام ٦٢٠ من التقويم السلوقي.

باتخاذنا طريق الشمال، توجب علينا النزول في الوادي العميق، وادي النهر الكبير، والصعود بطلعة قاسية لنصل إلى قرية البهلونية[3] Bahloûniyé النصيرية القائمة على أول مسطح يشرف على النهر.

لم يكن مرحباً بنا في البهلونية. وجدنا حجراً مكسوراً من الأعلى في حائط بستان مغروس بالتوت وعليه نقش يوناني. أخذت له نسخة بسرعة ووضعت عليه وشماً. وذهبت، بانتظار أن يجف الوشم، لتفحص بقايا كنيسة قديمة. لدى عودتي، حزنت لعثوري على الوشم وقد دمره أحد النصيريين[4]. ولهذا اكتفيت بالنسخة التي سجلتها بكل عناية. كان الحجر مكسوراً من كل جوانبه، ما خلا اسفله، وحروفه غير متناسقة، كما أن حرف A و Δ متشابهان. إنه الرقم ٦.

٦:

N° 6. [Ἔτους... μηνὸς Γορπιαί]|ου δκ΄ ἐ|τελεύτ|ησεν Ἀ[δ]|άφαθ-[ν]|ος Ὀλέμ|ου ἐτῶ|ν ιη΄.

---

[1] الكلام مطبوع بالعربية في النص الأصلي (المترجم).

[2] وسع مطبوعة بالعربية في النص الأصلي (المترجم).

[3] فيها بضع عائلات مسيحية. في خارطة بلانكنورن Blanckenhorn يرد اسم القرية خالياً من الحرف هـ: Balluniyé.

[4] لم يُسمح لي بأخذ وشم آخر. كان ذلك الموقف العدائي الوحيد الذي تعرضت له من جانب النصيريين.

لا أدري إذا كان للمقطع Ἀδάφαθνος علاقة ما بأسماء الأعلام السورية[1]. يرد Ὄλεμος في ودينغتون (Inscriptions grecques de Syrie 2053 e) بالشكل العربي فعلاً (**عليم؟**[2]).

نصادف في كل مكان من القرية بقايا الآثار القديمة: ثمة قطع كثيرة من الحجارة عليها نقش الصليب وصيغة الكاملة Ἔτους لحد ما، أما التواريخ فضائعة.

على مسافة ثلاثة أرباع الساعة إلى الغرب من بهلونية نصل إلى قرية عزير 'Ozair، المارونية كلها، التي لا تحتفظ بأي أثر عن العصور القديمة؛ وهذا أمر غريب، شمالي النهر الكبير.

(ص ٢٨٢) في زيارة ثانية للقرية عُرض علي نقش. كان الحجر مكسوراً عن شماله، ولكن النقش يبدو فيه كاملاً في بدايته ونهايته. قد يكون الحرف الأخير من السطر الثالث هو E أو □. وعلى أي حال فإن النقش بكامله غير واضح، ألعله سلسلة من أسماء العلم؟

٧: (N° 7. Μεθο|ρία κὲ (= καὶ) Κ|αρία. | Ἄσαφι|ς)

في اليوم التالي انتقلنا إلى حالات: راجعنا النقش الذي وجد فيه دوسو اسم عبد أوزيريس Abdousiris؛ كانت قراءته أكيدة تماماً. كانت الحيطان حول النبع مليئة ببقايا النقوش، ولكنها بحالة لا نفع منها.

كان حظنا أوفر لدى فحصنا للمقبرة حيث حصلنا على النصين الآتيين. الأول على حجر مكسور من ثلاث جهاته، ولكنه كامل على يساره. إنه الرقم ٨.

٨: (N° 8. Μα|ρρῖ|νος | θά|ρ(σει))

يضاعف اليونان عادة الحروف الصامتة عندما ينقلون الأسماء اللاتينية. لدينا Μαρρῖνος عند ودينغتون n° 2072.

النقش الثاني كامل باستثناء نهايته، وحروفه متناسقة: إنه الرقم ٩.

٩:

N° 9. Ἔτους | ζqτ' Πα|νήμου | λ' Ζάβδ|αι Βεε|λιάβου | χρή-
σιμ|ε καὶ ὀλι|γοχρόνι|[ε χαῖρε].

---

[1] قارن مع المقطع الذي عثر عليه في السيدة: Δαφαθ.

[2] العبارة بالعربية في النص الأصلي (المترجم).

التاريخ ٣٩٧ من التقويم السلوقي، وهو الأقدم الذي عثرت عليه. نهاية النقش χρήσιμε καί δλιγοχρόνιε تخرج قليلاً عن المألوف في النقش على النعوش السورية. والأسماء سامية بكل وضوح؛ ف Βεελιάβος معروف تماماً. قارن Ζάβδαι مع ما هو وارد في النقوش اليونانية في تدمر (ودينغتون، 2611)، ومقاطع من Ζαβδιβώλιος (2578)، ومن Ζαβδεάθους (2578)، ومن Ζαβδαάθης (2590) و Ζάβδελα، إلخ[1]. تكثر في وادي النهر الكبير هذه الأسماء السامية. راجع ما ورد سابقاً من نقوش السيدة وكفرنون والبهلونية وغيرها، وكذلك دوسو، المرجع السابق، ص ٦.

(ص ٢٨٣) يقترح الراهب بيزاني Pisani أن يجعل في حالات موقع إلوتيروبوليس القديمة Eleuthéropolis (؟). وبرأيه فإن اسم الموقع يسمح بمحاولة التعيين هذه. نحن لا نجرؤ على مجاراته في هذا التأكيد. فحالات لفظة سامية بكل وضوح، والهتة (لفظ حرف الحاء) التي تبدأ بها ليست على تلك الحدة الواردة في الاسم اليوناني[٢].

بعد مسير ساعة ونصف وصلنا إلى تل سارين Tell Sarîn، هذه المزرعة النصيرية التي أدى وصولنا إليها إلى اختفاء الجميع. وفي النهاية كشفوا لنا عن نصب بازلتي داخل حائط، يبلغ ارتفاعه متراً: في قسمه الأعلى شريطية دائرية الشكل، وتحتها شخص على رأسه إكليل، ويده على جبهته؛ وهو خال من النقوش، وصناعته غير متقنة.

ولعل ما سميناه شريطية دائرية ليس غير القرص، هذا الرمز القديم جداً في الديانات الشرقية؛ إنه يمثل "الإله الطبيعة، المعبود في أكثر تجلياته بروزاً"[٣]. وغالباً ما يتم استبداله بدولاب شعاعي أو بنجمية، كما سنتبينه لاحقاً.

---

[1] هذا بدون ذكر الظباء القائد العسكري عند زنوبيا. ولعل Ζαβδαι هو أحد الأشكال الموجزة التي نصادفها في تدمر، وهب اللات...

[2] راجع: Le chemin de Damas, paru dans la Revue du clergé français, mai 1898, p. 7 du triage à part.

[3] PERROT ET CHIPIEZ, Histoire de l'art dans l'antiquité, III, 67.

قمت بأخذ وشم لنقش في دار الشيخ. ولكن إلحاح النصيريين وإزعاجهم شغلني عن أخذ نسخة لهذا النقش. وكم كان هذا السهو مسيئاً لإن الوشم الذي نقلته أربكني حول حقيقة حرفين أو ثلاثة. كان النقش كاملاً. إنه الرقم ١٠.

١٠: (N° 10. Ἔτους η϶ ἰν(δικτι)ῶ(νος) | πρεσβυτέ(ρου) | Ζαχαρίου)

التاريخ ٩٠٨ من التقويم السلوقي. لاحظنا بين سكان تل سارين البؤساء حالتي برص على الأقل.

وصلنا بعد مسير ساعة من هذه المزرعة إلى قرية بيت كاران Bait Karan النصيرية (فيها ثلاث أو أربع عائلات مسيحية) الواقعة في وادٍ صغير خصب، ومروي جيداً: ثمة خرائب شاسعة تبدو فيها واجهتا كنيستين بوضوح. وعلى مسافة نصف ساعة نجتاز طريق طرابلس- حمص، وعلى يميننا تل كلخ (ص ٢٨٤) (التي سماها دوسو تل القلعة، مرجع سابق، ص ٦)، مقر قائمقام الحصن[١].

من هذه النقطة اتجهنا مباشرة إلى برج صافيتا، بعد زيارتنا، على الطريق، برج مقصور Borg Maqşoûr وبرج محاش Borg Mouhâsh؛ هذا الأخير أصله إفرنجي بالتأكيد. لم نتفحص القرية النصيرية القائمة حول البرج.

عند تقاطع طريق صافيتا ونهر الأبرش Nahr al Abrash، تبعنا الضفة اليسارية لهذا النهر الجاف في هذا الفصل من السنة في مجراه الأعلى، لنصل إلى سيسانية Saisâniyé (نصيرية ومسيحية). فوق الباب الأساسي للكنيسة، وجدنا ساكفاً[٢] عليه نقش يوناني من ثلاثة أسطر، وثمة صليب ملاصق لطاووسين نحتهما سيء الصنع[٣]. إن هذا النقش الموضوع بشكل مقلوب صعب القراءة؛ أخذنا وشماً له ونسخناه وصورناه: هو ناقص على يساره. إنه الرقم ١١.

١١:

N° 11. [Ἰη]σους ὁ Χ(ριστὸ)ς ὁ τοῦ Θ(εο)ῦ υ(ἱὸ)ς ἐνθάδε κάτοι-
κ(ε)ν | ... δὲ ἠθίτω οἰκόν(ομος) Ἰορδάνης [Κύριε] βοήθ[ει].

---

[1] نقل هذا الأخير مقره مجدداً إلى قلعة حصن الأكراد الجميلة.

[2] مصدره برج محاش.

[3] سوف نعثر على هذه الزخرفة في الغور وفي غيره من الأمكنة، ولدى ودينغتون (2697) نقش مماثل. بالنسبة لصيغة χ κάτοικεν ϛδτσιρ، وغيرها من الصيغ المشابهة، وهي قليلة في النقوش المسيحية، قارن: EDM. LE BLANT, Nouveau recueil des inscript. Chrét. de la Gaule, pp 3, 4, 7. ننوي العودة إلى هذا النقش المثير.

قراءة القسم الأول من السطر الثاني غير واثقة. هذه الصيغة Ἰορδάνης هي اسم علم، مثل جوردان Jourdan, Jordan في العصور الوسطى. نحن نعرف شخصاً باسم Ἰορδάνης، هو مطران أبيلا Abila (سورية). لنتذكر أن الطاووس هو رمز البعث[١]. وفي نهاية السطر يجب أن نقرأ ιεβοήθ، إن حرف كابا kappa في الصورة يبدو عليه في الوشم أثر حلقة. يكشف النص، حتى في أقسامه الأكيدة في قراءتها، عدم خبرة فعلية لدى مؤلف النص كما لدى النقاش[٢].

(ص ٢٨٥) لا يحتفظ برج صافيتا بأي أثر للعصور القديمة، شأنه في ذلك شأن جميع القلاع المحصنة التي بناها الفرنجة. وبرجه الكبير المتصدع للغاية مهدد بالانهيار لدى أول هزة أرضية. وفي بقية أقسام قلعة الداوية الضخمة بذل العديد من ناحتي الحجارة جهودهم على كتل الحجارة الرائعة العائدة لأيام الصليبيين. تحتل صافيتا موقع أرجيروكاسترون[٣] Argyrocastron البيزنطي (Clermont- Ganneau, Recueil d'archéol. Orient., II, 170) الذي ربما قام هو نفسه في أعقاب بناء أكثر قدماً منه[٤]: فالموقع هام. وإننا لنعتقد أن الصليبيين استخدموا في أبنيتهم المواد الضخمة، فقط حيثما كانت موجودة في السابق. قارنوا مع طرطوس وجبيل وهونين (الجليل الأعلى)، وإلخ.

لا يوجد في بيت نعشيه[٥] Bait Na'shé، مقر إقامة محمد عبد الرحمن، كبير مشايخ الدين النصيري، أي أثر تاريخي.

لدى مغادرتنا صافيتا، اتجهنا إلى الشمال الشرقي نحو حصن سليمان. مررنا في عمودي[٦] 'Amôudi، وإم شير Imshîr أو نيشير[٧] Néshîr، وعينو 'Aïno، مزرعة صغيرة من خمسة منازل، حيث هناك قبر ضخم محفور في الصخر، وعينو على

---

[1] راجع: Kraus, II, 364.
[2] راجع نقشاً مماثلاً عند ودينغتون: Waddington, Inscript. de Syrie, n° 2697.
[3] راجع: Cedrenus dans MIGNE, P. G., t. CXXII, p. 229.
[4] وجد فيه كوندر Conder سابي Sapi الواردة في رسائل تل العمارنة، إنه تعيين متهور. راجع: The Tell Amarna Tablets, p. 73.
[5] على مسافة ساعة إلى الجنوب الغربي لصافيتا، فوق نهر الأبرش.
[6] مار سمعان برأي دوسو. تصح التسميتان، كما أفادني المرشدون المسيحيون. عمودي تعني مار سمعان العمودي. وحدثوني عن عمود قديم في وسط البلدة، أمر يستأهل التحقق منه.
[7] لعلها Eixserc أو Esserk أو Sark الواردة عند الصليبيين، راجع: ZDPV, X, 260; REY, Colonies franques de Syrie, 370.

مسافة ساعة و١٠ دقائق من حصن سليمان، وحيث ما تزال مستمرة بحدة أعمال التدمير التي لاحظها دوسو منذ سنتين: لم نتمكن من العثور على رأس الأسد المزين بشريطية[١]. تعرفنا، في مجموعة الخرائب المسماة (ص ٢٨٦) الدير Ad-dair، على واجهة كنيسة موجهة تماماً؛ لعلها بقايا معبد مسيحي قديم.

لاحظت لدى سكان مزرعة حصن سليمان النصيرية الصغيرة استمرار أسماء مسيحية[٢] صرف، مثل كاترينا[٣] وحبيب. وعندما سألت شيخ عينو، مرشدي النصيري، عن الأمر بدقة، علمت أن أبناء دينه لا يشعرون بأي حرج في اعتماد اسم اسبر (Spiridon) ومتى وجبرائيل وهيلانة[٤] (Hélène)، وغيرها. كما أن اسمي مريم ويوسف يترددان بين النصيريين بقدر ندرتهما عند المسلمين[٥].

يُرْجِع دوسو إلى التقويم السلوقي تواريخ حصن سليمان. أما د. روفييه Dr. J. Rouvier، المعروف جيداً بأعماله على المسكوكات الفينيقية، فقد أوحى لي بأن التواريخ ربما تعود إلى تقويم أرواد الذي يبدأ في العام ٢٥٩ أو ٢٥٨ قبل الميلاد[٦]. وهذا ما يعود بإنجاز الحرم المقدس نصف قرن إلى الوراء. "لما كانت Baetocécé معبداً فينيقياً، فقد كان من شأنها أن تلعب بالنسبة لأرواد دوراً مشابهاً لدور أفقا بالنسبة لجبيل في لبنان" (دوسو) ومشابهاً لدور دير القلعة بالنسبة لبيروت؛ وهذا ما يجعل اعتماد تقويم أرواد على مصداقية متناهية.

من حصن سليمان إلى مصياد[٧] Maşiâd مررنا بالمواقع الآتية: عين الشمس ’Aïn ash-Shams، عين حلاقين ’Aïn al-Halaqîn (مارونية بكاملها)، عشق عمر ’Oshq ’Omar، مشرفة Moshrifé، ميغوة Mighwé، شميسة[٨] Shomaisé، فندارة

---

[1] DUSSAUD, op. cit., 22, 23.

[2] راجع حول اسم اسبر يتسمى به اسماعيلي من قدموس: ZDPV, XIX, 241.

[3] مع اسم التصغير كتور.

[4] لاحظ الأب بارنييه أن نصيرياً يتسمى بهذا الاسم في بانياس.

[5] أفادني شيخي أن النصيريين لا يسمون ميشيل وبيير وبول، ولا عمر وأبو بكر وعثمان، وهذا الأمر الأخير يمكن تفهمه عند شيعة مغتاظين. ولكن ثمة شيخ نصيري أفادني في العام التالي، لدى مروري في مريمين، أن ابناء دينه يتسمون باسم بيير ولوقا وغيرهما.

[6] راجع: Dr J. ROUVIER, L’ère de Marathos de Phénicie dans Journ. Asiat., 1898, II, sept-oct.

[7] الكتابة المعتادة هي مصيات Maşiât.وهناك في المنطقة من يراها مصياف. أما التسميات الأخرى "مصياث Maşiâb, Masiât" (كما في أسامة بن منقذ، لناشره درنبورغ H. DERENBOURG) فهي غير معروفة عند السكان الأصليين.

[8] حرفياً تصغير الشمس، شمس صغيرة.

Fandâra، بستان Bostân، رصافة Raşâfa، مصياد. خرائبها لا قيمة لها. أشاروا علينا لاحقاً بوجود نقش في عين (ص ٢٨٧) الشمس، هذه القرية التي تحتل موقعاً هاماً على هضبة بين قمتي سلسلة جبال النصيرية. ومن عينو إلى عين الشمس، صادفنا في كل مكان تقريباً، خاصة لدى الأطفال، العيون الزرقاء والشعر الفاتح؛ وصادفت في هذه الرحلة الأخيرة الكثير من الفتيات اللواتي يبدو فيهن شكل النمط اليوناني القديم: أنف مستقيم، شعر أشقر، سحنة بيضاء، عيون زرقاء.

من عين حلاقين، انتقلنا للتعرف على خربة حزور Khirbet Hazzûr (على مسافة ساعة إلى الجنوب الغربي). وفيها مَوْضَعْنا مزرعة أزور Azor لفرسان الاسبتالية[1]. ساكف الكنيسة عبارة عن مصراع باب بازلتي عليه صليب كبير، على أذرعه وإطاره حروف يونانية، ولكنها تكاد تكون ممحية لدرجة أنها لم تترك على الوشم الذي صنعناه غير الآثار المبهمة. بالقرب من عين حلاقين خربة السنديانة Khirbet Sindiâné، الموقع القديم للقرية الراهنة، تحتوي على بعض كتل الحجارة القديمة؛ ولعل هذه الخربة هي قرية السنديانة Cendiana الصليبية[2]. كل هذه المنطقة مليئة بالآثار الصليبية، مثلما هي الحال في شميس وفندارا، حيث من السهل التعرف على قريتي سوميسا Sumessa (شميس) وفودا Fauda فندارا[3] الصليبيتين.

لا يعدو حصن الحشاشين في الرصافة أن يكون غير كومة من الخرائب، إنه حصن صغير، ولكنه يمتاز بموقع رائع على رأس مرتفع حاد من الصخور.

انتقلنا من الرصافة لننزل في بيضا Baidâ، هذه القرية الأرثوذكسية الكبيرة التي بقيت حتى مطلع هذا القرن بيد الإسماعيليين الذين يتجهون نحو الانقراض. جميع الإسماعليين في مصياد، الواقعة على مسافة نصف ساعة إلى الشمال، يحملون لقب أمير المتناقض مع أوضاعهم المتدهورة حالياً[4]. يشكل هؤلاء الأمراء نقطة التواصل بين عمال الحكومة السنة والمذهبين اللذين عانى كل منهما اضطهاداً خاصاً به.

---

[1] ZDPV, X, 260.

[2] ZDPV, X, 257

[3] المرجع السابق، ٢٦١. لعل عشق عمر هي كوركوا Corcois، المرجع السابق. لا شك أن فودا Fauda هي خطأ في قراءة فندا Fanda؛ بينما يكتبها د. بوست فيدارا Fiddarah: Dr Post, Quaterly Statement, 1893, p. 39.

[4] مثل إسماعيلية قدموس: ZDPV, XIV, 241.

(ص ٢٨٨) تقع، في منتصف المسافة بين مصياد ودير صُليب Dair Soulaib، قرية روبعو[1] Roub‘ou النصيرية حيث يوجد الكثير من القبور المحفورة في الصخر. لفت انتباهي نصب بازلتي محصور في سقف مغارة: في هذا النصب تمثال نصفي لامرأة وسبعة سطور من النقش. قمت بنسخها على ضوء الشمعة. جاء الوشم الذي حاولنا أخذه مبهماً، بحكم وضعية النصب في السقف. وإليكم ما قرأته[2] في الرقم ١٣.

١٣[3]:

N° 13. Ἔτους ιεφ' | Περιτίου | Νουμηνίου | Μαρκέλλου |
Ἀκυλένη Μα|θάνα........ τὸν βω|(μὸν) ? ανηγιρεν ?

يعود هذا النقش إلى شهر بيريتيوس Péritios سنة ٥١٥ من التقويم السلوقي. يدور النص حول أكيلينيه Aquiliné، إمرأة أو بنت نومينيوس مارسيللوس Numenius Marcellus؛ سأعهد إلى غيري بالقراءة النهائية لآخر سطرين. لا تتعلق النتيجة، كما نرى، بالصعوبات التي يفرضها علينا النص.

يستحيل أن لا يندهش المرء لشدة تماثل الخرائب حول الكنيسة في دير صُليب. فالمنازل، وهي صغيرة، جميعها متشابهة: السواكف والدعائم كل واحدة منها من حجر واحد، مع صليب جميل في وسط الساكف. إن هذا التماثل، والبحث عن عدم التميز في موقع جميع سواكفه مؤرخة، يدفع إلى الاعتقاد بأنه مركز رهباني[4] لعل الاسم دير صُليب يدل عليه.

وفي كنيسة برجيس[5] Kanîsat Bargîs، يمكننا بشيء من الجهد أن نتبين على الساكف الحرف H والحرف Θ. ويتحدث السكان المحليون عن حوالي (ص ٢٨٩) عشرين **خربة**[6] hirbet في المنطقة. قد يكون الرقم على شيء من المبالغة، ولكن الأمر يستحق الاهتمام.

---

[1] هي Rabahou عند راي، و Raba‘o عند دوسو. عندما يتطابق مسار رحلتي مع مسار رحلة دوسو، أعود إلى مقاله عنها في ما خص التفاصيل الطبوغرافية.

[2] قراءتي للسطرين الأخيرين تخمينية.

[3] لا وجود للرقم ١٢ (المترجم).

[4] يتحدث راي أيضاً عن "دير بيزنطي"، REY, Archives des missions scientifiques, III, 343.

[5] هذا الاسم الذي أطلقه دوسو على الخرائب المسيحية الواقعة على مسافة نصف ساعة شمالي قرية حمّام هو اسم جنس يطلقه السكان على الكثير من المواقع القديمة.

[6] هكذا في النص hirbet وليس khirbet، (المترجم).

انتقلنا من حمّام Hammâm، الاسم الحقيقي للقرية الواقعة في منتصف المسافة بين مجموعتي الخرائب هذه، إلى كفر عقيق[1] Kafr'Aqiq، موقع قيد الإنشاء في هذه السنة بالذات من قبل جماعة أتت من حمّام[2]. لقد اشاروا علينا بوجود "حجارة مكتوبة". ولكننا لم نجد غير توابيت حجرية قواعدها ضخمة. وغطاء أحدها عليه رسم امرأة يدها على صدرها، والنحت غير متقن. ثمة نسر ضخم بقي منه قائمتاه وطرفا جانحيه، نحته أفضل. لا يوجد صليب ولا زخرفة يونانية مسيحية، ما هو واسع الانتشار بكثرة في جبل برجيلوس Bargylus، هذه المنطقة العريقة في القدم. هذه هي المرة الأولى التي نخرج فيها بهذه الملاحظة منذ بداية رحلتنا.

عثرنا في السهل تحت كفر عقيق على بقايا قناة ماء، وعلى مسافة منها قناطرها ما تزال قائمة. وفي المساء وصلنا إلى بارين Bârîn أو بعرين[3] Ba'rîn، كما يلفظونها في المنطقة. وأبلغنا شيخ المحلة أن الغرباء يلفظونها بارين، ولكن اسمها الحقيقي هو مارين Mârîn. ونحن نعرف، استناداً إلى المؤرخين الشرقيين للحروب الصليبية، وإلى ياقوت، أن لفظ بعرين قديم. ولكني أظن أن مختار بعرين أراد أن ينزع عن موطنه أي صلة تمت إلى جذر الاسم[4].

كانت الشمس قد أشرفت على المغيب، فلم يكن لدي الوقت لغير الصعود إلى القلعة حيث نقلت نقشاً حروفه المحفورة على حجر كلسي جميلة، وحروف السطر الأول مقطوعة في الوسط. إنه النقش ١٤.

(ص ٢٩٠) ١٤: (N° 14. [Κύριε βο]|ήθ(ε)ι|. Αὐρ|ήλι|ος ☩)

تتردد هذه الصيغة كثيراً في النقوش اليونانية- المسيحية في سورية[5]. وعلى طرف من الحجر نجد الحرفين الآتيين لوحدهما: A, Σ.

راجعنا النقش الذي سبق ونشره كليرمون- غانو[1] استناداً إلى نسخة لوتفيد Loytevd الناقصة. فيه ثلاثة أسطر، وهو مكسور لجهة اليمين[2]، إنه النقش رقم ١٥.

---

[1] لقد ضللنا أدلاؤنا النصيريون، فلم نتمكن من تقدير المسافات بدقة.

[2] تسمى أحياناً، خطأً، دير صُليب.

[3] هي مون فراندوس الصليبية والمسماة مونفران على خريطة تعود إلى القرن الثالث عشر نشرها روهريخت: Röhricht, ZDPV, XVIII, planche VI.

[4] يذكر اسم بعرين، من حيث اشتقاقه، بلدة أوفرنيى Auvergne، المزينة منذ القدم باسم جرغوفيا Gergovie.

[5] يستعمل هذه الصيغة الوثنيون أيضاً (EDM, LE BLANT, 750 Inscriptions de pierres gravées, p. 88, 121 dans Mémoires de l'Institut, 1898)، ومنها الصيغة الآتية: Κύριε ἐλέησον، المرجع السابق.

١٥:

N° 15. † Γεώργιος ὁ ....|... ἀναγνώστης ......
[ἐκ τῶν θε]|μελίων? ἀνή[στησεν]...

بعد كلمة Γεώργιοςδ يقترح كليرمون- غانو δ εύ(λόγη)τος أو بالأحرى εὐσεβέστατος. لا أدري إن كانت هذه النعوت ملائمة "للقراء" صغار خدم الكنيسة، الذين إليهم ينتمي بالتأكيد جورج الوارد في النص[٣]. ومهما يكن من أمر فإن الفحص المباشر للنقش لم يبدُ لي مشجعاً على هذه القراءة.

على الرغم من تقدم الوقت، أسرعت على مسافة ١٠ دقائق لمعاينة نقش كوفي من ستة إلى سبعة أسطر: لم يتسنَ لي الوقت لغير النظر إليه. كنت مقتنعاً أن ماكس فان برشم كان قد زار بعرين[٤]. يعتبر الحجر اليوم حجراً مقدساً، وهو موضوع وسط دائرة من الحجارة العادية؛ ويزعم النصيريون "أن من يشكو من آلام الظهر يأتي ليتكئ على هذا الحجر فيشفى بإذن الله bïidn illâh".

وفي جامع حمص الكبير، فإن العمود المحصور في الحائط وعليه نقش يوناني (ص ٢٩١) دوّنه ودينغتون (n° 2570)، هو أيضاً حجر لشفاء آلام الظهر، يأتي المرضى فيتمسحون به، ويحصلون على النتائج المرضية ذاتها.

لقد كشفوا لنا نقشين[٥] آخرين مجزأين جداً، ولكني امتنعت عن نسخهما، نظراً لمطالب أهل المحلة المبالغ بها. وعلى العموم لم أرتح لأهل بعرين، المسيحيون[٦] منهم والنصيريون على السواء. ولكن الرحالة الذي هو على استعداد لدفع الثمن يمكنه العثور على المزيد من النقوش في هذا الموقع، ومن الأفضل له التوجه إلى النصيريين.

---

[1] Recueil d'archéologie orientale, I, 23.

[2] ربما كان هناك سطر رابع يتضمن التاريخ، فالكسر من الجهة السفلية يجعل الحروف قريبة جداً من طرف موقع النقش.

[3] كانت صيغة εὐσεβέστατος وصيغة εὐλαβέστατος تستعملان أحياناً للكهنة. إني اقترح بالأحرى القراءة الأخيرة، لأن الحرف N من السطر الأول يشبه قليلاً الحرف Y، وبعد الحرف Λ هناك ما يشبه بداية الحرف A.

[4] لدى عودتي لاحظت أن ماكس فان برشم لم يذكر بعرين في عداد المدن التي زارها أثناء حملته لجمع النقوش: Journ. Asiat., 1895, II, p. 485.

[5] أحدهما لاتيني.

[6] في بعرين بضع عائلات أرثوذكسية.

انطلقنا في الخامسة والربع، توقفنا في مريمين Mariamîn المعروفة عند الصليبيين بقرية مرجمين Merjemin. لم يتح لنا هذا التوقف القصير بإضافة شيء إلى مجموعة النقوش المنشورة سابقاً عن هذه المحلة، اللهم غير نص من أربعة سطور، ولكنها تالفة لدرجة بحيث لم استطع أن أميز فيها غير السطر الأول وفيه تاريخ: ἔτους πεύ، العام ٤٨٥ (بالتقويم السلوقي).

في الساعة ١١,٣٠، وصلنا إلى قرية غور Ghoûr المتوالية حيث نسخ السيد فوسيه Fossey نقشاً عن تابوت حسن الصنع بالقرب من بئر القرية. يستحق هذا الموضع تفحصه بعمق: نسخنا منه النصوص الآتية:

١، على ساكف من البازلت، رشم ونسخ، النقش رقم ١٦.

١٦: (N° 16. † Χριστέ, ἐν τῷ | ὀνόματι σοῦ | γέγ[ο]νεν † ἔτους αλω´)

على الحجر لدينا كلمة γέγωυευ. التاريخ αλώ هو العام ٨٣١ بالتقويم السلوقي.

٢، ساكف من البازلت، في سطه صليب يزينه طاووسان. نرى بين ذراعي الصليب النجمية والهلال، كما حرف ألفا وأوميغا[١].

مجمل النقش ضعيف من حيث إنجازه؛ أما أهميته الرئيسية فتكمن في الجمع بين الطاووس، كرمز مسيحي، والنجمية والهلال، وهما رمزان وثنيان في الأصل[٢]. (ص ٢٩٢) وهما بموقعهما فوق الصليب يمثلان الشمس والقمر في فن الأيقونات المسيحي القديم[٣]. نقرأ على حرف اليسار XM الذي نصادفه عادة مع Γ. كنا ميالين لأن نقرأ فيه الحروف الأساسية للمسيح وكبيري الملائكة ميخائيل وجبرائيل. يبين نقشنا[٤] أنه علينا بالأحرى أن نعتبر في صيغة XM اختصار ςότσιρΧ وαίραΜ او لصيغة ςότσιρΧ ό έκ Μαρίς γεννθείς[٥].

إن أعلى واسفل الإطار - لأن هذه النقوش موضوعة ضمن أطر - يشغلهما سطران من نقوش متضررة جداً. نسختها وأخذت لها رشماً وصورة، هو النقش رقم ١٧.

---

[1] أو بالأحرى (ω) و(α)، لأن (ω) تحتل الصف الأول. هل يجب لفت النظر إلى المساحتين الكرويتين فوق الطاووسين؟

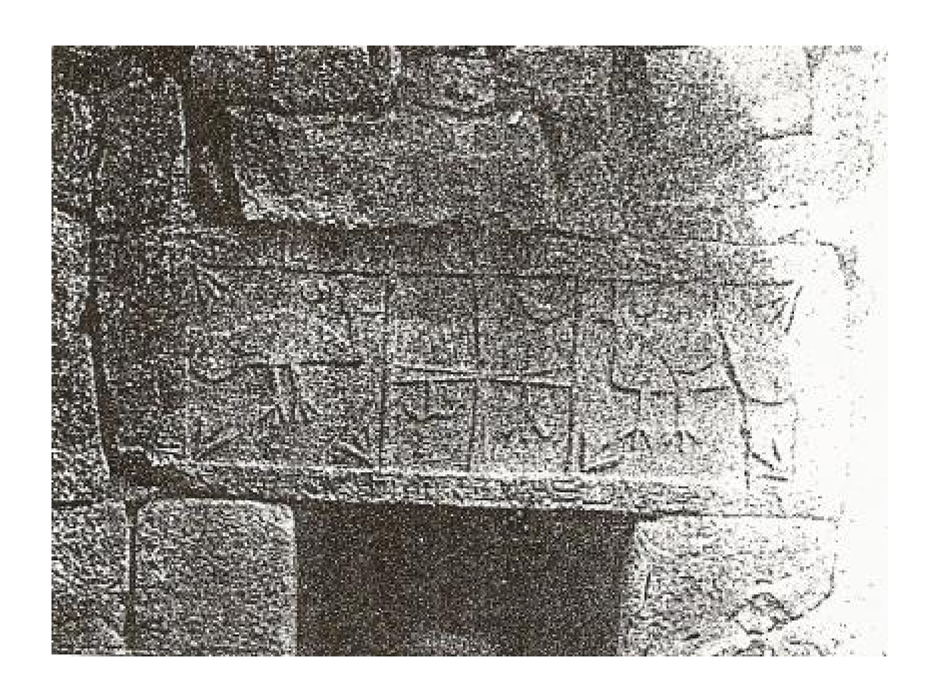
[2] راجع: Archives des missions scientifiques, 1897, 430.

[3] راجع: Martigny, Dictionnaire des antiquités chrétiennes, 193, 194.

[4] إنه، على حد علمي، النموذج الوحيد لصيغة XM في النقوش السورية. في السنة التالية، عثرت على نموذج آخر في جبل أكروم (جنب غرب حمص)، أنوي العودة إليه.

[5] راجع: Waddington, Inscriptions de Syrie, p. 504.

١٧: في السطر الأول: ὀώξα σοι θεός ω Xριστε؟... ... أما البقية فتفوتني. نميل إلى الظن أن الساكف في موضعه الأصلي. وفي هذه الحال فهو يعلو مدخل مقبرة: فرضية يشجع عليها وجود رمز مثل الطاووس (رمز البعث) والنجمية والهلال. (الصورة أدناه).



٣، ساكف من الحجر الكلسي، حروفه نافرة؛ أخذت له صورة ونسخة. إنه الرقم ١٨.

:١٨

N° 18. [ὁ οἶκος τοῦ ἁγίου Γεωρ]γίου ἐθεμ(ελιώθ)η Λ' μη[νὸς] Δ[α]ισίου κ[αὶ] τοῦ ἔτους ηω'.

هذا النقش ينقصه قسمه الأول[١]؛ ولعل المقصود على الأرجح إقامة كنيسة لمار جرجس، في تاريخ ٣٠ من شهر دايزيوس Daesius من العام ٨٠٨ بالتقويم السلوقي[٢].

---

[1] يمكن مقاربة هذا النقش مع نقش خربة التين Hirbet at-tîn (راجع لاحقاً)؛ وعبارة οἶκος بمعنى معبد، راجع: Waddington, n^{os} 2158-2160.

[2] بالقرب منه يوجد تاجان عمود لعل مصدرهما المعبد القديم.

يبدو أن هذا القديس كان مكرماً للغاية في غور. وفي اسفل (ص ٢٩٣) القرية، ما يزال باب مطحنة[1] يحتفظ بنقش كبير على شرفه نسخه سابقاً فوسيه.



٤، النقش الآتي يتعلق أيضاً بمار جرجس، على ساكف من البازلت، نسخته وأخذت له رشماً. القسم الأول من النقش موجود داخل الحائط؛ إنه النقش ١٩.

١٩: ميزت فيه: (..... κ[αὶ] τοῦ ἁγ[ίου] Γεοργ[ίου] τοῦ .....) أما البقيت فغير واضحة.

٢ أيلول: تركنا حمص لنستكشف بعض المواضع في الوعر[2] Wa'r[3]. هذه التسمية الموفقة جداً تشير إلى السهل الممتد بين العاصي وجبل النصيرية، وهو صحراء فعلية مزروعة بالكتل البازلتية الملاصقة غالباً لبعضها بحيث يحار الحصان أين

---

[1] هناك بعض الآثار وبقايا برج، ويحمل المجموع اسم برج سميس Borg Smîs.

[2] وعر تعني أرض مبحصة وصعبة المسالك.

[3] كلمة وعر في الحاشية السابقة وردت بالعربية في النص الأصلي. (المترجم).

يضع حوافره. وإذا ضربنا خطاً مستقيماً من حمص فإنه يقسم الوعر إلى قسمين: وعر حمص أو الوعر الشمالي، ووعر الحصن أو الجنوبي[١]. نبدأ بالقسم الشمالي.
على ساعة ونصف من حمص، بعد اجتياز العاصي نصادف البرج Borg، هو تل مرتفع فيه دواثر قديمة. بعد ربع ساعة أخرى قرية ضهر الكبير Dahr-al-Kabîr المسلمة. هنا يبدأ الوعر. اتجهنا باتجاه الغرب، وفي مدى ثلاثة أرباع الساعة وصلنا خربة الغواليه Khirbet Gawâlih، وبعدها بعشرين دقيقة خربة السناسل[٢] Khirbet Sanasil، موقعان أثريان متشابهان، يتبعان مجال حمص: إعمدة ضخمة من حجر واحد، تغمرها الصلبان؛ وخالية من النقوش الكتابية[٣]. وفي المنطقة الوسطى بين هاتين الخربتين، وعلى مسافة متساوية تقريباً، تمر طريق رومانية ما تزال محفوظة بشكل رائع، بحيث أن بلاطها البازلتي يلمع تحت ضوء الشمس.
(ص ٢٩٤) انحرفنا نحو الشمال، لنصل بنصف ساعة إلى خربة رفعين Raf'în: نقش مكسور في وسطه، حروفه كبيرة، ويحيطه إطار. إنه النقش ٢٠.
٢٠: (N° 20. .... τοῦ [ἔτους] ηϡ' ἰν[δικτιῶνος] ...)
أعتبر (Η.Λ = ηϡ') السنة ٩٠٨ بالتقويم السلوقي. يتحدث مرشدنا عن نقش آخر لم نتمكن من العثور عليه. تشبه رفعين الخربتين السابقتين، باستثناء أن الأعمدة وباقي المواد أقل ضخامة، والسطوح من البازلت كما هي الحال في حوران.
تقع القرية المسلمة، كراد الداشينيه[٤] krâd ad-Dâsinîyé على مسافة نصف ساعة إلى الشمال. وهي تستحق تفحصها بدقة؛ فعلى مقربة من شمالي القرية ثمة موقعان أثريان واسعان فيهما بقايا أعمدة ويسميها أهل المحلة كنيسة Kanîsé. منازلها تحت الأرض حتى نصف ارتفاعها ومبنية بحجارة قديمة. بالقرب من البئر ثمة غطاء لقبر حسن الصنع من الحجر الكلسي ومغطى بالحروف اليونانية وبالنقوش يُستعمل كمشرب. وبما أنه مقلوب وثلاثة أرباعه تحت الأرض لم أتمكن من نسخ غير الكلمات الآتية من على جوانبه؛ النقش ٢١.

---

[1] تستمد منطقة الحصن اسمها من قلعة الحصن، أو حصن الأكرد الذي يشرف بكتلته الضخمة على كل المشهد.
[2] كتبت الأسماء كما هي مدونة في دفتري، دون أن استطيع ضمان دقتها. اعتقدت لاحقاً أني سمعت غواليق، من السهل الوقوع في التباس الصوت بين hâ وقاف qaf السورية. (هذه الملاحظة غير واضحة. ففي متن النص كتب Gawâlih، وفي الحاشية هنا يشير إلى الصوت hâ. – المترجم).
[3] كان من المفروض استكشاف هاتين الخربتين قبل التوسع الأخير لحمص.
[4] من الواضح هنا أن عبارة كراد تعني أكراد، لعلها كانت سابقاً موضعاً للأكراد.

٢١: ١، (N° 21. 1) Σαμούελος πρ[εσβύτερος, καὶ] ἀρχιμανδρ[ίτης])

يعود لقب أرشمندريت إلى النصف الأول من القرن الرابع[1]. لا يكون الأرشمندريت بالضرورة مكرماً بالطابع الكهنوتي[2]. من الحتمل أنه كان يوجد دير في كراد .

٢، في حقل جنوبي القرية ساكف عليه نقش بحروف كبيرة وجميلة، ٠,١٢. النقش ٢٢.

(ص ٢٩٥) ٢٢ : (N° 22. Ἔτους ηνχ')

تطابق (ηνχ') العام ٦٥٨ بالتقويم السلوقي.

٣، بقايا محصورة في حائط منزل، حروفه غير منتظمة، صليب مع نجمية وهلال. النقش ٢٣.

٤، شاهد قبر من البازلت، نقشه يبدو كاملاً، أخذت له رشماً[3]، النقش ٢٤.

٢٤: (N° 24. Ἔτους | διχ' μη[νὸς] | Ἀπε[λ]λέ|ου Σε|ουη?|..ος)

διχ هي سنة ٦١٤ بالتقويم السلوقي. لعل اسم العلم Σέος هو الشائع جداً في سورية (Waddi., n^os 1965, 1966, 1971, 2006 etc.). في الرشم أول حرف ο من السطر الأخير له زائدة من الأسفل. وبالتالي نظن أنه علينا قراءة: Σεορηυοε... ...

تسينين Tisinîn، قرية مارونية على مسافة ساعة شمالي كراد، فيها نصب أو شاهد قبر من البازلت بعلو ١,٢٠م، تعلوه نجمية وشريطية، أخذت نسخة عنه ورشماً، النقش كامل، الرقم ٢٦.

٢٦: (N° 26. Ἔτους | πνφ' | μη(νὸς) | Ἀπε|[λλαί]ο[υ]....) أشك برقم الآحاد في نسختي، لعله π = ٨٠.

(ص ٢٩٦) تسينين بلدة مارونية، على مسافة ساعة إلى الشمال من كراد، فيها نصب بازلتي بعلو ١,٢٠م، تعلوه نجمية وشريطية. النقش ٢٦ أ.

٢٦، أ: (N° 26ᵃ. Ἔτους | δπυ' | Γαῖος | Ἰούλιος | ἀντιοίγ[ν]|ανος)

---

[1] راجع: Kraus, Encyclop., der christlich. Alterthuemer s. v; Waddington, n^os 2093 et 2124 (πρεσβύτερος καί ἀχιμανδρίτης). راجع حول الفرق بين الأرشمندريت ورئيس الدير: Schlumberger, Sigillographie byzantine, 376. الأرشمندريت من الشخصيات الهامة، ويحصل على لقب ἁγιώτατος المخصص عادة للأساقفة. راجع: الرقم ٢١٢٤ من: Waddington et le beau travail de l'abbé Morin, les moines de Constantinople, 1897, p. 85.

[2] المرجع السابق، ٩٦.

[3] هنا أيضاً نسيت أن أنسخه.

١، يعود النقش للعام ٤٨١ بالتقويم السلوقي. كايوس يوليوس Caius Julius هذا كان άντισίγνανος. يعطى هذا الاسم للجندي الذي يقف أمام الراية للدفاع عنها.
ثمة تفصيل طريف: لقد جعل أهل تسينين من هذا الجندي مار جرجس. لقد قال لهم أحد المشعوزين يوماً أنهم لو حفروا تحت الصخرة لعثروا على رفاة جورج بن عبد النور. فوقعوا على قبر. وكان في ذلك ما يكفيهم ليقيموا مزاراً للقديس الجديد، من نوع المزارات التي يقيمها النصيرية لأوليائهم. ولقد تعبنا كثيرا في محاولة إقناعهم أن القديس جرجس المزعوم مجرد جندي وثني.
٢، ساكف من البازلت: لم يبقَ من قسم اليمين غير كلمة واحدة؛ في قسم اليمين مستطيل من تسعة مربعات. النقش ٢٦ ب.
٢٦ ب: (N° 26ᵇ. Εἷς θε|ὸς καὶ | χριστός...)
يمكننا استكمال هذا النقش كما في نقش دانا Danâ: ...
راجع حول صيغة Εἵς θεὸς καί χριστός في سورية: Clermont-Ganneau, Archéologie orientale, I, 169, et Archives des missions scientifiques 1882, p. 293. يفوتني مدلول المستطيل المقسّم إلى تسعة مربعات[1].
٣، لنذكر هنا مثلاً آخر حول الصيغة التوحيدية. نسخها الأب بارنييه Barnier عن أم شرشوح Omm Sharshoûh، قرية واقعة قبالة تسينين على الضفة الآخرى للعاصي، الأصل من تسينين[2]. (ص ٢٩٧) العام ٨٠١ بالتقويم السلوقي.
على مسافة خمس دقائق شمالي القرية، عثرت على ساكف، ١,٤٥م بعرض ٠,٣٥م، نقشه صعب القراءة، نسخت ثلاثة سطور من النص، النقش ٢٨.
٢٨: (N° 28. Ἔτους βψ' μη|νὸς Δύου...... | Ζῆνο ἀνέστησεν)
النقش متآكل وتغطيه الطحالب، خصوصاً سطره الثاني. العام ٧٩٠ بالتقويم السلوقي يعيدنا إلى نهاية القرن الخامس؛ ومع ذلك فالنقش لا يحمل أي علامة على

---

[1] راجع حول الرقم ٩ عند المسيحيين الأول: Kraus, Encycl. II, 1000. لعله صليب.
[2] راجع نموذج جديد ومثير لهذه الصيغة على معلم للطريق في جرش Garash (Gerasa)؛ Echos de N. D. de France, 1896, p. 171: ليست صيغة Εἵς θεὸς من أصل توحيدي دوماً. راجع: Edmond Le Blant, 750 Inscriptions de pierres gravées, p. 83 sqq dans Mémoires de l'Institut, XXXVI, 1898 et Revue biblique, 1899, p. 36 sqq.

المسيحية، وهذا أمر نادر في نقوش سورية اليونانية المسيحية المتعلقة بالدفن. ربما كان هناك في البداية أو النهاية صليب صغير غطته الطحالب[1].

بعد ١٠ دقائق إلى الشرق باتجاه العاصي، كانت أرض مرتفع صغير مغطاة بقبور ضخمة من البازلت. ليس هناك من منظر مثير أكثر من رؤية هذه الكتل السوداء بأغطيتها المسطحة والمنحوتة، وفيها شخصيات ممددة، من الجنود وغيرهم. اللباس روماني. ثمة قبور شبيهة داخل البلدة الحالية، لعله كان هناك موقع عسكري في تسينين، هذا الاستنتاج يوحي به أيضاً النقش المتعلق بالجندي كايوس يوليوس.

للانتقال من تسينين إلى برج القاع Borg al qâ’ يجب اجتياز الوعر مجدداً باتجاه الجنوب الغربي. نمر بخربة شاهيّه Khirbet Shâhié من نوع الخرب التي زرناها أمس، ثم نصل إلى قاعي Qâ’i التي تبدو آثارها أكثر أهمية. في البناء المحفوظ جيداً الذي يسميه أهل المحلة السرايا sarâya ثمة ساكف يغطيه نقش طويل. قسم منه مغطى بكومة من الحجارة الضخمة لا يمكن التفكير بتحريكها. الحرارة شديدة الارتفاع، فالشلوق s’loûq يهب منذ الصباح وبازلت الوعر يعكس علينا حرارته الخاصة.

(ص ٢٩٨) النقش محاط بإطار وتالف لدرجة جعلتني أتوقف عن نسخه بعد بضعة حروف. كما أن الرشم لم يلبِ الغرض. النقش رقم ٢٩.

٢٩: نقرأ في الطرف العلوي بوضوح (ἔτους,) ثم ربما (ιθω' μ(ηνὸς) Ὑπ(ερβερεταίου)?). في وسط الإطار نقرأ (.. ὡσιώτα(τος)... ἐπίσκ[οπος])، وعلى اليمين:

puis à droite : τῶν θεωφιλε|σ(τάτων) Ἠσαΐας Λεοντίου πρ(εσβύ-τερος) καὶ οἰκ(όνομος) τοῦ εὐλα(βεστάτου)...

هذا النقش يستحق نسخه، خصوصاً إذا تم التوصل إلى انتزاعه من الحجارة التي تغطيه؛ ومن شأنه بدون شك المساعدة على استكمال لائحة Oriens christianus الأسقفية.

عثرنا على النقش ٣٠ على حجر مكسور بين الأنقاض.

٣٠: (N° 30. Ἔτους | ?).

[1] نسخت هذا النقش مع مغيب الشمس.

على مسافة ٢٠ دقيقة من قاع[١] Qâ’ يقع "برج القاع" الذي يسمونه بهذا الاسم لتمييزه عن الأبراج العديدة في المنطقة. زار هذه القرية التركمانية فوسيه الذي ما يزال اسمه على كل لسان. فالجميع يتحدث عن كرمه: كان يعطي مجيدية (٤,٢٥ فرنكاً فرنسياً) لكل من يرشده إلى حجر عليه كتابة.

ولما كانا غير قادرين على مجاراته في هذا السخاء فقد انعكس ذلك في سلوك التركمان معنا. فرفضوا حتى مجرد إرشادنا إلى النقوش التي سبق له ونسخها[٢]. ولكننا توصلنا إلى اكتشاف نقشين. في النقش الذي يبدأ Ετους εκφ الكلمة الأخيرة هي بالتأكيد Εςορυμύ كما قرأها السيد فوسيه، لا CYMYPOC (Le Symyrien) القراءة التي اقترحها السيد دوسو في رسالته إلى رفيقي الأب بارنييه.

(ص ٢٩٩) لم نعثر في برج Borg على غير نقشين غير منشورين. النقش ٣١.

٣١: أ- (a) Ἔτους βμω′)، العام ٨٤٢ بالتقويم السلوقي.

ب- (b) Ἔτους | μω′ | Ἀμανου|ήλ)[٣].

النقش الثاني إذاً في العام ٨٤٠ بالتقويم السلوقي.

تقع قرية غجر[٤] Ghagar المسلمة على أكثر من ساعة جنوب شرق تسينين. نعبر العاصي على جسر، ومن هذا الموضع يصبح وادي النهر أكثر عمقاً. لعله كان في غجر في الماضي موضع حسن: معبد أو كنيسة، ومنه تبقى الآن في موضعه حواجب الأبواب بارزة. فهل ننسب إلى هذه الكنيسة النقش الآتي الذي لم نعثر على نصفه الأول؟ وهو اليوم في حائط منزل؛ النقش ٣٢.

٣٢:

N° 32.

Σημων πατρι ....
[ἐκκλ]ησίας ὑποστέ[γου
...... γενόμε[νος?
τὸ ἔργον τ]ούτου τοῦ περιβόλου
[θ]εῷ? ἀνακ[ε]ιμέν[ου].

---

[1] الاسم وارد بالعربية في النص الأصلي، (المترجم).

[2] ليس لدي عنها غير نسخة مخطوطة. ولقد نشرت في: Bulletin de Correspondance hellénique (nov. déc. 1895، وهو مرجع ليس بمتناولي.

[3] هي عادة Ἐμμανουήλ.

[4] الكلمة بالعربية في النص الأصلي، (المترجم).

لا نعرف كيف نكمل πατρι؛ ... المقصود تكريس كنيسة مغطاة ὑποστέγου؛ ربما بناء سور، أو رواق يحيط بفناء أو باحة الكنيسة[١].

قرأنا على ساكف كبير النقش الآتي، مجرد تاريخ، عام ٨٩٢ (سلوقي)، النقش ٣٢ أ.

٣٢ أ: (N° 32ª. Ἔτους βφω' ἰνδ[ικτιῶνος] ιδ')

قبل مغادرة الوعر الشمالي لنسجل بعض النقوش الصغيرة التي سجلها الأب بارنييه خلال تجواله في هذه المنطقة.

١، في الشركليه Sharqalié (على مسافة ساعة جنوب غرب غور)، الرقم ٣٣.

٣٣: (N° 33. [Ἔτο]υς ωπη' (888) Συμέονος)[٢].

(ص ٣٠٠) ٢ أ، ساكف باب في دير السلام Dair as-salâm، على مسافة ساعة شمال غرب غور، الرقم ٣٤.

٣٤: (N° 34. Ἔτους δλχ')، العام ٦٣٤ (سلوقي).

٢ ب، غطاء قبر ، شخص نائم، النقش ٣٥.

٣٥: (N° 35. Ἔτους ... Σαρπιλίου).

تبدو لي كلمة Σαρπιλίου أنها كتابة يونانية للاسم العربي شرحبيل[٣] Sharahbîl ou Shorahbîl، وفقاً لابن دريد (كتاب الاشتقاق، ص ٢١٨، ٣٠٧). الأسماء العربية واسعة الانتشار في منطقة حمص. وهذا ما أنوي تبيانه في نشر نقوش حمص وجوارها.

عندما كنت في زيارة آثار دير السلام في الصيف الماضي (أيلول ١٨٩٩) لم أتمكن من العثور على هذين النقشين. والأخير على شيء من الأهمية.

في خربة التين Khirbet at-tîn على مسافة ساعتين ونصف من حمص على طريق العربات من حمص إلى طرابلس، قمنا بعيادة نصيري مريض كان يتضرع إلى جانب أبو العباس (؟) إلى يوحنا فم الذهب. ولما بدت الدهشة على وجوهنا أكد لنا

---

[1] راجع: Kraus, Encucl., II, 605 s.v..

[2] لاحظوا تكرار اسم سمعان العمودي. لقد عثرنا أيضاً على العديد من مزارات النصيرية المكرسة إلى الشيخ إسماعين Isma'în؛ نظن أنها حلت مكان المعابد التي أقيمت تكريماً لراهب أنطاكية الشهير.

[3] ثمة صيغة شعبية "Sarhabîl" (notre Σαρπιλίος) موجودة بالتأكيد. نصادفها في تعيين الأسماء في شرقي الأردن؛ راجع: M. u. N. DPV. 1899, n° 3, article du Dr Schmacher.

أن كتبهم المقدسة تذكره؛ هناك تأكيد آخر في الكتيب الصغير لسليمان أفندي[1]! أتينا إلى هذه القرية النصيرية لننسخ نقشاً مسيحياً سبق أن رآه الأب بارنييه، منذ عام. ولقد انتزعوه من الأرض من أجلنا. حروفه نافرة غير منتظمة منحوتة على ساكف كبير، النقش ٣٦.

:٣٦

N° 36. 'Επὶ τοῦ ἁγιωτάτου Δο................. | ἐθεμελιώ|θη ὁ οἶκος τῆς | ἁγίας Μαρίας (з) μηνὶ 'Αρτεμε|σίου αλ' τοῦ | γ⩘' τοῦ ἔτους ἰνδ(ικτιῶνος) ι' | ἐπὶ Σεργίου πρ(εσβυτέρου).

التاريخ ٣١ أرتيميزيوس Artémésius العام ٩٠٣ بالتوقيت السلوقي. كرر النقاش مرتين أداة التعريف حول كلمة Ετους.

(ص ٣٠١) تشغل الجانب العلوي والسفلي حروف محفورة إلى الداخل، ولكنها تالفة. والجانب الجنوبي لا يستحق مجرد التفكير بنسخه لكثرة خرابه. وجدت على الطرف العلوي: ἐπί τού ἁγιωτάτου. إن الصفة ἁγιωτάτου تشير إلى اسم أسقف. ومن بعدها ...Δοε (أو Δουοεθισ؟)Ἐμεσυον'، ثم حروف غير واضحة، حيث أظن اني وجدت أحد حروف Ἐπισκόπον'. ولكن ذلك كله موضع إشكال. وإلاّ فيكون لدينا اسم أسقف جديد في حمص. بينما لا يعترف Oriens christianus بأي أسقف لحمص في المرحلة بين المجمع الخلقيدوني والعام ٦٦٥، عندما حرق المسلمون أسقف حمص.

عثرنا في حائط حقل على بقية أثر (النقش ٣٧) يجب اعتباره نصف النقش، وهو محصور في نفس الحائط على بعد بضعة أمتار، من النقش ٣٨.

:٣٨

N° 38. ἐθ[εμ]ελίωσα Μάρ(κος) | [υἱὸς τ]οῦ Λε[ό]ντις υἱοῦ Λεοντίου | [μηνὶ Ξανθ]ίκ[ου] το[ῦ ἔτους] νω' ἰνδικ(τιῶνος) γ' | ✝ Δω|ροστ|όρου | β(οηθοῦντος).

---

[1] الباكورة السليمانية Al-Bâkoûrat as-solaimâniyâ، ص ٣٥، بيروت.

لا أدري ما العمل بآخر حرفين (E، Λ) الموضوعين جانباً بين ذراعي الصليب. إن حمل نفس الأسماء لدى بعض العائلات شائع في سورية[١]. بالنسبة لإسمي العلم Λεόντις و Λεόντιος، ألاحظ أن نهايتهما (ιος=ius) تدغم بسهولة في (ις=is)[٢]. بيد أن التسميتين تبقيان (ص ٣٠٢) متميزتين[٣]. هذا ما يتبين بوضوح من نقش لاتيني في دير القلعة (لبنان)، وأظنه غير منشور، وأدونه هنا[٤]. إنه النقش ٣٩.

٣٩: I(ovi) O(ptimo) M(aximo) H(eliopolitano). | Veneri Me… | M(arcus) Sentius E… | M(arcus) Sentis ex… | … divi…

نشر السيد كليرمون-غانو نهاية هذا النقش[٥]: [pro salute sua et post]erorum suorum et… Sentiae Musae uxoris v(otum) l(ibenti) a(nimo) s(olvit)

(ص ٣٠٣) نخرج من خربة التين لنلج الوعر الجنوبي. بعد ساعة ونصف من المسير نصل إلى سد بحيرة حمص التي يجعلها ريح الشمال كبحر فعلي. نجتاز العاصي لنصل إلى الطرف الشرقي للسد. إذا كان العثور على قادش الحثيين القديمة يكفيه إيجاد أي موضع محاط بالمياه، فثمة فرع من العاصي بالقرب من

---

[1] راجع نقشاً من صيدا نشرته في: Revue archéologique, 1898, II, 112.

[2] يشيع هذا الإدغام في نقوش دير القلعة: Ἀμμώνις = Ἀμμώνιος؛ Helenis=helenius في: Recueil d’archéol. Orientale de Clermont-Ganneau, I, 103, 111. وفي بقية سورية. راجع: Mission de Phénicie, 188 et Waddington, passim: n° 2667 Δρομεδάρις; 2386 Μανάφις; 2413 Λεόντις; 2126 Γαιόργις; 2020 Δρακόντις etc. Λοῦκις (Lucius) Arch. Mission scientifiques, 1895, p. 577؛ ونقش من حمص سننشره، وآخر من حمارا (السلسلة الشرقية من لبنان) منشور في: Journal asiatique 1898, II, 328. هذا هو أصل نهاية كتابة الكثير من الأسماء العربية باليونانية-اللاتينية، سرجيس Sargîs (عند الشاعر الأخطل) الذي يصبح الآن سركيس Sarkîs (Sergius)؛ وجرجس Girgîs (جورج) عند المسعودي، في كتاب التنبيه. إن هذا الإدغام كما تبين أمثلتنا هو أقدم مما يراه م. ملر M. Miller؛ راجع: Edm. Le Blant, Nouv. Recueil des inscriptions chrétiennes de Gaule, p. 166.

[3] سجل الأب فان كاسترن Λεόντις في لفتايا (أي في المنطقة) راجع: ZDPV, XVI, 180، مع الأسف التاريخ مفقود. ليس Λεόντις اسم امرأة كما ظن زميلي العلامة (المرجع السابق)، وكذلك وادينغتون في: n° 2570 d، من حمص: Λεοντίου υἱοῦ Λεοντίου؛ شكل الحروف متوافق في النصين. سنلاحظ تكرار اسم ليونس Léonce في منطقة حمص. حول القديس ليونتيوس الذي استشهد في طرابلس، راجع: Waddington, p. 463. وهو يشكل مع مار جرجس ومار سركيس ثلاثياً من الشهداء بشهرة واسعة في القرون الأولى للكنيسة المسيحية السورية، (Waddington, n° 1915). وتستمر حتى اليوم عبادة مار جرجس وسركيس، بينما وقع القديس ليونتوس في النسيان تقريباً في سورية.

[4] عمود من الحجر الكلسي، بقاياه موجودة في منزل السيد ألفونس نقاش، ماكوح Makkauh عند كليرمون-غانو، ص ١١٣. إن حجم القطعتين وشكل الحروف يبينان أنهما يعودان لنفس الإهداء.

[5] راجع: Rec. d’archéol. Orient., loc. cit.. بالنسبة إلى الإهداء إلى جوبيتر البعلبكي خارج بعلبك لدينا نقش لاتيني من بيروت (Mission de Phénicie, 347)، ونقش يوناني من وادي بردى، منشور في (Quart. Stat., 1898, p. 31)، راجع أيضاً: (Cl.-Ganneau, Archéol. Or., IV, 48)، ونقش آخر من لامبيز Lambèse (إفريقيا)، راجع: L’armée romaine d’Afrique par R. Cagnat, p. 422.

تم اكتشاف إهداء جديد في بيروت، في جنوب شرق تلة الناصرة، بالقرب من مدافن الألمان واليهود. ونقرأه على مذبح، قسمه العلوي أو إفريزه متلوف وكذلك جانبه اليساري.

السد يكوّن جزيرة كبيرة بحيث تكفي لإقامة مدينة عليها؛ نفس الملاحظة تصح على المنطقة بين حمص والرستن. ولكن إصرار الجغرافيين العرب على عبارة قدس مع البحرة[١] Bahra في العصر الوسيط يشكل بالتأكيد دعوة إلى حصر البحث في جوار البحيرة.

عدنا على أعقابنا بمحازاة الضفة الغربية للبحيرة، لنصل بنصف ساعة إلى قرية نصيرية نسيت اسمها[٢]. ومنها اتجهنا إلى الغرب. المنطقة صحراوية، وكنّا نصادف من وقت لآخر حقول الذرة البيضاء. بعد ساعة وثلاثة أرباع الساعة وصلنا إلى خربة غازي Hirbet Ghâzi: لكثرة استعجالنا سمحنا لنفسنا بالقول أنه لا توجد نقوش على الحجارة. بعد نصف ساعة تقع صيادية Saiyâdiyé على تلة إلى اليمين. في هذه القرية بناء قديم داثر يُسمى البرج. بقربه حجر نصف دائري عليه النقش الآتي، هو كامل وفيه نحت حُفر بعناية. النقش ٤١.

٤١:

N° 41. Ἐπὶ τοῦ ἐνδοξ(οτάτου) | Ἀετίου ἰλλουστρ(ί)ου ἔτους αππω' ἰνδ[ικτιῶνος].

نقرأ ἰλλουστρίου مجموع الحروف الواردة قبل Ἀετίου. هذا النعت[٣] ἰλλούστριος (illustris)- الذي على ما يبدو (ص ٣٠٤) يجب أن يسبق اسم العلم- وكذلك ἐνδοξότατος لم يكن يُعطى لغير كبار موظفي الدولة[٤]. نجهل ماهية Aétius. التاريخ ٨٨١ (سلوقي).

نصل من صيادية بأقل من ٢٠ دقيقة إلى صونون Sounoûn. عرضوا لنا هناك حجراً غير مشغول، كروي الشكل ومغطى ببعض العلامات الغريبة؛ في الأسفل ثلاثة رسوم إهليليجية متراكبة على بعضها، ثم حرفان I، وأخيراً حرف متعرج على شكل M، كما تبدو في الأبجدية اليونانية. سألت كبار السن في القرية: "هل لعب أطفالكم بهذا الحجر ورسموا هذه العلامات عليه"؟ كان الجواب "أبداً، لطالما

[1] بحرة، لا بحيرة هذا الاسم الذي يطلقه الساكنون بجوارها. (بحرة وبحيرة عبارتان بالعربية في النص الأصلي- المترجم).

[2] ربما هي خربة السودا Hirbet as-saudâ.

[3] ربما هو اسم علم، ولكن ماذا عن Aetius Illustrius؟ بنية الجملة قد تصبح أصح.

[4] راجع: Wadd. 1882, 1906 a, 2328, 2412 q., 2562 c; Neldeke, Die Ghassânksche 13, 14, 15.

رأينا الحجر على هذا الشكل". عندما مرً فان كاسترن في صونون، شاهد الحجر ولم يعره اهتمامه.

لنسجل هذا الأثر القليل الأهمية، النقش ٤٢.

٤٢: N° 42. ...ου καὶ Γεωρ[γίου]

اجتزنا مخيماً للعرب على مقربة من صونون[١]، يسمونهم "غنام" Ghannâm، رعاة الغنم. هم مقيمون دوماً في المنطقة مع أنهم يعيشون تحت الخيم. بعد سير نصف ساعة وصلنا إلى قز الآخر[٢] Qizz al-Akhir، قرية مختلطة من المسيحيين وأقلية من النصيرية. في هذا الموضع بعض الآثار. رأينا فيها يداً ضخمة منحوتة، كما في إهداءات الفينيقيين[٣]، على ساكف، مع مشهد يمثل مذبحاً بين ثور أحدب وخروف له ألية كالخراف السورية[٤]. ثمة بقايا مسيحية أيضاً، كبداية هذا النقش: ☩ Ἔτους....

٤٣: N° 43 : Ἔτους θνψ'. الموافق (ص ٣٠٥) للعام ٧٥٩ (سلوقي). على مسافة من هناك وجدنا قطعتي ساكف يكملان بعضهما: الحروف غريبة، سيئة الحفر. الرقم ٤٤، لم أستطع أن أميز فيه غير التاريخ، العام ٧٩٤، ونوعين من أشكال الصليب.

غادرنا قز الآخر في الثامنة والنصف صباحاً. امتنعنا عن زيارة لفتايا Liftâyâ التي كنا بعيدين قليلاً عنها. وليُسمح لي بالقول بأنه لأسباب لفظية لا اقبل بمماثلة لفتايا باللاذقية[٥]. صحيح أنه في الوعر، كما في كل سورية، تلفظ القاف همزة. ولكن علاوة على كون هذا التلفظ حديثاً[٦]، كان من شأنه أن يترك آثاراً وأن يؤدي إلى نشوء صيغة مثل لفتآيا Lifta'aya مع الهمزة التي هي دوماً متميزة على أفواه السوريين[٧].

---

[1] بالصاد أو بالسين، لم يتمكن أحد من إجابتي.
[2] الاسم بالعربية في النص الأصلي، (المترجم).
[3] عادة واسعة الانتشار في قرطاجة، بأن ينطوي الإهداء على فعل من الهادي، باستخدام الجزء كرمز للكل، اليد المرفوعة والمفتوحة المذكرة بالعبادة. راجع: Gazette archéologique, 1876, p. 119.
[4] المرجع السابق، ص ١٢١.
[5] هذا ما اقترحه فان كاسترن في: ZDPV, XVI, 171-187.
[6] لقد بينا ذلك في المجلة العربية، المشرق، بيروت، ١٨٩٨، ص ٨٢٣.
[7] قارنوا لاوديسيه Laodicée على البحر وقد أصبحت لاذقية Ladi'iyé لا Lâdiyé لائييه.

في التاسعة و١٠ دقائق مررنا بالقرب من أم الميس Omm al-mais، قرية مهجورة منذ ثلاث سنوات فقط. كان أهل بزنايا Biznâya قد أشاروا علينا بوجود نقش فيها: معلومة معقولة جداً، فعدم وجود نقش هنا أمر استثنائي، حيث تحتل كل القرى مواقع قديمة. في زيارة لاحقة عثرت على النقش. ولكنه كان مشوهاً جداً...

وصلنا إلى بزنايا في التاسعة والنصف: ثلاثة أو أربعة حروف يونانية وسط غُصنية. الحجر مكسور في وسطه فلا يحتفظ بغير قسم من النحت، ولكنه موضوع بعناية وسط إطار. بحثت عبثاً عن القسم الأول من الإطار. النص مقروء، ولكن بناءه مبهم، ولغته بدائية...

(ص ٣٠٦) قبل مغادرتنا الوعر تساءلنا من أين كان سكان هذه المواضع العريقة التي شاهدنا آثارها يستمدون أسباب عيشهم. جاءنا الجواب من هذه الحجارة البازلتية المرصوفة على طول الدروب، أو المرصوفة بمربعات حول بعض قطع الأرض التي يستخدمها الرعاة العرب في الصيف. كما هي الحال في أورانيتيد Auranitide والتراشونيتيد trachonitide عند الرومان[1]، هذه العملية التي كانت رائجة على نطاق كبير مكنت أقواماً كثيفة نسبياً من الإقامة هناك.

تقع حربعارا[2] Harb'âra (حربعانا Harb'âna) روبنسون Robinson وبلانكنورن Blanckenhorn وبيدكر Bædeker) على مسافة ٤٠ دقيقة إلى الجنوب الغربي. لقد خلت القرية للتو، لتعود مسكونة بعد بضعة أسابيع. لا يفتقر الوعر أبداً إلى مثل هذه الهجرات: الفلاحون الذين لا يملكون في أي مكان الأرض التي يزرعون يصبحون شبه رحل. وعليه ثمة سكان يرتحلون بكاملهم ويأتون، وأحياناً على مسافات بعيدة، ساعين إن لم يكن خلف المواضع الأقل عبئاً ضريبياً، فخلف ملاك الأرض الأكثر ملائمة. أما عن كيفية تأمين المأوى، فالشعوب القديمة خلفت لهم الكثير، وبفضل المواد الجيدة المتروكة، يسهل عليهم بناء المأوى.

تمتد حربعارا، الواقعة على حدود الوعر الفعلي، فوق التلال المشرفة على وادي خالد. وهي برأيي من أهم المواضع في هذه المنطقة، وأكثر أهمية من لفتايا التي لطالما امتدحها المحليون، والمعروفة جيداً في أوروبا منذ الدراسة التي نشرت في:

---

[1] ZDPV, XXI, 28.
[2] واردة بالعربية في النص الأصلي، (المترجم).

ZDPV, XVI, 171-187. يمكننا أن نلاحظ فيها الصراع بين التأثير اليوناني والعنصر الآرامي أو المحلي. تستحق حربعارا تفحصاً تفصيلياً أكثر مما استطعت أن أفعل. بالقرب من القرية، وغير بعيد عن ولي تظلله مجموعة من الأشجار، عثرنا على (ص ٣٠٧) بناء مثير: يتكون من حجارة كلسية ضخمة مرصوفة بصفوف متتابعة ومغطاة ببلاطات كبيرة. وتفصل مسافة موحدة الصفوف عن بعضها. يخلق هذا البناء انطباعاً بأنه مقبرة قديمة[١] (*campo santo* antique). وأظنه موضع المدافن "grabturm" التي أشار إليها بيديكر[٢] Bædeker على مسافة خمس دقائق من القرية والذي يشبه برأيه مواضع المدافن في تدمر[٣]. يصح وجود ذلك في الوقت الذي زار روبنسون الموقع ووصفه بالتفصيل[٤]. الخراب اليوم شامل. فلم يبقَ غير قسم من الطابق الأرضي للبناء القديم، وسور الباحة الداخلية المؤدية إليه. عند المدخل ثمة حجر كبير يشكل القسم السفلي من حاجب الباب، عليه نقش حروفه تالفة مع الأسف[٥]. طرفه اليمين متلوف جزئياً وسطره الأخير غير مقروء تقريباً. أخذت عنه نسخة ضعيفة[٦] لأن الهواء مزق الرشمين اللذين حاولت أخذهما.

يشير النقش إلى قلة مهارة وخبرة النحات الذي، على الأرجح حاول نقل نموذج دون أن يتمكن من فهمه، فخلط بين الحروف، وقفز عن بعض الكلمات، وربما السطور. النقش ٤٧.

٤٧:

N° 47. Ἐὰν δέ|τις τῶν... | ιων τωλ[μή]|σ(η) δώσε(ι) τ|ῷ ταμι-[εί]|ῳ (δηνάρια) ια΄...

هذا مقطع من صيغ تحريم انتهاك حرمة القبور[٧].

على ساكف، حروف كبيرة، النقش كامل: ἔτους βϙψ΄ ......، عام ٧٩٢ (سلوقي).

---

[1] ثمة بناء مشابه مع رسم له في: ZDPV, IX, 339.
[2] المرجع السابق، الطبعة الألمانية الرابعة، ص ٣٩٤.
[3] نفس الملاحظة عند روبنسون.
[4] Neuere biblische Forschungen, 729.
[5] اعتبرها روبنسون غير قابلة للقراءة، ص ٧٢٩.
[6] فضلت العمل على مقارنتها مع الأصل في زيارة أخرى.
[7] راجع: Mission de Phénicie, 256.

على ساكف آخر مكسور لجهة اليمين: Ἐπὶ Ἀβραμ... .

أرشدوني بدقة إلى نقش آخر، (ص ٣٠٨) ولكنه كان مطموراً بكومة من البقايا، ولم يكن بمقدوري انتظار نبشه. هذا ما قلته إلى يوسف، هذا الشيخ النصيري!

لم أجد نقوشاً يونانية أخرى. فحربعارا كانت مركزاً آرامياً، والدليل على ذلك النصوص الثلاثة الأخيرة بحروفها السطرنجيلية التي نسخناها وأخذنا لها رشماً[١].

لم نحصل على شيء ذي أهمية من بقية رحلتنا حتى السيده Sayidé. وقبل عودتنا إلى طرابلس في ٨ أيلول، أخذنا رشماً آخر لمعلم الطريق في البداوي. العمود مكسور من الأعلى، وخط الكسر يطال رأس حروف السطر الأول. النقش تالف، وحفره سيء. ونظن أننا نرى في بعض المواضع تحت الحروف الراهنة آثار نقش أقدم[٢]. كل ذلك يجعل قراءة النقش صعبة. من السطر الثاني أقرأ: النقش رقم ٤٨.

٤٨:

N° 48. [... κυρίων] τῶν ἡμῶν | [Φλαβίου Οὐα]λ(ηρίου) Κωνσταντίου | [καὶ Γαληρίου Οὐ]αλ(ηρίου) Μαξιμιάνου | [αὐτο-κρα]τόρων.

لعل النقش على هذا الحجر مجرد نقش تكريمي، فرقم الأميال لا يظهر عليه. وهذه الخصوصية ليست فريدة.

... ...[٣]

بيروت في ١٣ ت[٢] ١٨٩٩.

بعض مواضع عكار والشمال في أيام الفرنجة

هنري لامنس

"طوبوغرافيا لبنان في أيام الفرنجة، ملاحظات ومحاولات في تعيين بعض المواضع" هو عنوان الموضوع الثالث من أربعة موضوعات للأب هنري لامنس جاءت جميعها تحت عنوان

---

[1] سلمنا النص الأساسي إلى الأب جي. ب. شابو J. B. Chabot في باريس.

[2] نرى بوضوح تحت الحرف Ξ ، من كلمة Μαξιμιάνου، حرف X اللاتيني.

[3] يعرض الكاتب في الصفحتين الأخيرتين بعض النقوش المجمعة من مناطق أخرى، فضلنا إهمالها، (المترجم).

"ملاحظات في جغرافيا سورية"[1]. تناول الموضوع الأول ناحية الجزر في سورية؛ وعالج الثاني ما ضمّنه الإدريسي في مؤلفه "كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" من وصف للبنان. بينما قدّم الرابع تحليلاً لجماعة النصيرية (العلويين). أما الموضوع الثالث فيناقش محاولات تعيين بعض المواضع الوارد ذكرها في الوثائق العائدة لأيام الصليبيين.

يقول لامنس في هذه المواضيع الأربعة: "غرض هذه الملاحظات توضيح بعض المسائل التي تطرحها بوفرة جغرافيا سورية العربية والفرنجية. فالأبحاث حول موضع[2] "دير مرقس" "Dair Marqos"- حيث اعتقدنا بداية العثور على موضع أسقفية "ماركوبوليس" "Marcopolis"[3]- انتهت بنا إلى تبيان حدود وموضع ناحية الجَزْر Ġazr. المقالان التاليان من دراسة أشمل، هي قيد الإعداد منذ فترة طويلة، حول طوبوغرافيا لبنان في أيام الصليبيين. أما المقال الأخير فيتعلق بأبحاثنا السابقة حول أصل وتاريخ النصيرية" (ص ٢٣٩).

مررنا عرضاً بالموضوع الأول والثاني والرابع، وركزنا على الموضوع الثالث الذي أسقطنا منه كل ما لا يمت بصلة مباشرة إلى عكار خصوصاً، والشمال عموماً[4].

ترجمة النص

في تعليقه على كتاب الإدريسي ووصفه للبنان يقول الأب لامنس، بعد تعداده (نقلاً عنه) المواضع والحصون الساحلية بين بيروت وطرابلس:

(ص ٣٤٩) "لا تقل الإشكالات التي يطرحها وصف الإدرسي لتوابع هذه المدينة (طرابلس) عن تلك التي يطرحها وصفه لتوابع صيدا. وإليكم بعض عمليات التصحيح التي ربما تسهل ترميم النص الأصلي المتعرض هنا للتشويه بفعل قصور الناسخين. نقترح استبدال "أبو العدس" بـــ"تل العدس" "tall ʻAdas" وهي قرية

---

[1] المرجع: P. Henri Lammens (S. J.), Notes de géographie syrienne, Mélanges de la Faculté Orientale, I, Université S.-J., Beyrouth, 1906, pp. 239- 283.

[2] قارن مع حالة دير بعوتل Dair Baʻautal المشابهة.

[3] يرد خطأً في بعض اللوائح في عداد الأسقفيات التابعة لحمص؛ هذا ما سنبينه لاحقاً.

[4] جاء مخطط الموضوعات كالآتي: 1, Le district syrien de Gazr, (p.) 239; 2, La description du Liban d'après Idrisi, (p.) 242; 3, Topographie franques du Liban, notes et essais d'identification, (p.) 250; Les Nosairie et les "Galiléens" de Sozomène, (p.) 271.

نصيرية[١]، و"الزيتونية" Zaitouniyya بـــ"الزويتينة" Zowaitîna، و"الشفيقة" Aś-Śafîqa بـــ"السفينة" As-Sofaina، وهي قرى تقع في الدريب Doraib أو الناحية الشمالية من قائمقامية عكار. "قلعة البابية Bâbiyya (أو بانينا Bânîna) بجوار نهر بنفس الاسم" يمكنها أن تكون ببنين Babnîn (ببنين Bibnîn على خريطة هيئة الأركان)، بلدة كبيرة (١٥٠ منزلاً) في ناحية قريبة من طرابلس، القيطع Qaiti‘ في عكار. والموقع يتفق تماماً مع مؤشرات الإدريسي، والمقارنة كافية من وجهة اللفظ"[٢].

"طوبوغرافيا لبنان في أيام الفرنجة: ملاحظات ومحاولات في تعيين بعض المواضع"

(ص ٢٥٠) يعود الفضل الأكيد إلى السيد إ. راي E. Rey الذي كان أول من قدم لنا، في مؤلفه "المستعمرات الفرنجية (باريس ١٨٨٣)" في سورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، صورة إجمالية عن الجغرافيا التاريخية للإمارات التي أسسها الصليبيون في سورية-فلسطين. وبعد أربع سنوات، استأنف المرحوم د. ر. روهريخت Dr. R. Rœhricht، وهو واحد من أفضل العارفين بالشرق اللاتيني، هذه الدراسات في سلسلة من المقالات ظهرت أساساً في [٣]" Zeitschrift des deutschen palæstina-Vereins"؛ وبالاستناد إلى وثائق جديدة راجع البروفيسور العلامة البرليني عمل السيد راي، وتوصل إلى تعيين مواضع عدة مئات من أسماء الأماكن الفرنجية التي بقيت حتى حينه عصية على أبحاث أسلافه.

---

[1] غير موجودة على أي خارطة، وربما أن النص كان بداية يحتوي "تل العدس".

[2] من المفيد هنا وضع نص الإدريسي: "وينضاف إليها (إلى طرابلس) عدة حصون وقلاع معمورة داخلة في أعمالها مثل... وحصن أبي العدس... ولها من أمهات الضياع المشهورة المذكورة أربعة فمنها الضيعة المعروفة بالشفيقية والزيتونية والراعبية... ... وفي وسط هذا الجون (جون عرقة) ثلاثة حصون تتقارب بعضها من بعض اسم أحدها مما يلي اطرابلس لوتورس والآخر بابييه وهو على نهر جار يُسمى نهر بابييه والحصن الثالث يسمى حصن الحمام وهي تتقارب بعضها من بعض"؛ راجع: الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣٧٣.

[3] راجع: ZDPV, X, p. 1-49; 195-345 (تتم الإحالة دائماً إلى هذا القسم في سياق هذه الملاحظات)؛ XI, 140-142؛ XII, 33-34. – لنذكر أيضاً دراستين: الأولى تعود للسيد هـ. بروتز H. Prutz، المرجع السابق IV, 157، ؛ والثانية تعود إلى هيركيه Herquet، المرجع السابق Vi, 206، ولكنهما قليلتا الأهمية بالنسبة موضوعنا.

وبفضل هذه الأبحاث "الثورية" "bahnbrechend" فعلياً، إذا شئت استخدام هذه العبارة العزيزة على علماء خلف-الرين، اكتسبت أخيراً الجغرافيا التاريخية للشرق اللاتيني منهجها.

ولكن، كما لاحظ بصواب السيد فان برشم[١] Van Berchem، هذا العالم الذي تدين له الدراسات الفرنجية بقدر ما تدين له الأركيولوجيا العربية...، أنه "بين المسائل الأكثر حساسية في الطوبوغرافيا (الفرنجية) تأتي مسألة تعيين مواضع العديد من أسماء الأمكنة. ففي المصادر غير العربية تمت أحياناً ترجمة هذه الأسماء عندما كانت تحمل معنى فعلي أو ظاهري، وفي الغالب تمت ترجمتها لفظياً تبعاً لبعض الطرق التي من الهام تحديدها، ولكنها كانت تخرج دوماً مشوهة من جراء ذلك، لتتفاقم المسألة بفعل النساخ (ص ٢٥١) الغربيين[٢]... وعليه لا بد لنا، بغية مقاربة الصيغة العربية من الصيغة اللاتينية المعاصرة أو من الصيغة العربية الحديثة، من معرفة جغرافيا البلد واللغة العربية أيضاً، وهذا وحده ما يسمح بمتابعة اسم العلم عبر ما تعرض له من تبدل متتابع. وثمة مستعربون ممتازون ارتكبوا في هذا الصدد، نتيجة عدم معرفتهم بالبلد، أخطاءً معذورة اندست في ترجماتهم، بينما انخدع رحالة على أهمية فائقة بحكم جهلهم بالعربية وبأصول قراءة نصوصها القديمة" (Journal Asiatique, 1902, I, p. 390-391).

تشكل الملاحظات الآتية نوعاً من "تعفير" "Nachlese" بالقياس إلى الحصاد الغني للغاية الذي راكمه راي Rey وروهريخت Rœhricht. وعندما نصل، في محاولاتنا لتعيين موضع ما، إلى استنتاجات مخالفة، فالمخالفة هذه يجب أن لا يتم تفسيرها كنقد موجه لمن سبقنا من العلماء. فالمزايا التي بتصرفنا ولم تتوفر لهم فرصة الاستفادة منها، هي التي سمحت لنا بتجاوز عمق معرفتهم وتعمقهم بأمور الشرق اللاتيني ولنتمكن من ردم الثغرات الفعلية في رسم الخرائط اللبنانية؟

يكمن ذلك في أننا ألفنا البلد ولغته، لأكثر من عشرين سنة، ولأننا كرسنا في لبنان أكثر من سنتين في تدريس الجغرافيا اللبنانية في الكلية الشرقية في بيروت[٣]. أما

---

[1] راجع تأملاته في نفس الموضوع في: Revue critique, 1905, I, p. 229
[2] سنرى لاحقاً العديد من الأمثلة التي لن يتوفر لنا المجال للتشديد عليها.
[3] سنتا ١٩٠٣-١٩٠٥.

بالنسبة للمناطق التي لم يتوفر لنا في حينه تفحصها بعمق، فلقد استأنسنا بمعرفة أبنائها المتعلمين الذين يزداد عددهم يومياً. وهكذا فإن تلميذي السابق، الراهب پ. طعمه P. Tohmé، هذا الكاهن الماروني المقيم في قضاء عكار، وضع لي لائحة عربية-فرنسية كاملة للغاية بمواضع هذه المنطقة. ونَشْر هذه اللائحة قد يصحح لحسن الحظ لائحة العالم بشؤون فلسطين الأميركي روبنسون.

كما أنني راجعت "دليل لبنان" Dalîl Lobnan، هذه المطبوعة شبه الرسمية، المطابقة إلى السالنامات Salnâmeh التي نشرتها بعض الولايات العثمانية. وفيه نجد، تحت عناوين القائمقاميات والمديريات، أسماء القرى والمزارع الموجودة حالياً في لبنان[١].

وما يعطي قيمة لهذه اللوائح أنها منقولة عن سجلات الحكومة (ص ٣٥٢) اللبنانية بواسطة موظفين عارفين بالبلد ولغته؛ وهذان شرطان نادراً ما توفرا عند من وضعوا السالنامات التركية[٢] وهم غير مؤهلين كفاية لتبيان الفروقات الدقيقة في اللفظ العربي. واستطعنا التدقيق ميدانياً، أو بجانب محدثينا اللبنانيين، بكتابة الغالبية العظمى من أسماء الأمكنة الواردة في "دليل لبنان".

ثمة مصنف أضخم حجماً[٣] ولا يقل أهمية بالنسبة للطوبوغرافيا اللبنانية القديمة، ويبدو أنه فات حتى اليوم انتباه المستشرقين الغربيين: إنه "كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان" (بيروت، ١٨٥٩) لصاحبه طنوس الشدياق. يحتوي هذا التاريخ لأهم العائلات اللبنانية، خصوصاً في قسمه الجغرافي الذي يفتتحه، ومن ثم في مجرى الكتاب، كمية من أسماء الأمكنة نادراً ما نجد ذكراً لها في مؤلفات أخرى، ولا حتى في لوائح روبنسون-سميث Robinson-Smith. ولقد استخدم المؤلف، في وضع كتابه، العديد من المصادر المخطوطة وهي اليوم إما مفقودة أو صعب الوصول إليها. ولعله من المؤسف أنه اكتفى بذكر عناوينها في نهاية مقدمته التي تعترضها كثرة من الثغرات، ومهملاً في سياق عمله الإشارة إلى مراجعه بدقة ما يُضعف قيمة المعلومات التاريخية المثيرة الواردة في هذا المصنف. باستثناء هذا التحفظ يستحق هذا المؤلف الثقة، خصوصاً بالنسبة لكتابة أسماء الأمكنة ولجغرافيا لبنان

---

[1] راجعت الطبعة الثاني والأخيرة، بعبدا (لبنان)، ١٩٠٢.

[2] راجع بهذا الصدد ملاحظات د. هارتمان Hartmann، ZDPV, VI, p. 103, 118-119

[3] حوالي ٧٤٠ صفحة: Environ 740 p. in S°

قبل حوادث ١٨٦٠. لقد أدت هذه الحوادث، كما هو معروف، إلى نشوء "متصرفية باستقلال ذاتي"، وغيرت بعمق تقسيمات الجبل الإدارية التي بقيت هي ذاتها منذ نهاية العصور الوسطى. ولقد ساعد بطرس البستاني، صاحب القاموس الكبير "محيط المحيط"، طنوس الشدياق في عمله. وإننا سنلجأ في ما يلي كثيراً إلى "أخبار الأعيان".

عندما نستشهد في ملاحظاتنا الآتية بالكاتب راي Rey وروهريخت Rœhricht فيكون ذلك استناداً إلى مؤلف الأول "Colonies franques" ومؤلف الثاني Studien zur mittelalterlichen Geographie und Topographie Syriens (ZDPV, X, p. 195-336)، إلاّ إذا كانت هناك إحالة إلى مراجع أخرى. أما المؤلفات الشرقية الأخرى الأكثر وروداً فهي، بالإضافة إلى السابقة الذكر ("دليل" و"أخبار")، "تاريخ بيروت" لصالح بن يحي، الذي سبق (ص ٣٥٣) أن بينّا قيمته؛ أما روبنسون فنشير إلى لوائحه الطوبوغرافية المنشورة في نهاية المجلد الثالث[١] من: Biblical Researches in Palestine (Londres, 1841)

والآن إليكم، بالترتيب الأبجدي لأسماء الأماكن، ملاحظاتنا على جغرافيا لبنان اللاتيني[٢].

بنهران Beniharan: هي بنهران Benharan (مديرية قناة) بلدة صغيرة اليوم يسكنها المتاولة. لقد ضللت الصيغة الفرنجية Benehara أبحاث روهريخت التي يمكننا مراجعة فرضياته المتنوعة حولها في: ZDPV, X, p. 211, n° 3.

بنّا Benna: هي **بينو**[٣] Bainô بلدة كبيرة في الجومة Goûma (قائمقامية عكار). من المفيد الإشارة إلى الترجمة الفرنجية بنّا Benna ونهايتها بالحرف a. يبدو إن حرف a السرياني كان محتفظاً في القرن الثالث عشر بقيمته الطبيعية، بعكس اللفظ الراهن للموارنة. فسكان جبال عكار[٤] اليوم يعطون حتى للحرف â العربي قيمة الحرف ô. والصوت الأول بات مجهولاً تماماً عندهم.

[1] كان لزاماً علينا المحافظة على الترجمة اللفظية للمؤلفين الذين نستشهد بهم حتى ولو كانت غير متوافقة مع ترجمتنا.
[2] تجاوزنا من الملاحظات كل ما ليس له علاقة بعكار خصوصاً، والشمال على العموم (المترجم).
[3] راجع: R. Dussaud, Rev. Archéol., 1897, p. 306
[4] يلفظون عكور Akkôr'. وكذلك كورنونيوم لاحقاً.

(ص ٢٥٤) **برتراندييمير** **Bertrandimir**: بداهة هي **بترومين** Betroûmîn (مديرية الكورة الوسطى)، وليست بطران Betorrân في نفس المنطقة كما رأى روهريخت (ZDPV, X, P. 259, n. 160). لقد تاثرت الصيغة الفرنجية بالاشتقاق الشعبي. في لوائح روبنسون (Palaestina, III, Appendice B, p. 196) أصبحت بترومين Betroûmîn بترمرين Btermerîn. وفي نفس الصفحة يجب أن نقرأ بدل عنصديق ʻAnsadîq عفصديق ʻAfsadîq؛ وأميون Amioûn بدل عميون ʻAmioûn.

بيتيليون **Bethelion**: لا يُمكن العثور عليها برأي روهريخت (ص ٢٣٤). وامتنع راي عن تعيينها. إنها **برحليون** Barhelioûn (باريليون Barélion على الخريطة الفرنسية) في مديرية قناة Qanât. في هذه القرية كنيسة قديمة تعود للعصور الوسطى. اعتبر الناسخ الفرنسي أنه تعرف في القسم الأول من الاسم على العبارة العربية بيت bait الواسعة الانتشار في أسماء المواضع اللبنانية. لم يلاحظ راي، كما هي حال روهريخت، أن بيتسيديون Bethsédion هي مجرد صيغة أخرى لكتابة اسم بيتيليون (راجع: Colonies, p. 362).

بيتساما **Bethsama**: يوحي هذا الاسم بموضع بيت شاما على طريق العربات، في منتصف المسافة بين بعلبك وزحلة. ولكن موقع الأمكنة المذكورة مع بيتساما يعيدنا إلى الجانب البحري من الجبل، في منطقة مجاورة لطرابلس إلى الجنوب (ص ٢٥٥)، أي الكورة. والحال، فلا نعرف في هذا القضاء غير **بصرما** Besarmâ قرية جميلة في مديرية الكورة الوسطى، يُمكن لاسمها أن يُقارن باسم بيتساما. بالنسبة إلى القسم الأول من هذا الاسم الفرنسي، من المثير فعلاً أن be البادئة في بصرما هي مختصر بيت. ولا شك أن في ذلك مدعاة اعتزاز بالمعرفة اللغوية لفرنسيي سورية أن نفترض فيهم معرفة هذه الخصوصية في الاشتقاق اللغوي. ولنا في اسم بيتزعال Betzaal مثلاً آخر على ميلهم إلى جعل be الأولية ممدودة ببيت beth. قارن ايضاً مع بيتيليون Bethelion وبيتسيديون Bethsédion وبيتاموم Bethamum.

بيتزعال **Betzaal**: يجب أن تكون هذه القرية، استناداً إلى راي وروهريخت، في سنيورية جبيل. ويبدو أن هذين العالمين اندفعا إلى هذا الاستنتاج بفعل طبع ريمون

الجبيلي الذي وهب بيتزعال وميساركون Messarkoun (راجع هذا الاسم في راي) إلى فرسان الاسبتالية. ولكن، كما لاحظ راي بصواب، يجب البحث على الأرجح عن ميساركون في إمارة أنطاكية. ومن الأكيد أن أسماء الأماكن في منطقة جبيل لا تكشف تقارباً مرضياً مع بيتزعال. بل أكثر من ذلك، فمقترحات روهريخت الثلاث (ZDPV, X, p. 256, n. 18) في تعيين موضع بيتزعال جاءت كلها خارج قضاء جبيل حتى في أكبر حالات اتساعه. وإذا كان لا بد من الاستمرار قي البحث عن بيتزعال، أو بالأحرى بيزعال Bezaal وهي الصيغة الأصح[١]، فلا يمكن التفكير بغير بشعلي Besa'li (مديرية تنورين) في قائمقامية البترون[٢]، كما سبق لنا واقترحنا في بحثنا Notes sur le Liban (I, p. 122). وهذه أيضاً موضع هام. ولقد اكتشفنا فيها بقايا نقش يوناني، ما يُثبت أسبقيتها على الصليبيين (ibid.).

ولكن جعل بيتزعال في منطقة جبيل لا يبدو لنا مقبولاً. فمن الممكن جداً أن يتنازل ريمون للاسبتالية عن أرض له (ص ٢٥٦) خارج حدود بارونيته. أما بخصوص ميساركون فليس لدينا تفسيراً آخر.

ولهذا فإننا نفضل اعتبار بيتزعال-بزعال Betzaal-Bezaal هي **بذال** Bedâl (تلفظ بزال Bezâl) في مديرية القويطع (القيطع) Qowaiti' في قائمقامية عكار، شمال-شرقي طرابلس، وهي قرية مسلمة من ستين منزلاً. إن المقاربة اللفظية هنا هي أكثر مقاربة مرضية. أما بخصوص كتابة بيتزعال فيمكننا مقارنتها مع بيتاموم[٣] Bethamum وبيتساما Bethsama. يجب أن يبقى حاضراً في ذهننا أن الاسبتالية كانوا يملكون سابقاً القسم الأعظم من قرى منطقة عكار الغربية. ووسعوا ممتلكاتهم بالحصول على بيتزعال التي يقلل بعدها عن جبيل من قيمتها بنظر ريمون الجبيلي.

بوكومب وبوكومبر Bocombe et Bocombre: بقيت مجهولة بنظر روهريخت وراي. إنها **بقمرا** Bekomrâ في مديرية الكورة الشمالية، وغير واردة على الخريطة الفرنسية للبنان. حول الاشتقاق السرياني للاسم والصيغ المشابهة في

---

[1] كما يبدو أن روهريخت توقعها؛ راجع: Index dans ZDPV, X.

[2] تبدو بشعلي من حيث اللفظ الأقرب من بين مقترحات روهريخت، وهي طبوغرافياً الأقل بعداً عن جبيل.

[3] إنها بَدبْهُون (الكورة الشمالية) وتكتب بديبهون (Bædeker) Bdibhôn وبيت بون Beit Boûn (الخريطة الفرنسية). من المثير أن يعتمد مؤلفو الخريطة والناسخو ن الفرنسيون في العصر الوسيط نفس طريقة الترجمة.

أسماء العلم في سورية، يمكننا مراجعة مقال نولدكه: Nœldeke: ZDMG, 1875, p. 440.

(ص ٢٥٧) **بوتورافيج Boutourafig**: لعلها بطرّان Betorrân (الكورة الوسطى) برأي روهريخت (ص ٢٥٨). إن السيد كليرمون-غانو Clermont-Ganneau على صواب برفضه هذا التعيين: "إني أقارنها بالأحرى باسم قرية بجوار طرابلس يذكرها برغرين Berggren بصيغة **بتوراتيج** Boutouratidj. يبقى أن نعرف ما إذا كان الحرف t مكان الحرف f بفعل خطأ مطبعي في مؤلف برغرين، أو بالعكس، يجب أن نقرأ في الوثيقة القروسطوية الحرف t مكان الحرف f (إلتباس في قراءة النصوص القديمة). وأظنها ترتج Tartej الواردة فقط، من بين الخرائط التي بتصرفي، على خريطة فان دو فيلد Van de Velde. وباختصار، فإن الصيغتين الحديثتين بتوراتيج وترتج، المسجلتين بطريقة مستقلة من قبل برغرين وفان دو فيلد تصحح الواحدة الأخرى؛ فمن المعروف أن العنصر البدائي بيت beit في تكوين أسماء الأماكن، في اللهجات اللبنانية خصوصاً، يمكنه أن يُختزل إلى بت bt وب b وت[1] t. لا بد أن تطابق ترتج Tartej (Tarteg) بترتج B'tartedj بِترتج Betartedj، ما يؤدي بنا بسهولة إلى بتوراتيج Betouratidj. ينجم عن ذلك أنه يحب تعديل كتابة الوثيقتين الصليبيتين: تعديل بوتورافيج Boutourafig لتصبح بوتوراتيج Boutouratig، وبوترافيس[2] Botrafis لتصبح بوتراتيج Botratig" (RAO, III, p. 253, n3).

سمحنا لنفسنا بذكر هذا الاستشهاد الطويل لنبين بكل جلاء كيف أن عيوب خرائطنا يمكنها أن تنعكس في الفكر اللبيب كفكر السيد كليرمون-غانو. بوتورافيج هي بداهة بوتوراتيج، وهي مجرد ترجمة لفظية لاسم **بتوراتيش** Betoûrâtîs (مديرية الكورة الشمالية) المكتوبة ترتج Tartej على خريطة فان دو فيلد وخريطة هيئة الأركان الفرنسية؛ وهي كتابة سيئة تدفع إلى التفكير باسم ترتِج Tartig (مديرية أعالي

---

[1] نحن لا نعرف مثلاً عن الاختصار إلى الحرف t أو إلى bt.
[2] صيغة فرنسية.

جبيل) وقد أصبحت تردج Tardej - لا ندري لماذا؟- على الخريطة الفرنسية. وما خلا ذلك فإننا نتبنى بطواعية اعتبارات السيد كليرمون-غانو.

بويورا Buiora: "هي **بشوره** الحالية في الكورة التحتا" (Rœhricht, ZDPV,X, p. 210, n. 11). لنقرأ **بجوره** Begoûra في نفس مديرية الكورة التحتا. ثمة صيغ أخرى: Buiora, Buiola.

(ص ٢٥٨) **كفرسكيل Cafarsequel**: "تابعة لسنيورية جبيل. مجهولة الموضع" (راي). يقترح روهريخت موضع فغرال Fagrâl. إنها **كفر شلّه** Kafr Śillé، (مديرية جبيل العليا). لقد ترجم الفرنسيون العبارة العربية **كَفَر**[1] Kafar تبعاً للفظ العامة **كَفر** Kafr (cf. infra).

كَزَرَسيل Casaracel: لقد عينها كليرمون-غانو بصواب[2] في القرية الراهنة **كفر قاهل** Kafr Qâhil في الكورة الفوقا. ولكننا لا نعتقد أنه من الضروري أن نرى في الكتابة الفرنسية كَزَرَسيل Casaracel خطأ مطبعياً لاسم كَفَرَسيل Cafaracel. فمن الواضح أن كفر قاهل كانت تحمل سابقاً اسم **قصر قاهل** Qasr Qâhil. كما أن لوائح روبنسون وخريطة البترون ورواية رحلة قايدبك (القرن الخامس عشر) تذكر الاسم بهذه الصيغة.

كورنونيوم Cornonium: هي **كفرنون** Kafr Noûn (نلفظها كفُر نون[3] Kfór Noûn ومن هنا الصيغة الفرنسية المدغمة) في ناحية الدريب (قائمقامية عكار[4] فوق وادي النهر الكبير Eleutherus)؛ وليست بالأحرى "الشرنوبية" “El-Churnubiye” (لنقرأها الخرنوبية Al-[illegible]arnoûbé) التي اقترحها روخريخت. وكان الاسبتالية يملكون سابقاً القرية المجاورة، فيليسيوم Felicium، اليوم "خربة الفليس" “[illegible]irbat

---

[1] راجع ملاحظة هارتمان Hartmann في ZDPV, VI, p. 109.
[2] راجع: RAO, III, p. 253, n. 3.
[3] مع الحرف أ a الملفوظ أو o.
[4] راجع: Lammens, Le pays des Nosairis, dans le Musée belge, 1900, p. 280.

Falîs" التي نجح ر. دوسو[١] بتعيينها. وسكانها ليسوا مختلطين من المسيحية والنصيرية كما قلنا سابقاً[٢]، ولكنهم مسيحيون حصراً.

(ص ٢٦٢) **هاب أو هعاب Hab ou Haab**: لقد ضلّ راي (ص ٣٤١) وهو يبحث عنها في إمارة أنطاكية. إنها **عابا** Abâ' (تلفظ أحياناً عابه Abé') في مديرية الكورة الوسطى. اعتبرها روهريخت باسم هعاب Haab، أما بالنسبة إلى هاب Hab فاكتفى بالقول: "لا يمكن العثور على مثل هذا الاسم".

(ص ٢٦٧) **مونكوكول Monscucul– مونتكوكولي Montecuculi** (الصيغة التي قدمها راي): ثمة صيغة أخرى مون كوكو Mons cucu. هناك مقر للداوية باسم مونككُو[٣] Montcoqu مذكور بالقرب من طرابلس. وكان قريباً من غابة مونكوكو Montcuqu وهي ملك الداوية أيضاً. وانطلاقاً من موضعهم في مونكوكو Montcucu هاجم الداوية في مطلع العام ١٢٨٢ كونت طرابلس بوهيموند السابع. كما أن واحدة من بوابات طرابلس كانت باسم منكُكو[٤] Montcoqu.

ما يزال هذا الموضع الهام بحاجة إلى التعيين. فهو استناداً إلى راي " ربوة تقع جنوب شرقي طرابلس وعلى شاطئ البحر". إن موضع **أبو حلقا** Aboû Halqâ، على نصف ساعة من طرابلس يتوافق مع كل المعطيات الطوبوغرافية؛ ومونكوكول Monscucul، هذه الصيغة الأقل تصحيفاً تقترب كفاية من أصل الاسم العربي، هذا متى أخذنا بالاعتبار الاعتباط في الترجمات الفرنجية القديمة. وهناك أيضاً بالقرب من بئر ماءٍ رائعة بقايا تحصينات قديمة[٥]. تتحكم هذه النقطة، عند الخروج من الحقول ومن شبه جزيرة طرابلس، بمدخل الطريق المحصورة بين البحر والجبل، أحد الشرايين الحيوية في سورية. وهناك كانت الحكومة اللبنانية تقيم منطقة الكرنتينا في أزمنة الأوبئة.

[1] Rev. Archéol., 1897, I, p. 309.
[2] Cf. ROC, 1902: Les Nosairis dans le Liban.
[3] Rœhricht, Geschichte der Kœnigreichs Jerusalem, p. 814.
[4] Ibid., p. 973, 982; ZDPV, X, p. 235; Journal Asiatique, 1902, I, p. 438.
[5] كانت ما تزال واضحة جداً منذ ربع قرن.

الفصل الثاني: مباحث طبوغرافية وتاريخية

١- الطبوغرافيا التاريخية لعكار وجوارها: رونيه دوسو René Dussaud

٢- كونتية طرابلس، المستعمرات الفرنجية في سورية: إيمانويل غوييّوم راي E. G. Rey

٣- عكار وحصن الأكراد: موريتز سوبرنهايم Moritz Sobernheim

٤- "مقام الرب" في بيت جعلوك: هنري سيريغ Henri Seyrig

٥- تقرير حول المسح العام للآثار في بعض مناطق عكار

كين ماتسوموتو Ken Matsumoto وهيساهيكو وادا Hisahiko Wada

١- الطبوغرافيا التاريخية لعكار وجوارها

I

بين طرابلس وحمص[١]

رونيه دوسو René Dussaud

(ص ٧٥) ١ – طرابلس وضواحيها

بنى مدينة طرابلس الحالية، بجوار نهر قاديشا، المسلمون الذين أقطعهم السلطان قلاوون الأراضي بعد الاستيلاء على مدينة طرابلس القديمة (عام ١٢٨٩) وتدميرها. كانت المدينة قائمة على الساحل في المحلة المسماة حالياً الميناء el-mina أو طرابلس البحرية la marine. وكانت الأسوار المحيطة بها فسيحة لدرجة تسمح لثلاثة فرسان أن يعبرونها معاً وهم على ظهور الجياد[٢]. وهكذا فإن نشوء المدينة الحالية القائمة على بعد فرسخ من الساحل يعود إلى ما بعد المرحلة الصليبية.

يبدو أن طرابلس لم تنل أهمية في العصور القديمة إلاّ لكونها اصبحت مركز الكونفدرالية الفينيقية. ويعود اسمها اليوناني (تريبولي Tripoli) إلى أن الصيدونيين والصوريين والأرواديين كانوا يقطنون فيها في ثلاثة أحياء مختلفة[٣]. كما نجهل اسمها الفينيقي، ولكننا نعرف، استناداً إلى ديليتزش[٤] Delitzsch، بوجود "ثلاث مدن" أو ثلاثة أحياء باسم مخلات Makhallat ومايز Maïs وكاييز Kaïs، المذكورة في حوليات أشور ناصربال. والأكثر احتمالاً أن واحدة من هذه المدن كانت قائمة في

---

[1] هذا النص هو ترجمة الفصل الثاني من كتاب رينيه دوسّو **الطوبوغرافيا التاريخية لسورية في العصور القديمة والوسطى** DUSSAUD René, Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale, Librairie Orientaliste Paul GEUTHNER, Paris, 1927, pp. 75-115. ساعدت متطوعة في ترجمة هذا النص الآنسة **ماري إبراهيم** ما اقتضى التنويه.

[2] راجع: QUATREMÈRE, Moufazzal Ibn Abil-Fazaïl, Histoire des sultans mamlouks, Patr. Or., (XII rt XIV), II, 1, P. 103 et 104.

[3] راجع: RENAN Ernest, Mission de Phénicie, Paris, 1864-74, p. 119 et suiv.; A. PIETTSCHMANN, Gesch. Der Phőnizier, Berlin, 1889, p. 41 et suiv.; BABELON Ernest, Les Perses Achéménides, les satrapes et les dynastes tributaires de leur empire, Paris, 1893, p. CLXXXVII et suiv.; HILL, British Museum Catalogue of the Greek coins of Phoenicia,Londres, 1910, p. CXVI et suiv.

[4] راجع: MASPERO Gaston, Histoire ancienne des peuples de l'orient classique, II, Paris, p. DELITZSCH, Paradies, Wo lag das Paradies?, Leipzig, 1881. P. 282-283 ; 172.

موقع طرابلس البحرية (ص ٧٦): المينا. أما المدينتان الباقيتان فتقعان بين جبيل Byblos وسيميرا[١] Simyra، دون ان نتمكن من المزيد من التحديد.

يجدر البحث عن آثار طرابلس القديمة في الضواحي المتاخمة للمرفأ الحالي، طرابلس البحرية أو الميناء؛ فالعملات القديمة تؤكد أن معابد هامة بنيت فيها. ونعرف منها خاصة معبد عشترت (عشتار، عشتروت) Astarté المؤلف، على ما يبدو، من ساحة مدخلها الرئيس مزين بتمثال لعشترت، ويحتوي على معبدين صغيرين[٢]. ويمكننا الافتراض أن أحد هذين المعبدين كان مكرساً لعشترت والآخر لديوسكورس Dioscures، وكانت لعبادتهما حظوة خاصة في طرابلس.

وثمة معبد آخر كان مكرساً لزوس هاغيوس Zeus Hagios، وهو يمثل أدونيس، ومجسد على شكل تمثال نصفي، رأسه شعاعي[٣]، وغالباً ما يكون مرفقاً بالشمس (أو أبولون Apollon) وبالقمر (أو أرتميس Artémis)[٤].

إن كل الخرائب القديمة غير ظاهرة حالياً لأن الأبحاث الدقيقة التي قام بها ماكس فان برشم Max Van Berchem أثبتت أن الأبراج القديمة المنتشرة على خط الشاطئ في محيط ميناء طرابلس لم تبنَ قبل حقبة السلاطين المماليك[٥]. وإننا لنتصور أنه تحتم إنشاء دفاعات للمدينة من جهة البحر ابتداءاً من سنة ١٢٨٩، تاريخ استيلاء السلطان قلاوون على طرابلس[٦].

---

[1] يجب أن نصحح مع ساندا Sanda ووينكلر Winckler (Die Keilinschriften und das Alte Testament von Eberhard Schrader. Ausgabe von Dr H. ZIMMERN und Dr H. WINCKLER, Berlin, 1903, p. 108 note 2) ونضع أمورو مكان سيميرا في: Keilinschriftich Bibliothek, hrsgg. Von E. Schrader, I, p. 109.

[2] BABELON, loc. Cit., pl. XXXIV, 22; HILL, loc. Cit., pl. XXVIII, 1 et 5.

[3] راجع: Byblos et la mention des Giblites dans l'Ancien Testament, dans Syria, 1923, p. 305-306.

[4] BABELON, loc. Cit., XXXIV, 17 et 18; HILL, loc. cit., pl. XXVII, 14 ; XXVIII, 3 et 4, surtout pl. XLIII, 12. تعرف هيل HILL على مذبح لا على معبد، وهذا ما يبدو لنا محالاً. ولربما دفعه إلى ذلك شكل اللوحة XXVII, 17 واللوحة XLIII, 11، فأوله على أنه منظر معبد ومذبح، في حين أننا نظن أن المقصود هو المدخل الكبير للمعبد ذاته أو للناووس.

[5] VAN BERCHEM et FATIO, Voyage en Syrie, I, p. 122 et suiv.، هذا هو أيضاً رأي راي REY. أهم هذه البراج البرج المعروف باسم برج السباع.

[6] راجع حول الاستيلاء على المدينة وتدميرها وإعادة إعمارها بالقرب من نهر قاديشا: المقريزي في QUATREMÈRE, Sultans mamlouks, II, 1, p. 102-104. ثمة نصوص عربية أخرى في LE STRANGE, p. 348 et suiv. وضع سوبرنهايم SOBERNHEIM موجزاً تاريخياً لطرابلس في ظل السيطرة العربية، في: VAN BERCHEM, CIA, Syrie, p. 37 et suiv.. ومنذ مدة وجيزة تم اكتشاف واحد من النقوش العربية وهو بالغ الأهمية لأنه يعود إلى تاريخ سابق على الصليبيين، وسينشره M. G. Wiet. يجب مراجعة شتى التواريخ عن الحروب الصليبية لمعرفة حال طرابلس في المرحلة الصليبية حيث كانت هذه المدينة

ولكننا (ص ٧٧) نعتقد أنه علينا أن نستثني البرج السابع الواقع على المصب الشرقي لنهر قاديشا والمسمى حالياً "برج العدس". ونظن أنه يجدر بنا في الواقع اعتباره "حصن أبو العدس" الذي ذكره الإدريسي. وفي الحقيقة يعود هذا الحصن إل نظام دفاعي آخر، يهدف إلى حماية المدينة من الهجمات البرية، ويحتوي، لجهة الجنوب، على موقع لإقفال معبر رأس الشقعة Théouprosopon الذي سنعود للكلام عنه لاحقاً، وانف الحجر أو أناف[١] Anafe أو أنفة[٢] Nephin، التي من شأن فرضة عميقة تفصلها عن اليابسة أن تسمح بتحديدها كأنها كلها تقريباً داخل البحر[٣] in mare fere totum، حصن القلمون[٤] أو كالاموس Calamos القديمة[٥] وحصن أبو العدس[٦]، وارطوسية Artousia.

يضيف الإدريسي[٧] الذي ندين له بهذه المعلومات أن أشهر الأعمال التابعة لطرابلس كانت الشفيقة esh-Shafiqa، وربما علينا قراءتها السفينة[٨] es-Sofeina، (ص ٧٨)

عاصمة كونتية طرابلس. كما أن بورشار دي مون سيون BURCHARD DE MON SION, p. 28 يقول فيها عام ١٢٨٣: طرابلس مشهورة جداً وهي كلها تقريباً في موقع على البحر، مثل صور، Tripolis, nobilis valde et fere tota in corde maris sita, sicut Tyrus. وهو يقدر بثلاثة آلاف بيزنت من الذهب قيمة محاصيل بساتين طرابلس في سنوات المواسم الجيدة.

[1] RENAN, Mission de Phénicie, p. 141. Voir ci-dessus Ampa et Knudtzon, p. 1156 (Ambi)

[2] REY, Col. Fr., p. 370; HEYD-RAYNAUD, I, p. 177, 322-323, 357. إنه غير صحيح التعيين الذي وضعه كل من YAQOUT, I, p. 390; et LE STRANGE, p. 394

[3] BURCHARD DE MONT SION, p. 27.

[4] حصن مبني على نبع، NASSIRI KHOSRAU, Sefer Nameh, éd. SCHEFER, p. 42-43; cf. THOMSON, Bibliotheca sacra, V (1848), p. 9-10; REY, Col. Fr., p. 364; RENAN, Mission de Phénicie, p. 140 ; LE STRANGE, Palestine, p. 476 ; VAN BERCHEM, Voyage, I, p. 38.

[5] PLINE, H. N., V, 78; Polibe, V, 68; HONIGMAN, no 229 a.

[6] IDRISI, p. 17; LE STRANGE. لا تسمح هذه اللائحة بقبول اعتبار موقع حصن أبي العدس، هو القرية النصيرية، تل العدس، كما يقترح ذلك الأب لامنس، Père LAMMENS, Mél. Faculté Orient de Beyrouth, I (1906), p. 249، دونما تعيين لموقعه.

[7] نثبت هنا نص الإدريسي الذي سيرد استعماله تكراراً، آخذين بعين الاعتبار تعدد النسخ المخطوطة واختلاف كتابة الأسماء من نسخة لأخرى، فنضع بعد كل اسم الأشكال المختلفة لكتابته بين هلالين: "ينضاف إليها (إلى طرابلس) عدة حصون وقلاع معمورة داخلة في أعمالها مثل أنف الحجر المتقدم ذكرها وحصن القالمون وحصن أبي العدس وأرطوسية (ارموسية، اقوسية) ولها من أمهات الضياع المشهورة المذكورة أربعة فمنها الضيعة (القرية) المعروفة بالشفيقية (الشفيقة، الشفيعة) والزيتونية (الزنبورية، الزيتورية) والراعبية (العاربية) والحدث وأميون..."، في "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، المجلد الأول، ١٩٨٩، عالم الكتب، بيروت، ص ٣٧٣. المترجم.

[8] اقترح لامنس (المرجع السابق) هذا التصحيح المبدع؛ ولكن هناك موقعان باسم السفينة (يقدم إيلي سميث Eli Smith اسم السفينة في لوائحه المضافة إلى ROBINSON, Palästina, III,) واحدة تقع شرقي بلدة الشيخ محمد (ELI SMITH, loc. cit., p. 941; carte E. M. 1920: Sofini) ولعلها هي التي قصدها الأب لامنس لأنه يتحدث عن القضاء الشمالي عكار. والأخرى، لعلها التي قصدها الإدريسي، وتقع إلى الجنوب والجنوب الغربي

والزيتونية ez-Zeitouniya التي يمكن أن تكون الزويتينة[1] ez-Zouweitina، والراعبية، وهي غير محددة المكان، والحدث في الجبل العالي في الجنوب الغربي لإهدن، وأميون وهي قرية كبيرة تقع جنوبي طرابلس.

يسمى القطاع القائم بين البترون وطرابلس الكورة، وفيه أميون وبكفتين وحامات وكفرحزير وكفرقاهل وكفتون.

ما يزال اسم أرطوسية Orthosia ou Artousia محفوظاً في المكان المدعو أرض أرطوسي Ard Artousi. وكانت أرطوسية مدينة بحرية[2] ثانوية الأهمية لأنها لم تصك عملة إلاّ ابتداءً من القرن الأول قبل عصرنا[3]. نميز أطلالها عند مصب نهر البارد، على الجهة الشمالية منه. وعلى الجهة الأخرى من النهر، مباشرة بعد الجسر الذي كان يحمل في القرن الخامس عشر اسم جسر أرطوسية[4]، فإن خان العبدة حيث ما زالت تتوقف كل القوافل يمثل "موتاتيو بروتوس" "mutatio Bruttus" الوارد في الرحلة من بوردو إلى القدس: من هنا نستنتج أن الاسم الحالي للنهر يعود إلى العصور القديمة.

وكالعادة كانت عشترت إلهة مدينة أرطوسية، وهي تبدو، في المعبد الرئيس (ص ٧٩) المطبوع على العملة[5]، واقفة وهي حاملة عصا ومتوجة بهامة النصر، بينما يجري النهر تحت قدميها. يظهر نموذج نادر جداً[6] أن الإلهة كانت إلى جانب إلهين آخرين. ليس الإله إلى جهة اليمين سيبيل Cybèle إنما هو بعل Baal حاملاً المنجل

لبلدة الشيخ محمد، بالقرب من نهر البارد (ELI SMITH, loc. Cit, p. 940; carte E.M., 1920: El-Soufeiné).

[1] زويتينة إيلي سميث (ELI SMITH, loc. cit., p. 941) زوابتينة Zoabtiné على خارطة E. M. 1920، جنوبي النهر الكبير. هذه الخارطة على أخطاء كثيرة خاصة في هذه المنطقة: فإذا ما انطلقنا من الزويتينة مباشرة إلى الجنوب، نقرأ هيتلا Heitela مكان هابيلا Habilla، الغزيلة Ghouzeilé مكان عليزبليه Alizeblé، حميص Houmeis مكان حيميص Himeis، كنيسة Kouneyisé مكان كينيبسة Kinibsé، سويسة Souweisi لا سييو Siyou.

[2] المكابيون الأول، ١٥: ٣٧، اكتشاف رفات القديسين، لوقا وفوكاس وورومانوس: مرمدة من رصاص فيها عظام محترقة. راجع: J.-B. CHABOT, Pierre l'Ibérien, ROL, III, p. 384 et suiv.

[3] RENAN, Mission de Phénicie, p. 116; BABELON, Les Perses achéminides, p. CLXXVI, et p. 214 ; J. ROUVIER, Numismatique des villes de la Phénicie, p. 176 ; HILL, Brit. Mus. Cat., Phoenicia, p. LXXVI et p. 126.

[4] LANZONE, Viaggio… di Kaid Ba, p. 8; حيث توقف عند الخان بالقرب من النهر: "مياه عذبة".

[5] HILL, Brit., Mus., Cat. Phoenicia, pl. XVI, 3 et XLI, 18.

[6] BABELON, Les Perses Achéménides, pl. XXVIII, 21.

le Harpé، السلاح الملكي الفينيقي[١] القديم، والمشبه هنا بسلاح كرونوس Kronos، وهو على عربة يقطرها زوج من العنقاء[٢] sphinx ou griffons. أما الإله لجهة الشمال فهو غير واضح، ومن الممكن على ما يبدو أن نعتبر كل المرتفعات في لبنان الشمالي لا تشكل وحدة إتنية (بلاد النيغا Nega، بلاد الجبيليين) فحسب، إنما أيضاً وحدة دينية من خلال الإله أيل (المشبه بكرونوس) بوصفه بعل المنطقة، وعشترت كبعلة محلية (إلهة مدينة poliade) والإله أشمون- أدونيس (زوس هاغيوس في طرابلس). ولقد عُثر في فيع، شمال أميون، على نموذج مثير لعشترت يعود إلى الحقبة الفارسية[٣].

كانت هذه المنطقة مكتظة بالسكان بشكل ظاهر وناشطة في الألفية الثانية قبل عصرنا. ويجدر بنا أن نعين فيها موقع المدينة المدعوة أولازا Ullaza التي ورد ذكرها مراراً في لوائح تل العمارنة[٤]. إنه لمعلوم الهجوم الذي قامت به أساطيل أرواد ضد أولازا، لتصل من بعدها إلى سمور Sumur (سيميرا Simyra)[٥]، وهروب سكان أولازا إلى جبيل[٦]. تقع أولازا إذاً على الشاطئ وحيث يمكن الوصول بسهولة إلى جبيل عن طريق البر.

إن موقع أرطوسية يتفق مع هذه المعطيات. ومن جهة أخرى ثمة توافق على تعيين أولازا بأنها أنراتا Anrata الواردة في اللوائح (ص ٨٠) المصرية[٧]. وعليه فإن مماثلة أنراتا بأرطوسية، في ظل هذه المعطيات، ليس من باب المغامرة. وعلى الأرجح جاءت هذه اللفظة الأخيرة من تحريف اسم قديم للمكان، خصوصاً أنه لا صلة لها بأي اسم جغرافي مقدوني أو سلالة ما. تقع أولازا على ضفاف نهر مرنا[٨]

---

[1] هذا ما أثبتته اكتشافات فيرولو Virolleaud ومونتيه Montet في جبيل، راجع: POTTIER, Syria, 1922, p. 298 et suiv.

[2] BABELON,l. c., pl. XXVIII, 16 et 19; HILL, l. c., pl. XVI, 1 et XLI, 16; voir nos Notes de myth. Syrienne, p. 70 et 148.

[3] RONZEVALLE, Notes, p. 179; R. DUSSAUD, Revue de l'Histoire des Religions, 1913, II, p. 62.

[4] راجع: O. WEBER, dans KNUDTZON, Die El-Amarna Tafeln, p. 1141 et suiv.

[5] KNUDTZON, op. cit., no 105, 23.

[6] Ibid., no 105, 84.

[7] يشير غوتييه (GAUTHIER, Dict., I, p. 47)إلى محاولات تقريبها مع أرواد، ولكنه يعتبر هذا التعيين غير أكيد.

[8] GAUTHIER, Dict. Géogr., III, p. 51.

Merna، وهذا هو أيضاً موقع أرطوسية، وعليه يمكن الافتراض أن مرنا هو الاسم القديم لنهر البارد.

هددت جيوش الغزوات، في كل العصور، طرابلس من ناحية وادي إلوتيروس[1] Eleuthère أو النهر الكبير الذي يخلق بمجراه وبمجاري روافده فرجة بين لبنان وجبال النصيرية. ولهذا كانت المراكز الدفاعية كثيرة في هذه النواحي. يجب الإشارة بشكل خاص إلى عرقة وحلبا[2] لجهة الشمال الشرقي، ومن ثم لجهة الشمال مجموعة حصون صغيرة سنتناولها لاحقاً.

لعبت عرقة دوراً هاماً منذ أقدم العصور حتى نهاية المرحلة الصليبية. لقد سبق ورأينا ان سفر التكوين (١٠: ١٥ و١٨) يشير (بعد تحريره مما أضافه المتعاقبون على إعادة كتابته) إلى أن المجموعة الفينيقية المركزية كانت مؤلفة من العرقيين Arqites والسينيين[3] Sinites.

يرد اسم عرقة في لوائح تل العمارنة بشكل عِرقاتا[4] Irqata الذي يصبح في العربية عِرقة Irqa، وفي النصوص الأشورية بشكل عَرقة[5] Arqa.

(ص ٨١) كانت هذه المدينة في العصر الروماني مركزاً هاماً لعبادة الإلهة فينوس أرشيتيدس[6] Vénus Architidis (الزهرة) التي حدد هيل HILL نوعها على العملات، والتي وصفها ماكروب بقوله: " Simulacrum hujus deae in monte Libano fingitur capite obnupto, specie tristi, faciem manu laeva intra [7]amictum sustinens; lacrimae visione conspicientium manare creduntur"

---

[1] راجع لاحقاً حول إلوتيروس أو النهر الكبير.

[2] راجع حول حلبا التي سماها الصليبيون ألب Albe: REY, Col. Fr., p. 367; LE STRANGE, Palestine, p. 352; NASSIRI KHOSRAU, trad. SCHEFER, p. 80; VAN BERCHEM, Journ. Asiat., 1902, I, p. 442 et Voyage, p. 134. والمراجع التاريخية في: R. RÖHRICHT, Kön. Jer. p. 929, note 5; R. DUSSAUD, Revue arch., 1897, I, p. 306.

[3] راجع لاحقاً حول السن.

[4] WEBER, dans, KNUDTZON, Die el-Amarna Tafeln, p. 1143; CLAUSS, ZDPV, XXX, p. 13.

[5] DELITZSCH, Wo lag das Paradies, p. 282; W. MAX MULLER, Asien und Europa, p. 247 et suiv.; BAUDISSIN, dans HERZOG-HAUCK, Realencycl.. s. Arkier. Bibliographie dans G. WIET, Journal asiat., 1921, II, p. 112-113 et OLMSTEAD, Journ. Amer. Or. Soc., 1921, p. 366 et note 45.

[6] بين لينورمان (LENORMANT, Gaz. Archéol., 1875, p. 97) عبثية التصحيح بفينوس أفاسيتيس Vénus Aphacitis. حول بيبليوغرافيا هذه المرحلة: E. SCHÜRER, Gesch., I, (3e et 4e éd.), p. 594, n. 36; HONGMANN, n° 69 a.

[7] Sat., I, 21, 5; HILL, Brit. Mus. Cat., Phoenicia, p. LXXII.

كان هناك معبد آخر مكرس لعشترت المدينة على رأسها تاج، وماسكة العصا بيدها، وقدمها على الإله- النهر الجاري، نهر عرقة. ومن الملاحظ أن هذه الإلهة تشبه إلى حد بعيد تلك التي وجدناها بين زوج من العنقاء على عملات أرطوسية، ما يؤكد الاتحاد الوثيق بين هاتين المدينتين.

ثمة ميل إلى جعل جبيل هي المركز الديني لهذه المنطقة، ولكن نفس الآلهة الجبيلية توجد في عرقة وطرابلس. ويبدو أن قدسية "زوس هاغيوس" المعبود في طرابلس مستمرة في اسم النهر المجاور لها، نهر قاديشا، وتنتشر صفة القداسة هذه في كل جون عرقة المسمى اييروس كولبوس[١] Hieros kolpos.

تجدر الإشارة، من وجهة نظر طوبوغرافية، إلى سؤالين اثنين. يدعو إلى طرح السؤال الأول نقش لاتيني اكتشفه رينان، يحدد حدود إقليم عرقة التي أصبحت قيصرية لبنان مع حدود جيغرتا[٢]: " Fines positi inter Caesarenses ad Libanum et Gigartenos de vico Sidonior[um] jussu…". عثر رينان على هذا النص في قرية عبرين، ولكن مصدره قلعة المسيلحة. ومنه استنتج رينان، أولاً، أن جيغرتا كانت تقع بالقرب من قلعة المسيلحة، ويسنده في ذلك قدامى المؤرخين. لقد جعل سترابون Strabon حصني سينّا Sinna وبوراما Borrama الواقعين على مرتفعات لبنان مقابل الحصون (ص ٨٢) التي تحمي مناطقه المنخفضة مثل البترون وجيغارتا[٣]. ويذكر بلين Pline، من جهة أخرى، وفي الترتيب الآتي، اسماء مدن هذه المنطقة: البترون Botrys، جيغارتا، تريبريس Trieris الهري، كالاموس Calamos القلمون[٤].

يحظى تعيين بلين لهذه المواقع بأهمية خاصة إذا ما لاحظنا أن موقع تريبريس يتماثل مع الهري، مباشرة شمالي تيوبروزوبون Théouprosopon، رأس الشقعة[٥] الذي ما يزال محتفظاً باسمه. تستمر أهمية هذا الموقع في العصور الوسطى نظراً لتوافق الآراء في احتوائه على بوي دي كونيتابل[٦] Puy du Connétable.

---

1 Steph. Byz.:

2 RENAN, Mission de Phénicie, p. 149; CIL, III, 183.

3 STRABON, XVI, 2, 18.

4 PLINE, H. N., V, 19, 78.

5 STRABON, XVI, 2, 15.

6 REY, Col. Fr., p. 371; LAMMENS, Mél. Fac. Orient., I, p. 168 et suiv.

إذا كان موقع ترييريس ليس إلاّ الهري[1]، فإن فرضية رينان أن جيغرتا تقع بالضرورة في محيط المسيلحة هي فرضية صحيحة. يتفق رينان وفان برشم في القول أن "قلعة المسيلحة الجميلة جداً لا تحتوي في وضعها الحالي على أي قسم من البناء يعود إلى ما قبل العصور الوسطى"[2]. إنما ذلك لا يمنع أن الصخرة العامودية التي تقطع طريق الممر الجبلي بين شعب رأس الشقعة Théouprosopon ولبنان كانت مستخدمة منذ العصور القديمة، وأنه في هذا الموقع كان مأوى قطاع الطرق الذين تكلم عنهم سترابون. وعلى كل حال فإن بومبي Pompée وضع حداً لأعمال اللصوصية، وازدهرت هذه المنطقة التي ذكرها جورج القبرصي Georges de Chypre باسم كومي جيغرتا[3] Komè Gigerta. وعليه فالحصن الصغير نفسه قد يكون في حينه يشكل حياً في كومي، وقد يكون أيضاً الحي الصيداوي Vicus Sidoniorum المذكور في النقش اللاتيني. سبق أن رأينا أن الصيداويين يملكون منطقة كاملة في طرابلس. وليس مستغرباً أن يكونوا قد سكنوا في عدة نقاط إستراتيجية على الطرقات التي تؤدي إلى طرابلس[4].

يبقى أن نشرح موضوع أن سكان (ص ٨٣) المنطقة المحيطة بقلعة المسيلحة قد كان لهم حدود مشتركة مع سكان منطقة عرقة، أو قيصرية لبنان. ونعتقد أنه من غير المجدي أن نستعين بفرضية مومسن Mommsen القائلة بوجود أرض محصورة خارج منطقة القيصريين (العرقيين)، خصوصاً أن الدقة التي كتب بها النص تضم إشارة تهدف إلى تجنب كل خطأ. إنما قبل الغوص في هذا الموضوع، علينا مناقشة سؤال آخر كثر الجدل فيه. نعلم أن اسكندر سويروس Alexandre Sévère ولد في عرقة[5]. والحال فإن واحدة من عملات هذه المدينة تحمل العبارة الآتية: " Col.

---

[1] غالبا ما تتم مطابقة ترييريس مع أنفة؛ راجع هونيغمان (HONIGMANN, n° 475 a) الذي يعطي اسماً آخر لترييريس: شمرة Chamarra.

[2] RENAN, Mission de Phénicie, p. 148؛ يلاحظ لامنس (LAMMENS, Mél. Fac. Orient., I, p. 268-270) أنه لم يرد ذكرها قبل القرن السادس عشر.

[3] Ed. Gelzer, 977 et p. 185; Honigmann, n° 196 a.

[4] يبالغ رينان (RENAN, Loc. Cit., p. 150) بتضخيم وعورة طريق هذا المضيق الذي كانت تفضله القوافل دوماً لأنه أقصر وأسهل بكثير من الطريق الساحلية.

[5] Hist. Aug. Alex. Sep., 5: "Alexandri nomen accepit, quod in templo dicato apud Arcenam urbem Alexandro Magno, natus esset…"; cf. ibid., 1 et 12, et Aurel. Victor Caes., 24: 'Cui Duplex, Caesarea et Arca, nomen est".

Cesaria Itur"[١]. وهذا ما يدفع إلى التساؤل كيف يمكن لعرقة أن تكون ضمن نطاق أيطورية Iturée. أمام هذه الصعوبة، ثمة من اقترح، بشكل خاطئ تماماً، أن تعتبر هذه العملة تابعة لمنطقة قيصرية بانياس[٢] Césarée Panéas. ولكنه يجب عدم الخلط بين أيطورية والأيطوريين. ففي العصر الإسرائيلي اعتبرت عشائر الأيطوريين من بدو صحراء سورية. وفي سفر الأخبار، سكن هؤلاء البدو في منطقة عبر الأردن، وسرعان ما تدفقوا من هناك إلى لبنان الشرقي حيث أسسوا مملكة عاصمتها خلقيس Chalcis (عنجر 'Andjarr). وكانوا، على حد قول سترابون[٣]، يسيطرون على شمال لبنان عند مجيء بومبي. والعملة التي سبق ذكرها تؤكد هذه الشهادة إذ أنها تثبت أنه في الحقبة الرومانية كان حكم الأيطوريين يمتد إلى عرقة. ونجد تأكيداً على صلة هذه المدينة بلبنان في كونها كانت تنتمي إلى مملكة أغريبا الثاني Agrippa II عندما مرّ فيها تيتوس[٤] Titus. وهكذا يتم بسهولة تفسير النص المذكور قبل قليل والذي يعين الحدود بين أهل المسيلحة وأهل عرقة.

(ص ٨٤) أثناء تقدم الفرنجة، في الحملة الصليبية الأولى، وجدوا هناك مدينة محصنة في وسط مقاطعة مزدهرة حيث تكثر المياه، والمرتفعات تغطيها الغابات، والتلال مزروعة بشجر الزيتون، والسهول مقسمة إلى حقول مزروعة ومراع[٥]. يذكر الإدريسي، في منتصف القرن الثاني عشر، عرقة كمدينة غنية وافرة السكان، تغذيها المياه بواسطة قناة[٦]. إن هذه القناة التي تتبعنا مجراها من عرقة إلى عكار، كانت إما محفورة في الصخور، وتستعمل كطريق بالقرب من عدبل Dibel، وإما

---

[1] HILL, l. c., p. LXXIII.

[2] REGLING, Zeitsch. Für Numismatik, XXIV, p. 133 et suiv. ؛ يعتبر آميل شورر أن الفرضية ضعيفة الاحتمال: EMIL SCHÜRER, op. cit., II, 4e éd., p. 207 n. 479.

[3] STRABON, XVI, 2, 18. EMIL SCHÜRER, op. cit., I, p. 707 et suiv.; et nos Arabes en Syrie avant l'Islam, p. 10-13.

[4] SCHÜRER, Gesch., I, 4e éd., p. 594, n. 36.

[5] BENEDICT DE ACCOLTIS, Hist. occ., V, p. 597 et suiv.; cf. RAOUL DE CAEN, ibid., III, p. 680.

[6] IDRISI, p. 13; LE STRANGE, Palestine, p. 398. (النص الحرفي لما قاله الإدريسي عن عرقة: "عرقة وهي مدينة عامرة حسنة في سفح جبل قليل العلو ولها في وسطها حصن على قلعة عالية ولها ربض كبير وهي عامرة بالخلق كثيرة التجارات وأهلها مياسير وشربهم من ماء يأتيهم في قناة مجلوبة من نهرها ونهرها جار ملاصق لها وبها بساتين كثيرة وفواكه وقصب سكر وبها مطاحن على نهرها المتقدم ذكره وبينها وبين البحر ثلاثة أميال وحصنها كبير وعيش أهلها خصيب رغد وبناؤها بالجص والتراب والخير بها كثير"؛ "نزهة المشتاق..."، مرجع سابق، ص ٣٧٣-٣٧٤؛ المترجم).

تشكل عملاً فنياً كما في القنطرة Qantara حيث تمر القناة بشكل قوس كامل، على رافد من روافد نهر عرقة[١].

لفت الدمشقي النظر إلى المدينة القديمة عندما ذكر "حصون عرقة وحلبا مع أراض واسعة مقسمة إلى مقاطعات وأقضية، وإليها تنتمي جون Djoun وروجاليّا[٢] Rodjaliya وهما مندثرتان حالياً". لقد أصيب ازدهار عرقة بنكسة كبيرة عندما استولى عليها بيبرس عام ١٢٦٦، إنما بقي الموقع محافظاً على اسمه القديم حتى أيامنا هذه[٣].

تذكر نصوص القرون الوسطى عدداً كبيراً من المزارع Casaux حول عرقة وطرابلس. ولقد أدرجت مجموعة منها في عقد هبة إلى فرسان الاسبتالية[٤]: مسدليا Misdelia هي (ص ٨٥) بالتأكيد مجدليا Medjdelya شرقي طرابلس[٥]، وأرداكيوم Ardacium ولعلها كانت في موقع أردي Ardi وأردات Ardat، وعلما Alma التي تحتفظ باسمها في الجوار، وبيت صاما Bethsama وهي بصرما[٦] Besarma جنوبي طرابلس، وبيتسيديون[٧] Bethsedion، وسيرافتيني[٨] Ceraphtenie، وبحني Bahanni هي على الأرجح بحنين Behannin قرب أرطوسية[٩] Orthosia، وكورنونيوم[١]

---

1 Révue Archéol., 1897, I, p. 305 et suiv.؛ اعتبر روبنسون تقرير شاو (SHAW, Travels, p. 270) الذي ذكر هذه القناة خيالياً: ED. ROBINSON, Neuere Bibl. Forschungen, p. 758, n. 1

2 DIMASHQI, p. 208; LE STRANGE, op. cit., p. 352. لم يتم العثور على موقع جون ولا على موقع روجاليا. وإذا ما افترضنا وجود خطأ في التعرف إلى أحد حروف كلمة روجاليا ونطقه ج بدل الحرف ح، لأمكننا التفكير بموقع ريحانية شمال شرق بلدة الشيخ محمد: ROBINSON, Palaestina, III, p. 941

3 إن لفظ عِرقة ليس خطأ كما قال فان برشم (VAN BERCHEM, Journal asiat., 1902, I, p. 393-394) لأن لوائح تل العمارنة (KNUDTZON, p. 1143) تحمل على الدوام كلمة إرقاتا irqata بيد أنه كان يساء تفسيرها. والمصري لا يحسن تنغيم الحرف الأول من الكلمة (يترجم غوتييه الكلمة أرقاتو ârqatou، GAUTHIER, Dict., I, p. 153). راجع حول الجغرافيين العرب غير المذكورين أعلاه: LE STRANGE, p. 397-398.

4 Cart. Gén., I, p. 76 et suiv.; acte du 8 février 1128.

5 هذا ما اقترحه راي REY, Col. Fr., p. 369؛ RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 257

6 هذا التعيين يعود إلى لامنس LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, 1906, p. 254 et suiv. تثبت كتابة الاسم بالفرنسية أنه كان يلفظ في حينه بت bet بيت bait، لا ب be. ومن المحتمل أن بيتاموم Bethamum بالقرب من طرابلس قد تكون في ذلك الموقع (RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 235).

7 يجب تعيينها في موقع ما باسم سيدة Sai'dé أو بيت سيدة Bet-Sai'dé. يعتقد لامنس (LAMMENS, loc. Cit., p. 254) أن بيتسيديون Bethsedion فيها تحريف بسيط لاسم بيتليون Bethlion الذي يعين موقعه في بارحليون Barhelioun أو بيراحليون Berahliyoun.

8 يقترح راي (REY, Col.,fr., p. 365) السلفتانية Self et-Tanié التي يجب التحقق من كتابتها. وبالإمكان أيضاً التفكير بتصحيح الاسم وكتابته سفرتاني Cephartenie.

9 REY, Col. Fr., p. 361. يرد في خريطة هيئة الأركان لعام ١٩٢٠ (E. M. 1920) اسم أبو حنين Abou Henin.

Cornonium، وكوليات Coliath أي قليعات Qoulei‘at التي سنعود إليها لاحقاً، وأروات Aroath التي لاستحالة تعيينها نقترح كتابتها أركات Arcath كواحد من أشكال كتابة أركاس Arcas أو عرقة Arqa‘، وسنديانا Cendiana التي هي بالتأكيد السنديانة Sendyané في عكار، أما أبيا Apia أو أسيا[٢] Asia وفيلا سيكا Villa Sicca ودوركارب Durcarbe المذكورة في نفس النص فهي غير محددة بشكل واضح.

وفي موضع آخر نقرأ أبدين Abdin (عبدين Abdin‘ غربي إهدن)، وأير Aer (أنظر لاحقاً هاير Hayr)، أردين Ardin (حردين Hardin أو حرادين Haradin جنوبي غربي عبدين)[٣]، وبنياران Beniaran أو بنيهاران Beniharan، وبنهارا Benehara (بنيهاران Beniharan غربي عبدين)[٤]، وبيرتراندימير Bertrandimir التي لا يبدو أنه تم تعيينها بعد[٥].

تشكل بوكومبر Bocombre وريميسك Remesque نفس المقاطعة. ولقد عين لامنس الأولى في موقع بكمرا[٦] Bekomra، بينما (ص ٨٦) تعرف روهريخت على الثانية في راس مسقا[٧] Ras Mesqa، والموقعان بين القلمون وزغرتا. وعمل كليرمون-غانو Clermont-Ganneau على تصحيح بوتوفاريغ Boutoufarig وبوترافيس Botrafis، فاصبحتا بوتوراتيج Boutouratig، وعينها في بتوراتيج[٨] Betouratidg أو بتوراتيش[٩] Betouratish. من جهة أخرى فإن حدود هذه المزرعة معينة: من الشرق كفراهايل Caphrahael (هي بداهة كفرقاهل Kafr Qahil التي سنجد لاحقاً أشكالاً

---

[1] يقترح روهريخت (RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 257) خرنوبية Khurnubiyé في عكار؛ بينما يفضل لامنس (LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, p. 258) كفرنون Kafr Noun في عكار.

[2] يظنها راي (REY, Col.,fr., p. 360) أسيا Ahsia، بينما يميل روهريخت (RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 257) إلى جعلها عابا Aba‘.

[3] راجع حول هذه الأسماء الثلاثة: RÖHRICHT, loc. Cit., p. 211

[4] LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, p. 253

[5] إن تعيين روهريخت بطرام Betram (RÖHRICHT, loc. Cit., p.259) أقل إقناعاً من تعيين لامنس (LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, p. 254) بترومين Batroumin، وهي بعيدة كثيراً عن لفظ الاسم في العصر الوسيط.

[6] LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, p. 256. تحرف لفظ بوكومبر Bocombre فأصبح بوكومب Bocombe.

[7] RÖHRICHT, loc. Cit., p. 258, et Regeste, add., n^{os} 787 b et 789 b.

[8] CLERMONT-GANNEAU, Rec. arch. Or., III, p. 253; RÖHRICHT, loc. Cit., p. 258: مزرعة "في كورة طرابلس"، أي الكورة.

[9] LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, p. 257. في "دليل لبنان" Le Dalil Lobnan، ص ٦١، نجد بتواراتيج Betwaratich.

أخرى لكتابتها)، ومن الشرق والشمال هابْ Hab (المطلوب تعيينها)[١]، ومن الغرب هاير Hayr (إنها نفس أير Aer المذكورة سابقاً والمطلوب تعيينها)[٢]، ومن الجنوب هابِ Haabe أو عابا[٣] ‘Aba. إن هذه المنطقة، وإن كانت قريبة من طرابلس، فهي بعيدة عن الطرقات ومعرفتها غير دقيقة. ولهذا لم يتم إلاّ منذ فترة قريبة جداً، اكتشاف دير غير معروف لرهبنة السيسترسيان cistercien على يد ك. أنلار C. Enlart في البلمند[٤]، كما أن السيد ل. بروسيه L. Brossé اكتشف بقايا جديدة من الرسوم القروسطوية[٥]. يبقى من المطلوب تعيين موقع بويولا Buiola أو بويفرا Buivra، وتكتب أيضاً بيفورا[٦] Bivora. وثمة اقتراح بأن تكون بويسيرا Buissera في موقع بلدة بشري[٧]. تتعين كالامون Calamon فوراً بالقلمون Qalamoun. وإننا لنميل إلى اعتبار كافاراسيل Cafaracel وكازاراسيل[٨] Casarasel موقعاً واحداً يكتب بعدة أشكالٍ، ونقترح تصحيح كتابته بالطريقة التي اعتمدها كليرمون- غانو وروهريخت اللذان وجداه كافراهايل Caphrahael السابقة الذكر، وكذلك كافارسيكيل[٩] Cafarsequel، ونرى تعيين كل هذه الأسماء في موقع واحد (ص ٨٧) كفرقاهل[١٠] Kafr Qahil، جنوبي طرابلس، كما أن كفرعقا Kafr ‘Aqa إلى الجنوب أيضاً تمثّل بلدة كفراكا[١١] Kafaraca. يبدو لنا راي على صواب، بعكس روهريخت، عندما يعين مزرعة ديري Derie في داريا Daraya جنوبي طرابلس[١٢].

---

[1] يمكن تقديرها في "مزرعة نهر (كذا!) أبوعلي"، Mezra‘at Nahr Abou (sic) ‘Ali، الواردة في (دليل لبنان، ص ٦١)، هذا إذا كان الموقع صحيحاً على الخارطة.

[2] إن كفرحزير التي يقترحها روهريخت بعيدة جداً إلى الجنوب.

[3] RÖHRICHT, loc. cit., p.258. أخطأ لامنس (LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, p. 262) عندما خلط في النص المذكور بين هابْ Hab وهابِ Haabe، فالأولى شمال بتوراتيج والثانية جنوبيها.

[4] Syria, 1923, p. 1

[5] “Les peintures de la grotte de Marina, près de Tripoli », Syria, 1926, p. 30

[6] REY, Col. Fr., p. 363. يقترح روهريخت (RÖHRICHT, loc. cit., p.210) بخورا Bekhoura التي عدّل لامنس (LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, p. 257) قراءتها بجورا Bedjoura (جنوب غربي زغرتا).

[7] REY, Col. Fr., p. 363

[8] RÖHRICHT, ZDPV, XVIII, p. 86, mieux Reg., add., n° 657

[9] REY, Col. Fr., p. 364; RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 211; CLERMONT-GANNEAU, Rec. arch. Or., III, p. 253

[10] يبدو أقل مصداقية تعيينها في كفرشيلا Kfar Shillé، كما يقترح لامنس LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, p. 258.

[11] REY, Col. Fr., p. 364; RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 259

[12] REY, Col. Fr., p. 366; RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 211

أما الجبة Djoubba فيذكرها ياقوت[١]. وفودا Fauda يمكن قراءتها سودا[٢] Sauda. وسبق لنا أن استعرضنا ما يتعلق باسمي هابْ Hab وهابِ Haabe. أما هابيلا Habela فهي كتابة مشكوك بصحتها، وربما علينا قراءتها بابيلا Babela أو بيبولا[٣] Babula. لم يتم تعيين موقع هلميدل[٤] Helmedel، ولا موقع مزرعة هراري[٥] Horari التي ربما كانت في موقع حرار Harar شرقي عدبل Dibl، ولا موقع هوتيه[٦] Hotai، ولات[٧] Lath، ومزرعة لوازان[٨] Loisan، ومرديك[٩] Merdic، ومونسكوكول[١٠] Monscucul، وسيروبا[١١] Siroba، وسوميزا[١٢] Sumesa.

وبالقرب من بلدة عكار، نذكر مزرعة بانا Bana التي يموضعها راي في بينو[١٣] Beino. أما ميديرا Medera، فإن هذا الاسم يعني وحداً من الكثير من المواقع المعروفة باسم مزرعة Mezra‘a.

يبدو أن منطقة الضنية الجبلية قد شهدت (ص ٨٨) مرحلة ازدهار في العصر الروماني، وربما بعدما قام به بومبي، وذكرناه سابقاً. يجب أن نخص بالذكر حصن السفيرة[١٤] Hosn es-Sefiré، وبزيزا[١] Beziza، وناووس[٢] Naous فوق كسبا Kisbé، وتمثال طرزا Tirza أو بطرزا[٣] Betirza.

---

[1] YAQOUT, II, p. 32; LE STRANGE, p. 466

[2] REY, Col. Fr., p. 366; Cart. Gén., I, p. 479 et suiv.؛ فكر روهريخت (RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 260) بموقع السوده es-Saude غربي بلدة الشيخ محمد.

[3] REY, Col. Fr., p. 361; RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 211

[4] REY, Col. Fr., p. 367; RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 21

[5] RÖHRICHT, Reg. add., n° 193 a.

[6] RÖHRICHT, ZDPV, XI, p. 140

[7] RÖHRICHT, Reg. add., n° 608 a. بوسعنا التفكير ببلدة قلحات Qalhat قرب أنفه، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار اللفظ المخفف للحرف الأول، أو ببساطة إيلات Eilat قرب حلبا.

[8] RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 211

[9] REY, Col. Fr., p. 347; RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 220

[10] أبو حلقة Abou Hlqa كما يرى لامنس: LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, p. 267

[11] Cart. Gén., I, p.345; RÖHRICHT, ZDPV, XVIII, p. 86

[12] REY, Col. Fr., p. 372; Cart. Gén., I, p. 479 et suiv. يقترح روهريخت (RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 260) السويسة Suweisi شرقي الشيخ محمد: بينما يقترح لامنس (LAMMENS, Musée Belge, IV, p. 287) شميسة Shoumeisé على الطريق من حصن سليمان (Baetocécé) Hosn Soleiman إلى مصياف Masyaf. تتعزز هذه الفرضية في ما لو أن مزرعة فودا Fauda كانت تلفظ فاندا Fanda، ولو كانت تتماثل مع فاندارا Fandara، البلدة المتاخمة لشميسة. وبالعكس، فإن المقاربة بين كوركواس Corcois وعشق عمر ‘Osq Omar غير سليمة.

[13] Cart. Gén., I, p.378 et suiv.; REY, Col. Fr., p. 361; R. DUSSAUD, Revue arch., 1897, I, p. 306 ; LAMMENS, Mél. Faculté Orient., I, (1906), p. 253.

[14] RENAN, Mission, p. 130 et 852.

يعطي الجغرافيون العرب للخليج الواسع الذي يتقوس شمال طرابلس اسم جون عرقة. أما اليوم بعد أن اندثرت مدينة عرقة فيسمى جون عكار. وفي الواقع تشرف على المنطقة بلدة عكار التي كان حصنها على شيء من الأهمية في المرحلة الصليبية[٤]. ولعله من المرجح أن يكون قسم من هذا الحصن، لا سيما البرج، من صنع الفرنجة. ولقد تعرض الحصن للتدمير الجزئي، ومن ثم الترميم، على يد بيبرس[٥].

كان الموقع الهام في المنطقة، في العصور القديمة، هو السن Sin التي يشير سفر التكوين إلى اصل سكانها[٦]، والتي تذكرها النصوص الأشورية تحت اسم سيانو[٧] Sianu. وينسب، خطأً، إلى ب. فون بريدنباخ B. von Breydenbach، اكتشاف موقع السن في القرن الخامس عشر على مسافة نصف فرسخ إلى الشرق من عرقة[٨]، وهذه النسبة غير صحيحة لأن الكاتب استمد معلوماته عن بوركار دو مون سيون Burchard de Mont-Sion الذي زار طرابلس قبل قرنين بالتحديد (١٢٨٣). وهذا الأخير استمد معلوماته بدوره من السكان المحليين[٩]، (ص ٨٩) ومنذ ذلك الحين لم يعد أحد يذكر هذا الموقع. وإن لم يكن هناك خطأ في كتابة الأسماء، فإن الخريطة الجديدة، من إعداد هيئة الأركان بمقياس ٢٠٠٠٠٠، تسمح بتعيين هذا الموقع في قرية شان Shein الراهنة، إلى جنوب وجنوب شرق حلبا.

استناداً إلى سترابون، كما سبق ورأينا، فإن الأيطوريين والعرب كانوا في زمن بومبي يستحوذون على حصون في مرتفعات لبنان، ولا سيما منها سنّا

---

[1] LABORDE, Voyage de la syrie, pl. XXII et XXIII ; RENAN, Mission, p. 134.
[2] RENAN, Mission, p. 135 et suiv. LABORDE, ibid.,pl. XII;
[3] RENAN, Mission, p. 136 et suiv.; cf. VIROLLAUD, Syria, 1924, p. 113.
[4] REY, Col. Fr., p. 367; LE STRANGE, Palestine, p. 80 et 390؛ ملاحظاتنا في (Revue archéol., 1897, I, PP. 306-308 مع مصور للحصن؛ VAN BERCHEM, Journal asiat., I, p. 421 et 448.
[5] قام سوبرنهايم (SOBERNHEIM, dans VAN BERCHEM, CIA, Syrie, 1re sect., p. 2 et suiv.) بوضع موجز تاريخي للموقع وبنشر النصوص العربية المنقوشة عليه.
[6] سفر التكوين، ١٠: ١٧.
[7] Delitzsech, Paradies, p. 282.
[8] B. VON BREYDENBACH, Reise des Heiligen Lundes, I, p. 115.
[9] BURCHARD DE MON-SION, éd. LAURENT, p. 29: سن Sin: يذكر استناداً إلى نسطوري: سينوشيم Synochim.

وبوراما[١]، وهذا ما يؤكد على أهمية هذا الموقع في ذلك الزمن، ولذا من المهم التعرف عليه.

يذكر الإدريسي في خليج عرقة مدينة صغيرة وافرة السكان، اسمها رأس الحصن، ويؤكد أنها تقوم على قمة جبلية قليلة الارتفاع[٢]، وأنها تحتوي على حصن. تتوفر هذه الشروط في التلة التي يقوم عند سفحها، على حد قول الإدريسي، حصن أرطوسية، أو أيضاً في المرتفع الأبعد، في المكان الذي يضم اليوم قصبة تسمى الشيخ محمد، إلى الشمال مباشرة من عرقة وحلبا[٣].

---

[1] STRABON, XVI, 2,18. لا تصح المقابلة التي يقترحها ماسبيرو (maspero, Hist. anc. Des peoples de l'Or. Classique, II, p. 172, n. 5) مع صنين واحد من أهم مرتفعات لبنان، لأن سن Sin تكتب بحرف S (معادل س) بينما يكتب اسم الجبل صنين بحرف ص (ومعادله th او Ş). يمكن بالنسبة إلى بوراما Borrama التفكير ببلدة برمانا Broummana، والاسم دمج بيت رومانا Beit-Roummana.

[2] IDRISI, p. 28, et LE STRANGE, Palestine, p. 519. لا بد أن الأمر يتعلق بقمة جبل متجهة نحو الشاطئ. بالنسبة للموقع والتسمية قارن مع راس مسقا Ras Mesqa جنوب طرابلس، أو ريمسك Remesque الصليبيين الذي تحدثنا عنه سابقاً. (هذه المقارنة التي يتقدم بها لامنس مستبعدة جداً؛ راجع الهامش اللاحق، المترجم).

[3] (النص الحرفي لكلام الإدريسي: "من مدينة اطرابلس على الساحل إلى رأس الحصن وهو مدينة صغيرة عامرة آهلة وهي على طرف جون وهذا الجون طوله رؤوسية خمسة عشر ميلاً وتقويراً مع الساحل ثلاثون ميلا ويسمى جون عرقة (عرفة) وفي وسط هذا الجون ثلاثة حصون تتقارب بعضها من بعض اسم أحدها مما يلي اطرابلس لوتوروس (لوقوروس، لويدروس) والآخر بابية (باسة، ياسة) وهو على نهر جار يسمى نهر بابية والحصن الثالث يسمى حصن الحمام وهي تتقارب بعضها بعضها من بعض ومنه إلى عرقة..."؛ "نزهة المشتاق..."، مرجع سابق، ص ٣٧٣). لا يذكر الإدريسي ما إذا كانت المدينة الصغيرة "رأس الحصن" على قمة جبلية، بل يؤكد أنها على طرف جون فقط، وبالتالي فمن المستبعد أن تكون في موقع راس مسقا، أو في قصبة الشيخ محمد البعيدة نسبياً عن الساحل، خاصة وأن نص الإدريسي يبدأ: ومن اطرابلس على الساحل إلى رأس الحصن... فهو يوحي بالاتجاه على الساحل شرقاً، لا إلى الداخل حيث تقع الشيخ محمد. كما أن الإدريسي يذكر قبل قليل أرطوسية باسمها بالذات، فلو كان يقصدها بكلامه على "رأس الحصن" لذكر ذلك بداهة؛ (المترجم).

ولعل الإدريسي يقصد ب "رأس الحصن" حصن أبي العدس، وقد يكون هو نفس الحصن المذكور في فتوح الشام للواقدي: "ما بين عرقا وطرابلس مرج يقال له مرج السلسلة وكان بإزائه دير وفيه صوامع وفيه صومعة راهب عالم بدين النصرانية... وكان في كل سنة يقوم عند ديره عيد آخر صيام الروم وهو عيد الشعانين فتجتمع الروم والنصارى وغيرهم من جميع النواحي والسواحل ومن قبط مصر... وكان يقوم في ذلك العيد سوق عظيم من السنة إلى السنة، ... ثلاثة أيام". ويروي الواقدي: "ما كان المسلمون يعلمون بذلك ولا يعرفونه حتى دلهم عليه رجل نصراني من المعاهدين وقد اصطفاه وأمنه وأهله، فلما ولي أبو عبيدة أمر المسلمين أراد ذلك المعاهد أن يتقرب إلى أبي عبيدة رضي الله عنه فعسى أن يكون فتح الدير والسوق على يديه فأقبل إليه... فقال: أيها الأمير إنك قد أحسنت إلي وأمنتني ووهبتني أهلي ومالي وولدي وقد أتيتك ببشارة وغنيمة تغنمها المسلمون ساقها الله إليهم، فإن أظفرهم الله بها استغنوا غنى ولا فقر بعده. فقال أبو عبيدة: أخبرنا ما هذه الغنيمة وأين تكون. فما علمتك إلا ناصحاً. فقال: أيها الأمير إنها بإزائك على دير الساحل وهو حصن يعرف بأبي القدس وبإزائه دير... ويقوم عنده سوق عظيم... فقال (أبو عبيدة) للمعاهد: كم بيننا وبين هذا الدير. قال: عشرة فراسخ للمجد السائر. قال (أبو عبيدة): هل بالقرب منه شيء من مدائن الشام؟ قال: نعم بالقرب من السوق مدينة تسمى طرابلس وهي مينا الشام..."، فتوح الشام، الواقدي، ج ١، ص ٧١؛ ومصدر الكتاب هو موقع الوراق الإلكتروني http://www.alwarraq.com. والكتاب مرقم آليا وغير موافق للمطبوع؛ (المترجم).

نستدل على موقع مرج السلسلة مما ذكره ابن عساكر عن فتح طرابلس في تاريخ دمشق: "أن معاوية بن أبي سفيان وجه إليها سفيان بن مجيب الثمالي (الأزدي) في جماعة وعسكر عظيم... فعسكر في مرج السلسة بينه وبين مدينة

يذكر الإدريسي أيضاً، في هذا الخليج، حصوناً ثلاثة يصعب تعيين مواقعها[١]. الأقرب منها إلى طرابلس يحمل اسماً شوهته المخطوطات بالتأكيد، لأنه يظهر بأشكال مختلفة، وهو ربما لوتوروس Loutourous أو لوقوروس[٢] Loukourous. ينتصب الثاني، وهو البابية el-Babiya، على حافة نهر يحمل نفس الاسم. أما الثالث فهو حصن الحمام. وكانت هذه الحصون الثلاثة متصلة ببعضها بسور، مما يعني أنها لم تكن بعيدة عن بعضها كثيراً.

(ص ٩٠) والحال فإن اسم أحد هذه الحصون ما يزال محفوظاً حتى اليوم في قرية تل بيبه Tell el-Bibé، بالقرب من نهر عكار. ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن هذا النهر كان يسمى سابقاً نهر البابية[٣]. ومن جهة أخرى فإننا نجد بالقرب من تل بيبه حصناً مشهوراً هو القليعات[٤] Qoulei'at ou Qlei'at، وموقعاً آخر تل كري، من المرجح جداً أن يكون إعداده تم لأسباب دفاعية. ولعل هذا المجموع المحصن يفسر استخدام صيغة الجمع "قليعات"، أي الحصون، التي تم الاحتفاظ بها حتى في الترجمات الإفرنجية في العصر الوسيط[٥]. وبعد اندثار حصني تل بيبه وتل كري

أطرابلس خمسة أميال في أصل جبل يقال له طربل". ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢١، ص ٣٥٦؛ مصدر الكتاب: موقع أهل الحديث الإلكتروني، http://www.ahlalhdeeth.com، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع والكتاب مذيل بحواشي المحقق علي شيري. وعليه فإن "مرج السلسلة" في أصل جبل تربل (ابن عساكر)، وإزاؤه على "دير الساحل وهو حصن يعرف بأبي القدس" (الواقدي). وفي سياق آخر يشير عمر عبد السلام تدمري: "ولا يزال الكبار في السن من أهل طرابلس ونواحيها يذكرون وجود برج يُعرف ب"برج العدس" شمالي المدينة على ساحل البحر، في موضع يعرف ب"الدعتور" حيث تقوم منشآت شركة النفط ومصفاة طرابلس للبترول الآن. وفي سنة ١٨٩٧ وضع قنصل فرنسا في طرابلس Paul Savoie مخططاً صغيراً بيّن عليه المواقع والأسماء الشائعة للأبراج القائمة على ساحلها في ذلك الوقت، ومنها "برج العدس" وذكر هذا البرج أيضاً عدد من المستشرقين والمؤرخين والباحثين". يسند تدمري معلومته الأخيرة إلى: Voyage en Syrie, Max Van Berchem, VI, p. 124 في الحاشية رقم ٣، ص ٤٥ من المرجع الآتي: عمر عبد السلام تدمري، لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، جروس برس، طرابلس لبنان، ١٩٩٠، ص ٤٥. (المترجم).

[1] (راجع النص الحرفي لكلام الإدريسي في هامش سابق)، (المترجم).

[2] IDRISI, p. 28, et LE STRANGE, Palestine, p. 519؛ حول التخمينات الأخرى راجع: RITTER, Erdkund, XVIII, p. 808.

[3] يتردد فان برشم (VAN BERCHEM, Voyage, I, p. 41) بتسمية هذا النهر باسم نهر حيتا (الحيصا؟) Ḥita.

[4] لفظة شائعة ل"القليعات" el-Qoulai'at جمع تصغير قلعة Qal'a؛ راجع حول هذا الحصن: المرجع السابق، ص ١٣١ وما يليها.

[5] وهكذا ترد عبارة غوليات le Gouliat في (Annales de Terre-Sainte, Archives de l'Orient latin, II, p. 452). وهذا ما يجيب على السؤال الذي طرحه فان برشم (VAN BERCHEM, Voyage, I, p. 132, n. 3): هل تعكس هذه الصيغة في كتابة الاسم حقيقة أنه هناك، منذ الأصل، عدة مواقع منفصلة؟ وهذا ما يغير أيضاً من ظروف طرح الموضوع حول عبارة مزرعة كوليات "villa Couliat" التي يبدو لنا مستحيلاً مماثلتها بالقبيات Qoubai'at الواقعة عند سفح جبل عكار. وكان سبق لروهريخت (RÖHRICHT, ZDPV, X,

بقي الاسم في صيغة الجمع يطلق على محلة القليعات الراهنة. كما أن أحد الحصنين التابعين لها حمل اسم ماناكوزين[١] Manacusine.

أما الحصن الأخير، الأقرب إلى طرابلس، على حد قول الإدريسي، فقد حمل اسم لوتوروس- هذا إذا كانت قراءته صحيحة- الذي يمكن تفسيره بأنه تحريف لاسم إلوتيروس[٢] (e)leutheros)، وهو الاسم القديم للنهر الكبير. هكذا نكون حصلنا على البرهان بأن هذا الموقع المحصن كان موجوداً قبل الزمن العربي. كما أن "مخططه المربع والتوزيع المنتظم لأبراجه"[٣] لا يناقض ما تقدمنا به. وهذا ما يعود إلى الوراء قليلاً بوجود هذا الحصن الذي لم يعثر له فان برشم، في نبذته التاريخية الرائعة، على أي ذكر قبل وهبه إلى فرسان الاسبتالية في القرن الثاني عشر[٤].

يجب البحث في جوار عرقة على حصن طيبو Tayibou (ص ٩١) المذكور في معاهدة ١٢٨٢ بين فرسان الداوية في طرطوس وسلطان مصر، حيث تم تعداد أملاك السلطان وفق الترتيب الجغرافي الآتي: حصن الأكراد، صافيتا، ميعار، عريمة، حلبا، عرقة، طيبو، قليعات[٥]. والحال ثمة موقع باسم الشيخ طابا[٦] Sheikh Taba، على مقربة من حلبا إلى الشرق، ولعل هذا الاسم هو تحريف طيبو باسم هذا الشيخ المزعوم.

٢- وادي الإلوتيروس (النهر الكبير)

عين بوكوك[٧] Pococke الإلوتيروس باسم النهر الكبير، وهو النهر الذي يجري أولاً من الشمال إلى الجنوب، مثل معظم أنهار سورية، في سهل البقيعة، ثم يتجه غرباً ليصب في البحر في منتصف خليج عرقة. إن الوادي المنفرج الذي يكونه مجرى

(p.257, n. 10 أن لاحظ وجود خربة غير بعيدة عن القليعات يمكنها أن تكون قرية قليعات Coliat العائدة للعصر الوسيط.

[1] WILBRAND D'OLDENBOURG, éd. Laurent, p. 169.

[2] GILDEMEISTER, ZDPV, VIII, p. 136; HONIGMANN, n° 167.

[3] VAN BERCHEM, Voyage, I, p. 135.

[4] المرجع السابق.

[5] QUATREMERE. Hist. des sultans mamlouks, II, 1, p. 222 ; RÖHRICHT, Regesta, n° 1447.

[6] ELI SMITH, dans ROBINSON, Palästina, III, p. 940 et itinéraire: الشيخ محمد، حلبا، الشيخ طابا، الزواريب، منيارة، تل عرقة، في: RITTER, Erdkunde, XVII, p. 812

[7] A Description of the East, II, Part I, p. 204 et suiv. يعود الشك الذي خيم حتى ذلك الحين إلى مسألة ضرورة التمييز بين نهرين يحملان اسم إلوتيروس Eleuthère، راجع: BENZINGER, dans PAULY-WISSOWA, Realencycl., s. v.; HONIGMANN, n° 167.

هذا النهر، والذي سماه سترابون ماكرا Macra أو ماكروبيديون[١] Macropediun شديد الخصوبة ومروي بكثافة. وكثرت فيه المزارع في القرون الوسطى، كما كان البدو يخيمون فيه، حسب ما نقله بوركار دو مون سيون[2].

(ص ٩٢) لا بد أن البقيعة Boqei‘a، بقيعة الصليبيين Boquée des croisés، التي تشكل ملحقاً لشمال شرق السهل الكبير كانت، وما تزال في أيامنا، مخيماً مفضلاً للبدو، ويجب على الأرجح أن نبحث فيها عن حصن وإقطاعة لكونت طرابلس، هو حصن الكامل[٣] le Kamel:"in vallem quae dicitur Camelorum"[4].

بُني حصن الفرسان Krak des Chevalliers أو حصن الأكراد[٥] Hisn el-Akrad على تلة مشرفة على البقيعة[٦] ليتحكم بالمدخل لجهة شرق السهل المنفرج الذي يمتد حتى البحر، واسمه الأكثر قدماً هو حصن السفح Hisn es-Safh، "قصر المنحدر"[٧] "château de la pente"، ويعرف حالياً باسم قلعة الحصن Qal‘at el-Hisn، وتسميه العامة الحصن el-Hosn. هذه القلعة الهامة جداً في الدفاع عن دول الفرنجة (في المشرق) تتحكم بطريقين رئيسيتين، واحدة تأتي من الشرق وتتفرع إلى طرابلس أو إلى طرطوس، والأخرى تأتي من حماة ورفنية لتصل إلى الساحل أيضاً. من جهة

---

[1] STRABON, XVI, 2, 17; MASPERO, Hist. Anc., II, p. 189, n. 1. لعل اسم هذا الوادي مذكور في النصوص المصرية، كما يرى شاباس Chabas، راجع: GAUTHIER, Dict. géogr., III, p. 10

[2] Edit. LAURENT, p. 29. – ترجمة النص اللاتيني: "وهو عامر بالكثير من القرى، وبالحقول الرائعة المزروعة بالزيتون والتين وبغيرها الكثير من الأشجار المتنوعة وبالغابات. وهو غني بالجداول والمراعي الرائعة الجمال. ويقيم فيه التركمان والمديانيون Madianite والبدو Bodwini، يسكنون الخيم مع زوجاتهم وأبنائهم ودوابهم وجمالهم. ولقد رأيت قطعاناً كبيرة من الجمال التي أظن أن عددها يبلغ عدة آلاف".

[3] Cart. Gén., I, p. 77; cf. ibid., pp. 450 et suiv., 501, 503. لا نتجرأ على تعيين موقع اسم كاميري Kameri الوارد، في خريطة هيئة الأركان لسنة ١٩٢٠، قليلاً جنوبي قلعة الحصن.

[4] ALBERT D’AIX, Hist. occ., IV, p. 451; cf. p. 665: terram de Camolla. تحديدها في البقيعة من اقتراح روهريخت: RÖHRICHT, Gesch. Des ersten Kreuzzuges, p. 167. راجع أيضاً: VAN BERCHEM, Journal asiat., 1902, I, p. 419.

[5] وصف راي هذا الحصن القرسطوي (REY, Arch. Mil., p.39 et suiv.)، واستكمل فان برشم وصفه (VAN BERCHEM, Voyage, p. 135 et suiv.)؛ وتناوله سوبرنهايم: SOBERNHEIM, dans Encyclop. De l’Islam, s. Hisn el-Akrad, et dans VAN BERCHEM, CIA, Syrie, 1re sect., p. 14 et suiv.

[6] جاء في Hist. occ., II, p. 404: "البقيعة تحت حصن الأكراد" "La Boquie dessous le Crac". كان الفرنجة يتجمعون فيها عادة ليشنون منها الغارات على أرض العدو، وفيها تعرض نور الدين لهزيمة شنيعة في العام ١١٦٣. راجع: GUILL. DE TYR, XIX, 8; REY, Col. Fr., p. 363; HAGENMEYER, An. Gesta Franc., p. 499, note 34; BLOCHET, ROL, III, p. 534 et suiv.; RÖHRICHT, Kön. Jer., p. 291.

[7] VAN BERCHEM, Journal asiat., 1902, I, p. 446.

أخرى، يشكل حصن الأكراد موقعاً متقدماً يهدد الطرقات في المنطقة الإسلامية. ولذا فإن سيد هذا الحصن كان يعتبر "شجاً في حلق المسلمين"[١].

(ص ٩٣) اتبع تيتوس عند قدومه من بيروت متوجهاً إلى الشمال، الطريق الممتدة من طرابلس إلى قلعة الحصن ورفنية. وزار بين عرقة ورفنية النبع السبتي الذي سمي على هذا النحو، حسبما أخبرنا جوزيفوس إلى كونه لا يتدفق غير مرة واحدة كل سبعة أيام[٢]. وعثر طومسون Thomson على نفس اللفظ في النهر السبتي الذي ينبع بالقرب من قلعة الحصن[٣]. واعتبره بلانش Blanche معادلاً لاسم شبطون Shebtoun أو شبطونا Shabtouna، المدينة المذكورة في النصوص المصرية المتعلقة بموقعة قادش[٤] التي سنتحدث عنها لاحقاً. ولعله من المعقول جداً أن شبطونا كانت قائمة في موقع حصن الأكراد[٥]. تعين لائحة بوتنجر Peutinger هذه الطريق من رفنية إلى أرطوسية، مروراً بكاريون Carion وديميترياس Démétrias والوتيروس (النهر الكبير)، الذي كان اجتيازه يتم دوماً على مقربة من قرية الشيخ عياش. وعليه يجب وضع ديميترياس وكاريون بين هذه النقطة ورفنية، وربما في تل كلخ وقلعة الحصن، ولكن هذا مجرد فرضية.

اتبع سير الحملة الصليبية الأول نفس هذا المسار[٦]. واقترح هاجنماير Hagenmeyer اعتبار وادي ديسيم Desem الواردة في مصنف Gesta francorum والحصن المجهول المجاور لها على أن الوادي هو وادي البقيعة والحصن هو حصن الأكراد[٧].

يمكننا أن نذكر كمواقع متقدمة على طريق حمص طرابلس، برج زارا[٨] Bourdj Zara، وتل كلخ[١]. ولجهة الغرب (ص ٩٤) كان وادي نهر الخليفة، الذي يشكل

---

[1] Hist. or., II, p. 263.

[2] JOSEPHE, de bello jud., VII, 5؛ سلك ناصر خسرو نفس الطريق: NASSIRI KHOSRAU, Sefer Nameh, trad. SCHEFER, p. 38

[3] ما يزال هذا النبع المعروف باسم فوارة الدير مقصد زيارات دينية؛ راجع: Rev. arch., 1897, I, p. 130 et suiv.; HONIGMANN, n° 401

[4] BLANCHE, Bulletin de l'Institut égyptien, 1874-75, p. 128

[5] على الرغم من اعتراض ماسبيرو، راجع: Rev. arch., 1897, I, p. 311 et suiv

[6] راجع لاحقاً ص ٩٩.

[7] HAGENMEYER, An. Gesta franc., p. 419; Chronol. n^{os} 345-348, 350-351. يؤيد هذا التعيين راوول دي كان: Raoul de Caen, c. 105.

[8] عينا موقعه بين قلعة الحصن وتل كلخ، راجع: Rev. arch., 1897, I, pl. VII, bis، Cité par RENAN, Mission de Phénicie, p. 126.

رافداً من جهة اليمين للنهر الكبير، مشهوراً في القرون الوسطى بخصوبته، وكان معروفاً باسم أرض الخليفة[٢] terre de Galife ou Calife، وكانت بيد الفرسان الاسبتالية الذين كانوا يملكون حصن الكراد ومرقط Margat. ولعله يجب البحث هناك عن مزرعة أيسلو[٣] Aieslo.

قد يكون البحث ضرورياً أيضاً في وادي النهر الكبير عن صنج[٤] Shandj بين عرقة وطرطوس، وعن سبيكلن Spiclin وبازيليسكوم Basiliscum على الطريق من طرطوس إلى طرابلس[٥]. سنرى لاحقاً أن سبيكلن قد تكون في موقع المنطار. وكنتيجة لما سبق، يجب البحث عن بازيليسكوم بالقرب من النهر الكبير، لأن عرقة هي المحطة التالية. والحال فإننا نجد على هذه الطريق، وبالتحديد قليلاً إلى شمالي النهر الكبير، موقعاً باسم تل بوصيصه Tell Bousisé، وهو موضع ملائم تماماً[٦]. وقد يكون هذا الاسم تحريفاً لاسم بازيليسكوم. إن طبيعة الساحل المغراقة في هذه المنطقة تجعل الطريق تنحرف إلى الداخل.

تذكر النقوش العربية في طرابلس أرزونية، وهي قلعة صغيرة تعود إلى أيام الحملات الصليبية، وتقع لجهة الشمال الشرقي لطرابلس[٧]، ورشعين[٨]، وهذا الموقع الأخير هو بداهة شرقي زغرتا مباشرة.

ثمة منطقة (canton) كثيفة السكان تهبط من منحدرات جبل عكار، وتمتد حتى النهر الكبير حول القبيات والسنديانة[٩] ومنجز.

---

1 G. E. POST, Palest. Expl. Fund, Quart. Statement, 1892, p. 328 et 1893, p. 36 et suiv. في الصفحة ٤٠ من هذا المرجع نجد خريطة لمنطقة عكار، ولقلعة الحصن، ولصافيتا.

2 Cart. Gén., I, p. 378 et 479; cf. RITTER, Erdkunde, XVII, p. 824 ; REY, Col. Fr. p. 364 ; RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 259 ; CLERMONT-GANNEAU, Recueil d'arch. Orient., II, p. 179.

3 Cart. Gén., I, p.479-480. يقترح راي (REY, Col. Fr.) إيلات إلى الشرق من عرقة.

4 IDRISI, p. 20; LE STRANGE, p. 536. لا يمكننا اعتماد تصحيح ناشري أبو شامة (ABOU SHAMA, Hist. or., IV, p. 487) الذي دفعهم إلى اعتبار صنج موقعاً اغتيل فيه أمير انطاكية في مؤامرة تمت محاولتها عند مغادرته لأنطاكية.

5 يرد في Itiner. Hieros.، بعد طرطوس: mut. Spiclin XII; mut. Basiliscum XII; mansion Arcas VIII. من الصعب القبول بفرضية هونيغمان: honigmann, n° 101

6 مسجل تل بصيصا Tell Bsaissa على خارطة راي.

7 CIA, IIe part., Syrie, 1re sect. (Sobernheim), p. 87 et suiv., 91.

8 المرجع السابق، ص ١١-١١٢.

9 تمثل السنديانة مزرعة Cendina super flumen. راجع: REY, Col. Fr., p. 365; RÖHRICHT, ZDPV, X, 257

(ص ٩٥) اكتشفنا بين الباردة ومنجز آثار معبد روماني، مستواه الفني بدائي، إنما حفظ فيه النمط المحلي لمهرة نحاتي الحجارة[١]، وسموه لنا باسم "مقام الرب".

وقليلاً إلى الشمال، تحققنا أن قلعة الفيليس Qalat el-Felis هي فيليسيوم الصليبيين[٢] Felicium des croisés، وأخبرونا في نفس الآن عن موقع أكون[٣] Akoun الذي من المحتمل أن يكون لاكوم Lacum، الموقع المباع مع فيليسيوم، إلى ريمون، كونت طرابلس، مقابل ألف دينار بيزنطي، وعن انتقال ملكية الإثنين مع حصن الأكراد إلى فرسان الاسبتالية[٤] سنة ١١٤٢.

بين القبيات وأكون Akoun، وبتحديد أدق، بين وادي عودين ووادي خالد، والاثنان يرفدان النهر الكبير لجهة اليسار، يقع جبل أكروم Akroum الممتد من الجنوب إلى الشمال. ولقد عثر فيه على نقش صخري بارز يمثل مشهد اصطياد سبع، اعتبره الأب رونزفال Ronzevalle، بالمقارنة مع النصب المجاورة في وادي بريصا، يعود إلى الحقبة التي خيم فيها نبوخذنصر في ربلة[٥].

٣- منطقة مريمين ورفنية

تمتد شمال قلعة الحصن منطقة خصبة مزروعة بكثافة، قممها شديدة الانحدار باتجاه حصن سليمان Hosn Soleiman الذي يمثل Baetocécé القديمة. إنه مركز ديني كبير (ص ٩٦) وقديم، خرائبه الهامة التي تعود إلى القرن الثاني من عصرنا تحافظ على تقاليد المعابد السامية[٦].

---

[1] Rev. arch., 1897, I, p. 308.

[2] هذا التعيين تم اقتراحه في: Rev. arch., 1897, I, pp. 308-309؛ وقبله لامنس في: Lammens, Revue de l'Orient Chrétien, 1899, p. 378؛ وكذلك روهريخت في: RÖHRICHT, Reg. add., n° 118. راجع حول الاكتشافات في هذا الموقع: Lammens, Musée Belge, IV, p. 279.

[3] مذكورة على خريطة هيئة الأركان، ١٩٢٠، غربي جبل الهرمل. يقرب روهريخت (RÖHRICHT, Gesch. Erst. Kreuzz., p. 77) بين لاكوم Lacum والأكمة el-Akma، وهذا ما يصححه درنبورغ (DERENBOURG, Vie d'Ousama, p. 76, n. 3)، بشكل خاطئ على ما نظن، بموقع علما el-Alma، بالقرب من طرابلس. وفي ميسر (MUYASSAR, Annales d'Egypte, edit. MASSÉ) نجد حصن الأكمة؛ راجع (WIET, Journal asia., 1921, II, p. 111) الذي يبدو قابلاً بتصحيح درنوبرغ.

[4] RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 259. Cart. Gén., I, p. 117; REY, Col. Fr., p.366;

[5] RONZEVALLE, Rev. Bibl., 1903, p. 600 et Notes, p. 236.

[6] F. WALPOLE, The Ansayrii and the Assassins, III, (Londres, 1851), p. 319-320; RITTER, Erdkunde, XVII, p. 962-964; THOMSON, Bibliotheca sacra, V, p. 246; WADDINGTON, Inscript. Gr. et lat. de Syrie, n° 2720 a; CIL, III, 184 et 1225; S. JESSUP, Palest. Expl. Fund., Quart. Stat., 1874, p. 197; REY, Archiv. Des missions scient. Et litt., nouvelle série, III, p. 336 et suiv. (cf. Bullet. de la Soc. de Géog. de

تنخفض التلال في جهة رفنية. وتشكل المشتى حالياً، وهي بلدة كبرى، مركز هذه المنطقة. وتمر الطريق إليها، انطلاقاً من قلعة الحصن، في مرمريتا وحبنمرا. والحال فإنه ورد في صك هبة[١] ذكر ثلاث مزارع قائمة في منطقة الجمال Chamelle (إيميس Emèse، أي حمص اليوم): مامونيزا[٢] Marmoniza إربنمبرا Erbnambra وليبيزار[٣] Lebaizar. تطابق المزرعة الأولى والثانية بلدتينا المجاورتين، مرمريتا وحبنمرا.

وبعد قليل باتجاه الشمال وجدنا بين حبنمرا والمشتى موقع بيت سيده Beit-Saidé الذي قد يطابق بتسيديون Bethsedion، هذا إذا لم يكن من الأفضل البحث عن هذا الموقع في جوار طرابلس.

ثمة نص لفض نزاع كان قائماً بين فرسان الداوية Templiers في الحصن الأبيض Chastel-Blanc (صافيتا) وفرسان الاسبتالية في حصن الأكراد يزودنا بأسماء مجموعة من المواقع[٤]: نال فرسان الاسبتالية حصن العيون[٥] (حصن فونتين château des Fonteines) وقريتي(ص ٩٧) مسقية[٦] Mesquie وتيريس[٧] Teres وكذلك مزرعة

Paris, juin 1866 et avril 1873) et dans JOANNE, Syrie, p. 684 et suiv, ; R. DUSSAUD, Revue archéol., 1897, I, p. 319 ; FOSSEY et PERDRIZET, Bull. corr. Hell., 1897, p. 580 ; LUCAS, Bys. Zeitschrift, XIV, p. 21 ; PUSCHTEIN, Jahrbuch D. Arch. I nstituts, 1902, p. 135 (grand autel date de 122 ap. J.-C.); HONIGMANN, n° 90.

[1] Cart. Gén. I, p. 400.

[2] يقترح روهريخت (RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 261) موقع الحمرا، شرقي حمص؛ راجع: Revue archéol., 1897, I, p. 313.

[3] يقترح روهريخت (المرجع السابق) تل بيسه بين حمص والرستن، وهذا غير مقبول. أما المطابقة بين إربنمبرا وحبنمرا Habbnimra فقد اقترحها لامنس: H. LAMMENS, Revue de l'Orient Chrétien, 1899, p. 5 du triage à part.

[4] RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 260.

[5] عينها راي (REY, Col. Fr., p. 366) في بلدة العيون بالقرب من المشتى شمالي حصن الأكراد.

[6] لم يعين موقعها راي (REY, Col. Fr., p. 369)، ولا روهريخت (RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 260). واقترحنا لها عين المسقا غربي صافيتا (Revue archéol., 1897,I, p. 26)؛ ولكنه من الأفضل، بما أن ذلك ممكن، إيجاد هذه المواقع في نفس المنطقة التي هي موضوع النزاع. ولهذا نقترح الآن بسماقية Bismaqiyé (في الأصل بيت سماقية Bet-Soummaqiyé) أو في جوار سيموقه Sémouqa (خريطة هيئة الأركان، ١٩٢٠) وهاتان لفظتان يجب التأكد منهما. نجد في موقع أبعد بقليل مسقية Mesquie بشكل أصح وهو سماقية Somaqié.

[7] اقترحنا بتيريش Bteresh، شرقي صافيتا (Revue archéol., 1897,I, p. 26) إنما للسبب نفسه نعتمد تيريز Terez (خريطة هيئة الأركان، ١٩٢٠) شمال شرق المشتى.

أزور[١] Asor؛ بينما حصل الداوية على مزرعة جنين[٢] Genenn وروزيميا[٣] Reusemeia وقرية بيتير[٤] Betire في جوار وادي أزير[٥] Asir.

تقع شمال المشتى، على بعد خمس ساعات سيراً على الأقدام، خرائب مريمين Mariamin حيث اقترحنا وجود خرائب مريام Mariamme التي قد تعود في قدمها إلى الألف الثاني ق.م.، فيما لو استطعنا مطابقتها مع مريامون Meriamon المذكورة في النصوص المصرية المتعلقة بقادش Qadesh. كانت هذه البلدة الحدودية للأرواديين في زمن الفينيقيين، تشكل مركز مراقبة هام جداَ لكونها تشرف على وادي العاصي بين حمص وحماة. كما كانت مركزاً اسقفياً في الحقبة المسيحية[٦]. إن بلين Pline الذي كان (ص ٩٨) مطلعاً بشكل وافٍ على هذه المنطقة، لأنه الوحيد الذي ذكر لنا النصيريين Nosaïris باسم النزريين[٧] Nazerini، يذكر شعب المريميين[٨] Mariamitani. يضع بلين في نفس المنطقة أيضاً tetrachiam quae Mannisea appellatur، التي لم نخطء باعتبارها ماموغا Mamuga التي ذكرها بطليموس في نفس الآن مع مريام[٩] Mriame والتي لم نحدد موقعها بعد.

على مسافة أقل من ساعتين من مريمين نصل إلى بارين Barin (بعرين) ورفنية. وسبق أن رأينا أن هذه الأخيرة تقع على الطريق المباشر الذي يصل طرابلس

---

[1] على الأرجح حزور Hazour (خريطة هيئة الأركان، ١٩٢٠) شمالي تيريز؛ وسبق للأب لامنس (,LAMMENS Musée Belge, IV, p. 287) أن اقترح هذا التعيين الذي يحدد خربة حزور Khirbet Hazzour، وأيضاً فإن خريطة هيئة الأركان (١٩٢٠) تحمل اسم حاصور Hssour (للتحقق من اللفظ) جنوبي بيتاري Bétare: يذكر Blanckenhorn حذور: Hadhour.

[2] جنين، شرقي تيريز.

[3] هي نبع على الأرجح: راس الميا

[4] تم تعيينها خطأً مع بتيريه Bterié في منطقة صافيتا، ويجب أن تلفظ بتيريش Bteresh: .Revue archéol., ibid ونجد بتير Betire في بتاريه Betaré (خريطة هيئة الأركان، ١٩٢٠) جنوب شرقي تريز.

[5] يجب البحث عنها في نفس المنطقة.

[6] STEPH. BYZ.; لقد أكد Revue archéol., 1897,I, p. 311 et 314-317 avec la bibliographie؛ تعليمات أريين Arrien. في العام ٢٩٨ ميلادي استشهد القديس جولاس في هليوبوليس- بعلبك، ونقل جثمانه إلى مريمين حيث أقيمت له كنيسة صغيرة. راجع: Chron. Paschale, éd. De Bonn, p. 513. عثرنا على هذا الموقع منذ أربع سنوات، وذلك عندما نصح مارتن هارتمن (Martin Hartmann, ZDPV, XXIII, p. 27; cf. ibid, p. 126) بالبحث عنه للبعثة الألمانية التي كانت تعمل في بعلبك. راجع أيضاً: Comptes rendus Acad. Des Inscript., 1925, p. 246، حيث أكدنا مطابقة مدينة رعمسيس بمريمين، بناءً على ملاحظات كيونتز Kuentz واقترحنا أن نحدد وادي شجرة الأش Ash بوادي إلوتيروس (النهر الكبير).

[7] راجع مؤلفنا حول النصيريين، Histoire et Religion des Nosaïris, p. 14 et 17.

[8] PINE, Hist. Nat., V, 23, 12

[9] PTOLÉMÉE, V, 14, 12. Boecking a corrigé la Cohors tertia Marmantarum de Not. Dign., I, p. 394 en Mariammarum.

بحماة، مروراً بعرقة والنبع السبتي. تشير لائحة بوتنجر إلى طريق تنطلق من رفنية وتتوجه إلى أنتارادوس Antarados (طرطوس)، مروراً بجمورة Jammura أي قلعة يحمور.

ومن هنا الأهمية الإستراتيجية لرفنية وبعرين، كقلعة أو معسكر محصن مجاور. ولقد عسكر فيها، في الحقبة الرومانية، الفيلق الثاني عشر قبل أن يتوجه إلى ميليتين[١] Mélitène، كما عسكر فيها الفيلق السادس كما تؤكد شاهدة قبر لاتينية. ولكن هذه الشاهدة تحمل اسم فرّاتا Ferrata، وقد تساءلنا ما إذا كان اسم مون فرّاندوس Mons Ferrandus المعطى لبارين (بعرين) مشتقاً منها[٢]. بيد أن هذا مجرد فرضية، ولكن الشك فيها يجب أن لا يصل إلى موضوع تحديد المواقع. إن موقع رافانيه Raphanée ليس عرضة للشك، ذلك أن الخرائب ما زالت تحمل اسم رفنية[٣] Rafniyé. وكان أبو الفدا يكتبها رافانية، وكان يعلم أن هذه المدينة قديمة وكانت مشهورة في التاريخ[٤]. وتؤكد عملاتها العائدة للحقبة اليونانية- الرومانية الأهمية التي (ص ٩٩) نالتها العبادات السورية في هذه المدينة[٥]، وذلك قبل دخول المسيحية إليها وجعلها أسقفية.

وفيها توقف الصليبيون الأوائل، كما جاء في Gesta Francorum: "pervenimus ad quondam civitatem pulcherrimam et omnibus bonis refertam, in quadam valle nomine Rephaliam". وذكر هاجنماير أن هناك مخطوط واحد[٦] ورد فيه النص الجيد، رافاليا Raphalia، أي رفنية، وليس كيفاليا Kephalia.

إن موقع بارين (بعرين) ليس موضع شك، لأن أبي الفدا يقول لنا أنها تقع على مقربة من خرائب رفنية، وبالنسبة لمطابقة بارين (بعرين) مع مون فران Montferrand فإن الناشرين الأوائل لمصنف المؤرخين الغربيين للحملات الصليبية

[1] JOSEPHE, B. J., VII, 5, 1.
[2] Revue archéol., 1897, I, p. 318.
[3] نشدد على هذا الأمر لنبدد الشكوك التي أطلقها شابو: CHAPOT, La frontière de l' Euphrate, p. 75
[4] ABOULFEDA, p. 259; LE STRANGE, Palestine, p. 420
[5] W. WROTH, Brit. Mus. Cat., Syria, pp.LXX et 267; cf. non Notes de Mythologie syrienne, p. 48 et 116
[6] يفرض سير الحملة هذه المطابقة التي يؤكها RAOUL DE CAEN, Hist. Occ., III, p. 105. راجع: HAGENMEYER, An. Gesta Franc., p. 418.

اعتبروا منذ زمن طويل أنها تفرض نفسها بمجرد المقاربة بين المصادر اللاتينية والمصادر العربية التي تروي نفس الحوادث[١].

عزا أبو الفدا بناء بعرين إلى الفرنجة، وذلك منذ بداية فترة احتلالهم. وحسب ما سبق وذكرناه، يبدو أنهم استعملوا معسكراً رومانياً قديماً. ومن هذا الموقع، كانوا يهددون مدينة حماة مما حدا بالملك المظفر، أمير حماة، للاستيلاء على بعرين سنة ٦٣٦ هجرية (١٢٣٨-١٢٣٩)، وهدم القلعة التي لم تعد قائمة منذ حينه[٢].

(ص ١٠٠) لنذكر بعض المواقع المجاورة. تقع مردابش Mardabech، على الأرجح، في منطقة رفنية أو قلعة الحصن[٣].

يجدر بنا البحث عن السماقية La Somaquié في منطقة بعرين، لا في أنحاء عرقة كما فعل روهريخت[٤]. يظهر اسم هذه القرية بمناسبة حملة ١٢٣٣ التي شنت كعقاب لأمير حماة لرفضه دفع الجزية لفرسان الاسبتالية، وهي التي سببت هجوماً مضاداً قاسياً بعد خمس سنوات. لقد سار الفرنجة المتجمعون في البقيعة ليلة كاملة ليصلوا إلى مون فران (بعرين). ومن هناك توجهوا إلى مريمين التي نهبوها ليومين متتاليين؛ ثم رجعوا إلى بعرين ومنها إلى السماقية، وعادوا بعدها إلى البقيعة. دامت هذه الحملة ثمانية أيام فقط، مما يدفع إلى استنتاج أن كل هذه المواقع متقاربة من بعضها البعض.

يبدو أن هـذه المنطقـة الجبلية تطابق جبـل الجليل الذي حدد ياقوت موقعه شرقـي حمص، حيث يموضع قريـة سحر Sahr؛ وقـد عيّـن فـيهـا اسطورة

---

[1] Hist. occ., I, p. xxxv. راجع حول حوادث ١١٣٧: GUILL. DE TYR, XIV, 25; “in finibus Tripolitanis supra civitatem Raphaniam, in monte situm praesidium, cui nomen Monsferrandus”. حول بارين التي تلفظ أيضاً بعرين، راجع: LE STRANGE, Palestine, p. 420; M. HARTMANN, ZDPV, XXIII, p. 26; R. DUSSAUD, Revue archéol., 1897,I, p. 317; H. LAMMENS, Musée Belge, IV, p. 289 et suiv.; R. HARTMANN, ZDMG, 1916, p. 35. نصوص يونانية في: CLERMONT-GANNEAU, Rec. arch. Or., I, p. 23. وفي Hist. or., IV, p. 461، يجب أن نقرأ بعرين Bârîn بدل بريزين Bârizîn غير المعروفة.

[2] MAQRIZI, trad. BLOCHET, ROL, X, p. 304; cf. p. 252 et 265; cf. RÖHRICHT, Kön. Jer., p. 830, n. 3. يخبرنا أبو الفدا (مرجع سابق)، وفيما بعد HADJI KHALIFA, trad. BLOCHET, ROL, X, p. 252، أنه في زمنهما هدمت قلعة بعرين التي بناها الفرنجة.

[3] REY, Col. Fr., p. 368; RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 259. يمكننا التفكير، إذا ما اتجهنا قليلاً إلى الشمال، بموقع مرداش Maradesh الواقع علىالمنحدر الشرقي لجبال النصيرية.

[4] يقترح روهريخت، RÖHRICHT, Kön. Jer., p. 830، السماقية es-Semakiyat غربي الشيخ محمد. ولكنه بالأحرى الموقع المحدد باسم خربة السماقية Khirbet el-Bismakiyé على خريطة هيئة الأركان (١٩٢٠)، غرب المشتى، والذي هو موضع الجدل أعلاه.

الطوفان[١]. نعثر فعلاً على قرية باسم سحاره Sahara في محيط حصن الأكراد[٢]، إنما من غير الممكن مطابقتها مع سحر. وعلينا تحديد مكان حصن الجليل الذي ذكره خليل الظاهري في نفس المنطقة[٣].

قد يكون حصن الوادي[٤] هو وادي خالد، وهو خرائب تقع على نهر يحمل نفس الاسم، على طريق تتجه غرباً انطلاقاً من تل النبي مند.

ذُكرت أفنون Afnoun بين بعرين وحماة[٥]. أما توبان[٦] Touban، (ص ١٠١) توبانيا الفرنجة[٧] Tubania des Francs، ليست على الأرجح ببعيدة، والموقع الذي حدده لها راي على خريطته جنوبي شرق مريمين هو الأكثر احتمالاً بالرغم من اعتراضات روهريخت[٨].

علينا الآن الشروع بدراسة معقدة للمعلومات التي يقدمها عن هذه المنطقة أقدم الجغرافيين العرب، أبن خرداذبه، الذي دون ما كتبه حوالي العام ٨٦٤ من عصرنا. إذا ما قارنا، أولاً، البلدات والمناطق التي ألحقها بحمص[٩]، مع لائحة جورج القبرصي العائدة إلى بداية القرن السابع، لاستنتجنا تغييراً في التنظيم السياسي. لقد أصبحت حمص في وسط ولاية لا تضم المنطقة المجاورة فحسب أو فينيقيا اللبنانية وقد اقتطع منها ما يعود إلى دمشق التي أصبحت مركز ولاية، إنما أيضاً فينيقيا البحرية، ومقاطعة تيودورياس Theodorias التي اقتطعت سنة ٥٢٨ من ولاية أنطاكية مع اللاذقية وبالتوس Paltos وبلانة Balanée وجبلة[١٠]، ومقاطعة أفاميا

---

1 YAQOUT, Modjam, II, p. 100; LE STRANGE, p. 77.

2 CIA, II^e partie, Syrie, 1^re sect. (SOBERNHEIM), p. 35.

3 Zoubda, éd. RAVAISSE, p. 48.

4 CIA, ibid., p. 3.

5 BLOCHET, ROL, X, p. 266, n. 3.

6 YAQOUT, III, p. 556; LE STRANGE, p. 546 ; Hist. Or., I, p. 212.

7 Cart. Gén., I, p. 397 et p. 406-407.

8 REY, Col. Fr., p. 375. اعتراضات روهريخت: RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 258. تذكر خريطة هيئة الأركان (١٩٢٠) تل توباف Tell Toubav، وهذا على الأرجح خطأ في طباعة الأسم. أما كيبرت Kiepert فيذكر توباد Toubad.

9 Édition DE GOEJE, p. 76 et trad. P. 55.

10 H. GELZER, Georgii Cyprii description orbis romani, p. XII. راجع حول المحاولات العربية لتنظيم أقاليم سورية بعد الفتح: H. LAMMENS, Le Califat de Yazid, I, p. 441 et suiv. (Mél. Faculté Orient., VI, p. 436 et suiv.)

أي الرستن Aréthuse وإبيفانيا Epiphanie (حماة)، ولاريسا Larissa (شيزر)، ومريمين وسلوقية بالس Seleucobelus ورفنية.

إذا كانت أسماء المدن البحرية في لائحة ابن خرداذبه لم تتغير، فقد تعدلت أسماء المقاطعات في الداخل- على الأقل الأسماء الرسمية التي يقدمها الكاتب. ولا يعود ذلك إلى مجرد وضع تنظيم جديد، بل إلى توطين شعوب غريبة دخلت إلى المنطقة إثر الفتح العربي. وعلى كل حال، نحن نعلم استناداً إلى اليعقوبي أن عدداً كبيراً من القبائل العربية أقامت آنذاك في البلاد. غير أن الكثير من هذه الأسماء (ص ١٠٢) الجديدة لم يتم الاحتفاظ به، وهذا ما يفسر الصعوبات التي تعترضنا في تحديد مواقعها على الأرض.

بعد أن عدد المدن الساحلية التابعة لحمص، ذكر هذا الجغرافي: قصيرة[١] Qasira، السقي es-Saqy، جرطابا[٢] Djarthaba، الحوليه el-Houlé، عجلو ʻAdjlou أو عملو[٣] ʻAmlou، زندل Zandal أو زندك[٤] Zandak والأصح زيدل Zeidal، وإلا نكون إزاء الموقع الذي يحمل نفس الاسم في شرقي حمص[٥]، قبراطه[٦] Qabrata. سنركز على اثنين من هذه الأسماء.

أكد لنا سكان مريمين، سنة ١٨٩٦، أن هذه المدينة كانت تحمل قديماً اسم ماردين السقي Mardin es-Saqi. لم نعطِ حينذاك لهذه المعلومة أهمية كبيرة، إنما قد تبدو صحيحة وتدفعنا إلى مطابقة السقي التي ذكرها ابن خرداذبه مع مريمين. وقد ذكر ياقوت أيضاً السقي، وهو على ما يبدو لا يعلم أين تقع، غير أنه وجدها مذكورة في تاريخ دمشق، فافترض أنها غير بعيدة عن هذه المدينة[٧].

---

[1] يقول ابن الفقيه الحمداني كسيره Kasira (IBN AL-FAQIH AL-HAMADHANI, éd. De GOEJE, p. 111). أما هارتمان فيشير في السلنامه Salnamé إلى قرية قصيرية Qasiriyé دون أن يتمكن من تحديد موقعها: MARTIN HARTMANN, ZDPV, XXIII, p. 10. لقد تعرفنا على كصريا غربي مريمين، استناداً إلى خريطة هيئة الأركان (١٩٢٠)، ولكننا لا نجرؤ على تأكيد هذا التعيين.

[2] يذكر الحمداني (المرجع السابق) باب حبنا porte Habna.

[3] وردت الصيغة الثانية في الحمداني، المرجع السابق.

[4] ثمة صيغ أخرى في الحمداني (المرجع السابق)، وفي هارتمان Hartmann (مرجع سابق، ص ١٦٤)، ثمة اقتراح بجعلها بعرين.

[5] HARTMANN, ZDPV, XXIII, p. 6, nº 44.

[6] يقرأها هارتمان (المرجع السابق، ص ١٦٤) قيراطا Qirata.

[7] YAQOUT, III, p. 105; LE STRANGE, Palestine, p. 528. يقول هارتمان (المرجع السابق، ص ١٦٣)، وهو على خطأ، أن أحداً غير خرداذبه لم يذكر السقي.

الاسم الثاني الذي يمكن تحديده هو موقع الحوليه الذي ما يزال تابعاً حسب ما ذكر الرحالة[١] للمنطقة الممتدة مباشرة شرق جبال (ص ١٠٣) النصيرية وجنوب غربي حماة. لقد أكد ياقوت هذا الممر: من بين مدينتي الحولة في سورية، يقول: "واحدة تشكل جزءاً من مقاطعة حمص، وبتحديد أكثر، من مقاطعات بعرين، بين حمص وطرابلس"[٢]. هناك قرية على بعد عدة كلمترات شمال تاليف تحمل اسم بوز الحولة.

٤ - منطقة حمص Emésène

لم يرد ذكر حِمص Hims, Emèse، التي تلفظ حالياً حُمص Homs، قبل الحقبة الرومانية، على الأقل تحت هذا الاسم. يجب أن نعثر عليها بين أسماء المدن التي بناها في سورية سلوكوس نيكاتور Seleucus Nicator، أو بين تلك التي تنسب إليها أسماء يونانية: سيلوس Séleucie، لاذقية Laodicée، أفاميا Apamée، انطاكية Antioche، ثم بيرويا Brrhoea، أوديسا Edesse، بيرنت Périnthe، مارونيه Maronée، كاليبوليس Kallipolis، أشايا Achaia، بلّلا Pella، أوروبوس Oropos، أمفيبوليس Amphipolis، أريتوز Arétuse، أستاكوس Astakos، تيجيه Tégée، خلقيس Chalcis، لاريسا Larissa، هرايا Heraia، أبولونيا[٣] Apollonia؛ ولكن لا توجد حتى الآن دلائل تسمح بالاختيار.

أكد الدمشقي، وهو على العموم جيد الاطلاع على المسائل القديمة، أن الاسم القديم كان سورية[٤] Souriya. إنما لا نملك أي تأكيد، وبين الأسماء القديمة التي تركت دون تحديد لموقعها نقترح، ظرفياً ومؤقتاً، أن نقربها من ختاريكا Khatarika، أي حدراك[٥] Hadrak.

---

[1] نخص منهم فون كريمر، VON KREMER, Mittelsyrien und Damascus, 1853, p. 227، الذي يذكر، في مقاطعة الحوليه، بعرين وتلف Talaf (بدقة أكبر تاليف Tallif) وتل ضو Tell Dau، والقريتان الأخيرتان على طريق حماة طرابلس. ولعله أن المحتمل أن تكون مقاطعة المشتى غربي بعرين تعود باسمها الحالي "الحلو" (اللذيذ) إلى نوع من نباة الحولة طيب الرائحة، او تورية في لفظ الحولة (البلد المنخفض).

[2] YAQOUT, II, p. 366. لا يقدم لي سترانج، LE STRANGE, p. 455، النص بالدقة المطلوبة. ومن هنا نعتقد أنه لا يمكن الأخذ بطرح هارتمن (المرجع السابق، ص ١٦٤) الذي يربط الأمر بمنطقة فوركلوس Fourqlous أو بيت بروكليس Bet Proclis.

[3] APPIEN, de Bell. Syr., LVII.

[4] DIMASHQI, p. 202; LE STRANGE, p 356; IBN ESH-SHINA, p. 270.

[5] راجع لاحقاً.

بعد ازدهارها في ظل سلالة سمسيغرام العربية[١] Sampsigeram، أصبحت حمص رومانية تحت حكم دوميتيان Domitin، وبدأت بصك العملة تحت حكم أنطونين التقي[٢] Antonin le Pieux، وحازت (ص ١٠٤) على مرتبة هامة عندما حكمها الشاب إلاغابال Elagabal، كبير كهنة معبد الشمس، وذلك سنة ٢١٧ ق.م.[٣].

استسلمت حمص دون مقاومة تذكر للقائد العربي خالد بن الوليد، وقد دُفن فيها. ويذكرها اليعقوبي في القرن التاسع، والمقدسي في القرن الذي يليه، كواحدة من أكبر مدن سورية[٤]. مرت الحملة الصليبية الأولى بعيداً عن المدينة، والفرنجة الذين لم يستولوا عليها أبداً[٥] سموها منطقة الجمال[٦] la Chamelle.

إذا كانت حمص تطغى على كل المدن المجاورة لها في المرحلة الرومانية، فإن الأمر لم يكن كذلك في الألفية الثانية قبل الميلاد. كانت المنطقة تحوي عدة مدن هامة، أبرزها قادش Qadesh التي استولى عليها الحثيون في عهد رعمسيس الثاني[٧]، ولكن اسمها السامي تماماً يعود إلى حقبة اقدم، ويجب (ص ١٠٥) على الأرجح رده إلى الأموريين. يرد اسم قادش في لوائح تل العمارنة بأشكال متنوعة:

---

[1] SCHÜRER, Gesch., I, p. 557 n. 2. يقول ابن بطوطة، IBN BATOUTA, I, p. 141 (LE STRANGE, p. 375)، أن سكانها من سلالة عربية ممتازة.

[2] W. WROTH, Brit. Mus. Cat., Syria, p. LXIV. ينسب ديودونيه، DIEUDONNÉ, Emèse, Rev. Num., 1906, p. 132، إلى حمص عملات تنسب عادة إلى هيليوبوليس؛ راجع أيضاً: L'aigle d'Antioche et les ateliers de Tyr et d'Emèse, Rev. Num., 1909, p. 458

[3] BENZINGER, dans PAULY-WISSOWA, Realenc. S. Emesa; HONIGMANN, n° 205; LENORMANT, dans Dict. Des. Ant. De SAGLIO, s. Elagabalus ; Wadd., nos 2576-2570 ; JULLIEN, Sinaï et Syrie, p. 186 et suiv. ;SACHAU, Reise in Syrien, p. 62 et suiv. ; R. DUSSAUD, Rev. Arch., 1897, I, p. 351 ; VAN BERCHEM, Voyage, I, P. 164 et suiv.; VON DOMASZEWSKI, Die politisce Bedeutung der Religion von Emesa, dans Archiv für Religionswissench., 1908, p. 223.

[4] راجع حول المرحلة المسيحية: LECLERQ, Dict. D'archéol. Chrét. Et de liturgie, s. Emésène؛ وحول المرحلة الإسلامية: SOBERNHEIM, Encycl. De l'Islam, s. Hims et LE STRANGE, p. 353-357.

[5] HAGENMEYER, An. Gesta Franc., p. 422 note 43

[6] يقول غليوم الصوري، GUILL. DE TYR, VII, 14; XXI, 6: "Emissa quae vulgo Camela dicitur". تعني عبارة vulgo أن كلمة Camela مأخوذة من اللفظة العربية حمص. إن ترجمة الحرف الحلقي ح بالحرف اللاتيني c شائع جداً، مثلاً كلب (Calep) تصبح حلب (Haleb). إن إضافة حرف (l ل) إلى اللفظ المحلي غرضه إيجاد لفظة وكأنها خاصة بالمنطقة. وحول إضافة الحرف (l ل) راجع أدناه كفرسقل Cafarsquel، كفرسكل Cafaracel، مقابل كفرعقا Kafr 'Aqa. وربما لم يكن هذا الحرف (l ل) يُلفظ في البداية، أو كان لفظه مخففاً جداً، وهذا ما يفسر وجوده في كلمة أميرال amiral، ترجمة لكلمة أمير amir.

[7] من الخطأ، على ما نظن، اعتبار قادش هذه هي نفسها الواردة في سفر صموئيل الثاني، ٢٤، ٦؛ يصحح (J. HALEVY, Mélanges de crit. Et d'hist., p. 31-32; MASPERO, Hist. anc., II, p. 731, note 2) استناداً إلى (LXX). إن المسار المتبع الذي ينطلق من الجنوب، من قادش إلى دان Dan، يثبت أن قادش المقصودة هي قادش نفتالي Nephtali، وليست قادش التي تعنينا هنا.

رده إلى الأموريين. يرد اسم قادش في لوائح تل العمارنة بأشكال متنوعة: كيدشي Kidshi، كيدشا Kidsha، غيزا Gizza، كينزا[١] Kinza.

لقد دارت بالقرب من هذه المدينة المعركة المشهورة بين الحثيين ورعمسيس الثاني، والتي ذكرتها النصوص الرسمية للفرعون، كما وردت أيضاً في قصيدة بنتاور[٢] Pentaour.

لا يشك علماء الآثار المصريون بأن الفرعون نزل مع جيشه من الوادي العالي لنهر العاصي وتجاوز قادش دون أن يهتم بالاستيلاء عليها أو الحصول على اعترافها به. ويفسر بريستد، بعد استشارة خبير عسكري إنكليزي، هذا الوضع بافتراضه أن جيش الحثيين كان مختبئاً خلف التل الذي تقوم عليه المدينة[٣]. إنما لهذا التفسير خطأ واحد، وهو عدم وجود الارتفاع المطلوب في التل، كما برهنت تنقيبات بيزار Pézard. يبدو لنا أنه يُنسب مجاناً إلى رعمسيس وقادته خطة عسكرية طفولية. كان من الممكن تفسير الوضع بشكل أفضل، لو استطعنا القول أن فرعون سلك خط الساحل: أولاً موقع المعركة الذي وصل إليه الفرعون بعد استطلاع متهور بالتأكيد، لأنه كان على وشك الوقوع في كمين، ولكن ليس في زحف غير منطقي. لأنه إذا كان يريد الوصول إلى الشمال، عليه التوجه شرق بحيرة حمص، لا إلى المنطقة الوعرة والمحفوفة بالمخاطر لجهة الغرب، إلى هذا الوعر Wa‘r المشهور الذي لا يمكن لجيش عديده كبير أن يسلكه.

بينما كان الجيش المصري، الآتي برأينا عن (ص ١٠٦) طريق الساحل، معسكراً جنوبي شبطونا، أي قلعة الحصن، كما ذكره بدقة بلانش[٤] Blanche، تقدم رعمسيس الثاني مع طليعة من جيشه ليستطلع قادش. دارت المعركة شمال غربي المدينة. إذاً سلك الفرعون طريقاً بقيت خرائط خطوط السير تعينها حتى في أيام سلاطين

---

[1] WEBER, dans KNUDZTON, Die El-Amarna Tafeln, p. 1118 et suiv.

[2] ثمة سرد بكل الملابسات، والمراجع في: MASPERO, Hist. anc., II, p. 320 et suiv.

[3] يقدم بريستد، BREASTED, The Battle of Kadesh، دراسة مفصلة للغاية اختصرها بعناية (A. MORET, Des Clans aux Empires, p. 362)، ونجدها موجزة من قبل بريستد نفسه في: Cambridge Ancient History, II, 1924, P. 142. لعل الصعوبات التي تعترضنا في شرح هذه المعركة يتم تجاوزها في الإصدار الناقد للنصوص المصرية المتعلق بهذه الموقعة الشهيرة، والذي يعده كيونتز M. KUENTZ.

[4] راجع سابقاً ص ٩٣ (في النص الفرنسي)

المماليك[١]: طرابلس، عرقة[٢]، العشرة[٣] ، أقمار[٤]، قدس، لتلتقي في شمسين الطريق المحاذية لوادي العاصي من الجنوب إلى الشمال. تثبت هذه الطريق موقع قادش جنوبي بحيرة حمص، وسُميت لزمن طويل بحيرة قادش، وبالعربية قدس، وهذا تقليد يؤكد قدم أهمية هذه المدينة. يقول ياقوت: "قدس بلد بالشام، قرب حمص، من فتوح شرحبيل بن حسنة. وإليه تضاف بحيرة قدس، وقد ذكرت في موضعها"[٥]. ولقد أشار غودفروا ديمومبين Gaudefroy-Demombynes إلى اللبس الذي وقع فيه ياقوت هنا، بين قدس قرب حمص وقدس نفتالي[٦].

يتم تأكيد موقع قادش جنوبي البحيرة من خلال العقد (ص ١٠٧) الذي بواسطته تنازل ريمون الثاني، كونت طرابلس، عن حصن الأكراد لصالح فرسان الاسبتالية مع حق الصيد[٧]: "in piscaria Chamele (Emése) a Chades usque ad Resclausam". وهكذا فإن البحيرة قد حددت من طرف لآخر، لأن Resclause ليست غير السد الواقع شمالي شرق البحيرة.

1 QUATREMÈRE, Hist. des sultans mamlouks, II, 2, p. 92 (note) ; R. HARTMANN, ZDMG, 1916, p. 495-496. سلك الأمير قراجا نفس الخط خلال عودته من حملة على طرابلس متوجهاً إلى دمشق، حيث توفي في قدس التابعة لحمص، في ٢١ تشرين الثاني ١٢٠٧. تم استقاء هذه المعلومات من النقوش المحفورة على قبر هذا الأمير في دمشق، راجع: SAUVAIRE, Descript. De Damas, II, p. 157. وهذه الطريق قديمة كما تشهد على ذلك نصب علامات المسافات؛ راجع: R. CAGNAT, C. R. Acad., 1922, p. 31

2 استناداً إلى هارتمان (المرجع السابق) هناك قبل عرقة جسر، وهو الجسر الواقع على نهر البارد، والمسمى جسر أرطوسية في رحلة قايتباي.

3 هي قرية الشعرة Sha‘ra، التي عينها هارتمان، والواقعة شمالي جسر النهر الكبير؛ راجع: VAN BERCHEM, Voyage, I, p. 41 et II, p. 9.

4 يبقى هذا الاسم مرتبطاً بجسر قمار، وهو ربما تحوير حديث له. ولقد فات فان برشم (VAN BERCHEM, Voyage, I, p. 46) تحديد موقعه على خريطته. وهو جسر القمر el-Qamar على خريطة لبنان لعام ١٨٦٠.

5 YAQOUT, IV, p. 39؛ راجع: ياقوت YAQIUT, I, p. 516، وأبي الفدا ABOULFEDA, p. 40؛ LE STRANGE, Palest., pp. 69-70؛ BLOCHET, ROL, IX, p. 37. وفي الحقيقة فإن قدس هي على مسافة من البحيرة. إن عماد الدين، أبي شامة (‘IMAD ed-din, dans Abou Shama, Hist. or., IV, p. 351)، على صواب بتعيين هذه المحلة على ضفاف العاصي، ولا مجال هنا للتصحيح.

6 La Syrie, p. 20, note 4.

7 Cart. Gén., I, p. 117; REY, Col. Fr., p. 371 (voir errata); RÖHRICHT, ZDPV, X, p. 259. يروي المفضل (MOUFAZZAL, trad. BLOCHET, Patrol. Orient., XIV, p. 376 et suiv.) أن بيبرس استولى سنة ٦٧١ هجرية على عشرة مراكب للصيادين في بحيرة قدس، ونقلها إلى الفرات حيث لعبت دوراً في الهجوم على البيرة Birah.

عندما زار طومسون Thomson، سنة ١٨٤٦، المنطقة واكتشف جنوبي البحيرة التل الاصطناعي المسمى تل النبي مند[١]، وعلى قمته بلدة صغيرة ومعبد يمتد منه النظر ليشرف على كل البقعة، حدد فيها بدقة متناهية قادش القديمة[٢]. إن الأعمدة والأسوار المتعددة التي تعود إلى الحقبة الرومانية والواقعة على سفح التل تدل على أن المدينة كانت مزدهرة لزمن طويل، وعلى الأرجح تحت اسم لاذقية لبنان[٣]. لقد بدا له الموقع ممتداً بين فرعي نهر العاصي المتصلان ببعضهما بواسطة قناة.

أكد كوندر Conder وجهة نظر طومسون[٤]؛ ولكن تومكنز Tomkins أدلى بفكرة تقول بضرورة البحث عن قادش على الجزيرة الواقعة في البحيرة[٥]، وانها لم تكن سوى تل في حقبة لم تكن فيها السدود موجودة، ومستوى المياه كان أدنى بشكل ملحوظ.

بدأ غوتييه ،سنة ١٨٩٤، تنقيبات في هذه الجزيرة ليتحقق من الفرضية، واقتنع "أن مدينة قادش غير موجودة على جزيرة تل التين، وبالتالي من الممكن استنتاج وجودها في تل (ص ١٠٨) النبي مند، وتحت انقاض لاذقية لبنان يمكن العثور على بقاياها"[٦].

إن التنقيبات التي قادها في حملتين[٧] المأسوف عليه موريس بيزار، يعاونه بروسيه، في تل النبي مند أظهرت مدى عمق الطبقة الحثية. وعليه كانت المدينة، في زمن رعمسيس الثاني، أعلى بنسبة قليلة جداً من السهل المحيط بها.

ويبدو أنه في هذه المنطقة، ومباشرة إلى جنوبي بحيرة حمص، كانت هناك مدينتان هيمنتا على التوالي الواحدة بعد الأخرى. أولاً، قادش، وتحديداً في زمن رعمسيس الثاني، حين كانت تشكل حصن الحثيين القوي، وابعد حصونهم جنوباً؛ ثم ربلة،

---

[1] ما عساه يكون النبي مند؟ نقل الرحالة أن النبي مند هو بنيامين. وهذا غير منطقي. ألا يمكن أن يكون مند هو منده الذي نجده في كفرمنده، راجع: YAQOUT, IV, p. 291; LE STRANGE, p. 470.

[2] THOMSON, Bibl. Sacra, V, p. 689 et suiv.; cf. RITTER, Erdkunde, XVII, p. 1001 et suiv.

[3] W. WROTH, Brit. Mus. Cat., Syria, p. LXXVIII.

[4] CONDER, Kadesh of the Hittites, Athenaeum, 21 mai 1881 et Special papers, 1881, p. 135-154; Cades on Orontes, Palest. Expl. Fund, Quart. Statem., 1883, p. 100-102.

[5] TOMKINS, Kadesh on Orontes, Palest. Expl. Fund. QUART. Statem., 1882, p. 47-50.

[6] J. E. GAUTIER, Comptes rendus, Acad. des Inscript., 1895, p. 464. أثبتت هذه الحفريات أن الجزيرة كانت مأهولة، لا سيما، في العصر البرونزي.

[7] نشرت فقط حملة التنقيب الأولى سنة ١٩٢١ في Syria, 1922, p. 89؛ أما بالنسبة للحملة الثانية فإنها لن تتأخر عن الصدور.

الأعلى من قادش، في زمن حزقيال ونخاو ونبوخذنصر. وكانت قادش في الحقبة الرومانية تعرف باسم لاذقية لبنان.

وفي مكان غير بعيد عن حمص وقادش، يجدر بنا موضعة تونيب Tnip وقطنة Qatana وتونانات Tounanat[١]، وذلك نظراً لارتباطها الدائم بقادش.

نقرأ في الملاحظات النقدية التي أضافها أوتو فيبر Otto Weber على طبعة لوائح تل العمارنة التي أنجزها كنوتزون Knudtzon تعقيباً على الفرضيات التي أثارها تحديد موقع قطنة[٢]. فما من فرضية تفرض نفسها، لأنه تم التغافل عن الموقع الذي يناسب أكثر من غيره، إنه بلدة قطينة[٣] Qatiné ou Qotiné الواقعة على الضفة الشرقية لبحيرة حمص، على مسافة ساعتين سيراً على الأقدام من هذه المدينة. لاحظنا، عند مرورنا في هذه البلدة سنة ١٨٩٦، (ص ١٠٩) انها قائمة على أبنية قديمة. وثمة تل مجاور يبدو اصطناعياً يستحق الدراسة.

ثمة ترابط متكرر بين تونيب وقطنة في النصوص. قارنا بالأولى تيناب[٤] Tinnab، بالقرب من حلب؛ لكن هناك أيضاً نصاً يحدد أن تونيب كانت على بعد يومين من نوخاشي Nukhashshe التي يجب موضعتها بالقرب من حلب، وربما ناحية خلقيس[٥]. دفع هذا الأمر وينكلر إلى موضعة تونيب في بعلبك هيليوبوليس[٦]. إن خريطة هيئة الأركان (١٩٢٠) تسمح باقتراح مكان مغاير. فهي تذكر، في الواقع، شرقي الرستن وجنوبي سلمية، بلدة تدعى دونيبه Dounipé، وهي لفظة تركية لكلمة دونيب Dounib أو دونيبه Douneibé المطابقة لكلمة تونيب Tounip القديمة. وعلى بعد بضعة كلمترات جنوبي غربي هذه النقطة، نجد في المشرفة[٧] آثاراً تعود للحقبة الحثية[١]. إن

---

[1] إن التحديد الذي سنورده لا حقاً سبق لنا أن اقترحناه في: Monuments et Mémoires, Piot, t. XXV, p. 133 et suiv.

[2] WEBER, op. cit., p. 1107 et suiv.

[3] لقد سجلنا اللفظ المحلي للاسم في: Revue archéol., 1897, I, p. 353؛ غالباً ما تكتب Qattiné، VAN BERCHEM, Voyage, I, p. 47 et cartes de Kiepert؛ ولكن هارتمان يكتبها Qatine، HARTMANN, ZDPV, XXIII, p. 8.

[4] Cité par YAQOUT, I, p. 876 ; LE STRANGE, p. 546. هذا التعيين وضعه نولدكه NOELDEKE, Zeitschrift für Assyr., 1876, p. 10 et suiv.، وقبله ماسبيرو في: MASPERO, Hist. anc., II, p. 190

[5] WEBER, op. cit., p. 1123 et suiv.

[6] H. WINCKLER, Mitt. Vorderasiat. Gesellschaft, 1896, p. 207.

[7] VAN BERCHEM, Voyage, I, p. 166 et suiv.; M. HARTANN, ZDPV, XXIII, p. 122 ; RONZEVALLE, Notes, p. 241 (importante monographie)؛ خلال أبحاثه في المشرفة التي

المعسكر الفسيح المحصن بسور عرضه كلم، وارتفاعه يصل إلى ١٥م، ليس غير سور المدينة الداخلية: كركميش.

إن أبحاث دو مسنيل دو بويسون وضعته أمام حضارة تعود إلى الألفية الثانية ق م، حيث كان للحثيين تأثير أكيد. إن القطع الخزفية التي اكتشفها تعكس تأثيرين. فتأثير الشرق (بلاد ما بين النهرين) يظهر في الأواني الخزفية غير المزخرفة، والتي بدون مقبض؛ والتأثير الفينيقي الفلسطيني، وبشكل غير مباشر القبرصي، يظهر في الزخرفة الملونة.

يبقى علينا أن نحدد، من بين هذه المدن الثلاث، موضع تونانات[٢] (ص ١١٠) التي لم تعالجها أي فرضية. نحددها في تانونيا Tanouniya، بلدة في منطقة حمص، ذكرها ياقوت[٣]. إنها، بداهة، تتونه Tennouné، على بعد ١٢ كلم تقريباً غربي حمص[٤]. نلاحظ أن إحدى لوائح تل العمارنة[٥] تذكر بالترتيب الجغرافي ملك نوخاشي، ملك نيي Nii، ملك زينزار Zinzar (شيزر Sheizar)، ملك تونانات.

وأشير في المنطقة نفسها إلى مدينة أبزو Abzu التي اقترح غارستنغ مطابقتها مع حمص[٦]. قد يكون هذا الأمر هاما، من وجهة نظر تاريخية ولفظية؛ إنما يبدو لنا من الأرجح أن نعتبر أبزو هي تل بيسي الحالية شمالي حمص، حيث نعثر على آثار كثيرة.

ثمة موقعان في مقاطعة حمص لا يرد ذكرهما في الأزمنة القديمة: حمص نفسها، حيث يمكننا العثور على حادراك[٧] Hadrak القديمة، والرستن التي تحافظ على الاسم اليوناني أريتوز Aréthuse الذي فرضه سلوكس نيكاتور[٨]. لاحظ سترابون أن

ستنتشر قريباً حدد دومسنيل دو بويسون M. du Mesnil du Buisson موقع تل دنيبه Tell Denibé، على مسافة أقرب إلى طريق حمص سلمية مما تعينها خريطة هيئة الأركان.

[1] المقصود تحديداً هو رأس حدد طرازه كليرمون غانو: CLERMONT GANNEAU, Recueil. D'arch. Or., II, p. 26; cf. RONZEVALLE, L. C.

[2] WEBER, op. cit., p. 1117. برز اسم المدينة في البداية كينانات Kinanat.

[3] YAQOUT, I, p. 881; LE STRANGE, p. 544.

[4] تم تعيين موضعها استناداً إلى خريطة هيئة الأركان (١٩٢٠)، وكتابة اسمها استناداً إلى سالنامة، راجع: HARTMANN, ZDPV, XXIII, P. 10

[5] KNUDTZON, op. cit., n 53, I. 41-43.

[6] Journal of Egyptian Archaeology, 1925, p. 23 et suiv.; cf. Syria, 1925, p. 200.

[7] راجع سابقاً ص ١٠٣ (النص الفرنسي).

[8] APPIEN, de rebus syr., LVII.

المنطقة الواقعة جنوبي أفاميا يسكنها على الأخص عرب رحل يصبحون أكثر تحضراً كلما اقتربوا من سورية، واصبحوا يشكلون حكماً منظماً[١]. وذكر في هذا السياق سمسيغرام ملك حمص الذي كان يفضل البقاء في الرستن حيث يسيطر على ممر العاصي[٢].

لا نعلم أين نموضع في محيط حمص الأمكنة الآتية (ص ١١١): أرمينيا[٣] Armenia، بيتغالا[٤] Bethgaala مع الدير، بيتمَماليس[٥] Bethmamalis.

ذكر الكتاب المسلمون بلدات عدة في محيط حمص، نعثر على بعضها على خريطة هيئة الأركان (١٩٢٠)، مثل آبل Abil التي موضعها ياقوت على بعد ميلين جنوبي المدينة[٦]؛ وفي المنطقة نفسها تتموضع كفر تاكيس[٧] Kafar Takis، وبقتاتيس[٨] Baqtatis، وغانية[٩] Ghaniya، وحاووط Haout، هذا إن لم تعتبر تابعة لمنطقة جبلة[١٠]، وحرب نفسا[١١] Harbnafsa بين دير الفرديس وتاليف جنوبي غربي حماة، وحسماك[١٢] Hasmak في جوار نعيم[١٣] Na‘im، وعرناس[١٤] ‘Irnas، وكفرنغد[١٥] Kafr Naghd، أما المشعر el-Mash‘ar على بعد نصف يوم جنوبي حمص، والتي هدمت في القرن الثاني عشر[١٦]، فهي شمسين[١]، المشار إليها في الخرائط في نقطة حيث

---

[1] STRABON, XVI, 2, 11.

[2] Ibid., et XVI, 2, I, 10; cf. PAULY-WISSOWA, s. Samsigramos. Pour Aréthuse, voir benzinger, dans PAULY-WISSOWA, s. v., n 10 ; HONIGMANN, N 65 ; LE STRANGE, p. 519-520 ; DIMASHQI, trad. Mehren, p. 107 ; KEMAL EDDIN, BLOCHET, ROL, III, p. 563.

[3] HONIGMANN, n. 72.

[4] Ibid., n. 111.

[5] Ibid., n. 112. يمكن تقريبها من دير معلا بين حمص وحماة.

[6] YAQOUT, I, p. 57; LE STRANGE, p. 381

[7] YAQOUT, IV, p. 287; LE STRANGE, p. 473. لا يمكن التفكير باعتبار الموقع هو تخسيس Takhsis، جنوبي حماة. HARTMANN, ZDPV, XXIII, p. 124-125.

[8] YAQOUT, I, p. 700; LE STRANGE, p. 415

[9] YAQOUT, III, p. 769; LE STRANGE, p. 441. ربما هي غانية على العاصي، غربي تل بيسي.

[10] YAQOUT, II, p. 365; LE STRANGE, p. 451

[11] YAQOUT, II, p. 233; LE STRANGE, p. 448. لا يمكن الاعتماد على HARTMANN, ZDPV, (XXIII, p. 22) وهو يشتق حرب نفسا من حربنوش. تقع الأولى التي أضرت بها سكة الحديد جنوبي غربي حماة.

[12] HARTMANN, ZDPV, XXIII, p. 18.

[13] هي بالقرب من بحيرة حمص، ذكرها مع البقيعة: LE STRANGE, p. 352; DIMASHQI, p. 208

[14] YAQOUT, III, p. 656; LE STRANGE, p. 458

[15] YAQOUT, IV, p. 292; LE STRANGE, p. 471

[16] IBN DJOUBEIR, p. 260; LE STR., p. 505

الطريق الآتية من الساحل الطرابلسي تقطع طريق حمص دمشق. وذكرت تارين بين قلعة الحصن وحمص في نقشين عربيين في طرابلس[٢]، ويمكن موضعة ترموسان[٣] Tourmousan أبعد إلى جهة الغرب، في تل الترمس جنوبي شرق برج صافيتا.

(ص ١١٢) ما زلنا نعتقد أنه لا يمكن موضعة براديزوس Paradisos أو تريبراديزوس Triparadisos لا في ربلة ولا في جوسية الخراب، بل في جوسية الجديدة، أو في بلدة زراعة[٤] Zerra‘a المجاورة. إن جوسية الخراب ليست، كما أشرنا، إلاّ دير بعنتل Ba‘antal المشهور[٥]. اعترض مارتن هارتمن، عند استئنافه هذا البحث، على تحديد سترابون لبراديزوس قرب نبع العاصي، لأن نبع مار مارون كان محدداً، ومن جهة أخرى فإن النصب التذكاري لقاموع الهرمل، بما فيه من مشاهد الصيد، يؤكد أنه هناك كان موقع براديزوس[٦]. هذا التحليل أقل اقناعاً لأنه يرتكز على معلومة خاطئة: تظهر قصص الصيد على قاموع الهرمل على أساس أنه نصب تذكاري للموتى، لا للدلالة على أن المكان ملتقى للصيد. ومن جهة أخرى، كان يجب تصنيف نبع مار مارون بوصفه أحد منابع العاصي[٧]. فثمة مجال لنأخذ بعين الاعتبار الينابيع المتدفقة من الجوسية ومن زراعة، ولقد ذكرها ياقوت، وكانت تستخدم قديماً لتغذية حمص[٨].

أعدنا دراسة ينابيع العاصي مع استرابون، وهذه هي النتيجة التي توصلنا إليها. لا يعتبر سترابون أنه يوجد ثلاثة ينابيع، بل ثلاث مجموعات من المياه المتدفقة: أولاً، تلك المتدفقة من الجبل، ثانياً تلك المتدفقة من السهل، وأخيراً تلك المتدفقة من السور

---

[1] MOQADDASI, p. 190; LE STR., p. 535

[2] CIA, II^{E} partie, SOBERNHEIM, Syrie, 1re sect., p. 28-30.

[3] YAQOUT, I, p. 844; LE STRANGE, p. 517.

[4] Revue archéol., 1898, II, p. 113 et suiv. يذكر الدمشقي (مرجع سابق، ص ١٠٠) الجوسية فوق كرك نوح. عثر هونيغمان على اسم آخر للجوسية (HONIGMANN, n 186) موريكوبوليس Maurikoupolis أو ماركوبوليس Markoupolis. راجع: HONIGMANN, n. 356.

[5] يجب إضافة النص السرياني الوارد في (Voyage au Safa, p. 28, n. 1 et p. 215) على نص ياقوت ونص أسامة المذكور في (Rev. arch., 1898, II, p. 114-115). راجع أيضاً: HONIGMANN, n. 88

[6] MARTIN HARTMANN, ZDPV, 1900,p. 117-119.

[7] STRABON, XVI, 2, 19.

[8] Revue archéol., l. cit.

المصري[١]. يبدو لنا هذا السور المصري، الذي بقي لغزاً، مطابقاً مع السد الكبير (ص ١١٣) الذي باحتجازه مياه العاصي يشكل بحيرة حمص.

لا يسمح هذا السد للمياه بأن تفيض عنه عند امتلاء البحيرة؛ فالمياه لا تصل أبداً إلى مستوى ارتفاع السد، بل هي تفور وتتدفق بقوة من جدار السد مشكلة عدة ينابيع فوارة. وهذا ما عبر عنه بوضوح ابن واصل عندما قال: "ينبع هذا النهر من سد يقع قرب بحيرة قدس"[٢]؛ وبهذا يؤكد وجهة نظر سترابون، إذا ما اعتبرنا أن السد المصري ليس غير السد نفسه.

كان سائداً بين الجغرافيين العرب الاعتقاد بفكرة نشوء النهر من هذا السد، لدرجة جعلتهم يعطون اسماً جديداً للنهر انطلاقاً من هذا الموقع، فصار نهر الميماس el-Mimas ou el-Maimas هو نهر العاصي عند خروجه من بحيرة حمص[٣].

وإذا ما استندنا إلى نص من "كتاب الأغاني"[٤]، فإن هذا الاسم يعود بأصله إلى ميماس، وهو اسم يحمله مكان للتسلية يقصده أهل حمص. نستنتج مما سبق، أن سكان حمص كانوا يمارسون قديماً، في موقع غير محدد على ضفاف النهر (إنما يقع بين المدينة والبحيرة)، احتفالات دينية تقام دائماً قرب المياه، وهي المعروفة باسم ميوماس[٥] Maïoumas.

وهكذا فإن العاصي الذي ينبع بين سلسلتي جبال لبنان، يختفي ليعود ويظهر باسم آخر. وهذا الاعتقاد الذي نجده عند الجغرافيين العرب قديم جداً؛ وقد عبر عنه سترابون من خلال اسطورة تيفون Typhon، الأسم القديم أيضاً لنهر العاصي، الذي يختفي في الأرض ليعود ويظهر في مكان بعيد[٦].

---

[1] STRABON, XVI, 2, 19.

[2] مذكور في: QUATREMÈRE, Hist. sultans mamlouks, I, 2, p. 264.

[3] YAQOUT, I, p. 233, et III, p. 588; LE STRANGE, p. 59

[4] مذكور في: A. FISCHER, ZDMG, 1906, p. 246, n. 1.

[5] راجع حول هذه الأعياد: CLERMONT-GANNEAU, Recueil d'archéol. Orient., IV, p. 339 et suiv.; DREXLER, dans ROSCHIER, Lexikon, s. v.; Fr. CUMONT, Les religions orientales, 2e édition, p. 163. إن بحث ولهوزن (WELLHAUSEN, ZDMG, 1906, p. 245) القاضي باشتقاق اسم سهل ماسياس، من هنا، غير جدير بالاهتمام.

[6] لقد أوضحنا هذه الدلالات، تحت عنوان سد بحيرة حمص و"الحائط المصري" لسترابون: Monuments et mémoires Piot, t. XXV, p. 133. قام بروسيه بوضع وصف تفصيلي لهذه البحيرة في: L. BROSSÉ, La digue du lac de Homs, dans Syria, 1923, p. 234.

(ص ١١٤) وبما أن هذا السد كان موضوعاً لأساطير منتشرة منذ الحقبة اليونانية، ففي ذلك تأكيد على أنه يعود إلى زمن قديم جداً. لقد نسبه التلمود خطأً إلى ديوكلتيان[١] Dioclétien، أما أبو الفدا فيعتقد أن تاريخه يعود إلى الإسكندر الكبير[٢]. وإذا اعتمدنا تعييننا له بالسور المصري الذي ورد عند سترابون، يكون بناؤه أقدم مما سبق الكلام بكثير. وعند دراسة هذا السد، كان غوتييه قد استنتج أنه مغرق في القدم[٣]، وفسر تكوين الطبقات التي تقوم عليها الجزيرة المسماة تل التين، بفعل عدم صيانة السد لفترات طويلة، وحيث مياه البحيرة كانت تنخفض كثيراً. وفي الواقع، يمكن أن يعود تاريخ البحيرة إلى الألفية الثانية ق م، بينما استمرت الجزيرة مأهولة في هذه المرحلة، لأنه يجب ملاحظة أن عمق البحيرة يبلغ ثلاثة أمتار، بينما السور الدائري المميز لطبيعة الحصون من النمط الحثي، ليس إلاّ على ارتفاع متر واحد عن المستوى الحالي.

عندما موضع مارتن هارتمن تريباريزوس حول قاموع الهرمل، بدّل أيضاً موضع لاذقية لبنان وحددها في الجوسية؛ ولكنه لا يقول تحت أي اسم يصنف الخرائب الرومانية في تل النبي مند، وهي خرائب كانت ما تزال هامة جداً عندما رآها طومسون، وفرن الكلس فيها ما يزال يعمل. إن خطأ العالم المستعرب سببه أنه لم يلاحظ أن هناك طريقين تصلان حمص ببعلبك. الأولى تؤمن المواصلات من بلدات الضفة الشرقية لبحيرة حمص، وتتوجه من أرجون Ardjoun نحو تل النبي مند، اي لاذقية لبنان، ثم تتجه نحو الجنوب، حيث تقطع للمرة الثانية نهر العاصي في ربلة. إنها طريق خطوط السير الرومانية، كما تؤكده نصب علامات المسافات على الطرق الموجودة في أرجون[٤]؛ هذه الطريق (ص ١١٥) تصل حمص Emèse ببعلبك Héliopolis دون المرور بالجوسية وتريبراديزوس. وعندما فقدت لاذقية

---

[1] NEUBAUER, Géog. Du Talmud, p. 24 et 29; HONIGMANN, n° 161.

[2] LE STRANGE, Palest., p. 170.

[3] GAUTIER, Comptes rendus Acad., 1895, p. 446.

[4] PERDRIZET et FOSSEY, Bulletin de corresp. Hellénique, 1897, p. 67 ; H. LAMMENS, Musée Belge, 1902, p. 32 ; P. THOMSON, Die röm, Meillensteine, p. 21 ; R. CAGNAT, Comptes rendus Acad. des Inscr., 1922, p. 31 ; cf. Syria, 1922, p. 169 حول الكتابة الصحيحة لآسم أرجون Ardjoun، وليس عرجون Ardjoun، راجع: M. HARTMANN, ZDPV, XXIII, p. 9.

لبنان كل أهمية، فإن الانعطاف للوصول إلى جنوب البحيرة لم يعد له أي هدف، وصار يتم اعتماد الطريق المباشرة التي تمر بالقصير والجوسية[١].

ولنعلم، على سبيل الذكرى، أنه تم اقتراح موضعة لاذقية لبنان في لفتايا Liftaya، هذه البلدة الصغيرة غربي البحيرة التي تحتفظ بآثار مسيحية[٢].

---

[1] راجع حول هذه الطريق: Revue archéol., 1908, I, p. 120.

[2] VAN KASTEREN, Liftaja, ZDPV, XVI, p. 171 et suiv.; cf. Revue archéol., 1907, I, p. 355 et suiv.

٢- كونتية طرابلس

المستعمرات الفرنجية في سورية في القرنين ١٢ و١٣[1]

إيمانويل غوييّوم راي E. G. REY

مدخل

(ص أ) استوقفتني في سياق رحلاتي في سورية واقعة تهم تاريخ أوروبا عموماً وتاريخنا خصوصاً[2]: روح التنظيم السياسي الذي حمله الصليبيون إلى الشرق.
يفيدنا "دستور القدس"[3] كيف تم نقل المجتمع الإقطاعي إلى سورية. فالوثائق والعهود الصادرة عن دواوين القدس وطرابلس وأنطاكية وسيس Sis تشكل شواهد لا تدحض ومثيرة بشكل فريد في معاينتها، وإنها، بإضافتها إلى ما يقدمه المؤلفون الشرقيون، تلقي أضواءً جديدة على المشروع القومي والعريق الذي قام به آباؤنا.
وبينما كنت أفتش في هذه المحفوظات كنت ازداد اقتناعاً كل يوم، مع الكونت بونيو Beugnot، بإن معرفة الميدان ضرورية جداً لمن يبغي الشروع في دراسة المستعمرات اللاتينية في الشرق.
إن السيطرة الفرنجية على هذا البلد مكتوبة على الأرض بالصروح العسكرية والدينية التي تحمل طابع المجتمع والزمان معاً.
(ص ب) تبرر دراسة سورية الجغرافية والأركيولوجية التصور السياسي للقادة وتتفق مع الوثائق الدبلوماسية. فحيثما تجول الرحالة يعثر بفائق الدهشة على بينة بكماء، ولكنها حية، لوحدة المهمة.
شرعت في هذا البحث في العام ١٨٥٩، واليوم بعد مضي ٢٣ سنة من الدراسة، وبعد الجمع بين ما رأيته وما قرأته، أقتنعت بأن تاريخ السيطرة الفرنجية في سورية هو واحد من أهم مواضيع البحث لمن يهمه مصير بلده.

---

[1] المرجع: E.-G. Rey, Les Colonies franques de Syrie aux XII et XIII siècles, Paris, 1883.
[2] تاريخ فرنسا (المترجم).
[3] فضلنا ترجمة عبارة Assises de Jérusalem بعبارة "دستور القدس"، (المترجم).

ولكم هي جذابة عملية بعث الماضي، فبما نعرفه نعيد إحياء ما كان موجوداً؛ ومن ثم منه نستنتج ما لا يزال غامضاً، وبذلك نعيد بناء حياة ومؤسسات المجتمع.

لم تكن الحروب الصليبية بمعناها الفعلي مجرد حدث. فمن المستحيل الظن أنه يكفي خطاب منمق لكاهن ما، أو توبة سيد نبيل ما، لإثارة هذه الحملات الهائلة.

إنها حركة لرأي محصه جداً وأنضجه طويلاً قادة أفذاذ وحيويون، هذه الحركة هي التي وجهت ذات يوم هذه الجموع المسلحة نحو الشرق، في وقت كانت فيه فكرة الفتح متوفرة عند الأوائل وعززتها فكرة التنظيم.

لم تتوقف أبداً منذ العصور القديمة العلاقات التجارية بين الغرب وسورية (ص ج)، وكانت المنتجات الشرقية موضع طلب كبير في السوق الأوروبية: ينقلها تجار مدن المتوسط البحرية وتنتشر في أوروبا فتعمم الفكرة عن الترف الآسيوي الذي كان يغوي العالم الإقطاعي، ويدفع بالتجارة إلى المزيد من التوسع.

من الممكن، بل يجب، اعتبار فتح النورمان لصقلية بمثابة نقطة انطلاق الحروب الصليبية وخطوتها الأولى.

خلق نجاح روبير جيسكار Robert Guiscard ورفاقه تأثيراً حاسماً على روح الأمم التي انبعثت في المتوسط. وعليه، يمكن بشيء من الجرأة الاستيلاء على أراضٍ جديدة، وإقامة ممالك فيها. وأخيراً، على غرار هنري دو بورغونيى Henry de Bourgogne يمكن من أجل هذا الغرض اختيار بلاد غناها مضرب المثل، لأن النورمان يغتنون وهم يصبحون في نفس الآن ملوكاً.

وكانت الفكرة الدينية قديمة العهد ترعاها عادة الحج إلى الأراضي المقدسة التي لم تنقطع طيلة العصور الوسطى.

لقد تم بعناية اختيار توقيت مثل هذا المشروع. فالأتراك السلاجقة احتلوا نيقيا Nicée، وأجج ظهورهم مخاوف أوروبا التي كانت ترى مسبقاً ملامح فتح إسلامي جديد.

على أثر سقوط سلالة العباسيين، (ص د) كانت آسيا الغربية، على غرار أوروبا، غارقة في أهوال الفوضى والحرب الأهلية. وفقدت سلطة الخليفة المدافعين الخلص عنها عندما أحاط الاستبداد نفسه بالعبيد يتم شراؤهم على ضفاف أوكسوس Oxus. وانقسمت السلطة الروحية نفسها، فبتنا نرى خمسة خلفاء يدّعون معاً لقب أمير

المؤمنين. ووسط هذه الفوضى العارمة لم يتأخر الأمراء، حكام المقاطعات، عن اعتبار أنفسهم مستقلين؛ وانتهت السلطة بيد من عرف كيف يستولي عليها، بحيث كانت السلالات الحاكمة تتوالى بسرعة مدهشة.

كانت حال الأمور هذه ملائمة تماماً لتسهيل استقرار الفرنجة في المناطق التي صمموا على فتحها[1].

إن قيام مملكة القدس وإمارات إنطاكية والرها وطرابلس نتيجة لهذه الحركة الصليبية العظيمة.

(ص هـ) يبدو أن خطة الحملة قد تم إعدادها بمهارة قبل انطلاقها في العام ١٠٩٦؛ وها هو مخَطّطها باختصار: الاستناد إلى الإمبراطورية البيزنطية لزعزعة الدولة الإسلامية في آسيا الصغرى، والاندفاع بمساعدتها قدر الإمكان داخل البلاد ثم الاتجاه نحو طوروس، وفتح الطريق من هناك إلى فلسطين بقوة السلاح.

ومن ذلك تأسيس إمارة الرها، كما حصل، والاستيلاء على كل سورية، مع قسم من Arabie Pétrée؛ لتصبح بذلك صحراء تدمر حاجزاً بين دول خلفاء بغداد والمستعمرات الفرنجية التي من شأنها بذلك أن تفصل عربستان[2] عن مصر فتقسم ضخامة القدرة الإسلامية إلى قسمين وتبقى محمية بحدود طبيعية بوجه جهود المسلمين.

ولقد جاء مسير القوات المسيحية والمساعدات التي قدمها الإمبراطور البيزنطي لتعزز ما نعرفه عن الخطة العسكرية التي لم يكن نشوء الإمارات المسيحية غير ترجمتها السياسية.

---

[1] ما كادت الإمارات اللاتينية تنشأ حتى صار البعض من الأتابك والأمراء يطلبون العون من الفاتحين الجدد، والمقطع الآتي المأخوذ من "تاريخ حلب" لكمال الدين، والمتعلق بموت ألب أرسلان، يبين كيف كان وضع الفرنجة منذ العام ١١١٤ في سورية: "ومن العجائب أن يخطب الملوك لحلب فلا يوجد من يرغب فيها، ولا يمكنه ذب الفرنج عنها، وكان السبب في ذلك أن المقدمين كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه"، ص ٢٦٢.
هكذا كنا نجد دوماً أمراء أنطاكية وكونت الرها Edesse متحالفين مع الأمراء المسلمين. وفي العام ١١١٥ كان روجيه أنطاكية حليفاً مع الغازي ابن أرتق. ثم بين العام ١١١٦ والعام ١١١٩ استدعى سكان حلب مراراً الفرنجة لنجدة مدينتهم المهددة بالمنافسة بين الأمراء المسلمين الذين يتنازعون من أجل الاستيلاء عليها.

[2] المقصود المشرق العربي، (المترجم).

إن دراسة المؤسسات التي حكمت هذه الإمارات ودراسة الأسباب المشجعة على نشوئها وتطورها وسط شعوب شرقية من شتى أصناف السوريين والروم والأرمن، بدت لي موضوعاً جديداً غرضه ردم واحدة من ثغرات تاريخ الصليبيين.

لقد اقتصرت الدراسة حتى الآن على وجهة النظر الغربية البحت، والإهمال الكبير للدور الهام الذي (ص و) لعبه السوريون والعرب في المؤسسات التي تشغلنا.

لقد كان للعنصر المحلي، وكذلك للعلاقات الثابتة مع الروم والمسلمين تأثير هائل على مجتمع الإمارات الفرنجية.

سأبذل جهدي في هذا البحث لتحاشي هذه العقبة، لأنه لا يمكن، برأيي، رسم صورة أمينة عن هذه المستعمرات دون الاستعانة بالمصادر الشرقية التي من شأنها أن تنير جملة من نقاط ما تزال غامضة.

ما تزال الجغرافيا التاريخية لسورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر موضوعاً ينتظر دراسته؛ ولهذا اعتبرت من واجبي أن أخصص له القسم الثاني من هذا الكتاب، دونما أن أصرف النظر عن العديد من الثغرات المطلوب ردمها في هذا الفصل، وذلك كتتمة طبيعية للبحث في مجتمع الإمارات اللاتينية الفرنجي-السوري.

لقد أغفلت في عملي دور فرسان التوتون Ordre Teutonique لأني على علم بأن دورهم في الأرض المقدسة هو الآن موضع دراسة خاصة يقوم بها د. هانز بروتز Dr Hans Prutz الذي سيستخدم الكثير من الوثائق التي جمعها، ومعظمها غير منشور بعد.

الفصل الأول: نبلاء اللاتين

(ص ١) ما أن أصبح الفرنجة أسياد سورية حتى تقبل أهل البلاد بسهولة كبيرة المؤسسات الاقطاعية التي لم يكن فيها بنظرهم جديد ولا شاذ؛ وهذا ما يُفسر سهولة تجذر شتى الإمارات الصليبية التي شكلت المستعمرات المسيحية في الشرق.

وسرعان ما تأسست الاقطاعية فيها بعد الفتح، وأنتجت أصفى نموذجين لنظام الحكم هذا في مملكتي القدس وقبرص.

كان التشريع الاقطاعي في المقاطعات الفرنجية في سورية أرقى من التشريع الاقطاعي في أهم بلدان أوروبا، في العديد من وجوهه.

(ص ٢) سبق وقلت في مكان آخر أنه يدهشنا في في دراسة الآثار التي تركتها السيطرة اللاتينية وجود تنظيم سياسي تم تصوره بقوة ومهارة[١]. قام هذا التنظيم في وسط سكان يتكونون من أوروبيين وشرقيين من شتى الأعراق، وتوصل إلى تأسيس دولة على شيء من المجد.

علينا بداية الاعتراف بأن النبلاء الفرنجة الذين استقروا في سورية كانوا على العموم أكثر ثقافة وحكمة وتبصراً مما كان يُعتقد حتى اليوم.

لم يكن اللاتين والسوريون يعيشون بتفاهم في الأرياف والمدن فحسب، بل أيضاً في صفوف الجيوش المسيحية.

إن هؤلاء الرجال أنفسهم الذين تركوا لنا في "دستور القدس" أحسن مأثرة في التشريع الاقطاعي في العصر الوسيط، وهي مأثرة متكيفة مع مخاطر حال حرب دائمة، عرفوا في نفس الآن كيف يحترمون العلاقات المحلية التي كانت تحكم، في زمن الأباطرة اليونان وفي زمن العرب، سكان سورية، والتي كان لها، باحتكاكها مع التشريع الغربي الذي أتى به الفرنجة، دور كبير في ترسيخ تقاليد ودستور كل إمارة[٢].

لقد حل الآن كبار الاقطاعيين محل الأمراء؛ وكان الاقطاعيون على خلاف مراتبهم والمرتبطون ببعضهم تبعاً للهرمية الإقطاعية يسهرون على أمن السكان الريفيين القائمين بالعمل الزراعي أو المقيمين في إقطاعاتهم.

(ص ٣) وكان لكل من الاقطاعيين الكبار الحائزين على إمارة أو بارونية كبيرة في المملكة[٣] مجلس خاص يتكون من كونستابل connétable وماريشال maréchal وأمين صندوق bailli وسينيشال sénéchal وساقٍ bouteiller ومسؤول الديوان chancelier.

---

[١] راجع: Essai sur la domination française en Syrie au temps des croisades, p. 17.

[٢] راجع: Cod. Dipl. T. I, p. 286; Ibid. No 45, p. 46; Assises de Jérusalem, t. I, p. 642; Assises d’Antioche.

[٣] راجع: Familles d’outre-mer, de la page 649 à la page 662.

معظم هؤلاء الأسياد كانوا يقيمون في إقطاعاتهم؛ والبعض منهم، لا سيما من يحتل المسؤوليات الكبرى المذكورة أعلاه، مع حيازتهم الأملاك الكبرى، يبدو أنهم أقاموا في المدن الرئيسية...

كان يستقر في طرابلس عائلات بوي-لوران Puy-Laurent، رونشيرول Ronscherolles، لارمينا Larminat، فونتينيل Fontenelle، كورنيليون Cornilion، غوراب Gorab، فارابيل Farabel، هام Ham، والعديد غيرهم ممن لا مجال لذكرهم هنا...

(ص ٤) كانت الشوارع (في المدن) ضيقة والمنازل متقاربة بفعل ندرة الأراضي. وكانت الأبواب العديدة تفصل بين الأحياء...

(ص ٢٣) في كل إقطاعة كبيرة يوجد مجلس يرأسه كبير الاقطاعيين نفسه. وهو فرع من المجلس الأعلى للإمارة، ويقضي في الأمور الجرمية. وكان تنفيذ الأحكام العليا محصوراً دائماً بالعقود الممنوحة للغرباء في المستعمرات اللاتينية.

كان الفيكونت مكلفاً بالقضاء بين البرجوازية، وأمين الصندوق بالقضاء بين السوريين.

كان لكل إمارة دستورها الخاص بها وتقاليدها المحلية الخاصة[1]. واستناداً لهذه القوانين تقوم أحكام المحاكم الثلاث التي ذكرتها.

كان بعض الاقطاعيين في بارونية كبيرة يستحوزون على أقطاع أرضي، والبعض الآخر منهم لم يكن (ص ٢٤) لديه غير ما يُسمى إقطاع ريعي، نقدي أو عيني، يتقاضاه سنوياً من دخل الإقطاعة. وكانت الخدمات المكلفين بتقديمها، سواء بالخيول للحرب أو بحيوانات النقل، متناسبة طرداً مع أهمية إقطاعتهم...

(ص ٢٥) كان من السهل على أمراء وإقطاعيي الفرنجة تجنيد خيالتهم ومقاتليهم والسرجندية sergent من صفوف الغربيين الذي استمروا بالتدفق إلى سورية في بدايات المرحلة الصليبية.

ولكنهم اضطروا لاحقاً بعد أن اقتصرت الخدمة على أتباعهم، ومن أجل الحفاظ على جهوزيتهم العسكرية، إلى إفساح مجال واسع في تجنيد العنصر المحلي

[1] راجع: Cod. Dipl., t. I, p. 181.

المسيحي والمسلم، الذي باندماجه في عداد الأتباع المخلصين (ص ٢٦) الفرنجة، شكل الخيالة الخفيفة للقوات اللاتينية تحت اسم تركوبول Turcopoles.

وكانت المؤسسات الدينية نفسها تقيم مثل هذه الوحدات العسكرية الخفيفة من المحليين...

وحوالي النصف الثاني من القرن الثالث عشر كان لكونت طرابلس حرس من المسلمين.

الفصل الثاني: البرجوازية les Bourgeois

(ص ٥٧) سرعان ما انتظم في مدن هذه المستعمرات الجديدة البرجوازيون القادمون من أوروبا والتجار، والسوريون الذين أثروا من تجارتهم، في هيئات برجوازية، مع بقائهم في حماية الاقطاعي وتحت عدالته، ونشأت هناك بعض مؤسسات المدن الأوروبية.

ولم يقتصر الأمر على مدن الساحل المسكونة بالأوروبيين والشرقيين الذين انصرفوا بكل أمان في أعمال التجارة، ولكنه شاع أيضاً في العديد من المدن الداخلية حيث استقرت هذه البرجوازية التي يديرها فيكونت باسم الكونت.

الفصل الثالث: المدن التجارية Les communes commerciales

(ص ٦٩) كانت أهمية المستعمرات أو الكومونات التجارية (الجماعات) المتكونة في الشرق من قبل أهم مدن حوض المتوسط البحرية كبيرة في مجتمع الإمارات الفرنجية...

شملت هذه المستعمرات بلدات لها أحياؤها وامتيازاتها وقضاؤها المدني الخاص بها بإدارة حاكم وقناصل وفيكونت.

تعود أقدمها مستعمرة أمالفيتين Amalfitains إلى القرن السادس. ولقد أسسوا في القدس أول مضافة مخصصة (ص ٧٠) لاستقبال الغربيين الوافدين إلى الأرض المقدسة كتجار أو حجاج.

وكان الأمالفيتان يملكون حياً في أنطاكية قبل الحروب الصليبية. وحصلوا في طرابلس على بعض المنازل، منها منزل الفيكونت، وعلى فندق. كانت تعود كل هذه المباني إلى أسقف أمالفي Amalfi...

في الأول من حزيران ١٢٧٧، سمح بوهيموند السادس[١] Boémond VI، أمير أنطاكية وكونت طرابلس، من خلال عقد مع جاك كونتاريني Jacques Contarini، كبير قضاة مدينة البندقية، لهذه المدينة أن يكون لها في طرابلس قاض وسجن ومحكمة من اختصاصها مقاضاة كل مواطن من البندقية...

(ص ٧٣) حصل تجار بيزان Pisans عام ١١٠٩ على حي المخلص في أنطاكية؛ وعلى شارع الأعمدة وكنيسة القديس نقولا[٢] في اللاذقية. ولم يكن لهم قناصل إلاّ في العام ١١٧٠، في أول هذه المدن، وفي طرابلس[٣] عام ١١٩٤. وكان لهم فيكونت في هذه المدينة يُدعى ماتيو مينشيه Matthieu Minchet.

الفصل الرابع: السريان

(ص ٧٥) طيلة المرحلة الصليبية كان اسم السريان يُطلق على المسيحيين المحليين الناطقين بالعربية والمتحدين مع روما والمتبعين ليتورجيا الروم grecque، والذين كانوا يشكلون قسماً كبيراً من السكان المحليين في الإمارات الفرنجية في الأرض المقدسة.

يقول أبو الفرج أن السريان كانوا في أيامه محتفظين بعادة بدء السنة في الأول من تشرين الأول، بينما يبدأها روم سورية في الأول من أيلول[٤].

وكان جاك دو فيتري[٥] Jacques de Vitry يميزهم بوضوح شديد عن الروم، ويتهمهم بأنهم يخضعون ظاهرياً فحسب إلى الأساقفة اللاتين حيث يقيمون في أبرشياتهم[٦].

(ص ٧٦) ينطوي أيضاً تحت نفس تسمية السريان الموارنة الذين يتبعون الليتورجيا السريانية.

وهم الذين يهتم بهم المشرع اللاتيني أكثر من جميع السكان المحليين ؛ فهم حاضرون دوماً في تفكيره، وبذلك يحصلون على موقع متميز أكثر من الباقين.

---

[1] Rey: Rech. Sur la domin. Lat. En Orient, p. 47.

[2] Tafel et Thomas, Font. Rer. Aust., t. XIII, p. 362.

[3] Dal Borgo. Dipl. Pisani, p. 85.

[4] Ideler. Handbuch der Chronologie, t. I, p. 463.

[5] Jacques de Vitry, Ap. Bongars, p. 1090.

[6] المرجع السابق، ص ١٠٩٤.

لقد اعتقد الصليبيون أن عليهم عدم إهمال أي أمر لكسب جماعة منكبة على الزراعة والتجارة والصناعة، وتقبض تقريباً على كل موارد البلاد.

ولو أن هذه الجماعة فاسدة ومخادعة لهذه الدرجة كما يقول جاك دو فيتري الذي لا شك في مبالغته وانحيازه، لما كان التشريع المدني أولاها الكثير من الاعتبارات.

كان السريان بالتالي يحتلون الموقع الأول بين السكان المحليين، ومن بعدهم يأتي اليعاقبة والأرمن، وفي موقع أدنى الروم والنساطرة والأحباش.

يقول الكتاب المعاصرون لتلك المرحلة، خصوصاً بوركار دو مون سيون[١]، أن أساقفة الإمارات الفرنجية المسؤولين عن هذه المذاهب، كانوا يعترفون، أو يُفترض بهم الاعتراف، بأولية الكنيسة الرومانية.

كان أسقف القدس الأرمني ومطرانها اليعقوبي محسوبين في عداد مساعدي بطريرك هذه المدينة اللاتيني[٢].

كنا نرى السريان والأرمن واليعاقبة والروم والأحباش يحتفلون معاً بالقداس في كنيسة القيامة إلى جانب الفرنجة (ص ٧٧). وكان للسريان فيها مصلى باسم الصليب ودُعي بهذا الاسم لأنه يحتفظ بقسم كبير من الصليب الأصلي، وللسريان مصلى القديس يعقوب، وللأرمن مصلى آخر بجوار مصلى يُعرف باسم المريمات الثلاث...

كان يحق لهم تملك الأراضي والقرى[٣]، باختصار كانوا يتمتعون بمعظم الامتيازات[٤] الممنوحة للبرجوازية الغربية؛ وفي المدن (ص ٧٨) كان البرجوازي السوري والبرجوازي الفرنجي يعيشان معاً في ظل سيادة قانون واحد في نفس المدن، مع أنهما يفترقان بتقاليد مختلفة. وعلاوة على ذلك حصل السريان على إدارة شؤونهم من قبل مأمور خاص بهم، الريس reïs، صلاحياته كانت مماثلة لصلاحيات الفيكونت.

---

[1] Ed. Laurent, Peregri Med. Avi. quat., p. 34.
[2] L. de J. d'Ibelin, Assises de Jérus. T. I, p. 416.
[3] Ass. De Jérus., ch. 59,60, 61, 62.
[4] Cart. Saint-Sépulcre, n° 61, p. 123, n° 81, p. 160.

قلت في مكان آخر[1] أنه علينا أن نضع، في الصف الأول بين السكان السريان، الموارنة الذين يتحدث عنهم غليوم الصوري بقوله: "صنف من الناس يُسمون سريان يقطنون فينيقيا في أرض لبنان فوق مدينة جبيل... كانوا أقوياء البنية ومن المقاتلين الشجعان وقدموا عوناً كبيراً للمسيحيين في قتالهم مع أعدائهم"[2].

ويخبرنا المؤرخون المسلمون أنهم ساعدوا الكونت سان جيل Saint-Gilles (صنجيل) في حصار طرابلس[3].

في النصف الأول من القرن الثاني عشر عادت بدعة المونوليتية monothélite للظهور مراراً وسط سريان لبنان الموارنة، ولكن غالبيتهم عادت نهائياً إلى حضن الكنيسة الرومانية بعناية أموري Amaury بطريرك أنطاكية اللاتيني، في العام ١١٦٧.

وكان لهم حينذاك في لبنان عدة أديرة[4]، الكثير منها كان بمثابة مقرات للبطريرك أو للأساقفة الموارنة الأربعة. هناك في إقطاعة جبيل[5]، دير السيدة والقديس الياس في لحفد؛ ودير القديسة مريم هابيل (ص ٧٩) وميفوق Sainte Marie d'Abil et de Meïphouk، وأخيراً دير القديس قبريانوس Saint-Cyprien في كفيفان.

وكان لهم أيضاً حوالي ١١ ديراً في سنيوريتي البترون وأنفه وكذلك في وادي قاديشا الرائع الذي كان الفرنجة والموارنة يعتبرونه نهراً مقدساً، كما يشير اسمه[6]...

(ص ٨٠) كانت عقيدتهم (السريان اليعاقبة) قليلة الاختلاف عن عقيدة اللاتين، وفي العام ١٢٤٧ توجه بطريركهم اغناطيوس إلى البابا إينوسان الرابع بخضوع الكنيسة اليعقوبية تحت أربعة شروط:

الأول: أن ينتخب اليعاقبة بطركهم طبقاً لتقاليدهم؛ الثاني: أن يكون البطرك والأساقفة مرتبطين مباشرة بالكرسي الرسولي، ولا يخضعون بالتالي للأساقفة اللاتين؛ الثالث: أن لا يكون للأساقفة اللاتين أي حقوق (العشر...) على أديار

---

[1] Cabinet historique, année 1879, p. 179.
[2] G. de Tyr, I, ch. 8.
[3] Hist. arabes des Croisades, t. I, p. 212.
[4] Assemani, Bib. Orient., t. I, p. 522.
[5] Lequien, Orient. Christ., t. III, p. 99.
[6] F. Naironus, De Origine Maronitarum, p. 116.

وكنائس اليعاقبة الواقعة في أبرشياتهم؛ الرابع: أن لا يتم تثبيت اليعاقبة الذين يتحولون (ص ٨١) إلى الطقس اللاتيني مجدداً بعد أن يقوم بذلك أسقف من طائفتهم.

كان للسريان اليعاقبة عدد من المراكز الأسقفية والأديرة في الإمارات اللاتينية (في القدس)...

وكانت أنطاكية مركز بطريركيتهم التي بها يرتبط كل أساقفة يعاقبة سورية وقبرص وأرمينيا الصغرى.

كان اليعاقبة يحتفظون بعادة الختان ...

(ص ٨٢) يبدو أن نساطرة سورية قد سكنوا على الأخص طرابلس وجبيل وبيروت وعكا... وكان لهم في طرابلس مدارس مشهورة من بين طلابها جورج أبو الفرج المعروف باسم بار هيبرايوس Bar-Hebræus.

(ص ٨٣) يبدو أن النساطرة واليعاقبة احتلوا المقام الفكري الأول بين السكان المحليين في المستعمرات اللاتينية.

إن سريان هذين المذهبين الكثيري العدد في كونتية طرابلس لم ينقطعوا أبداً عن المشاركة في الحركة العلمية التي كان اخوانهم في الموصل وبغداد عناصرها الأكثر نشاطاً، وكانوا معلمي الفرنجة في العلوم الشرقية.

(ص ٨٩) أطلق اسم الروم Grecs أو غريفون Griffons على المسيحيين الروم المرتبطين ببطريركيات المنشقين schismatiques. وكانت لكنيسة الروم في روما بطريركيتان، واحدة في أنطاكية وأخرى في القدس.

(ص ١٦٦) السريان النساطرة واليعاقبة الكثر جداً في كونتية طرابلس وعكا وفي إمارة أنطاكية... كانوا معلمي الفرنجة الطبيعيين.

(ص ١٨٠) لم يكُف إكليروس اليعاقبة والنساطرة عن الانكباب طيلة العصر الوسيط بالتنافس مع العرب المسلمين في دراسة العلوم الطبية.

(ص ٣٥٦) **كونتية طرابلس**

يحد كونتية طرابلس شمالاً النهر الجاري عند سفح قلعة مرقب Margat، بين هذه القلعة ومدينة فلانيا (بانياس) Valenie. يحمل هذا النهر اليوم اسم وادي المهيقة

Mehica. تشكل منحدرات جبل الراس نحو الشمال الشرقي خط الحدود حتى الكانتونات الجبلية التي يقطنها الإسماعلية والتي يزعم إمراء أنطاكية ملكيتها.
من المفيد هنا عرض المقطع التالي الذي وضعه بوركار دو مون سيون الذي زار سورية عام ١٢٦٥، وهو يتعلق بهذا الجانب من حدود كونتية طرابلس: " ... Terram istorum (Assassinorum) a terra Christianorum per quasdam lapides discernitur: Quibus lapidibus, in parte Christianorum, signum crucis, Assassinorum cultelli, sculptum est..." .

ويشكل وادي العاصي حدودها الاسمية من الشرق. وتجاور من هذه الجهة إمارة حماة الإسلامية، التي صارت خاضعة للفرنجة مع إمارة حمص التي سماها اللاتين حينذاك باسم (ص ٣٥٧) الجمال Chamelle، ما يبدو أنه مصدر اسم وادي الجمال Vallis Cameli الذي أطلق على القسم الأعلى من وادي العاصي. وأخيراً تكمل، من هذه الجهة الحدود الطبيعية لهذه الإمارة، البقيعة المسماة في حينه وادي باكار vallée de Baccar. ويفصلها نهر إبراهيم (نهر أدونيس عند جغرافيي العصور القديمة) جنوباً عن مملكة القدس.

الاقطاعات الأساسية: عرقة Arches ou Archas، أسبيه Asbais، بشستين Bechestin، بشمزين Besmedin (dans la maison de Giblet)، بشري Buissera، بطرام Buturan ou Beteran، البترون le Boutron، كفرعقا Cafaraca، القليعة la Colée، كرات le Crat، جبيل Giblet، جبل عكار Gibel Akkar، مرقية Maraclée، المنيطرة le Moinestre، أنفة Néphin، سورا Sura، طرطوس Tortose.

الحصون: عرقة Archas، عريمة Aryma، حصن صافيتا Chastel Blanc ou Safita ، قلعة يحمور Chastel Rouge، القليعات Coliat، القليعة la Colée، جبل عكار Jibel Akkar، حصن الأكراد Krak des Chevaliers، مون فراندوس Mons Ferrandus، السرخ le Sarc، طرطوس.

(ص ٣٥٨)
كانت هذه الكونتية تضم علاوة على مطرانية طرابلس ثلاث مدن أسقفية: طرطوس ورفنية Raphanée وجبيل.

أما أبرز الأديرة اللاتينية فكانت: دير البلمند Beaumont لرهبنة Citeaux، دير كنيسة القيامة في جبل الحجاج (أبي سمرا في طرابلس)، وأديرة مار ميخائيل والمخلص وسيدة مادلين في طرابلس ودير الكرمليين في بوليو(؟) Beaulieu.

وكان بطريرك السريان الموارنة يقيم في هذه الكونتية.

كانت طرابلس مقر مطرانية للسريان اليعاقبة. وكان السكان المحليون لهذه الإمارة يتألفون من غالبية عظمى من السريان الموارنة المقيمين في جبال لبنان، وخصوصاً في الكانتونات القريبة من جبيل. ويقول أبو الفرج أنه جنوبي هذه المدينة، نحو بيروت، كان يوجد عدد كبير من النساطرة. ويخبرنا نفس المؤلف أن جبال عكار وجوار عرقة يقطنها مسلمون على مذهب يسميه فومي Voumi، وهم يميلون كثيراً إلى الباطنيين، ولكن يجب أن نعتبرهم على ما أظن نصيريين. وكان بين سكان طرابلس عدد كبير من السريان اليعاقبة.

يبدو أن الفرنجة والموارنة، طيلة المرحلة الصليبية، اعتبروا قاديشا نهراً مقدساً، كما يشير اسمها. وفي العام ١١٨٣ سماها بروكار Brocard الوادي المقدس، ويذكر الأديرة والكنائس العديدة القائمة على جوانبها. وفي بحثه حول أصل وديانة الموارنة يتحدث نيرون F. Naironus عنهم بهذه العبارات: “... ... Vallis illa amænissima ac sanctissima Faradis dicta, id est Paradisus in jugo montis Libani, sanctissimorum monachorum vita et multidune, per totam syriam celebrrima, multos, ex universis christianorum sectis, ad illos invisendos confluere solitos fuisse… »

(ص ٣٥٩) أهم أديرة السريان الموارنة في كونتية طرابلس في القرنين الثاني عشر والثالث عشر: دير سيدة يانوح في سنيورية البترون؛ دير سيدة هابيل قرب جبيل؛ مار الياس والسيدة في لحفد، ما يزال هذان الديران في هذه القرية؛ السيدة ومار مارون في كفرحي؛ مار امطانيوس، أكبر دير في لبنان وما يزال حتى اليوم باسم مار أنطون؛ دير مار سركيس في حردين Hardin تدمّر عام ١٤٤٠؛ مار ديميتري قرب بشري؛ دير مار قبريانوس في كفيفان Caphiphoun قرب جبيل؛ دير مار جرجس في كفرا Cphar ou Kafra؛ دير مار سركيس وباخوس قرب أهدن، وهو يُسمى اليوم دير راس النهر.

مواضع في كونتية طرابلس

عبدين[1] Abdin: قرية تعود إلى كنيسة القيامة. ما تزال هذه القرية تحمل نفس الاسم وتقع في الكورة الفوقا.

أير[2] Aer: قرية في كونتية طرابلس، وفيها وهب برنارد ديرا Bernard Derat سكة من الأرض إلى كنيسة القيامة عام ١١٤٨.

أيزلو[3] Aieslo: موضع مجاور وتابع لأرض (ص ٣٦٠) الخليفة تنازل عنه عام ١١٨٥ ريمون دو تروا- كليه Raymond de Trois-Clés إلى فرسان الاسبتالية، ولعله إيلات Ailot بالقرب من عرقة.

علما[4] Alma: قرية وهبها عام ١١٢٧ كونت طرابلس بونز إلى كنيسة مار يوحنا في جبل الحجاج. تقع هذه القرية على مسافة ٧كلم شرقي طرابلس، وما تزال تحمل نفس الاسم.

طرطوس[5] Antartous ou tortose: مدينة أسقفية في كونتية طرابلس يملكها الفرسان الداوية الذين كانوا يحتفظون في البرج الرئيسي لقلعتها بمحفوظاتهم وخزينتهم. وكانت كنيسة العذراء فيها من أكثر مقاصد الحجاج تقديراً في سورية.

طرطوس (الجزيرة): هي أرواد Aradus القديمة المعروفة اليوم باسم رواد Rouad. كانت أيضاً ملك الفرسان الداوية الذين رفعوا قلعتها التي بقيت آثارها قائمة لبضع سنين خلت.

أبيا أو آسيا[6] Apia ou Asia: قرية وهبها كونت طرابلس، بونز، عام ١١٢٧، إلى فرسان الاسبتالية في جبل الحجاج، وهي اليوم قرية في ناحية الزاوية واسمها آسيا Ahsia.

---

[1] Cart. St-Sépul., n° 97, p. 191.
[2] المرجع السابق.
[3] Cod. Dipl., t. I, n° 7, p. 286.
[4] Cod. Dipl., t. I, n° 11, p. 11.
[5] Architecture militaire des croisés., p. 69; Familles d'Outre Mer, p. 809.
[6] Cod. Dipl., t. I, n° 11, p. 11.

عرقة [١] Archas: مدينة محصنة في كونتية طرابلس، دمرها زلزال، ووهبها الملك أموري عام ١١٧٠ إلى فرسان الاسبتالية. وهي اليوم ضيعة كبيرة باسم عرقة Arkas نقبت أسوارها عام ١٢٦٦ قوات السلطان بيبرس.

حردين [٢] Ardin: قرية تعود إلى كنيسة القيامة، هي اليوم حردين Hardin في ناحية الكورة.

أروات [٣] Aroath: قرية مجاورة لطرابلس وهبها بونز كونت طرابلس، عام ١١٢٧، إلى فرسان الاسبتالية في جبل الحجاج. مطلوب معرفة موضعها.

(ص ٣٦١) **أرطوسية** [٤] Artésie: ضيعة قائمة على مصب نهر البارد عل أنقاض أرطوسية Orthosia. يُعرف هذا الموضع اليوم باسم أرض أرطوسي Ard Artousi.

عريمه [٥] Aryma: قلعة لفرسان الداوية ما تزال آثارها المجاورة لصافيتا تحمل اليوم اسم قلعة العريمة Kalaat Areymeh.

أسبيه Asbais: إقطاعة امتلكها أصحاب مرقية Maraclée، ويبدو أنها تقع في هذه المنطقة من كونتية طرابلس، وكانت تسمى في حينه الخوابي le Coïble، التي أظن أنها في ناحية الخوابي Kaouaby الحديثة.

بحنين [٦] Bahani: قرية وهبها كونت طرابلس، بونز، عام ١١٢٧، إلى فرسان الاسبتالية في جبل الحجاج. وهي اليوم قرية بحنين Behannine.

باهو Baho: قرية وهبها كونت طرابلس، بونز، عام ١١٢٧، إلى فرسان الاسبتالية. يبد أن هذه القرية، تبعاً لسياق النص ad Montana de bochea، من المفروض أن تكون شمالي جبل عكار، حوالي البقيعة.

---

[1] Ibid., t. I, nº 51, p. 51-52.
[2] Cart. St-Sépulcre, nº 97, p. 191.
[3] Cod. Dipl., t. I, nº 11, p. 11.
[4] G. de Tyr, I, XIII, ch. (?).
[5] Architecture militaire des Crois., p. 69.
[6] Cod. Dipl., t. I, nº 11, p. 11.

بينو Banna: قرية مجاورة لعرقة، مذكورة في عقد لعام ١١٧٩. من المفروض أن يكون هذا الموضع في موقع قرية بينو Baïna.

البلمند[١] Beaumont ou Belmont: دير لرهبنة في أبرشية طرابلس، أصبح اليوم دير البلمند Belment الأرثوذكسي، جنوبي هذه المدينة. أقام اليعاقبة لاحقاً في هذا الدير، ونعثر عليه مذكوراً في العام ١٤٩٩ باسم دير سيدة البلمند Notr-Dame de Balamand.

بلاّ[٢] Bebula, Babele ou Habela: قرية وُهبت إلى كنيسة القيامة، هي اليوم بلاّ Belleh.

بكفتين[٣] Bechestin: إقطاعة صغيرة حملت اسمها إحدى عائلات كونتية طرابلس. وهي قرية (ص ٣٦٢) في ناحية الكورة التحتا، معروفة اليوم باسم بكفتين Bekeftin.

منيارة[٤] Benehara ou Beniharan: قرية وهبها غليوم جوردين Guillaume Jourdain إلى كنيسة القيامة. يبدو أن هذا الموضع موجود في القرية المارونية منيارة Meniara، بالقرب من عرقة.

برترانديمير[٥] Bertrandimir: قرية في كونتية طرابلس تعود إلى الفرسان الداوية، مذكورة في العام ١١٧٩، في اتفاقية بين الداوية والاسبتالية.

بشمزين[٦] Besmedin: إقطاعة تعود لأسياد جبيل Giblet. من السهل موضعة هذا الموقع في القرية المارونية المعروفة اليوم باسم برج بشمزين Bordj-Beschmezïn في الكورة.

---

[1] Mas. Lat. Hist. de Chypre, t. III, p. 665.
[2] Cart. St-Sépulcre, p. 191.
[3] المرجع السابق، ص ٢٥.
[4] Cod. Dipl. T. I, n° 46, p. 66.
[5] المرجع السابق.
[6] Familles d'Outre-Mer, p. 332-542; Cont. de G. de Tyr, éd. De l'Inst., p. 339.

بيت لحم[١] Bethléem: قرية أو بلدة وهبها كونت طرابلس، بونز، عام ١١٢٧، إلى الاسبتالية في جبل الحجاج. موضعها غير معروف بعد.

بتليون[٢] Bethelyon: قرية مجاورة لطرابلس، مذكورة في العام ١١٣٩، في عقد يعود إلى الكونت ريمون comte Raymond.

بيت ساما أو **بيت شمعون**[٣] Bethsama ou Bethsamum: قرية وُهبت إلى الاسبتالية في جبل الحجاج في العام ١١٢٧.

بيت سيديون (سيده؟) Bethsedion: قرية وُهبت أيضاً إلى الاسبتالية في العام ١١٢٧.

بيتير[٤] Betire: قرية تقع بين الحصن الأبيص (صافيتا) وحصن الأكراد.

بطرام[٥] Betran ou Buturan: إقطاعة صغيرة منها سيدان باسم غوتييه Gauthier وغي Gui يظهران (ص ٣٦٣) في عدة عقود نحو أواسط القرن الثاني عشر. يطابق هذا الموضع ضيعة بطرام Betran في ناحية الكورة، جنوبي طرابلس.

بيت زعال Betzaal: قرية تابعة لسنيورية جبيل، غير معروفة الموضع.

الأبيض (الحصن)[٦] Blanc (le Chastel): قلعة للداوية ما تزال في وضع محفوظ وتحمل اليوم اسم صافيتا.

بوكومب[٧] Boccombe: قرية مذكورة عام ١١٤٣، في امتياز لريمون، كونت طرابلس، وفيه ريمون دو ناربون Raymond de Narbone يقدم سكة من الأرض إلى كنيسة القيامة. وضعها غير محقق. وكانت تشكل مع **ريميسك** Remesque إقطاعة من متوجباتها فارسان.

---

[1] Cod. Dipl., t. I, n° 11, p. 11.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

[4] Ibid., t. I, n° 179, p. 220.

[5] Cod. Dipl., t. I, n° 33, p. 35, et n° 194, p. 238.

[6] Architecture militaire des Crois., p. 85.

[7] Cart. St-Sépul., n° 97, p. 191.

البقيعة Bochée: سهل وحصن صغير يقعان تحت حصن الأكراد. يُسمى السهل اليوم **بقيعة الحصن** Boukeïahel-Hosn. وكانت في العام ١١٦٣ مسرح معركة كبيرة بين الفرنجة ونور الدين.

بوتسوفلام[١] Botsoflam: قرية مجاورة لطرابلس، مذكورة عام ١١٣٩ في عقد للكونت ريمون.

البترون[٢] Boutron (le): مدينة بحرية صغيرة تقع جنوبي رأس الشقعة cap Theoprosopon. كانت في القرن الثاني عشر مركز أسقفية يعقوبية. ما نزال نرى فيها آثار حصن ومرفأ صغير تغمره الرمال اليوم. يحتل إقطاعيو هذه المدينة فصلاً في مؤلف عائلات ما وراء البحار Familles d'Outre-Mer.

بويولا[٣] Buiola: قرية وهبها ريمون دو سان- جيل (الصنجيلي) إلى كنيسة القيامة.

بويسيرا[٤] **(بشري)** Buissera: إقطاعة تابعة لكونتية طرابلس. أعطت هذه القرية اسمها للعائلة التي امتلكتها؛ لأننا نرى في كانون الأول من العام ١٢٠٤ مانسيلوس دو بويسيرا Mansellus de Buissera (ص ٣٦٤) كشاهد في عقد لجيرار دو هام Gérard de Ham.

ويبدو أنها ليست غير قرية بشري Bscharreh ou Bisciarrai، واحدة من أهم مواضع لبنان. يقول لوقيان[٥] Lequien في مقدمة مؤلفه تاريخ الكنيسة المارونية Histoire de l'Eglise maronite أننا كنا نرى في بشري أثار حصن قديم حيث أقام طويلاً أمراء الجبل المسيحي. ونرى فيها اليوم آثار كنيسة من القرن الثاني عشر.

ويقول بروكار Brocard عن وادي بشري الذي زاره خلال رحلته إلى سورية أنه شاهد هناك العديد من الأديرة وعدداً كبيراً من الكنائس[٦].

---

[1] Cod. Dipl., t. I, nº 18, p. 19.
[2] Familles d'Outre-Mer, p. 257.
[3] Cart. St-Sépul., nº 97, p. 191.
[4] Cod. Dipl., t. I, nº 87, p. 93.
[5] Oriens. Christ., t. III, p. 45.
[6] Brocard, Ap. Laurent, p. 28.

كفرعقا[١] Cafaraca: إقطاعة في كونتية طرابلس حمل اسمها مالكوها. هذه القرية وهبها إلى الاسبتالية عام ١١٢٧ بونز، كونت طرابلس. وتقع في موضع قرية كفرعقا Kefer-Akka ou Keferaka جنوب وجنوب شرق مدينة طرابلس. ما نزال نرى فيها بقايا حصن يعود للعصور الوسطى.

كفرسيكل[٢] Cafarsequel: أو قرية Pont-sans-eau التابعة لسنيورية جبيل. موضعها مجهول.

القلمون[٣] Calamon: قرية قريبة جداً من طرابلس. وما تزال إلى اليوم تحمل اسم قلمون Kalamoun.

الخليفة (أرض)[٤] Calife (la terre au): اسم حمله في القرن الثاني عشر السهل الواقع على الضفة اليمنى للنهر الكبير، بمواجهة وبقرب عرقة. ما يزال هذا السهل يُسمى أرض الخليفة Ard-el-Kalifeh، ويقسمه نهر الخليفة بين سهل البرج Sahel el Bordj وسهل الخراب Sahel el Kerab. نجده مذكور في العام ١١٨٥ في عقد يعود إلى ريمون دو تروا-كليه Raymond de Trois-Clés الذي كان له فيه ملك واسع.

(ص ٣٦٥) **كارتمار**[٥] Cartamare: قرية وُهبت إل الاسبتالية عام ١١٢٧، وكانت محاطة ببساتين الزيتون الواسعة، ويبدو أنها كانت قريبة من رفنية. موقعها غير محدد بعد.

السنديانة[٦] Cendiana: قرية وهبها عام ١١٢٧ كونت طرابلس بونز إلى الاسبتالية في جبل الحجاج. وهي اليوم قرية أرثوذكسية في جبال عكار باسم السنديانة Sendianeh.

---

[1] Cod. Dipl., t. I, p. 66-68.
[2] Cart. St-Sépul., n° 97, p. 191.
[3] Cod. Dipl., t. I, p. 270.
[4] G. de Tyr, I, XXI; Cod. Dipl., t. I, n° 7, p. 286.
[5] G. de Tyr, I, XXI; Cod. Dipl., t. I, n° 7, p. 11.
[6] Cod. Dipl., t. I, n° 11, p. 11.

سرفتانية[١] Ceraphtenie: قرية وهبها كونت طرابلس، بونز، عام ١١٢٧ إلى الاسبتالية في جبل الحجاج. بقايا هذه القرية أعطت اسمها لهضبة تسمى سلفتانية Self-et-Tanieh قريبة جداً من طرابلس.

إقليم **الخوابي**[٢] Coible (le territoire du): يبدو لي أنه تمت تسمية كانتون الخوابي Kaouaby بهذا الاسم في ظل السيطرة اللاتينية. من المعروف أنه كان يقع بين المرقب Margat والحصن الأبيض (صافيتا)، وهو موقع يطابق تماماً موقع الخوابي الواقع شمالي طرطوس بين صافيتا ومرقب Markab.

القليعة[٣] Colée (la): حصن يحمي واحد من ممرات جبل النصيرية، ما تزال آثاره تسمى القليعة El Coleïah. ومنه استمدت العائلة التي كانت تمتلكه اسمها، ولعبت دوراً ما في سورية ومن ثم في قبرص، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. انتقل هذا الحصن لا حقاً إلى الباطنيين Batheniens.

القليعات[٤] Coliath: حصن صغير في سهل عرقة وهبه بونز كونت طرابلس إلى الاسبتالية في جبل الحجاج عام ١١٢٧. ما تزال آثار هذا الحصن معروفة باسم القليعات Kleïaat. استولى عليه بيبرس عام ١٢٦٦.

كورنونيوم[٥] Cornnium: قرية أخرى حصل عليها اسبتالية جبل الحجاج.

(ص ٣٦٦) **كرات**[٦] Crat (le): الاسم الذي أطلق في القرن الثاني عشر على الاقطاعة التي شكلها في ذلك الحين حصن الأكراد والذي تسمت به العائلة التي امتلكتها.

كوليكات[٧] Culicat: هي نفس القليعات Coliath.

---

[1] المرجع السابق.
[2] Marin. Sanut. Secret. Fid. Crucis ap. Bongars, p. 228.
[3] Cod. Dipl., t. I, n° 179, p. 221.
[4] Cod. Dipl., t. I, n° 11, p. 11.
[5] المرجع السابق.
[6] Cod. Dipl., t. I, p. 23; Architecture militaire des Croisades, p. 39 et suiv.
[7] Wilb. D'Oldenbourg, p. 169, Ed. Laurent.

ديري[١] Derie: ورد ذكر هذه القرية في العام ١١٤٣، في امتياز لريمون كونت طرابلس، ويتماثل تماماً مع قرية داريا Deraïa في ناحية الزاوية على مسافة ١٢ كلم جنوبي طرابلس.

دوركارب[٢] Durcarbe: قرية مجاورة لطرابلس وهبها غليوم جوردن Guillaume Jourdin عام ١١٢٧ إلى اسبتالية تلة الحجاج.

التفاحة Elteffaha: قرية امتلكها الداوية وقام بإقطاعها مقابل فارس. تتماثل هذه القرية بسهولة مع قرية تفاحة Teffahah شرقي طرطوس[٣].

فودا[٤] Fauda: قرية تعود للاسبتالية مذكورة (١١٨٥) في عقد يعود إلى ريمون كونت طرابلس.

فيليسيوم[٥] Felicium: قرية بالقرب من عرقة امتلكها جيلبير دو بوي Gilbert de Puy الذي باعها، مع قرية لاتوم Latum، إلى ريمون كونت طرابلس، بمبلغ ١٠٠٠ بيزان besans. وانتقلت هاتان القريتان إلى الاسبتالية مع انتقال حصن الأكراد.

فلارا[٦] Fellara: قرية وهبتها الكونتيسة أرمنساند دو شاتونوف comtesse Armensende de Châteauneuf، عام ١١٥١، إلى الاسبتالية.

العيون (فونتين) Fontaines (les): قرية تقع بين الحصن الأبيض (صافيتا) وحصن الأكراد. وهي اليوم قرية صغيرة (ص ٣٦٧) اسمها العربي العيون El-Aïoun، وبالتالي فاسمها الفرنسي مجرد ترجمة.

جبيل[٧] **(جيبليه)** Giblet: مدينة أسقفية صغيرة قامت على أنقاض بيبلوس القديمة وتملكتها عائلة لامبرياك Lembriac، التي اتخذت من هناك لقب جيبليه Giblet؛ وتسمى اليوم جبيل التي تضم، علاوة على قلعتها وأسوارها، كنيسة حسنة ومثبت

---

[1] Cart. St-Sépulcre, n° 97, p. 191-192.
[2] Cod. Dipl., t. I, n° 11, p. 11.
[3] Mas. Lat. Hist. de Chypre, t. III, p. 238.
[4] Cod. Dipl., t. I, no 7, p. 286.
[5] Cod. Dipl., t. I, p. 24.
[6] Cod. Dip., t. I, n° 194, p. 239.
[7] Familles d'Outre-Mer, p. 316; Architecture militaire des Crois., p. 219.

عماد يعود إلى القرن الثاني عشر. وتم التعرف فيها على بقايا تحصينات دفاعية أقامها الصليبيون...

حلبا[1] Halba: حصن صغير بالقرب من عرقة استولت عليه قوات السلطان بيبرس عام ١٢٦٦، وما تزال بقاياه ملحوظة في قرية حلبا Halbeh.

المجدل[2] Helmedel: قرية في إقطاعة جبل عكار وهي اليوم قرية المجدل الحديثة.

جبل عكار[3] Jibel Akkar ou jibeltar: حصن يسيطر على على بلاد عكار لا نزال نرى آثاره على تلة من جبال عكار. بعد أن كان مع إقليمه واحداً من الاقطاعات الكبيرة في كونتية طرابلس أعطاه الملك أموري عام ١١٧٠ إلى الاسبتالية مع حصن عرقة؛ وذلك بعد أن تضرر الموقعان بهزة أرضية.

(ص ٣٦٨) **كفرحي**[4] Kafari: قرية وهبتها أرمنساند دو شاتونوف إلى الاسبتالية، وهي اليوم كفرحي Kefer Haï.

كامل أو **شامل**[5] Kamet ou le Chamel: حصن وإقطاعة في كونتية طرابلس، في المنطقة الواقعة بين طرطوس ومرقية ورفنية. انتقل إلى الاسبتالية مع توابعه عام ١١٢٧. (لعله من الأفضل أن يكون قرب حصن، من حيث التسمية)

حصن الأكراد[6] Krak des Chevaliers (le) ou Crat (le): حصن سماه المؤرخون العرب حصن الأكراد، والذي نظراً لأهميته الاستراتيجية باعه غليوم Guillaume، صاحب (كرات Crat) عام ١١٤٥، إلى الاسبتالية. شكل هذا الحصن وجواره في قسم من النصف الأول من القرن الثاني عشر إقطاعة كرات Crat. ونظراً لموقعه وأهميته قدمت له وصفاً مطولاً في مؤلفي "الهندسة العسكرية للصليبيين" Architecture militaire des Croisés.

---

[1] Hist. arabes des Crois., t. I, p. 151.
[2] Cart. St-Sépulcre, nº 97, p. 191-192.
[3] Cod. Dipl., t. I, nº 51, p. 51-52.
[4] Cod. Dip., t. I, nº 194, p. 239.
[5] Cod. Dip., t. I, p. 12-88-132.
[6] Architecture militaire des Crois., p. 39.

المنيطرة[١] Manethera ou le Moinestre: حصن صغير لحراسة واحد من ممرات لبنان، غير بعيد عن أفقا Afeka. وكان من اقطاعات كونتية طرابلس. وفي موضعه توجد اليوم قرية باسم المنيطرة el Mouniterah. استولى عليه نور الدين عام ١١٦٦. اسمه العربي منيطرة Monaïdhera يعني مركز صغير للمراقبة.

مرقية[٢] Maraclée: إقطاعة في الكونتية. لم يبقى منها مع الأسف غير آثار مدينتها المعروفة اليوم باسم مرقية Merakieh.

مرقبان السهول (الصغير)[٣] Marciban des Plaines (le petit): قرية في كونتية طرابلس تجاور فودا Fauda. مجهولة الموقع.

مردباش[٤] Mardabech: قرية مذكورة في (ص ٣٦٩) عقد التنازل عن حصن الأكراد إلى الاسبتالية، مجهول الموقع.

المزرعة[٥] Medera: قرية وهبها إلى كنيسة القيامة غليوم إرمنغارد Guillaume Ermengard، وهي تقع تبعاً للنص ex alia parte montane. قد يكون هذا الموضع هو المزرعة Mezera الواقعة على المنقلب الشرقي لجبل عكار.

ميفوق Meiphuk: ضيعة شمالي شرقي جبيل كان فيها في القرن الثالث عشر دير هام لليعاقبة، وكنيستها المنتهية عام ١٢٧٦ على أهمية هندسية كبيرة.

ميليشين[٦] Melechin: حصن على تلة مجاورة للعاصي، مجهولة الموضع حتى الآن.

ميساركون[٧] Messarkun: قرية وهبها ريمون جيبليه Raymond de Giblet إلى الاسبتالية عام ١١٨٦. قد تكون هذه القرية في إمارة أنطاكية.

---

[1] G. de Tyr, I, XXI, ch. 11.
[2] Fam. D'Outre-Mer. P. 384.
[3] Cod. Dipl., t. I, n° 7, p. 286.
[4] Cod. Dipl., t. I, n° 11, p. 11.
[5] Cart. St-Sépulcre, n° 97, p. 191-192.
[6] Cod. Dipl., t. I, n° 70, p. 70.
[7] Cod. Dipl., t. I, n° 74, p. 76.

المسكية[١] Mesquie (la): قرية بين الحصن الأبيض (صافيتا) وحصن الأكراد.

ميناكوزي[٢] Minacusi ou Manacuisine: قرية على الطريق بين القليعات Culicat (Kleïaat) وطرطوس. أظن أني عثرت على موضعها في قرية داثرة بالقرب من مرسى صغير يُعرف اليوم باسم المينا كابوزي El Mina Kabousi، وغير بعيد عن قرية الحمّام El Hammam.

مجدليا[٣] Misdelia: قرية وُهبت إلى اسبتالية جبل الحجاج عام ١١٢٧ ويبدو أنها قرية مجدليا Medjlaïa الحديثة.

مون فراندوس[٤] (بعرين) Mons Ferrandus: حصن ما تزال آثاره مشرفة على قرية بعرين Baarïn، وهو الاسم الذي كان الكتاب العرب يسمون به أحياناً هذا الحصن. (ص ٣٧٠) وكان الحصن يحتل كل قمة التلة. ومع أن خرابه متقدم للغاية فإننا نتعرف في بقاياه على أنه كان مربعاً وله نتوءات مستطيلة...

مون ليوباردوروم Mons Leopardrum: جبل مذكور على أنه يقع على مسافة فرسخين شمالي طرابلس، ما يسمح بالاعتقاد أنه جبل تربل. هذا الجبل غير وارد إلاّ في الرحلات البحرية.

مون نيغرونيس[٥] Mons Nigronis: يبدو أن هذا الجبل هو الجزء المتوسط من سلسلة جبال النصيرية.

مون كوكولي[٦] Montecuculi: أكمة واقعة جنوبي شرقي طرابلس، على الشاطئ.

أنفه[٧] Nephin: إقطاعة هامة في كونتية طرابلس. ما تزال بقايا حصنها الصغير ملحوظة على تلة صغيرة غربي القرية الحديثة أنفه Anfeh، التي حلت مكان ضيعة العصور الوسطى، حيث كانت توجد كنيسة حسنة البناء في القرن الثاني عشر.

---

[1] Cod. Dipl., t. I, nº 179, p. 220.
[2] Wilb. D'Oldenbourg. Ed. Laurent, p. 169.
[3] Cod. Dipl., t. I, nº 11, p. 11.
[4] G. de Tyr, I, XIV, ch. 6.
[5] G. de Tyr, I, XII, ch. 11.
[6] Cod. Dipl., t. I, nº 74, p. 76.
[7] J. de Vitry, 1. I, ch. 44; Familles d'Outre-Mer, p. 413.

سماها الإدريسي باسم أنف الحجر Anef el Hadjar مصدر أكيد لاشتقاق اسمها اليوم.

نوبيا[١] Nubia: قرية بجوار طرطوس تخلى عنها غليوم دو ماراكليه Guillaume de Maraclée إلى الاسبتالية عام ١١٦٣.

ممر القديس غليوم (باس سان-غويوم[٢]) Passe Saint-Guillaume: اسم أطلق على موقع على الطريق بين أنفه وطرابلس حيث ينحصر المكان بين الجبل والبحر، بالقرب من دير مار يعقوب، بين القلمون وأبو حلقة Abou- Halka.

(ص ٣٧١) **بوي دو كونيستابل** Puy du Connestable (le)، قرية كانت إقطاعة ج. دو فارابل G. de Farabel، كونستابل طرابلس، ويبدو أنها استمدت اسمها من وظيفة مالكها.

يبدو أن هذه القرية التي أعطت اسمها للمخاضة المجاورة كانت في موضع قرية **عبره** Obreh شمالي رأس الشقعة.

رشباطا[٣] Rachbata: مدينة صغيرة استولى عليها غليوم جوردن Guillaume Jourdain من أيدي سودان دمشق، ودمرتها هزة أرضية عام ١١٥٧.

رفنيه[٤] Raphanée: مدينة أسقفية في كونتية طرابلس، قائمة في موضع مدينة قديمة بنفس الاسم؛ ما تزال آثارها المسماة رفنية أيضاً، قريبة جداً من حصن مون فراندوس Mons Ferrandus، وهو اليوم قلعة بعرين Kalaat Baarïn.

ريميسك[٥] Remesque: قرية مجاورة لطرابلس، امتلكها هوغ دو باركيه Huques de Barlais، مذكورة في عقد مع الاسبتالية لعام ١٢٥٣. شكلت هذه القرية مع بوكومب Boccombe إقطاعة صغيرة متوجب عليها خدمة خيّالين.

---

[1] Cod. Dipl., t. I, n° 33, p. 35.
[2] Cont. de G. de Tyr, p. 101.
[3] Ibn Khaldoub, Ed. Tornberg, p. 134; Aboulfaradj, Chron. Syr., p. 355.
[4] Cod. Dipl., t. I, n° 23, p. 23.
[5] Ibid., t. I, n° 121, p. 138.

ريكلوز[١] Resclause (la): ذُكر هذا الموضع في عقد التنازل عن حصن الأكراد إلى الاسبتالية بوصفه يقع على العاصي، ويبدو أنه كان يقع في موضع أرطوزا Arethusa القديمة المعروفة اليوم باسم الرستن Er-Roustan.

الروج[٢] (حصن) Rouge (le Chastel): حصن بين طرطوس والحصن الأبيض (صافيتا)، وهو اليوم قلعة يحمور Kalaat Yhamour.

السرك[٣] Sarc ou Esserk: حصن صغير تركه إلى الاسبتالية غليوم دو ماراكليه Guillaume de Maraclée، عام ١١٦٣، ولكن موضعه لم يتعين بعد بشكل مرضٍ؛ وكان يقع في نواحي الحصن الأبيض (صافيتا) بالقرب من القليعة la Colée.

(ص ٣٧٢) **صربا**[٤] Sorbe: قرية وهب فيها جوفروا دو بين Geoffroy de Pennes سكة أرض إلى الاسبتالية.

سوميسا[٥] Sumessa: قرية في كونتية طرابلس تعود إلى الاسبتالية وعليها متوجبات إلى الكونت. مذكورة عام ١١٨٥. مجهولة الموضع.

صورا Suura ou Suiura: إقطاعة اتخذت اسمها عائلة معتبرة، يجب موضعتها في قرية صورا Sura الواقعة في الجبل شمال شرق البترون.

تيريس[٦] Teres: قرية تقع بين الحصن الأبيض (صافيتا) وحصن الأكراد.

تل الدهب[٧] Theledehep: قرية بجوار حصن مون فراندوس (بعرين) وتابعة له، وتم وهبها إلى الاسبتالية عام ١١٢٧. مجهولة الموضع.

---

[1] المرجع السابق.
[2] المرجع السابق.
[3] Cod. Dipl., t. I, nº 38, p. 39 et nº 179, p. 220.
[4] Cart. De St-Sépulcre, nº 97, p. 191-192
[5] Cod. Dipl., t. I, p. 286.
[6] Ibid., t. I, nº 179, p. 221.
[7] Cod. Dipl., t. I, nº 9, p. 11.

طرابلس: كانت في العصر الوسيط مقسومة إلى قسمين: جبل الحجاج الذي أصبح المدينة الحالية، والمدينة القديمة التي تحتل شبه الجزيرة التي تقع بلدة الميناء اليوم على طرفها.

وكانت المساحة الفاصلة بينهما، كما هي الحال اليوم، مزروعة ببساتين رائعة وبزراعة قصب السكر. وكنا نرى فيها، يقول سترامبالدي[١] Strambaldi، العديد من معاصر السكر؛ ولم يقدر بوركار دو مون سيون[٢] Burchard de Mont-Sion النتاج السنوي لهذه البساتين بأقل من ٣٠٠ ألف بيزان besans.

استمدت مدينة جبل الحجاج الصغيرة اسمها من المرتفع الذي بنى عليه الكونت سان- جيل حصناً أثناء حصار طرابلس. بعد هذا الحصار الذي استمر حوالي ١٠ سنوات تحول معسكر هذا الأمير الفرنسي إلى مدينة عامرة.

وعليه يحتل حصن جبل الحجاج الذي سماه المؤرخون العرب حصن صنجيل[٣] Hosn-Sandschil (ص ٣٧٣) موضع القلعة الراهنة القائمة على أنقاضه. والجسر الذي يربط في أيامنا طرابلس مع الضفة اليمنى لقاديشا كان يُسمى حينذاك جسر جبل الحجاج[٤].

أقيم في هذه المدينة الصغيرة مصلى على اسم كنيسة القيامة، وكنيسة باسم القديس يوحنا المعمدان، ويعود الاثنان إلى الاسبتالية[٥].

في القرن الثالث عشر، كانت طرابلس المزدهرة بتجارتها وصناعتها ومدارسها وافرة السكان ولا تعد أقل من أربعة آلاف نول لحياكة الحرير وقماش الشملة[٦].

ويذكر رحالة ذلك الزمن أبنيتها الرائعة وقصورها العديدة.

كانت هذه المدينة مركز أسقفية يعقوبية، كنيستها الكاتدرائية باسم القديس بهنام Saint-Behannami.

---

[1] Strambaldi, Chron. Manus., folio 71.
[2] Burch. De Mont-Sion, Ap. Laurent, p. 28.
[3] Wilb. d’Oldenbourg. Ap. Larent, p. 168.
[4] Cod. Dipl., t. I, p. 11.
[5] المرجع السابق، ص ٢٧٠.
[6] Burch. De Mont-Sion, Ap. Laurent, p. 28.

في ٢٩ حزيران من العام ١١٧١ ضربها زلزال رهيب فدمر قسماً من المدينة وكنيسة السيدة الكبيرة[١]. ومن المعروف أنه كان في طرابلس كنيسة القديس ميخائيل وكنيسة سيدة مادلين.

ثمة خط من بقايا الأسوار ومداميكها النهائية يجتاز شبه الجزيرة عرضاً ويعين حدها الشرقي في العصر الوسيط، بينما كانت جهاتها الثلاث الأخرى محاطة بالبحر. كانت على شكل مربع منحرف، ولم يكن لها غير سور واحد تتخلله أبراج ناتئة.

ومن المعروف أنه كان فيها إلى الشرق برج مركزي وأبنية مجاورة يمتلكها فرسان التوتون، بينما كان جزء من الأسوار ملكية (ص ٢٧٤) اسقف طرابلس، وهو يقع بين ملكية الفرسان الألمان وفرسان الداوية التي يبدو أنها كانت في الزاوية الجنوبية الشرقين من المدينة، بالقرب من البحر. ومن هذه الجهة ينفتح باب القديس ميخائيل حيث تؤدي طريق جبيل[٢].

أما مرمى السهام والبرج المعروف ببرج المطران، فكانا من الأبنية الهامة، وهما أول من سقط بيد المسلمين عندما استولوا على المدينة[٣] في نيسان ١٢٨٧. يضيف سانوتو Sanuto أنهم دخلوا المدينة من حي الاسبتالية، الذي كان، حسب قوله، ملاصقاً للبحر. أعتقد أن سانوتو أخطأ هنا، لأن مقر الاسبتالية كان في جبل الحجاج على ما يبدو.

من أكثر جزر طرابلس قرباً إلى اليابسة والتي حددت لحد كبير مرفأها، هناك جزيرة القديس توما التي اتخذت اسمها من الكنيسة التي بنيت هناك على اسمه. وهناك عُقد الزواج الشهير بين أليكس دو شامبانيى Alix de Champagne وأمير أنطاكية بوهيمون prince Bohémond d'Antioche.

[1] Pertz Script Rev. Germ., t. XIX, P. 159.
[2] Mas. Lat. Hist. de Chypre, t. III, p. 663.
[3] Marin. Sanut. Secret. fid. Crucis, ap. Bongars, p. 130.

وإليها لجأت جماعة من السكان وقت الاستيلاء على المدينة، ولكن سرعان ما لحقهم المسلمون وقضوا عليهم. ويقول السيد بوجولا Poujoulat أنه عثر عام ١٨٣١ على بقايا الكنيسة على هذه الجزيرة الصغيرة.

لا يبدو لي أن الأبراج المخصصة للدفاع عن شاطئ شبه جزيرة طرابلس تعود إلى المرحلة الصليبية. بل أعتقد أنها بنيت بمواد أسوار العصور الوسطى، خلال القرن الرابع عشر، على إثر محاولات ملوك قبرص والاسبتالية المتكررة لإعادة الاستيلاء على المدينة. لقد تعرضت هذه المدينة مراراً للحرق والتدمير بحيث لم يبقَ فيها أي بناء صليبي.

(ص ٣٧٥) عندما استولى العرب على طرابلس[١]، في ٢٦ نيسان ١٢٨٧، نقل الأميرال الجنوي بينوا زكريا Benoît Zacharie على أسطوله العدد الأكبر من سكان طرابلس، بينما نقل السلطان المالك المنصور من بقي منهم إلى جبل الحجاج.

توبان[٢] Touban: حصن مجاور للعاصي، بين هذا النهر ورفنية؛ مذكور في العام ١١٧١، في عقد يعود ريمون كونت طرابلس. مجهول الموضع.

دراسة في صروح هندسة الصليبيين العسكرية في سورية وفي جزيرة قبرص[٣]

إيمانويل غوييوم راي

المقدمة

I

(ص ١) في الوقت الذي كانت فيه أوروبا على أشد قلقها من توسع العرب وتحت تأثير اجتياح إسلامي جديد، أثار نداء بطرس الناسك Pierre l’Hermite الحركة

---

[1] Muratori, t. VI, col. 595.

[2] Ibid., t. I, no 70, p. 92; Hist. arabes des Croisades, t. I, p. 212.

[3] المرجع: G. Rey, Étude sur les monuments de l’architecture militaire des croisés en Syrie et dans l’ile de Chypre, Paris, 1871.

الصليبية العظيمة. وفي مجمع كليرمون Clermont دعا البابا أوربان الثاني Urbain II إلى حمل السلاح من أجل الجهاد المسيحي الشامل.

لقد تم بعناية اختيار التوقيت الملائم لتقبل النداء. فبعد أن كان القسم الأكبر من آسيا الصغرى وسورية ومصر وإفريقيا الرومانية وإسبانيا وصقلية خاضعاً للإسلام الذي وهو الخارج من لهب رمال الصحراء قد جاء ليهدد روما بالذات.

في ذلك الوقت، وجه أليكسيس كومين، المتزين عبثاً بلقب وأسمال القياصرة الأرجوانية، نداءه إلى الغرب من أجل الدفاع عن آخر بقايا الإمبراطورية الرومانية.

وهكذا شهدنا اندفاعاً من كل النواحي لرجال ينتمون (ص ٢) إلى فئات اجتماعية متنوعة، مدفوعين بالرغبة في المشاركة بغزو سورية وتحرير الأراضي المقدسة.

بدأت الحملة عملياً في العام ١٠٩٦، وقبل نهاية القرن الحادي عشر أصبح الصليبيون أسياد الرها وأنطاكية والقدس؛ ومنذ مطلع القرن الثاني عشر احتلوا كل سورية تقريباً، حيث لم يعد المسلمون يسيطرون على غير دمشق والبصرة وحمص وحماة وحلب. وما أن اكتمل الغزو حتى انصرف الصليبيون تدريجياً إلى تنظيم شتى مناطق البلاد.

II

... ما أن أصبحت الرها، بقيادة بودوين دو بور Baudoin du Bourg، إمارة فرنسية حتى جعلت المسيحيين يتحكمون ببلاد ما بين النهرين حتى دجلة. وكانت تقطع من هذه الجهة الطريق على القوات التي يمكن أن يرسلها أمراء الموصل وبغداد المسلمون لنجدة إمراء سورية المسلمين.

لقد قررت الوقائع وتضاريس البلاد وضرورة منح الأمراء الغربيين الوافدين إلى سورية إقطاعات متناسبة (ص ٣) مع مواقعهم الاجتماعية تشكيل إمارة أنطاكية وطرابلس. أما بقية البلاد الموزعة إلى إقطاعات ثانوية، مثل كونتية عسقلان ويافا وقيصرية وإمارة الجليل، وإلخ.، فشكلت مجال المملكة.

... يمكننا أن نرسم كحدود في الجبال شرقي المناطق المسيحية خطاً يتكون في الشمال من جبال النصيرية التي تفصل إمارة أنطاكية وطرابلس عن جيرانها

المسلمين في حماة، وفي الوسط سلسلة جبال لبنان المرتفعة بين المسيحيين وسلاطين دمشق، وفي الجنوب الأردن والبحر الميت.

... (ص ٥) شمالي طرابلس تستمر المرتفعات اللبنانية بسلسلة جبلية تشكل معها ربع دائرة شاسعة. إنها جبل عكار الهضبة الشمالية للبنان التي تحد من الشرق كونتية طرابلس، والمتصلة بها تقريباً من الشمال سلسلة جبال النصيرية التي تشكل هي أيضاً حاجزاً بين المستعمرات الفرنجية والمسلمين.

لم تكن سيطرة كونتات طرابلس على الضفة اليسارية للعاصي غير سيطرة عابرة وتقتصر على امتلاك مون فراندوس (بعرين) الذي كان بالأحرى موقعاً متقدماً لا قلعة راسخة.

خضعت الجهود البشرية هنا لمستلزمات الطبيعة؛ فأقيمت سلسلة من الحصون للدفاع عن جميع الممرات الجبلية.

وظهر في جبل عكار حصن بنفس الاسم. وكان حصن عرقة، الداثر اليوم، يسيطر على وادي النهر الكبير، إلوتيروس العصور القديمة، وكان الفرسان الداوية يقيمون فيه؛ (ص ٦) وفي جبال النصيرية يتحكم حصن الأكراد، قلعة الحصن اليوم، بالممر الذي يصل وادي العاصي بالسهل الفسيح الممتد بين هذه الجبال والبحر. وكان في نفس الآن من أهم المواقع العسكرية بيد الفرسان الاسبتالية.

الجغرافية البحرية في زمن الصليبيين[١]

(ص ٣٣٠) "عندما يكون مصب نهر ما محمياً برأس من اليابسة كان اللاتين يستخدمونه أحياناً كرصيف، كما كانت الحال مع نهر السن Nahr es Sîn حيث تم إعداد المرسى الصغير الذي كان يحميه حصن تورون دو بولدو Toron de Boldo، هذا المرسى الذي يمكننا موضعته في بيونا Beona أو لينا Lena سانوتو Sanuto."

---

[1] E. G. REY; Les Périples des Côtes de Syrie et de la petite Arménie, Archives de l’Orient latin, tome II, 1884, pp. 327- 353.

(ص ٣٣٥) "ثمة مجال للعثور على موضع لينا أو بيونا عند مصب نهر السن في خراب بالتوس Paltos القديمة الواردة في عقود ذلك الوقت باسم برج بلدا Belda أو بودا Beauda، والمعروفة اليوم باسم راس بلده الملك Ras Baldy el Melek."

(ص ٣٣٧) "من الصعب جداً تعيين موضع بركسون Prexon أو بركسيم Proxime، لا سيما وأنه لم يُمْكن العثور على أي معلم في أسماء القرى الراهنة ولا في تضاريس الساحل هناك. والمكان الوحيد حيث وجدتُ، على الساحل بين أرواد ومصب نهر عرقة، مرسى صغيراً يرتاده صائدو الإسفنج والمبحرون قرب السواحل هو قرب الحمام El Hamam، وهو مينا كابوسي El Mina Kabousi."...

الجزر (طرابلس) التي يتحدث عنها سانوتو هي اليوم: رامكين Ramkîne، ساناني Sanani، تاريس Tares، نخل Nakl، طويله Tauouîleh، مدوره Medaouara، نوكاس Naukas، رميله Ramaileh، بلانه Bellaneh، البقر El Bakar."...

"أما مون (جبل) ليوباردوروم Mons Leopardorum الذي يذكره بوركار دو مون سيون Burchard de Mont-Sion على مسافة فرسخين شمالي طرابلس فلا يمكن أن يكون غير جبل تربل."...

٣ - عكار وحصن الأكراد[1]

موريتز سوبرنهايم Moritz Sobernheim

تمهيد

(ص II) شرع السيد موريتز سوبرنهايم، الراغب في المشاركة في "مدونة النقوش العربية" Corpus inscriptionum arabicarum، في جمع ونشر نقوش سورية الشمالية انطلاقاً من المنطقة الواقعة بين طرابلس وحماة. وبما أنه تكلف سابقاً بنشر نقوش بعلبك في أبحاث البعثة الألمانية، فقد كان مؤهلاً تماماً لمتابعة أبحاثه في هذا الموضوع. ولقد سلمته المواد التي بدأت بتجميعها في هذه المنطقة، وتركت له أمر العناية بتنظيمها، وردم ما فيها من ثغرات، وأخيراً أمر إعدادها بنفسه للنشر ووضع التعليق المناسب عليها. جاء عمله أصيلاً للغاية، بحيث اقتصر دوري على التوجيهات اللازمة لوضعه في سياق الإطار العام لهذه "المواد". وإني إذ أشكره علناً على مشاركته في عمل يستلزم أكثر فأكثر مساهمة باحثين طيبي الإرادة، يسرني القيام بواجبي في التعبير للسيد إيه. شاسينا É. Chassinat، مدير "المعهد الفرنسي للآثار الشرقية" Institut Français d'Archéologie Orientale عن عميق امتناني تجاه فضله الذي لا ينضب والدعم الثمين الذي لم يكف عن تقديمه من أجل مشروع "المدونة" Corpus.

ماكس فان برشم Max van Berchem

مقدمة

(ص III) نشر ماكس فان برشم النقوش العربية المصرية في سلسلة "مذكرات بعثة الآثار الفرنسية في القاهرة" Mémoires de la Mission archéologique française au Caire, t. XIX. وعرض، في فصل جاء بمثابة مقدمة عامة، مشروعه من أجل

[1] المرجع: Mémoires publiés par les members de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, sous la direction de M. É. Chassinat, Tome 25, Max van Berchem, Matériaux pour Un Corpus Inscriptionum Arabicarum, 2ème partie, Syrie du nord, par Moritz Sobernheim, 1er fascicule, le Caire, 1909.

مدونة النقوش العربية Corpus inscriptionum arabicarum، شارحاً أهمية علم النقوش العربية وعارضاً منهج بحثه.

ولما كُلفت بنشر النقوش العربية في بعلبك[١] اضطررت إلى القيام بدراسة معمقة لما نُشر عن النقوش العربية، وبتشجيع من السيد فان برشم الذي تفضل وترك لي ملفه عن بعلبك، شرعت خلال أسفاري بتجميع نقوش بعلبك وعكار وحصن الأكراد وطرابلس ومصياف وحماة وحمص. لقد سهلت مهمتي المواد التي جمعها السيد فان برشم، ولكني على غراره اعتمدت مبدأ وضع نسخة جديدة لكل نقش، ومن ثم مقارنة النتائج. راجع السيد فان برشم وصحح هذا العمل الحالي الذي لي الشرف بنشره ضمن سلسلة "مذكرات المعهد الفرنسي" Mémoires de l'Institut français، واغتنم هذه الفرصة لأعبر له من كل قلبي عن الجميل الذي أدين له به لأنه غالباً ما ساعدني في أبحاثي، ولأنه اقترح مشاركتي في معهد الآثار الفرنسي في القاهرة، والنقوش (ص VI) العربية في سورية الشمالية. ووافق مدير المعهد، السيد شاسينا، بكل طيبة خاطر على عملي، لذا أرجوه هو والسيد وزير التعليم العام بالتفضل بقبول شكري العميق.

وكان لا بد لي، وأنا اعمل بالتعاون مع السيد فان برشم، من اتباع منهجه وتبني نظام كتابته الألفاظ العربية.

هذا النظام هو نفسه تقريباً المعتمد في القسم الأول من "مدونة النقوش العربية"[٢]:

ب = b, ت = t, ث = th, ج = dj, ح = ḥ, خ = kh, د = d, ذ = dh, ر = r, ز = z, س = s, ش = sh, ص = ṣ, ض = ḍ, ط = ṭ, ظ = ẓ, ع = ʿ, غ = gh, ف = f, ق = q, ك = k, ل = l, م = m, ن = n, ة = h, ة = t comme terminaison du féminin dans un mot à l'état construit; و = w, ى = y.

هذه الكتابة الصوتية حيث كل حرف من العربية مكتوب بحرف أو بأكثر من الأبجدية الفرنسية[٣] لا تطابق دوماً اللفظ العربي؛ فاسم نور الدين Nûr al-dîn يمثل عدة كلمات عربية تلفظ نوردّين Noureddîn. وكيلا أخرق مبدأ الكتابة الصوتية

---

[1] ستظهر في المؤلف الذي سيتناول التنقيب في بعلبك الذي قامت به بعثة ألمانية بين عامي ١٩٠٠ و١٩٠٤.

[2] راجع: C.I.A.E., p. 15, 16.

[3] وحدها الألف همزة والهاء في نهاية المؤنث، لم أعتمدها في الكتابة الصوتية.

الحرفية حافظت عليها هنا بصيغة Nûr al-dîn. أما بالنسبة للفظ الحروف الصوتية (المصوتات) فهي مختلفة تماماً، ما اضطرني إلى الاكتفاء بثلاثة: a, i, u. ولم استثنِ من ذلك غير أسماء العلم التركية حيث أضفت: e, ü، o, ö. ومثل السيد برشم لم اعتمد دوما الحركات على الحروف في النقوش بالذات؛ بيد إني أخذتها بعين الاعتبار في حالات الشك. غير (ص V) أن النقاش لا يضعون أبداً الهمزة، التي تكون ضرورية لنا، وغالباً ما يهملون الحركات؛ ويُضيفون زوائد تبعاً للمساحة المتوفرة لهم، أو يضعون فيها أقل مما هو مطلوب. أما نوع الخط فهو، بلا استثناء تقريباً، خط النسخ المملوكي الذي لا نفهم تنوعه؛ وبما أن مبدأ العلماء الشرقيين لتصنيف هذا الخط خال من المنهج العلمي فقد امتنعت عن الخوض في التصنيف. ولكني ميزت بين الحروف الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، تبعاً لما هي أكبر من ٢٠ سنتم، أو بين ٢٠ سنتم و١٠ سنتم، أو دون ١٠ سنتم.

وعملت جهدي لأعطي الحجم الحقيقي للنقش، ووصفاً لموضع وجوده. ولتصحيح القراءة غالباً ما أخذت صوراً أو أرشماً، وأبرزتها عند الضرورة[١].

لا تتجاوز النقوش التي أنشرها هنا مرحلة إمبراطورية المماليك (٩٢٢[٢]= ١٥١٦) لأن النقوش اللاحقة على هذه المرحلة (ص IV) قيمتها التاريخية ضعيفة. ومع ذلك نشرت بعضها لقيمته في تاريخ النقوش العربية.

لائحة بالمختصرات

Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur, Weimar, 1898.
B. S…, van Berchem, Inscriptions arabes de Syrie.
C.I.A.E. …, Corpus inscriptionum arabicarum, 1ière partie, Égypte, par van Berchem.
G. J. …, Roehricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem.

---

[1] بالنسبة لنقوش عكار وحصن الأكراد وطرابلس أخذت الأرشم بنفسي، باستثناء النقش رقم ١ الذي أدين به إلى السيد دوسو؛ أما الصور فقد التقطها بمعظمها مرافقي الذي لا يكل السيد ماغنوس Magnus من جامعة برلين، وبعضها التقطته بنفسي. هذا فضلاً عما زودني به السيد فان برشم من صور ، كما سنرى في اللوحات. وإخيرا فإن مخطط الجوامع فقد أعدها السيد ماغنوس، ليعود فيرسمها لاحقاً المهندس هيرزفيلد Herzfeld؛ وأغتنم هذه الفرصة لأعبر لهما عن شكري العميق.
أما مخطط طرابلس فقد أخذته عن الرسم الموجود في "دليل بيديكر" guide de Bædeker (Palestine et Syrie). وهو مجرد مخطط سطحي. ولقد وضعنا عليه بعض الأبواب والجوامع والمدارس، دون أن نكون على قدرة بإعطائها موقعها الصحيح.

[2] وضعنا التاريخ الهجري أولاً ويليه التاريخ المسيحي.

Hammer..., v. Hammer-Purgstall, Staatsverfassung der Osmanen.
I. H. ..., Chronique d'Ibn Habib (Durrat al-aslâk fî daulat al-atrâk), publiée en extrait par Meursinge et Weijers dans Orientalia II, Amsterdam, 1846.
I. I. ..., Chronique d'Ibn Iyâs, Boulaq, 1311 H.
I. Sh. …, Ibn Shaddâd, Barq al-Shâm, ms. De Leide, 1466.
J.A. …, Journal Asiatique.
Khiṭaṭ …, Al-mawâʿiz wa-l-iʿtibâr fî dhikr al-khiṭaṭ wa-l-âthâr, par Maqrîzî, Boulaq, 1270 (1853-1854).
Ms. …, Manuscrits.
Manhal. …, Al-manhal al-sâfî, par Abû-l-mahâsin ibn Taghrîbardî, mss. divers.
N. …, Nuwairî, Nihâyat al-ʿarab fî funûn al-adab, mss. divers.
Or. …, Oriental.
R. …, Reinaud, Extraits des historiens arabes, Paris, 1829.
R. H. …, Recueil des historiens orientaux des croisades.
R. R. …, Roehricht, Regesta regni Hiersolymitani.
Sulûk. …, Al-sulûk li-maʿrifat duwal ai-mulûk, par Maqrîzî, mss. divers.
S. M. …, Maqrîzî, Histoire des Sultans Mamlouks, traduite par Quatremère.
Weil. …, Weil, Geschichte der Chalifen, Mannhein, 1848.
Z.D.P.V. ..., Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins.

بسمله ...، بسم الله الرحمن الرحيم: Au nom d'Allâh, etc.

(ص IIV) القواميس المذكورة: Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, Freytag, Lane, le Qamûs, le Lisân al-ʿArab, le Tâdj al-ʿarûs, et Spiro, An Arabic-English vocabulary, Cairo, 1895.

في صيغة (*x-y*) تعني (*x*) طول النقش، و(*y*) ارتفاعه.

يشير المعقوفان [ ] في نص النقش إلى أن الحرف متلوف على الحجر، بينما يعني الهلالان () أن الكلمات مفقودة في الأصل.

الكلمة الفرنسية البادئة بحرف كبير Mosquée تعني الجامع، بينما نفس الكلمة البادئة بحرف صغير mosquée فتعني المسجد.

عكار وحصن الأكراد

(ص ١) لم تلعب قلعتا الاسبتالية، عكار وحصن الأكراد، دوراً هاماً إلاً في المرحلة الصليبية، ولهذا تقتصر تفاصيل تاريخهما التي وصلتنا على هذه الفترة.

لقد بات معظم المصادر المسيحية والإسلامية متوفراً بفضل "منتخبات المؤرخين العرب" Extraits des historiens arabes لصاحبه رينو Reinaud، وحديثاً بفضل "مصنف المؤرخين الشرقيين للحروب الصليبية" Recueil des historiens orientaux des croisades. وإلى هذه المؤلفات استند العالم المرحوم روهريخت Roehricht في "تاريخ مملكة القدس"[١] Histoire de royaume de Jérusalem. بيد أن النويري[٢] لم يكن قد استنفد بعد؛ ويبدو أنه استقى التفاصيل التي يقدمها عن عكار وحصن الأكراد عن "أخبار منتخب الدين يحي ابن أبي طي النجار". ولم يفعل ابن الفرات غير تكرار عام[٣] لرواية النويري. ثمة مصدر ممتاز لسيرة كبار الموظفين وهو أخبار ابن الحبيب[٤]؛ ولكني لم استفد منه كثيراً حول عكار وحصن الأكراد، ولا من معاجم الأعلام لأبي المحاسن ابن تغري بردى[٥] والصفدي[٦]، بينما أفادتني كثيراً حول طرابلس. المصدر الأساسي لهاتين القلعتين هو (ص ٢) كتاب محمد بن شداد، أفضل مؤلف يمكنه إخبارنا لأنه شاهد بنفسه حصار عكار، ولا بد أنه سمع عن شهود عيان رواية الاستيلاء على حصن الأكراد[٧]. وهو لا يذكر ابن أبي طي إلاّ لتاريخ تأسيس هذا الحصن. وعلى أي حال، فإن مقطعاً من كتابه[٨] يُثبت أنه لم يؤلفه إلاّ في العام ٦٧٤ (١٢٧٥)، ولقد خانته ذاكرته حول التاريخ الصحيح لحصار حصن عكار، كما سنرى لاحقاً.

لقد تمكنت، بفضل رحابة صدر مديرَي مكتبتَي ليد Leide وفيينا، من أن أدرس في برلين مخطوطات ابن شداد والنويري والمنهل الصافي. كما أن إداريي مكتبات

---

[1] راجع العرض الكامل الذي وضعه فان برشم في: (J. A., 1902, t. XIX, p. 385-456.)، واستعان فيه بالمصادر التي لم تكن منشورة، والمذكورة أدناه.

[2] راجع: Ms. Leide 2; ms. ar., Paris, 1578 et 1579. ولقد استعان به رينو Reinaud ومؤخراً فان برشم في أعمالهما. يُعد أحمد زكي بك طبعة له.

[3] ترجمة ابن الفرات لصاحبها جوردن Jourdain، مخطوطة في باريس ms. Ar. 1596؛ نص في فيينا ms. 814. قيمة هذا المؤلف مبالغ فيها بتقديري، فهو عمل غير أصيل.

[4] وهو بعنوان "درة الأسلاك في دولة الأتراك"، نشر مقتطف منه في: Orientalia, II, Amsterdam, 1846, p. 197-595

[5] "المنهل الصافي"، مخطوطة في باريس ms.ar., Paris, 2068-2073، وفي فيينا 1174، القاهرة ١١١٣.

[6] "أعيان العصر وأعوان النصر"، مخطوطة في برلين: ms. ar., 9864.

[7] "كتاب برق الشام في محاسن إقليم الشام"؛ راجع: (Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur, I, p. 482)، ومقالي في المجلد المهدى إلى أماري Amari، وهو قيد الطبع في باليرم Palerme. راجع حول وفاته عام ٦٨٤ (١١٨٥): S. M., II, a, p. 83 et I. H., p. 274.

[8] راجع: I. Sh., f° 88 a: "إلى الوقت الذي وضعنا فيه كتابنا هذا وهو سنة أربع وسبعين وستمائة".

برلين وباريس تجاوبوا مع كل رغباتي، ولذا فإني أقوم بواجبي فقط إذا توجهت إليهم بخالص شكري.

تاريخ عكار

تقع عكار في سنجق طرابلس وتتبع قائمقامية حلبا، وهي أهم بلدة في القضاء. اسم القرية بالذات هو عكار العتيقة؛ أما حصن الاسبتالية المسمى عكار فيقع على تلة مقابل القرية ويفصله عنها وادٍ سحيق. لا تؤدي أي طريق للعربات بعد إلى هذه الناحية الجبلية الموحشة والصعبة العبور. نصل إليها من طرابلس عبر طريقين. واحدة سلكتها يوم زيارتي لها في آذار ١٩٠٥، تمر بحلبا ومنها إلى بلدة بينو المارونية، ومن هناك تؤدي بثلاث ساعات مباشرة إلى عكار العتيقة دون المرور بأي قرية. إن النزول من المرتفعات إلى وادي نهر عكار مفرطة في وعورتها وصعوبة مسلكها. ومن هناك تتفرع الطريق، فيؤدي ممر إلى القرية بالذات، بينما يؤدي الآخر إلى آثار القلعة. الممر الثاني الذي اعتمده المبشر تومسون[1] والسيد دوسو[2] ينفصل عن الأول جنوبي حلبا، ويستمر جنوبي ممرنا ليجتاز آثار عرقة ويصل إلى قرية العيون، ثم يؤدي شمال (ص ٣) طريقنا عبر عيات[3] أو البرج[4] إلى عكار. ما تزال المنطقة اليوم تتميز بغاباتها الجميلة ونباتاتها الغنية، كما وصفها كتاب العصر الوسيط.

ندين أساساً بالتفاصيل عن عكار إلى محمد بن شداد والنويري، وسنذكر مقتطفات من نصوصهما الحرفية المتعلقة بهذا الموضع. يشتق كتاب الحوليات اسم هذه القلعة من اسم بانيها المزعوم، محرز بن عكار، ويرون أنها بقيت ملك عائلته حتى العام ٤١٠ (١٠١٩). وفي هذا العام استولى صالح بن مرداس الذي صار سيد حلب عام ٤١٣ (١٠٢٣) على عكار في واحدة من حملاته في سورية. وبعد مقتله في موقعة

---

[1] راجع: Ritter, Erdkunde, t. XIII, p. 814-817. راجع في "منتخبات التواريخ..." الترجمة العربية لهذا المسار (المترجم).

[2] راجع: Dussaud, Voyage en Syrie, 1896, triage à part de la Revue archéologique, 1897, p. 1-4.؛ وضع دوسو وصفاً لآثار القلعة. راجع الترجمة العربية في "منتخبات التواريخ..." (المترجم).

[3] مسار تومسون؛ يسمي دوسو هذه القرية Aye.

[4] مسار دوسو.

الأقحوانة بالقرب من الأردن، استولى حاكم طرابلس على عكار عام ٤٢٤ (١٠٣٣) باسم خليفة مصر الفاطمي، الزاهر (٤١١-٤٢٧ = ١٠٢٠-١٠٣٥). بقيت عكار تابعة للمصريين حتى العام ٤٨٧ (١٠٩٤). وفي هذا العام استولى تاج الدولة تتش على دمشق بأمر من أخيه سلطان السلاجقة، وفي واحدة من حملاته استولى على قلعة عكار. استمرت القلعة ملك السلاجقة، ومن بعدهم صارت بيد الأتابك طغتكين. ولكن في مرحلة الصليبيين اضطر الأتابك إلى التخلي عنها للفرنجة. وبعد الاستيلاء على طرابلس، الذي يحدد روهريخت تاريخه بصواب واستناداً إلى أفضل المصادر في ١١ ذي الحجة ٥٠٢ (١٢ تموز ١١٠٩)، اتجه الفرنجة نحو رفنية، بينما كان طغتكين معسكراً في حمص. وتبادل الطرفان المفاوضات حتى استقرا على اتفاق بموجبه يحصل الفرنجة على ثلث البقاع وعلى حصن المنيطرة وقلعة ابن عكار؛ كما يتوجب على حصن مصياف وحصن الوادي[١] وحصن الأكراد دفع غرامة مقابل ضمان عدم مهاجمتها من قبل الفرنجة. بيد أن تانكريد Tancrède، أمير أنطاكية، استولى هذا العام على حصن الأكراد.

لم يخبرنا أحد كم بقي حصن عكار بيد الفرنجة، ولكن ثمة ذكراً لهذا الموضع كإقطاعة[٢] للفرنجة في العام ٥٥٥ (١١٦٠). ونعرف من جهة أخرى أن الفرنجة انتزعوا هذا الحصن في جمادي الأول ٥٦٥ (٢١ ك[٢]- ٢٠ شباط ١١٧٠) من قتلق العلمدار، مملوك السلطان نور الدين. وبالتالي من الواضح أنه قبل هذا التاريخ (ص ٤) تم انتزاع عكار من الفرنجة، ومن الأرجح أن نور الدين (٥٤١-٥٦٩ = ١١٤٦-١١٧٣) انتزعها منهم في واحدة من حملاته في هذه الناحية. ولكن بُعيد الحملة الصليبية الثانية سلم أموري Amaury، ملك القدس، الحصن إلى الاسبتالية[٣]. لا نعرف كم بقي الاسبتالية في الحصن؛ وفي النهاية كان الحصن ملك صاحب أنفة Nefîn الذي اضطر للتخلي عنه لصالح أمير طرابلس عام ٦٠٢ (١٢٠٦)[٤]. تكمن أهمية حصن عكار في أن الفرنجة كانوا ينطلقون منه لشن الغارات المفاجئة على

---

[1] أجهل موقع هذا الحصن.

[2] R. H., I, p. 341.

[3] R. R., I, nº 477. من المستحيل أن يكون يكون الملك سلم الحصن إلى فرسان الاسبتالية عام ١١٦٩، لأن الاستيلاء عليه من قبل الفرنجة في كانون الثاني ١١٧٠؛ راجع نقد دولافيل لورو M. J. Delaville Le Roulx في: Revue historique, Paris, t. XIII, p. 184.

[4] راجع: G. J., p. 697.

الطريق الكبرى بين حمص وبعلبك، ليتراجعوا من بعدها إلى هذا الموضع المنيع[١]. ولهذا قرر المسلمون انتزاع هذا الموضع الإستراتيجي من الفرنجة، ما أن وسعوا سيطرتهم في هذه النواحي.

بعد أن استولى السلطان بيبرس (٦٥٨-٦٧٦ = ١٢٦٠-١٢٧٧) على حصن الأكراد في ٢٥ شعبان ٦٦٩ (٨ نيسان ١٢٧١) انطلق من هناك في ١٦ رمضان[٢] (٢٨ نيسان) ليحاصر حصن عكار. تؤدي الطريق بداية من السهل إلى قرية كُبيا[٣] Kubaiya الواقعة على ارتفاع بضع مئات من الأمتار. وبعد اجتياز طلعة حادة حتى الممر الواقع على ارتفاع حوالي ٨٧٠م، نصل إلى بلدة عكار العتيقة (٧٩٠م)، مقابل الحصن. عمل بيبرس على قصفه منذ الأيام الأولى، ولقد اهتم بإحضار عدة الحرب الثقيلة، وفي ذلك عملية صعبة كثيراً لأنها استلزمت شق الطرقات لنقلها. وعمل على تحطيم الصخور لاستخدامها في القصف، وعلى قطع الأشجار من الوادي ليستخدمها النقابون. نعرف هذه المعلومات من النويري، وخصوصاً من ابن شداد الذي شهد الحصار منذ يومه الثاني. وهو يروي أن سيده، الوزير بهاء الدين، وصل إلى المكان (وكنت برفقته، كما يقول)، حيث استقبله السلطان بيبرس بكل إكرام. لا يبدو أن ابن شداد ميالاً للحرب، لأنه يأخذ على الوزير وصوله باكراً جداً إلى عكار. كان بيبرس يقود الحصار بنفسه، واتخذ شخصياً كل الإجراءات اللازمة. وفي ٢٠ رمضان (٢ نيسان) انتهى تركيب الأسلحة الضخمة، وفي نفس اليوم قتل بقذيفة عدوة أحد الأمراء، ركن الدين منكورس الدواداري، بينما كان (ص ٥) يصلي أمام خيمته[٤]؛ ولكن نصر السلطان كان يقترب. ومنذ ٢٢ رمضان (٤ نيسان) تم إحداث ثغرة في أحد التحصينات؛ بيد أن القصف استمر حتى ٢٩ من هذا الشهر، عندما أرسل الاسبتالية يفاوضون على الاستسلام والخروج إلى طرابلس،

---

[1] إن رواية النويري القائلة بأن ملك فرنسا سان لويس saint Louis زار عكار وساعد أمير طرابلس في تحصينه، لم يثبتها جوانفيل Joinville، لأن الملك ساعد في تحصين مدينة عكا، لا عكار.

[2] راجع حول التواريخ مقتطف ابن شداد.

[3] هل هي بلدة القبيات؟ أم ثمة قرية أخرى باسم كُبيا. منهج سوبرنهايم بكتابة الأسماء العربية باللغة الفرنسية يفترض به لو أن الموضع هو القبيات أن يعتمد الحرف q لا الحرف k. يبدو أن الكاتب تصور خط سير بيبرس: من حصن الأكرد إلى السهل إلى كُبيا إلى قرية عكار، فجاء المسار بشكل مبهم. ويُفهم من النص أن بيبرس وصل بقواته إلى ممر أعلى (٨٧٠م) من القلعة ومن قرية عكار (٧٩٠)، ما يعني أنه هاجم القلعة وحاصرها من الأعلى. فأين هو هذا الممر الذي تؤدي إليه طريق صاعدة تمر في قرية كُبيا؟ (المترجم).

[4] من الغريب أن ابن شداد لا يذكر هذه الحادثة.

وهذا ما حصلوا عليه برضى السلطان. عند ذلك رفع بيبرس بيارقه على أبراج الحصن وعيّد الفطر مع نهاية صوم رمضان. وبعد أن وضع حامية في القلعة أمر بإعادة المجانيق إلى حصن الأكراد. ونظراً لهطول طويل للأمطار الغزيرة صارت الطرقات موحلة[١] فتعذر تحميل المعدات على الجمال خشية انزلاقها، ما اضطر الجنود إلى نقلها على أكتافهم.

وأوكل حكم عكار إلى الحاكم العام في حصن الأكراد. وهو الذي يبدو في النقش رقم ١ قد أعطى الأمر بترميم الجامع، بينما اقتصر دور حاكم عكار على مراقبة العمل. ولاحقاً بعد استيلاء السلطان قلاوون عام ٦٨٨ (١٢٨٩) على طرابلس أصبحت هذه المدينة مقر الحاكم العام.

(ص ٦) وفي زمن السلاطين العثمانيين تم حكم عكار لبيت سيفا، ولكن أمير الدروز القوي انتزعها منهم. وبعد موته تم إقطاع الناحية إلى عائلة ما يزال أحد أحفادها يديرها اليوم وهو برتبة آغا ويرتبط بقائقام حلبا.

لقد دمر فخر الدين القلعة والجامع والتكية. وتم ترميم التكية[٢]، على حد ما جاء في أحد النقوش، في رجب ١٠٢٠ (أيلول ١٦١١). وتم بناء قسم من الواجهة بحجارة بيض وسود ويزينها أسد مأخوذ من إفريز أسود البرج الذي سبق أن زينه بيبرس بشعاره.

مقتطف من ابن شداد حول تاريخ عكار

(F° 102 b) فامّا حصن ابن عكّار فطوله سبعون درجةً وعشرون دقيقةً وعرضه اربع وثلثون درجةً وخمس عشرة دقيقةً ويغلب على ظَنّى أنه محدث البناء لانّى[٣] لم أجد له ذكراً فيما طالعته مِن كتب التواريخ المتقدمة في التاليف والذى وصل علمى

---

[١] ليست طرقات اليوم أفضل مما كانت عليه حينذاك. فأثناء زيارتي إلى عكار أدت أمطار الربيع إلى تخريبها لدرجة أضطرتني على الانتظار يوماً إضافياً لحين توقف هطول المطر.

[٢] هي تكية، لا قصر للعدل كما ظن تومسون. يشير النقش إلى تاريخ ٧٢٤.

[٣] حافظنا على لغة النص كما جاءت في الأصل الفرنسي، ولم نعدل لا في الحركات ولا في غير ذلك؛ ونشير إلى أن حرف الياء في نهاية الكلمة جاء كأنه حرف الألف المقصورة، وقلما وضعت الهمزة على حرف الألف، كما هي الحال في ظني ولأني ...، (المترجم).

اليه ووقف اطّلاعى عليه ان بانيه مُحْرِز ابن عكّار ولم يزل فى يد عَقِبِهِ الى ان ملكه منهم اسد الدولة صالح ابن مِرْداس فى سنة عشرة واربعمائة ولم يزل فى يده

أسد بيبرس



Fig. 1. — Lion de Baibars.

الى ان قُتل على الأُقْحُوانة بالأُرْدُنّ فى سنة عشرين واربعمائة فاستولى عليه متولّى اطرابلس من قبل الظاهر بـــن الحاكم صاحب مصر ولم يزل بايدى نوّاب العُبيديّين الى ان تغلّب (fº 103 a) التُرك على الشام وملك تاج الدولة تُتُش دمشق فاستولى عليه وصلر فى ايديهم الى ان سلّمه ظهير الدين طغتكين الاتابك للفرنج سنة ثلث وخمس مائة مصانعةً بعد ان ملكوا اطرابلس وعجز عن دفعهم عن البلاد المجاورة لدمشق ووقعت بينه وبينهم الهدنة على ان يكون حصن مصياف وحصن الاكراد داخلين في الموادعة ويحمل اهلها مالاً معيّناً فى كلّ سنة الى الفرنج فاقاموا على ذلك مدّةً يسيرةً ثمّ غدروا وعادوا الى عادتهم من العَيْث والفساد.

(ص ٧) استيلاء السلطان بيبرس على عكار

(F° 103 b) ثمّ رحل السلطان[١] ... ونزل على حصن ابن عكار يوم الثلثاء ثالث عشرى شهر رمضان[٢] وكان به قوم من الفرنج سفهاء لا يفترون من قول القبيح[٣] (f° 104 a) فنصب عليه المجانيق ورماه بحجارتها من يومه وفي اليوم الثاني من نزوله وصل المولى الصاحب نهاء الدين وانا معه في خدمته[٤] من دمشق وكان خروجه منها يوم الخميس تاسع عشرى[٥] الشهر فلمّا لقِيَ السلطان سُرّ به وقال ببركاتِ قدومك نفتح هذا الحصن وامر ان تُضْرَبَ خيمتُه قريباً[٦] من خيمته ثم اجتمعتُ به وقلتُ له استعجل مولانا الصاحب في المجىء من دمشق والقلعة حصينة يطول المقام عليها فقال لى طيّب قلبك ما نُعيّد حتّى ياخذها مولانا السلطان وتقدّم السلطان للامراء بقطع الاحطاب من الشعبان[٧] للنقوب[٨] ونقل الحجارة من الجبال للمجانيق وجدّ في القتال ودأب في النزال الى ان رمى بالمنجنيق الّذي كان منصوباً قِبالَةَ البرج الشرقي حجارةً عديديةً فتحت طاقة فى جانب البدنة وذلك يوم الاحد ثاني عشرين شهر رمضان[٩] واستمر الرمى الى الظهر من اليوم التاسع والعشرين فخرج منهم رسول يطلب لهم الامان ودام تردُّدُه الى ان استقرّت القاعدة الى ان (ص ٨) يأمنهم[١٠] من القتل ويمكّنهم من الوصول الى طرابلس وتسلّم مولانا السلطان الحصن ورُفعت سناجقه عليه وسألوه ان يَبِيتوا في القلعة فاجابهم وخرجوا بكرة الثلاثاء سلخ الشهر[١١] وسيّرهم السلطان باجمعهم صُحْبَةَ الامير بدر الدين

---

[1] بيبرس، بعد الاستيلاء على حصن الأكراد.

[2] تاريخ ١٣ رمضان غير صحيح، كما نرى لاحقاً. ١٣ رمضان ٦٦٩ كان يوم سبت؛ لعل في ذلك خطأ من الناسخ لكلمة سادس، لأن ١٦ رمضان الموافق ليوم ثلاثاء يتفق تقريباً مع النويري الذي يقدم تاريخ ١٧ الأربعاء.

[3] تقدم المؤلف بهذه الملاحظة عن سفاهة الفرنجة الذين يشتمون المسلمين ليبرر هجوم بيبرس.

[4] راجع أعلاه موجز تاريخ عكار والمقدمة.

[5] هذا التاريخ غير صحيح أيضاً؛ فلا تاريخ ١٩ ولا ٢٩ يقعان يوم الخميس بل الخميس ١١ يلائم تماماً. ولعل بهاء الدين وصل إلى عكار في ١٨ بحيث أنه قام بالسفر من دمشق إلى عكار في سبعة أيام.

[6] في نسخة ms قريب.

[7] في نسخة ms السعلاى، ما لا يعطي المعنى. ولذا أقرأ الشعبان "الوديان" النقيضة للكلمة الآتية الجبال. إن السيد ف. كرن هو الذي اقترح عليّ هذا التصحيح.

[8] لعمل النقابين.

[9] ٢٢ كان يوم اثنين.

[10] أي السلطان.

[11] الثلاثاء ٣٠ رمضان.

بيسرى[١] فاوصلهم الى طرابلس ثم دخل الحصن واشرف عليه ورتّب نُوّاباً[٢] وامره بحمل المجانيق الى حصن الاكراد فحملوا الاجناد على اكتافهم لانّ الامطار ترادفت فلم يكن للجمل نهوض على الارض خوفاً من الزلف[٣] في اللثق وعيّد السلطان عيد الفطر يوم الاربعاء ثم رحل الى برج صافيتا.

مقتطف من النويري حول تاريخ عكار وفتحه[٤]

"(F° 249 b Leide) ذكر فتوح حصن عكّار قال ولمّا رتّب السلطان امور حصن الاكراد توجّه الى حصن عكّار ونازله فى يوم الاربعاء سابع عشر شهر رمضان ورتّب طلوع المجانيق وركب بنفسه على الاخشاب فوق العجل فى تلك الجبال الى ان اوصلها الى مكان نُصبت به وشرع في نصب المجانيق الكبار فى العشرين من الشهر (f° 250 a, Leide) وفي هذا اليوم استشهد الامير ركن الدين منكورس الدوادارى وكان يصلّى فى خيمته فجاءه حجر منجنيق فمات رحمه الله تعالى وفى التاسع والعشرين من الشهر طلب اهل الحصن الامان ورُفعت الصناجق السلطانيّة على ابراجه وفى يوم الثلثاء سلخ الشهر خرج اهل حصن عكّار منه وجُهّز الى ما منهم وعيّد السلطان بالحصن ورحل الى مُخيَّمته بالبرج. هذا الحصن يعرف بابن عكار وكان بيد المسلمين فلمّا ملك الفرنج طرابلس وغيرها تردّدت الرسائل بينهم وبين طغتكين وهو بحمص فوقع الاتفاق على (ص ٩) ان يكون للفرنج ثلث بلاد البقاع ويتسلّمون حصن المنيترة وحصن عكّار وان لا يتعرضون الى البلاد بغارة وتقرّر معهم ان مصياف وحصن الوادي وحصن الطوبان وحصن الاكراد في الصلح ويُحمل الى الفرنج مال عنها فلماّ تسلّم الفرنج الحصنين عادوا الى ما كانوا عليه من الغارات وصار هذا الحصن لماّ تسلمه الفرنج من أضَرِّ شيءٍ على المسلمين المارّين من حمص الى بعلبكّ ولم يكن له كثيرُ ذكرٍ فيما مضى الى ان وصل ريدفرنس[٥] الى الساحل بعد فكاكه من الاسر بمصر فراه حصناً صغيراً

---

[1] عمل على أن يصطحبهم أحد أمرائه لحمايتهم.
[2] حامية (راجع Dozy)، وهنا يجب أن نقرأ أمرهم، أو نقرأ نائباً بدل "نواباً"، وهذا أفضل.
[3] راجع أعلاه موجز تاريخ عكار.
[4] نسخة Leide, ms. or., 2m، ونسخة Paris, ms. ar., 1579, f° 84 a.
[5] ملك فرنسا (roi de France)، اي لويس التاسع؛ راجع الحاشية رقم ٢٣، ص ٥.

فاشار على صاحبه الابرنس[1] ان يزيد فيه وهو ساعِدُه فى عمارته فزاد فيه زيادةً كثيرةً من جهة الجنوب وهو في وادٍ بين جبال مُحيطة به من اربع جهاته".

نقوش عكار

الجامع: هذا البناء الواقع في القرية مدمر؛ مدخله من الواجهة الغربية.

١) نقش السلطان قلاوون، ٦٨٦ هـــ.: على ساكف الباب الصغير محفور إطار على شكل ذنب السنونوة في داخله النقش الكتابي، طوله ١٣٠ وارتفاعه ٥٣. في داخله ٤ سطور، في هامشه العلوي البسمله، وفي هامشه السفلي السطر السادس من النقش، وعلى هامش اليمين السطر السابع. الخط: النسخ المملوكي، الحروف من الحجم الصغير. رشم أخذه مع الصورة دوسو، غير منشور.

نص النقش: "(١) بسمله... (٢) مجدد هذا الجامع المبارك في ايام مولانا السلطان العالم العادل الغازي المجاهد المؤيد (٣) المظفر المنصور الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسيم امير المؤمنين خلد الله (٤) ملكه بمرسوم المقر العالى المولوى الكبيرى السيفى اعز الله نصره بلبان السلاح دار كافل (ص ١٠) (٥) الممالك الشريفة بالفتوحات السعيدة باشارة الجناب العالي الاميرى الكبيرى العلمى (٦) ادام الله عزه سنجر الجماق دار نائب السلطنة المعظمة بحصن عكار المحروس وذلك في شهر ذى الحجة سنة ست وثمانين وستمائة (٧) بولاية العبد الفقير بكرجي".

تعليق: بعد استعادة بيبرس لحصن عكار عام ٦٦٩ (١٢٧١) تم ترميم جامع عكار على أيام السلطان قلاوون ، بأمر من حاكم الفتوحات السعيدة، أي المناطق الواقعة شرق طرابلس والتي استعادها السلاطين المصريون من الفرنجة؛ بينما بقيت طرابلس بالذات بأيدهم. ورد ذكر بلبان الطباخي للمرة الأولى في عداد أمراء الألف الذين عينهم السطان قلاوون لدى استلامه سدة السلطنة عام ٦٧٨ (١٢٧٩)؛ ثم ظهر كمتولٍ لحصن الأكراد عام ٦٧٩ (١٢٨٠)، مكلفاً من السلطان قلاوون بالهجوم على قلعة المرقب. وبهذه الصفة نجده في نقشنا. يذكر النويري، في سياق

[1] أي كونت طرابلس الذي كان في نفس الآن كونت أنطاكية.

موجزه لتاريخ طرابلس، أنه بعد استيلاء قلاوون على هذه المدينة، وضعت هذه المنطقة بإمرة بلبان، حاكم حصن الأكراد، والذي أصبح بذلك أول حاكم لطرابلس بعد إعادة إعمارها. وبقي فيها حتى عام ٦٩١ (١٢٩٢) عندما أصبح والي حلب. وبوصفه قائداً لجيوش حلب واتته الفرصة ليتميز في حملة على أرمينيا عام ٦٩٧ (١٢٩٧) باستيلائه على مدينة مرعش. وفي العام ٦٩٩ (١٣٠٠) قاد جيوش حمص وحلب في موقعة مجمع المروج (سورية الوسطى) بين المصريين والمغول، وهي موقعة انتهت (ص ١١) بانتصار غازان سلطان المغول؛ وعندها استبدل غازان بلبان بأحد أنصاره. وبعد قليل، عندما استعاد السلطان محمد الناصر سورية، استدعي بلبان إلى البلاط وأنعم عليه بإقطاعة شاغرة. وفي العام التالي ٧٠٠ (١٣٠١) كُلف بمواكبة القوات إلى سورية وتوفي أثناء السفر في الرملة[1] أو غزة[2]، عن عمر أربعين وبضع سنوات. ويقدم المنهل سيرته الآتية[3]:

"بلبان بن عبدالله الطبّاخى المنصورى الامير سيف الدين انشأه استاذه الملك المنصور قلاوون وجعله من جملة امراء الديار المصرية ثم نقله الى نيابة طرابلس فباشر بنيابتها الى ان نُقل الى نيابة حلب (fº 93, b) عوضاً عن الامير قراسنقر المنصورى في سنة احدى وتسعين وستمائة وطالت مدته بها الى ان طُلب الى القاهرة وصار من جملة امرائها ودام على ذلك الى ان رسم له بالتوجه صحبة العساكر إلى البلاد الشامية فتوفى بالرملة بطريق دمشق فى سنة سبعمائة عن نيف واربعين سنة وكان اميراً عظيم القدر شجاعاً مقداماً شديد[4] البأس شهماً ذا نعمة كبيرة وسعادةٍ وحشمٍ وخدمٍ[5]".

يحمل بلبان هنا لقب المقر الوارد أيضاً كلقب في كتاب خليفة القاهرة بتكليف السلطان قلاوون. يظهر المقر، كمرتبة وظيفية، للمرة الثانية في نقوش هذه المرحلة. نجده للمرة الأولى في حصن الأكراد عام ٦٨٣، كلقب للحاكم السيفي الذي ليس غير السيفي بلبان[6]؛ وللمرة الثالثة في بعلبك عام ٦٩٩. وهو الحاكم

---

[1] استناداً إلى أبي المحاسن.
[2] تبعاً إلى: .I. H., p. 301
[3] راجع: .Paris, ms. ar., 2096 ,fº 93 a. حافظنا على لغة النص كما وردت في النص الفرنسي.
[4] Leçon du ms. de Vienne.
[5] تخلينا عن بيتين من الشعر يأتيان بعد هذا الكلام لقلة أهميتهما.
[6] اعتقد أنه يجب إضافة اسم بلبان لأنه كان حاكم حصن الأكراد منذ العام ٦٧٩ (١٢٨٠).

المحلي، التابع كما يبدو للحاكم العام، والمدعو علم الدين سنجر، حامل الهراوة[١]. إن وظيفة حامل الهراوة (ص ١٢) تكون في بلاط السلطان. وعنها يقدم لنا كاترمير Quatremère الوصف الآتي[٢]:

"الجمقدار اسم مركب من لغتين تركية وهى جمق وهو الدبوس وفارسية دار وهى ممسك وشرط ان يكون حسن الشكل عظيم الهيئة مهاب يقف في ايام مواكب الحلقة الى جانب الملك من الجهة اليمنى رافع بيده ببعض تمائِل بدبوس كبير الراس مموه بالذهب شاخص الى بصر الملك لا يشخص لغيره الى حين قيام الملك من مجلسه العزيز".

علم الدين سنجر، مملوك السلطان قلاوون[٣]، معروف في الحوليات وفي بناءين ارتبطا باسمه. نجد سيرته في أخبار ابن قاضي شهبا. ويخبرنا النقش أنه كان حاكم حصن عكار عام ٦٨٦ (١٢٨٧) وأنه كان يحمل في حينه لقب حامل الهراوة. ولا بد أنه كان شاباً في تلك المرحلة لأنه توفي كبير السن عام ٧٤٥ (١٣٤٤-١٣٤٥)[٤]. وكان في العام ٧٠٢ (١٣٠٣) ضمن حاشية السلطان محمد الناصر، لدى دخوله المهيب إلى القاهرة[٥]، وبهذه المناسبة كان يمسك الهراوة أمام السلطان... في العام ٧٠٨ (١٣٠٨-١٣٠٩) رافق السلطان في رحلة الحج إلى مكة: في الحقيقة انسحب إلى الكرك، ليتنازل عن السلطة التي استعادها بسرعة. عاد سنجر الذي بقي وفياً للسلطان إلى القاهرة معه، وعُين أمير ألف[٦]. عام ٧١٠ (ص ١٣) (١٣١٠-١٣١١) بنى أو رمم في القاهرة جامعاً مدمراً اليوم، عليه نقش باسمه[٧]. ثم بُعث إلى

---

[1] عادة ما يكتب جمقدار.

[2] S. M., I a, p. 138, nte 17, traduction du Dîwân al-inshâ, Paris, mms. ar., anc. Fonds 1573, f° 122 a.

[3] راجع: أبو المحاسن، "النجوم الزاهرة"، نسخة ((Paris, ms. ar., 1784, fo 285 b, en 745 (1344): "وتوفى الامير علم الدين سنجر الشمقدار (كذا) المنصورى من مماليك المنصور قلاوون.

[4] راجع لاحقاً نص ابن قاضي شهبا.

[5] S.M., II b, p. 210.

[6] Khitat, II, p. 53.

[7] C.I.A.E., p. 732.

دمشق بدون وظيفة ولكن بلقب راس الميمنة[١]. كُلف عام ٧٢١ (١٣٢١- ١٣٢٢) بحملة على أرمينيا[٢]...

سيرة سنجر الجمقدار[٣]

"سنجر الامير علم الدين الجمقدار المنصورى قال الشجاعى كان تام القامة فرد شكالة وقوة ظاهرة قدّمه الناصر بعد رجوعه من الكرك ثم اخرج الى الشام وصار راس الميمنة وبقى بها الى ان مضى مع الفخرى والامراء الى مصر فى نوبة احمد واستقر بها اميراً الى ان توفى في شهر رمضان وكان قد كبر سنه وارتعش".

مراقب البناء يُدعى بكجري، اسم تركي مؤلف من جري "جيش" وبك "قائد، أي قائد الجيش[٤].

٢) عند مدخل الجامع نفسه، على لوحة بطول ٦٣ وارتفاع ٤٠، إلى جانب ساكف الباب. ثلاثة سطور بخط نقش مملوكي، حروفه صغيرة، مع صورة. غير منشور.

نص النقش:

(ص ١٤) (س ١) يا دائم ارحم لمن انشأ وجدد هذا المكان المبارك (س ٢) وهو الفقير الى الله تعالى الحاج ناصر بن المرحوم (س ٣) احمد الواعظ رحم الله لمن توكل عليه ولكل المسلمين (كلمة أو اثنتان) سنة ثلاث وستين وسبعمائة".

تعليق: لعل الجامع تدمر بواحد من الزلازل المتكررة في تلك المرحلة في سورية. يتحدث النقش عن ترميم الموضع بعبارات مبهمة، ومن المحتمل أن يكون الحجر من مصلى في مكان آخر في القرية ووضع هنا لاحقاً. يمكن أن يكون الفراغ في السطر الثالث هو الشهر. التاريخ غير واضح في الصورة، ولكني تمكنت من قراءته على الحجر. إنه السنة ٧٦٣ (١٣٦١-١٣٦٢)، في ظل السلطان المالك المنصور صلاح الدين محمد (٧٦٢-٧٦٤ = ١٣٦١-١٣٦٣).

---

[1] أي أنه يكون على اليمين الحاكم في الجلسات. وهذا لقب شرف فحسب، يُمنح لأمراء الألف بدون وظيفة خاصة، للدلالة على رتبتهم في هرم الأمراء؛ راجع حالة مشابهة في المنهل، نسخة: Manhal, Paris, ms. ar., 20, f^{o} 124 a

[2] *I. I.*, I, p. 161.

[3] ابن قاضي شهبا، نسخة (Paris, ms. ar., 1598, f^{o} 68 a)، في سياق حوادث عام ٧٤٥ (١٣٤٤-١٣٤٥).

[4] جرى et بك، راجع: Houtsma, Ein türkisch-arabisches Glossar, Leide, 1894, p. 71.

٣) ثمة قطعة منحوتة فوق نافذة الجامع، في إطار مزين كذنب السنونوة. أربعة سطور بخط النسخ المملوكي، حروف صغيرة. صورة. غير منشور. لم أتمكن من قراءة غير التاريخ: ٧٢٤ (١٣٢٤).

تاريخ حصن الأكراد

يقع حصن الأكراد[١] في السهل المدعو باسم البقيعة[٢]، يحده من الجنوب جبل عكار وجبل لبنان، ومن الشمال جبال النصيرية. عمل كتاب الحوليات، حسب ابن أبي طي، على اشتقاق اسمه من حامية كردية صغيرة أقطعها الموضع مع الحقول المجاورة أمير حمص المرداسي، شبل الدولة نصر (٤٢٠- ٤٢٩= ١٠٢٩-١٠٣٧)، يوم كان الحصن ضعيفاً ويُسمى حصن السفح[٣]. أقام هؤلاء الأكراد فيه مع عائلاتهم، مقابل حماية الطريق الرئيسية التي تربط حمص (ص ١٥) بحماة وطرابلس. كان هذا الحصن الصغير أضعف من الصمود بوجه هجمات الصليبيين. وكاد منذ العام ٤٩٦ (حوالي نهاية العام ١١٠٢) أن يسقط بيد الكونت ريمون دو سان جيل[٤] الذي فضل رفع الحصار عنه وشن الغارة على إقليم حمص إثر وفاة حاكمها جناح الدولة حسين بن ملاعب. بعد الاستيلاء على طرابلس، حوالي نهاية العام ٥٠٢ (تموز ١١٠٩) وقعت الموادعة التي ذكرناها في تاريخ عكار بين الفرنجة وأتابك دمشق، طغتكين، على أن يمتنع الفرنجة عن أي عمل عدواني على حصن الأكراد مقابل غرامة يتقاضونها. ولكن بعد قليل، في عام ٥٠٣ (١١٠٩-١١١٠) قام تانكريد Tancrède أمير أنطاكية بالاستيلاء عليه إثر هجوم بقوات ضخمة لم تواجه بغير مقاومة ضعيفة[٥]. وبقي منذ ذلك الحين بيد الفرنجة لحين استعاده السلطان بيبرس عام ٦٦٩ (١٢٧١).

توفي تانكريد في شهر ربيع الثاني عام ٥٠٧ (١٥ أيلول- ١٤ ت[١] ١١١٢) فتزوجت أرملته من بونس Ponce كونت طرابلس، ولربما صار الحصن من

---

[1] عُرف في العصور الوسطى باسم كراك (كراتوم) الفرسان Krak (Cratum) des chevaliers، وهو اليوم باسم قلعة الحِصن، ويُلفظ الحُصن.

[2] "السهل الصغير "بعكس سهل بعلبك، "السهل الكبير" بين جبل لبنان وحرمون.

[3] راجع: van Berchem, J. A., t. XIX, 1902, p. 446 et suiv.

[4] يسميه كتاب الحوليات العرب صنجيل.

[5] نجد هذه المعلومة عند ابن الفرات وابن شداد وروهريخت (Roehricht, G. I., p. 84, n° 35) ومرآة الزمان: ولكني لا أعتبر ذلك أكيداً لأننا لا نعلم شيئاً عن الحصن قبل العام ٥٣٧ (١١٤٢).

أملاكه. ولكننا نعرف فقط أن ابنه ريمون الثاني، كونت طرابلس، قدم الحصن عام ٥٣٧ (١١٤٢) إلى فرسان الاسبتالية، برضى صاحبه الاقطاعي غليوم كراتوم Guillaume de Cratum الذي حصل على إقطاعة كتعويض مقابله. بقي الحصن لحينه قليل الأهمية، ولكن ما أن أصبح بيد الاسبتالية حتى أصبح موقعاً إستراتيجياً من الدرجة الأولى بالنسبة إلى الصليبيين. لقد بنوا فيه قلعة حصينة بقيت محفوظة حتى أيامنا وما تزال تلقى إعجاب السواح. لم يتمكن السلطان نور الدين ولا صلاح الدين من الاستيلاء عليه على الرغم من رغبتهما الكبيرة في ذلك، لأن الاسبتالية كانوا من هناك يسببون الضرر الكبير للمسلمين ويجبرون حكام حماة وحمص على دفع أتاوات كبيرة. وكانوا كلما تردى وضع الصليبيين كلما عمل الاسبتالية على تعزيز تحصينه.

كان يحيط بالقلعة سوران محصنان جيداً. ومن الصعب الكلام عن وجود تحصينات متقدمة مصنوعة من الخشب والتراب لحماية مدخله، كما اعتقد البارون راي[1] Rey؛ وعلى أي حال لم يبقَ منها أي أثر. (ص ١٦) خرج راي بانطباع بأن الاسبتالية لم يستكملوا التحصينات التي قصدوا بناءها. وفي الحقيقة، يبدو أن معاهدة ربيع الأول عام ٦٢٦ (١٨ شباط ١٢٢٩)، بين الإمبراطور فريدريك الثاني وسلطان مصر المالك الكامل، تدعم فكرة راي لأن المعاهدة لم تشملهم بينما تعهد الإمبراطور على عدم توسيع تحصينات حصن الأكراد. إن عديد الحامية الدائمة في الحصن التي تبلغ ٢٠٠٠ مقاتل، تعطي فكرة عن أهميته الرفيعة. ولهذا لم يتمكن السلطان المالك الكامل من الاستيلاء عليه عندما حاصره في شهر جمادي الثاني عام ٦٢٦ (١٢٢٩)، حسب رسالة لأحد الصليبيين[2]. ولكن وضع الصليبيين كان يتقهقر بالتدريج، وعندما حرر انتصار عين جالوت عام ٦٥٨ (١٢٦٠) السلاطين من الخوف من المغول، ازدادت قوتهم أكثر فأكثر في سورية. عندها وضع بيبرس تصوره لفتح قلاع الاسبتالية. وفي ٣ جمادي الثاني عام ٦٦٨ (٢٨ ك[2] ١٢٧٠) قصد حصن الأكراد مع ٢٠٠ خيال، ثم تقدم مع ٤٠ منهم مستطلعاً مداخله ولكنه لم

---

[1] Rey, Étude sur les monuments de l’architecture militaire des croisés en Syrie, Paris, 1871, p. 46.

[2] G. I., p. 787, note 2.

يمتلك الجرأة بعد على الشروع بحصاره. ولكنه عندما علم في صفر عام ٦٦٩ (١٩ أيلول- ١٨ ت١ ١٢٧٠) بخبر وفاة لويس التاسع/ ملك فرنسا، أعد حملة واسعةعلى فرسان الاسبتالية. انطلق من القاهرة في ١٠ جمادي الثاني (٢٤ ك٢ ١٢٧١)، وقصد دمشق أولاً.

غالباً ما وصف كتاب الحوليات المسلمون والمسيحيون في العصور الوسطى[1] حصار حصن الأكراد؛ ولكن المصدرين الأساسيين اللذين نعرض نصوصهما فهما ابن شداد والنويري. إن الرواية الأكثر مصداقية فهي رواية ابن شداد التي ظهرت في مصنف النقوش العربية التي جمعها البارون أوبنهايم Oppenheim ونشرها السيد فان برشم. وفي الحقيقة فإن هذا الكاتب وصل بعد ثلاثة أسابيع تقريباً على الاستيلاء على حصن الأكراد إلى معسكر السلطان في عكار، ولا بد أنه جمع هناك تقارير أصلية على لسان السلطان وأمرائه. ونصه محفوظ جيداً. ولكن ثمة أمر يبقى غامضاً في الحقيقة: يتحدث ابن شداد عن أسوار ثلاثة، بينما ليس للحصن غير سورين أساسيين. لعله قصد بالثالث الرواق المقبب المؤدي من السور الأول إلى الثاني. وهو يستعمل عبارة الباشورية ليشير إلى الأبراج الثلاثة التي (ص ١٧) تحمي المداخل الثلاثة. وإذا ما اختصرنا هذين المصدرين نتوصل إلى الوصف الآتي للحصار.

غادر بيبرس القاهرة في ١٠ جمادي الثاني عام ٦٦٩ (٢٤ ك٢ ١٢٧١) مع ابنه وخليفته الرسمي المالك السعيد بركه خان، وظهر أمام حصن الأكراد[2] في ١٩ رجب (٣ آذار)، حسب ابن شداد بعد أن عسكر لبضعة أيام أمام قلعة فرسان الداوية المعروفة باسم برج صافيتا. تم الاستيلاء على ضواحي الحصن في ٢٠ رجب حسب النويري، بينما يروي ابن شداد أنه في هذا التاريخ تم فتح ثغرة في السور. تبدو لي هذه الرواية معقولة، لأنه من المستحيل أن يتم الاستيلاء، من

---

[1] راجع: Rey, loc. cit., p. 65-67; G. I., p. 954, 955, notes 2 et 3; B. S., p. 64-69; J. A., 1902, p. 446 et suiv.; enfin Max von Oppenheim, Inschriften aus Syrien, Mesopotamien und Kleinasien, Arab. Inschriften bearbeitet von Max van Berchem, n° 10 (sous presse).

[2] يتفق المقريزي (S. N., I b, p. 85) والنويري على تاريخ ٩ رجب للوصول أمام الحصن؛ يبدو أنه قريب جداً من تاريخ ١٠ جمادي الثاني، تاريخ الانطلاق من القاهرة. من الغريب من جهة أخرى أن يكون بيبرس قد استولى على كل الضواحي في يوم واحد.

الخارج فقط، على برج المدخل لأنه كان شديد التحصين[١]. فبعد الهجوم بالمجانيق اقتحم المهاجمون البرج من الخارج ومن الداخل عبر الرواق الداخلي.

في هذا اليوم وصل أمير حماة، المالك المنصور محمد، عم الكاتب المشهور أبي الفدا؛ ذهب بيبرس للقائه، وانضم إليه وسار معه تحت بيارق هذا الأمير بدون حرسه ولا حامل الهراوة. ثم وصل أمير صهيون، سيف الدين، ونجم الدين كبير جماعة الإسماعيلية المعروفين باسم الحشاشين. وفي اليوم التالي، ٢١ رجب، سقط برج المدخل (حسب ابن شداد). ثم صار الحصار يتقدم ببطء بسبب استمرار هطول المطر[٢]. وكانت قيادة الحصار بيد ابن السلطان[٣].

في الأول من شعبان (١٥ آذار) تم الاستيلاء على برج مدخل السور الثاني، وتم الاستيلاء على البرج الثالث الذي يحميث مقدمة الحصن بالذات في ١٥ شعبان (٢٩ آذار)، بمساعدة نقابي المالك السعيد.قاد الهجوم خازن دار السلطان، نائبه في مصر بدر الدين بليك. وبذلك فتحت الطريق وانطلق الجنود داخل باحة الحصن، فقتلوا من فيه من الفرسان، وأسروا الجبليين الذين ساعدوا في الدفاع عنه، ولم يطلق سراح غير القرويين كيلا يتم إخلاء المنطقة من السكان[٤]. وكان قد التجأ معظم الفرسان (ص ١٨) إلى البرج المحصن على السور الثاني. ومن أجل الاستيلاء عليه عمل السلطان على نقل المجانيق إلى الباحة ووجهها على الحصن، ما ألزم الفرسان على الاستسلام. وحصلوا على الأمان في انتقالهم إلى طرابلس شرط مغادرتهم من هناك إلى أوطانهم[٥]. لم يذكر النويري ولا المقريزي تاريخ استسلام الحصن. بينما يعطي أبو الفدا والعيني تاريخ ٢٤ شعبان، ولكن التاريخ الحقيقي هو ٢٥. فالنقوش المؤرخة في ٢٥ هدفها الجلي تخليد ذكرى هذا النصر المبين، لا تاريخ أعمال الترميم، لأن بيبرس الذي مدد إقامته في حصن الأكراد حتى ١٥ رمضان (٢٧ نيسان)[٦]، لم يتمكن من أن يحسم في يوم واحد مسألة على درجة

---

[1] هذا هو رأي راي أيضاً.

[2] حسب ابن شداد، الجزء الأول؛ أما النويري فيعزو السبب إلى تأخر نقل المجانيق ونصبها ما استلزم الكثير من الوقت.

[3] حسب ابن كثير، ذكره العيني في: R. H., II a, p. 238.

[4] يروي النويري أنه أطلق سراح كل من كان في باحة الحصن.

[5] من المحتمل جداً أن بيبرس، كما يروي النويري، زور رسالة باسم رئيس الاسبتالية وبعثها إلى الفرسان وهي تطلب منهم الاستسلام.

[6] وصل في ١٦ الشهر إلى عكار، بمسير يوم من الحصن.

أهمية أعمال الترميم. وعليه لا يمكننا افتراض أن أعمال الترميم بدأت منذ ٢٥ شعبان، ولا أن أمر الشروع بها قد صدر في ذلك اليوم. عيّن السلطان حاكماً على القلعة صارم الدين قيماز الذي كان حاكماً لقلعة شقيف تيرون. توفي قيماز عام ٦٧٣ (١٢٧٤) حسب النويري[١] الذي يتفق مع النقش على قبره، بينما يعده المقريزي في عداد وفيات العام ٦٧٤. وتم تحويل الكنيسة إلى جامع، وتم تعيين قاضٍ للمدينة والقلعة[٢]. عهد السلطان بأعمال الترميم إلى عز الدين أيبك الأفرم وعز الدين أيبك الشيخ. وبدأ منذ ربيع الأول عام ٦٧٠ (ت[١] ١٢٧١) بزيارة تفقد القلعة وأتخذ إجراءات، وكرر الأمر في ذي الحجة من نفس السنة (تموز ١٢٧٢).

وتخبرنا النقوش بعمليتي ترميم لاحقتين. ففي العام ٦٨٤ (١٢٨٥) عمل بلبان الطباخي على ترميم أحد الأبراج، قبل الشروع في الهجوم على قلعة المرقب. وأخيرا، في أيام السلطان المالك الناصر محمد، تم ترميم متراس كان قد دمرته أمطار جارفة. يذكر المقريزي هذا الأمر في سياق حوادث سنة ٧٠١ (١٣٠١-١٣٠٢). وفي أيام هذا السلطان، تم بناء مأذنة للجامع. وفي عام ٧١٩ (١٣١٩) قدم الأمير بكتمر، حاكم حصن الأكراد، خدمات كبرى إلى المدينة. وألحق بالجامع مدرسة ابتدائية، وبنى فيها مصلى (ص ١٩). أما عمله الأكثر أهمية فهو بناؤه مشفى للمرضى المسلمين، سواء كانوا مقيمين أو عابرين.

فقد حصن الأكراد بعد رحيل الصليبيين الكثير من أهميته. ففي بلد أصبح الآن بمنآى عن هجمات خطرة لا تعود هناك حاجة لقلعة كبيرة. بقيت المدينة لوحدها، ولم تكن كبيرة؛ ويصفها ابن بطوطة في إحدى رحلاته بأنها ضيعة بلا أهمية، فيها مجرى ماء والكثير من الشجر. أما اليوم فالقلعة الشامخة لا تلعب إي دور سوى أنها مقر القائقام الوديع في القضاء.

مقتطف من ابن شداد حول تاريخ حصن الأكراد[٣]

"(F° 103 a) واما حصن الاكراد فحكى منتخب الدين يحيى بن ابي طيّ النجار الحلبى في تأريخه في سبب نسبته الى الاكراد ان شبل الدولة نصر بن مرداس

---

[1] Leide, ms. or., 2 m., f° 255 b;, voir n° 10 et B. S., p. 68, 69.

[2] ابن كثير في العيني، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

[3] Leide, ms. or., 1466, f° 103 a.

صاحب حِمص اسكن فيه قوماً من الاكراد في سنة اثنين وعشرين واربع مائة فنُسب اليهم وكان من قبل يُسَمّى حصن الصفح طوله سبعون درجة وخمس وعشرين دقيقة وعرضع اربع وثلثون درجة وثلثون دقيقة ولم اطّلع بعد سنة اثنين وعشرين واربع مائة على شيءٍ من اخباره الى ان كانت ايام الاتابك ظهير الدين طغتكين بدمشق وقعت الهدنة التي قدمنا ذكرها ثمّ خرج بعدها طنكريد صاحب انطاكية في حشده وجنده فنزل على حصن الاكراد فتسلمه من اهله في بقية سنة ثلث (كذا) وخمس مائة..."

استيلاء بيبرس على حصن الأكراد[1]

"(F° 103 b) نزل[2] ايّده الله بنصره على حصن الاكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب ونصب على اسواره المجانيق وكانت له ثلثة اسوار وثلث باشورات واوصل الحصار الى ان هدم الاسوار يوم الرابع والعشرين من الشهر ثمّ اُخذت احدى الباشورات فى يوم الخامس[3] والعشرين وتأخر ما بقى منها لترادف (ص ٢٠) الامطار إلى ان فُتحت الثانية يوم السبت سابع شعبان وتُعْرَف بالحدّاديّة ثم فُتِحت يوم الاحد الخامس عشر من شعبان على يد نقابي الملك السعيد ومباشرة ملك الامراء بدر الدين بليك الخزندار ثم دخلت العساكر الحصن باسيف وقتلوا من فيه من الاسبتار واسروا الجبلية وعفى عن الفلاحين لعمارة البلاد فلما رأى اهل القلة ما حلّ باهل البلد طلبوا الامان فاُجيبوا وتسلمها مولانا السلطان يوم الاثنين خامس وعشرين شعبان[4] وخرج من فيها الى اطرابلس يسّر اله فتحها ثم رحل السلطان بعد ان ترك عليه الامير عزّ الدين ايبك الافرم لعمارة اسواره وولى فيه نائبا".

مقتطف من النويري حول فتح حصن الأكراد[5]

(f° 284 b) فلما توجه السلطان فى سنة تسع وستين وستمائة الى الشام واغار على طرابلس كما قدمناه نازل حصت الاكراد فى تاسع شهر رجب من السنة وملك ارباض الحصن في العشرين منه وحضر الملك المنصور وصاحب حماة فتلقاه

---

[1] المرجع السابق، f° 103 b

[2] السلطان بيبرس.

[3] في نص خطأ لأنه يرد فيه الحادى.

[4] ٢٥ شعبان هذه السنة كان يوم أربعاء.

[5] Leide, ms. or., 2 m., f° 284 b; Paris, ms. ar., 1579, f° 83 a.

السلطان وترحل لترحيله وساق السلطان تحت صناجق صاحب حماة بغير جمدارية ولا سلاح دارية ادباً معه وسير اليه دهليزاً امره بنصبه ووصل الامير سيف الدين صاحب صهيون والصاحب نجم الدين صاحب الدعوة[1] وفي اواخر (fº 249 a) شهر رجب تكمل نصب عدة مجانيق وفى سابع شعبان أخذت الباشورة بالسيف وفى سادس عشر الشهر تشقق برج من ابراج وتسلموها وطلع الفرنج القُلّة وأحضر جماعة من الفرنج والنصارى (ص ٢١) فاطلقهم السلطان ونُقلت المجانيق الى القلعة ونصبت على القلة وكتب السلطان كتاباً على لسان مقدم الفرنج بطرابلس الى من بالقلة يأمرهم بالتسليم ثم طلبوا الامان (فكتب لهم الامان) على انهم يتوجهون الى بلادهم وفى يوم الثلاثاء رابع وعشرين خرج الفرنج من القلة وجُهِّزوا الى بلادهم وتسلم السلطان الحصن ورتب الامير صارم الدين الكافرى نائباً بحصن الاكراد وفوّض امر عمارة الحصن الى الامير عز الدين ايبك الافرم وعز الدين ايبك الشيخ"[2].

---

[1] الاسماعيلية..

[2] لم نترجم نقوش حصن الأكراد، ما اقتضى الذكر (المترجم).

٤- "مقام الرب" في بيت جعلوك[1]

هنري سيريغ Henri Seyrig

مقام الرب، أو بيت جعلوك كما يُقال أحياناً[2]، موضع على الطرف الشمالي للبنان، على ارتفاع ٤٠٠م، منه يمتد النظر على وادي الإلوتيروس (النهر الكبير)، ويسرح بعيداً نحو البحر وصافيتا، وصولاً إلى المنظر الحتمي لحصن الأكراد. نصل إليه بشيء من الصعوبة إما عن طريق بلدة البيرة بمسير ساعة، وإما بمسير نصف ساعة من بلدة منجز[3]. ربما كانت هذه المنطقة المسكونة في عصر الرومان بالأيطوريين، وهم قوم من العرب تَرَوْمَنوا لحد ما، تابعة إلى قيصرية لبنان، عرقا القديمة، الوارد اسمها أحياناً على عملاتها قيصرية الأيطوريين[4].

توجد في مقام الرب، "منزل الإله"، آثار تالفة جداً لمعبد صغير من البازلت سبق أن لاحظها دوسو[5] في العام ١٨٩٧، ثم درستها في العام ١٩٠٢ بعثة بإدارة أوتو بوشتين[6] Otto Puchstein. وتقوم المديرية العامة للآثار حالياً بأعمال نبش وصيانة للموقع. ومع أن العلماء الألمان لم يكن مسموحاً لهم في حينه بغير الفحص السطحي لهذه الآثار، فقد تعرفوا فيها على معبد تحيطه الأعمدة بترتيب فريد، وفيه بيت الأقداس بواجهة من الأعمدة، وبيت قائم على قبو. بيد أنه تبين وجود النقوش فيه حديثاً. نشرت منها اثنين سابقاً كان الأب الجليل موتيرد Mouterde نسخهما في

---

[1] عرض لمقال "نيميسيس ومعبد مقام الرب"، لصاحبه هنري سيريغ. المرجع: Henri SEYRIG: “Némésis et le temple de Maqām er-Rabb”, Mélanges de l’Université Saint Joseph, t. XXXVII, Fasc. 15, 1961, pp. 260-270.

[2] D. Krencker et W. Zschietzschman, Röm. Tempel in Syrien, I, pp. 102 sq.

[3] R. Dussaud, Topogr. History. De la Syrie, p. 95; Guide bleu, Syrie et Liban, éd. De 1932, p. 67. الموقع غير وارد على أي خريطة، باستثناء المخطط التقريبي الذي وضعه د. كرنكر (D. Krencker, op. cit., II, pl. 1). خريطة المنطقة بمقياس 50.000^{e} لم تنشر أبداً. على الخريطة بمقياس 200.000^{e}، أبسط طريقة هي في اعتماد نقطة استعلام بلدة تل كلخ الكبيرة، على سكة الحديد بين حمص وطرابلس. وإذا أنزلنا من تل كلخ خطاً عمودياً نحو الجنوب، يلتقي على مسافة ٨كلم بلدة عيدمون، بالقرب منها يقع مقام الرب.

[4] راجع حول الأيطوريين في لبنان: Beer, Ituraea (Pauly-Wissowa); A.H.M. Jones,Cities of the Eastern Rom. Provinces, pp. 255 sq.; R. Dussaud, Pénétration des Arabes, pp. 176 sq. حول علاقتهم مع قيصرية (عرقا)، راجع: Syria, XXXVI, 1959, p. 42, note 5.

[5] Dusaud, Rev. archéol., 1897, I, p. 308.

[6] D.Krencker ect., op. cit., pp. 102-104; 279; 293 (description, architecture); 274 sq. (date presume).

الموضع وتفضل بهما عليّ. ويسعدني اليوم أن أهديه، بفضل سخاء الأمير شهاب، نشر نص يكملهما، وأن أعترف بما يربطني به من مودة تعود لسنين، والعرفان بجميله لاستخدامنا الدائم لأبحاثه.

النصوص التي سنناقشها كانت محفورة على قاعدتين شبيهتين من البازلت والواجهة العلوية ليست مرتبة كواجهة المذبح: هما قاعدتا تمثال. القاعدة الأولى[١] مفقودة حالياً، محفور على وجهها درع دائري نقرأ فيه فوق وتحت حدبة وسطه:

A la déesse Athéna, (offrande de) Drusus, prêtre.

إلى الإلاهة أثينا، (تقدمة) دروسوس، كاهن[٢].

القاعدة الثانية[٣] كانت حتى الآن مطمورة وجهها إلى الأسفل، ليظهر النقش عليها عندما انقلبت على وجهها خلال الأعمال الأخيرة. النقش غير المنشور المحفور عليها هو الآتي:

L’an 573, au mois de Peritios(?). Kairos Kalos. Drusus, prêtre, a dédié par gratitude (cette offrande).

عام ٥٧٣، في شهر بريتيوس(؟). كايروس كالوس. دروسوس، كاهن، أهدى بامتنان (هذه التقدمة)[٤].

ثمة دولاب بثمانية أشعة محفور على الوجه الثاني، الذي كان يُظن حتى الآن أنه الوجه الأساسي، وفوقه منقوش اسم نيميسيس[٥] Némésis.

تشابه القاعدتين كامل تقريباً: يبدو أنهما يشكلان ثنائياً، والمتبرع بهما معاً هو كاهن الموقع. الأولى مهداة بالاسم إلى أثينا التي لا يشكل وجودها مفاجأة في بلد عربي حيث تمثل هذه الإلاهة بالتأكيد اللات، الإلاهة[٦] الكبيرة المحاربة لهذه الأمة. فعلى كل واحدة من القاعدتين اسم إلاهة، ما يجعلنا نعتقد أن هذه الأسماء تحدد الصور الكائنة على القاعدتين: نيميسيس على الأولى، كايروس كالوس على الثانية.

---

[1] Syria, XXVII, 1950, p. 245 (Antiq. Syr., IV,p. 139).

[2] النقش باليونانية طبعاً نقلنا ترجمته الفرنسية فقط، وقمنا بتعريبها، (المترجم).

[3] ارتفاعها ١,١٠م، عرضها ٠,٦٧م، سماكتها ٠,٧٦م.

[4] يعود الفضل في ترميم إفريز (كورنيش) القاعدة بواسطة الكثير من الأجزاء إلى السيد هار. كالايان Har. Kalayan الذي يدير الأعمال في مقام الرب. على هذا الإفريز كان السطر الأول منقوشاً. إن (êta) في كلمة (μη(νός مدغمة مع (my)، ما يجب تصحيحه على ما يبدو بـ (pi)، لأن بقايا (epsilon) و(rhó) أكيدان. السطور الباقية منقوشة ضمن إطار على شكل ذنب السنونوة.

[5] Syria, XXVII, 1950, p. 245 (= Antiq. Syr., IV, p. 140).

[6] Voir par exemple D. Sourdel, Cultes du Hauran, pp. 69 sq.

ثمة بينة أخرى تشهد على عبادة نيمسيس في مقام الرب: أنها وطيدة[1] من البازلت بها ما يزال معلقاً دولاب يبدو أنه كان مستنداً إلى فخذ تمثال صغير. وفي ذلك بيان على النموذج الكلاسيكي للأيقونات النيميسية.

ليس مدعاة مفاجأة اقتران نيميسيس وأثينا التي لا تعود كالأولى إلى بلد عربي. فثمة تمثال صغير وصفناه منذ فترة قريبة عُثر عليه في خربة الصنّه Khirbet el-Sané في تدمر، داخل محراب كانت أثينا- اللات شخصيته الأساسية[2]. كما أن هناك نصباً ثالثاً من الطراز التدمري عليه نفس الاسم أثينا لصورة هي من الجلي صورة نيميسيس[3]. إن هذا التوفيق الذي يربط، أو يماثل، نيميسيس بإلاهة كونية عظيمة مثل اللات يجعل منها في مظهرها المتأخر سيدة للمصير الكوني[4].

أما كايروس كالوس Kairos Kalos فهو أكثر استثنائية. فلا يُعرف بعد غير نصب واحد مُهدى إلى هذا الإله: مذبح في بيزنطية[5] مُهدى "إلى القدوة الحسنة، إلى حُسن القدر، إلى كايروس كالوس، إلى الأمطار، إلى الرياح، إلى الفصول الأربعة". لا شك أن كالوس كايروس يعني "الزمن السعيد"، ويتوافق مع "القدوة الحسنة" و"حسن القدر". نفس هذه المفاهيم كانت رائجة في سورية، إذا اعتمدنا على ما هو وارد على مذبح صغير في تدمر مُهدى بالآرامية "إلى من اسمه مبارك إلى الأبد، وإلى الزمن السعيد"[6]. اقترحت في حينه على ناشر هذا النص مقارنة مع فيليسيتاس تومبوروم Felicitas Temporum زمن السعادة، ولكن كايروس كالوس لا يقل عنه توافقاً.

---

[1] الوطيدة هي جزء منخفض مربع من قاعدة عمود (المنهل، ص ٩٢٧)، المترجم.

[2] Syria, XIV, 1933, pp. 15 sq.; cf. D. Schlumberger, Palmyrène du N.-O., pp. 78 sq.

[3] Syria, XIII, 1932, pp. 51 sq. (= Antiq. Syr., I, pp. 12 sq.). هناك لائحة بنصب نيميسيس في سورية في: (H. Herter, Némésis (Pauly-Wissowa), p. 2359). أضف إلى ذلك: (Syria, XXVII, 1950, PP. 137 =Antiq. Syr., IV, pp. 242 sq.). أيضاً: H. B. Walters, Catal. F Engraved Gems in the Brit. Mus., n° 1266، الذي لا يمثل أبداً ارتيميس إيفيز Artémis d'Ephèse بل جوبيتر البعلبكي بصحبة سيرابيس Sérapis ونيميسيس.

[4] Syria, XIII, 1932, pp. 54 sq. (= Antiq. Syr., I, pp. 15 sq.).

[5] L. Robert, Hellenica, IX, pp. 56 sq.، مع تحليل مفصل.

[6] مذبح بتاريخ سنة ١١١ ب.م.؛ بالآرامية: L'DN' TB': J. Cantineau, Syria, XIV, 1933, p. 192, n° 13.

لعل تاريخ النذر يسمح بتقدير مقبول للجمع بين نيميسيس وكايروس كالوس[١]. من المرجح أن التقدمة حصلت في شهر بيريتيوس Peritios عام ٥٧٣. هذا الرقم المنقول لا يمكن حسابه إلاّ بالتقويم السلوقي الذي كان معمولاً به عند أيطوريي قيصرية لبنان[٢]. وبالتالي يعود الإهداء إلى شباط من العام ٢٦٢. لهذا التاريخ معناه في سورية. كان البلد يعيش منذ ست سنوات على الأقل في حال من الإضطرابات[٣]. في العام ٢٥٦، سحق سابور الأول جيشاً رومانياً في باربالیسوس Barbalissos على الفرات، وملك الفرس تقدم نحو أنطاكية حيث بقي مسيطراً عليها لبعض الوقت[٤]. في العام ٢٥٩ أو ٢٦٠ تقدم سابور مجدداً واستولى على قارة Carrhes ثم أوديسا Edesse حيث أسر تحت أسوارها الإمبراطور فاليريان[٥] Valérien. دمرت العصابات الفارسية ونهبت سورية وكيليكيا Cilicie وكابدوقيا[٦] Cappadoce. ولكن هذه العصابات العاجزة عن احتلال البلاد سرعان ما انسحبت مع غنائمها، فعمت الفوضى في الداخل. ماكريان Macrien مدبر الإدارة والمالية[٧]، المقيم في ساموسات Samosate حيث قاوم الفرس انتفض وأعلن إبنيه، ماكريان الشاب Macrien le jeune وكييتوس Quietus امبراطورين. قتل المدعوان ماكريان أثناء سيرهما إلى روما، أما كييتوس المتحصن في حمص مع أنصاره فقد حاصره

---

[1] ربما يراودنا هنا أن نتذكر التشابه الكبير القائم بين نيميسيس وكايروس إله الفرصة، خصوصاً لجهة بعض مظاهر أيقوناتهما (راجع علاوة على المقلات المتعلقة بالمقردات، المجموعة الغنية من الوثائق التي جمعها أ. ب. كوك: A. B. Cook, Zeus, II, pp. 859-868, avec de nombreuses figures). ولكن كالوس كايروس ليس كايروس (L. Robert, op. cit., p. 57).

[2] G. F. Hill, Brit. Mus. Catal., Phœnicia, p. LXXI.

[3] راجع أساساً حول هذه الأحداث: A. Alföldi, Berytus, IV, 1937, pp. 41-68; V, 1938, pp. 47-92; et depuis la découverte de l'inscription de Sapor I: M. Rostovtzeff, ibid., VIII, 1943, pp. 17-60; W. Ensslin Zu den Kriegen des Sassaniden Schapur I, dans Sitz. D. bayer. Akad., 1947, 5, pp. 18-85; A. Maricq (avec E. Honigmann), Recherches sur les Res gestae divi Saporis, dans Mémoires de l'Académie royale de Belgique, el. Lettres, XLVII, 4, 1953, pp. 131-149.

[4] حدد ماريك (المرجع السابق، ص ١٣١) تاريخ الحملة الثانية لسابور الأول.

[5] تاريخ أسر فاليريان موضع جدل: A. Maricq, op.cit., p. 142, note 3. En faveur de l'an 259: G.Lpuszanski (la date de la capture de Valérien et la chronol. Des empereurs gaulois. Bruxelles, Inst. d'études polonaises, 1951, pp. 4-24). – Sur la capture d'Edesse: Maricq, pp. 144 sq.

[6] A. Maricq, op. cit., pp. 14, lignes 26 s.

[7] H.-G. Pflaum, Carrières procuratoriennes équestres, p. 932.

أذينة Odénath بالتوافق مع غالليين Gallien حيث قضت عليه العامة في صيف أو خريف العام[١] ٢٦١.

بعد الكثير من الاضطرابات أعاد هذا الأمر السلام إلى ربوع المقاطعة. وترسخت سلطة غالليين في الداخل. وفي الخارج، صار بوسع أوذينة بعد أن أصبح جاهزاً شن حملة على طيسفون Ctésiphon، لا يقتصر قوامها على قواته فحسب، بل وضع الإمبراطور بإمرته جيشه بعد أن عيّنه قائداً رومانياً dux Romanorum. وبذلك تنفست الصعداء سورية ومعها كامل الشرق. وفي غمرة هذه الظروف قرر الكاهن دروسوس تقديم نذره في شباط ٢٦٢.

لا يصعب تصور ما كان يمكن أن يعنيه للسوريين اسم نيميسيس في ذلك الزمن. سبق لقيصر César أن شيد معبداً للإلاهة عند تمثال بومباي[٢] Pompée. وكذلك في العام ٢٦٢ عاقبت نيميسيس أفعال ماكريان، قبل أن تعمد إلى معاقبة ملك الفرس. ولم تقتصر شهرتها على تلك الأفعال السلبية بمعنى ما. فثمة أيقونة شعبية للغاية نسبت إليها تدريجياً نعوت تجسيدها بأشخاص آخرين. فكانت نيميسيس نيكيه Némésis-Niké المظفرة والقاهرة[٣]؛ ونيميسيس تيشيه Némésis-Tyché ضامنة القدر السعيد والحتمي كدوران الكواكب[٤]؛ وأخيراً، نيميسيس السلام Némésis-Pax الواعدة بمستقبل مسالم[٥]. أما كايروس كالوس فليس مخالفاً للصواب اعتباره يجسد نهاية مرحلة مضطربة.

إذا كان هذا هو تقريباً معنى نذر الكاهن دروسوس، يبقى علينا أن نشير باختصار إلى مظهر آخر للأمور، نقصد به الخلفية القومية، أو لنقل الخلفية الإتنية التي إليها

---

[1] A. Alfold, Berytus, V, 1938, p. 70 (novembre); W. Ensslin, Zu den Kriegen, pp. 75 sq. (été).

[2] Appian., Bell. Civ., II, 90. Voir plus loin, p. 270, post-scriptum.

[3] F. Chapouthier. Némésis et Niké, dans le Bull. de corresp. Hellén., XLVIII, 1924, pp. 287 sq. H. Mattingly et E. A. Sydenham, Rom. Imp. Coinage, IV, 3, p. 197, no 2 (Emilien ثمة درهم بحوزة إيميليان مسكوك في العام ٢٥٢، في البلقان بالطبع، عليه صورة نيميسيس وبرفقتها عبارة Victoria Aug.

[4] Références dans H. Herter, Némésis (Pauly-Wissowa), p. 2379. Cf. Syria, XIII, 1932, pp. 53 sq. (= Antiq. Syr., V, pp. 12 sq.).

[5] M. Rostovtzeff, Journ. of Egypt. Archael., pp. 24 sq.

يستند الإهداء. نحن هنا في حقل متحرك المعلومات الدقيقة عنه نادرة، بحيث يبقى جانب الافتراض واسعاً. بيد أنه يجب العمل أحياناً لجمع أجزاء هذا التقليد المتناثر.
لقد رأينا أن أثينا ليست، في بلد الأيطوريين، غير الإلاهة المحاربة اللات التي تحتل مكانة رفيعة بين مشاهير آلهة الأيطوريين في عنجر وبعلبك[١]. ولا شك بأن أيطوريي لبنان كانوا يعون ما يربطهم بأهل حمص، وهم من العرب أيضاً، والذين قضوا للتو على المخرب كيبتوس الذي كان أنصاره ينظرون إلى أوذينة نظرة احتقار لاعتباره بمثابة البربري[٢]. والحال فإن الدفاع عن الإمبراطورية بوجه الفرس كانت تعتمد في حينه على هذا الأمير العربي وقائد جيش عربي بقدر ما هو روماني. كل هذه الحبكة البارعة بنظرنا، من شأنها أن تكون أكثر حساسية بالنسبة للكاهن دروسوس وأتباعه، وأن تضفي نكهة عالية على تفاؤلهم.
لقد تحول معبد مقام الرب في العصر المسيحي إلى كنيسة وُضع قدس الأقداس فيها في مقدمة الهيكل. فبقيت أعمدة واجهة المعبد في مكانها، ولكن الفراغ بينها تم ردمه بالحجارة المأخوذة من تدمير أجزاء قديمة أخرى. عُثر في هذا الحائط الناجم عن ردم الفراغات بين الأعمدة، وفي مكان الفراغ الجنوبي على حجر عليه نقش. إنه حجر وجهه مزين جداً، الوصلات فيه معدة بعناية، ولكن وجهه الخلفي تعرض للتخفيف قليلاً ليتناسب وتركيبه في الحائط[٣]. وجه الحجر الذي اعتنى السيد كالايان بجمع المتناثر منه كان قد تم إعداده بخطوط أفقية:

[Aux frais] du trésor sacré, [l'an] 475 (ou 476), ce mur a été constuit sous la prêtrise de Sa[.]zouba fils de Bareôn, et sous l'archontat de Abiddaranès son fils et de Aboudemmos fils de Sabinus.

(على نفقة) أموال الكنيسة، (في العام) ٤٧٥ (أو ٤٧٦)، تم بناء هذا الحائط في ظل ولاية الكاهن سا(.)صوبا بن باريون، وفي ظل ولاية الحاكم عبد دارانيس ابنه وأبوديموس بن سابينوس.
السطر الثاني: الترميم يوافق تماماً البقايا المرئية من الحروف، مع أنه يمكن التردد حول رقم الوحدات في التاريخ: epsilon ou stigma، وإذا لزم الأمر zêta...

[1] Syria, XXXI, 1954, pp. 91 sq. (= Antiq. Syr., V, pp. 110 sq.).
[2] Petr. Patric., éd. Boissevain, III, p. 744 = fragm. 167. Cf. Syria, XXXVI, 1959, p. 191, note 4.
[3] ارتفاعه ٤٣سنتم، طوله ١,٢٠م، حروفه من ٥ إلى ٦سنتم.

لم يكن النص مؤرخاً بولاية كاهن الكنيسة وولاية الحاكمين المحليين فحسب، بل أيضاً بتاريخ ٤٧٥ (أو ٤٧٦ أو ٤٧٧)، هذا إذا كان تقديري صحيحاً. هذا التأريخ هو بالطبع بالتقويم السلوقي ويطابق العام ١٦٣/١٦٤ بتقويمنا. ولكن هذه المعلومة لا تفيدنا كثيراً مع الأسف لأننا نجهل المصدر الدقيق للحجر. يعود تاريخ الهيكل، كما يزعم ناشروه[١]، إلى القرن الأول من تقويمنا، وذلك لأسباب لا تتعلق على العموم بغير طرازه. ولكن حجرنا قد يكون مصدره حائط آخر.

يظهر هنا اسم عبد دارانوس أو عبد دارانيس للمرة الأولى، ومعناه خادم أرانيس serviteur de Hadaranès. هذا الإله معروف من نقوش تشهد على عبادته في نيحا[٢]، وفي دير القلعة، هذا الموضع المرتفع على مقربة من بيروت[٣]، وفي ديلوس[٤] Délos. نعرف أيضاً من نص سرياني أنه كان معروفاً في هيرابوليس[٥]. وفي نيحا فإن صورته المماثلة لصورة جوبيتر البعلبكي هي بوضوح صورة إله محلي لبناني. يجب، بلا شك، تقريب اسم باريون من باريا Barea, BR’، كتعبير تحببي لاسم باراتيه Baraté، ابن (الإلاهة) أتيه[٦] Até. أبوديموس اسم معروف جيداً[٧]، وهو يعني والد أمه، وينطوي في الأصل، على الأقل، على فكرة تجسيد الجد من الأم. نفس التصور يفسر المزدوجة إيميدابواس[٨] Emmedabouas، والدة أبوها، مكتوبة بهذه

---

[1] D. Krencker ect., op. cit., pp. 274 sq.

[2] S. Ronzevalle, CRAI, 1901, p. 479; CIL. III, 13608 (cf. p. 2328[74]); excellente reproduction dans D. Krencker, op. cit., p. 120, fig. 164. Cf. Cumont, Hdaranes (PAULY-WISSOWA, 1912).

[3] S. Ronzevalle, loc. Cit; CIL. III, 14384

[4] P. Roussel, Délos colonie athénienne, p. 261; E. Will, Annales archéol. De Syrie, I, 1951, p. 65; J. et L. Robert, Bull. Épigr. (Rev. des ét. Gr.), 1955, n° 170.

[5] W. W. Baudissin, Studen z. semit. Religionsgesch., I, p. 312; J. Bidez et F. Cumont, Mages hellénisés, II, p. 94. Apparemment omis par G. Goossens, Hiérapolis de Syrie.

[6] Syria, XIV, 1933, p. 274 (= Antiq. Syr., I, p. 123)

[7] Répert. D’épigr. Sém., II, 582 (hébr.): ŜLM ‘BWDMS… Variantes: R. Mouterde, Mél. Univ. S. Jos., VIII, 1922, pp. 103 sq., et Syria, VI, 1925, p. 360; F. Cumont, Fouilles de Doura, p. 432, n° 98…; M.-R. Savignac, Rev. bibl., 1912, p. 536…; R. du Mesnil du Buisson, Mél. De l’Univ. S. Jos., XXXVI, 1959, p. 31, n° 102. Hypocoristiques: M. Lidzbarski, Ephem. F. semit. Epigr., I, p. 89, 350…; Waddington 2203 d…

[8] … … CIG 9787; cf. H. Leclerq, Antioche (Dict. D’arch. Chrét.), col. 2423؛ (هذا النقش من روما نسيه كايبل Kaibel ووثناو Wuthnow؛ أدين بمعرفته إلى الأب الجليل موتيرد)؛ H. Ingholt, Berytus, V, 1938, p. 124…؛ R. Mouterde, Mél. Univ. S. Jos., XXIX, 1952, p. 48, note 3

الصيغة في نقش[1] منسوخ من سنوات في سيرستيك الشرقية Cyrrhestique orientale، في ساكيسلر Sakisler في قضاء جرابلوس...

يختم سيريغ مقاله بملاحظة يشير فيها إلى ان اسم نيميسيس يظهر مرتين على مسكوكات طرابلس: قطعة نقد تعود لعام ١، في عصر بومباي بالتأكيد بين عام ٦٤ و٦٣ ق.م. ((E. Babelon, Perses achém., no 1886; BMC, nos 8 et 9)؛ وقطعة نقدية أخرى من العام ٢٨٣ بالتقويم السلوقي ما يعادل ٣٠-٢٩ ق. م. (Musée de Beyrouth, apparememt inédite). يتوافق كلا التاريخين مع ظروف اضرابات: الغزو الروماني لسورية، والحروب الأهلية عقب موقعة أكسيوم.

---

[1] نصب من البازلت ضيق من الأعلى، مقوس قليلاً، بارتفاع ٢,١٠م وعرضه من الأسفل ٥٣سنتم: حروف epsilon, omicron, sigma مربعة. تاريخه العام ٣٩٥ بالتقويم السلوقي، الموافق أير العام ٨٤ بتقويمنا.

٥ - تقرير حول المسح العام للآثار في بعض مناطق عكار[1]

من إعداد كين ماتسوموتو[2] Ken MATSUMOTO وهيساهيكو وادا[3] Hisahiko WADA

مقدمة

(٩٣) عكار واحد من أكبر سهول الساحل. يمتد في لبنان وسورية على شكل مثلث. ويعبره النهر الكبير من الشرق إلى الغرب، ليشكل الحدود بين البلدين. امتاز هذا السهل بأهميته كممر بين ساحل المتوسط وسورية الداخلية منذ القدم، وذلك لأن الجبال القائمة بعد المنطقة الساحلية تنخفض في هذا الموضع.

توفرت الفرصة إلى كين ماتسوموتو للقيام بمسح عام للآثار في لبنان عندما أوفدته كخبير في الآثار إلى هذا البلد الجمعية اليابانية لآثار آسيا الغربية. اقترح د. كميل أسمر، المدير العام للآثار في لبنان، إجراء مسح مشترك في المنطقة الشرقية لعكار، خصوصاً في مناطق الوديان. وهذا ما وافق عليه ماتسوموتو بسبب التصور الآتي.

١) لقد بدا أن ثمة مواقع أخرى تعود إلى ما قبل التاريخ موزعة في قطاع الوديان القائم بين السهل وجبال لبنان، غير نبع الجعلوك الذي أعلن عنه كوبلاند Copeland وويسكومب Wescombe.

٢) مع أن ما قيل لم يتم العثور عليه ولكنه من المتوقع وجود مواقع أثرية غير مرئية بعد وتعود إلى تاريخ أسبق بحكم الموقع الإستراتيجي للمنطقة.

تقرر أخيراً أن تنحصر منطقة المسح كالآتي: من الشمال النهر الكبير، ومن الجنوب نهر الأسطوان؛ ومن الغرب خط يصل قرية جنين بقرية هيتلا، على أن تكون قرية شدرا الحد الشرقي.

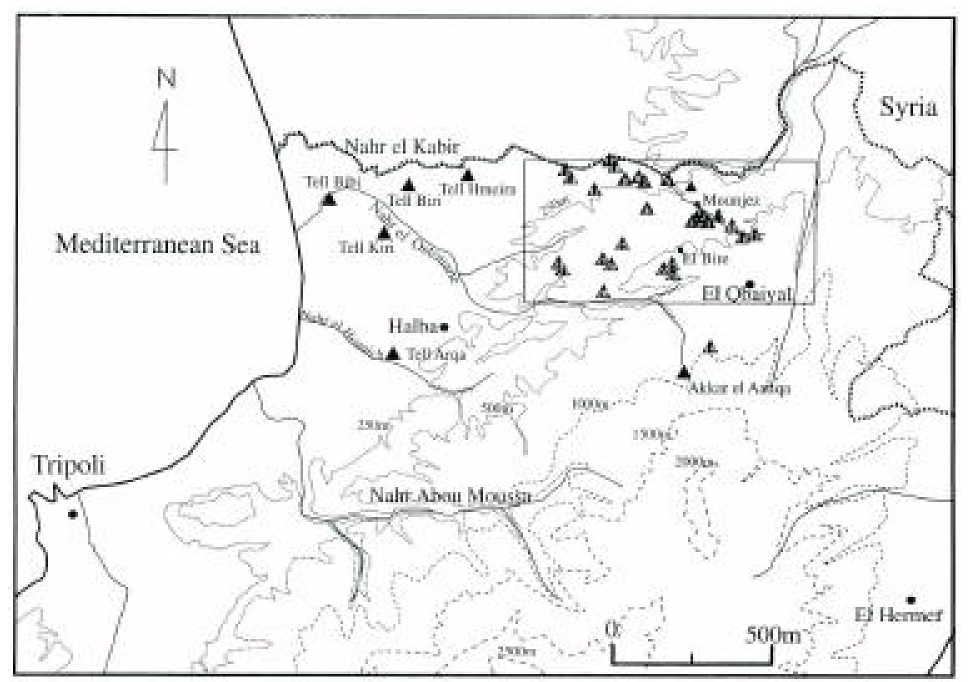
---

[1] Ken MATSUMOTO and Hisahiko WADA: Report on the archaeological survey in the hilly area of Akkar region in north Lebanon, Al-Rafidan, Vol. XXII 2001, pp. 93- 108.

[2] Ken MATSUMOTO: The Institute for Cultural Studies of Ancient Iraq, Kokushikan University, 1-1-1 Hirohakama, Maehida, Tokyo. 195 8550 Japan.

[3] The Ancient Orient Museum, 3-1-4 Higashi Ikebukuro, Toshima-ku, Tokyo, 170-8630 Japan.

بعد الاتفاق أنتدب د. أسمر السيد أنيس شعيا الذي كان مدير (٩٤) فرع مديرية الآثار في طرابلس للمشاركة في العملية؛ كما انضم من جهة أخرى هيساهيكو إلى البعثة اليابانية. وبدأ المسح العام في الأول من ت[١] حتى الثلاثين من ت[٢] عام ١٩٨٨.



خريطة لبنان الشمالي

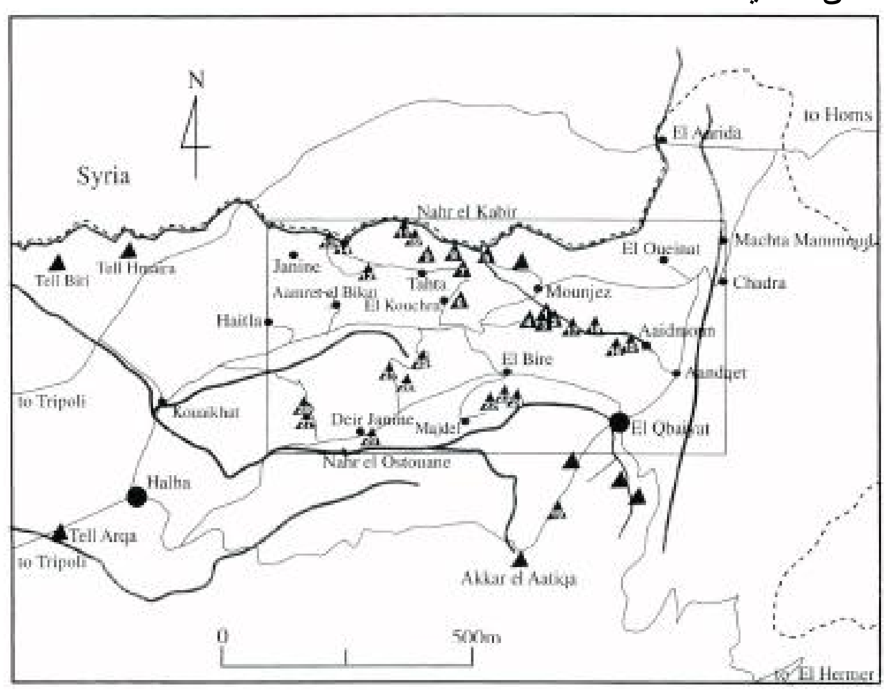
I- طريقة المسح وإجراءاته

تحقق المسح بالطرق الآتية.

١) لقد تحركنا بالسيارة على الطريق الرئيسية بين حلبا والقبيات والطرقات المتفرعة عنها الموضوعة على الخارطة (مقياس ٢٠٠٠٠٠/١)، وذلك كي نعرف الظروف الطبوغرافية للقطاع حيث توجد مواقع الآثار الذي قد تجري فيها عملية التنقيب. وبما أنه لم تكن معروفة المواقع الموجودة في منطقة الوديان، فقد بدا أنه من الممكن اكتشافها إذا ما تم البحث عنها سيراً على الأقدام حول القرى الحديثة وعلى طول الوديان.

٢) زرنا المواقع التي ذكرها كوبلاند وويسكومب في تقريره (١٩٦٦)، وفيه أربعة مواضع تقع ضمن القطاع المخصص لمسحنا: الكواشرة، حقل ميغاليتي megalith field؛ منجز-١، مجموعات القبور الميغاليتية؛ منجز-٢، قبور ميغاليتية؛ نبع الجعلوك، نيوليتيك Neolithic ومعبد روماني، ولكن الموضع مع الأسف تحطمت نصبه الميغاليتية بشدة، كما أن حقله كان مزروعاً ومخرّباً، ولذلك لم نتمكن من العثور فيه على مواد ميغاليتية.

٣) بانتظار الخرائط التفصيلية، قمنا ببحثنا استناداً لمعلومات القرويين. أي إننا قصدنا القرى وطلبنا من القرويين ما يعرفونه عن مواضع تجمع الفخاريات. ولقد صادفنا أحياناً مخبرين مفيدين كذلك الرجل المسن من منجز الذي سبق له أن عمل مع تالون Tallon الذي قام ببحث في حقل ميغاليتي في مطلع الستينيات. ولقد قادنا إلى مواقع دولمن وإلى كنيسة سيدة القلعة المبنية بالقرب من حصن صليبي، حيث التقينا برجل جمع العشرات من أدوات الصوان؛ ولقد كان بينها قطعة لوفالوا Levallois. وعثر عليها، على حد قوله، بالقرب من قريته الكواشرة، بينما كان يبحث عن التسلية.



خريطة منطقة عكار

٤) بعد الحصول على الخرائط التفصيلية (مقياس ١/٢٠٠٠٠) بدأ المسح الفعلي. (٩٥) بينت الخرائط بعض الينابيع والوديان الصغيرة. لذا قررنا تركيز بحثنا على المنحدرات الخفيفة المتجهة جنوباً أو شرقاً على طول الوديان الصغيرة لأن مثل هذه المواضع بدت ملائمة لإقامة الإنسان.

٥) ولكن المواقع الهامة التي عُثر عليها كانت قليلة جداً مع الأسف. بيد أن أحدها، الرقم Akk9818، بدا أنه يستحق البحث بعناية. وبالتالي تركزت جهودنا على هذا الموضع في الأيام الأخيرة من المسح. سحبنا المقطع العرضي الذي شمل قسماً من الطريق وأجرينا بحثاً مركزاً في البستان الملاصق بعد الحصول على إذن من صاحبه. وفي النهاية، سجلنا ما اكتشفناه، ووضعنا تقريراً فيه الوصف والرسومات. ولقد أعد ماتسوموتو أساساً الدراسة المقارنة وتحديد التواريخ. وتم إيداع كل المادة المجمعة في المديرية العامة للآثار.

II – المواقع الأثرية، Akk9801

(نبع الجعلوك ١ - Neba'a Jallouk-1)

الموقع: ٢ كلم جنوب وجنوب غرب منجز، في قطعة مسطحة مقابل بيت جعلوك (AKK9804)، عبر جدول صغير. معطيات GPS: long. 38° 1' 15" E, lat. 34° 36' 15 N، على ارتفاع ٤٢٠م عن سطح البحر.

نوع الموقع: موضع المواد الأثرية فيه مبعثرة. حجمه: ١٠٠م شمال/ جنوب، ٥٠م شرق/ غرب. الزمن الذي توحي به النتائج: المرحلة الرومانية-البيزنطية المتأخرة. النتائج المسجلة تحت الرمز (1-12) Akk9801.

ملاحظات: مجموعة من قطع من الخزف، عنق جرة قصيرة رمادية اللون ، قطع فخارية غير متقنة لونها كستنائي غامق.

(ص ٩٦) (نبع الجعلوك ٢ - Neba'a Jallouk-2)

الموقع: ٢ كلم جنوب وجنوب غرب منجز. معطيات GPS: long. 36 ° 15 '30 "E, Lat. 34 ° 36' 1" N، ارتفاعه عن سطح البحر ٤٢٥.

نوع الموقع: نطاق كنيسة أو معبد روماني. حجمه: ٥٠م شمال/ جنوب، ١٠٠م شرق/ غرب. الزمن: المرحلة الرومانية المتأخرة- البيزنطية، بداية المرحلة الإسلامية، رمز تسجيل النتائج: Akk9802-(1-7).

ملاحظات: يتميز هذا الموقع بوجود كنيسة قديمة محتفظة فقط بموضع المذبح. وبناؤها بحجر البازالت الذي يستعمله القرويون الحاليون في بناء منازلهم. وبعضها مطمور خلف الكنيسة. وثمة عمود حجري بقربها. وهناك الكثير من قطع الخزف مبعثرة وهي عائدة للمرحلة الرومانية وبلون بنفسجي غامق، وقطع فيها خطوط متموجة، وثمة قطع زجاجية صفراء، بالإضافة إلى أكواب وقطع نقدية (أو ميداليات).

(نبع الجعلوك ٣ - Neba'a Jallouk-3)

الموقع: ٢ كلم جنوب جنوب غرب منجز، على لسان مسطح من الأرض. معطيات GPS: long. 36 ° 15 '10 "E, Lat. 34 ° 36' 00". وعلى ارتفاع ٤٥٠م.

نوع الموقع: موضع مكشوف. حجمه: ١٠٠م شمال/ جنوب، ٤٠م شرق/ غرب. المرحلة: النيوليتيك؟، الرومانية البيزنطية المتأخرة، الإسلامية. رمز النتائج المسجلة: Akk9803-(1-12).

ملاحظات: يشبه هذا الموضع موضع نبع الجعلوك من حيث مواد عصر النيوليتيك التي جمعها كوبلاند وويسكومب. الموضع تعرض للزراعة وللتخريب، فلم نتمكن من العثور على أي مادة تعوض لذلك العصر، مع أننا جمعنا بعض قطع الصوان. هذا فضلاً عن بعض قطع الخزف المتموج الخطوط. راجع: Lorraine Copeland et Peter J. Wescombe, Inventaire des sites de l'Age de Pierre au Liban, Mélanges de l'Université de Saint-Joseph, tome XLII, 2ème partie, 1966, 48-49.

(بيت الجعلوك: المعبد الروماني Beit Jallouk: Roman Temple)

الموقع: ٢ كلم جنوب جنوب غرب منجز. معطيات GPS: long. 36° 14' 48" E, lat. 34° 35' 52" N. نوع الموضع: معبد. حجمه: ١٠٠م شمال/ جنوب، ٥٠م شرق/ غرب. المرحلة الرومانية، البيزنطية، بداية الإسلامية. الرمز: Akk9804-(1-7).

ملاحظات: يقوم المعبد على مسطح مدعم بحجارة ضخمة، يبلغ ارتفاعه ٥م. ثمة قناة ماء جارية من النبع تمر على الحائط. وتبين أن المعبد يعود إلى القرن الأخير قبل الميلاد ثم تم تحويله إلى كنيسة في المرحلة البيزنطية.. وما يزال فيه نقش أهداه الكاهن دروسوس Drusus إلى نيميسي Némésis، إلهة العدالة أو الثأر. النقش باليونانية ويعود للعام ٢٦٢ ق.م. (كوبلاند...، المرجع السابق).

(سيدة القلعة: قلعة صليبية Notre Dame du Fort)

الموقع: على مسافة كلم واحد جنوب غرب منجز، على الضفة الجنوبية للنهر الكبير. معطيات GPS: N "25 '37 °34 .long. 36° 13' 25" E, lat، على ارتفاع ٢٧٤م. نوعه: قلعة. حجمه: ٢٠٠م شمال/ جنوب، ٤٠م شرق/ غرب. المرحلة الإسلامية. رمز التسجيل: Akk9805-1.

(ص ٩٧) ملاحظات: ما يزال هذا الحصن الصغير بحالة جيدة نسبياً في موضعه على الضفة الجنوبية للنهر الكبير. ثمة بعض الحجارة المبعثرة في المكان، ولكننا لم نعثر هناك على ما هو مثير.

(الكواشرة Kouachra)

الموقع: ٥٠٠م شرقي الكواشرة. معطيات GPS: long. 36°a 13' 00" E, lat. 34° 36' 40" N، ارتفاع ٤١٠م. نوعه: مستعمرة. حجمه: ١٠٠م شمال/ جنوب، ١٠٠م شرق/ غرب. المرحلة: عصر الحديد المتأخر، الروماني البيزنطي، بداية الإسلامي. الرمز: Akk9806-(1-17).

ملاحظات: الموضع هو بقايا إقامة في منطقة ملاصقة لقرية الكواشرة الراهنة. ما تزال جدران المنازل والشوارع قائمة لحد ما. ولا يبدو قديماً جداً، ولعل ساكنيه هجروه منذ بضعة أجيال. وبالقرب منه توجد مخاضة. عثرنا فيه على عدة أنواع من الفخاريات والزجاج. يصعب تعيين مرحلته بدقة، ولكن يبدو أن بعض ما رأيناه يعود لعصر الحديد والعصر الروماني والإسلامي.

(الدبابية - ١ Dibbabiye-1)

الموقع: بين الدبابية الشرقية والغربية، بالقرب من الطريق الرئيسية والمقبرة الحديثة. معطيات GPS: long. 36° 12' 35" E, lat. 34° 37* 20" N، ارتفاع ٢٤٠م.

نوعه: موضع مواده مبعثرة. حجمه: ٥٠م شمال/ جنوب، ٣٠م شرق/ غرب. المرحلة الرومانية المتأخرة. الرمز (1-5) -Akk9807.

ملاحظات: ثمة مجرى ماء في وادٍ بين القريتين. وهو غير واسع وعميق وبالقرب من الطريق الرئيسية. ولقد تم جمع القطع الفخارية على جانبي الوادي وفي قاع المجرى. وعليه فمن الممكن أن تكون هذه المواد متحدرة من موقع أعلى. وما يزال قرب الموضع دولمن قائم حتى الآن.

(الدبابية - ٢ Dibbabiye-2)

الموقع: بين القريتين، على الضفة الغربية في المنطقة السفلية من مجرى وادي العريض. معطيات GPS: Long. 36° 12' 30" E, Lat. 34° 37* 40" N، على ارتفاع ٢٠٠م. نوعه: مكان مواده مبعثرة. حجمه: خمسة أمتار بخمسة، شمال/ جنوب، شرق/ غرب. المرحلة الرومانية المتأخرة. الرمز: (1-4) -Akk9808.

ملاحظات: الفخاريات المجمعة شبيهة بالموضع السابق.

(الدبابية الغربية Dibbabiye Gharbiye)

الموقع: غربي الدبابية الغربية، بين القرية ووادي قرغايا Wadi Qaraghaya. معطيات GPS: long. 36° 11' 50" E, lat. 34° 37* 45" N ، ارتفاع ٢٥٠م. نوعه: موضع مبعثرة فيه البنى الدائرية بالحجارة. حجمه: ٥٠٠م شمال/ جنوب، ٥٠٠م شرق/ غرب. المرحلة: الميغاليت، الرومانية المتأخرة، الإسلامية. الرمز: (3- 1) -Akk9809.

ملاحظات: يتميز الموضع بتجمعات دائرية من الحجارة وبالدولمن قائمة على أرض مسطحة بين الدبابية الغربية ووادي قرغايا. وعُثر فيه على تابوت حجري.

(ص ٩٨) **(وادي قرغايا مدفن ١ مدفن ٢ Wadi Qarghaya Tomb-1, Tomb-2)**

الموقع: على الجانب اليمين للوادي حتى ملتقاه بالنهر الكبير. معطيات GPS: Long. 36° 11' 30" E, Lat. 34° 37' 50" N، ارتفاع ١٢٠م. نوعه: مقبرة. حجمه: ١٠م بعشرة، شمال/ جنوب شرق/ غرب. الرمز (5- 1) -Akk9810.

ملاحظات: تم التعرف على قبرين على الأقل في هذا الوادي. وتحتوي عظاماً وبعض الفخاريات. يعود تاريخها إلى قبور مشابهة في حماة استناداً لما جُمع من مواد في المكان، ولها الخصائص الآتية: (١) كان الطين محتوياً على القش وعلى

الحصى الصغيرة الكروية، وقطرها بحجم ملم إلى إثنين. (٢) لونها برتقالي أسمر أو أسمر داكن، وفي وسطه نواة سوداء.(٣) الجرار قصيرة العنق، وتتصف بانحناء على مستوى العنق والقاعدة. هذا الموضع واعد جداً في استكشافه.

(النهر الكبير ١ Nahr el Kebir-1)

الموقع: على الضفة الجنوبية للنهر الكبير بالقرب من ملتقاه بوادي قرغايا. معطيات GPS: long. 36° 11' 25" E, lat. 34° 38" 10" N، ارتفاع ٩٧م. نوعه: موضع مواده مبعثرة. حجمه: ١٥٠م شمال/ جنوب، ١٠٠م شرق/ غرب. المرحلة: الرومانية، البيزنطية، الإسلامية. الرمز: (22- 1) - Akk9811.

ملاحظات: مواد متنوعة فيها قطعة من عقد من الزجاج الأزرق، وقطع فخارية متموجة الخطوط وزجاجية والصوان والنفايات. ولعله من المرجح أن المياه هي التي جرفتها إلى هذا المكان.

(وادي جب السعد Wadi Joubb es Saad)

الموقع: بين النورا التحتا والنهر الكبير، على طول وادي جب السعد، بالقرب من من جسر يعبر فوق وادٍ آخر. معطيات GPS: long. 36° 10* 30" E, lat. 34° 37' 25" N، ارتفاع ١٤٨م. نوعه: موضع مواده مبعثرة، حجمه غير محدد. المرحلة: النيوليتية. الرمز: Akk9812-1.

ملاحظات: عدد قليل من قطع الصوان، كالسكاكين، من المحتمل أن الماء هي التي أتت بها إلى هنا. ومع ذلك لم نلحظ موقع أثري فوقه.

(النهر الكبير ٢ Nahr el Kebir-2)

الموقع: الضفة الجنوبية للنهر، بالقرب من ملتقاه مع وادي جب السعد. معطيات GPS: long. 36° 9* 15" E, lat. 34° 37' 55" N، ارتفاع ٥٧م. نوعه: موضع مبعثر المواد. حجمه: ١٠٠م شمال/ جنوب، ٢٠٠م شرق/ غرب. مرحلته غير محددة. الرمز: (2-1) -Akk9813.

ملاحظات: كحال الموضع Akk9811، معظم مواده من قطع حمراء اللون، ولعل مصدرها موقع آخر إلى الأعلى.

(ص ٩٩) (العرمه El Aarme)

الموقع: الضفة الجنوبية للنهر الكبيرب بالقرب من ملتقاه مع وادي جب السعد. معطيات GPS: long. 36° 9' 26" E, lat. 34° 37' 32" N، ارتفاع ٧٥م. نوعه: موضع مواده مبعثرة. حجمه: ٥٠م شمال/ جنوب، ١٠٠م شرق/ غرب. المرحلة: العصر الإسلامي الحديث. الرمز: (1-3) -Akk9814.

ملاحظات: ثمة منازل عديدة مهجورة مبنية من حجر البازالت على مسطحات عند النهر. إن وجود بقايا من القرميد يرجح كونها من العصر الحديث، منذ عدة أجيال. وعلاوة على ذلك ثمة قطع زجاجية ومنها باللون الأحمر مبعثرة في المكان. تفيد هذه المنازل في البحث الإتنوأركيولوجي.

(عين عيدمون Ain Aaidamoun)

الموقع: جنوبي قرية عيدمون، على مسطح مقابل الوادي بالقرب من نبع. معطيات GPS: long. 36° 17' 10" E, lat. 34° 35' 45" N ، ارتفاع ٥٣٠م. نوعه: مواده مبعثرة. حجمه: ١٠م شمال/ جنوب، ٤٠م شرق/ غرب. المرحلة: عصر الحديد، والإسلامي. الرمز: (1-11) -Akk9815.

ملاحظات: المواد هي فقط من الخزفيات، منها ما هو مزين، ومنها ما هو غير متقن الصنع وباللون الأحمر والأسمر.

(وادي عيدمون Wadi Aaidamoun)

الموقع: غربي عين عيدمون، على قطعة أرض منبسطة تُزرع بالذرة مقابل الوادي. معطيات GPS: long. 36° 16' 45" E, lat. 34° 35' 40" N، ارتفاع ٤٧٣م. نوعه: موضع مبعثر المواد. حجمه: ٣٠م شمال/ جنوب، ٣٠م شرق/ غرب. المرحلة الرومانية المتأخرة. الرمز: (1-5) -Akk9816.

ملاحظات: لم نجد أي أثر لبقايا هندسية، مع وجود قطع من الفخاريات المبعثرة بعض الشيء.

(نهر النهرية Nahr en Nahriye)

الموقع: على مسطح قائم على الضفة اليسرى لنهر النهرية. معطيات GPS: long. 36° 15' 25" E, lat. 34° 36' 20" N، ارتفاع ٣٨٠م. نوعه: موضع مبعثر المواد.

حجمه: ٢٠٠م شمال/ شرق، ١٠٠م شرق/ غرب. المرحلة: العصر الروماني المتأخر. الرمز: (1-3) -Akk9817.

ملاحظات: الموضع مزروع بالزيتون ومخرب، فيه بعض الفخاريات والحصى المتباعدة على وجه الأرض.

(النهرية Nahriye)

الموقع: على سفح قرية النهرية القائمة على التلة، وعلى الضفة الشرقية لنهر النهرية. معطيات GPS: N "15 '36 °34 .long. 36° 16' 05" E, lat، ارتفاع ٤٠٠م. نوعه: موضع مفتوح. حجمه: ٨٠م شمال/ جنوب، ٣٠م شرق/ غرب. (ص ١٠٠)

المرحلة: الباليوليتيك المتأخر الإبيباليوليتيك والنيوليتيك. الرمز: (1-69) -Akk9818.

ملاحظات: ستتم معالجة هذا الموضع بالتفصيل في القسم الثالث لأن فيه مميزات هامة.

(عكار العتيقة بالقرب من المقبرة Akkar el Atiqa near cemetery)

الموقع: على قطعة منبسطة من الأرض على الطريق بين القبيات ومفترق الدرب المؤدية إلى قلعة عكار العتيقة، على مسافة حوالي كلمترين من القبيات إلى المفرق. معطيات GPS: N "40 '32 °34 .long. 36° 15' 00" E, lat، ارتفاع ٨٨٨م. نوعه: مبعثر المحتويات. حجمه: ٢٠٠م شمال/ جنوب، ٢٠٩م شرق/ غرب. المرحلة: الإسلامية. الرمز: (1-2) -Akk9819.

ملاحظات: تدور الطريق حول منحدر حاد كثيف الأشجار حتى تبلغ أحد روافد نهر الاسطوان. في عكار العتيقة قلعة مشهورة من العصر الإسلامي تقع على رأس تلة خلف الطريق. مع أن قطع الخزف التي عثر عليها هي بلون أسمر غامق وبرتقالي فمن غير المؤكد أن يؤدي استكشاف هذه المنطقة إلى نتائج هامة.

(دير جنّين Deir Jenine)

الموقع: على منبسط من الأرض بجانب كنيسة دير جنّين مقابل نهر الاسطوان. معطيات GPS: N "45 '33 °34 .long. 36° 10' 45" E, lat، ارتفاع ٣٣٠م. نوعه: موضع مبعثر المحتويات. حجمه: ٥٠م شمال/ جنوب، ٥٠م شرق/ غرب. المرحلة: البيزنطية، الإسلامية. الرمز: (1-8) -Akk9820.

ملاحظات: قطعة من جرة فخارية، قطع زجاجية، وقطعة صوان يُمكن اعتبارها شفرة.

(خربة شار Khirbet Shar)

الموقع: على منبسط بالقرب من نبع باسم عين الحجل خلف جامع القرية. معطيات GPS: long. 36° 11' 15" E, lat. 34° 34' 50" N، ارتفاع ٣٧٣م. نوعه: مبعثر المحتويات. حجمه: ٤٠م شمال/ جنوب، ٣٠م شرق/ غرب. المرحلة: الإسلامية. الرمز: (1-4) -Akk9821.

ملاحظات: بعض المواد مبعثرة على الأرض المنحدر بلطف نحو الوادي. ومعظمها من الصوان وقطع الفخاريات والأكواب المغطات بخزف من اللون الأزرق.

(المجدل El Mejdel)

الموقع: مقابل نهر الاسطوان الجاري بين قرية المجدل وعين طيبو، وحول قطعة منبسطة من الأرض. معطيات GPS: long. 36° 13' 20" E, lat. 34° 34* 30" N، ارتفاع ٥٦٠م. نوعه: موضع مبعثر المحتويات. حجمه: ٢٠٠م شمال/ جنوب، ٢٠٠م شرق/ غرب. المرحلة: الباليوليتيك، الإسلامية. الرمز: (1-4) -Akk9822.

ملاحظات: وجدنا نموذجين من الصوان. طول واحد منها ٦ سنتم، والثاني ٤. كما أن زنجار البرونز يسمح لنا باعتبارها من العصر الباليوليتيك. (ص ١٠١) أما الخزفيات فمنتشرة بكثافة ضعيفة.

(عين طيبو Ain Tibou)

الموقع: شرقي قرية المجدل وشرقي عين الرساتين Ain el Rasatine. معطيات GPS: long. 36° 13' 40" E, lat. 34° 34* 35" N، ارتفاع ٥٨٠م. نوعه: مبعثر المحتويات. حجمه: ١٠م شمال/ جنوب، ٣٠م شرق/ غرب. المرحلة الإسلامية. الرمز: (1-8) -Akk9823.

ملاحظات: فخاريات قاسية حمراء ومنها باللون الأسود، وفخاريات مزججة صفراء فاتحة (من القرون الوسطى). البقعة الهامة حول النبع. المواد متناثرة على الجبل وحول الجدول. يبدو أن سكان قرية المجدل الحاليين وقلعة طيبو وشعبها في الزمن الباليوليتيك لربما استعملوا هذه العين.

(قلعة طيبو Qalaat Tibou)

الموقع: على قمة الجبل شرقي قرية المجدل. معطيات GPS: long. 36° 13' 40" E, lat. 34° 34* 25" N، ارتفاع ٦٥٥م. نوعه: موضع مبعثر المحتويات. حجمه: ١٠٠م شمال/ جنوب، ١٠٠م شرق/ غرب. المرحلة الإسلامية، الرمز: -Akk9824 (1-7).

ملاحظات: تم العثور على قطع من الصوان والطاسات المزججة الصفراء والخضراء، وفخاريات خشنة، المواد موزعة ومبعثرة. لعل الخرائب هنا كانت حصناً.

(دوير عدوية Douair-Aadaouiye)

الموقع: بين بغداديه Baghdadiya (لعلها بغدادي) ودير جنّين. معطيات GPS: long. 36° 11' 50" E, lat. 34° 35' 20" N، ارتفاع ٤٣٠م. نوعه: مبعثر المحتويات. حجمه: ٣٠م شمال/ جنوب، ٣٠م شرق/ غرب. المرحلة: الرومانية المتأخرة. الرمز: -Akk9825 (1-3).

ملاحظات: العثور على مقبض باللون الأصفر الداكن، وقطع خزفية حمراء اللون. البقعة الهامة عين الدوير. المحتويات متناثرة، ومنها بجانب طريق القرية. موقع القرية بجانب النبع يستحق الدراسة. النبع يجب التحقق منه. ثمة دلائل على حياة مسيحية كانت هناك. ثمة سد على النبع مبني بحيث لا يعود الوحل يتدفق إليه.

(عين الصفصاف Ain Safsafe)

الموقع: بين بغداديه ودير جنّين. معطيات GPS: long. 36° 11' 20" E, lat. 34° 34' 40" N، ارتفاع ٣٨٧م. نوعه: مبعثر المحتويات. حجمه: ٤٠م شمال/ جنوب، شرق/ غرب. المرحلة: (ص ١٠٢) العصر الروماني المتأخر. الرمز: -Akk9826 (1-6).

ملاحظات: العثور على قطح من الخزف رمادية من الداخل والخارج، ومنها باللون الأحمر، وقطع صغيرة من الصوان. البقعة الهامة حول النبع. المواد متناثرة. والموضع بالقرب من قرية برنارا Barnara (لعلها قرية برباره). أكثر ما تتواجد المواد مبعثرة حول النبع، ولكنها قليلة على العموم.

(السفينة Es Sfine)

الموقع: بين بغداديه ودير جنّين. معطيات GPS: long. 36° 9' 15" E, lat. 34° 34' 20" N، ارتفاع ١٥٠م. نوعه: مبعثر المحتويات. حجمه: ١٠٠م شمال/ جنوب، ٥٠م شرق/ غرب. المرحلة: العصر الروماني المتأخر، الوسيط، الإسلامي. الرمز Akk9827- (1-11).

ملاحظات: صوان وفخاريات كستنائية اللون (العصر الوسيط). المواضع الهامة قرب الجدول، المحتويات مبعثرة حوا الكثير من العيون. أسفل القرية يستحق التنقيب.

(نبع البغي Naba'a el Baghie)

الموقع: شمالي السفينة، بين السفينة وشربيلا. معطيات GPS : long. 36° 9* 25" E, lat. 34° 34' 40" N، ارتفاع ٢٤٥م. نوعه: محتوياته مبعثرة. حجمه: ١٠م شمال/ جنوب، ١٠م شرق/ غرب. المرحلة: العصر الوسيط والإسلامي. الرمز: Akk9828-1.

ملاحظات: عُثر فيه على فخاريات مزججة خضراء من القرون الوسطى. البقعة الهامة في المنبسط بجانب النهر. المحتويات متناثرة. لعل القرويون استفادوا من المياه المنبثقة في المكان.

(عين تنتا Ein Tinta)

الموقع: قرب خربة شار. معطيات GPS: long. 36° 11' 35" E, lat. 34° 35' 30" N. نوعه: مبعثر المحتويات. الرمز: Akk9829. المرحلة: غير محددة.

ملاحظات: لم يُعثر على شيء. الموضع الهام بجانب الطريق. جفاف النبع. توجد مقابر في شيحا قرب النبع. وهناك جامع في الموضع المقابل. المكان قرية مسلمة.

III – (النهرية Nahriye) Akk9818

تعتبر النهرية المذكورة سابقاً الموقع الأكثر إثارة بين جميع المواقع التي سجلناها في مسحنا. أوحى لنا بداية بوجود هذا الموقع الأثري حجران منحوتان (ص ١٠٣) كأدواة جمعناها على طريق ترابية. ثم هناك من أكد لنا أن الحجارة مصدرها كرم عنب تم الشق الطريق فيه، وبالتالي فالحجارة منه. واستنتجنا أخيراً أنه لا بد من وجود تحت هذا الكرم بقايا من مرحلة ما قبل التاريخ، وذلك للأسباب الآتية:

(١) وجدت أجزاء كثيرة من الجرار في الطبقة العليا من الموضع.
(٢) على الرغم من قيمنا بتحقيق دقيق خصوصاً في المنطقة الممتدة حول الجداول فإننا لم نعثر على شيء في غير الكرم والأرض الملاصقة له. وعليه فليس من المحتمل أن يكون جرف المياه هو الذي أتى بهذه المواد إلى هذا المكان.
(٣) إن مركز توزع المواد يبدو متمحوراً في الكرم.
(٤) للكرم شكل شبه جزيرة مرتفعة عما حولها المستخدم كحقل من الجلال.
... ... (ص ١٠٧) IIII – **الخلاصة**

أمضينا حوالي الشهر تقريباً في مسح المنطقة المحددة في شرق عكار. وبالنتيجة جمعنا مواداً أثرية من ٢٨ موقعاً. بيد أنه من المؤسف أن معظمها اعتبر مكاناً غير أثري، بل مواضع تتبعثر فيه المواد الأثرية. بيد أن العينات النموذجية للنمط الموستري Mousterian أوحت لنا بأن الإقامة في هذه المنطقة تعود إلى العصر الباليوليتي الوسيط. ولعل من أسباب فشلنا في العثور على عدد كافٍ من المواضع يعود إلى حقيقة أن استغلال الأرض كان أكبر مما توقعنا. فالمنحدرات تحولت إلى جلال مستعملة في الزراعة وفيها جدران الدعم (ص ١٠٨) ما خلط مستويات الأرض ببعضها. حتى أن الدولمن التي درسها تالون منذ ٤٠ سنة تعرضت للتخريب.

ما يدعو لملاحظة خاصة في مسحنا لتوزيع الآثار الراهن هو العصر البرونزي القديم بواقعه الفريد. فكما ذكرنا أعلاه نلاحظ أن أمكنة الإقامة انتقلت تدريجياً من كونها على ارتفاع القمم هبوطاً حتى سفح الجبل، وذلك مع تقدم الزمن من العصر الباليوليتيك نحو عصور تالية. لقد أوضحنا أن نبع الجعلوك AKK9804 والنهرية AKK9818 كانا في منطقة القمم، أو بدقة على قمة في منتصف منحدر الجبل، في مواضع جغرافية محمية لا على القمم المشرفة على مناظر خلابة. كما أنه من المؤكد أن هذه الآثار كانت قائمة بالقرب من نبع أو جدول ماء يجري من النبع. وعليه من المحتمل أن السكان كانوا قادرين على الإشراف على سهل عكار والبحر المتوسط من موضع إقامتهم على ارتفاع هذه الآثار أو ما يقاربها. بعبارات أخرى يبين ذلك أن السكان كانوا راغبين في الإقامة في الهضبة الفارغة، كتضريس جغرافي على منتصف المنحدر، دون الهبوط إلى السهل، وإن كان مدركاً لوجود

هذا السهل والبحر. ولكن الدلائل قليلة على الإقامة في العصور التاريخية، كعصر البرونز وعصر الحديد. فنحن لا نرى غير الدولمن واسع الانتشار عند سفح التلال، ولكننا لا نستطيع إثبات إقامتهم النسبية في مدى مسحنا. وعليه على المسح مستقبلاً أن يجري على مستوى علاقته مع سهل عكار. ثمة فقط آثار تعتبر من العصر الروماني البيزنطي ومن زمن الحروب الصليبية. ومن العصر الإسلامي ثمة بعض الآثار المنتشرة في مواضع متنوعة متمحورة حول طرابلس في العصر العثماني. ففي البيرة ثمة موضع يُقيم فيه مشرف ولا مثيل له هناك. بالنسبة للمرحلة القادمة من الضروري القيام بدراسة مقارنة لتوزيع الآثار في منطقة الجبل العليا مع توزع الآثار في السهل في عصر ما قبل التاريخ، وأن نقوم بالمقارنة مع منطقة سهل عكار على ضوء توزع الآثار التاريخية...

الفصل الثالث: وثائق صليبية منطلقية

١- وثيقتان (عقدان) من القرن الثاني عشر
٢- عرقة في وثائق تعود لأيام الصليبيين: جان ريشار Jean Richard
٣- وثائق دير القديسة مريم اللاتينية: جان ريشار
٤- مسائل في طوبوغرافيا طرابلس: جان ريشار
٥- القليعات el-Qlē‘āt: ماكس ڤان برشم Max van Berchem
٦- مقتطفات من جغرافيا استرابون: استرابون Strabon, Strabo
٧- مقتطفات من الحروب الصليبية: جاك دو فيتري Jacques de Vitry

١- وثائق صليبية منطلقية

لتعيين بعض المواضع في عكار وجوارها

مدخل[1]

خلف الفرنجة العديد من الوثائق المعاصرة لغزوهم المشرق واحتلالهم الساحل السوري وإقامة "مملكة القدس" بإقطاعاتها الأساسية الأربع: إمارة أنطاكية، كونتية الرها، كونتية طرابلس، ومركز المملكة في فلسطين وقسم من جوارها بما في ذلك بعض مناطق لبنان.

من هذه الوثائق كتابات البعض ممن رافق الحملات الصليبية وسجل يومياتها؛ ومنها ما تم الاحتفاظ به كدستور مملكة القدس ودستور إمارة أنطاكية؛ ومنها أيضاً الكثير من عقود الهبات والبيع والشراء والمبادلة وفض النزعات... هذا الصنف الأخير من الوثائق تم الاحتفاظ بقسم كبير منه في محفوظات الأديرة والرهبنات المقاتلة: الاسبتالية والداوية أساساً. وفيه يرد ذكر العدد الكبير من المواضع كالقرى والبلدات مع بيان حدودها واتساع مساحاتها وأنماط زراعتها وتوزع مياهها وحصص مالكيها وكيفية استغلالها...

من بين هذه الوثائق ثمة عقود هبة وبيع تتناول مجموعة من المواضع الكائنة في عكار وجوارها. أهمها، من حيث شموله العدد الأكبر من أسماء القرى والبلدات في عكار وجوارها، العقد العائد للعام ١١٢٧[2]، والذي تكرر مضمونه مع بعض التعديل في العام ١١٤٢[3] والعام ١١٤٣[4]. ونادراً ما اشتغل باحث على أحوال منطقتنا في

---

[1] المدخل من وضع المترجم.

[2] ورد عقد العام ١١٢٧ في مؤلف Sebastiano PAULI, Codice Diplomatico del Sacro Ordine Gerosolimitano oggi di Malta, In Lucca, MDCCXXXIII (1734)؛ تحت الرقم ١١، ص ١١-١٢؛ وجاء نفس العقد مؤرخاً بتاريخ ٨ شباط ١١٢٧، في مؤلف Reinhold RÖHRICHT, Regesta Regni Hierosolymitani (1097- 1291), 1893، تحت الرقم ١١٨، ص ٢٩.

[3] جاء عقد العام ١١٤٢ في RÖHRICHT المرجع السابق، تحت الرقم ٢١٢، ص ٥٣ و٥٢.

[4] ورد عقد ١١٤٣ في مؤلف Eugène De ROZIÈRE, Cartulaire de l'église du Saint Sépulcre de Jérusalem, Paris, MDCCCXLIX (1849)، تحت الرقم ٩٧، ص ١٩٠ و١٩١ و١٩٢. لم نتمكن من الحصول على مؤلف Delaville Le Roulx, Cartulaire général des Hospitaliers، لمراجعة هذه العقود الثلاثة أو بعضها فيه إن كانت متوفرة هناك.

المرحلة الصليبية دون الاستعانة بهذه العقود، وذلك خصوصاً عند المهتمين بطبوغرافيا عكار وجوارها في ظل الفرنجة.

ترجمة[١] نص عقد العام ١١٢٧

باسم الثالوث الأقدس غير القابل للتجزئة

ليكن معلوماً من الجميع، الآن وفي المستقبل، ما نقرره نحن بفضل الله، كونت طرابلس وزوجتي سيسيليا، بنت ملك الفرنجة (الفرنسيين). وبموافقة ابننا ريمون نهب لله ولاسبتالية القدس مضافة الفقراء الكائنة في جبل الحجاج (أبي سمراء) وكل ما هو تابع حقوقياً لها، ومن ذلك طبعاً القرى المذكورة هنا: أولاً، **ميسديليا** Misdelia (مجدليا) مع كل توابعها وأراضيها، وكان برتران أول وأهم من امتلكها حتى يوم وهبها إلى كنيسة الاسبتالية الكائنة في سفح جبل الحجاج، والممتدة حتى النهر الجاري نحو الجبل المذكور وحتى حدود القرية المسماة **أردة** (أرداكيوس Ardacius)، ومن الجهة الأخرى حتى حدود القرية المسماة **علما** Alma، وحتى حدود القرية المسماة **بتساما** Bethsama وتلك المسماة **بتسيديون**[٢] Bethsedion، وحتى حدود **بتليميس** Bethleemitice المسماة **سيرافتيني** Ceraphtenie.

ومن ثم نهب لله وللاسبتالية القرية المسماة **بحنين** (بحني Bahanni) مع كل توابعها، والقرية المسماة **كورانية**[٣] (كورنونيوم Cornonium) مع كل توابعها، وقرية **القليعات** (كوليات Coliath) مع كل توابعها، و**أروات**[٤] Aroath مع كل توابعها، و**السنديانة** Cendianam مع كل توابعها، و**أبيا** Apia مع كل توابعها، وقرية **سيكا**

---

[1] قام السيد جان ريو Jean Riou، بناءً لطلب د. جوزف عبدو، بترجمة نص عقد العام ١١٢٧ ومقتطفات من عقد العام ١١٤٣ من اللاتينية إلى الفرنسية. وتمت الترجمة إلى العربية من الفرنسية. وعليه نعلن مجدداً شكرنا للسيد ريو وللسيد عبدو (المترجم).

[2] زعم الأب موراني أن هذين الموضعين كانا يشكلان حيين في القبيات منذ أيام الصليبيين: حي القطلبة وحي الغربية. ولقد ناقشنا هذا الموضوع في أكثر من مكان. لذا نكتفي هنا بمجرد الإشارة إلى هذا التزوير، لا سيما وأن الأب المحترم نشر هذه الوثيقة مع الوثيقتين الباقيتين في مؤلفه للدلالة على رصانته العلمية. ولعله لم يكن يتوقع أن يُصار إلى ترجمتها من اللاتينية فيبقى له الشرف باكتشاف تاريخي عظيم! (المترجم).

[3] موضع على طريق طرابلس العبودية حمص، على مسافة بضع مئات من الأمتار عن مثلث توزيع الطريق باتجاه العبودية أو باتجاه مطار القليعات فالعريضة (المترجم).

[4] هي موضع تل العروس Tel Aarous بين القليعات والحيصا حيث ذكرها جون لويس بوركارد John Lewis Burckhardt في "يوميات رحلة من حلب إلى دمشق عبر وادي العاصي وجبل لبنان" (المترجم).

Siccam مع كل توابعها، و**دوركارب** Durcarbe مع كل توابعها؛ وبالقرب من **البقيعة** (بوشِيا Bochea) القرية المسماة **باهو** Baho مع كل توابعها، وفي منطقة **رفنية** (رافانيا Rafania) **تل الدهب** Theledehep مع كل توابعها و**كارتامار** Cartamare مع كل توابعها.

والأملاك المذكورة أعلاه التي وهبها أبي برتران إلى الاسبتالية. وتلك التي وهبها جدي، السيد ريمون العالي الاعتبار، مع ما فيها من الغابات بأشجارها المتنوعة، وبجداولها ومراعيها ومطاحنها وحقولها وكل ما في توابعها، ومنه الزيت بالطبع وجميع ثمار الأشجار المذكورة أعلاه، وكذلك العائدات المالية التي يجبيها الكونت وليم Wilelmus من قطعان السوريين (أو السريان Surianorum) العاملين في هذه الأملاك. أقدِّم كل هذه الأملاك، بدون قيود وشروط، كهبات ممتازة، وأعيدها إلى الاسبتالية بقرار خطي صالح إلى الأبد. وأعطي الأراضي التي وهبها أبي وجدي خارج ممر جبل الحجاج، وكرم العنب المجاور لمقبرة كنيسة مار يوحنا وكل ما تمتلكه وتحوزه المضافة المذكورة أعلاه ضمن ممتلكاتي أعطيها وأعلنها بكليتها وبدون قيد. وأقر بأن الاسبتالية تمتلكها منذ الأمس وفي الأيام القادمة بكل راحة.

وبالإضافة إلى ذلك، أعلن أني أعطي للاسبتالية المذكورة المنزل الجميل للغاية الكائن في مرفأ طرابلس فوق البحر والحقل الكائن أمام المدينة. وأعطيها حق الضريبة (Theloncum) التي يتم تحصيلها من قبل البعض على مداخل طرابلس وفي ساحاتها. وليكن السيد برناردوس Bernardus أسقف طرابلس، بموافقة دوراندوس Durandus، وغيازيونوس Gaesionus منشد كنيسته وكل كهنته وجميع رجال الاسبتالية معفيين من أي ضريبة على بيع وشراء ما يريدون على مداخل طرابلس وداخلها.

وأعطي للاسبتالية المذكورة المنازل الكائنة في **عرقة**، وحقلاً وفرناً وكرم عنب، كملك نهائي؛ (وأعطيها) في **منجز** (فيليسيوم Felicium) منزلاً، وفي **حصن الأكراد** (كراتوم Cratum) منزلين وكرم عنب. وكل ما أُعطي لها في مدينة **طرطوس** أو في منطقتها أو في **حصن الكامل** Kamel، أو غير ذلك أثبته وأقدمه إلى الاسبتالية، وأسمي منها المطاحن عند حصن الكامل، وعلاوة على المطاحن المزارع القريبة منه. القرى المذكورة والأملاك والكروم والحقل والمنازل والمطاحن والفرن

والحمامات، كل ما أعطاه والدي وجدي في مدينة **رفنية** أو في منطقتها إلى مضافة الفقراء، كما هو مكتوب وقرأناه في هذا العقد، وكل ما امتلكه غالتيريوس Galterius أهبه وأعطيه إلى الاسبتالية.

كما إننا نسمح لأتباعنا ممن أقطعناهم الأراضي بأن يهبوا للاسبتالية المذكورة، وفق رغباتهم، وكل وفق مشيئته، الأرض التي يريد. وإذا ما وُهب شيء أكبر وفق رغبتنا فإننا نقره أيضاً. وأخيراً فإننا نثبت ونقر للاسبتالية المذكورة كل ما أُعطي لها في كل ممتلكاتنا سواء من قبل جدي وأبي ومن قبل من امتلك ويمتلك اليوم ممتلكات هنا، وذلك منذ اليوم الأول الذي بدأ فيه جدي بامتلاك الأراضي حتى الأمس؛ وأن الاسبتالية المذكورة تمتلكه ملكاً مطلقاً للأبد وبكل حرية. وعلاوة على كل ذلك أعطي وأهب إلى الاسبتالية المذكورة كرم العنب في **كفراشا** Kafaracham والذي ينتج ١٠٠ جرة من الخمر. كما أننا نقر للاسبتالية بكل هبة قدمها باروناتنا وغيرهم جميعاً عندما تم تكريس كنيسة مار يوحنا المعمدان في جبل الحجاج.

عقد العام ١١٤٣

باسم الآب والابن والروح القدس، آمين.

ليكن معلوماً من الجميع الآن وفي المستقبل، أني، أنا ريمون كونت طرابلس بفضل الله، ومن أجل محبة الله وخلاص نفسي وراحة أهلي، وبدون طلب من الرئيس وليم Willelmi بطريرك القدس بفضل الله، ومن بيير دومينيك Petri Dominici كاهن كنيسة القيامة ومن كل كهنة الكنيسة، أهب وأقدم بكل حرية وللأبد، جميع الأملاك الموجودة في مقاطعاتي والتي كان أسلافي، (السيد ريمون كونت طرابلس، والكونت بونز والبارونات وكل أتباعي) قد وهبوها إلى كنيسة القيامة المجيدة: وأثبت ذلك بوضع ختمي.

أولاً، كنيسة القيامة الكائنة في جبل الحجاج، بمبانيها وتوابعها. الفرن بالمباني التابعة له. وذلك بدون أي اعتراض من جانبنا ومن جانب ورثتنا، بحيث يمكنهم جميعاً أن يخبزوا فيه ما يشاؤون لاستخدام وصالح الكنيسة المذكورة. ثم ما قدمته ووهبته والدتنا الكونتيسة سيسيليا Cecilia، نثبته ونقره. وكذلك المنازل التي

يملكونها في جبل الحجاج وفي طرابلس من منحدر الجبل على جانبي الطريق القديمة، فليكن ملكهم اليوم من الحائط حتى المقر. وكذلك **غاردينيوم** Gardinum.
كما أننا نعطيهم بكل وضوح، كل الحقوق المتعلقة بمرفأنا في طرابلس، وكل ما يتبع لها ويكون ضرورياً لاستخدامهم؛ وكذلك ١١٠ جرار من الزيت التي من شأن مالك هذه القرية (كازال) كائناً من كان، أن يحصل عليها سنوياً، وكل ما قدمه بطرس دو بوديوس لورانتوس Pierre de Podius Laurentus بموافقة زوجته.
ونعطيهم في قرية **حردين** (أردين Ardin) مزرعة مقدارها ما يمكن لسكة carrucata terrae أن تفلحه في اليوم، من الأرض التي قدمها بطرس Pierre حفيد روجيه Roger الكونستابل خاصتي. وفي قرية **بشري** (بويسيرا Buissera) مزرعة مثلها قدمها أبيلارد Abelard. وفي قرية **سوربيس** Sorbis مزرعة مماثلة قدمها غوفريدوس دو بينيس Gaufridus de Pennis. ونعطي في إقليم **أنفة** Nephis ١٢ بيزنتاً و١٢٠ ليتراً من الزيت لكنيسة أدالاكسيا Adalaxia المذكورة، لراحة نفس هوغون إيبرياكوس Hugonis Ebriaci زوجها، بموافقة ابنه وليم Willemo Ebriaco، وذلك سنوياً وعلى الدوام.
وكذلك مزرعة مع كل توابعها، ومزرعة أخرى قدمها و. دو بوشيه W. de Boschet.الملكيات المذكورة والأراضي الملحقة بها نقدمها كملكيات دائمة للكنيسة.
وكل ما ذكرناه وكل الأشياء التي ستكتسب وفق القوانين، أو كهبات من أي كان، أو بالشراء أو بالمبادلة، أو التي يمتلكونها الآن، نكون كافلين لها بفعل العقد الحالي لصالح كنيسة القيامة، ونعلن ذلك جهاراً بختمه بخاتمنا كي يصبح ملكهم على الدوام، وبكل حرية، وبدون أي إعاقة أو ضغط أو ابتزاز.
وعليه فإن ما هو وارد أعلاه شهادة وضمانة مقدسة لتبقى الأفعال المعبرة عن إرادتنا غير قابلة للنقض، ولا يمكن انتهاكها لا من قبلنا، ولا من قبل خلفائنا، في أي وقت من الأوقات.

٢- عرقة في وثائق تعود لأيام الصليبيين[1]

جان ريشار Jean Richard

(ص ٣٣٩) ندين إلى المرحوم فرنان بينوا Fernand Benoit بمعرفتنا بوجود سبع وثائق أصلية مصدرها الشرق اللاتيني ومتعلقة بكونتية طرابلس ضمن مجموعات متحف كالفيه دافينيون Musée Calvet d'Avignon. كانت هذه الوثائق، قبل أن يحصل عليها المتحف (بناء على وصية مارييتون Mariéton) في بوكير Beaucaire، لدى آخر أبناء عائلة بورسيليه Porcellet من مايّان[2] Maillane.

بيد أن وجود هذه الوثائق في محفوظات هذه العائلة لا يجد تفسيره في مجرد التوارث المنتظم لعقود كانت قد حُررت لصالح أجدادها. وفي الحقيقة، كلها تتعلق بهبات أو باتفاقيات تتعلق بالاسبتالية وبممتلكاتهم في كونتية طرابلس. فثمة فرع من عائلة بورسيليه أقام في هذه الكونتية في مطلع القرن الثاني عشر؛ والقائمون بهذه العقود، باستثناء السيدة فلاندينا Flandina (غير المعروفة لدينا بغير اسمها)، هم إما من أبناء هذه العائلة أو من أبناء زواج ماري بورسيليه Marie Porcelet مع هوغ دو جيبليه (هوغ الجبيلي) Hugues de Gibelet، وكانوا، مع أنهم يتكنون بكنية الجبيليين[3] Gibelet، يضعون على أسلحتهم شعار الخنزير البري المعتمد من قبل عائلة بورسيليه (ص ٣٤٠) إلى جانب النجمة[4] المعتمدة من قبل عائلة أمبرياكي

---

[1] المرجع: Jean Richard, «Le Comté de Tripoli dans les chartes du fonds des Porcellet», Bibliothèque de l'école des chartes, Année 1972, Volume 130, Numéro 2, pp. 339 – 382.

[2] راجع: Fernand Benoit, Les Porcellets de Syrie, dans Institut historique de Provence. III: Congrès de Marseille 4-7 avril 1929, Comptes rendus et memoires, Marseille, 1930, p. 33-37.

لقد زودنا المهندس جوزف ميشيل عبدو المقيم في فرنسا بهذا النص الذي وضعه فرانسوا بينوا والذي تعذر علينا الحصول عليه في لبنان. وله منّا كل الشكر والامتنان. راجع الملحق في نهاية هذا الموضوع حيث سنعرض ترجمة نص بنوا (المترجم).

[3] راجع: E.-G. Rey, Les seigneurs de Giblet, dans Revue de l'Orient latin, t. III 918950, P. 398-422.

[4] إن مؤلف "مآثر القبارصة" Les Gestes des Chiprois (§٣٩٠؛ ص ٢٠٣ من الطبعة التي وفرها غاستون رينو Gaston Raynaud إلى جمعية الشرق اللاتيني Société de l'Orient latin، جنيف، ١٨٨٧؛ فضلنا الاستشهاد بهذا النص في الطبعة التي راجعها ج. باري G. Paris ول. دو ماس-لاتري L. de Mas-Latrie، في Recueil des historiens des Croisades, Documents Arméniens, t. II حيث يرد هذا المقطع في الصفحة ٧٨١) يوضح وجود هذه النجمة على أسلحة الجبيليين بتأكيده، على العكس من احتمال أن يكون أمراء أنطاكية الذين استمد منهم أبناء عائلة أمبرياكي الأسلحة (نجمة أيضاً)، أنهم يتحدرون من عائلة بو Baux التي كانت تقتني أسلحة مماثلة. يبلغ عدد أشعة النجمة ثمانية على ترس هو الجبيلي Hue de Gibelet؛ بينما نجمة ابنه برتران (الذي اعتمد بدون شك أسلحة العائلة

الجبيليين Embriaci de Gibelet: وكان شعار الخنزير البري وارداً على قفا ختم الرصاص الذي ختموا به عقودهم[١].

وبرأينا، فإن أبناء عائلة بورسيليه من مايان اكتشفوا، في محفوظات الاسبتالية، وجود وثائق تثبت قدم عائلتهم، وهم بالتالي المسؤولون عن سحب هذه الوثائق المفيدة لتعيين نسبهم، بينما كانت عديمة الفائدة للاسبتالية[٢]. ولا يبدو أن أياً من هذه الوثائق كان موجوداً في مالطة عندما أعدّ سيباستيانو باولي Sebastiano Paoli مؤلفه[٣] Codice diplomatico. كما أنه لم يُعثر على أي أثر لها في محفظتي المستندات العائدة للأرض المقدسة ومصدرها دير سان جيل الرئيسي والتي درسها ريبو Raybaud، المختص بالمحفوظات، في أرل Arles، عام ١٧٤٢، بينما ورد ذكر وثيقتين تتعلقان بنفس الأشخاص ونفس المجالات في الجردة التي وضعها[٤]. لا تتضمن الوثائق (ص ٣٤١) المحفوظة في متحف كالفيه على قفاها الأرقام والرموز الواردة على الوثائق المحفوظة في مالطة. وعليه هذا ما دفعنا إلى الظن بأنها كانت موجودة في محفوظات دير سان جيل الرئيسي، وأنها سُحبت من هناك بعد العام ١٧٤٢[٥].

معدلة على سبيل التفرع) هي على ١٢ شعاعاً، ويبدو أنها محملة على طرفها بالبيزانت besants (راجع لاحقاً، الوثيقة رقم III).

[1] راجع: G. Schlumberger, F. Chalandon et A. Blanchet, Sigillographie de l'Orient latin, Paris, p. 45-46, n^os 105-109 (Bibl. Archéol. Et hist. du haut commissariat de France en Syrie et au Liban, n^o XXXVII).

[2] في نفس المكان (Musée Calvet, ms, 4903, n^os 1 à 8) يرد (n^o 2) عقد وضعه غيليلموس بورسيليتي Guillelmus Porcelleti وبرتراندوس بورسيليتي Bertrandus Porcelleti لصالح اسبتالية سان توماس دارل Saint-Thomas d'Arles، ويتناول جزيرة في الرون Rhône (١٢٠٤)، ويبدو العقد من نفس المصدر. وكيلا نطلق أحكاماً مسبقة حول تعلق هذه الشخصيات بأبناء بورسيليه من مايان، سنحتفظ في كتابة أسماء هذه العائلة في كونتية طرابلس صيغة بورسليه Porcelet المعتمدة من قبل مؤرخي الشرق اللاتيني.

[3] راجع: S. Paoli, Codice diplomatico del sacro militare ordine gerosolimitano, Lucca, 1733-1737, 2 vol.

[4] راجع: J. Delaville Le Roulx, Inventaire des pièces de Terre Sainte de l'ordre de l'Hôpital, dans Revue de l'Orient latin, t. III (1895), P. 36-106. لم يتم العثور على هاتين الوثيقتين، وهما لا تردان في Cartulaire général الذي وضعه نفس المؤلف إلا كتحليل وضعه ريبو (وهما تحملان الرقمين ٢١٥ و٣٣٢ في جردته). تتناول الوثيقتان هبة (شباط ١٢١٦) قدمها برتران Bertrand صاحب جبيل لقرى بكركاس (بقرقاشا) Baqueerquasse وبيتورافيغ (بتوراتيج) Bethorafig وغاربوني Garbonie ومعربان Maarban، وبيع هوغ الجبيلي Hugues de Gibelet قرية بوترافيس Botrafis و١٥ "قطعة أرض" (٨ ت[١] ١٢٦٤). العقد الثاني منشور كنسخة عن الأصل في عقد بتاريخ ١٢٧٤، سنعرضه لاحقاً.

[5] نعبر هنا عن امتناننا لزملائنا، المغفور له هياسينت شوبو Hyacinthe Chobaut وميشيل هييز Michel Hayez، وكذلك السيد دو لوا de Loye، مدير متحف كالفيه، والذين بفضلهم تمكنا من دراسة هذه الوثائق.

I - مدينة عرقة وهِبَة السيدة فلاندين

يعود أول واحد من هذه العقود إلى العام ١١٥١، ولكنه ينطوي مع الأسف على ثغرات ومواضع غامضة. ومن ذلك، أن الواهبة، السيدة فلاندين احتاجت، على ما يبدو، إلى موافقة المدعو ريمون دو مارغون Raymond de Margun المُفترض أنه كان زوجها، لولا حقيقة أن فلاندين التحقت هي نفسها بالاسبتالية، ما ينفي أن يكون لها زوج حيّ في تاريخ الهبة. كانت فلاندين من أتباع كونت طرابلس، ريمون الثاني Raymond II، الذي صدّق على الهبة؛ وكان لديها تابع على الأقل يدير باسمها عدة منازل وقرى، وهي تشكل بمجموعها مقاطعة متناسقة كفاية في واحد من الأودية المؤدية صعوداً من عرقة إلى الجبل حيث ينتصب حصن جبل عكار château de Gibelacar (عكار العتيقة Akkar-el-Atiq). بيد أن السيدة فلاندين- وأتباعها- لم يكونوا على منزلة تسمح لهم بالتوقيع بختم من الرصاص على "عقد هبة" لأنه كان عليهم الاستعانة بختم كونت طرابلس؛ فلم يكونوا في عداد الأسياد المتمتعين بحق "إقامة مجلس قضائي".

كان ريمون دو مارغون فارساً في عداد حامية قليعة ما في الكونتية، وله فيها منزل بالإضافة إلى عدة منازل أخرى وبساتين، ويمتلك في نطاق هذه القليعة إقطاعة تضم ست "مزارع" (كازالات) “casaux” كان بوسعه أن يكلف تابعاً له بإدارتها. يبدو لنا ريمون دو مارغون (قد تكون فلاندين ابنته، وقد خصها بمهر ما) كوريث لواحد من مرافقي ريمون الصنجيلي Raymond de Saint-Gilles (ص ٣٤٢) أو غليوم جوردين Guillaume Jourdain أو برتران Bertrand، وبالتالي استفاد من إقطاعه عدة منازل وقرى مجاورة لعرقة Arcas عندما تم احتلال هذه المدينة، وذلك مقابل قيامه بتأمين خدمة فارسين على الأقل لصالح الكونت، وبالمشاركة في الدفاع عن عرقة مع باقي "فرسان القلعة[1]". ومع أنه ربما تمتع بحق ممارسة بعض العدالة

[1] سمحنا لنفسنا باستخدام هذه العبارة المستمدة من مفردات كانت رائجة في دوقية بورغونيي duché de Bourgogne في القرن الثاني عشر. وعبارة "فرسان القلعة" مميزة جيداً في عقد وضعه أصحاب جبيل لصالح دير سان-سيرج Saint-Serge، بتاريخ ١٢٤١ (E. Petit, Chartes de l’abbaye cistercienne de Saint-Serge de Giblet, dans Mémoires de la Société nationale des Antiquaires de France, t. XLVIII (1887), p. 29-30; Röhricht, Regesta, p. 287, n° 1103)

العقارية في إقطاعه الأرضي، فإنه لم يتمكن من بلوغ مرتبة من وصفهم "دستور القدس" Assises de Jérusalem بالبارونات وأصحاب الإقطاع" "barons et terriers"، هذا مع احتلاله موقعاً مشرفاً بين الفرسان أصحاب الإقطاعات في الكونتية.

في السنة التي قدمت فيها فلاندين هبتها وهبت سيدة أخرى، أرميسند كاسترو نوفو Armesende de *Castro Novo*، للاسبتالية أيضاً، وبموافقة نفس الكونت وبحضور نفس الشهود جميعهم تقريباً، مقاطعة مشابهة ولكنها أصغر مساحة: المنازل التي تملكها في الحصن الأبيض Chastel-Blanc (صافيتا) ومزرعتين (كازالين)، وجميعها تقع بالقرب من الحصن الأبيض، وهما كافاريك Kafarrique وفيلارا[١] Fellara. ثمة وثيقة عثر عليها حديثاً في محفوظات مدريد السيد ريلي-سميث Riley-Smith تخبرنا أن الداوية Templiers حصلوا على قلعة طرطوس عام ١١٥٢، مقابل قيامهم بترميمها بعد أن كان قد استولى عليها نور الدين ودمرها[٢]. (ص ٣٤٣) لقد سجل هذه الوقائع (الاستيلاء على قلعة طرطوس وتدميرها) كاتب حوليات دمشقي في أواسط نيسان ١١٥٢؛ ولعلها لاحقة على هاتين الهبتين- ولكن لا يبدو لنا مستبعداً أن الواهبتين قد أصبحتا أرملتين في سياق حوادث تلك السنوات التي تعرضت لها كونتية طرابلس، وبالتالي فالهبتان كانتا من ارتدادات هذه الحوادث.

---

[1] راجع: Delaville Le Roulx, Cartulaire général de l'ordre des Hospitaliers de Saint-Jean de Jérusalem, t. I, n° 199, p. 154 (Röhricht, Regesta regni Hierosolymitani, 1097-1291, Innsbruck, 1893, n° 270). لا بد أن كاستروم نوفوم *Castrum novum*، القلعة الجديدة، هي واحدة من القلاع الجديدة في منطقة لانغدوك (في فرنسا) وليست تلك القلعة الحاملة لنفس الاسم في أبرشية طرطوس. ولا بد أن مزرعتي (كازالاي) أرميسند وبناتها كانتا بجوار صافيتا، كما كانت مزارع (كازالات) فلاندين بجوار عرقة: ونحن نعتبرها كفرّيخا Kfarrikha (على مسافة ٤ كلم شمالي هذه المدينة)، وليست بالأحرى كفرّيش Kfarrich (على مسافة ١٥ كلم إلى الجنوب). وأضاف الكونت إلى هذه الهبة المزرعة (كازال) المدعوة سندينا Cendina (السنديانة)... الواقعة فوق النهر *casale quod vocatur Cendina... quod est supra fluvium*. نظنها سندانية (سنديانة) قوبين Sinndanié Qûbine (على مسافة ٥ كلم شمالي صافيتا)، أو سندانية راربية Sinndanié Rahrbiyé (على مسافة ٥ كلم شرقي كفريش Kfarrich)، هذا إذا اعتبرنا أن العقد يقدم للاسبتالية قطاعاً متماسكاً. ولكن راي Rey وروهريخت Röhricht أقترحا السنديانة Sendyané الواقعة على مقربة إلى شمالي حصن جبل عكار Gibelacar بوصفها ممثلة لمزرعة سندينا Cendina هذه: R. Dussaud, Topographie historique de la Syrie antique et médiévale, Paris, 1927, p. 94 (Bibl. Archéol. Et hist. du Haut-commissariat de France en Syrie et au Liban, n° IV).

[2] راجع: Jonathan Riley-Smith, The Templars and the castle of Tortosa in Syria: an unknown document concerning the acquisition of the fortress, dans English Historical Review, t. LXXXIV (1969), P. 278-288.

بيد أن قيمة هذا النص الأساسية تكمن في كونه يلقي الضوء حول مصير موضع من مواضع كونتية طرابلس، معرفته ما تزال حتى حينه ضعيفة للغاية. فما نعرفه خصوصاً حول مصير عرقة في أيام الصليبيين هو الحصار الذي تعرضت له في الحملة الصليبية الأولى، بتحريض من ريمون الصنجيلي. في حينه ظهر هذا الحصن الصغير بمثابة مفتاح طرابلس بحكم موقعه في سفح جبل لبنان، وعلى بضعة كلمترات من البحر على الطرف الجنوبي للسهل الذي يخترقه النهر الكبير والذي يُفضي إلى ثغرة حمص[١]. يبدو أن ريمون الصنجيلي كأن يأمل بذلك الضغط على قاضي طرابلس، فحاصر عرقة من ١٤ شباط حتى ١٣ أيار ١٠٩٩[٢]، ولكنه اضطر إلى رفع الحصار بضغط من الصليبيين الذين استعجلوا السير إلى القدس. بيد أن خلفه غليوم جوردن استولى عليها في العام ١١٠٨ أو العام ١١٠٩[٣].

كانت عرقة مدينة على شيء من الأهمية "في سفح جبل، ولها قلعة عالية، ولها (ص ٣٤٤) ربض كبير وهي عامرة بالخلق"، على حد كلام الإدريسي الذي يؤكد أنها كانت كثيرة التجارة، وأن قلعتها قوية "والخير بها كثير"[٤]. ولهذا ليس مدعاة

---

[1] تبدو هذه الأهمية الإستراتيجية من حقيقة أن صلاح الدين عندما اجتاح كونتية طرابلس عام ١١٨٠، قامت القوات الكونتية بالتمركز في عرقة (Guillaume de Tyr, dans Rec. des hist. des Croisades, Hist. occ., t. I, 1, p. 1064). راجع حول الاسم العربي لهذا الموضع: Van Berchem, Notes sur les Croisades, dans Journal asiatique , t. I, 1902, p. 393-394; cf. R. Dussaud, Topogr. Hist., p. 80-84.

[2] راجع: Le “Liber” de Raymond d’Aguilers, ed. John Hugh et Laurita L. Hill, Paris, 1969, p. 107-130 (Documents relatifs à l’histoire des Croisades, IX) notamment, p. 107, 108, 123: “ Milites nostri qui allegati Tripolim fuerant… comitem persuaserunt ut castellum Arcados, munitissimum et inexpugnabile viribus humanis obsideret, habiturus post quartum vel quintum diem a rege Tripolis quantum auri et argenti desideraret… Hoc castrum a mari abierat per miliarium, nec in portu poterant esse naves… Erat civitas Tripolis non multum longe a nostri castris… prope per quator leugas.»

[3] راجع: J. Richard, Le comté de Tripoli sous la dynastie toulousaine, 1102-1189, Paris, Geuthner, 1954, p. 14…; R. Grousset, Histoire des Croisades et du royaume de Jérusalem, t. II, Paris, 1935, p. 888.

[4] راجع: Jaubert, Géographie d’Edrisi traduite de l’arabe en français, p. 357.
نعرض هنا النص الحرفي لكلام الإدريسي: "عرقة هي مدينة عامرة حسنة في سفح جبل قليل العلو ولها وسطها حصن على قلعة عالية ولها ربض كبير وهي عامرة بالخلق كثيرة التجارات وأهلها مياسير وشربهم من ماء يأتيهم في قناة مجلوبة من نهرها ونهرها جار ملاصق لها وبها بساتين كثيرة وفواكه وقصب سكر ومطاحن على نهرها المتقدم ذكره وبينها وبين البحر ثلاثة أميال وحصنها كبير وعيش أهلها خصيب رغد وبناؤها بالجص والتراب والخير بها كثير"، راجع: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الإدريسي، المجلد الأول، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩، ص ٣٧٣-٣٧٤. (المترجم).

غرابة أن يحتفظ بها الكونت في عداد أملاكه الخاصة[1]. ويفيدنا نص العام ١١٥١ بأن الكونت وضع المدينة في عهدة سيد لحمايتها châtelain وفيكونت vicomte ليشرف على مجلس قضاء البرجوازية اللاتينية ولإدارة أملاكها، تماماً كما كانت حال مؤسسات الحكم في كونتية طرابلس[2] ومملكة القدس.

وكانت مع فتح المسلمين لها مقراً لأسقف. وهذا ما لا يجهله اللاتين، لأننا نعرف أنهم استندوا إلى "لوائح الأساقفة" Notitiae episcopatuum البيزنطية في تنظيم إطار الأبرشيات في المناطق التي احتلوها. ولكن يبدو أنهم لم يجدوا ضرورة في إحياء كرسي عرقة: مع كرسيين آخرين (أرطوسية Orthosias والبترون Botrys)، وتم إلحاق أبرشية عرقة بأبرشية طرابلس ليتشكل منهما أبرشية واحدة. ولهذا استطاع أسقف طرابلس أن يمنح عام ١١٢٥ الاسبتالية إعفاءهم من ضريبة العشر على ممتلكاتهم في أبرشية عرقة، مع توضيحه بأن هذه المنحة تحتاج إلى موافقة بطريك أنطاكية لتصبح فعلية في حال الفصل بين أبرشيتي عرقة وطرابلس[3].

استفادت الاسبتالية، بتاريخ ١١٢٨، من هبة قدمها لها كونت طرابلس بونز Pons، ومنحها بموجبها منازل وفرناً وكرم عنب وبستاناً في عرقة[4]. ونعلم من جهة أخرى، من خلال رسالة اسكندر الثالث، أنه كان للداوية (ص ٣٤٥) أيضاً أملاك تجاور أملاك كاتدرائية سان-لوران الجنوية[5] Saint-Laurent de Gênes. هكذا تقدم لنا عرقة لوحة، معروفة لنا جيداً، عن مدينة محصنة حيث للكنائس الكبيرة

---

[1] سبق أن افترضنا في مؤلفنا "كونتية طرابلس" Comté de Tripoli، صفحة ٥٣، أنها ربما كانت تابعة لأسقف طرابلس.

[2] يرد قائد الحامية العسكرية في طرابلس، سييريوس Seierius، وفيكونت المدينة، غليوم Guillaume، في: Delaville, Cart. Gén., t. I, n° 411

[3] "Decimas vero quas in Archarum episcopatu essent habituri episcopus et prelibati clerici (le chapitre de Tripoli) eis tamdiu assenserunt quamdiu Archarum ecclesiam essent possesuri. Si vero interea per largitionem Antiochene ecclesie eas acquiere cum consilio episcopi Tripolitani possent, habent eas jure perhenni" (Cartul. gén. t. I, n° 72, p. 69-70). يجب أن يكون النهر الكبير هو الحدود الشمالية لهذه الأبرشية، لأن تل كلخ وكاستروم نوفو (القلعة الجديدة) كانتا داخل أبرشية طرطوس، كما يدل على ذلك مقال ريلي-سميث Riley-Smith المذكور سابقاً.

[4] راجع: Cartul. Gén. t. I, n° 83, p. 77. – يبدو أن بستان عرقة الذي كانت تملكه كنيسة بيت لحم Bethléem لا علاقة له بهذه المدينة: يبدو أنه كان قريباً من بيت لحم Röhricht, Regesta, n° 983.

[5] ٢٦نيسان ١١٧٩: بني الداوية منازل بدون إذن "extra civitatem Archarum, in proprio fundo Januensis ecclesie" (Ughelli, Italia sacra, t. IV, 842; Due bolle pontificie, dans Giornale Ligustico, t. IV, 1883, p. 161-1650.

والجماعات التي تخدمها أملاكها[1]، وحيث للجنويين أيضاً، مع أن الأمر لا يتعلق بمرفأ، نصيبهم، كما تقضي غالباً الاتفاقات التي عقدتها "المدن" الإيطالية مع أمراء الشرق اللاتيني بأن تقدم هذه المدن دعمها لهم[2].

تبين لنا هبة فلاندين كيف أن الاسبتالية وسعت أملاكها بمنحها المنازل والأراضي والبساتين والكروم في المدينة وأرباضها ومنحها القرى في المناطق التابعة لها. وثمة عقد يعود إلى العام ١١٧٠ يعزز وجودهم في عرقة: بينما كان أموري Amaury ملك القدس يشرف على إدارة كونتية طرابلس باسم ريمون الثالث Raymond III الواقع في الأسر، وإزاء الهزة الأرضية التي دمرت في ٢٩ حزيران ١١٧٠ أسوار عرقة وحصن جبل عكار المجاور لها، وخشية سقوط الموضعين بأيدي المسلمين (ne christicolis amitterentur)، فإنه وهب الاسبتالية سنيورية هذين الموضعين، على أن تتكفل الاسبتالية بترميمها، وتعهد بالقابل بالضغط على ريمون الثالث عندما يتحرر من أسره للموافقة على هذا الهبة[3].

(ص ٣٤٦) يتأكد هنا حق الملك بالتصرف بعرقة وبحصن عكار كما لو أنهما من أملاكه بشكل (quicquid inibi mei erat dominii vel ante me furent comitis) يبدو أنه يجعل كونتية طرابلس المعهودة إلى الحرس الملكي (صحيح أن أموري هو أقرب الناس إلى ريمون الثالث، هو ابن عمه) من ضمن نطاق المملكة[4]. وهذا ما يمكن مراجعته لدى عودة الكونت. وعلى أي حال، يبدو أنه لم يصبح من أملاك الاسبتالية لا حصن عكار[5] ولا عرقة[6]. ومن المحتمل أن الكونت ريمون رفض،

---

[1] راجع: J. Richard, Le chartier de Sainte-Marie-Latine et l’établissement de Raymond de Saint-Gilles à Mont-Pélerin, dans Mélanges Louis Halphin, Paris, 1951, p. 608-609.
راجع ترجمة هذا الموضوع في "منتخبات التواريخ و..."، تحت عنوان: "منطقة وشمعا وحي القطلبة في وثائق الصليبيين...".

[2] راجع الاتفاق المعقود بين البندقية وغودفروا دو بويون Godefroy de Bouillon، والذي يقضي بأن يحصل البنادقة على كنيسة وموضع في جميع المدن التي يستولون عليها (Röhricht, n° 31).

[3] راجع: Delaville, Cartul. Gén., t. I, n° 411,p. 285 (راجع حول التاريخ: Röhricht, Regesta, n° 477, p. 125). لا يذكر هذا النص أن حصن عكار كان قد سقط للتو بيد المسلمين لبضع سنوات إلى أن استعاده بارونات طرابلس في شتاء ١١٦٩-١١٧٠: N. Élisséef, Nûr al-Din, Un grand prince musulman de Syrie au temps des Croisades, Damas, 1967, t. II, p. 650-651.

[4] تنفي العبارة أن يكون الملك وهب ملكه الفعلي، فالأمر يتعلق بملكية كونتية كانت في حينه للملك.

[5] كان من شأن بوهيموند الرابع Bohémond IV استعادة سنيورية جبل عكار عندما تزوجت وريثة هذه الإقطاعة من راينوار دو نيفين Raynouard de Nephin (راينوار أنفه) (١٢٠٤-١٢٠٦).

[6] راجع: Comté de Tripoli, p. 64-65.

لدى عودته من الأسر عام ١١٧٤، التصديق على التنازل عن الأراضي التي أقدم عليها الملك أموري، مكتفياً بالموافقة على ما مُنح للاسبتالية في نفس العقد، والمقصود هو "حصة السيف" (نصيب الغنيمة التي يتوجب على الاسبتالية تقديمها للكونت فيما لو شارك في العملية العسكرية مع قواته). كما يبدو محتملاً أيضاً أن الاسبتالية أنفسهم لم يتقيدوا بالعقد. فالمدينة سقطت في الواقع بيد نور الدين في أيلول ١١٧٤[١]، كما أن ترميمها لا بد أنه كان عالي الكلفة. ومن جهة أخرى، من المعروف ردة فعل الاسبتالية بوجه سياسة اكتساب القلاع، سياسة جيلبير داسيي، عام ١١٧١[٢]: لعلها هي التي دفعت الفرسان الاسبتالية إلى عدم استثمار عقد الملك أموري.

يعدد العقد، إلى جانب أملاك السنيورية (ص ٣٤٧) خدمات وتقدمات فرسان الكونت وأتباعه، أي الإقطاعات الملحقة بقلعة عرقة. لقد كانت إقطاعة فلاندين، التي سبق لنا محاولة تعيينها، بيد الاسبتالية منذ العام ١١٥١. وهكذا كانوا يملكون عدة منازل وبستانين في عرقة، ومزرعتين (كازالين) بجوار المدينة، تيليليوت[٣] Teileliout وبوكوفو Boucofou (لا نعرف موضعهما) وأربع مزارع (كازالات) أخرى في الجبل: جرايل Gebrail (Jebriel)، بزبينا Bazbina (Bebeniz)، بيت ملات Beit Mellat (Bethmellas)، إيولاز Eiolaz (لعلها إيلات Eilat). وثمة قسم من هذه الأملاك (منازل وبستان في عرقة، نصف تيليليوت، ثلث بوكوفو، بيت ملات) مُنحت كإقطاعة إلى غليوم دو غريون Guillaume de Grillon، وكان بذلك، قبل العام ١١٧٠، تابعاً للاسبتالية، وتتوجب عليه خدمتهم.

---

[1] روى كمال الدين في مؤلفه تاريخ حلب Histoire d'Alep حملات الزنكي على عرقة في العام ١١٦٦-١١٦٧ وفي خريف العام ١١٧١ بطريقة متشابهة لدرجة أن ر. غروسيه R. Grousset (ouvr. Cité, t. II, p. 563) اعتبر الحملتين متماثلتين (cf. Revue de l'Orient latin, t. III, p. 543-553). ولقد بيّن إليسيف Élisséef (p. 615-616 et 666 de son t. II, et 239-240 du t. I) كيف حاصر نور الدين عرقة بلا جدوى في حزيران-تموز ١١٦٦، ولكنه دمر حصن حلبا وعُريمة والحصن الأبيض، ليتحكم بذلك بسهل عرقة. وفي أيلول ١١٧١، عاد إلى تلك المنطقة، ليحاصر المدينة مجدداً ويستولي عليها، ودمر مجدداً عُريمة والحصن الأبيض. ولكن اللاتين استعادوا في غضون ذلك حصن جبل عكار، فلم يتمكن من الاحتفاظ بعرقة بعد أن استولى عليها.

[2] راجع: j. Riley-Smith, The knights of Saint John in Jerusalem and Cyprus, c. 1050-1310, London, Macmillan, 1967, p. 66-67 et 73 (A history of the order of the hospitallers of Saint-John, éd. L. Butler, I).

[3] هل تكون قرية التليل؟ (المترجم).

مع نهاية القرن الثاني عشر يتلاشى تاريخ عرقة. ولا يمكننا التأكيد أن المدينة سقطت بيد صلاح الدين عندما مرّ أمام طرابلس، في العام ١١٨٨[١]. بل بقيت ملكاً للبيت الأنطاكي-الطرابلسي حتى حملات الاقتصاص التي شنها السلطان بيبرس على بوهيموند السادس نتيجة تعاونه مع المغول. تم الاستيلاء عليها للمرة الأولى عام ١٢٦١، ليستعيدها الفرنجة مجدداً؛ ولكن عندما ظهر بيبرس مجدداً عام ١٢٦٦، غادرتها حاميتها، ولم يكن أمام السلطان غير تسوية قلعتها بالأرض، هذه القلعة التي كانت تحمي حتى حينه منطقة قال فيها ابن الفرات أنها كانت مزروعة بقصب السكر، وتضم حقولاً مزروعة[٢].

II - سلالة من كونتية طرابلس في الحروب الأهلية في القرن الثالث عشر:

سلالة بورسيليه Porcelet وجيبيليه - بورسيليه Gibelet-Porcelet

(ص ٣٤٨) ورد عرضاً اسم أحد أبناء عائلة بورسيليه، غليوم Guillaume Porcelet، في عقد العام ١١٥١. بينما العقود الخمسة الباقية المحفوظة في متحف كالفيه فهي، على العكس، صادرة كلها عن أبناء هذه العائلة: غليوم بورسيليه (١٢٠٩)، هوُ Hue دو جيبيليه، زوج "ماري بورسيليه" (١٢٤٨)، وحفيدهما بارتيليمي Barthélemy دو جيبيليه (١٢٧٤).

يبدو أن هذا الفرع من عائلة جيبيليه المتحدرة من عائلة أمبرياكي Embriaci الجنوية أرادت التميز عن فرعي العائلة الآخرين، أصحاب جبيل Gibelet وأصحاب بسميدين[٣] Besmedin (بشمزين)، ونسبت لنفسها تقاليد عائلة بورسيليه[١]:

---

[1] هذه الفرضية تقدم بها ريلي- سميث في محاولة منه ليبقي شيئاً من تأكيد ابن الفرات ومفاده أن المدينة بعد استيلاء نور الدين عليها لم يستعدها الفرنجة إلاّ بعد موت صلاح الدين؛ هذا تأكيد لا يمكننا قبوله كما هو، لأن الداوية والجنويين دخلوا في منازعات حول عرقة في العام ١١٧٩: Ayyubids, Mameluks and Crusaders. Selections from the Tarikh al-Dūwāl wa’l Malûk of ibn al-Furat, éd. Et trad. U. et M. C. Lyons, introd. Et notes par J. S. C. Riley-Smith, Cambridge, Heffer, 1971, 2 vol., t. II, p. 193.

[2] المرجع السابق، الصفحات: ٤٥، ٨٥، ٢١١. نفس الملاحظة يقدمها الإدريسي (trad. Jaubert, p. 357). راجع نص الإدريسي في الحاشية رقم ١٦.

[3] راجع: E.-G. Rey, Les seigneurs de Giblet, dans Revue de l’Orient latin, t. III, (18950, P. 398-422. – لنتذكر أن برتران Bertrand، أحد أبناء غليوم الثاني Guillaume II، صاحب جبيل، قد تزوج من

جمع برتران الجبيلي، ابن هوُ Hue، وبارتيليمي على ختم الرصاص نجمة أمبرياكي والحيوان المستعمل كشعار للسلالة البروفنسيالية والموضوع منذ العام ١٢٠٩ على ختم غليوم بورسيليه، حيث يقع على وجه الختم بينما على قفاه صورة قلعة أو بالأحرى صورة برج قائم على صخرة[٢].

إن استعمال ختم الرصاص- لا ختم الشمع[٣]- في أسفل عقود تشكل "امتيازات الهبة" يكفي لتصنيف أبناء عائلة بورسيليه ومن يمتون لهم، في بنية مؤسسات الحكم في مملكة القدس، في عداد الأسياد المتمتعين بحق إقامة مجلس المحاكم[٤] "cour, coins et justice"، (ص ٣٤٩) وهم أسياد قضاة-اقطاعيون، إن لم نقل بارونات[٥]. وصورة القلعة تدعمنا في هذا الرأي.

ولكن، هل يمكن تحديد هذه القلعة التي لا يقدم الختم اسمها؟ إن عقود منطقة أفينيون لا تقدم أي معلومة تسمح بأن ننسب بثقة إلى عائلة بورسيليه قلعة من قلاع الصليبيين في كونتية طرابلس. والأملاك المذكورة في هذه العقود مبعثرة في كل المنطقة الطرابلسية- هذا فضلاً عن أن بعضها يقع في منطقة جبيل (أربع مزارع "كازالات" مذكورة مباشرة في عقد (١٢١٦) يعود إلى برتران الجبيلي Bertrand de Gibelet الذي نعثر عليه في معظم هذه العقود). أما الأملاك الخاصة بعائلة بورسيليه فيبدو أنها كانت واقعة حول أرطوسية Orthosias القديمة، اليوم أرض

حفيدة ملك أرمينيا. وابنهما هوغ Hugues (هو Hue) تزوج من وريثة عائلة بورسيليه، وأنجبت له برتران (قُتل عام ١٢٥٨)، زوج بياتريس دو سودين Béatrix de Soudin، وأب بارتيليمي (المتوفي عام ١٢٨٩)، وغليوم، ولوسي Lucie (زوجة جان البتروني Jean de Boutron)، ومارغريت (زوجة بودوان ديبيلين Baudoin d'Ibelin). وخلف بارتيليمي من إلفيس دو سكاندوليون Elvis de Scandelion، ولدين هما برتران وأنييس Agnès (ص ٤١٠-٤١٢).

[1] بغية تمييز هذا الفرع سنستعمل اسم جيبيليه-بوسيليه Gibelet-Porcelet غير الوارد في نصوص العصر الوسيط.

[2] راجع: Ms. 4908, n° 3; Sigillographie de l'Orient latin, p. 68 et pl. XV, n° 2. – الشعار متماثل على الوجهين (+ S : Guillermi : Porcelet :)، بعكس التقليد القاضي بإضافة صورة الحصن المعروف باسمه.

[3] يرد مثل هذا الختم في أسفل عقد يعود للعام ١٢٥٧ بين جماعة أنكونيتين Anconitains ومملكة القدس: Paoli, ouvr. Cite, t. I, p. 157-161; Röhricht, Regesta, n° 1259.

[4] راجع: F. Chandon de Briailles, Le droit de "coins" dans le royaume de Jérusalem, dans Syria, t. XXIII, 91942-19530, p. 244-253.

[5] يبدو لقب البارونية في الحقيقة، على الأقل في تصور جان ديبيلين، مختصاً بعدد محصور من كبار الأسياد: J. Richard, Pairie d'Orient latin; les quatres baronnie des royaumes de Jérusalem et de Chypre, dans Revue historique de droit français et étranger, 1950, p. 67-68.

أرطوسي Ard Artousi، الواقعة على مرتفع بجوار البحر، على مسافة ١٥ كلم شرقي طرابلس.

لا تقدم نصوص المرحلة الصليبية معلومات عن قلعة في أرطوسية[1] Artusce. نعرف فقط أن كنيستها- الكنيسة القديمة التابعة لأسقف أرطوسية الروم التابعة لمتروبولية صور- وُهبت قبل العام ١١٢٣ إلى سان-روف فلانسيا[2] Saint-Ruf de Valence، وأن الاسبتالية ثبتوا عام ١١٥٢ من خلال رهبان طرابلس نصف عشور أبرشية أرطوسية Artussie، ما يثبت أن أبرشية أرطوسية كانت، كأبرشية عرقة ملحقة بمركز طرابلس الذي أعاده اللاتين[3]. أما الصورة الممثلة لصخرة يعلوها برج فهي قلما توافق موضع أرض أرطوسي Ard Artousi؛ بيد أن دقة هذه الرسوم غير صارمة[4]. وعلى أي حال، ترد أرطوسية Artusiya في جغرافيا (ص ٣٥٠) الإدريسي في عداد الحصون التابعة لطرابلس[5]؛ ويمكننا ملاحظة أن تعيينها في موضع آخر ذكره نفس المؤلف، رأس الحصن، تبعاً لاقتراح ر. دوسو[6] يصطدم بصعوبات أكيدة[7]. بيد أننا نعتقد بإمكان اعتبار مدينة أرطوسية الصغيرة في عداد

---

[1] راجع: P. Deschamps, Les châteaux des Croisés en Terre sainte. Le Crac des Chevaliers. المجلد – Texte, Paris, 1984, p. 104 (Bibl. Archéol. et hist. du haut-commissariat, n° XIX). الذي يعده المؤلف حول دفاعات كونتية طرابلس سيحمل لنا المزيد من الدقة. راجع: R. Dussaud, Topogr. Hist., p. 78-80

[2] راجع: Ulysse Chevalier, Collection de cartulaires dauphinois, t. IX, 1, p. 22 et 32 (“ecclesiam Sancti Jacobi de Tripoli cum suffraganea ecclesia de Artucia”).

[3] Cartul. gén., t. I, p. 69.

[4] إن الفرضية التي تقدمنا بها في مؤلفنا كونتية طرابلس، ص ٧٧ (Comté de Tripoli, p. 77) والقائلة بأن عائلة بورسيليه قد تكون تملكت الحصن البيض استندت إلى قراءة خاطئة قام بها روهريخت Röhricht وهو يحلل عقداً يعود لعام ١٢٠٦، حين جعل من بافانيا Bafania رافانيا Rafania رفنية. إن اكتشاف السيد ريلي-سميث Riley-Smith يسمح باستبعاد فرضيتنا كلياً.

[5] ترجم جوبير (Jaubert, Géographie d’Edrisi, p. 356) الاسم أرموسية Armousié؛ بينما صححه دوسو أرطوسية Artousiya.

[6] راجع: Topographie historique de la Syrie, p. 89: يذكر الإدريسي في خليج عرقة مدينة صغيرة وافرة السكان، اسمها رأس الحصن، ويؤكد أنها تقوم على قمة جبلية قليلة الارتفاع، وأنها تحتوي على حصن. تتوفر هذه الشروط في التلة التي يقوم عند سفحها، على حد قول الإدريسي، حصن أرطوسية، أو أيضاً في المرتفع الأبعد، في المكان الذي يضم اليوم قصبة تسمى الشيخ محمد، إلى الشمال مباشرة من عرقة وحلبا.

[7] يقدم الإدريسي، في الحقيقة (ص ٣٥٧) رأس الحصن كمدينة صغيرة قائمة على طرف خليج عرقة (خليج قوسه بطول ٣٠ ميلاً، بينما طول المسافة بين طرفيه فلا تبلغ غير ١٥ ميلاً). وهذا ما يجعل هذا الرأس وهذه المدينة الصغيرة، غير قابلين للتعيين عملياً على الخريطة الراهنة، شمالي مصب النهر الكبير؛ هذا خصوصاً إذا ما اعتمدنا للحصون الثلاثة التي وضعها الإدريسي في وسط هذا الخليج، أي على نصف المسافة بين بين طرابلس ورأس الحصن، المواضع التي اقترحها دوسو (ص ٨٩-٩٠) مع المواقع المحصنة بجوار القليعات، وهي من الواضح أنها شمالي أرطوسية وتل الشيخ محمد. يجب التفكير بواحدة من التلال المجاورة للشاطئ والكائنة بين مصب النهر الأبرش وطرطوس، والجوار المباشر لهذه المدينة: في مكان آخر، يقول الإدريسي، في الحقيقة، وهو يصف الطريق من عرقة إلى طرطوس أن هذه المدينة

المواضع المحصنة في كونتية طرابلس، كما أن امتلاكها من قبل عائلة بورسيليه يبدو أن الشك لا يعتريه.

ثمة الكثير من الإشارات المتعلقة بعائلة بورسيليه متوفرة بفضل مصنف "عائلات خلف البحار" Lignages d'outre-mer الذي تم إعداده في قبرص حوالي العام ١٣٠٠[١]. ولكن هذا المصنف المتأخر الذي ننتظر طبعة نقدية له لا يخلو من الغموض.

في القرن الثاني عشر، من الثابت جيداً وجود المدعو غليوم بورسيليه الأول (١١٤٠-١١٥٣) وابنه برتران (١١٥١-١١٧٧). ومن الممكن أن يكون غليوم بورسيليه الثاني، (ص ٣٥١) الذي يظهر في عقدي العام ١١٨٥ والعام ١٢٠٤، هو ابن برتران[٢].

ثمة عقد يعود للكونت بوهيموند الرابع (١٢٠٦) يذكر وريثاً لغليوم بورسيليه، من الممكن أنه كان تحت وصاية الكونت، ما مكنه من أن يبيع للاسبتالية أرضاً تعود إلى الوريث، مع تخصيصه أنه على الاسبتالية الحصول على موافقته[٣]: هكذا كانت أصول معاملة الكونت لورثة أتباعه القاصرين[٤]. ولكن هذا العقد يكشف لنا عرضاً وجود عائلة أخرى باسم بورسيليه، مثل المدعو جورج الوارد في النص[٥]. والمدعو غليوم بورسيليه المتوفي قبل العام ١٢٠٦ وهو غير الشخص الحامل لنفس الاسم

"هي على طرف خليج واسع، تشرف عليه جبال عالية، ويقطعه خط مستقيم طوله ١٥ ميلاً"، وهذا ما يبدو أنه يتقيد بالمعلومات الواردة أعلاه (هذا استناداً إلى النص المستعمل في ترجمة غابرييل سيونيتا Gabriel Sionita (جبرائيل الصهيوني) وجوهانس حصرونيتا Johannes Hesronita (يوحنا الحصروني) اللاتينية: Geographia Nubiensis, Paris, 1619, p. 117-118

[1] يرد ذكر عائلة بورسيليه تحت العناوين الآتية: "أسياد بيروت" "Des seignors de Baruth"، "" «De ceaus de Baruth»، "أسياد جبيل" « Des seignors de Giblet »، "" "De ceaus de Bessan"، (Recueil des hist. des croisades, Lois, t. II, p. 458, 459, 463, 465)

[2] راجع مؤلفنا: Comté de Tripoli, p. 49; E.-G. Rey, Les familles d'outre-mer de Du Cange, Paris, 1869, p. 588-590 (Coll. de documents inédits sur l'histoire de France).

[3] Cartul. gén. T. II, p. 56.

[4] المقصود إقطاعة مرقية Maraclée التي باعها بوهيموند إلى الاسبتالية عام ١١٩٩ (Cartul. gén. T. I, p. 674-675). وعندما اضطر إلى التراجع عن البيع، تحت ضغط الحشاشين، تذرع بحق "الورثة الشرعيين" heredes legitimi (ibid., p. 682-683). واستتبع ذلك نزاع طويل بين الاسبتالية وأصحاب مرقية، استمر حتى العام ١٢٤١. يخبرنا مؤلف "عائلات" Lignages أن "الأمير زوج المدعوة أنييس Agnès من بيير دو رافنديل Pierre de Ravendel، ووهبها مرقية، وحرم أخوها رينوار Renoart": وبذلك انتقلت السنيورية، على حساب ابن صاحبها السابق، إلى أخته، ومنها إلى عائلة أنطاكية مخلصة إلى بوهيموند الرابع.

[5] حدود الأرض المتنازل عنها، الواقعة قبل بفانيا ante Befaniam، هي من الشرق أرض الاسبتالية وأرض جورج بورسيليه، ومن الجنوب ساقية جيرول... Gerol...، ومن الشمال والغرب مجرى ماء قديم تجري فيه مياه الأمطار rivus vetus qui currit per pluvias

في عقد العام ١٢٠٩، وأبناؤه كانوا في حينه راشدين. وعليه فالمدعو غليوم بورسيليه في العام ١٢٠٩، ينتسب بشكل مبهم إلى عائلة بورسيليه في القرن الثاني عشر.

ولقد تزوج، استناداً إلى مؤلف "عائلات"[١] Lignages، من مارغريت بلانشغارد Margueritte de la Blanchegarde، إبنة غوتييه البيروتي Gautier de Beyrouth، فولدت منه ثلاثة أبناء: رينو Renaud وبرتران Bertrand وهوغ Hugues، وإبنة. والحال فإن عقد ١٢٠٩، لا يذكر غير إبنين، برتران وهوغ، وزوجة غليوم المدعوة لوريت Laurette. يمكن افتراض أنها الزوجة الثانية لغليوم. ولكن يبدو لنا ممكناً أيضاً أن كاتب "عائلات" قد تجاوز جيلاً، وأن رينو كان عم برتران وهوغ. فهو يقول لنا أن رينو توفي بلا عقب، مثل أخوته؛ والحال فثمة مقطع آخر[٢] (ص ٣٥٢) يذكر ابنته دوس Douce التي تزوجت للمرة الأولى من صاحب أنفة[٣]، وثانية من غوتييه دو بيتسان Gautier de Bethsan الذي كان حياً يرزق في العام ١٢٢٠: من هذا الزواج وُلد أموري دو بيتسان Amaury de Bethsan، أحد البارونات الذين وقفوا إلى جانب فريدريك الثاني Frédéric II في قبرص، بين ١٢٢٩ و١٢٣٣ (وبعد أن نفاه الملك هنري الأول Henri 1er وحرمه من إقطاعته، لجأ إلى بويى Pouille حيث أقطعه فريدريك مقاطعة تريكاريكو[٤] Tricarico)، وابنتان، هما إشيف Echive واستفاني Estefenie، وكانتا أصل أسياد قبارصة هم الأنطاكيون les Antioche والسيسون les Saissons. ويبدو لنا رينو بورسيليه Renaud Porcelet

---

[1] Lois, t. II, p. 459.

[2] المرجع السابق، ص ٤٦٣: "غوتييه، الابن الآخر لغريمون دو بسان Gremont de Bessan ومارغريت، أخت غوتييه البيروتي، تزوج من دوس Douce، ابنة رينو بورسيليه Renaut Porcelet، التي كانت زوجة صاحب أنفه، وخلفت ابناً وبنتين".

[3] قد يكون رينوار الثاني Renouard II (١١٨٨) أو ريمون الثاني Raymond II (١١٧٤-١١٩٦)؛ راجع: W.-H. Rudt de Collenberg, Les « Raynouard » seigneurs de Nephin et de Maraclée en Terre sainte, et leur parenté en Languedoc, dans Cahiers de civilisation médiévale, t. VIII, (1964), P. 289-311.

[4] Lignages, p. 463; Cartul. gén. T. III, nos 3715-3716. – تزوج غوتييه دو بيتسان ثانية من سيدة رومانية، بعد وفاة دوس.

الشاهد على عقد للسيد جان بارليه[1] Jean Barlais من جيل أسبق عل جيل برتران، ومن فرع ثانٍ من سلالة بورسيليه.

تزوج برتران بورسيليه Bertrand Porcelet، المؤكد وجوده بين العام ١٢٢٧ والعام ١٢٣٤، من إزابو دو بيتسان Isabeau de Bethsan إبنة واحد من أبناء عم أموري ملك القدس، المدعو فيليب لو رو Philippe le Roulx الذي حصل من الملك على إقطاعة من مزارع عربيا Arabia وزيكانين Zekanin بجوار صور، والذي يبدو أنه عُرف باسم فيليب دو بيتسان Philippe de Bethsan المذكور في قبرص في العام ١١٩٥[2]. وكانت إزابو أرملة رينو بارليه Renaud Barlais، سيد من محيط عائلة لوزنيان Lusignan، كما كانت أم آمري بارليه Aimery Barlais الشهير، وهو الخصم الأساسي لجان دييلين Jean d'Ibelin في حوادث قبرص بين ١٢٢٨-١٢٣٢. وقف برتران بورسيليه إلى جانب صهره لدرجة أنه اقلق كثيراً باليان دييلين Balian d'Ibelin عندما حضر إلى طرابلس، عام ١٢٣١، محاولاً اكتساب أمير انطاكية إلى جانبه[3]. يبدو أن برتران توفي بين العام ١٢٣٤ (ص ٣٥٣) والعام ١٢٣٦، بينما لم يترك أخوه هوغ Hugues أي أثر بعد العام ١٢٠٩.

أما أختهم ماري، فلعلها تزوجت للمرة الأولى من المدعو لينار دو باف Linart de Baffe غير المعروف منا مطلقاً والذي ربما كان إيطالياً (لم يكن اسم باف Baphe، وهي بافوس Paphos في قبرص، ليتميز به أي سيد ما، فالمدينة كانت من املاك الملك)[4]. ثم تزوجت لاحقاً من هوُ دو جيبيليه (الجبيلي) Hue de Gibelet، وهو ابن

---

[1] كان ابن صهر برتران بورسيليه؛ راجع: Strehlke, Tabul. ordinis Theutonici, p. 64, n° 8 (Regesta, n° 1069)

[2] راجع حول إقطاعة فيليب لو رو: J. L. La Monte, Feudal monarchy in the Kingdom of Jerusalem, Cambridge (Mass.), 1922, p. 145-146؛ وراجع حول ما تعرضت له منطقة أرابيا وزيكانين التي مُنحت إلى فرسان التوتونيين Teutoniques عام ١٢٣٤: Regesta, n^os 517, 608, 729, 1058, 1059, 1206, et Additamenta, n° 1088 B. تم اعتبار فيليب دو بيتسان ابناً لغورمون الأول دو بيتسان Gormond 1^er de Bethsan في: John L. La Monte et Norton Downs III, The lords of Bessan in the kingdoms of Jerusalem and Cyprus, dans Medievalia et humanistica, t. VI, (1950), P. 63. نعتقد من جهتنا أن فيليب لو رو الذي تزوج إتيينيت دو بيتسان Etiennette، انتهى معروفاً باسم فيليب دو بيتسان، لأن ابنتهما إزابيل Isabelle يسميها مؤلف "عائلات" Lignages (ص ٤٦٧) إزابو دو بيتسان.

[3] راجع: Gestes des Chiprois, § 168. تقدم أبناء عائلة بارليه بادعاءات حول قريتين بجوار طرابلس، بوكومبر Bocombre وريميسك Remesque (بكمرا Bkomra وراس مسقا Ras Maska)، التي كان يطالب بها خصوصاً هوُ بارليه Hue Barlais عام ١٢٥٣ (Regesta, n° 1204): يبدو أن هاتين القريتين كانتا مهراً حصل عليه آمري بارليه Aimery Barlais من زوجته أنييس دو مارغات Agnès de Margat (المرقب).

[4] لعلها أنجبت له ابنة، مارغريت، التي تزوجت فيكونت طرابلس: Lignages, p. 458-459

برتران أمبرياك Bertrand Embriac وحفيدة ليون دارميني[١] Léon d’Arménie، ومعه بدأ اسم عائلة جيبيليه (الجبيلي) Gibelet بالظهور في عقودنا.

شارك هوُ الجبيلي Hue de Gibelet أيضاً في "الحرب التي وقعت بين الإمبراطور فريدريك والسيد جان ديبيلين Jean d’Ibelin". ولقد كان، مع أموري دو بيتسان وآمري بارليه وبارونين آخرين[٢]، أحد الذين (“baux”) عهد إليهم فريدريك الثاني بالوصاية على مملكة قبرص باسم هنري الأول. إن الروابط العائلية التي جمعت هذه الشخصيات[٣] أضفت على هذا النزاع مظهر الصراع بين سلالات قوية حول امتلاك مداخيل هذه المملكة الجزيرية، بموازاة مسألة الحق التي شدد عليها جان ديبيلين. ولقد كان من شأن هذا الصراع أن ينتهي على حساب هوُ Hue الجبيلي الذي، على غرار أموري وآمري، حُرم من أملاكه في قبرص[٤].

لقد كان على هوُ Hue أن يعاني أكثر من نزاع آخر طرأ في كونتية طرابلس. وكانت نقطة انطلاقه معارضة ابنه برتران الجبيلي للأمير بوهيموند الرابع عندما حاول استعمال (ص ٣٥٤) برتران ضد جنويي عكا[٥]. يُضاف إلى هذا الحقد الشخصي سبب آخر قوامه أن برتران الجبيلي وقف على رأس أبرز فرسان الكونتية الغاضبين من محاباة بوهيموند الخامس لأقارب زوجته لوسي دو سينيي[٦] Lucie de Segni. وأنزل بالأمير هزيمة إذ جرحه في يده؛ وعندما وقع في الأسر وقطع رأسه "السوريون" اتهم بوهيموند بحدة أنه هو الذي استخدم القتلة (١٢٥٨).

---

[1] جاء في Lignages, p. 465: "برتران، الابن الآخر لهو أمبرياك Hue l’Embriac الذي كان صاحب جبيل، تزوج دوس التي كانت حفيدة ملك أرمينيا ليون Livon d’Ermenie، ورزقا ابنا، هو Hue، تزوج من ماري حفيدة (p. 459: “la fille”) غليوم بورسيليه". راجع حول التصحيح المطلوب: Rey, Les seigneurs de Giblet, p. 410-412

[2] هما غوفين دو شينوشيه Gauvain de Chéneché وأموري دو ريفيه Amaury de Rivet، والأول تزوج إرملين دو سيسون Hermeline de Saisson وكان الثاني ابن إزابو، شقيقة إرملين: Lignages, p. 461

[3] هذا ما ورد في مؤلف (Gestes des Chiprois, § III) الذي بيّن القرابة بين عائلة بارليه وبيتسان، وبين شينوشيه وريفيه، دونما ذكر للقرابة بين هو الجبيلي والآخرين.

[4] Gestes des Chiprois, § 199.

[5] أثناء "حرب سان-سابا" أمر الأمير برتران بمهاجمة الجنويين، ولكنه اعتذر بحجة أصله الجنوي، ولما أضطر تحت الضغط إلى تنفيذ الأمر، شن الهجوم بدون أسلحة وهو يصرخ عالياً باسمه: Gestes des Chiprois, § 271-273 (Recueil des hist. des Croisades, Doc. Arméniens, t. II, p. 744).

[6] Ibid., § 291 sqq. (Doc. Arm., t. II, p. 748-750) : « le contens que les chevaliers de Triple eurent… au prince pour chaison des Romains. ».

يتحدث مؤلف "مآثر القبارصة" Les Gestes des Chiprois عن انهيار التمرد بعد موت برتران، على الرغم من جهود هوُ Hue الجبيلي. ولكن الحقيقة ليست هكذا تماماً: إن وثيقة تأريخها خاطئ حالت دون قدرة المؤرخين على استنفاد حقيقة التمرد الطرابلسي لعام ١٢٥٨؛ ولكن إعادة هذه الوثيقة إلى موضعها الفعلي في الزمن (صحح روهريخت[1] تاريخها) سمحت باستكشاف كيفية نهاية هذا التمرد. ويبدو أن رئيس الداوية تدخل فيه[2]؛ لقد اتخذ على أي حال تجاه الأسياد المتمردين -بذلك حصلنا على لائحة باسمائهم[3]- تعهداً بحمايتهم "في كل مرة تريدون فيها... مطالبة الأمير أو رجاله أو أعوانه في طرابلس في أي نزاع كان" ومكنهم من "الذهاب والإياب والبقاء في طرابلس، (ص ٣٥٥) حتى انتهاء النزاعات". يبدو أن الوقت حينه كانت تسوده هدنة، وهي هدنة قد تكون طويلة.

يكشف العقد الذي بين أيدينا عن تشكيل لجنة من ١٣ عضواً، ٦ يعينهم الفرسان و٦ يسميهم الأمير؛ وعلى اللجنة أن تتفق على اختيار الرئيس من خارجها. مهمة اللجنة فض النزاعات بينهم. ويكون عليها الاجتماع في مدى ١٥ يوماً على تقديم طلب من أحد الفريقين[4]؛ وعند الضرورة يقوم الداوية بإجبار الأمير على جمع اللجنة وتنفيذ القرارات التي يتخذها "الأعضاء بمجموعهم أو بغالبيتهم العظمى".

وبخلاف النزاعات التي اندلعت قبل حوالي ٢٥ سنة في مملكة القدس، فإن الفرسان الطرابلسيين لا يسعون إلى إجبار الأمير على معاملتهم بعدل "من خلال ديوان القضاء" “par esgart de court”. فلا يهاجم الفرسان تعسف الحاكم الذي يرفض

---

[1] كان العقد مؤرخاً في ت[1] من العام ١٢٥٢ (Delaville Le Roulx, Documents concernant les Templiers – extraits des archives de Malte, Paris, 1882, n° XIX, p. 26-80) لاحظ دولافيل Delaville أن هذا التاريخ يستدعي تعديل تاريخ خلافة توماس بيرارد Thomas Bérard لرينو دو فيشي Renaud de Vichy. بيد أن روهريخت Röhricht، استناداً لملاحظته أن وفاة رينو في ٢٠ ك[2] ١٢٥٦ ثابتة، اقترح نقل تاريخ العقد إلى زمن لاحق على تاريخ وفاة رينو. إننا نقترح تاريخ ت[1] ١٢٥٨ أو ت[1] ١٢٥٩. Regesta, n° 1201.

[2] كان الداوية، حسب مؤلف Gestes des Chiprois، مؤيدون لبوهيموند الخامس.

[3] "هنري Henri صاحب جبيل، غليوم صاحب البترون Guillaume، ميليور Meillior صاحب مرقية Maraclée، أبناء برتران الجبيلي Bertran de Gibeleth، يوحنا Jehan ماريشال طرابلس، يوحنا فارابيل Jehan Pharabel صاحب بوي Pui، هوغ سالمان Hugue Saleman، توماس أرّا Thomas d’Arra، ريمون مرقية Raimont Mareclée، بودوين مونتوليف Baudoin de Montolif، يوحنا Johan فيكونت طرابلس، إنغ أمبرياك Ingue Embriac، غي دو باتريارك Gui dou Patriarche، ريمون دو فيده Raimont de Vedde، يوحنا فلاينكورت Johan de Flaencort، برتران فيزان Bertran Faisan، بيير لو Pierre Loup، فيليب إستوما Phelippe Estomac، هو مرقية Hue de Mareclée، بيير دو لا تور Pierre de la Tor، يوحنا عرقة Johan d’Arches، جاك دو تابور Jaques de Tabore."

[4] أو في مدى ٤٠ يوماً، في حال لم يكن الأمير موجوداً في الكونتية.

إخضاع خلافاته مع أتباعه لحكم ديوان القضاء؛ بل إن الفرسان كانوا يوجهون سهامهم إلى ديوان القضاء بالذات. لا شك، بأن بوهيموند الخامس الذي من حقه، كما هي حال ملك القدس، أن يشكل ديوانه، كان قد أغرقه كالعادة بهؤلاء "الرومان" ”Romains“ من محيط لوسيين (لوسي) دو سينيي - وربما من بارونات من أصل أنطاكي - والذين يزعم الفرسان أن الأمير يفضل أن يحيط نفسه بهم. وعلى أي حال، نجح الفرسان بأن نقلوا، إلى قضاء مختلط يجمع ممثليهم مع ديوان الكونتية، خلافاتهم مع الأمير، وذلك لمدة قدر لها أن تستمر لخمس سنوات اعتباراً من أول أيار ١٢٥٩ أو ١٢٦٠. وهكذا تم استبدال "ديوان القضاء" بلجنة الثلاثة عشر، ما أضفى صبغة خاصة على النزاع الطرابلسي وطريقة حله[1].

(ص ٣٥٦) لم يرد ذكر هوُ الجبيلي Hue de Gibelet في هذه الوثيقة. وهذا ما يستجيب مع موقف راوي هذه الأخبار منه؛ فحسب الراوي أقسم هوُ الجبيلي على إطلاق لحيته (ومن هنا صار لقبه هوُ الملتحي Hue à la Barbe، وبه عُرف فيما بعد) وفضل مغادرة الكونتية على المصالحة مع الأمير. ولكن "أبناء برتران الجبيلي" يرِدون في هذه الوثيقة في عداد الشخصيات التي بلورت بالتوافق مع بوهيموند الخامس الإجراءات المعنية.

تؤكد وثائق أفينيون مغادرة هوُ Hue إلى عكا حيث رافقه بعض الفرسان الطرابلسيين من المذكورين في نص رئيس الداوية- غليوم الأنطاكي Guillaume d’Antioche صاحب البترون الذي أصبح كونستابل مملكة القدس، جان الجبيلي Jean de Gibelet شقيق هوُ Hue الذي شغل منصب المارشال، وابناء برتران[2]. وفي عكا قدم هوُ Hue هبة إلى الاسبتالية، عام ١٢٦٤، متذرعاً بعجزه عن وفاء الديون التي اقترضها؛ كما أن حفيده بارتيليمي قدم في العام ١٢٧٤ عدة هبات لنفس الاسبتالية. ولكن هذه الهبات تتناول أملاكاً واقعة في كونتية طرابلس، وكان

---

[1] تكمن المسألة المطروحة في معرفة ما إذا كان أمراء أنطاكية كانوا مقبولين، بعد أن أصبحوا كونتات طرابلس، من نبلاء كونتية طرابلس البروفانسيين؛ ثمة مقطع في مؤلف Gestes des Chiprois (§ 468) يدفع للظن بوجود ضغينة من جانب أمراء أنطاكية تجاه النبالة الطرابلسية. بيد أنه من المحتمل جداً أن تكون اعتراضات هذه النبالة قد ظهرت فقط مع وصول "الرومان" ”Romains“: راجع لاحقاً الصفحة ٣٥٧، الحاشية رقم ١ (Infra, p. 357, n. 1)، أي ما يعادل في الترجمة الحاشية رقم ٧١.

[2] راجع: Gestes des Chiprois, § 296. – في نيسان ١٢٥٩، كان هوُ Hue ما يزال في طرابلس عندما تخلى عن بتوراتيج Btouratige إلى الاسبتالية: Cartul. gén., t. II, p. 867-868, n^{o} 2915

الجبيليون يعاونهم أتباع طرابلسيون: هكذا تم التقيد باتفاقية العام ١٢٥٨-١٢٥٩، وإذا كان هوُ الملتحي Hue à la Barbe لم يحصل على ما كان يرضيه لقاء اغتيال ولده، وإذا كان نفى نفسه إرادياً إلى مملكة القدس حيث تم استقباله مع جماعته بحفاوة، فقد احتفظ مع جماعته بإقطاعاتهم وأملاكهم في كونتية طرابلس. وإننا لنجد في ١ حزيران ١٢٧٧ بارتيليمي الجبيلي إلى جانب بوهيموند السابع في قصر الأمير في طرابلس[١].

ولكن بارتيليمي لم ينسَ حقد عائلته. واندلع تمرد جديد سببه مرة أخرى (مثل تمرد صاحب أنفة بين ١٢٠٥-١٢٠٦ عندما (ص ٣٥٧) تزوج وريثة جبل عكار Gibelacar دون موافقة الكونت) الزواج من وريثة للإقطاعة ما أغرق الكونتية في الدماء. لقد زوّج غي Guy، صاحب جبيل، أخاه جان من وريثة هوغ سالمان (أحد أبرز الفرسان المذكورين في ١٢٥٨-١٢٥٩) رغماً عن إرادة حاكم الكونتية، بارتيليمي أسقف طرطوس، وهذا ما أدى إلى اندلاع حرب أولى عام ١٢٧٦[٢]. ولقد دخل الداوية من جهتهم في نزاع مع بوهيموند السابع[٣]. وفي العام ١٢٨٢ حاول غي الجبيلي مفاجأة طرابلس بمساعدة بعض الداوية وأحد المتحدرين من عائلة بروسيليه. وعندما فشل غي واضطر إلى الاستسلام دفع رأسه ثمناً لتمرده[٤]. بيد أن بارتيليمي نهض سريعاً بوصفه زعيم عائلة الجبيليين: وعزم على تزويج ابنته من

---

[1] Regesta, n° 1412. – نجد بارتيليمي في عكا، بتاريخ ١٦ ت١ ١٢٨٤، عندما عقد اتفاقاً مع التوتونيين Teutoniques لسداد دين عليه لهم؛ وبعد شهر ثبّت هذا الاتفاق في "مقر أخوة المسيح frères du Sauveur، من رهبنة سان-غليوم Saint-Guillaume، في سهل طرابلس" (ibid., n^{os} 1467-1468). وفي هذا العقد الأخير يرد ذكر بيير، كاهن كنيسته، وذكر فيري كاتبه.

[2] Gestes des Chiprois, § 391, p. 781; Estoire d'Eracles (Rec. des hist. des Croisades, Hist. occidentaux, t. II), p. 468: "في تلك الأثناء حصل كثير من النزاعات في طرابلس بين الفرسان وأهل المدينة، لأن "الرومان" الذين وضعوا يدهم على كامل السلطة في زمن الأمير الآخر، قاموا بالكثير لإزعاج وإرباك فرسان المنطقة".
"En cela saison mut contens à Triple entre les chevaliers et les gens de la cite por ce que les Romains, qui avoient tot le pooir de la cort au tems de l'autre prince, avoient moult fait de desplaisir et d'ennui as chevaliers de la terre". وكان غي الجبيلي قد تحالف مع أحد "الرومان"، مطران طرابلس الذي نفاه الأمير عام ١٢٨١، بينما استمر مطران طرطوس "في المحافظة على الفرسان" "maintenoit les chevaliers de la terre"؛ راجع: Röhricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 972-974.
في سياق هذا النزاع نشبت معركة حول "بلدة محصنة للأمير اسمها دوم" "à un fort cazau dou prince qui a un nom Dome"، راجع Chiprois, § 399, p. 279، التبس الأمر على راي Rey فوضع دوم على الساحل بين بوي دو كونستابل Puy du Connétable والبترون في: Les seigneurs de Giblet, p. 405-407؛ بينما المقصود بلدة دوما في الجبل على نهر الجوز، غير بعيد عن تنورين.
حافظنا على نصوص الفرنسية القديمة كما وردت في النص خشية عدم الدقة في ترجمتها (المترجم).

[3] راجع: Röhricht, Geschichte, p. 982-983.

[4] وتم سريعاً دفن غليوم، شقيق بارتيليمي، مع غي الجبيلي وأخوته (Chiprois, § 410).

ابن غي، صاحب جبيل الجديد، وتزويج أحد أبنائه هو من ابنة غي، وذلك بغية توثيق اللحمة بين الفرع الثاني والفرع الأول من العائلة[١].

في غضون ذلك، توفي بوهيموند السابع، ولما عزمت الأميرة الأم أن تعهد بحكم الكونتية إلى أسقف طرطوس، انتفض فرسان طرابلس وعلى رأسهم بارتيليمي (١٢٨٧). وتم إعلانه عمدة و"قائد" "chevetaine" كومونة طرابلس، ولم تتمكن لوسي، أخت بوهيموند، من الحصول على اعتراف بها، إلاّ بتعهدها بإقرار كومونة طرابلس[٢]. لقي بارتيليمي مصرعه عام ١٢٨٩، (ص ٣٥٨) على يد المماليك، عندما استولوا على المدينة.

III - أتباع وأملاك عائلة بورسيليه

وعائلة جيبيليه - بورسيليه Gibelet-Porcelet

إن الدور الذي لعبته عائلة بورسيليه وعائلة جيبيليه- بورسيليه وحلفائهما سواء في التقلبات التي عصفت بمملكة قبرص في أيام حكم هنري الأول قبل بلوغه سن الرشد، أو في النزاعات التي دارت بين أمراء أنطاكية من جهة ونبلاء كونتية طرابلس من جهة أخرى، يرفع من الرغبة في تعيين أملاك هاتين العائلتين وأملاك أتباعهما، تلك الأملاك التي أعطتهما قاعدة إقليمية وإقطاعية في كونتية طرابلس، بلدهم الأصلي.

لا يبدو أن أسماء الشهود في عقد ١٢٠٩ قادرة على إفادتنا؛ وباستثناء اسمي سالمان Saleman اللذين نجهل صلتهما بعائلة بورسيليه واللذين يبدوان كصنوين لها تقريباً، فإننا لنخرج بانطباع أن الأمر يتعلق بمجموعة عائلية. إن آيمار دو لايرون Aymar de Layron، صاحب قيصرية Césarée، يتصل عن قرب، عبر زوجته جوليين Julienne بعائلة البيروتيين Beyrouth (كانت جوليين أرملة غي البيروتي Guy de Beyrouth وزوّجت حفيدها جيل Gilles من حفيدة زوجها الثاني آيمار) وبعائلة

---

[١] Chiprois, § 470.

[٢] راجع: Gestes des Chiprois, § 466 à 477. لنذكر اعتراضات "أهل طرابلس" التي فنّدت للوسي الانتهاكات التي "ارتكبها أخوها الأمير بحقهم... وما فعله والدها الأمير وجدها من أذية وانتهاك بحق الفرسان والبرجوازية وبقية الناس"، مؤكين "أنهم لا يريدون معاناة ما عاناه آباؤهم وأجدادهم" (§ 468).

بيتسان Bethsan؛ كان غوتييه دو بيتسان Gautier de Bethsan قد تزوج من دوس بورسيليه Douce Porcelet؛ يوحي اسم جيل دو بيروت- بلانشغارد Gilles de Beyrouth-Blanchegarde باسم مارغيريت بلانشغارد التي قد تكون زوجة المدعو غليوم Guillaume بورسيليه. وبالمقابل فإن شهود باقي عقود عائلة بورسيليه وعائلة جيبيليه- بورسيليه يبدو أنها تعود إلى أتباعهما[1].

في العام ١٢٣٦، يشهد هوغ دو طابور Hugues de Tabore وجان دو مونتينياك Jean de Montignac (من أصحاب المنيطرة Moinetre) على عقد لبرتران بورسيليه؛ ونصادف جان دو طابور بجانب بارتيليمي الجبيلي عام ١٢٧٤، وجان دو مونتينياك، صاحب المنيطرة، بجانب هوُ الجبيلي عام ١٢٥٩، وبجانب بارتيليمي عام ١٢٧٤. موضع طابور Tabore لا نعرفه؛ أما المنيطرة، موانيتر Moinetre، فهي واحدة من القلاع (ص ٣٥٩) الصغيرة التي تتحكم بمداخل لبنان- بيد أنه يستحيل علينا القول بما إذا كان هذا الحصن إقطاعة تابعة لسنيورية عائلة بورسيليه. لا سيما وأن عائلة مونتينياك كانت مرتبطة بالمصاهرة مع عائلة بورسيليه ومع الجبيليين). ريمون مرقية Raymond de Maraclée، سليل من الفرع الثاني لعائلة "راينوار" من ميين Meynes، وهو صاحب مرقية، يشهد مع هوُ الجبيلي عام ١٢٤٩؛ ونقولا مرقية كان بجانب بارتيليمي عام ١٢٧٤. كما كان جان بروس Jean de Brousse (ou de la Brosse) بجانب هوُ Hue عام ١٢٥٩ و١٢٦٤؛ وغوتييه بروس بجانب بارتيليمي عام ١٢٧٤. وروجيه القليعة Roger de la Colée أحد شهود هوُ Hue عام ١٢٦٤، وبارتيليمي عام ١٢٧٤. وكان ريمون إدّه Raymond d’Edde عام ١٢٤٩ وغليوم صاحب كورنيول Corniole عام ١٢٦٤ و١٢٧٤ في عداد لفيف عائلة جيبيليه- بورسيليه. ولكن كوليه Colée القليعة- هذه إذا كان المقصود فعلاً القليعة في شمالي الكونتية- لم تبقَ بين يدي إقطاعيين بهذا الاسم؛ ولقد تمكن الفرع الثاني من عائلة مرقية من الإقامة في إقطاعات بعيدة عن مرقية؛ لعل إده Edde واحدة من مواضع هذه الكورة Koura حيث توزعت أملاك قليلة الأهمية بين الفرسان والكنائس؛ لم نعرف شيئاً عن بروس Brousse وعن

[1] نحيلكم بخصوص تعيين هذه الشخصيات إلى الحواشي التي سنلحقها بالوثائق.

كورنيول Corniole. وكذلك لم نعرف شيئاً عن باليان بانسار Balian Pansart أو توماس بوناكور Thomas Bonacors اللذين يكملان لائحة الشهود في عقود عائلة جيبيليه- بورسيليه. كما أن هذه الحفنة من الأتباع، وإن يكن بعضها من مستوى اجتماعي راقٍ، فلا تفيدنا بمعطيات لتعيين السنيورية التراثية لعائلة بورسيليه؛ بيد أن إخلاصها المتوارث تجاه أسياد اضطروا إلى مغادرة الكونتية أثناء الأزمات التي ذكرناها فهو أمر ثابت[١].

يبدو أن الإقطاعة الأساسية لعائلة بورسيليه، كما تقدمها لنا عقود الاسبتالية، كانت قائمة في بافاني Bafanie ومالكومين Malcomin، بجوار أرطوسية Artusce. يعني ذلك في أسفل وادي نهر البارد؛ وهذا ما يُغري بمماثلة بافاني مع قرية بحنين Bhanine القائمة بمواجهة آثار أرض أرطوسي Ard Artousi. ولكنه لا يسهل القول أن هذه القرية مماثلة لقرية باحاني (بحنين) Bahanni التي وهبها الكونت بونز إلى الاسبتالية عام ١١٢٧[٢]، ولا توضح الوثائق (ص ٣٦٠) ما إذا كانت بافاني Bafanie بيد الاسبتالية أو بيد عائلة بورسيليه وأعقابهم؛ بيد أن الاعتماد على ساقية الري المحوّلة من نهر البارد والتي تهبط حتى أرطوسية مروراً "أمام بافاني[٣]" وعبر الحدود بين بافاني وموكومين Maucomin يعطي دقة كافية لنُعين في هذه المنطقة هذه المجموعة من الأراضي حيث كان يمتلك غليوم بورسيليه حتى العام ١٢٠٩، وخارج "نهر أرطوسية" وغيره من الأرض إقطاعة مالكومين Malcomin التي تنازل عنها في تلك السنة إلى الاسبتالية التي بات عليها تأمين خدمة فارس لنصف سنة، حيث كان (الفارس) يقيم هناك[٤].

ثمة عقد مفقود، يعود إلى العام ١٢١٦، يخبرنا أن برتران الجبيلي كان وهب إلى الاسبتالية أربعة قرى: "بكيركاس Baqueerquasse، بتورافيغ Bethorafig، غاربوني Garbonie، معربان[٥] Maarban". وفي الحقيقة فإنه ليس من شأن هذه الهبة، هي

---

[1] هذه العقود، بخلاف تلك التي ننشرها هنا، موجودة في: Regesta, n^{os} 1096 et 1272

[2] راجع: Regesta, n^{o} 118. هذا هو الموضع الذي اقترحه راي في: Rey, Colonies franques de Syrie, p. 361

[3] راجع العقد ١٢٠٦: ante Befaniam

[4] يمكن الملاحظة هنا، بعكس ما يوحي به دستور القدس، أننا أمام إقطاعة قيمتها أقل من خدمة فارس.

[5] "هبة أربع قرى اسمها باكير Baqueer، كاس Quasse، بيتورافيغ Bethorafig، غاربوني Garbonie، معربان Maarban، قدمها للرهبنة برتران، صاحب جبيل seigneur de Biblis، بحضور الرئيس العام غيرين دو مونتيغو Guérin de Montaigu، والأخ آيمار دو لايرون Aymar de Layron، مارشال..." (Raybaud, n^{o} 216 dans

أيضاً، أن تعطي للاسبتالية غير خدمة الإقطاعة المعينة على هذه القرى. ذلك أن ثمة عقداً لاحقاً يبين هوُ Hue الجبيلي واهباً، بدون طلب موافقة سيد الإقطاعة، قريته بوتورافيش Bothorafiche أو بوترافيس Botrafis (بتوراتيج Btouratige الحالية، قرية في الكورة) إلى الاسبتالية[1]؛ بعد مدة وجيزة يوضح بارتيليمي الجبيلي أنه يمتلك كإقطاعة له من الاسبتالية "سربوني Serbonie ومعاربون Maharbon" و"باكاركاس" Bacarcasse– لا شك أنها شبرونية Chabrounieh ومعاربو Maarbo (في وادي النهر الكبير، على حوالي ١٠ كلم غربي تل كلخ)، وبقرقاشا Beqarqasha في أعالي وادي قاديشا، بالقرب من بشري[٢] Bcharré. تعود جميع هذه الأملاك بالتأكيد إلى (ص ٣٦١) إلى إرث من عائلة الجبيلي: بتثبيته عام ١٢٧٤ بيع بتوراتيج و١٥ "سهماً" "pareillées" من الأرض المعروفة باسم "حقل المنزل" Champs de la Maison في سهل طرابلس، تنازل بارتيليمي عن حقوقه المحتملة على ١٥ سهماً أخرى باعها سابقاً ريمون الجبيلي[٣].

بيد أن هذه العقود تطرح مسألة حقوقية: فتحليل رايبو Raybaud مختصر مع الأسف (ص ٣٦٢) بحيث لا يمكننا من معرفة المضمون الفعلي لعقد ١٢١٦. ولكن يمكن مع ذلك ملاحظة أنه غير مذكور فيها تدخل كونت طرابلس، بوهيموند الرابع في حينه، الذي كان من المنتظر أن يعلن موافقته على نقل السيادة على هذه القرى الأربع إلى الاسبتالية- هذا النقل المتعلق فضلاً عن ذلك بأربع قرى متباعدة عن بعضها: كان عليه هو أن يتنازل عن هذه السيادة، لا على برتران الجبيلي، المالك المباشر لها؛ ولهذا يبدو لنا معقولاً أن برتران كان يعتبر هذه القرى الأربع بمثابة إقطاعيات حرة بوسعه أن يعطي حق السيادة عليها للاسبتالية.

Revue de l'Orient latin, t. III, p. 78; Cartul. gén., t. II, p. 185). لا يمكن أن يكون المقصود برتران، صاحب جبيل ، بل برتران الجبيلي Bertrand de Gibelet، والد هو Hue.

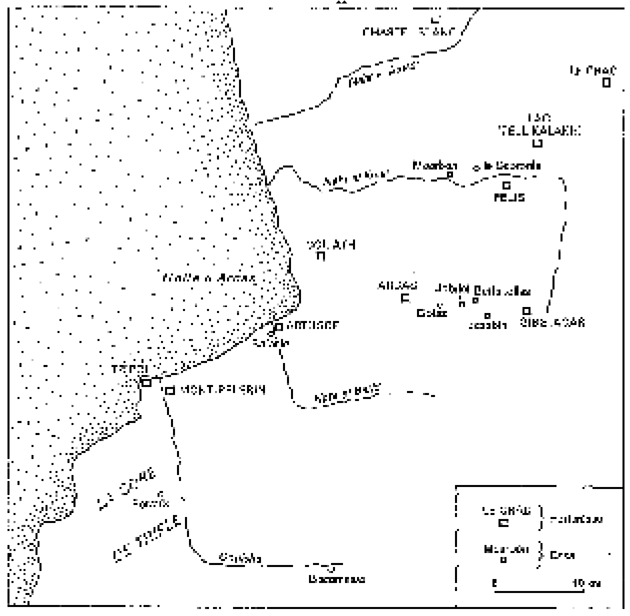
لدينا هنا خمس قرى، لا أربعة، بحكم الفصل بين باكير Baqueer وكاس Quasse، على غير ما هي الحال في متن النص (المترجم).

[1] إن تجاور القرى المذكور في العقد لا يترك أي ظلال من الشك. وسيُذكر أن هذا البيع عام ١٢٥٩ حصل مقابل ٥٠٠٠ بيزنت طرابلسي، وأنه عام ١٢٦٤، جدده هو Hue، مقابل ١٢ ألف بيزنت عكاوي، دونما إشارة إلى العقد السابق.

[2] راجع: Le Guide bleu de Syrie-Palestine, éd. de 1932, p. 76. لا يرد اسم هذه القرية الواقعة على مسافة ٤ كلم من بشري على خارطة المشرق Levant، ولكنه موجود على الخريطة التي يقدمها ر. دوسو: R. Dussaud, Topogr. hist., face à la p. 88

[3] تدخل هذه الأسهم الثلاثون، بدون شك، في ملكية ٥٠ "قطعة من الأرض" جمعتها الاسبتالية في سهل طرابلس، وحصلت على إعفائها من ضريبة العشر عام ١٢٧٧ (Cartul. gén., t. III, p. 347).





يتفق هذا الأمر مع تصور كان واسع الانتشار في الجنوب الفرنسي، ولكنه استثنائي في الحق الاقطاعي في الشرق اللاتيني. فهل نكون هنا إزاء حالة حيث "تقاليد كونتية طرابلس" التي اعتمدها هوُ Hue الجبيلي عام ١٢٦٤ تختلف عن "دستور القدس"؟ فوجود قرى معتبرة كإقطاعات حرة "إقطاعات نبلاء" alleux nobles" تبعاً للغة متأخرة، هو في هذه الحالة سمة خاصة من التقليد الذي أخذته كونتية طرابلس، وعلامة على تأثير مؤسسات مقاطعة بروفنس ولانغدوك الفرنسيتين في هذه الكونتية.

ولكن، هل الحق الطرابلسي كان هنا مختلفاً كثيراً عن الحق المعتمد في مملكة القدس؟ فمن الملاحظ أن العديد من الهبات قدمها إلى الكنائس بارونات المملكة دونما أي إشارة إلى موافقة الملك سيدهم[1]، هذا في حين أن من "يتنازل عن كل اقطاعته أو عن جزء منها دون موافقة سيده، ويضعها بيد الكنيسة..." يُعرض نفسه

---

[1] يعترف "دستور القدس" للسيد المتصف بأنه "إقطاعي-قاضٍ رفيع" بحق "منح الهبات" بتوقيعها بختمه، ولكنه لا يوضح إذا كان بوسعه أن يهب إقطاعة استمدها من غيره بمجرد ختمها بختمه: Jean d'Ibelin, 189 (Lois, I, p. 302-303); Livre au Roi, 3 (ibid., p. 608-609).

للمصادرة[١]. ولقد كتب فيليب دو نوفار Philippe de Novare: "إذا قدم أو باع أو تبادل رجال الملك أموراً عدة مع الكنيسة، كالقلاع والمدن والقرى وغير ذلك من الريوع لا يحصلون على (ص ٣٦٣) أي موافقة ولا يقدمون عن ذلك أي أتاوة"[٢]. ما يسمح باستشفاف أن مملكة القدس (التي أسسها بارونات من شرقي وجنوبي-شرقي فرنسا حيث كانت واسعة الانتشار حالة "إقطاعات النبلاء" الحرة) لم تتخلَّ تماماً عن ممارستها[٣]. كان فعلاً بوسع الأسياد التابعين للملك أن لا يحصلوا على مجمل أملاكهم ومداخيلهم منه، وبالتالي كانوا على حرية في التصرف بما ليس "ممنوحاً لهم كإقطاع"، إما لزيادة ثروة الكنيسة وإما لإقطاع أتباعهم هم فيها[٤]. بيد أنه يجب أن نوضح أن عقد برتران الجبيلي لصالح الاسبتالية هو الحالة الوحيدة "لاستعادة الإقطاعة" التي أمكننا التعرف عليها.

بالإضافة إلى القرى الأربع كانت عائلة جيبيليه- بورسيليه تمتلك أراضٍ في السهل المجاور لطرابلس: إنها ٣٠ سهماً "pareillées" من الأرض تمثل حقلاً يُقاس بوحدة مساحة غير مذكورة في المشرق اللاتيني خارج السهل الخصب المجاور لطرابلس. هذه "الأسهم" المستخدمة خصوصاً لتعيين محتوى مزارع قصب السكر[٥]، واردة الذكر في وثائق أخرى في المجال اللغوي لمنطقة بروفنس: نجدها مذكورة في القرن الثاني عشر في كونتية أورجيل[٦] Urgel.

---

[1] Jean d'Ibelin, 143 p. 217. – عندما تنازل جوليين الصيدوني Julien de Sidon عن أرضه للاسبتالية (وللتوتونيين) عام ١٢٦٠ استلزمه الأمر "مسامحة" الوصي له، بأن فرض عليه أن ينقل ولاءه وخدمته على ما كان حصل عليه مقابل إقطاعته: Philippe de Novare, 57 (p. 530).

[2] Philippe de Novare, 56 (p. 530).

[3] ندين إلى السيد ج. براور J. Prawer بالعثور على مؤشرات لوجود "الإقطاعات الحرة" على مستوى منح الاقطاعات في وسط البرجوازية في مملكة القدس: The "Assise de teneure" and the "Assise de vente": a study of landed property in the Latin kingdom, dans The Economic history Review, 2e série, t. IV, 1 (1951), p. 77-87.

[4] ليس من المستبعد وجود فرسان تابعين لأسياد المملكة دون أن يكونوا تابعين من الدرجة الثانية للملك؛ ولعل "قوانين الاقطاعات" هي التي أقامت علاقة شخصية بين الملك وبينهم: Jean d'Ibelin, 140 (p. 214)

[5] "Tria jugera vel tres pariliatas terrarum cannamelarum" J. Richard, Le chartier de Sainte-Marie-Latine et l'établissement de Raymond Saint-Gilles à Mont-Pèlerin, dans Mélanges Louis Halphen, Paris, 1951, p. 612.

[6] « De terra unicuique unam pariliatam… de censu, de unaquaque pariliata, unum caficium»; unaquaque pariliata… sufficiat et abundat ad octuaginta quarterias ordei seminendas, et singule pariliate habeant habundanter IIII quarteriatas vinearum.» ((Chartes de peuplement de Castellblanch, 1174 et 1180, dans Bofarull y Mascaro, Colección de documentos ineditos, t. VIII, p. 54 et 61-63). – ندين بهذه المعلومة إلى زميلنا ج. براور J. Prawer، وعليها نشكره جزيل الشكر.

ففي هذا السهل الساحلي وضعتنا هبة للسيد هوُ Hue الجبيلي أمام واحدة من مشاكل الري التي تحتل مكانة بالغة الأهمية في (ص ٣٦٤) بلدان المشرق التي استولى عليها الصليبيون[١]. لقد منح هوُ Hue الجبيلي الرئيس العام للاسبتالية حق استخدام ماء "النهر الذي كان بحوزته أمام طرابلس... لري أراضيكم المروية التي تملكونها أمام طرابلس". هذه الأراضي "المروية" ”abevreissez“ (أو ”abevreyces“ كما يرد في النصوص القبرصية[٢]) هي تلك المتوجب ريها بانتظام، أي التي تروى دورياً من خلال فتح أقنية الماء التي تحيط بالأرض في الوقت المعين. وعليه فإن امتلاك مجرى دائم للماء، في السهل الخصب المزروع بالخضار والبساتين، وسابقاً بقصب السكر، والممتد شرقي وجنوبي طرابلس، كان مصدراً كبيراً للثروة، ولهذا لم يتردد بارتيليمي الجبيلي في إعادة شرائه مقابل ريع للاسبتالية.

نجد نفس مسألة الري موضوعاً لعقد آخر لنفس السيد بارتيليمي. لقد اتفق، بوصفه مالك مجرى نهر البارد ("نهر أرطوسية")، مع الاسبتالية حول جدول يتفرع من هذا النهر، ويمر عبر المنحدرات فيسمح بري أراضي القرى في الوادي والسهل الساحلي الضيق. كانت هذه الأراضي تشكل مجموعة من الحقول المسيجة بالعليق الذي يظلل أقنية الري التي تشكل شبكة توجه ماء الجدول نحو الحقول لريها. وفي أيامنا ما تزال بحنين Bhanine، التي نظنها هي بافاني[٣] Bafanie العصر الوسيط، محتفظة بهذا المظهر على الرغم من أن اختفاء بعض القرى التي كانت قائمة في العصر الوسيط- وهذا ظاهرة عامة ملحوظة حتى في الوديان الخصبة (الكورة، وادي نهر أبو علي،

---

[1] لم يتعرض لمقاربة هذه المسألة لا كلود كاهن: Cl. Cahen, Le régime rural syrien au temps de la domination franques (Bulletin de la Faculté des Lettres de Strasbourg, 29e année, 1951, p. 285-310)؛ ولا ج. براور: J. Prawer, Études de quelques problèmes agraires et sociaux d’une seigneurie croisée au XIIIe siècle (Byzantion, t. XXII (1952), p. 5-61, et XXIII, (1953), p. 143-170).

[2] راجع: Mas-Latrie, Histoire de Chypre, III, (Preuves, II), p. 216 et 295. – اقترح هذا الكاتب لكلمة “abeverges” أو ”abevreyces“ معنى "ربما أرض قابلة للري"، ليحتفظ في مسرده (ص ٨٨٨) بصيغة “à beverges” والمعنى "ربما كانت أرضاً نجد الماء فيها".

[3] لا يبدو أن بلدة ببنين شرقي نهر البارد تستجيب لهذا الوضع (السجل العقاري للبنان، في بيروت، قضاء عكار، الورقة ٢).

وادي نهر البارد)[١] ولعل موضعي مالكومين Malcomin (ص ٣٦٥) وأرطوسية المذكورين في هذه الوثيقة من هذا القبيل- قد غير بلا شك نطاق تلك المنطقة[٢].

كان توزيع مياه الجدول يتم على الشكل الآتي: يستعمل الاسبتالية كل كمية الماء طيلة نصف الأسبوع (من الأحد ظهراً حتى منتصف ليل الأربعاء)؛ بينما كان الجبيليون يستعملون كل الماء لبقية الأسبوع. وكانت صيانة مجرى الجدول تتم على نفقة الجبيليين على نصف مسافة المجرى، ويتشاركون مع الاسبتالية في كلفة صيانة النصف الآخر. (ص ٣٦٦) وكانت مشتركة أيضاً كلفة سد التحويل "paissere" لفصل مياه الجدول عن النهر[٣]. ولكن كان على الاسبتالية دفع كامل مرتب "الشاوي" المكلف بالسهر على الجدول والسد وعلى انتظام توزيع المياه.

وهكذا فإن مجاري المياه الدائمة تبقى ملكية الاقطاعيين الذين يمنحون حق الانتفاع بالماء للري (وكذلك الأمر بخصوص اشتغال مطاحن الحبوب[٤] ومعاصر قصب السكر، وإلخ...). إن التعداد الوارد في العقود لم يفته ذكر القنوات aigues والسواقي التي يذكرها هوُ الجبيلي عام ١٢٦٤، ولا الجداول flumaires التي تذكرها العقود القبرصية.

إن حفنة الوثائق المحفوظة في متحف كالفيه تعيننا في استكمال معارفنا حول تاريخ الشرق اللاتيني، وخصوصاً تاريخ كونتية طرابلس التي مزقتها في القرن الثالث عشر الصراعات الداخلية: إننا لنعتقد أنها ستلقي بعض الضوء على العلاقات التي كانت قائمة بين العائلات، وعلى الحياة داخل المدن الصغيرة المحصنة، وعلى المؤسسات الاقطاعية والحياة الزراعية.

---

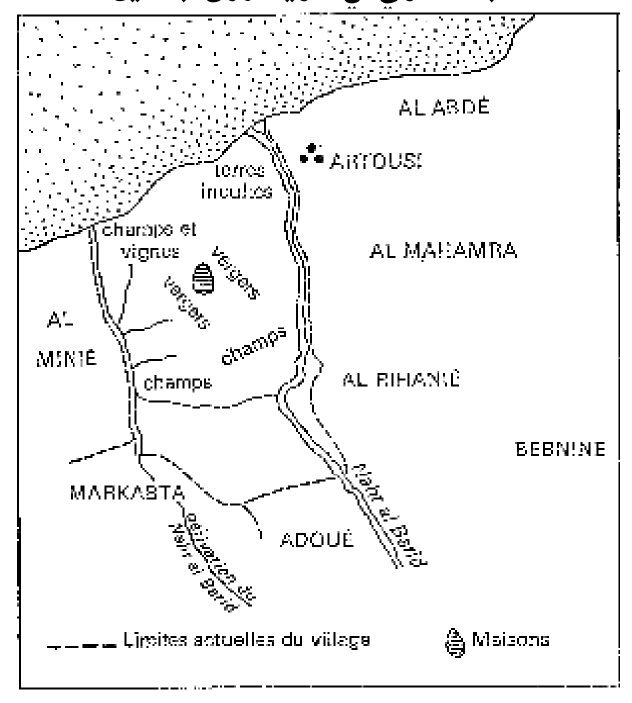
[1] راجع مقالنا المذكور سابقاً في Mélanges Louis Halphen. ففي العقد المتعلق بقرية بتوراتيج، ثمة قريتان من أصل خمس غير موجودتين.

[2] استخدمنا خريطة المساحة لقرية زوق بحنين (قضاء طرابلس، الورقة ٢١) ولجأنا إلى المقارنة الميدانية. لقد تعدلت شبكة الري منذ العصر الوسيط، وليس أكيداً أن "جدول" ١٢٧٤ هو نفسه المحيط بالقرية لجهة الغرب. ولكن الخطوط العامة لا بد أنها على حالها.

[3] Cf. Du Cange, Glossarium, s. v. Passeria.

[4] راجع الهبات التي قدمها أوستاش غرانييه Eustache Granier إلى دير الأربعين Quarantaine بالقرب من أريحا Jéricho، والمتعلقة بمطحنة: « ita ut in unoquoque xiiii° die cum nocte aquam sine dilatione haberemus »؛ ومن قبل أرملته: « ut in omni septimo die, videlicet die sabbati cum precedente nocte… aquam… haberemus » (E. de Rozière, Cartulaire de l’Église du Saint-Sépulcre, p. 222-223; Lois, t. II, p. 487-488, actes de 1116, 1124).

شبكة الري في قرية زوق بحنين



الوثائق

I - ١١٥١[1]

فلاندين Flandine (ابنة؟) ريمون دو مارغون Raymond de Margun تعطي للاسبتالية (التي عليها قبولها، على ما يبدو، بوصفها منذورة للخدمة في الرهبانية) وبموافقة ريمون الثاني، كونت طرابلس، وزوجته وابنه، المنازل التي تملكها في عرقة وحقلاً وقرية تيلوليوت Teileliout، التي تملك نصفها وتتصرف به (ص ٣٦٧) أما البقية فهي موضوعة كإقطاعة إلى غليوم دو غريون Guillaume de Grillon، وثلاث قرى في الجبل (جبرايل Gebraïl، بزبينا Bazbina، إيولاز

---

[1] النسخة الأصلية محفوظة بشكل سيء في أفينيون، متحف كالفيه، (ms. 4903, n° 1)، وهي ممهورة بختم الرصاص العائد للكونت ريمون الثاني. هناك نسخة عنها في: Sigillographie de l'Orient latin, pl. XV, n° 1.
بما أننا لا نتقن اللغة اللاتينية، اكتفينا بترجمة المقدمة التي وضعها المؤلف في مقدمة كل وثيقة، وببعض الحواشي التي أدرجها في تعليقاته على الوثيقة، تلك الحواشي التي وجدناها مفيدة للقارئ (المترجم).

Eiolaz)، وكذلك إقطاعة غليوم دو غريون: منازل في عرقة وحقل وقرية بيت ملات Beit Mellat التي صارت بحوزة غليوم من الاسبتالية.

الحاشية رقم ١، (حول اسم ريمون دو مارغون): مارغون Margun هي بالتأكيد مارغون Margon (Hérault, arr. Béziers, cant. Roujan)، سابقاً مارغون Margon أو مارغونك Margunc، حيث كانت توجد قلعة استولى عليها الفيديت Faidits في القرن الثالث عشر، وعائلة إقطاعية مشهودة منذ القرن الحادي عشر.

إن ترميم المقطع غير يسير (راجع أعلاه ص ٣٤١)؛ فكلمتا et sanctione توحيان بأمر ما مثل "de assensu… et sanctione".

الحاشية رقم ٢، (حول اسم ريمون الثاني): توفي ريمون الثاني عام ١١٥٢، زوجته هودريين القدس Hodriene de Jérusalem بنت الملك بودوين الثاني Baudouin II، وابنهما ريمون الثالث، كونت طرابلس المقبل.

الحاشية رقم ٣، (حول اسم Teileliout): غير معروفة. ثمة الكثير من القرى المجاورة لعرقة اسمها يبدأ بعبارة تل.

هل تكون بلدة التليل؟ هل لها صلة بموضع "التلات" بالقرب من عكار العتيقة؟ الأمر بحاجة إلى بحث ميداني. (المترجم).

الحاشية رقم ٨، (حول اسم Eiolaz): يمكننا اعتبارها إيلات Eilat الواردة على خريطة ر. دوسو R. Dussaud, Topographie historique (إيلات Ilate الواردة على الخريطة الفرنسية)، غربي جبرايل. تختلف بداهة إيولاز Eioulaz عن أيولا Aiola (حجولا Hejoula في جبال جبيل) مقر اسقف ماروني. راجع مقالنا: Questions de Topographie tripolitaine, Journal asiatique, 1948, p. 58.

(ص ٣٦٨) الحاشية رقم ٤، (حول أفراد من عائلة رينوار Raynouard): راجع حول هذه الشخصيات: W. H. Rudt de Collenberg, Les "Raynouard" seigneurs de Nephin et de Maraclée en Terre sainte, dans Cahiers de civilisation médiévale, t. VII, 1946, p. 289-310. – لم يكن رينوار صاحب طرطوس عندما وهب الكونت هذه المدينة التي استولى عليها نور الدين إلى الداوية (١١٥٢)، لكنه أصبح، من ثم، صاحب أنفة Nephin.

الحاشية رقم ٦، (حول جيلبير بويلوران Gilbert de Puylaurens): كان صاحب لاكوم Lacum وفيليسيوم Felicium (تل كلخ والفيليس) حتى العام ١١٤٤، وقد يكون صاحب جبل عكار. ولكن عودة ابنه المحتملة إلى الغرب وتملك جبل عكار في نهاية القرن الثاني عشر من قبل أحد أبناء عائلة أستافورتيس Astafortis (الذي تزوجت ابنته من رينوار أنفة عام ١٢٠٤) ما يحول دون أي تأكيد في الأمر.

الحاشية رقم ١٣، (حول روجيه القليعة Rgerius de Colea): هي القليعة Colée (al-Qulai'a)، قلعة شمالي غربي حصن الأكراد (nos Questions de Topographie tripolitaine) حصلت عليها الداوية في زمن مجهول؛ وليست بالأحرى القليعات al-Qulaiat شمالي عرقة (كما اقترح كلود كاهن في La Syrie du Nord): يبدو في الحقيقة أن هذا الاسم الأخير يطابق كوليات Coliath (القليعات) النصوص اللاتينية، وقلعة كوليكات castellum Culicath (القليعات) التي ذكرها ويلبراند دولدنبورغ Wilbrand d'Oldenburg على الطريق بين طرابلس وحصن الأكراد Peregrinatores medii aevi quatuor, éd. J. C. M. Laurent, 2e éd., Leipzig, 1873, p. 169.

II - ت[1] ١٢٠٩[1]

(ص ٣٦٩) أعطى غليوم بورسيليه، بموافقة زوجته لوريت وابنيه برتران وهوغ، إلى غارين دو مونتيغو، الرئيس العام للاسبتالية، وإلى الأخوة، حقوق سيادته على مالكومين، حيث كان له الحق بخدمة فارس طيلة نصف السنة.

(ص ٣٧٠) الحاشية رقم ١، (حول مالكومين Malcomin): موضع مفقود بجوار أرطوسية Artusce (أرض أرطوسي Ard Artousi).

الحاشية رقم ٦، (حول أبناء عائلة سارامان Saraman أو سالامان Salaman): عائلة معروفة منذ القرن الثاني عشر في محيط كونتات طرابلس (أربرتوس سارامانى Arbertus Saramanni يظهر من العام ١١٧٤ حتى العام ١١٩٨، بطرس Petrus في العام ١١٩٩، المدعو أموري سالامان Amaury Saleman من العام

---

[1] النسخة الأصلية موجودة في أفينيون، متحف كالفيه: ms. 4908, nº 3. مختوم على حبلين من القنب بختم من الرصاص، تم وصفه في : Sigillographie de l'Orient latin, p. 68, nº 161 et reproduite pl. XV, nº 2. Ed. ; F. Benoit, Les Porcellets de Syrie, p. 35-36.

١٢٢٧ حتى العام ١٢٤٢). لعل هوغ سالامان الوارد اسمه في عداد متمردي ١٢٥٨-١٢٥٩ خلف ابنة أدى زواجها (ص ٣٧١) من جان شقيق غي الجبيلي عام ١٢٧٦ إلى حرب قتل فيها غي وجان.

III - ١٤ شباط ١٢٤٨[1]

هوُ Hue الجبيلي بالتوافق مع زوجته ماري بورسيليه وابنهما برتران نذرا قداساً يومياً لراحة الموتى (de Requiem) في كنيسة الاسبتالية في طرابلس، مقابل ريع من ٥٠ بيزنت طرابلسي سنوياً، يتم تسديده شهرياً للكاهن الذي سيقوم بخدمة القداس بفضل عناية ماري، وبعدها ابنها برتران وذلك من دخل قرية بتوراتيج، المفروض عليها أيضاً ريع من ثلاث "قلل" من الزيت لتأمين الإنارة. ثبّت برتران الجبيلي هذه الهبة.

ترجمة العقد

ليكن أمراً معلوماً لكل الأحياء اليوم ولمن سيأتي بعدهم أني، أنا هوُ Hue الجبيلي، ابن برتران الجبيلي، بكامل وعيي، وبموافقة[2] ورضا زوجتي ماري بورسيله Marie porcelete وابني برتران، قد وهبت وقدمت وثبّت قداساً يومياً لراحة الموتى اعتباراً من اليوم وعلى الدوام، لراحة نفسي ونفس والدي وكل أتباعنا الموتى[3]؛ ويكون ذلك وينظم في مقر فرسان الاسبتالية في طرابلس؛ وتكون أتعاب[4] الكاهن بقيمة ٥٠ بيزنتاً طرابلسياً، من المقرر أن تؤخذ سنوياً من ريوع قريتي كازال بوتورافيش[5] kasal Bothorafich، ويتم دفعها إلى الكاهن شهرياً بمعدل ٤ بيزنت

---

[1] الأسلوب المعتمد لتعيين مطلع العام في عقود الشرق اللاتيني (باستثناء قبرص) يبدو أنه يعتمد الميلاد Noël: John L. La Monte, Feudal monarchy in the kingdom of Jerusalem, p. 126 – على أي حال، تبدو هذه الوثيقة من العام ١٢٤٨، لا العام ١٢٤٩.

النسخة الأصلية موجودة في أفينيون، متحف كالفيه: ms. 4903, n° 4 – مختومة على قطعة من الحرير الأحمر والأصفر بختمي: هوغ الجبيلي (موصوف في: Sigillographie de l'Orient latin, p. 45, n° 105; pl. XIV, (n°s 1 et 2 وبرتران الجبيلي (ibid, p. 45, n° 106; pl. XIV, n°s 3 et 4). راجع: Ed. : F. Benoit, Les Porcellets de Syrie, p. 36-37 – في هذه الطبعة الكثير من الثغرات. هذه الوثيقة بالفرنسية القديمة.

[2] إن o في عبارة o l'otrei et o l'assentement هي مع avec.

[3] Omnium fidelium defunctorum كمعادل لعبارة toz feaus defons.

[4] هذه العبارة (les "sous") فلوس- هي في النص (les sos)- دارجة الاستعمال في الشرق اللاتيني لتعني الأجور والضمانات.

[5] راجع حل هذه القرية (بتوراتيج Btouratige في الكورة) الحاشية الواردة لاحقاً:

و(٤ ك.[1] K) كل شهر، وذلك من قبل زوجتي ماري بورسيليه؛ وبعد وفاة زوجتي المذكورة يقوم بتأمين الأعباء المذكورة للكاهن ابني برتران، وورثته من بعده على الدوام، كما هو معين أعلاه[2]. ولأني أريد أن يبقى الكاهن مستقراً، فلا يحصل أي تغيير بعد وفاتي[3]، إن حصل أن بعض الورثة لم يرغب بالتكفل بالكاهن لتأمين القداس كما هو مبين أعلاه، فإني أعطي كل الصلاحية للاسبتالية بالحصول، من ريوع اقطاعتي التي حصلت عليها منهم[4]، على أتعاب الكاهن المذكور، والالتزام بجعله يقيم القداس الإلهي يومياً وعلى الدوام في كنيسة الاسبتالية في طرابلس، لراحة نفسي ونفس والدي وكل أتباعنا المتوفين، وأن تتعهد الاسبتالية بعدم نقل الكاهن المذكور إلى اي مكان آخر، بل يبقى ليقيم يومياً وعلى الدوام في مقر الاسبتالة في طرابلس القداس الإلهي؛ كما إني أقدم وأهب ثلاث قلل[5] coles من الزيت سنوياً وعلى الدوام لإنارة المصباح، ليلاً نهاراً، في كنيسة الاسبتالية في طرابلس، ويتم تأمين هذا الزيت من ريع قريتي كازال بوتورافيش Kasal Bothorafiche؛ ومن أجل أن تكون هذه الهبة كما هو مبين في هذه الوثيقة ثابتة ومستقرة على الدوام فإني أضمنها وأثبّتها بخَتمها بختمي الرصاصي. وأنا، برتران، ابن هوُ Hue الجبيلي المذكور، من أجلي ومن أجل السيدة أمي، نثبت هذه الهبة كما

---

[1] قرأ ف. بنوا F. Benoit هنا الحرف R كمختصر لكلمة rabouin رابوين؛ ولكننا نعتقد بجد أننا وجدنا الحرف K كمختصر لكلمة Karoubles كاروبل (أو carats قيراط)، وهي وحدة حساب كانت تعادل ١ على ٢٤ من البيزنت.
توضيح من المترجم: رابوين rabouin عملة نحاسية أو برونزية كانت تساوي ٣ سو (sols, sous)، كما تعادل ربع البيزنت، راجع: Frédéric Godefroy, Dictionnaire de l'ancienne langue française et de tous ses dialects du IX^e au XV^e siècles, 1892, p. 532. وكل سو يعادل ١ على ٢٠ من الليبرة livre، هذه العملة القديمة التي تمثل كمية من الفضة تتراوح بين ٣٨٠ و٥٥٠ غراماً. أما كلمة carat أو karat فهي "من العربية قيراط qîrat، من اليونانية كيراتيون، من اللاتينية كيراتيوم..."، راجع الحاشية رقم ٤ من: Dictionnaire Historique de l'Ancien Langage François, t. 3, 1877, p. 230
يبدو أن قراءة جان ريشار هي الصائبة لأن ٤ رابوين شهرياً تعادل بيزنتاً ما يعني رفع الكمية (٤٨+ ١٢) إلى ٦٠ بيزنتاً في السنة. بينما مجموع ٤٨ كاروبلاً تعادل (كاروبلات ٤*١٢)÷ قيراط واحد من ٢٤ يساوي ٢ بيزنت فقط؛ ما يعطي مجموعاً سنوياً قيمته ٥٠ بيزنتاً.

[2] يبدو أن بتوراتيج جاءت أساساً من الجبيليين، لا من عائلة بورسيليه: إن الإجراءات التي يتخذها هنا هوُ Hue الجبيلي تدفع إلى اعتبارها كتنظيم مسبق لتوزيع الميراث.

[3] كان الكاهن يتمتع بما يُمكن أن نسميه في الشرق اللاتيني "دستوراً"، اي كموظف بسيط.

[4] تم الحصول على بتوراتيج كإقطاعة من الاسبتالية؛ فهل يُلمح هوُ Hue إلى مجمل الإقطاعات التي حصل عليها من الاسبتالية؟

[5] وحدة المكاييل هذه المستخدمة للزيت لم نسمع بها قبلاً. كما أن مسرد دو كانج Du Cange يذكر كولوم colum (أو كولا cola)، كوعاء صغير أو قنينة، ما لا يتفق مع المقصود هنا.

هو مبين في وثيقتها، بكل رضا وبدون سوء نية[١] وبكامل الثقة، ولذلك وضعت على هذه الهبة ختمي الرصاصي[٢] بجانب ختم سيدي.

(ص ٣٧٣) ضامنو هذه الهبة: ريمون مرقية[٣] Raimond de Maraclee؛ فيليب إيستوماك Phelippe Estomac؛ ريمون دده[٤] Raimond Dedde؛ الأخ جيرو Giraud، كاهن حصن الأكراد[٥] Crac؛ الأخ مارتن سانشه Martin Sanche، آمر الفرسان في مقر الاسبتالية في طرابلس[٦]؛ الأخ بيير شافانيل Pierre Chavanele؛ الأخ روبير لو هونغر Robert le Hongre؛ الأخ غليوم مارين Guillaume Marin؛ سيمون أرسوف لو شوفالييه Simon d'Arsouf le Chevalier؛ توماس الناصري Thomas de Nazareth؛ بيير Pierre كاهني. تم تحريره في اليوم الرابع عشر من شهر شباط سنة ١٢٤٨ ميلادية.

IV - أيار ١٢٧٤، عكا[٧]

بغية وضع حد للمشاكل التي تنشأ بين الاسبتالية وبارتيليمي الجبيلي حول المياه المسحوبة من نهر البارد (العائد إليه)، وتمر في الجدول القائم أمام بافاني، منح

---

[1] هذه الصيغة الواردة هنا (sans mal enging) وكثير غيرها (ابتداءً من صيغة البداية: "coneue chose seit" "ليكن أمراً معلوماً") تذكر بالعقود المكتوبة بلغة البروفنس أو باللاتينية في جنوبي فرنسا.

[2] على هذا الختم يضع برتران الجبيلي شعار أسلحة عائلة بورسيليه، في وقت كان ما يزال فيه والده حياً.

[3] اقترح السيد دو كولنبرغ de Collenberg أن يكون ريمون شقيقاً أصغر للسيد ميليور الثاني دو رافنديل Melior II de Ravendel، صاحب مرقية (Les 'Raynouard", sires de Nephin et de Maraclé, tab. gén. A). فضلنا اعتماد مؤلف Lignages الذي يجعل ريمون وأخيه هوغ Hugues أعضاءً في فرع ثانٍ لعلئلة مرقية القديمة وأصلها من ميين Meynes. ولعلهما ابنا غليوم مرقية Guillaume de Maraclée وهو ابن المدعو رايونار. راجع: W. H. Rudt de Collenberg, ouvrage cité, p. 293. والإثنان مذكوران في عداد الفرسان المعارضين لبوهيموند الخامس عام ١٢٥٨-١٢٥٩. ويذكر مؤلف Lignages المدعوة كلارنس أنجلييه Clarence Angelier كزوجة لريمون والمدعوة إزابو أنجلييه Isabeau Angelier كزوجة لابنه Thomas، ويؤكد أن أنه كان لهذا الأخير من بين أبنائه بنت، مارغيريت Marguerite، تزوجت توماس موغاستيل Thomas Maugastel؛ ولكن زواج هذه الأخيرة كان قد حصل عام ١٢٤١ (Regesta, n° 1104)، وثمة مقطع آخر في مؤلف Lignages يجعل من مارغيريت هذه المدعوة بيكيني Picquigny (ص ٤٦٦): يبدو جلياً أنه لا بد من وجود التباس هنا.

[4] يرد ريمون إده وفيليب إستوماك Philippe Estomac في عداد متمردي ١٢٥٨-١٢٥٩؛ ويرد اسم يوحنا دده Johan Dedde كشاهد عام ١٢٤٣ على عقد جان الجبيلي Regesta, n° 113. إده اسم قرية في الكورة، في قضاء طرابلس؛ وقرية شمالي سمار جبيل؛ وقرية قريبة من جبيل. وعليه من الصعب تعيين القرية المقصود باسم هذه العائلة.

[5] راجع: P. Deschamps, Le Crac des Chevaliers, p. 141 حيث يذكر المدعو أرنو دارين Arnaud d'Arène ككاهن للحصن عام ١٢٤٧، وكذلك: J. Riley-Smith, The knights of Saint-John, p. 431.

[6] نعثر على مارتن سانشيه كمسؤول عن الملابس عند الاسبتالية في عقد بتاريخ ٧ آب ١٢٤٨ (Cartul. gén. T. II, p. 673-675)؛ ويبدو أنه ترقى إلى هذا الموقع، نظراً لأهميته، بعد أن كان آمر الفرسان في طرابلس.

[7] النسخة الأصلية: أفينيون، متحف كالفيه ms. 4903, n° 5 - مختوم على شريط من الحرير الأحمر والأخضر بختم موصوف في: Sigillographie de l'Orient latin, p. 46, n^{os} 106, 107 et 108, et reproduite pl. XV, n° 3. (النص بالفرنسية القديمة).

بارتيليمي للرئيس العام للاسبتالية هوغ ريفيل Hugues Revel حق الاسبتالية بالاستفادة من هذه المياه أسبوعياً من منتصف نهار الأحد حتى منتصف ليل الأربعاء، ويحتفظ لنفسه باستعمالها بقية الأسبوع. ويتعهد بصيانة الجدول من حدود بافاني وموكومين Maucomin حتى أرطوسية، بينما تتعهد الاسبتالية (ص ٣٧٤) بأن تتحمل كلفة الصيانة معه لبقية المسافة، وكذلك تشترك بكلفة الشاوي الذي يسهر على الجدول.

ترجمة العقد

الامتياز المتعلق بقناة المياه التي تمر أمام بافاني.

ليعلم الجميع الآن وفي المستقبل أني، أنا بارتيليمي الجبيلي، ابن برتران الجبيلي، من أجل فض نزاعنا مع الاسبتالية حول المياه المسحوبة من نهر أرطوسية مُلكي، والتي تمر بالجدول أمام بافاني[١]، لقد تم التوافق بيني (مع ورثتي) وبينكم أيها الأخ هوغ ريفيل[٢] Hugues Revel، الرئيس المبجل للاسبتالية (أنتم وخلفكم ومقركم المذكور أعلاه)، توافقاً دائماً حول المياه المذكورة أعلاه، بحيث أنكم ومقركم المذكور تحصلون أسبوعياً على نصف المياه التي تمر عبر ذلك الجدول، وأحصل أنا وورثتي على النصف الباقي. وذلك بأن تحصلوا على المياه الجارية في الجدول من منتصف نهار الأحد حتى منتصف ليل الأربعاء القادم، وتتصرفون بها كما تشاؤون؛ وأحصل أنا وورثتي على كل المياه الجارية في الجدول من منتصف ليل الأربعاء، أي الخميس الآتي، حتى الأحد القادم في منتصف النهار، ونتصرف بها كما نشاء. ونقوم على نفقتنا بصيانة الجدول ومجرى المياه من حدود بافاني وموكومين[٣] Maucommin حتى أرطوسية، وتكون كلفة صيانة "سد التحويل"[٤] وبقية مجرى الجدول من أمام الحدود المذكورة بين بافاني وموكومين إلى الأمام[٥] مشتركة

---

[1] حول أسماء الأمكنة هذه (لا شك بأنها أرض أرطوسية Ard Artousi وبحنين Bhanine على ضفاف نهر البارد الفاصل بين قضاء طرابلس وقضاء عكار). راجع سابقاً صفحة ١٣.

[2] كان الرئيس العام للاسبتالية بين ١٢٥٨ و١٢٧٧.

[3] تتعين موكومين بداهة مع مالكومين العائدة للعام ١٢٠٩، راجع سابقاً صفحة ١٤. (divisio) "Devise" تعني الحدود بين عقارين (بيان الحدود).

[4] راجع حول معنى هذه العبارة الصفحة ١٧.

[5] هل يجب أن نفهم عبارة En avant بمعنى أسفل النهر en aval؟ لا نعتقد ذلك. فأرض أرطوسي قريبة جداً من البحر، وبالتالي يجب أن ينفصل الجدول عن النهر فوق مالكومين، ليمر عبر بافاني قبل أن يصل إلى أرطوسية.

على عاتقكم مع مقركم وعلى عاتقنا مع ورثتنا، كلما اقتضى الأمر، وذلك في أيامكم[١] (ص ٣٧٥) كما في أيامنا، وفي أيامنا كما في أيامكم. كما أننا نشترك معكم في تغطية كلفة الشاوي طيلة السنة لحراسة وتشغيل "سد التحويل" والجدول المذكور. ومن أجل ضمان الالتزام والاستمرار دوماً وبثبات، من قبلي ومن قبل ورثتي، بالأمور المذكورة أعلاه كما هي موزعة، وكيلا يكون ممكناً في أي ظرف أن يظهر من جانبكم وجانب خلفائكم أو مقركم أي معارضة لي ولورثتي، منحت هذا الامتياز وختمته بختمي الرصاصي الموسوم بحقوقي القانونية مع ضمانة أتباعي الواردة أسماؤهم الآتية: يوحنا دو مونتينياك Johan de Monteniac، صاحب المنيطرة[٢] Monaitre؛ نيكول مرقية[٣] Nichole de Marecle؛ غوتييه دو بروس[٤] Gautier de Brousse؛ روجييه القليعة[٥] Rogier de la Colée؛ غليوم، صاحب كورنيول[٦] Corniole؛ يوحنا دو طابور[١] Johan de Tabore؛ باليان بانسار Balian Pansart. حُرِّر في عكا، في شهر أيار سنة ١٢٧٤ ميلادية.

---

[1] أيام استفادة الاسبتالية من المياه: هذا هو المقصود بعبارة "Journaus".

[2] تتحكم المنيطرة Moinetre بواحد من ممرات لبنان، وما تزال إلى اليوم قائمة ضيعة المنيطرة Munaitira ou Moneitré فوق مغارة أفقا Afqa بالقرب من قرطبا Kartaba. راجع: P. Deschamps, Le Crac des Chevaliers, p. 30. كان هذا الحصن يعود إلى عائلة مونتينياك Montignac التي نعرف بعض أبنائها: هيربرت دو مونتينياك Herbert de Montiniac الشاهد على عقد يتعلق بعرقة في العام ١١٧٠؛ جان دو مونتينياك Jean de Monteignach الشاهد مع برتران بورسيليه عام ١٢٣٦، والذي سيتم تعيينه بأنه "يوحنا، صاحب مونيم" « Johan, sire de moneme » (كذا)، وهو من أتباع هوُ Hue الجبيلي عام ١٢٥٩ (Regesta, n° 1272). ولعله هو الذي تزوج من أليس Alis، بنت غليوم، فيكونت طرابلس، وبنت الزواج الأول لماري بورسيليه مع لينار دو باف Linart de Baphe (Lignages, p. 458-459). وتزوجت أن دو مونتينياك Anne de Montignac من غليوم الجبيلي، ابن هوغ الجبيلي، صاحب بشمزين Besmedin وأنييس دو هام Agnès de Ham.

[3] لعل نقولا مرقية Nicolas de Maraclée ابن ريمون مرقية Raymond de Maraclée– متمرد العام ١٢٥٨-١٢٥٩- وكلارنس أنجلييه Clarence Angelier (كانت عائلة أنجلييه من خيالة الجبيليين المشهودة بين عام ١٢١٢ وعام ١٢٤١، والتي ارتبطت بروابط عديدة مع المرقيين Maraclée الذين استقروا بالتأكيد في جنوبي الكونتية: تزوج هوغ، شقيق ميليور مرقية Meillior de Maraclée من شقيقة انجلييه الجبيلي Angelier de Gibelet، وتزوج حفيده ريمون من كلارنس أنجلييه). ولعله تزوج "بنت هنري بليفن Henri Plivain" (Lignages, p. 467): قريبة بيزان بليفن Pisan Plivain، صاحب البترون.

[4] يشهد المدعو يوحنا دو بروس عام ١٢٥٩ على عقد هوُ Hue الجبيلي، وذلك بصيغة بروس Brousse، كما يرد اسمه في عقد لنفس الشخص هوُ Hue بتاريخ ١٢٦٤.

[5] سبق أن ورد اسم روجيه القليعة Roger de la Colée (ثمة اسم مشابه في العقد الأول من وثائقنا) عام ١٢٦٤ كتابع إلى هوُ Hue الجبيلي. ولقد قطع رأسُه في واحدة من المواقع مع بوهيموند السابع، عام ١٢٧٦ (Gestes des Chiprois, § 393, p. 783)؛ يشهد الفارس جاك القليعة Jacques de la Colée عام ١٢٨٦ على عقد يعود إلى بارتيليمي الجبيلي (Regesta, n° 1467)؛ وهو ليس نفس حامل ذات الاسم المذكور عام ١٢٦٣ (Ibid., n° 1327). وفي ٣ آب ١٣٠٢ كان المدعو توماس القليعة Thomas de la Colée يتصرف في قبرص كوكيل لأميرة أنطاكية ماري القدس Marie de Jérusalem، (Gênes, Archivio notarile, Antonio Fellone, fol. 36).

[6] كورنيول Corniole غير معروف؛ يظهر هذا الشخص عامي ١٢٦٤ و١٢٧٤ في عقود عائلة الجبيلي-بورسيليه Gibelet-Porcelet. يجب ان نقاربه بدون شك بالمدعو و. دو كورنيليون W. de Cornelione الشاهد عام ١١٤٥

V - أيار ١٢٧٤، عكا[٢]

(ص ٣٧٦) يعطي بارتيليمي الجبيلي إلى رئيس الاسبتالية، مقابل مياه النهر التي كان هوُ Hue الجبيلي قد قدمها للاسبتالية لري أراضيهم الكائنة أمام طرابلس، ريعاً سنوياً من ٣٠ بيزنتاً طرابلسياً، مأخوذة من مدخول قريتَي سربوني Serbonie ومعربون Maarbon اللتين أقطعتهما الاسبتالية له، وعند اللزوم من مدخول قرية بقرقاشا Bacarcasse التي أقطعتهما الاسبتالية له أيضاً.

ترجمة العقد

امتياز ٣٠ بيزنتاً على القرية المسماة بقرقاشا Bacarcasse.

ليعلم الجميع الآن وفي المستقبل أني، أنا برتيليمي الجبيلي، ابن برتران الجبيلي، للمحافظة على الصداقة التي أقامها أجدادي مع الاسبتالية، ومن أجلي أنا وورثتي بادلت مع الأخ هوغ ريفيل، الرئيس المبجل للاسبتالية، مقابل الهبة والكفارة التي كان قد قدمها جدي هوُ Hue الجبيلي لكم أيها الرئيس المذكور وإلى مقركم[٣] وهي مياه النهر الذي كان يملكه أمام طرابلس، بغية ري أراضيكم المروية[٤] التي كنتم تملكونها أمام طرابلس مقابل ٣٠ بيزنتاً طرابلسياً[٥]، سنوياً وعلى الدوام، وبناءً عليه، أنا بارتيليمي المذكور قررت وأقرر بنفسي وباسم ورثتي لكم أيها الرئيس المذكور ولخلفائكم ولمقركم وآمر فرسانكم أن تحصلوا على الثلاثين بيزنتاً المذكورة سنوياً وعلى الدوام في شهر (ص ٣٧٧) أيلول من ريوع القرى التي حصلت عليها منكم

على عقد كونت طرابلس ريمون الثاني، وغليوم كورنيول Guillaume de Corniol المذكور عام ١١٥٢ (Riley-Smith, The Templars and the Castle of Tortosa, p. 287).

[1] تابور Tabore غير معرف من قبلنا. ثمة هوغ دو تابور Hugues de Tabore شاهد مع برتران بورسيليه عام ١٢٣٦، وجاك دو تابور في عداد البارونات المتحالفين عام ١٢٥٨-١٢٥٩.

[2] النسخة الأصلية: أفينيون، متحف كالفيه ms. 4903, n^{o} 6- مختوم على شريط من الحرير الأحمر والأخضر بختم بارتيليمي الجبيلي. راجع الوثيقة أعلاه، الرقم IV. (النص بالفرنسة القديمة).

[3] لا بد أن هذه الهبة قد تقررت بشروط مشابهة للعقد رقم ٤. وهي لم تصلنا، إذ لا شك بأن العقد قد تمزق عندما استعاد بارتيليمي حقوقه على مجرى الماء. كان "السهل أمام طرابلس" (السهل الواقع بين طرابلس وجبل الحجاج وإلى الشمال الغربي منه) خصباً للغاية.

[4] راجع سابقاً الصفحة ١٦، الحاشية رقم ٩٣.

[5] من المعروف أن البيزنت هي القطع النقدية الذهبية من النوع العربي التي كان يستعملها الصليبيون الذين يسكون في عكا البيزنت السرازيني sarrasinois (المسلم، الشرقي) وفي طرابلس البيزنت الطرابلسي (Cartul. gén., III, n^{o} 8198: "bisantiis Tripolitanis ad pondus Tripolitanum". راجع: P. Balog et J. Yvon, Monnaies à légendes arabes de l'Orient latin, dans Revue numismatique, 1958. p. 133-168.

ومن مقركم، اي من سربوني Serbonie ومعربون[1] Maharbon. وإن حصل ولم يتم تسديد كامل كمية البيزنت المعينة أعلاه من القرى المذكورة بكاملها أو جزئياً، اتعهد لكم باسمي وباسم ورثتي بتسديد النقص من ريوع قريتي بقرقاشا[2] Becarcasse، التي حصلت عليها كلها منكم ومن المقر. إن حصل ولم يتم تسديد كامل المبلغ من جميع القرى المذكورة في أي سنة من السنوات لأي سبب كان يتم التسديد في السنوات اللاحقة. ونمتنع أنا وورثتي عن كل قانون أو أسباب أو أفعال أو استثناء أو امتياز أو حيلة قانونية أو تسامح أو رسائل بابوية مطلوبة أو يمكننا طلبها وعن كل دعم واستفادة من القانون المكتوب والأعراف والتي يمكننا أنا وورثتي في أي وقت وبأي طريقة الاستعانة بها لمناقضة هذا التبادل المذكور أعلاه، كلياً او جزئياً. ولأني، أنا السابق الذكر بارتيليمي الجبيلي، أريد أن يكون الالتزام بالمبادلة المذكورة أعلاه بالطريقة المحددة بها صارماً ومستقراً على الدوام، بحيث أنه لا يمكنني شخصياً ولا أحد من ورثتي الاعتراض عليها جزئياً أو كلياً، فإني عملت على تحرير هذا الامتياز وذيلته بخاتمي الرصاصي الموسوم بحقوقي القانونية، مع ضمانة أتباعي الواردة أسماؤهم الآتية: يوحنا دو مونتينياك، صاحب المنيطرة؛ نيكول مرقية؛ غوتييه دو بروس؛ روجييه القليعة؛ غليوم، صاحب كورنيول؛ يوحنا دو طابور؛ باليان بانسار. حُرِّر في عكا، في شهر أيار سنة ١٢٧٤ ميلادية.

VI - ١٢٧٤، عكا[3]

عاد بارتيليمي الجبيلي إلى عقد البيع إلى الاسبتالية الذي وضعه جده هوُ Hue الجبيلي، وتحت ضغط ديون قرية (ص ٣٧٨) بتوراتيج والأسهم pareillées الخمسة

---

[1] شبرونيه Chabrounieh ومعربو Maarbo، موضعان واقعان غربي تل كلخ. راجع سابقاً ص ١٤.

[2] بقرقاشا Beqarqasha بالقرب من بشري Bcharré. يرد هذا الاسم، في تحليل أجراه ريبو Raybaud لعقد مفقود (Inventaire des pièces de Terre sainte, n° 215)، ولكن مع قطع سيء داخله (Baqueer, Quasse) ما حال دون تعرف الباحثين عليه، وكان آخرهم السيد ريلي-سميث: Riley-Smith, The knights of Saint-John, p. 494-495 – راجع سابقاً ص ١٤، الحاشية ٨٣.

[3] النسخة الأصلية: أفينيون، متحف كالفيه ms. 4903, n° 7- مختوم على شريط من الحرير الأبيض والأحمر بختم بارتيليمي الجبيلي. راجع الوثيقة أعلاه، الرقم IV. النص بالفرنسية القديمة.

حلل ريبو Raybaud وثيقة هو Hue الجبيلي: Delaville Le Roulx, Inventaire des pièces de Terre sainte, dans Revue de l'Orient latin, t. III, p. 99, n° 332, reproduit dans le Cartulaire général de l'ordre des Hospitaliers, t. III, p. 93, n° 9106.

عشرة من قطعة الأرض المعروفة باسم حقل المنزل Champs de la Maison أمام طرابلس، بقيمة ١٢٠٠٠ بيزنت إسلامي (٩ ت[١] ١٢٦٤)، فثبت إجراءاته وتنازل عن ١٥ سهماً أخرى، أمام طرابلس، كان باعها للاسبتالية ريمون الجبيلي.

ترجمة العقد

تثبيت القرية المدعوة بوترافيس Botrafis.

انا بارتيليمي الجبيلي أعلن، لجميع الموجودين اليوم وفي المستقبل، أنه لما كان جدي، الفارس النبيل السيد هوُ Hue الجبيلي، وقد أرهقته الديون الكثيرة وبغية تسديد التعويض المتوجب عليه لدائنيه، ولما لم يكن عنده من الأملاك المنقولة ما يفي بتسديد الدين المذكور[١]، فإنه باعكم، بيعاً نهائياً باسمه وباسم ورثته، أيها الكاهن الشريف الأخ هوغ ريفيل، رئيس الاسبتالية، وإلى الدير التابع لمقركم، وإلى خلفائكم، قريته التي كان يملكها في "منطقة طرابلس"[٢]، والمدعوة بوترافيس[٣] Botrafis، والمحدودة من جهة بقرية أسقف طرابلس المسماة هاب Hab وقرية كفرقاهر Kapharcaher وهي قرية للأسقف المذكور[٤]، ومن جهة أخرى قرية هير Hyr لمالكها صاحب البترون[٥] Boutron، ومن جهة ثالثة بمجملها لقرية جدي المذكور (ص ٣٧٩) والمدعوة عابا[٦] Habe، بكل توابعها وحقوقها، وباع ١٥ سهماً

[1] لم تذكر هذه الذرائع في البيع الذي أجراه نفس السيد هوُ Hue بتاريخ ١٤ نيسان ١٢٥٩، إلى نفس الاسبتالية، والمتعلق بنفس القرية و"حقل المنزل" Champ de la Maison، وهو بيع استثنى منه ثلاث رجال وسكة من الأرض، في بتوراتيج، مع أفنان أرض الداوية؛ كان البيع قد حصل بقيمة مبلغ أقل بكثير: ٥٠٠٠ بيزنتاً طرابلسياً: Cartul. gén., t. II, p. 867-868, n° 2915

[2] جاء في نص عقد العام ١٢٥٩ “en la core de Triple” أي في الكورة، هذه الوادي الخصبة الممتدة جنوبي طرابلس.

[3] هي اليوم بتوراتيج Btouratige (ورد اسمها في العصور الوسطى بصيغ متعددة: بوترافيس Botrafis، باتورافيش Bathorafiche، بيتورافيج Béthorafig) في نفس وادي الكورة. ولقد قام بتعيينها ر. دوسو في مؤلفه: Topogr. Hist., p. 86

[4] هاتان القريتان من أملاك أسقف طرابلس. وحدها القرية الثاني كفر قاهل Kfar Kahel ما تزال قائمة شرقي بتوراتيج. أما الثانية هاب Hab فقد اضمحلت.

[5] انتقلت سنيورية البترون Boutron (Batroun) من بيزان بليفين Pisan Plivain، زوج بنت غليوم دوريل Guillaume d’Aurel، المشهود من ١١٨١ حتى ١٢٠٦، إلى صهره بوهيموند الأنطاكي Bohémond d’Antioche، وبقيت ملكية فرع ثانٍ من العائلة الأميرية (cf. Lignages, p. 468). أما بوهيموند الأنطاكي الذي كان كونستابل مملكة القدس، عندما انعزل مع هوُ Hue الجبيلي، فقد كان صاحبها حتى العام ١٢٦٢؛ وخلفه جان الأنطاكي Jean d’Antioche عام ١٢٧٧. وأما هير Hyr أو هاير Hayr الواقعة غربي بتوراتيج فهي قرية مضمحلة اليوم.

[6] تعود عابا Aba (Habe ou Haabe) إذاً، وهي جنوبي بتوراتيج، إلى هذا الفرع من عائلة الجبيلي.

من أرض جدي المذكور التي كان يملكها في السهل أمام طرابلس[1] والمعروفة باسم "حقل المنزل" Champ de la Maison والكل لقاء مبلغ ١٢٠٠٠ بيزنتاً إسلامياً التي قبضها جدي السيد هوُ Hue منكم أيها الرئيس المذكور ومن دير الاسبتالية المذكور؛ ومثلما أقر السيد جدي المذكور لكم وللدير المذكور بعقد بيع القرية المذكورة والأسهم الخمسة عشرة، فإن مضمون العقد يكون كالآتي.

أنا هوُ Hue الجبيلي أعلم جميع الموجودين الآن وفي المستقبل أني وقد أرهقتني الديون الكثيرة التي أعجز عن تسديدها إن لم أبع أملاكي الثابتة أو أتنازل عنها لأنه لم يكن عندي من الأملاك المنقولة ما يكفي للتسديد وتعويض الأضرار المطلوب مني تسديدها لمن أدين لهم، فقد بعت بكل رغبتي وإرادتي وأبيع بيعاً أبدياً باسمي وباسم ورثتي وخلفائي لكم ايها الأخ هوغ ريفيل، الرئيس المبجل للاسبتالية وإلى ديركم قريتي التي املكها في منطقة طرابلس والمدعوة بوترافيس، والمحدودة من جهة بقرية أسقف طرابلس المسماة هاب Hab وقرية كفرقاهر Kapharcaher وهي قرية للأسقف المذكور، ومن جهة أخرى قرية هير Hyr لمالكها صاحب البترون Boutron، ومن جهة ثالثة بمجملها لقرية جدي المذكور والمدعوة عابا Habe، بيعاً خالياً من كل الحقوق والخدمات ومن كل أنواع التعويض، بكل توابعها وحقوقها، مهما كانت بالرجال والنساء والأطفال، والأرض المزروعة وغير المزروعة، بسهولها وجبالها ووديانها وغاباتها وكرومها وحقولها ومياهها وسواقيها ومراعيها ومطاحنها وأفرانها[2]، وبجميع حقوقها ومكوسها وكل ما هناك من حقوق قانونية للقرية المذكورة متمتعة بها أو من حقها التمتع بها؛ وأبيع ١٥ سهماً من الأرض التي أملكها (ص ٣٨٠) في السهل أمام طرابلس[3] والمعروفة باسم "حقل المنزل" Champ de la Maison. لقد بعت كما هو مبين أعلاه هذه القرية والأسهم الخمسة عشرة المذكورة لقاء مبلغ ١٢٠٠٠ بيزنتاً إسلامياً التي أعترف وأقر أني قبضتها

[1] راجع حول الساهل الواقع بين طرابلس وجبل الحجاج (أبي سمراء): J. Richard, Le chartier de Sainte-–Marie- Latine et l'établissement de Raymond de Saint-Gilles à Mont-Pèlerin, p. 605-612. وراجع، حول عبارة "أسهم" pareillées، الصفحة ١٦.

[2] في هذا التعداد لحقوق الإقطاعية تعني عبارة افرانها الفران العادية.

[3] راجع حول الساهل الواقع بين طرابلس وجبل الحجاج (أبي سمراء): J. Richard, Le chartier de Sainte-–Marie- Latine et l'établissement de Raymond de Saint-Gilles à Mont-Pèlerin, p. 605-612. وراجع، حول عبارة "أسهم" pareillées، الصفحة ١٦.

منكم، أيها الرئيس العام المذكور ودير الاسبتالية كثمن للقرية والأسهم، وقد حُسبت جيداً وتم وزنها بالعملة المسكوكة في عكا[١]. وكل ما لي من سيادة وحقوق على القرية المذكورة وعلى الأسهم الخمسة عشرة تنتقل مني ومن ورثتي وخلفائي بيعاً، وبموجب البيع أقدمها لكم، باسمي وباسم ورثتي وخلفائي، أيها الرئيس العام المذكور ولديركم ولخلفائكم، بحيث تملكون ملكاً ابدياً القرية والأسهم المذكورة مع كل توابعها وحقوقها كما هو مبين أعلاه، ولكم الحق باستغلال ثمارها وريوعها وبيعها ورهنها وتأجيرها واستعمالها كما ترغبون كما لو أنها من ممتلكاتكم الخاصة شأنها في ذلك كباقي ممتلكات مقركم. وأقر وأتعهد وألتزم لكم أنا وورثتي وخلفائي بضمان والدفاع عن القرية والأسهم المذكورة مع كل ملحقاتها من كل نزاع ومساءلة وشكوى قد تعترضكم حولها، والالتزام أبدياً التزاماً ثابتاً ومستقراً بالبيع المذكور كما هو مبين أعلاه. ونتعهد بعدم الاعتراض بأي شكل كان، كلياً او جزئياً، وإلا تعرضنا إلى مضاعفة المبلغ المذكور أعلاه، وإزاء هذا الشرط الجزائي أكون ملزماً بأن أقدم لكم كل ما أملكه أو سأملكه من أملاك منقولة وغير منقولة، مهما كانت وأمتنع عن اللجوء إلى أعراف كونتية طرابلس[٢] وكل (ص ٣٨١)... ولأني أريد أن يتم الالتزام بالأمور الواردة والمعينة أعلاه وأن تكون مستقرة على الدوام بثبات، وأن لا نسعَ أنا وورثتي وخلفائي من معارضتها كلياً أو جزئياً، عملت على تحرير هذا العقد وختمته بختمي الرصاصي الموسوم بحقوقي القانونية ومع ضمانة أتباعي الآتية أسماؤهم: يوحنا دو بروس، روجيه القليعة، غليوم دو كورنيول، توماس بوناكور[٣] Thomas Bonacors. تم تحريره في اليوم التاسع من ت[١] سنة ١٢٦٤ ميلادية.

---

[1] مقياس وزن عكا الذي كان يتم به وزن البيزنت الإسلامي والذي أعطى قيمته بيغولوتي في: Pegolotti, Pratica della mercatura. Cartul. gén., t. III, no 3197, p. 128, 1265: “in civitatem Acconensi… septuagintos sarracenatos auri, ad rectum pondus civitatis ejusdum”.

[2] هذا الإشارة، والإشارة الثانية الواردة في نفس العقد، هي الوحيدة التي وصلتنا والتي تفيد بوجود أعراف خاصة بكونتية طرابلس، وهي أعراف نجهل خصائصها، هذا إذا ما إذا كانت مختلفة عن الأعراف التي حفظها "دستور القدس" Assises de Jérusalem و"دستور أنطاكية" Assises d’Antioche.

[3] لقد تم تعيين كل هذه الشخصيات سابقاً، باستثناء توماس بوناكور. ثمة بوناكور معروف كان شاهداً عام ١٢٢٨ على عقد بوهيموند السادس .(Regesta, n° 989).

أنا المذكور سابقاً بارتيليمي الجبيلي أقر وأثبت باسمي وباسم ورثتي، بكل رضا وبإرادتي، بيع القرية والأسهم الخمسة عشرة المذكورة (مع كل الشروط الواردة التي قدمها السيد هوُ Hue جدي... أيار ١٢٧٤)[١].

الملحق: نص فرانسوا بينوا

عائلة بورسيليه في سورية[٢]

(ص ٣٣) من المعروف أن العثور محفوظات عائلة بورسيليه Porcellets، وهي من أعرق عائلات مقاطعة بروفنس (الفرنسية)، قد تم في ظروف خيالية عند بوكيروا Beaucairois، شخصية غامضة هي ممثلة لآخر أبناء هذه العائلة المشهورة. ولحسن الحظ فقد حفظها لنا بول مارييتون Paul Mariéton الذي حصل عليها: بعد وفاته انتقلت بحكم وصيته إلى متحف كالفيه[٣] Musée Calvet.

إن أقدم وثائق هذا الإرث من المحفوظات (الذي يتيح إمكانية كتابة تاريخ عائلة بورسيليه) تتعلق بفرع من هذه العائلة استقر في سورية، في المرحلة الصليبية في أيام غودفروا دو بويون Godefroy de Bouillon. ومن بين الفرسان الذين استجابوا لنداء البابا أوربان الثاني Urbain II، ألتف حول ريمون الصنجيلي Raimond de Saint-Gilles، كونت تولوز، العديد من فرنسيي الجنوب Méridionaux من بروفنس Provence ولانغدوك Languedoc. وأقطعهم ريمون الصنجيلي في المقاطعة التي أحرزها في وسط مملكة القدس، في كونتية طرابلس، هذا الإقليم

---

[1] ثمة تكرار لنفس الشروط والعبارات الواردة سابقاً، وهي أصلاً مكررة، فلم نجد ضرورة لترجمتها مجدداً (المترجم).

[2] المرجع: Fernand BENOIT, Les Porcellets de Syrie, dans Institut historique de Provence, III: Congrès de Marseille 4-7 avril 1929, Comptes rendus et memoires, Marseille, 1930, p. 33-37.

لم نتمن من الحصول على هذا المرجع في لبنان، فزودنا بالنص مشكوراً المهندس جوزيف ميشيل عبدو المقيم في باريس، ما اقتضى التنويه والامتنان (المترجم).

[3] ورث متحف أرلاتن Museon Arlaten مكتبة بول مارييتون البروفنسية وعدداً من أثاثه، بينما حصل متحف كالفيه على المكتبة الأدبية العامة لشاعر العمية مع محفوظاته.

الواسع الممتد من طرطوس إلى بيروت، بين لبنان والبحر. وكان غليوم بورسيليه Guillaume Porcellet من بين بروفنسيي كونتية طرابلس.

تستحق هذه المشاركة لأبناء جنوبي فرنسا في الاستيلاء على الأرض المقدسة تسليط الضوء عليها. ولعلها (ص ٣٤) ليست بعيدة كل البعد عن ذلك التأثير الذي أشار إليه أنلار[١] Enlart والذي أحدثه طراز كنائس جنوبي فرنسا في الفن الجديد الذي ازدهر في فلسطين، في وسط التقاليد البيزنطية والعربية.

الوثيقة الأولى التي يظهر فيها غليوم بورسيليه الأول Guillaume 1er Porcellet مع ابنه برتران الأول Bertrand 1er هي عقد هبة من المدعوة فلاندين ن. Flandine N. إلى الاسبتالية[٢] ordre de Saint-Jean de Jérusalem، بتاريخ ١١٥١، وهو موقع بختم ريمون الصنجيلي. وسرعان ما قدم غليوم الثاني هبة مشابهة إلى الاسبتالية القوية: منحها عام ١٢٠٩، إقطاعته مالكومين Malcomin، حصن غير بعيد عن طرابلس، وربما يكون قريباً من حصن برتران، جنوبي هذه المدينة التي يظهر أسيادها كشهود على عقد الهبة.

كان أبناء عائلة بورسيليه من كبار اقطاعيي الأرض الفرنسية في سورية. تزوجت ماري بورسيليه من صاحب جبيل، هذه المدينة الهامة على الساحل والقائمة في موضع بيبلوس التاريخية. لم يكن هذا السيد الإقطاعي غير هوغ الجبيلي Hugues de Giblet الذي ملأت حياته المغامرة تاريخ هذه المنطقة في النصف الأول من القرن الثالث عشر[٣]. وكان اشترى ضمان مملكة القدس وأثار البلاد على عائلة

---

[1] وجان لونيون في مؤلفه الرائع: Jean Longnon, Les Français d'outre-mer au moyen-âge. Paris, 1929, p. 146.

[2] مكتبة متحف كالفيه، في أفينيون Avignon، ms 4093, n° 1: وثيقة بحالة سيئة للغاية. نذكر من بين الشهود الموقعين عليها: أرنو دو كريست Arnaud de Crest، كونستابل طرابلس؛ غليوم رينوار Guillaume Rainoard وابنه، صاحبا طرطوس؛ غليوم أمبرياك Guillaume Embriac؛ بيير دو ليفيير Pierre de Livière؛ هوغ دو روسيون Hugues de Roussillon؛ برتران دو ميلغويْ Bertrand de Melgueil؛ روجيه القليعة Rogier de la Colée؛ غليوم دوسي Guillaume Ducis، فيكونت طرابلس. ثمة عقد آخر يتضمن هبة مماثلة بنفس التاريخ، منشور استناداً إلى محفوظات مالطة Archives de Malte: Delaville le Roulx, Cartulaire général de l'ordre des Hospitaliers de Saint Jean de Jérusalem, t. I, n° 199.

[3] راجع حول تاريخ هذه العائلة: Du Cange, Les familles d'outre-mer, éd. par e. Rey, dans la coll. des documents inédits sur l'histoire de France, p. 316; - حول الاقطاعيات الفرنسية في سورية يمكن مراجعة: E. Rey, les colonies franques de Syrie aux XII^{e} et XIII^{e} siècles. Paris, 1883; R. Dussaud, Topographie historique de la Syrie antique et médiévale, 1927 ; P. Deschamps dans l'illustration, , 1929 ; Jean Longnon, ibid.

إبيلين Ibelins. وتم إعلانه متمرداً وقتل عام ١٢٣٢، ومنذ ذلك التاريخ اختفى ذكره تقريباً. يُظهره العقد الذي ننشره، والمؤرخ في العام ١٢٤٨، مؤسساً لصلاة يومية في مقر الاسبتالية في طرابلس، مع موافقة زوجته ماري بورسيليه وابنه برتران الثالث.

هكذا ففي هذه الأرض الأرض البعيدة التي كانت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تحت تأثير الفرنسيين، كان شعار عائلة بورسيله يشع باسم واحدة من أشهر عائلات منطقة آرل (الفرنسية). إن ختم الرصاص الممهور به العقد السابق الذكر والعائد للعام ١٢٠٩ يحمل على وجهه رسم الخنوص؛ كما أن ختم برتران، ابن هوغ الجبيلي وماري بورسليه يحمل على وجهه نفس الرسم، بينما يحمل على قفاه نجمة بسبعة أشعة[١]؛ وهذا الشعار المزدوج ذاته نجده على عقد أخير للعام ١٢٧٤، وهو عبارة عن مبادلة بين بارتيليمي الجبيلي، ابن برتران، والاسبتالية[٢]. وإذا كانت نجمة السبعة أشعة تظهر كشعار لأصحاب جبيل (عائلة الجبيلي) المتحدرين من أحد الأشراف الجنويين، غليوم أمبرياك[٣] Guillaume Embriac، أول من امتلك الحصن، فإن أبناء وحفيد ماري بورسيليه احتفظوا على شارة نسبهم برسم "الخنوص" "porcelet"، كعلامة مميزة لعائلتهم، وهذا أمر مثير أن يحصل هذا الانتقال عبر النساء لدى فرنسيي سورية.

I

غليوم بورسيليه يهب إلى الاسبتالية إقطاعته مالكومين في سورية (ت[١] ١٢٠٩)

وثائق عائلة بورسيليه، مكتبة متحف كالفيه في أفينيون، ms. 4903, pièce n° 3.

أصلية ممهورة على شريط من القنب بختم من الرصاص عليه النقش الآتي:

على الوجهين: S. GUILLERMI PORCELLET. على الوجه: خنوص يتجه إلى اليمين؛ على القفا برج.

---

[1] العقد رقم ٢ المنشور لاحقاً.

[2] عقد بتاريخ أيار ١٢٧٤ (بالفرنسية). مكتبة متحف كالفيه، المرجع السابق، الرقم ٥ و٦، يتعلقان بالجدول الذي يمر أمام موضع باسم بافاني Bafanie (لعله بحنين Behannin، في كونتية طرابلس: Dussaud, p. 85

[3] ثمة شخص باسم غليوم أمبرياك يظهر إلى جانب أسماء بورسيليه في عقد العام ١١٥١ (مذكور سابقاً). كان أبناء عائلة أمبرياك أصحاب جبيل في القرن الثاني عشر؛ وعليه من المعقول الاعتقاد بأن هوغ الجبيلي كان من أنسابهم. لنذكر دعياً من عائلة الجبيلي لعب دوراً ما في أفينيون، في ظل بنوا الثالث عشر: F. Benoit, L'interrogatoire de Margarit, dans les Mélanges d'archéologie et d'histoire, t. XXXIX, 1921-1922, P. 294, NO 2.

II

(ص ٣٣٦) نذر هو Hue الجبيلي بالتوافق مع زوجته ماري بورسيليه وابنهما برتران قداساً يومياً لراحة الموتى (de Requiem) في مضافة فرسان الاسبتالية في طرابلس (١٤ شباط ١٢٤٨)[١].

ترجمة الوثيقة

ليكن معلوماً لكل الأحياء اليوم ولمن سيأتي بعدهم أني، أنا هوُ Hue الجبيلي، ابن برتران الجبيلي، بكامل وعيي، وبموافقة ورضا زوجتي ماري بورسيله Marie porcelete وابني برتران، قد وهبت وقدمت وثبّت قداساً يومياً لراحة الموتى اعتباراً من اليوم وعلى الدوام، لراحة نفسي ونفس والدي وكل أتباعنا الموتى؛ ويكون ذلك وينظم في مقر فرسان الاسبتالية في طرابلس؛ وتكون أتعاب الكاهن بقيمة ٥٠ بيزنتاً طرابلسياً (المقرر أن تؤخذ سنوياً من ريوع قريتي كازال بوتورافيش kasal Bothorafich، ويتم دفعها إلى الكاهن شهرياً، ويكون ذلك بمعدل ٤ بيزنت شهرياً "و et IIII K") وأربع (et IIII R.) من قبل زوجتي ماري بورسيليه؛ وبعد وفاة زوجتي المذكورة يقوم بتأمين الأعباء المذكورة للكاهن ابني برتران، وورثته من بعده على الدوام، كما هو معين أعلاه. ولأني أريد أن يبقى الكاهن مستقراً، فلا يحصل أي تغيير بعد وفاتي، إن حصل أن بعض الورثة لم يرغب بالتكفل بالكاهن لتأمين القداس كما هو مبين أعلاه، فإني أعطي كل الصلاحية للاسبتالية بالحصول، من ريوع اقطاعتي التي حصلت عليها منهم، على أتعاب الكاهن المذكور، والالتزام بجعله يقيم القداس الإلهي يومياً وعلى الدوام في كنيسة الاسبتالية في طرابلس، لراحة نفسي ونفس والدي وكل أتباعنا المتوفين، وأن تتعهد الاسبتالية بعدم نقل الكاهن المذكور إلى أي مكان آخر، بل يبقى ليقيم يومياً وعلى الدوام في مقر الاسبتالة في طرابلس القداس الإلهي؛ كما إني أقدم وأهب ثلاث قلل coles من

---

[١] نفس مصدر الوثيقة الأولى، الرقم ٤. وثيقة أصلية، مختومة على شريط من الحرير الأحمر والأصفر، بختمين من الرصاص. على وجه الختم الأول كتابة S. HUGONIS: DE: BIBLIO هوغ الجبيلي، مع شعار نجمة بسبعة أشعة؛ على القفا كتابة HUGO. DE. BIBLIO هوغ الجبيلي ورسم فارس. على وجه الختم الثاني كتابة .S BERTRAND DE GIBELET برتران الجبيلي مع شعار نجمة بسبعة أشعة؛ على القفا نفس الرموز مع خنوص porcelet متجه إلى اليسار.

هذه الوثيقة باللغة الفرنسية القديمة. وقد تكون ترجمتنا لها على بعض الركاكة. فنعتذر سلفاً عن ذلك، ونأمل من المتمكنين من هذه اللغة تصحيح الأخطاء مشكورين. وحسبنا الاجتهاد في توفير هذه المادة لقراء العربية (المترجم).

الزيت سنوياً وعلى الدوام لإنارة المصباح، ليلاً نهاراً، في كنيسة الاسبتالية في طرابلس، ويتم تأمين هذا الزيت من ريع قريتي كازال بوتورافيش[١] Kasal Bothorafiche؛ ومن أجل أن تكون هذه الهبة كما هو مبين في هذه الوثيقة ثابتة ومستقرة على الدوام فإني أضمنها وأثبّتها بختمها بختمي الرصاصي.

وأنا، برتران، ابن هوُ Hue الجبيلي المذكور، من أجلي ومن أجل السيدة أمي، نثبت هذه الهبة كما هو مبين في وثيقتها، بكل رضا وبدون سوء نية وبكامل الثقة، ولذلك وضعت على هذه الهبة ختمي الرصاصي بجانب ختم سيدي.

ضامنو هذه الهبة: ريمون مرقية[٢] Raimond de Maraclee؛ فيليب إيستوماك Phelippe Estomac؛ ريمون دده Raimond Dedde؛ الأخ جيرو Giraud، كاهن حصن الأكراد[٣] Crac؛ الأخ مارتن سانشه Martin Sanche، رئيس مقر الاسبتالية في طرابلس؛ الأخ بيير شافانيل Pierre Chavanele؛ الأخ روبير لو هونغر Robert le Hongre؛ الأخ غليوم مارين Guillaume Marin؛ سيمون أرسوف لو شوفالييه Simon d’Arsouf le Chevalier؛ توماس الناصري Thomas de Nazareth؛ بيير Pierre كاهني. تم تحريره في اليوم الرابع عشر من شهر شباط سنة ١٢٤٨ ميلادية.

Fernand Benoit فرنان بينوا

[1] لا بد، بدون شك، من تعيين هذه القرية في بوتوراتيج التي ذكرها ر. دوسو في: R. Dussaud, Topographie historique de la Syrie antique et médiévale, p. 86.

[2] هي اليوم خراب مرقية، إقطاعة في كونتية طرابلس (R. Dussaud, p. 126).

[3] قلعة حصن الأكراد Krach-des-Chevaliers، هي من بين الحصون التي بناها الصليبيون على الساحل، أفضلها محفوظة حتى الآن ومن اكثرها صعوبة في بلوغها، صارت ملك الاسبتالية منذ منتصف القرن الثاني عشر. وسقطت في العام ١٢٧١ بايدي قوات السلطان.

٣ - وثائق دير القديسة مريم اللاتينية

وإقامة ريمون الصنجيلي في جبل الحجاج[١] (أبي سمراء)

سؤال على سبيل المقدمة[٢]

هل منطقتا شمعا وحي القطلبة القبياتيان وردتا في وثائق تعود للمرحلة الصليبية؟ في أطروحة الدكتوراه التي وضعها الأب سيزار (عفيف) موراني عام ١٩٨٨، ونشرها عام ٢٠٠٦[٣]، يزعم الأب المحترم أن أصل حي القطلبة (القبيات) قرية تعود لأيام الصليبيين باسم بيتسيديون Bethsedion، وكذلك أصل حي الغربية (القبيات) قرية أخرى تعود لأيام الصليبيين وكانت باسم بيتساما Bethsama (شمعا). وفي الزعم هذا يقول الأب المحترم أنه يستكمل وجهة نظر الباحث الفرنسي الشهير في الشرق اللاتيني (عهد الصليبيين) جان ريشار Jean Richard. فتأمل أيها القارئ الكريم كيف أن جان ريشار جعل هذين الموضعين على نهر أبو علي، تحت قلعة أبي سمراء (طرابلس)، بينما يُصر "أبونا" على القول أنه يستكمل منطق جان ريشار (continuant la logique de M. Jean Richard…, Cobiath sous…, p. 72; L'Architecture…, p. 113).

ترجمة النص العائد إلى جان ريشار

(ص ٦٠٥) في العام ١١٧٠ وهب ملك صقلية دير القديس فيليب في أجيرا Saint-Philippe d'Agira في أبرشية كاتان Catane إلى دير القديسة مريم اللاتينية Sainte-Marie-Latine البنديكتي المؤسس في القدس قبل الحملة الصليبية الأولى. استقبل هذا الدير الصقلي رهبان القدس بعد استيلاء المسلمين عليها وطردهم منها؛ وحل من حينه محل الدير الرئيسي وتسمى باسمه (دير القديسة مريم اللاتينية).

---

[1] المرجع: Jean Richard: "Le chartrier de Sainte-Marie-Latine et l'établissement de Raymond de Saint-Gilles à Mont-Pélerin", Mélanges d'Histoire du Moyen Age, Louis Halphen, Puf, Paris, 1951, pp. 605-612.

[2] السؤال من وضع المترجم.

[3] L'Architecture Religieuse de Cobiath sous les Croisés, these pour un doctorat en histoire de l'art, preparée par Afif MOURANI sous la direction de M. Yves BRUAND, Université Le Mirail-Toulouse, 1988. وصدرت هذه الأطروحة في كتاب بالفرنسية: P. César MOURANI, Cobiath sous les croisés, Zgharta- Liban, 2006. ويتم توزيع الكتاب من قبل الآباء الكرمليين، الحازمية.

وهكذا فقد ذكر البابا أوربان الخامس عام ١٣٦٣ دير القديس فيليب أجيرا باسم دير القديسة مريم اللاتينية في القدس[1]. بقي القديس فيليب شفيع البلدة (خُصصت له كنيستان، ويتم التطواف بتمثاله في الابتهالات العامة)، ولكن الدير بات يحمل اسم سانتا-مارينا-لاتينا (دير القديسة مريم اللاتينية). وبات التماثل كاملاً بحيث استمر بطريرك القدس طويلاً في تثبيت انتخاب رئيس دير أجيرا، تماماً كما في الأيام التي كان فيها رئيس الدير المقيم في سورية يقسم له قسم الطاعة الذي ما يزال نصه محفوظاً[2].

ولكن لا يبدو أن الرهبان البندكتيين نقلوا محفوظاتهم إلى صقلية: فقلما نعرف شيئاً عن ممتلكات ديرهم في سورية باستثناء براءة من البابا أدريان الرابع Adrien IV وأخرى من بنوا الحادي عشر[3] Benoît XI. وعلى أي حال، بقي من محفوظات دير القديسة مريم اللاتينية[4] (ص ٦٠٦) وثيقة منذ القرن الثاني عشر فيها ثلاثة عقود تعود إلى كونتات طرابلس الأول. هذه الوثيقة المختومة بختم من الرصاص تم وضعها بالتأكيد في العام ١١١٦: في ذلك التاريخ وقع الكونت بونز comte Pons مع الدير اتفاقاً يحصل بموجبه هذا الدير على بناء كان ريمون الصنجيلي Raymond de Saint-Gilles، جد الكونت بونز، وهبه إلى دير القديسة مريم اللاتينية، مقابل دفع ريع سنوي إلى بونز؛ وثبّت في نفس الوقت هبة سلفه وهبات أتباعه. وعمل على أن يتم في رأس هذا العقد تدوين نص هبة ريمون الصنجيلي؛ وكانت هذه الهبة المؤرخة بتاريخ العام ١١٠٣ الأولى التي حصل عليها هذه الدير

---

[1] انطلقنا من هذه الواقعة (المذكورة في: Dubrulle, les registres d'Urbain V, nº 135, dans Bibl. des Écles fr. d'Athènes et de Rome) في بحثنا: J. Richard, Nouveaux documents des archives italiennes concernant l'Orient latin, dans Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions, 1948, p. 258-265. أجيرا اليوم مدينة صغيرة في مقاطعة إينا Enna.

[2] نص القسم موجود في: Recueil des historiens des Croisades, Lois, II, p. 536. (E. de Rozière, Cartulaire de l'église du Saint-Sépulcre de Jérusalem, Paris, 1849, p. 1-2).

[3] نشر البراءتين P. Sinopoli di Giunta, La badia regia di S. Maria Latina, Acireale, 1911, in-12, p. 107 et 121. نص البراءة الأولى معروف استناداً إلى مخطوطة من باليرم Palerme نشرها: Reinhold Röhricht (Neues Archiv., XIV, p. 202)؛ راجع أيضاً: Röhricht, Regesta regni hierosolymitani, Innsbrück, 1893, in 8º, nº 331.

[4] إن جردة الوثائق التي نشرها سينوبولي (Tabulario di S. Maria Latina di Agira, dans archivio storico per la Sicilia orientale, XXI, 1926) ناقصة للغاية. ولقد استأنف وضع هذه الجردة كلياً الاستاذ جيوشينو غريكو Gioachino Greco من أجيرا والذي أخذ على عاتقه نشر الوثائق القديمة من هذه المحفوظات؛ نحن ندين لهذا العلامة الذي تفضل بتزويدنا بنسخه وسهل عملنا باعتراف عميق بالجميل، كما نشكر أيضاً الجليل بنيامين غيوديتشه Benjamino Giudice الذي ساهم كثيراً بإرشادنا في بحثنا.

المقدسي في كونتية طرابلس.، وأخيراً، عمل الرهبان، مستفيدين بالتأكيد من الفراغ الكائن في أسفل الورقة (وهي بقياس ٣٩,٨ سنتم عرضاً، و٤٢,٢ طولاً)، على تدوين عقد آخر لبونز، غير مؤرخ، ولكنه أسبق بقليل على العام ١١١٦، ويعين حدود مزرعة (كازال casal) وهبها ريمون إلى الدير؛ إن محفوظات الشرق اللاتيني فيها الكثير من الوثائق الشبيهة المسماة في حينه "بيان الحدود" divisiones.

إن هذه العقود العائدة لدير القديسة مريم اللاتينية تساعدنا في التعرف بشكل أفضل على ضواحي طرابلس التي كانت تستدعي إعجاب الرحالة بخصوبتها وكثافتها السكانية. إن هذه المزرعة أو القرية التي كان الدير يمتلكها غير معروفة لنا إلاّ باسمها اللاتيني سوبرا بونتم[1] Supra pontem (وهي غير واردة في براءة البابا أدريان الرابع)؛ بيد أنه يمكننا بفضل دقة "بيان حدود"ها، موضعتها شرقي طرابلس. فهي تقع، استناداً إلى "بيان الحدود"، فوق طريق عرقة[2]، بين هذه الطريق بالذات، وأرض وليم فابر Guilhem Fabre (لجهة الشرق)، وطريق علما[3]، وأرض عائدة لجبل الطابور (مون طابور) Mont-Thabor وبساتين الزيتون فيها، ومزرعة بيير دومنج Pierre Domenge، ووادٍ ينحدر نحو طريق عرقة. ثمة عقدان آخران، ممنوحان إلى جبل الطابور وإلى الاسبتالية[4] يسمحان باستكمال هذه المعطيات. في العام ١١٣٩عيّن الكونت ريمون الثاني حدود مزرعة (كازال) بيتساموم Bethsamum العائدة إلى جبل الطابور، فكانت تحدها من الشمال مزرعة (كازال) مون كوكول Mons Cucul، ومن الشرق طريق (ص ٦٠٧) قديمة تفصلها عن بوتسوفلام Botsoflam، ومن الجنوب طريق أخرى تفصلها عن بيتيليون

---

[1] معناه: فوق الجسر (المترجم).

[2] لا شك بأنها الطريق القديمة المؤدية من طرابلس وجبل الحجاج (أبي سمراء) إلى عرقة، وهي اليوم مدينة داثرة تقريباً (R. Dussaud, Topogr. Hist. de la Syrie antique et médiévale, Paris, 1927, in-8^{0}, p. 80-84). هذه الطريق موجودة على خريطة ممتازة للشرق بمقياس ١\٥٠٠٠٠ من وضع المعهد الجغرافي الوطني Institut géographique national (أوراق طرابلس، حلبا، الحميدية) في سلسلة من مواضع متقطعة هنا وهناك، وتتبع المنحدرات الأولى لجبل تربل (المعروف باسم Mons Leopardorum عند رحالة العصور الوسطى: راجع E. Rey, (Les Colonies franques de Syrie aux XII^{e} et XIII^{e} siècles, Paris, 1883, in 8^{o}, p. 370 لا ساحل البحر. ومن معالمها دير عمار Deir Amar، النبي يوشع Nabi Youcha، برهويه Berrhoié، ببنين Bebnine، قبل بلوغها جوار عرقة (اعتمدنا هنا الأسماء الواردة مترجمة في الخريطة المذكورة على الرغم من نواقصها).

[3] ما تزال علما قائمة بنفس الاسم شرقي طرابلس على مسافة ٥ كلم منها، و٤ كلم من البحر.

[4] راجع: Delaville Le Roulx, Cartulaire général de l’ordre des Hospitaliers, II, p. 902 et 904; I, p. 76.

Bethelyon، ومن الغرب أخيراً أرض دير القديسة مريم اللاتينية (أرض لا بد أنها مزرعة (كازال) سوبرا بونتيم، لأن هذه الأخيرة هي على الأرجح متاخمة لجهة الجنوب لأملاك جبل الطابور). وفي العام ١١٢٧، نحصل على تخوم مزرعة (كازال) ميسديليا Midelia، مجدليا الراهنة، في بيتساموم وبيتسيديون Bethsedion (التي تم تعيينها في بيتيليون)، وعند "النهر الجاري في جبل الحجاج" "fleuve qui coule à Mont-Pèlerin" (نهر أبو علي le Nahr Abou Ali)، وحدود أرداكيوم Ardacium (أرده Ardé اليوم) وقرية سرافتيني Ceraphtenie العائدة إلى كنيسة بيت لحم Bethléem التي وجد راي Rey اسمها في الهضبة القائمة مباشرة شرقي طرابلس.

وعليه فإن مجدليا وبيتسموم وسوبرا بونتم تشكل نوعاً من سلسلة تربط "نهر أبو علي" بطريق عرقة، وتقع شرقيها علما وأرده. كما تقع إلى الشرق من هذه المزارع الثلاث أيضاً مون كوكول وبوتسوفلام، وربما إلى ما بعد "طريق علما" (الطريق من علما إلى دير عمار؟)، بينما كانت بيتيليون وسرافتيني ومزرعة بيير دومنج واقعة إلى الغرب. هذه المزارع الثماني- وربما غيرها أيضاً- تقع في مثلث مساحته حوالي ٢٠ كلم[2]، هناك حيث الخريطة الحالية للبنان لا تحتوي على غير بستان زيتون واسع، وعلى هضبة متصلة بقمة جبل تربل تبدو أربع قرى على الأكثر. وإننا نبحث عبثاً عن الغابات التي كان يمتلكها في القرن الثالث عشر الداوية في مون كوكول[1]. نستخلص من هذه الوثائق صورة لمنطقة كانت في مطلع القرن

---

[1] علينا بالتالي التخلي عن بعض عمليات تعيين المواضع التي كانت مقبولة حتى الآن. مون كوكول "أكمة تقع جنوب شرق طرابلس على الساحل" (Rey, ouvr. Cite, p. 370) التي اعتبرها لامنس Lammens أبو حلقة (راجع: Topogr. Hist., p. 87): فلا شيء في النصوص التي تأتي على ذكر هذا الموضع يسمح بمثل هذا التحديد (Mas-Latrie, Hist. de l’île de Chypre, III, p. 666; Gestes des Chiprois, dans R. H. C., Doc. Arm., II, p. 782). – لا يمكن أن تكون بيتليون هي برحليون Berhalioun على مسافة ٢٠ كلم جنوبي طرابلس، بينما مجدليا المتاخمة لها ليست على غير كلمترين من هذه المدينة. – لا يمكن أن تكون بيتساموم، وهي بيتساما Bethsama أو بيتاموم Bethamum (التي كانت موضع مكاراة في العام ١١٦٣: Delaville Le Roulx, ouvr. Cite, II, p. 904)، هي بصرما Bsarma، لأن هذا الموضع يقع جنوب غرب نهر أبو علي، بينما كل المزارع (كازال) المجاورة إلى بيتساموم تقع جنوب غرب هذا النهر؛ ومن جهة أخرى إذا كانت بيتساموم هي بصرما، لكان علينا أن نعثر في ذكر تخومها على مزرعة (كازال) عابا (Haabe ’aba) التي يسمح "بيان حدود" بموضعتها بكل يقين (Dussaud, Topogr. Hist., p. 86). لقد عين راي Rey (p. 365 et 369) موضع ميسديليا (مجدليا) وسرافتيني بطريقة اعتبرها دوسو مرضية (Dussaud, p. 85).

الثاني عشر مأهولة أكثر مما هي عليه اليوم، مع هضاب تغطيها الغابات ومزارع الخرنوب والكروم والزيتون، ما يشهد على ازدهار كبير.

إن نفس عقود أجيرا هذه تتيح الفرصة لمعرفة أفضل بالظروف التي أحاطت بإقامة أبناء منطقة بروفنس، أتباع ريمون الصنجيلي، على الساحل اللبناني. ففيها نرى أن ريمون يعد المدعو بيير أوليفييه Pierre Olivier، في لحظة وصوله إلى طرطوس بالذات، بعد مغامرته في آسيا الصغرى (شباط ١١٠٢) ببناء كنيسة في طرابلس تعود إلى دير القديسة مريم اللاتينية. وهكذا فإن ريمون قد صمم، منذ مطلع العام ١١٠٢، بأن يجعل من طرابلس عاصمته، قبل أن يرسخ سيطرته على منطقة طرطوس. فوثيقة ١١٠٣ تبين تباهيه مسبقاً بلقب كونت (ص ٦٠٨) طرابلس comes Tripolitanus إلى جانب لقب كونت تولوز comes Tholosanus، بينما يبدو أنه اكتفى هو وخلفه، حتى العام ١١٠٩، بلقب غير محدد[١]. بخلاف مملكة القدس أو إمارة أنطاكية، هكذا ارتسمت "كونتية طرابلس" بنظر مؤسسها عندما شرع في الاستيلاء عليها[٢].

في العام ١١٠٣، تم بناء حصن جبل الحجاج château de Mont-Pèlerin (قلعة أبي سمراء) بغية محاصرة مدينة طرابلس. وهناك تقدم راهب من دير القديسة مريم اللاتينية ليذكّر الكونت بوعده: سرعان ما وهب ريمون لهذا الدير الموضع اللازم لبناء كنيسة تحت الحصن، مع مطحنة وحقل وقرية في الجوار.

لم يكن ذلك أمراً فريداً من نوعه، لقد أكثر كونت تولوز، طيلة السنوات الأولى، الهبات للكنائس. هبات لكنائس الغرب، مثل كنيسة سان فيكتور في مرسيليا Saint-Victor de Marseille التي تلقت وعداً بامتلاك نصف جبيل[٣]، أو كنيسة سان روف في فالانس Saint-Ruf de Valence التي يبدو أنها حصلت منه على كنيسة أرطوسية Artucie مع وعد بكنيسة في طرابلس نفسها[٤]. ولكنائس الشرق أيضاً: لقد

---

[1] ثمة مجال بتعديل بهذا الاتجاه لزعمنا الذي تقدمنا به، استناداً للوثائق التي كانت بتصرفنا في مؤلفنا: Le Comté de Tripoli sous la dynastie toulousaine, Paris, Geuthner, 1945, p. 17 (Bibl. Arch. Et Hist., t. XXXIX). تجدر الملاحظة أن ريمون يقدم نفسه في وثيقة ١١٠٣: "كونت سان جيل (الصنجيلي) Comte de Saint-Gilles، كونت تولوز de Toulouse، كونت طرابلس de Tripoli.

[2] من المقرر عادة أن كونتات طرابلس الأول رغبوا بأن تكون حمص "la Chamelle" المدينة الرئيسية لممتلكاتهم.

[3] Röhricht, Regesta, n° 36 (16 janvier 1103)

[4] هبة سان روف غير معروفة إلاّ من خلال وثائق تثبيتها لاحقاً، وأولها يعود إلى العام ١١٢٣ ("ecclesiam sancti Jacobi de Tripoli cum suffraganea ecclesia de Artucie": UL. Chevalier, Collect. De cartul.

حمل ريمون الصليب من أجل تحرير أماكن العبادة القديمة التي يقصدها الحجاج، وجَعْل ذلك متاحاً. وعليه لم يكن بوسعه غير تشجيع هذه الأماكن التي يكرمها الحجاج أو المخصصة لتسهيل تحقيق أمنيتهم: كنيسة بيت لحم، كنيسة القيامة مع المؤسسات التابعة لها (دير القديسة مريم اللاتينية، مضافة القديس يوحنا l'Hôpital de Saint-Jean). ولهذا تلقى الاسبتالية منذ العام ١١٠٣ قطعة أرض تحت جبل الحجاج لبناء كنيسة، وفي حينه على الأرجح تلقوا أيضاً مزرعة (كازال) مجدليا التي سبق لنا الكلام فيها، والتي كانت في عداد الهبة الأولية لفرسان الاسبتالية في جبل الحجاج[1]. لا شك بأن كنيسة القيامة كانت أول من حصل على هبة. لقد وهبها ريمون مسجداً كان قائماً مسبقاً (كان موجوداً في بلدة مسلمة حل مكانها حصن جبل الحجاج)، ووهبها في جبل لبنان كنيسة مار جرجس التي لا نعرف موضعها، والتي ربما لم يكن الفرنجة قد احتلوها بعد. ولقد عمل الراهب الذي حصل على هذه الهبة على الحصول على وعد بكنيسة في طرابلس (ص ٦٠٩) نفسها[2].أما في جبل الطابور، فلم تكن كنيسة الجليل الكبرى قد امتلكت أي شيء في منطقة طرابلس في تموز ١١٠٣؛ ولكنها كانت تمتلك بيتساموم وعقارات في طرابلس قبل العام ١١٣٩[3]. أخيراً حصل رهبان بيت لحم على سرفتيني قبل العام ١١٢٧[4]. وليس من المستبعد أن تكون هاتان الكنيستان المكرمتان جداً قبل الحروب الصليبية قد حصلتا على هبات في كونتية طرابلس في أيام ريمون الصنجيلي.

هكذا نرى كونت تولوز يهب الكثير من المؤسسات الدينية في الأرض المقدسة- وفي بلاد منشأه أيضاً- أملاكاً مقتطعة من الأقاليم الصغيرة التي استولى عليها. تمتاز كل هذه الأملاك بأمر ما مشترك: إن حصة دير القديسة مريم اللاتينية، وهي

(Dauphinois, IX, 1, p. 23 et 32)؛ ولكننا نظن أن الهبة تعود إلى أيام ريمون الصنجيلي. لا شك أن أرطوسي Artucie هي أرطوسية Orthosias، هذه المدينة الأسقفية التي جعلها اللاتين تابعة لأبرشية طرابلس (Dussaud, ouvr. Cite, p. 78-80). وسيراً على خطى راي (Rey, p. 361) صار تُسمى عادة أرتيزي Artésie؛ ما من شأنه خلق التباس مع موضع بنفس الاسم بالقرب من أنطاكية (أرتاح Artah).

[1] راجع وثيقتنا الملحقة رقم ١، و: Delaville Le Roulx, I, p. 76

[2] Regesta, n° 48; Lois, II, p. 480-482. أضاف غليوم جوردان Guillaume Jourdain إلى هذه الهبة، عام ١١٠٦ مزرعة (كازال) بويورا Buiora ومزرعة (كازال) برتراند Bertrand، وعام ١١١٠ ثلاث مزارع (كازال) تتعين في عبدين Abdine وبلا Billa وبين النهرين Beïn-en-Nahrain (Abdin, Habela, Benharan)، في وادي قاديشا وغربيها، غير بعيد عن أهدن.

[3] استناداً إلى وثيقتنا الملحقة رقم ٣، و: Delaville Le Roulx, II, p. 827, 902, 904

[4] Delaville Le Roulx, I, p. 76 et suiv.

عبارة عن موضع لبناء كنيسة، وأراض زراعية في اسفل حصن الكونت، ومزرعتها (كازال) في الجبل، تشبه كثيراً حصة الاسبتالية الكائنة تحت حصن جبل الحجاج وملاصقة لها، أو أيضاً حصة كنيسة القيامة التي هي أهم من باقي الحصص. لم يكن أي واحد من هذه الأديرة المحررة للتو من نير المسلمين على شيء من الغنى: ولم يكن بالتالي دافع ريمون في هباته هذه الطمع بمردود مالي محتمل (ربما بعكس ما كانت عليه الحال بالنسبة إلى سان فيكتور في مرسيليا). كانت تقواه، بلا ريب، دافعه الأساسي في هباته هذه. بيد أنه تجدر الملاحظة أن أياً من هذه الهبات لم تكن خالية من الشروط: لن تصبح الهبة فعلية إلاّ بعد بناء الكنيسة وتكريسها - نصوص دير القديسة مريم اللاتينية بليغة المعنى بهذا الخصوص، ولكن النصوص المتعلقة بكنيسة القيامة وبالاسبتالية تثبت ذلك أيضاً[١].

الوثائق[٢]

الوثيقة الأولى، (١١٠٣): وهب ريمون الصنجيلي إلى دير القديسة مريم اللاتينية، كما كان قد وعد بيير أوليفييه لدى وصوله إلى طرطوس، موضعاً تحت (ص ٦١٠) حصن جبل الحجاج الجديد، من موقع كنيسة الاسبتالية حتى الجسر، لبناء كنيسة هناك، ومنح هذه الكنيسة الأرض الممتدة من هناك حتى أقرب مطحنة، بما في ذلك المطحنة المذكورة والحقل القائمة عليه، وكذلك قطعة أرض من سكتين كائنة في أقرب موضع للكنيسة، ومزرعة (كازال) سوبرا بونتم مع توابعها؛ وهو يثبّت كل المكتسبات التي يقدمها الكهنة.

الحاشية رقم واحد التابعة للوثيقة الأولى، وهي تتعلق بالمطحنة الوارد ذكرها في العقد: هل هي مطحنة لانتاج الطحين، أم هي بالأحرى معصرة لقصب السكر؟ فهي موصوفة، في براءة أدريان الرابع، بعبارة: macchera (massaria?).

الحاشية رقم ٢ التابعة للوثيقة الأولى، وهي تتعلق بالموقعين عليها: ريشارد من مرسيليا Richard de Marseille هو بدون شك رئيس دير سان فيكتور الذي كان في

---

[1] "Ad dedicationem ecclesie Sancti Sepulchri que est in Monte Peregrino": وارد في عقد غليوم جوردان Guillaume-Jourdain عام ١١٠٦، وكذلك تصبح مجدليا ملك الاسبتالية يوم تكريس كنيسة الاسبتالية تحت جبل الحجاج (Delaville Le Roulx, I, p. 76).

[2] لم نتمكن من ترجمة نصوص العقود الموضوعة باللاتينية لجهلنا بهذه اللغة. واكتفينا بترجمة مقدمة كل من هذه النصوص، كما وضعها المؤلف جان ريشار. وأضفنا إليها ترجمة بعض الحواشي التي وجدناها مفيدة، وهي من وضع المؤلف نفسه. (المترجم).

جبل الحجاج في ١٦ ك[٢] ١١٠٣ (Röhricht, Regesta, n° 38). إيكار من أرل Aicard d’Arles مذكور في العام ١١٠٣ والعام ١١٠٦ (ibid, n^{os} 38, 44, 48). غليوم هوغو Guillelmus Hugo المذكور منذ العام ١١٠٣ بجانب الكونت ريمون هو على الأرجح (ص ٦١١) غليوم Guillaume صاحب كرات Crat (حصن الأكراد Crac des Chevaliers) حتى العام ١١٤٤، وابنه يُدعى برتراندوس هوغو Bertrandus Hugo؛ اختفى بعد العام ١١٥١. غليوم أرفيي Guilhem Arvei (أصله من نيم Nîmes؟ راجع: Teulet, Layettes du Trésor des Chartes, I, 103 et 179) يظهر هو نفسه أيضاً عام ١١٠٥؛ كانت زوجته تملك عام ١١١٦ مزارع لقصب السكر بالقرب من جبل الحجاج (راجع أدناه)؛ ثمة شخص بنفس الاسم مذكور عام ١١٦٣ (Regesta, n^{os} 44, 389). لا بد أن ريبو Ribod هو الذي وهب قبل العام ١١٤٣ إلى كنيسة القيامة مزرعة (كازال) المجدل Helmedel (El Majdel: cf. J. Richard, Questions de topographie tripolitaine, dans Journal Asiatique, 1948, p. 54, n. 1; Regesta, n° 218). راجع حول الكونستابل غليوم بير Guilhem Peyre مؤلفنا: Comté de Tripoli, p. 49. بونز دو فوس Pons de Fos مذكور من العام ١١٠٥ حتى العام ١١٣٢ (Regesta, n^{os} 44, 211). أما غليوم أريول Guilhem Ariols وكارافيلوس Caravellus وبرتران أرفيي Bertrand Arvei وريمون دو كونيليو Raymond de Cornelio (Cornell-de-Conflent?) فهم غير معروفين لدينا: بيد أن ثمة غليوم كونيليون Guilhem Cornelione وارد عام ١١٤٥ بين أتباع كونت طرابلس (Regesta, n° 236).

الوثيقة الثانية، (١١١٦): بما أن ريمون الصنجيلي كان قد وهب إلى دير القديسة مريم اللاتينية مسجداً بافوماريا[1] bafumaria بالقرب من طرابلس، فقد ثبّت الكونت بونز Pons هذه الهبة، لكنه وهبها مقابل إيراد طول العمر قيمته ٢٠ بيزانت يتم تسديدها كل سنة يتم فيها تشغيلها. كما أنه وهب أيضاً ريعاً سنوياً من ٢٠ جرّة زيت متوجبة على القرية التي حصل عليها منه غليوم فابر Guilhem Fabre، وأقر هبة من خمس جرار، قدمها بيير بويلوران Pierre Puylaurens من مزرعة (كازال)

---

[1] تعني كلمة بافوماريا bafumaria عادة المسجد، بيد أن بنود العقد تبدو واجبة التطبيق بصعوبة بالغة على معصرة "mahomerie". أليس علينا اعتبار أن كاتب العقد اعتمد هذه الكلمة ليشير إلى معصرة قصب السكر التي سبق ذكرها؟

كيراس Dairas (راجع المقطع الآتي أدناه)، وهبة من ثلاثة فدادين[١] arpent من أرض مزروعة بقصب السكر، تحت جبل الحجاج، قدمتها زوجة غليوم أرفيي Guilhem Arvei.

الحاشية رقم ٢ التابعة لهذه الوثيقة الثانية: راجع حول الكونستابل روجيه connétable Roger مؤلفنا: Comté de Tripoli, p. 49. كان بيير دو بويلوران واحداً من أبرز أتباع الكونت؛ وكان بلا شك صاحب جبل عكار Gibelacar، ويمتلك مون كوكول Mons Cucul وديراس Dairas، التي هي ديريا Deria (داريا Daraya على نهر أبو علي؟ راجع: Regesta, n° 218). راجع حول هذه العائلة: Comté de Tripoli, p. 75-77...

(ص ٦١٢) الوثيقة الثالثة (بدون تاريخ (١١١٦-١١٣٧)): فيها "بيان حدود" مزرعة (كازال) سوبرا بونتم.

[1] وحدة قياس الطول (والمساحة بالتالي) كانت مستعملة قديماً في فرنسا وكانت تعادل تقريباً حوالي ٢٠٠ قدم طولاً (المترجم).

٤- مسائل في طوبوغرافيا طرابلس[1]

جان ريشار Jean Richard

(ص ٥٣) في دراستنا حول كونتية طرابلس، رسمنا تطور هذه الدولة الفرنجية (الفرنسية)، من كونها بداية زحفاً مستمراً في عمق بلاد الإسلام لتنهتي كمجرد ممر ساحلي بلا مشاريع توسعية في الداخل. انطبع هذا الاتجاه في تطور أملاك الاسبتالية الذين أصبحوا حراس حدود هذا الساحل اللبناني[2].

ثمة إيضاحات لحقت بهذه الدراسة بفعل مراجعة البعض من المسائل الطوبوغرافيا التي تشكل واحدة من أكبر صعوبات تاريخ الحروب الصليبية. فإثر كوارث العام ١١٣٧ حيث أدى سقوط مونفران Montferrand (بعرين) والمواقع المجاورة إلى انكشاف الكونتية لجهة الشمال (حيث شكل زنكي خصوصاً تهديداً كبيراً) تنازل (الكونت) ريمون الثاني في العام ١١٤٤ إلى الاسبتالية عن الحصون التي تشكل دفاعاً عن ممر النهر الكبير. ولكنه احتفظ بالحصون التي قد تسمح يوماً بالاستيلاء (ص ٥٤) على حمص وحماة؛ وفي العام ١١٦٣ تم بيع حصن السرخ Eixserc، هذا الموضع المتقدم التابع لسنيورية طرطوس ومرقية Maraclée، إلى هذه الرهبنة مع وادي لوكن val de Luchen، هذا الشعب المؤدي نزولاً نحو حماة[3]. وفي العام

---

[1] المرجع: Jean Richard: "Questions de Topographie Tripolitaine", Journal Asiatique, 1948, pp. 53-59.

[2] راجع: J. Richard, Le Comté de Tripoli sous la dynastie Tolousaine. Paris, Geuthner, 1945.

[3] لقد حالت الظروف دون شعبة الجغرافيا في الجيش- التي سرّعت خلال الحوادث إنجاز خريطة المشرق الممتازة بمقياس ١/٥٠٠٠٠- وإكمال صفحات برج صافيتا وقلعة الحصن، وهذا ما يزيد من صعوبة تعيين موضع السرخ. نحن ميالون إلى اعتبار قلعتي حصن الشرقي Hisn al-Sharqi ولاكما Lakma اللذين أقطعهما زنكي إلى أونور Unur عام ١١٣٩ بأنهما السرخ Eixserc (le Sarc) وحصن الكامل le Camel، واللذين استولى عليهما الفرنجة مؤقتاً. إن حصن الكامل الذي عيّناه في حصن سليمان Hisn Suleiman، يقع بالأحرى كما يُعلمنا السيد بول ديشان Paul Deschamps في الكيمة Kaïmé، شمالي حصن الأكراد Crat. ثمة معلومة تعود للعام ١١٨٠ تفيدنا بأن من توابع حصن الكامل مواضع مارمونيز Marmonize وإربنمبر Erbenambre– تعرف عليها السيد دوسو Dussaud (Topogr. hist. de la Syrie, p. 96)- وليبيزار Lebeizar، التي نقترح تعيينها في بيت زهرا Beit Zahra جنوبي العيون El-Ayoun: جميعها بالقرب من الكيمة. بيد أن هوية اللاكما El-Lakma (لاكما Lakma) والكامل Camel غير مقبولة على العموم. استناداً إلى نص اتفاق يعود إلى العام ١١٤٣ (Delaville Le Roulx, Cartulaire général de l'Ordre de l'Hôpital, II, p. 602) نضع السرخ Eixserc شرقي القليعة Colée، وربما في موضع حصن سليمان Hisn Suleiman؛ ولكن السيد ديشان يفضل وضعه إلى الشمال الشرقي من حصن الأكراد. يتناول الاتفاق "تبعية حصن السرخ وحصن القليعة". هل يُمكن مقاربة "تل لوكان toron de Lucan" المذكور في الاتفاق مع "وادي لوكن val de Luchen" في العام ١١٦٣؟ أليست قرية نوبيا Nubia المبادلة مقابل السرخ Eixserc عام ١١٦٣ هي قرية عنابية Aannabiyé على مسافة ٥ كلم جنوب شرقي طرطوس؟ كما أن قرية كافاريك Kafarique، التي تنازلت عنها عام ١١٥١ أرميسند دو كاستلنو Armesende de Castelnau، مع منازل في

١١٨٠ فقط فتح كونتات طرابلس طريق حمص أمام الاسبتالية بالتنازل عن قلعة طوبان Tuban، وعام ١١٨١ بالتنازل عن كل الإقليم التابع لها والواقع جنوبي هذه القليعة والمحدود شرقاً بنهر العاصي وغرباً بالبقيعة Boquée والجبال حيث يقوم حصن مليشين[١] Melechin، ومن هناك تصل الحدود (ص ٥٥) إلى ممبوعا Memboa (هضبة الممبوعا El-Membouha الراهنة غربي رأس بعلبك في آخر تلال لبنان) ومن هناك إلى العاصي: احتفظ الكونت بالسنيورية المشتركة للنهر بذاته. وذلك، لأن الكونت ريمون الثالث مع تخليه عن كل الضفة الغربية للعاصي الأعلى فإنه كان يأمل بأن يحتفظ بغزو حمص وبلاد ما بعد العاصي؛ ولكنه وجد نفسه مضطراً بالتنازل عن ذلك للاسبتالية عام ١١٨٤، مقابل حق الانتفاع، وهذا ما تراجع عنه عام ١١٨٦[٢]. هكذا شكل العاصي حدود الكونتية في البقاع في نهاية القرن الثاني عشر، كما حصل عام ١١٤٤ عندما وهب الكونت ريمون الثاني حق الصيد في بحيرة حمص.

كنّا قد اقترحنا تعيين بشيستين Bechestin في موضع بعيشتا Ba'ishta، وبالتالي تعيين سنيورية البترون في موضع سنيورية "سانت مونتانيي" "Sainte-Montagne". وفي الحقيقة، تلمح النصوص إلى المدعو رولان Roland و"روستين دو سانت-مونتان" Rostaing de Sainte-Montant، من عائلة من فيفاريه Vivarais معروفة منذ القرن الحادي عشر، وبالتالي ثمة مجال للعودة إلى التعيين الذي اقترحه راي Rey في جعل بشيستين Bechestin هي بكفتين Bkeftin. وفي البترون، لا شك أن بنت روستين داغو Rostaing d'Agout (روستانيوس دو غوت Rostagnus de Goth المذكور عام ١١٣٢) كانت الزوجة الأولى للسيد غليوم

صافيتا تتماثل بقرية كفريخا Kfarrikha، على ٤ كلم شمالي صافيتا. أما هيلميدل Helmedel المجاورة لجبل عكار Gibelacar فهي المجدل El-Majdel شمالي شرقي عكار العتيقة Akkar el-Atiq.

[1] قلعة البرج Qalat el-Bordj في جبل الملاح Jabal Melah، خربة تحكم ممر وادي الميس Ouadi el-Meis الصاعد من من البقيعة Boquée نحو سهل حمص، وليس بالأحرى قلعة الحصن Qalat el-Hosn على وادي ملاك Ouadi Malake بالقرب من سير الضنية.- Röhricht, Regesta Regni Hierosolymitani, n° 603 (Delaville Le Roulx, I, p. 406) et Raybaud, Inventaire des Chartes de Syrie, éd. Delaville Le Roulx, n° 134.- إن البحث عن مليشين وممبوعا في منطقة حماة يذهب بكونتية طرابلس مسافة أبعد من الممكن نحو الشمال الشرقي.

[2] Röhricht, n° 637 ; Raybaud, n° 157. المقصود فعلاً حمص، لا الكامل Camel، كما تقدمنا به سابقاً مخطئين.

دوريل Guillaume Dorel ou d’Aurel (المشهود عام ١١٧٤) ووالدة تلك التي نقلت حوالي العام ١١٨٠ هذه السنيورية إلى بيزان بلايبين[١] Pisan Plébain.

كان أول صاحب للبترون، كما يؤكد مؤلف Lignages، هو ريمون داغو Raymond d’Agout أو بالأحرى جوفروا داغو Geoffroy d’Agout المذكور عام ١١١٥ كمالك للحصن الذي يجب أن يكون غربي موضع بوي دو كونستابل Puy du Connétable (الهري El-Héry) على (ص ٥٦) منحدرات رأس شكا Ras Chaqqa (رأس تيوبروزوبون cap Théouprosopon)، في موضع برج وصفه ألبير ديكس Albert d’Aix عام ١٠٩٩ والذي حلّ مكان قليعة دمرها بومباي Pompée في حملته على القراصنة (اللصوص): لا بد أن قلعة المسيلحة Qal‘at el-Mseilha تحتل موضعاً قريباً من هذا المكان الإستراتيجي الرائع[٢]. إن مثل هذا التعيين يسمح بموضعة أكيدة "للأرض الواقعة بين حصن جوفروا داغو والقلمون" بأنها سنيورية أنفة Nephin التي لعل كان غليوم روستين Guilhem Rostaing وبونز ميدينيس Pons *Medenes* أول مالكيها. ولا شك ان أحدهما- غليوم- زوج بنته أداليه Adalais (المدعوة سانش Sanche في مؤلف Lignages) من هوغ أمبرياك الجبيلي Hugues Embriac de Gibelet، وله نقلت بشمزين Besmédin كمهر، ما أدى إلى تفتيت إقليم أنفة التي انتقلت إلى حفيدها غليوم، أرومة هذا الفرع من عائلة أمبرياك بشمزين[٣]. من المعروف أن الخليفة المباشر، أو الوسيط، لبونز كان ريمون طرطوس-مرقية Raymond de Tortose-Maraclée، قبل العام ١١٦٣.

---

[1] راجع: E. Rey, Sommaire du Supplément aux Familles d’Outre-Mer, p. 10; Estoire d’Éracles (Rec. Hist. Croisades, Occ. II), p. 51; Röhricht, n^os 211, 519. Agout, aujourd’hui Goult, Vaucluse, arr. Apt. cant. Gordes ; Saint-Montant, Ardèche, cant. Bourg-Saint-Andéol ; Aurel, Drôme, arr. Die, cant. Saillans, ou Vaucluse, arr. Carpentas, cant. Sault.

[2] Albert d’Aix, p. 547; R. Dussaud, op. cit., p. 82; Strabon, éd. Teubner, p. 755 ; Pline l’Acien, idem, I, p. 395. – يروي ميشيل السوري (Michel le Syrien (éd. Chabot, II, p. 246 في رواية مثيرة كيف أن هزة أرضية عام ٥٤٧ دمرت البترون وقذفت بقسم من رأس شكا في البحر أمام المدينة ما أنشأ "مرفأ رائعاً وفسيحاً قادراً على استقبال أكبر المراكب"

[3] راجع: Röhricht, n^o 78. لنقارن مع نص من العام ١١٩٨ فيه يربط إينوسنت الثالث بكنيسة طرابلس كنائس أنفة وثلاث قرى لطالما نازعت الاسبتالية حولها (راجع خصوصاً: Röhricht, n^o 745): هذه القرى الثلاث هي زكرون Zakroune، برغون Bargoune، ميتبعوم Mitbaoum؟ - Rey, Les seigneurs de Giblet, dans Revue de l’Orient latin, III, et E. de Rozière, Cartulaire du Saint-Sépulcre, n^o 96 - هل يكون غليوم روستين هو نفس الشخصية التي اعترفت لبرنار أتون الرابع Bernard-Aton IV من كاركاسون Carcassone بقلعة برني Bernis، وهل يمكن مقارنة بونز دو ميدينيس مع برمون دو ميدنت Bermond de Medents، فارس قلعة أرين دو نيم arène de Nimes المذكور في نفس المصنف عام ١١٦٣؟

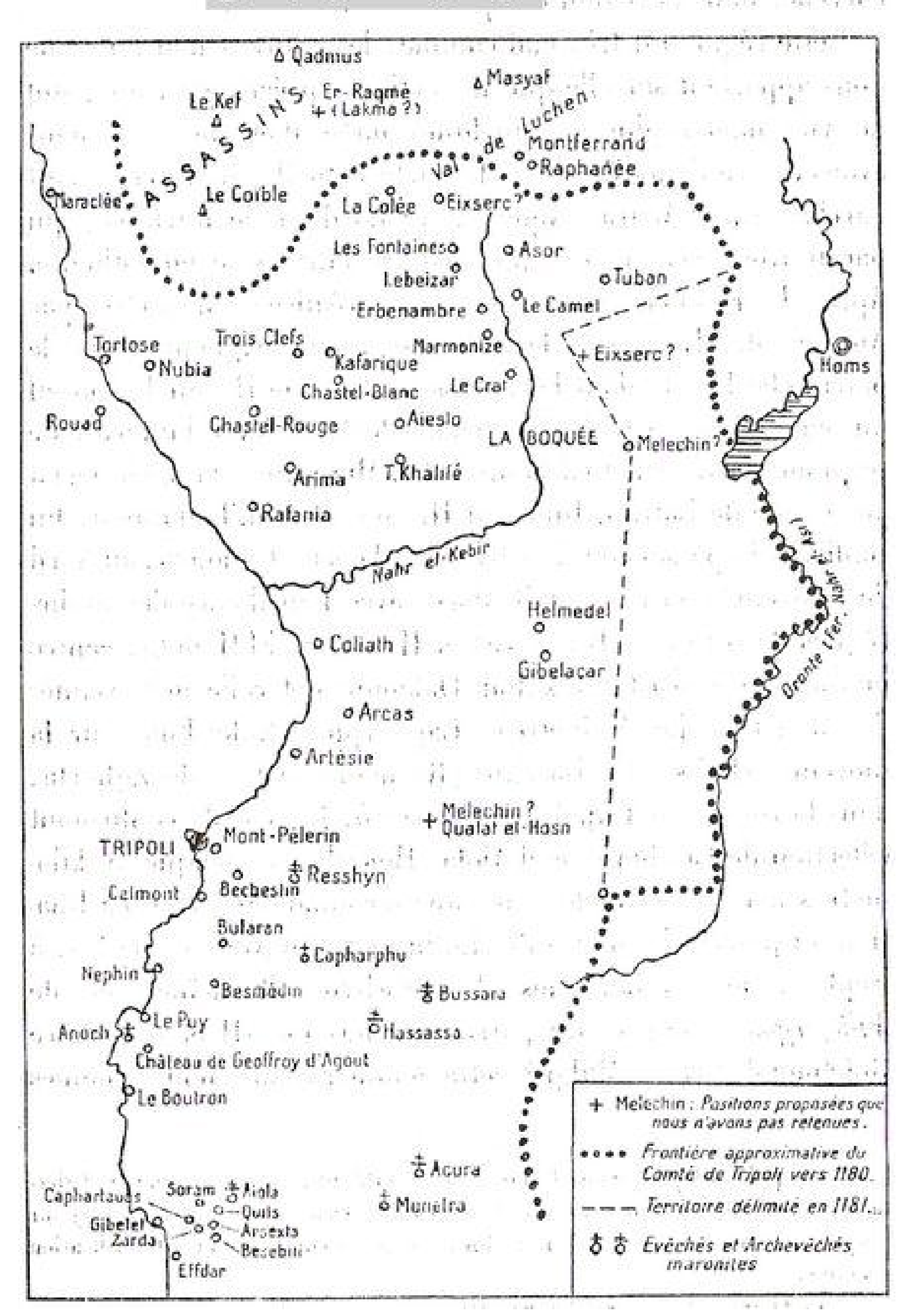
لقد استعصى علينا العثور على حصن وادي ابن الأحمر Ouadi Ibn el-Ahmar الذي تدمر عام ١١٣٧ في الغارة الدمشقية التي انتهت بمقتل بونز، كونت طرابلس، تحت جبل الحجاج. توحي رواية هذه الغارة بأن المهاجمين (ص ٥٨) استفادوا من تواطؤ اللبنانيين، أفلا يدعو ذلك إلى البحث عن موضع هذا الحصن في منطقة معابر جبل لبنان (المعابر اللبنانية[1])؟

إن معرفة هذه المنطقة سيئة للغاية، والمصادر المارونية لا تقدم لنا غير توضيح ضعيف: من وجهة النظر الطوبوغرافية، ثمة أسماء لبعض مقرات الأسقفيات حاولنا تعيين مواضعها على الخريطة الراهنة للبنان. هناك أسقف العاقورا Acura (العاقورا Aqoura‘ شمالي شرقي قرطبا Kartaba) الذي يبدو أنه واجه عام ١١١١ النفوذ المونوتيلي monothélite. وبعد العودة إلى روما (الحل من الهرطقة والعودة إلى الكثلكة) في العام ١١٨٢ على يد آمري دو ليموج Aimery de Limoges عاد الانشقاق بحمية في ظل البطريرك لوقا الأول Luc I^er^ حضر مؤتمر لاتران Latran خلفه جيريمي الثاني Jérémie II في العام ١٢١٥ (بناءً على نصيحة صاحب جبيل المهتم برفع الحجز عن ممتلكاته التي تشكل مكان الإقامة الأساسي للموارنة). وثبت له البابا إنوسنت الثالث، من خلال براءة الاتحاد، ملكية يانوح Anoch (يانوح Hénouch شمالي البترون؟) حيث كان يقيم في حينه، وطاعة أساقفة بشري Bussara (Bscharré) والحدث Hassassa (الحدث El-Hadeth مركز ماروني صمد بوجه السلطان قلاوون Qalaoun؟) وطاعة أساقفة المنيطرة Menetra (Le Moinetre) وكفرفو Capharphu (كفرفو Kafer-Fou في وسط قاديشا Qadischa) ورشعين Raschin (رشعين Racheïne شرقي زغرتا، في منطقة طرابلس) وغروسينسيس Groccensis. وفي العام ١٢٤٣، اعترف البابا، بتثبيت انتخاب أسقف حجولا Aiola (حجولا Hejoula على مسافة ٨ كلم شرقي جبيل)، بطاعة البطريك الماروني.

---

[1] قد يجوز التفكير في قلعة الحصن Qalat el-Hosn المذكورة أعلاه (الحاشية رقم ٤)، أو في جبل عكار Gibelacar. – إن إشارة أسامة (Rev. Orient Latin, II, p. 518) حول الصقور التي يتم شراؤها من وادي ابن الحمر لا تفيد بأي تعيين أكيد.

كونتية طرابلس



وأخيراً، نعثر عام ١٢٨٢ في أنفة على أساقفة رشعين Resshyn (Racheïne) وفيلجارغون *Villejargon* (؟) إلى جانب البطريرك جيريمي الثالث Jérémie III والأمير بوهيموند السابع[1]. على الرغم من هذا التعداد (ص ٥٩) ما نزال بعيدين عن الكثير من الاسقفيات التي ذكرها لودولف دو سودهايم Ludolf de Sudheim حوالي العام ١٣٥٠ في لبنان.

[1] Le Quien, Oriens christianus, III, p. 54-65 (تجدر ملاحظة أنه انعقد، في العام ١١٥١-٧٣، مجمع في جبيل حضره مبعوثو البابا والبازيليوس لمناقشة الاتهامات الموجهة بحق البطريرك الماروني)؛ Tobias Anassi, Bullarium Maronitarum, Romæ, 1911, p. 2 et suiv. – رافق يوسف الحدثي Joseph de Hadeth وتيودور كفرفو Théodore de Kafer Fou جيريمي الثاني Jérémie II إلى روما؛ - Mas-Latrie, Histoire de l'île de Chypre, III, p. 667; R. Dussaud, op. cit., p. 72. – اعتباراً من القرن الخامس عشر فقط انتقل مقر البطريركية إلى وادي قنوبين. حول تاريخ القادة الموارنة (هل وُجد في بشري مقدمون يتوارثون المواقع، أمراء لبنان؟)، إن قصيدة "تاريخ المقدمين" Exploits des Chefs المنشورة حديثاً والتي ذكرها السيد سوفاجيه Sauvaget ربما تنطوي على توضيحات ثمينة.

في المحفوظات الفرنسية بقايا من وثائق عائلة بورسيليه (F. Benoit, Les Porcellets de Syrie...)، (راجع ترجمتها في ملحق مقال "عرقة في وثائق تعود لأيام الصليبيين"، من ضمن "منتخبات التواريخ والآثار..." المترجم). هل تكون رافانيا Raphania التي امتلكتها هذه العائلة عام ١٢٠٦، هي بالأحرى الريحانية Rihaniyé شرقي الحميدية Hamidieh وغربي صافيتا، بدل رفنية Raphanée؟ وفي فرنسا أيضاً، في محفوظات ساوُن-إ-لوار Saône-et-Loire ما تزال محفوظة الوثائق المتعلقة بالدير سيستيرسيَن Cistercien الذي أسسته لا فيرتيه-سور-غروسن La Ferté-sur-Grosne في سان-سيرج-الجبيلي Saint-Serge-lès-Gibelet (مار سركيس) عام ١٢٣١. وكانت هبات أصحاب جبيل له تضم قرى أرسكستا Arsexta، سورام Soram، إفدار Effdar: راس أوسطا Ras Osta، بين كيلس Quils (كلش؟Kelech) وزردا Zardat (زردا Zarda) قرب ديزمينار Deiseminar (دير زمار Deir Zammar؟)- سورام بين زردا وكفرتواس Caphartauas (كفر حواص Kafer Hauasse)، غير بعيد عن بيسيبين Besebin (سربين Serbine؟)؛ هاتان القريتان في منطقة حجولا. إفدار، على ساحل البحر، هي الفيدار El-Fidar، جنوبي جبيل، بالقرب من أمرسيَن Amarsein (مار زريا Mar Zarya).

٥ - القليعات el-Qlē‘āt

هل من علاقة بين القبيات والقليعات؟

هل كانت "القبيات العتيقة" هي القرية الصليبية villa coliath؟

مدخل[1]

يُعتبر الرحالة ماكس ڤان برشم Max van Berchem صاحب أكبر نص عالج موضع قلعة القليعات في عكار. ففي الجزء الأول من مؤلفه "رحلة إلى سورية"[2] Voyage en Syrie الذي عرض فيه المشاهدات والملاحظات المستخلصة من رحلته إلى سورية في العام ١٨٩٤، يتحدث بإسهاب عن قلعة القليعات، فيصفها محدداً أبعادها ويضع مخططاً تفصيلياً لها. وفي سياق بحثه اقترح تعيين قرية كوليات villa Coliath الواردة في بعض النصوص الصليبية في موضع "القبيات العتيقة". وعنه أخذ الأب سيزار موراني هذا المقترح دون التصريح بمرجعه، وجعل الأمر بمثابة الاكتشاف العظيم الذي أبدعه الأب المحترم. وهذا ما سبق لنا وسميناه "انتحالاً" (أي سرقة فكرية) أقدم عليه الأب المذكور.

نعرض في الآتي:

١- ترجمة النص الحرفي الذي وضعه ڤان برشم عن القليعات.

٢- مناقشة اقتراح ڤان برشم بتعيين قرية كوليات villa Coliath في "القبيات العتيقة".

٣- البرهان على انتحال الأب موراني لمقترح ڤان برشم.

---

[1] المدخل من وضع المترجم.

[2] المرجع: Max van BERCHEM et Edmond Fatio, Voyage en Syrie, t. 1, in Mémoires publiés par les membres de l’Institut Français d’Archéologie Orientale du Caire, 1914, pp. 131-135. في رسالته إلى السيد باربييه دو مينار M. Barbier de Meynard يأتي ڤان برشم على ذكر القليعات بقوله: "انطلقنا في الأول من أيار (١٨٩٤) على طريق حمص. لدى مرورنا في القليعات Qlêy‘ât- (وردت كلمة القليعات بالعربية في النص الأصلي القُلَيْعات)- درسنا آثار هذا الحصن الصغير القائم على تلة منخفضة في وسط السهل. يظهر هذا الحصن في تاريخ الحروب الصليبية، ولكن بناءه يكشف عن أساليب بناء عربية، ولا يبدو أنه يقدم إي أثر أكيد عن قليعات (كوليات Coliath) الصليبيين)". راجع: Max van Berchem, “Recherches archéologiques en Syrie”, Journal Asiatique, 9ème série, t. VI, 1895, pp. 492-493.

١- ترجمة النص الحرفي الذي وضعه ڤان برشم عن القليعات

(ص ١٣١) تقع هذه القلعة الصغيرة على تلة منخفضة تشرف على السهل الساحلي لمسافة بعيدة (الصورة رقم ٦١). يتخذ مخططها (الصورة رقم ٦٢) شكل مربع طول ضلعه حوالي ٦٥م. يحيط بها من كل جهاتها خندق (F) لحمايتها محفور جزئياً في الصخر بعرض من ٨ إلى ١٠م، وبعمق ١,٥م؛ ومع أن هذا الخندق مردوم ومدمر جزئياً، فهو جلي للعيان، لا سيما لجهتي الشمال الشرقي والشمال الغربي. ويرتفع على كل زاوية من زواياها برج مربع؛ منها برج الزاوية (T) ما يزال محفوظاً حتى قمته، ولكنه يبدو مرمماً، ربما لاستخدامه كبرج اتصالات؛ وهو في وضعه الراهن خال من فتحات الرماية (الصورة رقم ٦١، جهة اليسار).



Fig. 61. — Château d'el-Qlē'āt, vu du sud-ouest.

وفي منتصف كل واحدة من جهاته بروز مستطيل خفيف لتعزيز الدفاعات. وباستثناء البرج المذكور فكل النتوءات والاستحكامات منهارة حتى منتصف ارتفاعها.

يقع مدخلها الأساسي (E) في الجهة الشمالية الشرقية وسط جدار متراجع قليلاً إلى الداخل، ما يجعله في وضعية تعزز الدفاع عن اختراقه من خلال تحصينه المتكون من تراجعه إلى الداخل بين نتوئين يحيطان به. أما بابها الذي تعلوه قوس حادة فمدعم بباب آخر أحدث بناءً. ويقابله في الجهة الجنوبية الغربية باب خفي (للنجاة) (P) ضيق ومنخفض (الصورة رقم ٦١، الوسط). وداخلها ساحة واسعة (C) قسمها الشمالي الغربي تحتله مخازن وأحواض ماء تحت الأرض[١].

---

[1] أثناء مرورنا كانت هذه الساحة تضم أكواخاً بائسة وحيوانات البدو شبه المقيمين الذين يزرعون السهل المحيط بالقلعة.

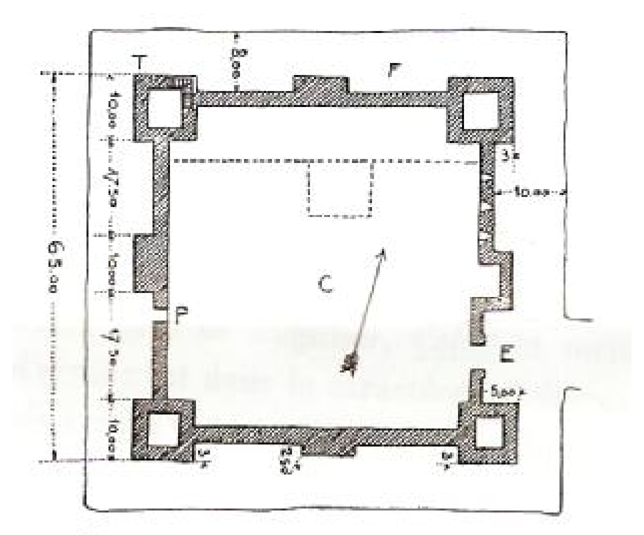


Fig. 62. — Plan du château d'el-Qlē'āt.

أما ترتيب حجارة الجدران المتنافر جداً فكان ينطوي، في فوضى عارمة، (ص ١٣٢) على حجارة ضخمة بتجاويف وحدبيات، وتختلط بحجارة ملساء بمقاييس متنوعة. لم يتسنّ لنا الوقت لندرس بالتفصيل التوزيع الداخلي للقلعة ما بدا لنا أنه قليل الأهمية.

إلى أي عهد يعود بناء هذه القلعة؟ لقد وردت الإشارة إليها في بعض مصادر القرون الوسطى العربية واللاتينية معاً، ولكننا لم نعثر فيها على ما يفيدنا حول أصولها[١]. ويمكن أن ننسب إلى الصليبيين بعض أجزاء البناء الراهن، كالحجارة المحدبة والمدخل (E). ونظراً لغياب أي نقوش على الحجارة[٢] فلا يمكننا التقدم بأي شيء يمكن الركون إليه. ويبدو أن هذه القليعة دُمرت ورُممت عدة مرات.

تؤكد المصادر التاريخية، كما سنرى، هذه الملاحظة المستخلصة من دراسة سطحية لأسوارها. وهي تفيدنا قليلاً في الحقيقة حول قليعة لم تلعب غير دور لم يحتفظ به التاريخ لأنها لم تكن تتحكم بنقطة إستراتيجية بالغة الأهمية. هذا فضلاً عن أن اسمها لا يسهل البحث. فثمة في سورية العديد من حصون الدرجة الثانية ترد باسم قلعة qal‘a “forteresse”، أو قليعة قلعة صغيرة qulai‘a “petite forteresse,

[1] لا عند ابن شداد الحلبي، ولا عند ياقوت، ولا عند النويري، ولا في باقي النصوص التي تقدم بعض التفاصيل حول أصل قلاع سورية.
[2] لم نعثر فيها على نقوش ولا على علامات نقشية.

fortin". صحيح أنه في حالتنا الخاصة هنا يأتي الاسم بالجمع: القليعات[١] al-qulai‘āt "les fortins". ولكن هذه الصيغة لا تلغي كل فرص الالتباس في النصوص العربية، وما بالك في الترجمات اللاتينية: كوليه Colée وبدائلها في المفرد، كوليات Coliat وبدائلها في الجمع[٢]. يكمن سبب آخر للخطأ في كون اسم العلم هذا له طابع اسم الجنس، فالمستعربون غير المتمكنون من الطبوغرافيا السورية اعتبروه مجرد اسم جنس يشير إلى عدة قلاع صغيرة مجهولة[٣].

ثمة موضع باسم كوليات Coliat(h) يرد ضمن الهبات التي قدمها كونت طرابلس إلى الاسبتالية، في ٨ شباط ١١٢٨؛ صحيح أن كوليات هذه معينة في الهبات (ص ١٣٣) كقرية villa لا كقلعة[٤]. ونجدها في العام ١١٥٣ بين الأملاك التي يثبتها البابا إلى الاسبتالية[٥].

يفيد سياق النص في هذين المصدرين أن المقصود هو القليعات el-Qlē‘āt؛ ولكننا ما نزال غير واثقين تماماً. فعلى مسافة ساعتين شمالي بلدة عكار المعروفة جيداً آثارها العائدة إلى القرون الوسطى[٦]، تقع قرية مزدوجة اسمها القبيات[٧] Qubai‘āt. والحال، ففي رحلة تومسون Thomson يرد هذا الاسم بشكل قليعات Qulai‘āt؛

---

[1] هل يشي هذا الشكل للاسم بوجود في الأساس لعدة قلاع منفصلة؟ لا يشجع على التقدم بهذه الفرضية موضع القلعة المتكون من تلة منخفضة سطحها متساوٍ. ولعله ليس لصيغة الجمع غير هدف واحد هو تمييز هذه القلعة (القليعات) عن القلاع التي تحمل نفس الاسم بصيغة المفرد (القليعة).

[2] البديل جوليات Goliath (أو جولياد Goliad)، في رسالة الأسقف سيمون المذكورة لاحقاً، ص ١٣٤، الحاشية ٢، يبدو للوهلة الأولى اشتقاقاً شعبياً من اسم الجبار التوراتي الشهير. وعلى أي حال إذا ما قارنناه من صيغة جوليات Gouliat في des Annales (راجع لاحقاً ص ١٣٤، حاشية ٢) لوجدناه بالأحرى انعكاساً للفظ المحلي لحرف القاف العربي qāf arabe بلفظ الحرف جيم المهموس g occlusif الواسع الانتشار في الأرياف السورية.

[3] راجع حول مصدري الخطأ: Notes croisades, p. 442 (58) et suiv.

[4] راجع: Paoli, Codice, I, p. 11, n° XI; Delaville, Cartulaire, I, p. 76 (donamus Deo et Hospitali Iherosolomitano… villam Coliath cum omnibus pertinentiis suis…); cf. Rey, Colonies, p. 365; Röhricht, Regesta, p. 29, n° 118.

[5] راجع: دولافيل Delaville، المرجع السابق، ص ١٦٧ (... طرابلس Tripoli، جبل الحجاج (أبو سمراء) Monte Peregrino، عرقة Arci، كوليات (قليعات) Coliato، رفنية Rafania...)؛ cf. Röhricht, Regesta, addit. P. 18, n° 280b; ZDPV, X, p. 257, et les sources citées.

[6] راجع: Dussaud, Voyage, 1896, p. 2 et suiv.; CIA, II, p. 2 et suiv.

[7] هذا الاسم (القبيات) مكتوب على خارطة جليس Gelis: Koubayat et Vieux Koubayat، وعلى خارطة بلانكنهورن Blanckenhorn: Kubajat et Alt Kubajat، وفي رحلة دوسو (مرجع سابق، ص ٤) الذي مرّ فيها آتياً من عكار: Koubaiyat. نحن نكتبه Qubai‘āt لأن خريطة بيروت حيث ترد الأسماء بالعربية ثمة قرية باسم قبيعات (الاسم وارد بالعربية فقط في النص الفرنسي) جنوبي غربي عكار، وهي مطابقة لقرية القريات Kourâayat في خارطة جليس. ليس علينا البحث في ما إذا كانت هذه الأسماء تشير إلى موضع واحد وحيد، أو إلى عدة قرى غير مموضعة بدقة بجوار عكار.

وعلاوة على ذلك ثمة تفصيل مثير: فسكان القرية يقدمون نفسهم للرحالة الأميركي على أنهم أحفاد الفرنجة Francs، وفي ذلك مؤشر على أن قريتهم لعبت دوراً ما في زمن الصليبيين[١]. وإذا ما قارنا هذه الملاحظة مع عبارات عقد عام ١١٢٨ (قرية كوليات - القليعات - villam Coliath) ومع واقع أنه عند القليعات لا توجد قرية ولا دوائر ظاهرة خارج القلعة، فإننا نميل إلى افتراض أن "قرية كوليات - القليعات - villa Coliath" هذه قد كانت هي القرية العتيقة، الداثرة اليوم، والمعروفة بالقليعات Qulai‘āt (أو القبيعات[٢] Qubai‘āt) في لبنان، بين بلدة عكار والبقيعة، وليست بالأحرى قلعة القليعات Qle‘āt. وعلى أي حال، فهي لم تكن على كثير من الأهمية في تلك المرحلة، لأنها لم تُذكر في رواية حروب صلاح الدين.

في العام ٦٠٤ هـ (١٢٠٧-١٢٠٨)، بمناسبة واحدة من الحملات في سورية، عسكر السلطان الملك العادل أبو بكر بالقرب من بحيرة حمص، حيث وافته قوات من بلاده ما بين النهرين. ثم دخل في إقليم طرابلس حيث حاصر موضعاً باسم القليعات al-Qulai‘āt؛ واستولى عليه صلحاً، وصرف صاحبه، وبعد أن صادر ما فيه من دواب وسلاح، دمره واتجه إلى طرابلس[٣].

يوضح السياق هنا أن المقصود هو موضع القليعات el-Qlē‘āt، لا موضع القليعات Qulai‘āt التي ذكرها (ص ١٣٤) تومسون. خيّم السلطان عند بحيرة حمص، وهو يريد المسير إلى طرابلس: فأي طريق سيسلك؟ بالطبع سيسلك الممر والسهل حيث تمر اليوم الطريق الفرنسية المعبدة، ولن يتخذ دروب الجبل الوعرة. والحال، فإن حصن القليعات el- Qlē‘āt يتحكم بهذه الطريق. صحيح أن كاتب الحوليات يستعمل هنا عبارة غامضة (موضعاً ‘maudi) يمكنها أن تعني مدينة أو قرية أو قلعة. ولكن تفاصيل روايته تبرهن على أن المقصود موقع محصن، وان هذا الموقع يعيق مسير

---

[1] راجع: Ritter, Erdkunde, XVII, p. 816 et suiv., حيث يكتب Kulaiât et Alt Kulaiât. إن وجود القبيات العتيقة Qubai‘āt (أو القليعات Qulai‘āt)، التي أشار تومسون إلى آثارها البازلتية، يؤدي إلى نفس الاستنتاج.

[2] لاحظوا هنا الاسم القبيعات، لا القبيات. وليس في تقاليد البلدة ما يشير إلى مثل هذا اللفظ إطلاقاً (المترجم).

[3] راجع: Ibn al-Athïr, XII, p. 181. في Hist. or. Des crois., II^{a}, p. 106 يقترح الناشر في ملاحظة له تعييناً بائساً لهذا الموضع مع قليعة الحشاشين el-Qulai‘a = Colée.

النص العربي كما جاء عند ابن الأثير في الكامل في التاريخ، الجزء التاسع، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٩٦-٢٩٧: "... إن الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة... ثم سار إلى حمص فنزل على بحيرة قدس وجاءته عشائر الشرق وديار الجزيرة ودخل إلى بلاد طرابلس وحاصر موضعاً يُسمى القليعات وأخذه صلحاً وأطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخربه وتقدم إلى طرابلس..." (المترجم).

السلطان إلى طرابلس؛ والحال فموضع القليعات el- Qlē‘āt أفضل ما ينطبق على هذه الشروط.

وإذا رغبنا ببينة أخرى لوجدناها عند ويلبراند أولدنبورغ Wilbrand d’Oldenbourg. ففي العام ١٢١٢، أي بعد أربع أو خمس سنوات على غارة الملك العادل، مرّ هذا الرحالة الألماني وهو في طريقه من طرابلس إلى طرطوس على "كوليكات Culicath، قلعة دمرها المسلمون". وبعد أن ترك على يمينه حصن الأكراد (الاسبتالية) والحصن الأبيض (الداوية) (صافيتا)، تابع سيره شمالاً حتى طرطوس. إن جميع تفاصيل وصفه لرحلته، وهي صحيحة لدرجة رائعة، تبرهن بداهة أن المقصود هنا هو موضع القليعات[1] el- Qlē‘āt. وإذا كان ويلبراند، الملاحظ الرائع، يسجل عام ١٢١٢ أن هذه الموضع دمره العرب، فبوسعنا الاعتقاد بأنه الموضع الذي كان قد خربه الملك العادل قبل أربع سنين، على حد كلام ابن الأثير.

في شعبان من العام ٦٦٤ (أيار- حزيران ١٢٦٦) وجه السلطان بيبرس، أثناء حملة في سورية، فرقة من جيشه إلى ساحل طرابلس، فاستولت على ثلاثة مواقع محصنة[2]: القليعات al-Qulai‘āt، حلبا Halbā، عرقة ‘Arqā. هنا أيضاً المقصود هو موضع القليعات el- Qlē‘āt. إن موقعي حلبا وعرقة معروفان بدقة[3]؛ وهما يشكلان مع القليعات مثلثاً إستراتيجياً في الدفاع عن طرابلس بوجه أي هجوم من الشمال (طرطوس) أو الشمال الشرقي (حمص). وكان سقوطها مقدمة ضرورية لسقوط

---

[1] راجع: Laurent, Peregrinatores, p. 169; et ZDPV, X, p. 257, n. 10. بدل كوليكات Culicath، يجب قراءة كولِيّعات Culieath بدل كوليْعات Culeiath، كترجمة لفظية دقيقة للكلمة العربية قليعات Qulai‘āt. فهل نفس الاسم محجوب في كلاي (Quelleyes des Lignages, Hist. des crois., Lois, II,p. 466, l. 14) حيث صيغة الجمع العربية تمت ترجمتها بصيغة الجمع الفرنسية؟

[2] راجع: Abu l-fida’, IV, p. 3; Hist. or. Des crois., I, p. 151; II^{a}, p. 222 (‘Aini); Maqrizi, Sultans Mamlouks, I^{b}, p. 27; Nuwairi, f^{o} 7^{1} v^{o} (le 4 sha‘bān); Annales, dans A O L, II^{b}, p. 452 (le Gouliat); Simon, cite par Röhricht, Geschichte, p. 929, n. 5, et dans A O L, II^{a}, p. 382, n. 70 (Goliad ou Goliath).

وهاكم نص النويري غير المنشور (باللغة العربية في الأصل): ونزلوا على حصن القُلَيْعات فتسلموه في رابع شهر رمضان بالأمان وهدموه وعادت العسكر فنزل الأمير سيف الدين قلاون بالقرب من القُلَيْعات.

حصلت هذه الغارة في نفس ظروف غارة الملك العادل: انطلقت قوات بيبرس من حمص وسارت إلى طرابلس. يروي ابن الفرات هذين الأمرين ويشير إلى الاستيلاء على عدة حصون، بدون أن يسميها. راجع: Reinaud, Bibliographie, p. 767-780.

[3] راجع: Dussaud, Voyage 1896, p. 1 et suiv.; C I A, II, p. 2.

طرابلس، كما أن المصير المشترك الذي لحق بها متلازم تماماً مع طبوغرافيا المنطقة.

(ص ١٣٥) بعد فترة من الزمن ترد القليعات al-Qulai‘āt وتوابعها في عداد أملاك السلطان قلاوون بموجب الهدنة المعقودة مع الداوية في العام ٦٨١ هـ (١٢٨٢) ومع الفرنجة في العام ٦٨٢ هـ (١٢٨٣)[١].

ومنذ ذلك الحين يبدو أن القليعات al-Qulai‘āt غابت عن مسرح التاريخ[٢]. وليس في ذلك ما يدعو إلى الاستغراب. فبعد السقوط النهائي للدول اللاتينية، استمرت بعض الحصون الكبيرة، كحصن الأكراد، تمتاز ببعض الأهمية كمواضع عسكرية وكمراكز لبعض الأقضية؛ أما القلاع الصغيرة، وهي من بقايا نظام إقطاعي دمره بشكل منتظم أمثال بيبرس وقلاوون، فلم يعد لها أي دور في التنظيم السياسي والعسكري في الدولة المركزية للماليك.

وهكذا فإن قلعة القليعات el-Qlē‘āt ظهرت للمرة الأولى في القرن الثاني عشر، كملكية للاسبتالية على ما يبدو؛ وهنا ليس من الأكيد تماماً أن النصوص التي ذكرتها تنطبق على هذا الموضع. وفي مطلع القرن الثالث عشر استولى عليها ودمرها الملك العادل، وبعد أربع سنوات لم يتم ترميمها. وفي العام ١٢٦٦ استولى عليها بيبرس نهائياً من الفرنجة، لتسقط بعد قلاوون في لجة النسيان. ولا تسعفنا هذه الوثائق الضعيفة لا في اكتشاف أصلها ولا في رسم تاريخ بنائها. وهي بمخططها المربع وبالتوزيع المنتظم لنتوءاتها تعود إلى طراز أقدم الحصون العربية واللاتينية في سورية[٣]، ولكن هذا الطابع لا يقدم بمفرده البرهان على أصل قديم. وربما تعود الحجارة الكبيرة المحدبة إلى القرن الثاني عشر، كما هي الحال في

---

[1] راجع: Tachrīf, f^os 40 v^o et 74 v^o, et dans Sultans Mamlouks, II^a, p. 178, 180, 222 et 226; Röhricht, Regesta, p. 377 et suiv., n^os 1447 et 1450.

من المفيد أن نقدم النص العربي للهدنة في المرجع الذي يقدمه ڤان برشم "تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور" لصاحبه ابن عبد الظاهر: "وفي هذه السنة (٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م) "استقرت الهدنة بين مولانا السلطان... وبين المقدم أفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية، بعكا والساحل، وبين جميع الإخوة الديوية بأنطرسوس... على بلاد السلطان ...وبلاد حصن الأكراد وبلادها وأعمالها، وما هو داخل فيها... من بلاد وقرى ومزارع ومراجات وأراض وأبراج وطواحين // وغير ذلك، ومملكة صافيتا وبلادها وأعمالها وقراها وأسوارها... وميعاز وأعمالها، والعريمة وأعمالها، ... وجلبا وأعمالها، وعرقا وأعمالها وطِيبوًا وأعمالها، وقلعة حصن الأكراد وأعمالها وبلادها، والقليعات وأعمالها وبلادها ومرقية بكمالها وبلادها..."، ص ٢٠-٢١.

[2] لم نعثر لها على ذكر لا في وثائق الدواوين المصرية للقرنين الرابع عشر والخامس عشر، ولا في حوليات ابن أياس.

[3] راجع لاحقاً ص ١٦٩، والصورة رقم ٩٣.

جبيل Jebeil، بينما تعود الحجارة المنحوتة بالأحرى إلى القرن الثالث عشر بعد مرور الملك العادل؛ ولكننا لا نستطيع الركون إلى مجرد فرضيات.

٢ - مناقشة اقتراح ڤان برشم بتعيين قرية كوليات villa Coliath في "القبيات العتيقة".

في سياق عرض تاريخ القليعات واسمها يشير ڤان برشم إلى ورود اسم كوليات Coliath في نصوص هِبتين مقدمتين إلى الاسبتالية، وذلك كقرية villa لا كقلعة. ويؤكد: "يفيد سياق النص في هذين المصدرين أن المقصود هو القليعات el-Qlē‘āt؛ ولكننا ما نزال غير واثقين تماماً".

إنه يشكك في كون كوليات Coliath هي قلعة القليعات. وفي الحقيقة، ليس مطلوباً بالضرورة أن تكون قرية كوليات villa Coliath (قرية القلعيات) هي نفسها قلعة القليعات. ولكنه يُضيف: "عند القليعات لا توجد قرية ولا دواثر ظاهرة خارج القلعة". هل تعبر هذه الإضافة عن ملاحظة متأنية للمكان بعد دراسة وافية لموضع قلعة القليعات ولمحيطها المباشر وجوارها؟ يقول ڤان برشم نفسه: "لم يتسنّ لنا الوقت لندرس بالتفصيل التوزيع الداخلي للقلعة...". كان على عجلة من أمره، وإن اعتبر أن الدراسة التفصيلية لداخل القلعة لن تأتي بأمر هام. لم يكن في مروره بالقليعات متفرغاً ليدرس مجمل المنطقة أو ليتبين طبيعة القرى المحيطة بها. وهو لم ينشغل كثيراً في البحث عن موضع قرية القليعات villa Coliath. كما أنه لم يراجع جيداً الأبحاث السابقة عليه في الطبوغرافية السورية في زمن الممالك اللاتينية.

هذا الأمر، أي العلاقة بين موضع قرية كوليات villa Coliath وموضع قلعة القليعات، ناقشه الرحالة رينيه دوسو ودحض رأي ڤان برشم بالذات، عندما ردّ عليه بقوله: "كان سبق لروهريخت، RÖHRICHT, ZDPV, X, p.257, n. 10، أن لاحظ وجود خربة غير بعيدة عن القليعات يمكنها أن تكون قرية كوليات Coliat

العائدة للعصر الوسيط"[١]. هناك من لاحظ وجود دواثر قرية كوليات بالقرب من قلعة القليعات، وهذا ما لم يتنبه له ڤان برشم، مع الأسف، ولم يناقشه بالطبع.

استند ڤان برشم إلى ما جاء في رحلة القس تومسون[٢] الذي مرّ في القبيات وبات ليلة في ربوعها. يقول ڤان برشم: "على مسافة ساعتين شمالي بلدة عكار المعروفة جيداً آثارها العائدة إلى القرون الوسطى، تقع قرية مزدوجة اسمها القبيعات[٣] Qubai'āt. والحال، ففي رحلة تومسون Thomson يرد هذا الاسم بشكل قليعات Qulai'āt؛ وعلاوة على ذلك ثمة تفصيل مثير: فسكان القرية يقدمون نفسهم للرحالة الأميركي على أنهم أحفاد الفرنجة Francs، وفي ذلك مؤشر على أن قريتهم لعبت دوراً ما في زمن الصليبيين"[٤].

يعتمد ڤان برشم في كل نظريته على كيفية كتابة القس تومسون لاسم بلدة القبيات: القليعات. وعندي أن كل الأمر لا يعدو كونه مجرد خطأ ارتكبه تومسون في تسجيل

---

[1] راجع: DUSSAUD René, Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale, Librairie Orientaliste Paul GEUTHNER, Paris, 1927, p. 90. ما قاله روهريخت واستشهد به دوسو هنا منشور (كما يوضح دوسو نفسه في نفس الموضع) في "مجلة الجمعية الألمانية لفلسطين" ZDPV، المجلد العاشر، عام ١٨٨٧، أي قبل ٧ سنوات على رحلة ڤان برشم، وقبل حوالي ٢٧ سنة على نشر رحلته (راجع: ترجمتنا لنص دوسو في "منتخبات التواريخ والآثار في مواضع عكار والجوار"، الموضوع الأول، "بين طرابلس وحمص"، على موقع kobayat.org). في هذا المجلد وضع روهريخت مقالاً بعنوان "دراسة في جغرافيا وطوبوغرافيا سورية في العصر الوسيط"، وفيه طرح إمكانية وجود قرية كوليات villa Coliath بالقرب من قلعة القليعات: Röhricht, ZDPV, t. X, p. 257, n. 10: "el-kulai'āt mit gleichnamigem chirbet ebenda". ولم تفت روهريخت الإشارة إلى أن الرحالة إيلي سميث ذكر خربة قرية القليعات بالقرب من قلعة القليعات، في مسرد أسماء المواضع العربية المنشور في E. Robinson and E. Smith: Biblical Researches…, vol. III, 1841، أي قبل أكثر من نصف قرن على رحلة ڤان برشم (راجع ترجمتنا لمسرد إيلي سميث تحت عنوان "عكار منذ حوالي القرنين" ضمن سلسلة "منتخبات التواريخ...، القسم الرابع على موقع kobayat.org).

[2] راجع مقتطفات من نص رحلة تومسون ترجمناها تحت عنوان "عكار في جولة القس تومسن من بيروت إلى حلب في العام ١٨٤٥"، ومنشورة على kobayat.org.

[3] لاحظوا هنا الاسم ليس القبيات، بل القبيعات Qubai'āt، فالحرف (ع) بالعربية يقابله هنا الرمز ('). وليس في تقاليد البلدة ما يشير إلى مثل هذا اللفظ إطلاقاً.

[4] لا بد من أن نتقدم بالملاحظة الآتية: ثمة خطأ كبير ما كان لبحاثة كماكس ڤان برشم أن يقع فيه. فما قاله تومسون عن استقبال سكان بلدة القبيات له واضح للغاية: "تركنا عكار باتجاه الشمال تقريباً لنصل بعد ساعتين إلى قرية مبعثرة، قليعات Cûlaiât (أي القبيات)... فاجأنا أهل هذا الموضع المنعزل بقولهم لنا: نحن كلنا فرنسيون (أو فرنجة) (نحن فرنسيون لا أحفاد الفرنجة، كما يقول ڤان برشم!)، وبما أننا إنكليز وبروتستانت رفضوا بيعنا الطعام لنا أو لدوابنا. ولكن لغز المفاجأة زال بظهور كاهن يسوعي استقر مؤخراً بينهم. بيد أن هذا الرجل المحترم قد لا يكون المسؤول لوحده عن فظاظتهم، فهم كفلاحين موارنة فقراء لديهم الكفاية من القساوة تجاه البروتستانت بدون أي أيعاز خارجي". مقصد تومسون واضح: أني إنكليزي وبروتستنتي، فقال لي سكان البلدة الموارنة أنهم جميعهم فرنسيون. وهم يقصدون أنهم مؤيدون للكثلكة، ورافضون للبروتستنتية التي يشجع عليها انكلترا والإنكليز. ولذلك رفضوا بيعه وصحبه ما يأكلونه كتعبير عن موقف رافض له ولما يمثله... هذا هو الاستنتاج الذي كان عليه استخلاصه، لا استخلاص دور ما في زمن المرحلة الصليبية. كان عليه تفسير كلام أهل البلدة على ضوء الصراع بين الدعاية البروتستنتية والدعاية الكاثوليكية، لا الذهاب أبعد من ذلك.

اسم البلدة، أو ارتكبه العاملون في الطباعة. فليس في كل تراث وتقليد القبيات من يذكر أن البلدة حملت يوماً ما اسم قليعات. ولقد سبق لنا أن عالجنا هذا الموضوع عندما ترجمنا ما يتعلق بعكار من جولة القس تومسون[١].

بالإضافة إلى ذلك يقول جان مسكي، في Jean Mesqui: Forteresses Médiévales au Proche-Orient، أن القليعات كانت في زمن الهبة (١١٢٥-١١٢٧) قرية تحولت مع الاسبتارية إلى موضع قلعة: "village de Qûleiî'at/ Coliath, qui fut plus tard le site d'un château Hospitalier". ومن ناحية أخرى، من المعروف أن قليعات واردة في سجل الضرائب العثمانية منذ العام ١٥٧١، كقرية في ناحية عرقا[٢].

٣ - البرهان على انتحال الأب موراني لمقترح ڤان برشم

في الفصل الأول من القسم الثاني من مؤلفه "القبيات في أيام الصليبيين"[٣] يضع الأب سيزار موراني عنواناً فرعياً: "قرية كوليات= كوبيات" La villa Coliath= Cobiat. وهو يقصد أن الموضعين موضع واحد، وأن ما جاء في بعض النصوص اللاتينية أيام الصليبيين عن قرية القليعات villa Coliath، إنما المقصود به هو بلدة القبيات اليوم.

وينهي الأب المحترم عنوانه بإشارة إلى حاشية (الرقم ١٩) في أسفل الصفحة ٧٣ من كتابه المذكور، المنشور عام ٢٠٠٦. تهمنا هذه الحاشية بالذات، لأنه يتوهم أنها ترد عنه تهمة الانتحال، وهو يحاول بذلك أن يستخف بذكاء القارئ. لنستعرض هذه الحاشية بنصها الفرنسي وبترجمتها العربية:

---

[1] راجع: "عكار في جولة القس تومسن من بيروت إلى حلب في العام ١٨٤٥"، مقال منشور على موقع kobayat.org.

[2] خليفة، عصام: الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٩٣.

[3] وضع الأب موراني أطروحة للدكتوراه، ثم نشرها: L'Architecture Religieuse de Cobiath sous les Croisés, thèse pour un doctorat en histoire de l'art, préparée par Afif MOURANI sous la direction de M. Yves BRUAND, Université Le Mirail-Toulouse, 1988. وصدرت هذه الأطروحة في كتاب بالفرنسية: P. César MOURANI, Cobiath sous les croisés, Zgharta- Liban, 2006. ويتم توزيع الكتاب من قبل الآباء الكرمليين، الحازمية. تبين لي مؤخراً أن الأب سيزار قام بتعديل بعض مقاطع أطروحته وحذف البعض الآخر منها، عندما نشرها، بوصفها طبعة جديدة، عام ٢٠٠٢ على موقع kobayat.org. كان الأحرى به انسجاماً مع التقاليد العلمية أن يشير، ولو عابراً، إلى أنه قام ببعض التعديل والحذف على الطبعة الأولى، ومن الطريف أن لائحة المراجع غائبة من النسخة الإلكترونية المنشورة على الموقع المذكور. ولكن الكثير من القبياتيين بحوزتهم نسخة عن الطبعة القديمة التي كان قد وزعها الأب موراني عليهم. ولدينا نسختان عليها توقيعه على إهدائها، فللراغب أن يتصفحها نضعها بتصرفه.

On m'a accusé de plagiat: je confesse humblement que n'étant pas un milicien chevronné, les circonstances de la guerre m'avaient permis de lire, seulement, quelques photocopies par intermédiaire. La lecture du livre, après la guerre, m'a donné la satisfaction d'avoir vu juste.
Opinant dans le même sens, je me hâte de laisser tomber ma réflexion pour suivre, ici, la logique de van Berchem.

ترجمة: "اتُهمتُ بالانتحال: أعترف بتواضع أن ظروف الحرب مكنتني فقط، لكوني لست ميلشيوياً محنكاً (ما دخل الميليشيا بالبحث العلمي؟! وإلى ما يُلمح؟! سيرة لا نرغب بفتحها احتراماً منا لمؤسسات نبقى نحترمها بصرف النظر عن بعض الذين كانوا قائمين عليها.)، من قراءة بعض النسخ المصورة من قبل وسطاء. ولكن قراءة الكتاب (أي كتاب؟) بعد الحرب أشعرتني بالارتياح لأني كنت أرى بشكل صحيح.

"وبما أني أفكر بنفس الوجهة أسارع إلى التخلي عن فكرتي، لأتابع هنا منطق ڤان برشم".

لا بد من التعليق على هذه الحاشية الملغزة باللجوء إلى بعض الأسئلة. فمن هو الذي اتهم الأب موراني بالانتحال؟ الفاعل مجهول (on: pronom indéfini). لماذا لا يتم التصريح به؟ ماذا انتحل الأب موراني ليُتّهم عليه؟ الموضوع مغيّب. لماذا خطرت هذه الحاشية على بال الأب موراني؟ ألم تكن "السترة" أفضل له؟

على كل حال، أنا المعلق على هذه المقالة أقر وأعترف أني اتهمت الأب موراني بالانتحال، وبتشويه نصوص استشهاداته، وبتلفيق بعضها، و...

وهنا اتهمته بأنه انتحل فكرة أن فيلا كوليات villa Coliath قد تكون هي بلدة القبيات، وأنه أخذها عن ماكس ڤان برشم[١]. وتبريره أو رده الوارد في هذه الحاشية، يجعلني أكثر إصراراً على اتهامه بالانتحال، وبما هو أكثر. فيا ليته لم يفعل. لأن ما أتى به "عذر أقبح من ذنب".

يزعم "أبونا" أن ظروف الحرب لم تسعفه في الوصول إلى المراجع المطلوبة، فاكتفى بما يسميه "النسخ المصورة من قبل وسطاء". ما قيمة هذا الكلام؟ صورة

---

[1] سبق لنا أن عرضنا بالتفصيل عملية الانتحال هذه مع غيرها من عمليات تزوير نصوص العديد من المؤرخين، وبالتالي لا حاجة بنا لتكراره هنا. ويكفي لذلك مراجعة مؤلفنا "تحقيقات في تاريخ عكار والقبيات" الصادر عن مكتبة السائح، طرابلس لبنان، ٢٠٠٠؛ والمؤلف موجود على موقع kobayat.org، ويمكن لمن يرغب قراءته أو تحميله هناك.

المرجع صورة، بوسيط أو بدون وسيط، وصورة المرجع تعني المرجع بالضبط. فماذا يقصد؟

يقول "أبونا" أنه قرأ الكتاب (كتاب ڤان برشم Voyage en Syrie) بعد الحرب، أي بعد أن وضع أطروحته وناقشها في العام ١٩٨٨. فهل كلامه صحيح؟ هل صحيح أنه لم يقرأ الكتاب عندما كتب أطروحته؟

بمجرد مراجعة الأطروحة، نرى أن هذا الكتاب بالذات جعله "أبونا" المحترم ضمن مراجع هذه الأطروحة، ويحتل الرقم ٥ في لائحة المراجع الفرنسية، في الصفحة (XI) من التمهيد. وهو يستشهد به أكثر من مرة في متن نص أطروحته: يستشهد به في الصفحة ١٢٤، و٢٥١ من أطروحته. واستشهاداته مأخوذة من كلام ڤان برشم على القليعات (النص الذي ترجمناه أدناه)، أي بالتحديد من المكان الذي أخذ منه (انتحالاً) فكرة ڤان برشم.

فكيف يصح كلامكم "يا أبونا" أنكم قرأتم الكتاب بعد الحرب؟ كيف سمحتم لنفسكم بتسجيل مرجع في أطروحتكم، وفي الاستشهاد به، وأنتم تزعمون عدم قراءته، بسبب الحرب؟! إن كان زعمكم صحيحاً (وهو غير صحيح)، فهذا يعني أنكم مارستم الغش، بذكركم مرجعاً تقولون الآن أنكم لم تقفوا عليه سابقاً!

اتهمتكم بانتحال فكرة ڤان برشم، واتهمتكم بأنكم نسبتم احتمال التفكير بها إلى رينيه دوسو. وهنا أيضاً اتهمتكم بأنكم تلاعبتم بكلام رينيه دوسو، وشوهتموه فزورتموه، وحجبتم كلام ڤان برشم. وقلت أنكم تحولتم من باحث في الآثار والتاريخ، إلى محلل نفسي، للتغطية على فعلتكم، ولإبعاد الشبهة، وللظهور بمظهر المبتكر الفذ.

كيف حصل ذلك؟ لندع النصوص تتكلم. يقول أبونا المحترم، في ص ١١١ من أطروحته: "تسجل بداية هذا النص لدوسو: "هل تعكس هذه الصيغة Le Gouliath، وجود عدة مواقع هي، من الأصل، منفصلة عن بعضها؟ هذا ما يؤدي إلى تغيير شروط المسألة حول إسم "Villa Coliath" التي لا يبدو لنا ممكناً أن نعتبرها هي القبيات (Koubaiyat ou Qoubai'at) في سفح جبل عكار"[١].

---

[1] هذا النص شطبه وألغاه الأب المحترم من طبعة العام ٢٠٠٢ الإلكترونية ومن طبعة العام ٢٠٠٦. فتأمل الأمانة العلمية ايها القارئ.

ماذا قال دوسو وكيف شوه مضمونه الأب موراني، وحجب منه هوية ڤان برشم صاحب السؤال؟

يستعرض دوسو في ص ٨٩ و٩٠ من مؤلفه ...Topographie كلاماً للإدريسي ويعلق عليه: يقول دوسو (ننقل كلامه باختصار وتصرف): يذكر الإدريسي وجود ثلاثة حصون صغيرة في خليج عرقة، هي لوتوروس والبابية وحصن الحمام، يجمعها سور واحد ما يعني قربها من بعضها البعض... وأحدها موجود حتى الآن في تل بيبه... وبالقرب من تل بيبه هناك حصن صغير معروف باسم القليعات، وموضع في تل كري يبدو معداً للدفاع... هذا المجموع المحصن يُفسر استخدام صيغة الجمع القليعات (جمع قليعة، العبارة لنا)... التي تم الاحتفاظ بها في الترجمات اللفظية الفرنجية في العصور الوسطى. هنا يسجل دوسو حاشية (رقم ٣) في اسفل الصفحة ٩٠. هذه الحاشية هي التي اعتمد عليها الأب موراني. ماذا في هذه الحاشية؟

(3) Ainsi “le Gouliat” dans Annales de Terre-Sainte, Archives de l’Orient latin, II, 2, p. 452. Cela répond à la question que se posait M. Van Berchem, Voyage, I, p. 132, n. 3; “Cette forme [grammaticale] trahit-elle l’existence, à l’origine, de plusieurs ouvrages séparés?”- Cela change aussi les conditions du problème au sujet du vocable “villa Couliat” qu’il ne nous paraît pas possible d’identifier avec Koubaiyat ou Qoubai‘at au pied du Djebel ‘Akkar. Déjà Röhricht, ZDPV, X, p. 257, n. 10, a remarqué qu’une ruine ou khirbé, non loin de Qlei‘at, pouvait représenter le bourg médiéval de Coliath.

ترجمة نص الحاشية: "هكذا هي حال (عبارة) "القليعات" le Gouliat الواردة في (مؤلف) حوليات الأرض المقدسة، أرشيف المشرق اللاتيني، القسم الثاني، ٢، ص ٤٥٢. وهذا ما يجيب على السؤال الذي طرحه السيد ڤان برشم[1]، في (مؤلفه) رحلة، القسم الأول، ص ١٣٢ (وهي نفس الصفحة التي استشهد بها الأب موراني)، الحاشية رقم ٣: "هل تعكس هذه الصيغة (في القواعد) وجود عدة مواقع هي، من الأصل، منفصلة عن بعضها؟". (هنا ينتهي سؤال ڤان برشم، ويستأنف دوسو كلامه). – هذا ما يؤدي أيضاً إلى تغيير شروط المسألة حول اسم "قرية كوليات" villa Couliat التي لا يبدو لنا ممكناً أن نعتبرها هي القبيات في سفح جبل عكار. وكان سبق لروهريخت (ZDPV, X, p. 257, n. 10) أن لاحظ وجود دواثر أو

[1] من الواضح أن ڤان برشم هو صاحب السؤال، وإليه يتوجه الجواب والتعقيب بعده.

خربة، غير بعيدة عن القليعات، يمكنها أن تكون هي كوليات Coliath القرية العائدة للعصر الوسيط.

واضح هنا أن دوسو يناقش ڤان برشم، ويجيب على سؤاله. ويؤكد له أن كوليات villa Coliath ليست القبيات. وأنه توجد بالقرب من قلعة القليعات قرية سبق أن لاحظ وجودها روهريخت قبله بسبع سنوات.

ومن الواضح أن "أبونا" فطن للغاية، ولا تفوته هذه المسألة. وهو ليس بحاجة إلى التلاعب بتفسير كلام دوسو الذي لم يفكر ولا للحظة باحتمال أن تكون كوليات هي القبيات. ولكن التوهم والاختلاق جعلاه يطمس حقيقة أن ڤان برشم هو صاحب هذه النظرية، فنسب احتمال التفكير العابر بها إلى دوسو[1]، ليصبح هو صاحبها الفذ.

هل "قرية كوليات (القليعات) (La villa Coliath= Cobiat) هي (ال)قبيات"؟

بيّنا سابقاً تحت عنوان "وثائق دير القديسة مريم اللاتينية..."[2] كيف زعم الأب موراني أن منطقة شمعا (في القبيات الغربية) واردة في الوثائق اللاتينية العائدة للمرحلة الصليبية تحت اسم بيتساما bethsama (بيت شمعا)، وكيف زعم أنه بتفكيره هذا يستكمل منهج الباحث جان ريشار. ونشرنا النصوص الحرفية لكلام جان ريشار حتى يتبين للقارئ مدى التزوير الذي عمد إليه عمداً الأب المحترم.

وهنا يحاول "أبونا" أن يقول أن القبيات هي قرية كوليات villa Coliath الواردة في بعض نصوص الهبات اللاتينية. ومحاولته هذه لا تقل تلفيقاً عن سابقتها، وعن الكثير غيرها.

لك أيها القارئ، وخصوصاً من أبناء القبيات، أن ترفض الاستهتار بعقلك وذكائك، وأن تتمسك بالحقيقة التاريخية. وإن كان من المشروع الاختلاف في "وجهات النظر"، فليس من المقبول تزوير الوقائع وتلفيقها، أو "اختراعها". وعليه ليست "قرية كوليات" villa Coliath هي قرية القبيات. وهذا أمر سنعود إليه لاحقاً.

---

[1] طال الحذف الذي قام به الأب موراني كل ما نسبه إلى دوسو.

[2] راجع النص على موقع القبيات، على الرابط أدناه:

http://www.kobayat.org/data/books/joseph_abdallah/shamaa_katlabeh.htm

٦- مقتطفات من جغرافيا استرابون[1] وبلين

استرابون[2] Strabon, Strabo

٤- أفاميا[3] Apamée: أسسها الامبراطور سلوكس نيكاتور Séleucus Nicator وسماها باسم زوجته Apama. كما أسس اللاذقية Laodicée وسماهاباسم والدته. ص ٣٢٤ (بتصرف).

٧- اتخذ نهر العاصي اسمه الأورونط Oronte من اسم أورونتس Orontes باني أول جسر على ضفتيه. كان اسمه الأولي تيفون Typhon. ص ٣٢٥ (بتصرف).

جاء مسار استرابون من الشمال إلى الجنوب.

٩- (ص ٣٢٧) "اللاذقية التي وصلناها الآن مدينة بحرية رائعة البنيان، وتمتاز بمرفأ ممتاز وبإقليم بالغ الخصوبة، ولكنه غني على الخصوص بكروم العنب، ما يسمح بتزويد سكان الإسكندرية بالقسم الأعظم من استهلاكها من الخمر. ويجدر بنا التركيز خصوصاً على الجبل المشرف على المدينة والمزروع بكروم العنب حتى قمته تقريباً. وهذا الجبل بعيد جداً عن أسوار المدينة (ص ٣٢٨)، ويرتفع لجهتها تدريجياً، وبانحدار لطيف، ولكنه يشرف على أفاميا وكأنه سور حاد مطل عليها".

١٠- (ص ٣٢٩) "فيلارك phylarque ليزياس Lysias (ليزياس قلعة تشرف على بحيرة أفاميا)، سمسيجيرام Sampsicéram وابنه جمبليك Iamblique زعيما منطقة حمصémisènes ومركزهما في الرستن Aréthuse، فيلارك بعلبك Héliopolis، وفيلارك عنجر (خلقيس Chalcis) بطليموس Ptolémée بن ميناوس Mennæus الذي كان من موقعه في هذه القلعة يتحكم بكل سهل ماسياس Massyas والهضاب الجبلية (ص ٣٣٠) في أيطورية Iturée."

"منطقة الرستن (خلقيس Chalcidique) تبدأ من سهل ماسياس" ص ٣٣٠

---

[1] المرجع: Géographie de Strabon, traduction par Amédée Tardieu, t. 3, (Livre XVI, Chapitre II), Librairie Hachette, Paris, 1880.

[2] جغرافي يوناني مشهور، ولد حوالي العام ٥٠ ق.م. في أماسيه Amasée في كابادوقيا Cappadoce.

[3] الترقيم هنا من أصل النص (المترجم).

١٢- (ص ٣٣٠) "في الجوار المباشر لهذه المدينة (اللاذقية) تقوم المواضع الصغيرة بوزيديوم Posidium، هيراكليوم Héracléum، جبلة Gabala. ثم (ص ٣٣١) يبدأ المجال la Pérée الأروادي la Pérée aradienne مع بالتوس Paltus وبانياس (بالانيه Balanée) ومرفأ كارنوس Carnus الصغير الذي جعله الأرواديون ترسانتهم البحرية. ثم إنيدرا Énydra، مراتوس Marathus مدينة قديمة فينيقية الأصل، وهي اليوم داثرة، ولقد تقاسم الأرواديون مجالها بالقرعة؛ وبعدها مباشرة تأتي محلة سيميرا Simyra الصغيرة؛ وأخيراً أرطوسية Orthosie، وعلى مقربة منها مصب النهر الكبير (إلوتيروس Éleuthérus) النهر الذي يجعله بعض المؤلفين الحد الفاصل بين سلوقية Séleucide من جهة وفينيقيا وسورية المجوفة Cœlé-Syrie من جهة أخرى".

١٥- (ص ٣٣٣) "نتجاوز أرطوسية ومصب النهر الكبير، فنصل إلى طرابلس... يشكل رأس الشقعة تيوبروزوبون Théûprosopon الآتي بعد طرابلس طرف جبل لبنان؛ ولكن قبل بلوغ رأس الشقعة نصادف المحلة الصغيرة الوسطية المعروفة باسم الهري (تريريس Triérès)".

١٧- (ص ٣٣٤) "أول سهل ينفتح انطلاقاً من البحر يُسمى سهل ماكراس Macras أو ماكروبيديون Macropédion".

١٨- "يلي سهل ماكراس مقاطعة ماسياس التي يعود قسم منها إلى الجبل وحيث يُلاحَظ من بين المواضع المرتفعة عنجر (خلقيس) قلعة فعلية في البلاد أو قمة حصنها. وعند اللاذقية المسماة لاذقية لبنان Laodicée du Liban تبدأ مقاطعة ماسياس. يعيش جميع سكان الجبل، وهم من الأيطوريين والعرب، على اللصوصية والجريمة؛ أما سكان السهل فهم بالعكس لا يتعاطون غير الزراعة، ولهذا فهم بحاجة ماسة إلى من يحميهم من عنف الجبليين جيرانهم. يتمتع جبليو ماسياس بملاجئ محصنة تذكر بالمواضع العسكرية القديمة في لبنان، مثل مواضع سنّا Sinnas وبوراما Borramas وغيرها التي تتوج أعلى القمم؛ ومواضع مثل البترون (بوتريس Botrys) وجغارتوم Gigartum التي تدافع عن المواقع المنخفضة؛ وإما أخيراً مثل مغاور الساحل والحصن المبني في قمة رأس الشقعة؛ وجميعها تحصينات كان قد دمرها بومباي Pompée لأنها كانت دوماً منطلقاً لعصابات جديدة

كانت تجوب وتخرب بلاد جبيل وإقليم بيروت الآتي بعدها، أو بعبارات أخرى كل المجال الكائن بين صيدا (صيدون Sidon) ورأس الشقعة. كانت بيبلوس التي جعلها سينيراس Adonis مقره (ص ٣٣٥) مكرسة إلى أدونيس. وعمل بومباي على قطع رأس طاغيتها...".

١٩- "بعد بيبلوس، نصادف على التوالي مصب نهر أدونيس، جبل كليماكس mont Climax، وباليبيبلوس Palæbyblos؛ ومن ثم نهر الكلب Lycus قبل مدينة بيروت التي بعد أن دمرها تريفون Tryphon أعاد بناءها في أيامنا الرومان، بعد أن كان وضع فيها أغريبا Agrippa فيلقين رومانيين. ولقد شاء أغريبا توسيع إقليم بيروت بضم قسم كبير من ماسياس إليها، وهكذا وسّع حدودها حتى منابع العاصي القريبة في نفس الآن من لبنان ومن مدينة بارادیزوس Paradisos ومن أيجيبتيونتيخوس Ægyptiôntichos، وتتصل بالتالي بإقليم أفاميا."

مقتطفات من "التاريخ الطبيعي"[1]

بلين الشيخ[٢] Pline l'Ancien

(ص ٦٥) ٢٠- "بعد هذه المدينة (صيدا) تبدأ سلسلة جبال لبنان التي تمتد ١٥ ألف غلوة حتى سيميرا Simyra وحتى المواضع التي تتخذ فيها سورية اسم سوريا المجوفة Célésyrie. وبالتوازي مع هذه السلسلة تمتد السلسلة الشرقية Antiliban...

يعدد بلين على الساحل ٢٠- "أدونيس، جبيل، البترون Botrys، جيغارت[٣] Gygarte، الهري (تريبيريس[٤] Trières)، القلمون (كالاموس Calamos)؛ طرابلس التي يسكنها ثلاثة أقوام الصوريون والصيدونيون والأرواديون؛ أرطوسية

---

[1] المرجع: Histoire Naturelle de Pline, Livre Cinquième, traduction nouvelle par M. Ajasson de Grandsagne, t. 4, Paris, 1829.

[2] بلين الشيخ Pline l'Ancien، باللاتينية Caius Plinius Secundus: (٢٣- ٧٩ ب.م.)، كاتب هام للغاية، وُلد في نوفوم كوموم *Novum Comum* (كوم Côme الحالية في إيطاليا)، له مؤلف موسوعي بعنوان التاريخ الطبيعي Histoire naturelle. سُمي باسم بلين الشيخ Pline l'Ancien لتمييزه عن بلين آخر باسم بلين الشاب Pline le Jeune.

[3] قد تكون قلعة أنفة Nephicastron، ص ٢٧٢، حواشي الكتاب.

[4] يقول مانيرت Mannert سُميت بهذا الاسم لأن في الحصن بعض الشبه بالمركب ذي الصفوف الثلاثة من المجاذيف trième، ص ٢٧٣ من حواشي الكتاب.

Orthosie، النهر الكبير (إيلوتيروس Éleuthère)، سيميرا Simyra، مارات Marathe؛ ومقابل أرواد، مدينة وجزيرة على سبعة غلوات stades، وعلى مسافة ٢٠٠ قدم من اليابسة؛ وأخيراً فإن البلاد حيث تنتهي السلسلتان (الغربية والشرقية) تتكون من سهول طويلة، في نهايتها يبدأ جبل برجيل Bargyle."

(ص ٦٧) "هنا تنتهي فينيقيا وتبدأ سورية مجدداً. كارنه Carne، بانياس Balanée، بالتوس Paltos، جبلة Gabale، يليها رأس ترتفع عليه اللاذقية، مدينة حرة، يليها ديوسبوليس Diospolis، هيراقلية Héraclée، شاراد Charade، بوزيديوم Posidium."

"في سورية المجوفة نرى أفاميا Apamée التي تفصلها مياه مارسياس Marsyas عن (ص ٦٩) تيترارشية نازارين[1] tétrarchie des Nazerins؛ ...؛ الحمصيون Emésènes، حيلاتيون Hilates، الأيطوريون Ituréens، البيتاريون Bétarrènes واحدة من قبائلهم؛ المريميون Mariamitanes، تيترارشية ماميزيه Mammisée؛ ... وإلى الشرق قوم اللاذقية المسماة لاذقية لبنان Laodicée du Liban..."

(ص ٢٦٠) رفنية: "رافانام Raphanam (الواردة في: Joseph, Guerre des Juifs, VII, 19) على مسافة ٣٣ ميلاً من أفاميا: لعلها التي ذكر أبو الفدا دواثرها باسم رفنية Rafaniat (Tabl. Syr. P. 107) بجوار بعرين Barin. ويقول غليوم الصوري أن كونت طرابلس استولى عليها عام ١١٢٥".

---

[1] Nazerini يكتب البعض الاسم Nazarini هم اليوم النصيريون Ansarié ...Nosairis ou Nassariens، ص ٢٨٢ من حواشي الكتاب.

٧ - الحروب الصليبية، جاك دو فيتري[١]

مقتطفات

(ص VII) تقدير ولادته (جاك دو فيتري Jacques de Vitry) بين ١١٧٠ و١١٩٠. توفي عام ١٢٤٤.

(ص VIII) كان أسقفاً في عكا بُعيد العام ١٢١٠، حيث قضى بضع سنوات في فلسطين، وشارك بنشاط في وقائع تلك المرحلة.

(ص ٤٥) (الظنيون أو العلويون أو النصيرية) يوجد في الجبال قوم من البؤساء يقطنون بالقرب من سلسلة جبال لبنان وبلاد طرابلس، ومع أنهم يتبعون لحد كبير الدين الإسلامي يقولون أنهم يعتمدون علاوة على ذلك مبدأ سرياً غير مسموح لهم البوح به لأحد، باستثناء أولادهم (الذكور) متى بلغوا سن الرشد...

(ص ٤٦) في مقاطعة فينيقيا، بالقرب من إقليم مدينة أنتارادوس Antarados، المسماة اليوم طرطوس Tortose، يعيش قوم تحيطه الجبال والصخور الكبيرة من كل الجهات، ولديه عشر قلاع بالغة القوة وعصية بحكم ضيق المسالك المؤدية إليها بما يحيطها من صخور شاهقة ووديان سحيقة عند إقدام تلك القلاع، وحيث يُنتَج بوفرة كل أنواع الفواكه والحبوب، وذلك في مواضع رائعة المنظر. هؤلاء الرجال المدعوون باسم حشاشين Assassins يشكلون على ما يُقال قوماً يتجاوز أربعين ألفاً، على رأسهم قائد (ص ٤٧) لا يختارونه بالوراثة بل بحكم صفاته وكفاءاته، ويسمونه الكبير ancien أو الشيخ vieux، وليس ذلك بحكم سنه المتقدم بل استناداً إلى حكمته ومنزلته... ويخضعون له مطيعينه طاعة مطلقة بحيث أنهم لا يتورعون عن تنفيذ أي أمر مهما كان صعباً وخطراً متى أصدره لهم الشيخ، وذلك بكل تصميم وسرور وغبطة...[٢]

---

[1] راجع: Jacques de Vitry, Histoire des Croisades, Collection des Mémoires relatifs à l'Histoire de France, par M. Guizot, Paris, 1825

[2] ما ورد حتى الآن غير متوفر في الترجمة العربية لمؤلف دو فيتري التي قدمها د. سهيل زكار بعنوان "المنتقى من مختصر تاريخ القدس" في "الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية" الجزء ٣٣ الذي جاء بعنوان "الحملة الصليبية الخامسة"، دمشق، ١٩٩٨؛ وتبدأ ترجمة د. زكار متوافقة مع الصفحة ٦١ من تاريخ دو فيتري الوارد في الحاشية السابقة (المترجم).

(ص ٧٠) والإمارة الثالثة بين الإمارات الأربع[1] المتقدمة الذكر هي كونتية طرابلس، التي تبدأ عند الغدير المتقدم الذكر، الذي يجري تحت قلعة المرقب، وتنتهي عند الغدير الذي يجري بين جبيل وبيروت، وهما مدينتان قائمتان على شاطئ البحر، وطرابلس مدينة نبيلة وثرية قائمة على شاطئ البحر، في مقاطعة فينيقيا السورية، وهي قائمة في مكان مناسب، في موقع موائم جداً، يسقى بواسطة مجاري المياه والينابيع، وهي غنية بالقمح، وبأشجار الفواكه، وبالمراعي الخضراء، وتتمتع بمنافع كبيرة من مجاورتها لجبل لبنان، وتلاله المنتشرة، وينبع عند سفح جبل لبنان في هذه الأجزاء نبع فائق (نهر قاديشا) الجمال بمياه نقية جداً، تتدفق من خلال ممر تحت الأرض في لبنان، وتسقي بوفرة جميع حدائق الكونتية، ولقد قالوا بأن هذا هو نبع الحياة الحية، الذي أتى سليمان على ذكره في نشيد الأنشاد (١٥/٤)[2]، وقرب هذه المدينة ينابيع مياه عذبة تتدفق بغزارة بين أمواج البحر المالحة والمرة، وهنا أيضاً كروم تحمل ثمارها مرتين في العام.

"وحوصرت هذه المدينة الجليلة بعد الاستيلاء على القدس، والذي تولى ذلك هو ريموند (صنجيل) كونت طولوز... وقد بنى قلعة إلى جانب المدينة حتى يتمكن بمواءمة أكبر من محاصرتها، وأطلق على هذه القلعة اسم قلعة (تلة) الحجاج، وما تزال تحمل هذا الاسم حتى هذا اليوم لأنها بنيت من قبل الحجاج، وتابع ابنه برترام الحصار بعد وفاته، وتمكن بعد سبع سنوات من الاستيلاء على المدينة باستسلام سكانها، وتسلمها بمثابة اقطاعية من ملك القدس، الذي كان موجوداً أثناء الاستيلاء على المدينة، والذي أصبح هو الرجل التابع له"[3].

(ص ٨١) ووراء هذه (جبيل) على شاطئ البحر تأتي مدينة اسمها بتروم Botrum ولكن اسمها بالعامية بترون، ثم تأتي قلعة اسمها نيفين[4] Nephin (رأس شكا) ثم مدينة طرابلس، ثم تأتي مدينة اسمها عرقة، وهي تبعد ميل (ميلاً) واحد (واحداً)

---

[1] الإمارات الصليبية الأربع هي: كونتية الرها، إمارة أنطاكية، كونتية طرابلس، إمارة القدس؛ وتشكل جميعها مملكة القدس (المترجم).

[2] "ينبوع جنات وبئر مياه حية وأنهار من لبنان": الكتاب المقدس، العهد القديم، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٣٨٦ (المترجم).

[3] هذا المقطع بكامله مأخوذ عن ترجمة د. زكار، المذكورة في الحاشية الثانية من الصفحة السابقة، ص ١٤٠-١٤١ (المترجم).

[4] هي أنفة (المترجم).

عن البحر، ثم مدينة أرواد القائمة على جزيرة قرب ساحل البحر، وقد بناها ارادوس بن كنعان... ثم تأتي مدينة أنترادوم (أنترداوم)..."[1].

(ص ٨٢) بعد الاستيلاء على القدس، قام بعض النبلاء المارين في المنطقة في طريقهم إلى الحج في القدس، ومنهم كونت بواتو Poitou وكونت بلوا Blois وغيرهم من المشاهير، بانتزاع مدينة أنترادوس (طرطوس) من الأعداء وتسليمها إلى كونت طرابلس. وبعد هذه المدينة نجد العديد من المدن الساحلية، منها: مرقية Maraclée، بانياس Valenia، قلعة المرقب (المرقط) Margat، وجابول Gabul، التي تسميها العامة جِبِيل Gibel، (جبلة)، وآخرها لجهة أنطاكية لاذقية سورية Laodicée de Syrie، المعروفة لدى العامة باسم ليشيه Liché، والمتميزة عن غيرها بجمال موقعها وبكل الثروات الزمنية الموجودة فيها بوفرة. ولقد استولى عليها السيد تانكريد Tancrède، الرجل المشهود له في القتال (ص ٨٣) والمكلف بإدارة إمارة أنطاكية، في نفس اليوم الذي استولى فيه على مدينة أفاميا Apamie النبيلة... ولقد استولى جماعتنا على التوالي وبقوة على جميع المدن الساحلية، ولم يتركوا للمسلمين موضعاً واحداً محصناً على شاطئ البحر، بحيث فقد الأعداء كل قوة لهم في هذه المناطق.

بيد أنه بقيت بعض المدن في المناطق الداخلية، وخصوصاً تلك الواقعة خلف جبال لبنان، عصية على قواتنا فلم يتمكنوا من الاستيلاء عليها. ولكن مناطقها وضواحيها كانت تتعرض غالباً للغارات من قبلنا وكان سكانها يسقطون في كمائننا بغية عرقلة أعمالهم هناك، وهذا ما اضطرهم إلى دفع أتاوات لنا. فمدينة حمص Émèse المسماة اليوم كاميلا Camela أو شامليه Chamelé، وبعض مدن سورية المجوفة مثل هيليوبوليسHéliopolis (بعلبك) المسماة أيضاً موبك Maubek، وحماة Hamah، غيرها أيضاً الأقرب إلى مناطقنا كانت معرضة للإقلاق بسهولة فاشترت بالمال السلام والأمن...

(ص ٨٤) تحتل دمشق، هذه المدينة العريقة في القِدم، المكانة الأولى بين جميع مدن المشرق بحكم ارتفاع عدد سكانها. ولقد استمدت اسمها من خادم إبراهيم الذي كان

---

[1] هذا المقطع بكامله مأخوذ عن د. زكار، ص ١٥٠، المرجع المذكور في الحاشية ما قبل السابقة (المترجم).

مؤسسها على ما يُقال. وهي عاصمة سورية الصغرى، المسماة فينيقيا لبنان Phénicie du Liban، ويشير إليها النبي أشعيا بقوله: "دمشق عاصمة سورية".

(ص ٩١) أما العسل فقد شاهدنا منه كثرة في قصب العسل cannes à miel الذي نجده في هذه البلاد (سورية). قصب العسل هو مجرد قصب مليء بالعسل، أي عصير لذيذ للغاية، نستخرجه بوضع القصب في نوع من معصرة ثم نجعله كثيفاً بتسخينه على النار أولاً، وأخيراً نحصل على نوع من السكر. ولقد اشتققنا كلمة كاناميل *cannamelles* من كلمتي قصب وعسل، لأن الجذوع المحتوية على العسل تشبه القصب البوص.

(ص ١١٤) تأسست مضافة القديس يوحنا hospital de Saint-Jean منذ أيام السريان والروم (الأرثوذكس) عندما كانت القدس ما تزال في أيدي المسلمين، وذلك على النحو الآتي. مع أن المسلمين كانوا في حينه، كعقاب على خطايا البشر، أسياد كل أرض الميعاد، فإن الكثير من مسيحيي سورية لم يرغبوا أبداً بمغادرة وطنهم، وتمسكوا بالإقامة بين المسلمين على الرغم من خضوعهم لأقصى الظروف تحت نير العبودية الصارمة. لقد منح أمير مصر الذي كان يسيطر في حينه على كل البلاد الواقعة بين لاذقية سورية والإسكندرية، آخر مدينة مصرية، السريان وبطريركهم ربع مدينة القدس بالقرب من كنيسة القيامة ليقيمون فيه، مقابل دفع جزية سنوية... ولهذا كنا نشهد غالباً وفود بعض المسيحيين من بلاد الغرب إلى الرض المقدسة، منهم من كان يأتي للتجارة، ومنهم من كان يأتي للحج والتعبد متحملاً شتى المخاطر، وكانوا يزورون الأماكن المقدس بعد دفع أتاوة معينة للمسلمين. ومن بين هؤلاء بعض اللومبارديين Lombards والأمالفيين Amalfitains، من أبناء مدينة أمالفي Amalfi... الذين يأتون بالسلع الأجنبية، ولقد توصلوا بفضل الهدايا والتقدمات إلى كسب حظوة لدى أمير مصر، وحصلوا منه على تسهيلات كبيرة، فقد منحهم بسهولة الأذن (ص ١١٥) ببناء كنيسة لاتينية، على اسم العذراء مريم بالقرب من كنيسة القيامة. وذلك لأنه كان السريان Syriens يتبعون تماماً في قداسهم طقوس وتقاليد الكنيسة الأرثوذكسية. ولهذا فالكنيسة التي تحدثت عنها للتو سُميت منذ بنائها وتزال تُسمى كنيسة القديسة- مريم- اللاتينية

Sainte- Marie- Latine، لأن الذين بنوها أقاموا عليها رئيساً عاماً لاتينياً وكهنة يحتفلون بالقداس الإلهي وفق الطقس اللاتيني...

(ص ١٢٦) (في سياق سرده للمقيمين في الأرض المقدسة يضيف جاك دو فيتري إلى الرهبنات المسلحة الداوية (فرسان المعبد) والاسبتالية والتوتون (الألمان) يقول): "تضم الأرض المقدسة كالجنة السعيدة، عدداً كبيراً من المقيمين دوماً: كهنة ونساك ورهبان وخوارنة وراهبات وناسكات وعذارى ناذرات لله أو أرامل عفيفات وقديسات... (لقد جعل الله) هذه الأرض تغص بالمقيمين من كل الأعراق والأمم واللغات والناس... (ص ١٢٧) ... كثرة من سكان البحر وخصوصاً من البنادقة Vénitiens والجنويين Génois والبيزانيين Pisans... وخصوصاً من أهل فرنسا وألمانيا... وأما أهل إيطاليا... الذين باتوا حاجة ماسة للغاية في الأرض المقدسة، ليس للقتال فحسب، بل لتأمين الحركة في البحار ولنقل السلع والحجاج والمؤونة، وكانوا يُقيمون في بلاد الشرق لمدة أطول من (ص ١٢٨) باقي الشعوب الغربية. أما الألمان وأبناء فرنسا والبروتون Bretons والإنكليز وغيرها من شعوب ما خلف الجبال فقد كانوا أقل رصانة وأكثر تهوراً وأقل لباقة في السلوك فيُفْرِطون في الشراب والطعام، وأكثر إسرافاً في مصروفهم، واقل تهذيباً في كلامهم، نزقين وأقل استشرافاً في المجالس، مخلصين للكنيسة سريعين في أعمال البر وسائر أعمال الخير، وأكثر شجاعة في القتال، وهم في غاية الفائدة للدفاع عن الأرض المقدسة (خصوصاً البروتون) ويواجهون المسلمين بشكل رائع: بيد أن خفة وطيش البعض منهم أديا إلى أن يُطلق عليهم لقب أبناء هيرنود[1] enfans d'Hernaude من قبل من كانوا يُسمون بولين[2] (صيصان) Poulains. وتحت هذا المسمى كان يُقصد

---

[1] "نجهل أصل كلمة هيرنود hernaude التي تعني حسب جاك دو فيتري أحمق وأبله": Jean Joseph F. – Poujoulat, Histoire de Jérusalem, tome 2, 2ème edition, 2ème partie, Paris, 1848, p. 400. الحاشية من وضع المترجم.

[2] "أطلق اسم بولين poulains في المستعمرات المسيحية في الشرق على المولودين من أم سورية وأب إفرنجي، أو من أم إفرنجية وأب سوري": Edouard d'Ault-Dumesnil, Dictionnaire historique, géographique et biographique des Croisades, 1852, p. 833.

ثمة تفسير آخر لمعني بولين poulain نجده في ما يقوله جان دو جوانفيل Jean de Joinville رداً على من هاجمه من الصليبيين ونعتوه بهذا النعت لأنه نصح الملك سان-لويس الفرنسي بالبقاء في فلسطين: نصحني المونسينيور بيير دافالون بإن أدافع عن نفسي بالقول: من الأفضل لي أن أكون مهراً من أن كون حصاناً هرماً لم يعد يصلح لشيء كما هي حالهم": Jean de Joinville, Histoire de Saint-Louis, Paris, 1865 ,p. 192.

(الغربيون) الذين ولدوا في الأرض المقدسة بعد تحريرها؛ وإما أن التسمية عادت عليهم من كلمة بولوس pullus صوص، وتشبيههم بالسوريين بأنهم الوافدون حديثاً أو المولودون حديثاً... وإما لأنهم يشبهون أمهاتهم اللواتي تم استقدامهن من منطقة بويى Pouille القريبة من سورية... ثمة في الأرض المقدسة أيضاً الكثير من الشعوب الأخرى المختلفة بطقوسها المتنوعة وممارستها الدينية المتفارقة، (ص ١٢٩) مثل السريان والروم (اليونان) واليعاقبة والموارنة والنساطرة والأرمن والغريغوريين، ولكنهم جميعاً ضروريون للغاية في الأرض المقدسة لممارسة التجارة والزراعة وباقي أنماط الصناعة...

(ص ١٤١) ثمة أيضاً أقوام أخرى سكنت في هذه الأرض منذ العصور القديمة، تحت سيادة أسيادها المتنوعين، من الرومان والبيزنطيين واللاتين والبرابرة والمسلمين والمسيحيين، وعانت لوقت طويل وفي ظروف متنوعة نير العبودية، كعبيد في كل مكان، يدفعون الجزية دوماً، ويختصهم أسيادهم في الأعمال الزراعية وغيرها من الأعمال الوضيعة، خارج القدرة على القتال، وغير صالحين للحرب كالنساء، باستثناء عدد قليل منهم يحمل القوس والسهام، ولكنه على استعداد دائم للهرب. وهؤلاء يُدعون صوريين (سوريين Syriens)، إما من اسم مدينة صور Sur التي كانت منذ أقدم العصور في طليعة مدن سورية، وإما من اسم سورية Syrie بعد تصحيف الحرف y بالحرف u، لأنهم هم نفس السوريين Syriens المذكورين في الكتابات القديمة[1]. وغالبية هذه الأقوام بلا ذمة، وعلى وجهين، وخبثاء كالثعالب على غرار الروم، كذبة ومتقلبون، باحثون عن الثروة، خونة يسهل إفسادهم بالرشاوى، وكلامهم لا ينم عن طويتهم، ولا يتورعون عن السلب والنهب. ويتحولون إلى جواسيس بأبخس الأثمان فيفشون أسرار الصليبيين للمسلمين حيث ترعرعوا، ويفضلون التكلم بلغتهم على أي لغة أخرى، ويشاركونهم (ص ١٤٢) تماماً تقريباً في انحرافهم، وذلك لاختلاطهم بهم وتعلمهم ممارسة تقاليدهم. فهم كالمسلمين يحجرون على نسائهن ويلبسونهن مع بناتهم بالثياب التي تحجبهن عن

يذكر هذا التعبير بولين (صوص أو مهر) poulain بتعبير "القدم السوداء" pied noir التي كان الفرنسيون ينعتون بها مواطنيهم الفرنسيين المولودين في الجزائر. وفي الحالتين نشهد العنجهية الفرنسية وعمق مشاعر التمييز العنصري الحاد.

[1] تُضيف ترجمة د. زكار: يُعرفون الآن باسم "السريان"، الموسوعة الشاملة..، ج ٣٣، ص ١٩٧ (المترجم).

النظر: فالروم وشتى الشعوب الشرقية تقريباً، كالمسلمين، لا يحلقون لحاهم، بل يطلقونها على العكس بعناية فائقة، ويتباهون بها...

(ص ١٤٣) يتقيد السريان تماماً بتقاليد ومؤسسات الروم في الطقوس الدينية والقضايا الروحية، ويطيعونهم كأنهم مسؤوليهم؛ أما بالنسبة للأساقفة اللاتين حيث يعيش السريان في أبرشياتهم، فهم يزعمون طاعتهم قولاً لا قناعة وشكلياً فحسب، وذلك فقط لخوفهم من أسيادهم الزمنيين: وذلك لأن عندهم أساقفتهم الروم المختصين بهم، ولا يخشون أبداً الحرمان أو أي قرار يتخذه اللاتين بحقهم، وإذا كان علمانيونا لا يتحاشون الاتصال بهم (ص ١٤٤) في العقود وغيرها من العلاقات الضرورية، فذلك لأنهم يعتبرون بين بعضهم البعض أن جميع اللاتين محرومين، ولا يمكنهم بالتالي الإساءة إلى أي شخص بقراراتهم.

(ص ١٤٦) وبما أن الروم، وكذلك السريان (السوريون)، يعتبرون جميع اللاتين محرومين دينياً فإنهم يقومون، قبل ممارسة طقوس القداس، بتطهير المذابح التي أقام اللاتين عليها طقوس قداديسهم...

(ص ١٤٨) ثمة في الأرض المقدسة وفي غيرها (ص ١٤٩) من مناطق الشرق شعوب بربرية أخرى على خلاف بكثرة من الأمور مع الروم واللاتين. منها المعروفون باليعاقبة على اسم معلمهم يعقوب الذي كان من أتباع بطريرك الاسكندرية. هؤلاء اليعاقبة المحرومون منذ زمن طويل من قبل بطريرك القسطنطينية ديوسقورس Dioscore، ومنشقون عن كنيسة الروم، يسكنون في قسم كبير من آسيا وفي جميع بلدان المشرق، وبعضهم يعيش بين المسلمين...

(ص ١٥٣) هناك أيضاً أمم أخرى لا تعيش في الأرض المقدسة فحسب، أو في وسط المسلمين، بل تعيش على انفراد وتحتل القسم الأكبر من الهند؛ وهم معروفون باسم النساطرة Nestorins ou Nestoriens على اسم الهرطوقي نسطوريوس Nestorius الذي أفسدت عقيدته بعمق قسماً كبيراً من بلاد الشرق، وخصوصاً الشعوب المقيمة في إقليم الأمير القوي جداً والمدعو من العامة (ص ١٥٤) الأسقف حنا prêtre Jean. ويُقال بأن جميع هؤلاء النساطرة... مع اليعاقبة يتجاوز عددهم بكثير عدد اللاتين أو الروم... ويُقال أن بين المسلمين من المسيحيين المتحدين مع

المسلمين والخاضعين لسيطرتهم ما يتجاوز أعداد المسلمين أنفسهم... ولكن الهراطقة أفسدوهم...

توصيف للموارنة

(ص ١٥٦) ثمة قوم يقطن بعدد كبير بالقرب من سلسلة لبنان في مقاطعة فينيقيا، غير بعيد عن مدينة بيبلوس (جبيل)، سلاحه القوس والسهام، وماهر في القتال، يُسمونه الموارنة، على اسم مارون، رجل يعتبرونه مرجعهم، وهو هرطوقي كان يقول أنه لا يوجد في المسيح غير إرادة واحدة ومشيئة opération واحدة. وكان مبدع هذه الخطيئة ماكير Macaire أسقف من أنطاكية. ولقد أدين هو وأتباعه في مجمع القسطنطينية السادس الذي حضره ١٥٠ من الآباء، ولقد لفظته الكنيسة من صفوفها بوصفه هرطوقياً رمي بالحرم الكنسي... (ص ١٥٧) ولقد أغوى مارون الذي أعماه توهم شيطاني الكثير من الناس في ضلالته، واستمر أتباع بدعته المنشقون والمسمون موارنة منفصلين حوالي ٥٠٠ سنة عن الكنيسة المقدسة وجماعة المؤمنين، ويمارسون طقوسهم الخاصة بهم. ولكنهم لما عادوا إلى رشدهم اعترفوا (ص ١٥٨) بالإيمان الكاثوليكي، بحضور الأب الجليل أموري Amauri، بطريرك أنطاكية، وارتدوا عن ضلالتهم وتبنوا تقاليد الكنيسة الرومانية المقدسة... واتبع الموارنة، للدلالة على طاعتهم، تقاليد وطقوس اللاتين. وكذلك حضر بطريركهم مجمع لاتران العام الذي انعقد بأبهة في مدينة روما في عهد الحبر الجليل إنوسنت الثالث. يستعمل الموارنة الحروف السريانية (الكلدانية chaldéennes) ويتحدث عامتهم لهجة المسلمين.

توصيف سوء جميع سكان مملكة القدس

(ص ١٦٨) ولكن منذ تحرير الأرض المقدسة، فإن كل من هم أفضل العارفين بوضع البلاد ومتفحصي بأقصى عناية تقلبات مصيره، وحالات تقدمه وتراجعه، يؤكدون بكل صراحة أن أي صنف من البشر أو أي كارثة من أي نوع كان لم تسبب لها من الإساءة قدر ما سببه سكانها بالذات، أناس مجرمون وفاسدون، فاسقون وكفرة، نجسون، لصوص ونهابون، قتلة، قتلة أبائهم، حانثو الوعد، متزلفون وخونة، عتاة وقراصنة، رجال الشوارع، سكارى، مهرجون سيؤن،

مقامرون...، هؤلاء الكهنة المرتدون، تلك الراهبات وقد أصبحن بنات هوى، وتلك النسوة تتخلى عن أزواجهن لتلحقن بعشاقها...

(ص ٢٣٥) ... كان جماعتنا (الصليبيون) يتمكنون من الدفاع عما بقي لهم من أراض طالما كانت مملكتا مصر ودمشق بقيادة سيدين متخاصمين وعدوين. ولكن عندما توحدت، كعقاب على خطايانا، قوى المملكتين تحت قيادة واحدة، أصبحت مملكة القدس المحصورة بينهما أكثر عرضة للاهتزاز ومعرضة لهجمات أقسى.

الفصل الرابع: الآثار البابلية

١- على سبيل المقدمة، حوار مع نبوخذنصر

٢- من هو هنري بونيون Henri Pognon؟ تعريف بالكاتب والكتاب

٣- تقرير بونيون

٤- السياق التاريخي العام لوضع النقوش البابلية في وادي بريصا

٥- النقوش البابلية في وادي بريصا: هنري بونيون

٦- نصب السبع (وادي السبع، أكروم): هنري لامنس

٧- ملاحظات في الأركيولوجيا الشرقية: سيباستْيّنْ رونزفال Sébastien Ronzevalle

٨- شير الصنم، نصب بابلي جديد في عكار: موريس تالّون Maurice Tallon

٩- النقوش البابلية في وادي بريصا: ستيفان لاندون Stephen Langdon

١٠- نقوش نبوخذنصر الثاني في وادي بريصا ونهر الكلب: ويزباخ Weissbach (F. H.)

١- على سبيل المقدمة: حوار مع نبوخذنصر

- مَنْ؟ زائرٌ جديد؟

لا تبدو عليك سمات سائق شاحنة لنقل الرمل أو جرافة لاقتلاع الصخور. ولا أنت عامل "كسارة" لطحن هذه الصخور. لا تبدو عليك إمارات تاجر يبيع تاريخه المكتوب على صخور جباله. ولا أنت ممن أتقن الزراعة التقليدية الممنوعة والموعود بأوهام زراعة بديلة لا طائل خلفها. لا ولستَ مزارعاً، ولا أنت من الرعاة الذين يشقون لتحصيل لقمة العيش. فمن أنت؟ وماذا تفعل هنا؟ ألا تعرف أنك هنا في نطاق مثلث العظمة البابلية بين "وادي بريصا" و"وادي السبع" و"شير الصنم"؟ هنا أنت على مقربة من "ربلة" حيث مقر القيادة العامة لقوات نبوخنصر التي وحدت الشرق والغرب في العالم القديم؟

- فركت عيني جيداً، وبدأت أحدق حولي علّني أتبين مصدر الكلام الذي يأتيني كالهمس. لم أرَ أحداً. ولكن الصوت استمر يصلني حاملاً نفس الأسئلة.

- لن تُدركني مهما "بحلقت" بعينيك. أجِبْ على ما تسمعه. أرى بين يديك دفتراً، هو غير دفتر حسابات أصحاب المرامل والكسارات. فلماذا لا تفصح عن هويتك وغرضك؟ قد أفيدك بعض الشيء.

- قلت في سري: أنا باحث في التاريخ، في تاريخ المنطقة، تاريخ عكار وجوارها. وكأنه سمع ما قلته لنفسي بدون نطق، فشعرت به يقول:

- من أنت؟ عرفت. عرفتك. أنت باحث؟ ماذا قلت: باحث؟ لا، لا. أنت مجرد "متطفل" على العلوم التاريخية. ألم تسمع عن ابن خلدون كيف وصّف "التطفل على العلوم"؟

- يا سيدي أنا أحاول البحث في التاريخ. ولكن قُلْ لي مَن أنت؟ وكيف تُكلمني ولا أراكَ؟ ولا شأن لك بي وبكفاءتي في البحث.

- لا شأن لي بك؟ وما شأنك أنت بي حتى تهتم لأمري وتتحرى عني؟ أنا نبوخذنصر أيها الغبي. أنت تزعم البحث عن تاريخي، ومآثري، وتلاحق ما تركت لكم من آثار هنا وهناك. كنت مرتاحاً في قبري. وروحي تتنقل من مشارق الأرض إلى مغاربها داخل مملكتي. أنت الآن في أرضي. وتسألني ما شأني بكَ. ألا يكفيني ضجيج الجرافات والشاحنات والكسارات وتهديدكم الدائم لكل ما أورثتكم أياه من عظمة وخلود؟ ألا يكفيني هذا السعي المجنون لمحو روحي من الوجود التاريخي؟ ألا يكفيني أراكم أعجز عن فهم قيمة ما تركته لكم من ثروة تاريخية وأثرية يندر وجودها؟ ألا يكفيني... حتى تأتيني "متطفلاً" باسم باحث في التاريخ؟

لقد اكتشفني قبلك الفرنسي هنري بونيون. سُررت به يوم جاءني. صحيح أنه فرنسي غريب. ولكني سررت به. صحيح أنه جاء إلى "بلادنا"، إلى "بلادكم" مستعمراً لعيناً. ولكني سررت به في جانب من شخصيته: هو على معرفة من أمره، ومتعمق بلسانه وبلسان الآخرين. هو يفهم ما كتبته لكم هنا وهناك. وهو يُقِّدره أكثر منكم بكثير.

أنت باحث في التاريخ؟ كم لغة تعرف؟ هؤلاء المؤرخون الحاملون لما تسمونه شهادة الدكتوراه ماذا يفهمون من التاريخ؟ هل يتقنون المسمارية والهيروغليفية ولغات أجدادكم القدماء، ولغة اليونان والرومان وغيرها من لغات الشعوب التي عمّرت أو استعمرت هنا؟

أنتم مؤرخون حاملون لشهادة في التأريخ؟ ماذا تعلمتم؟ بوسع بونيون أن يزعم أنه مؤرخ. هل تعرف لماذا؟ المسمارية يعرفها، والسريانية والعبرية والتركية والفارسية واليونانية واللاتينية والعربية... أنتم حملة الشهادات الجامعية والعليا في التاريخ ماذا تعرفون؟ وأنت، أنت بالتحديد، ماذا تعرف من كل هذه اللغات؟ قل لي ماذا تعرف؟

- يا سيدي، أنت تقمعني بقسوة. لو تسمح لي بشيء من الهدوء وبقليل من صبرك عليّ. صحيح، أنا لست مؤرخاً. أنا أبحث عن حقيقة شعبي من خلال التاريخ. أنا أسأل من نحن بالأمس القديم والوسيط والقريب لأدرك حاضرنا وأتصور مستقبلنا. نعم أنا لست على قامة بونيون ولاندون وويسباخ وغيرهم الكثير. ولكن ذلك لا يحرمني حقي بالسعي والاجتهاد. أنا أسعى إلى اكتساب معرفتهم بنا وتعميمها على أبناء شعبي. فهل في ذلك جرم وافتئات؟ لا أظنك ستمنعني عن المحاولة. أنا ارغب بحماية الإرث الذي تركته لنا. لا إرثك الأثري المادي في نقوشك ونصبك وعظمة ما خلفته فحسب. وهو عظيم. وإني أدرك أسفك وأنت تقول: ويل لشعب لا يحمي تراثه، بئس أمة "تطحن" ماضيها وتفتته بالكسارات لتبيعه مقابل حفنة من المال. هذا بينما محافظتها عليه تعود عليها بالوفير منه. وتعود بذلك على غالبيتها لا على مجرد قلة قليلة. نعم يا نبوخذنصر ويل لأمة دولتها وقادتها لا يعلمونها كيف تحافظ على عظمتها. نعم يا نبوخذنصر. أنت على حق. ولكننا لا نرى فيك مجرد إرث مادي تاريخي أثري. بل نراك أكثر من ذلك. نراك موحداً لشعوب منطقة أذلها تفتتها، وأذلها صهاينة أنت عرفتَ كيف تبدد شملهم. بينما لم يعرف قادة المنطقة اليوم غير الحفاظ على التفتت، وغير الخضوع بذل أمام "صدقيا" العصور الحديثة يمثله حكام الكيان الصهيوني الغاصب.

- كفى، كفى. إن كنتم تجهلون ماضيكم لهذه الدرجة، فلا بأس بالمحاولة. ولكن قل لي: هل أنت متمكن لنقل ما أنتجه من زارني سابقاً من أبناء "الغرب" الجائر. هل تتقن الفرنسية والإنكليزية والألمانية على الأقل؟ ولا تنسى ضرورة إتقانك اليونانية واللاتينية، وهل تتقن لغات أجدادك، كالسريانية مثلاً. أجِبْ.

- في الحقيقة، هذا الذي عدّدته كثير عليّ جداً. أنا أعرف من الفرنسية الراهنة ما يسعفني، ومن الإنكليزية "تلطيش"، ومن الألمانية وغيرها مما عدّدت لا شيء البتة. ولكني مصر على محاولة التعريف بتراثك الكبير بنقل ثمرة أبحاث الآخرين تعريباً "على قد الحال". وأخذت على نفسي التعريف بك من خلال التعريف بما خلفه لنا عنك بونيون ولاندون وويزباخ ولامنس ورونزفال وتالون. وأسأل أصحاب الكفاءة

تصويب ما أخطأت فيه، والمساهمة بما لم أستطع الاقتراب منه. وأستميحك المعذرة والغفران على الإساءة إليك والتقصير بحقك.

- من ذكرت من الأسماء مدعاة ارتياح في درجة تكوينهم وكفاءتهم، ومدعاة قلق كبير في أدوارهم السياسية أو أدوار من يمثلون. ولكن، إذا كانت حالتكم لهذه الدرجة "بالويل"، كما تقولون، فلا بأس بالمحاولة. أما أنا فمن حقي النوم مجدداً رحمة بكبريائي، على أمل أن يستيقظ نبوخذنصر فيشهد مقاومين اعتبروا بماضيهم، فبنوا حاضرهم وأمنوا مستقبلهم.

جوزف عبدالله

٢- تعريف بالكاتب والكتاب

من هو هنري بونيون Henri POGNON؟

ديبلوماسي ومستشرق علاّمة فرنسي الجنسية، ولد في العام ١٨٥٣، تفوّق منذ دراساته الإعدادية وبرز لديه باكراً الميل إلى الاستشراق مع مطالعته- كما يَذكُر- مؤلف دو سولسي F. de Saulcy "رحلة حول البحر الميت" Voyage autour de la Mer Morte. بدأ في باريس دراسة الحقوق واللغات الشرقية القديمة (العبرية، السريانية، والهيروغليفية- المصرية) والعربية، في "معهد اللغات الشرقية" Ecole des Langues Orientales و"معهد الدراسات العليا" Ecole des Hautes Etudes و"كوليج دي فرانس" Collège de France. وبذلك تتلمذ على يد أهم المستشرقين الفرنسيين من أمثال: غييار Guyard وماسبيرو Maspéro وكليرمون-غانو Clermont-Ganneau... كما تعلم الفارسية والتركية والأثيوبية والمندائية. وكان أكثر ما اشتهر به من اللغات الشرقية القديمة ثلاث: الأشورية والسريانية والآرامية.

في العام ١٨٧٩-١٨٨٠ قدم أطروحته حول "نقوش بافيان" l'Inscription de Bavian في "معهد الدراسات العليا" في باريس حيث كان أول من درس اللغة الأشورية فيها عام ١٨٧٨. فلمع نجمه بغنى معلوماته ودقة بحثه وأمانته العلمية.

وتتالت أبحاثه من العام ١٨٨٤ حتى لحظة وفاته بينما كان يعمل على وضع اللمسات الأخيرة على طباعة آخر مقال له نشر في جورنال أزياتيك Journal Asiatique (المجلة الآسيوية).

وكان، بعد قيامه بواجبات منصبه، يصرف كل وقته في البحث عن الآثار الشرقية التي خلف فيها عدداً وافراً من المؤلفات. ومن ذلك مؤلفاته الفريدة في الآثار السامية المكتشفة في الشام وفي ما بين النهرين وجهات الموصل ولبنان؛ كما درس ديانة الصابئة والآثار المندائية.

أمضى بونيون معظم حياته المهنية كدبلوماسي فرنسي في المشرق العربي متنقلاً بوظيفة قنصل بين العراق وسورية ولبنان، باستثناء فترتين قضاهما في ليبيا واعتبرهما بمثابة المنفى. وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى كان يفكر بالعودة إلى سورية ما أن تهدأ الحرب، ولكن الموت عاجله في العام ١٩٢١، فلم يتمكن من تحقيق رغبته، ولكنه نجح في ترك إرث علمي استشراقي واسع.

أبرز مؤلفاته:

- Inscriptions de Mérou Nérard, Paris, 1884.
- Les Inscriptions babyloniennes de Wadi Brissa, Vieweg, Paris, 1887.
- L'Inscription de Raman-Nérar 1er, roi d'Assyrie, 1894.
- Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir, Imp. Nat., 1898
- Inscriptions sémitiques de la Syrie, de la Mésopotamieet de la region de Moussol, Lecoffre, 1907.
- Notes lexicographiques et textes assyriens inédits, Paris, 1907
- Les mélanges assyriologiques (Paris, 1913)
- Dictionnaire complet du mandaïte

حول الكتاب

يُمكننا تقسيم كتاب "النقوش البابلية في وادي بريصا" Les Inscriptions babyloniennes de Wadi Brissa إلى قسمين أساسيين.

القسم الأول وفيه:

- مدخل: يعرض فيه بونيون ظروف عثوره على نقوش وادي بريصا.
- وصف للوادي: موقعه (بُعده عن الهرمل وطرابلس) وتضاريسه وطبيعة جواره وأحوال سكانه.
- وصف النقوش: موقع النقشين في الوادي على صخرتين متقابلتين على يمين ويسار الممر. نقش حروفه قديمة، وآخر حروفه حديثة[1]. وعدد الأعمدة في كل

[1] يقصد بونيون أن النقش بحروف قديمة inscription en caractères archaïques يعود إلى اللغة الأكادية القديمة، بينما النقش بحروف حديثة inscriotion en caractères cursifs فيعود إلى اللغة الأكادية في مرحلة الامبراطورية البابلية الجديدة.، (المترجم).

نقش، وعدد السطور المقروءة في كل عمود. بالإضافة إلى النصب المحفور في كل نقش. ولم يفت بونيون تعيين التلف الذي أصاب النقشين بضرر كبير.

- ترجمة وتحليل نص كل من النقشين.

القسم الثاني وفيه:

- دراسة وتحليل نص النقشين: من حيث فقه اللغة والاشتقاق، وردّ الكلمات إلى جذورها ومصادرها في اللغات المجاورة ومنها العبرية والعربية وسواها من اللغات القديمة.
- معجم بالمصطلحات والألفاظ المرمزة، وآخر من وجهة نظر الصوتيات.

لقد اكتفينا بترجمة القسم الأول لسببين هامين. الأول، وهو الأهم، عجزنا (الناجم عن جهلنا المطبق بالكتابة المسمارية)، وبالتالي الخشية من تشويه المضمون؛ لا سيما وأن الناحية التاريخية في هذا القسم لا تضيف الكثير على ما هو وارد في القسم الأول، وحيثما وجدنا إشارات مفيدة فيه أدرجناها في الهوامش. أما السبب الثاني فهو أن هذا القسم يعني مباشرة المختصين الذين لا تنقصهم القدرة على العودة إلى النص الفرنسي. كما أن عامة القراء سيجدون هذا القسم مملاً، وبالتالي فإن ترجمته تُثْقِل عليهم القراءة ولا تريحهم.

لقد أطلقت أبحاث بونيون في وادي بريصا موجة من البحث والتحري عن التراث التاريخي البابلي في المنطقة. حاولنا تتبعها بما توفر لنا من المراجع والقدرة العلمية على متابعتها. ولقد عرضنا في هذا القسم من "منتخبات التواريخ..." مجمل ما كتب في هذا الخصوص، باستثناء ما قدمه الألماني منه، خصوصاً عند ويسباخ Weissbach، نأمل من الملمين بالألمانية المساهمة في عرض مؤلف: Weissbach, F. H., Die Inschriften des Nebukadnezzar im Wadi Brissa, in Wissenschaftliche Veroffentlichungen der Deutschen Orient Gesellschaft, Heft 5. Leipzig, 1906

يبدو أن هذا المؤلف الألماني كشف، أكثر مما فعله بونيون، عن مضمون نقشَيْ وادي بريصا بخصوص طبيعة الحملة البابلية في جبال لبنان بقيادة نبوخذنصر الذي

يقول: "استناداً إلى ثقتي بالإله نابو ومردوخ حشدت جيشاً وقمت بحملة... وحررت لبنان من أعدائه وأعدت إليه أبناءه المشردين. وعملت، أكثر مما فعله أي ملك قبلي، على تحطيم الصخور وشق الممرات في الجبال الوعرة، وفتحت الطرق من أجل نقل الأرز، هذا الشجر الضخم والصلب والجميل للغاية بخشبه الداكن اللون، الذي ينمو في لبنان كما ينمو القصب في النهر. واجتزت الوديان العميقة، وفتحت لجيشي الممرات بين الصخور. وبلغت جبل الأرز العابق برائحته الفاتنة، ذلك الشجر الذي لم يسبق لملك أن اقتطعه، وخصصت هذه الأشجار لتزيين قصور ومعابد الإله نابو ومردوخ. وبسطت الأمن والسلام في لبنان. ومن أجل أن اقدم أمثولة لمن يطمع بهذه الأرض أنشأت هذا النصب حيث أثبت أني ملك هذه الأصقاع، وملكٌ حكمُه أبدي، والسلام على من يعي هذا الكلام".

إن لنقوش وادي بريصا أهمية كبيرة في تبيان تراث الحضارات والشعوب في الشرق القديم. فتحت عنوان "نبوخذنصّر الثاني من بابل إلى جبل الأرز" وُضع على أحد مداخل معرض "بابل"، الذي يقام في متحف اللوفر بباريس، نص لنبوخذنصر الثاني مأخوذ عن هذه النقوش.

٣ - تقرير بونيون[١] POGNON

(ص ٣٤٥) طرابلس الغرب[٢]، ٢ تشرين الأول ١٨٨٤

السيد الوزير

اكتشفت، في رحلتي التي قمت بها في البقاع الشمالي، في ١٦ تشرين الأول ١٨٨٣، نقشين لنبوخذنصر محفورين على صخور وادي بريصا، على مقربة من الهرمل. تم تبليغ هذا الاكتشاف إلى **أكاديمية النقوش والآداب** بواسطة السيد باربييه دو مينارد Barbier de Meynard، في جلسة ٢٨ كانون الأول ١٨٨٣. ولما عدت بعد قليل إلى فرنسا سرعان ما تبينت أنه يصعب عليّ نشر هذه النصوص دون العودة إلى الموقع ومقابلة النسخ التي أخذتها مع واقعها الأصلي.

عندئذ رغبتم معاليكم بتكليفي، بقرار بتاريخ ١٧ نيسان ١٨٨٤، بمهمة في لبنان بغية جمع نص نقوش وادي بريصا. فعدت إلى بيروت، ومنها انطلقت في ١٠ من أيار إلى البقاع. بات لبنان اليوم معروفاً تماماً ولا حاجة بالتالي لأعرض المسار الذي سلكته، وأكتفي بأن أعرض لمعاليكم بعض البيانات حول موضع هذه النقوش.

تقع وادي بريصا في المنقلب الشرقي للبنان، على مسافة ساعتين ونصف شمالي بلدة الهرمل، وعلى حوالي ٤٥ كلم، كخط مستقيم، شرقي طرابلس الشام[٣]، وعلى بعد من ٧ إلى ٨ كلم من نهر العاصي. يتجه الوادي وهو يرسم عدة منعرجات من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، ويصل الصاعد فيه بعد مسير بضع ساعات إلى منبسط فسيح من الأرض على ارتفاع كبير تحيطه (ص ٣٤٦) الجبال من كل الجهات ويسميه سكان المحلة **مرج حين**. ومن هذا الموضع يمكن، عبر **الجرد**، أي المنطقة الوسطى من (جبل) لبنان، الوصول إلى طرابلس الشام بمسير يومين. هذا الوادي غير مزروع، ولا يقطنه سوى قلة من المتاولة الرحالة الذين يعيشون تحت الخيم، ويرعون الكثير من قطعان الماعز؛ ونجد في اسفل الوادي بضعة أكواخ

---

[1] المرجع: Archives des Missions Scientifiques et Littéraires, 3ème série, tome XIV, 1888, pp. 345 - 349

[2] في النص الفرنسي طرابلس بلاد البربر Tripoli de Barbarie، المترجم.

[3] في النص الفرنسي طرابلس السورية (طرابلس الشام) Tripoli de Syrie، المترجم

بائسة يأوي إليها البدو في الشتاء. وعلى العموم من الصعب وصف مظهر هذه المنطقة البري والمنعزل. على من يقصد **وادي بريصا** قادماً من **الهرمل** أن يتجه أولاً نحو الشمال، ليدخل لبنان عبر **وادي الشربين** الذي يتشعب، فيؤدي شعب اليمين إلى **وادي فيسان**، وشعب اليسار إلى **وادي بريصا**.

والصاعد في هذا الوادي يصادف على مسير ثلاث ساعات من الهرمل تقريباً بعض الدوائر المشوهة التي تحتل قعره، ويرى على منحدر الجبل على اليمين النبع الوحيد الذي نصادفه قبل بلوغ **مرج حين**. تفحصت هذه الدوائر بكل عناية فلم أعثر فيها على أي نقش؛ ولكني وجدت فقط حجراً كبيراً عليه ثلاثة صلبان محفورة بكل وضوح. وبدا لي بدهياً أن ثمة قرية مسيحية وكنيسة كانتا قائمتين هنا، ولكني لم أتمكن من معرفة أي شيء عن زمن دمارهما؛ والمتاولة الذين يقيمون في هذا الموضع الآن يجهلون حقيقة هذه الدوائر التي لا يبدو بالتأكيد أنها تعود إلى العصر الروماني.

بعد نصف ساعة من الصعود في الوادي انطلاقاً من موقع هذه الدوائر نرى على يمين ويسار الدرب نقشَيْ **نبوخذنصر**. النقشان محفوران في الصخر ومعهما نصبين؛ ولكنهما مع الأسف على حال بائسة. وأخبرني أبناء المحلة أن وضعهما كان سليماً لبضع سنوات خلت، ولكن ثمة مغربي مرّ من هنا أعتقد أن فيهما كنزاً فعمل على تخريب الصخور بآلة حادة لكشفه.

ولما عثرت بالقرب من نقش اليمين على جزء من النصب ثبت لي أن المتاولة كانوا صادقين معي، وان تشويه هذين النقشين كان حديثاً. وإنه لمنتشر في لبنان الاعتقاد بوجود الكنوز المخفية، وأن جميع الصخور التي تحمل نقوشاً تحتوي عليها. ولهذا فإن عدد المواقع الأثرية التي أدى هذا الاعتقاد السخيف إلى تدميرها كبير للغاية مع الأسف. ولقد اضطررت، حتى تمكنت من إقناع المتاولة أني لست هنا بحثاً عن الكنز، أن أصور لهم أن هذه النصوص قد تم نقشها من قبل ملك فرنسي قديم حكم (ص ٣٤٧) لبنان، وأني أرغب بنسخها ليتعرف أبناء وطني الفرنسيون على مجد أجدادهم.

انطلقت من بيروت في ١٠ أيار، كما كان لي شرف قول ذلك لمعاليكم، ووصلت وادي بريصا في ١٤ منه، وشرعت فوراً بنسخ النقوش وبأخذ ما أمكن من رشم لها. وإليكم على العموم وصفاً موجزاً للنقشين وللنصب المرافقة لهما.

نقش اليسار: نصب يمثل رجلاً على رأسه قلنسوة شبيهة بالتاج المدقق من الأعلى الذي يضعه الأساقفة اليوم، وأمامه شجرة. وسط النصب واسفله مختفيان تماماً؛ أما النقش فيحتوي ١٠ أعمدة مكتوبة بحروف حديثة؛ طوله تقريباً ٥,٥٠م، والارتفاع بين أعلى سطر وآخر سطر، في أطول أعمدة حوالي ٢,٨٠م.

نقش اليمين: نصب بحالة سيئة للغاية يمثل رجلاً يعتمر القلنسوة الأشورية يقبض على حيوان واقف أو يضربه، والحيوان هو على الأرجح أسد. خلف الرجل ثمة فراغ كان يجب أن يكون منقوشاً عليه صورة إلاهة؛ الصورة مختفية كلياُ، ولكن يمكن أن نقرأ تحتها تفسيرها:

إلى الإلاهة ....

التي تنمي ....

التي تقيم في معبد إيه-غولا É-Goula ....

....

النقش محفور بحروف قديمة ويتألف من ٩ أعمدة. المنطقة السفلية مختفية تماماً، ومن المستحيل معرفة ارتفاع السطور الأخيرة لكل عمود عن سطح الأرض. طول النقش حوالي ٥,٥٠م، أما ارتفاع أعلى سطر في كل عمود عن سطح الأرض فحوالي ٣م.

لا تخبرنا نقوش وادي بريصا، ككل نقوش نبوخذنصر المعروفة حتى اليوم، عن شيء غير الأبنية التي أنشأها هذا الملك في بابل، والهبات التي تلقاها من الآلهة، وبراهين التقوى التي يقدمها. ثمة جملة في العمود التاسع على يسار النقش يبدو أنها تتعلق بحملة في لبنان، ولكن النص مع الأسف مشوه ومتعذر الفهم.

على العموم، ستنشر نقوش وادي بريصا في طبعة خاصة ستظهر قريباً على ما آمل.

(ص ٣٤٨) أمضيت أيام ١٥ و١٦ و١٧ و١٨ أيار في نسخ النقشين، وفي أخذ الرشم لهما. وفي ١٩ أيار قمت باستكشاف أعلى الوادي لجهة **مرج حين**. أرشدني متوالي إلى صخرة على حافة الدرب عليها نقش لاتيني لأدريان Adrien، أعرض هنا نصها بالدقة الممكنة[١]:



عثرت بعد قليل إلى الأعلى على صخرة تبعد ١٠م عن الطريق قرأت عليها النقش الآتي:

IMP H///////////A/C DES/////////////XII

PPROVETRVFW

النصان تالفان جداً ومن الصعوبة بمكان قراءتهما، وبالتالي لا أتجرأ على ضمان دقة نسخهما تماماً؛ ولم يكن بمتناولي الماء لأتمكن من أخذ رشم لهما.

يوجد في لبنان الكثير من نقوش أدريان المشابهة لما عثرت عليه في وادي بريصا: يعتبر السيد رينان هذه النقوش بمثابة قانون كأنه معلق هناك بأمر من الامبراطور أدريان، وبواسطته يتم التمييز بين نماذج الأشجار المخصصة للدولة وتلك المتروكة ليحتطبها الناس[٢].

وتفيد المعلومات التي جمعتها ميدانياً بوجود عدد من النقوش المشابهة لتلك التي عرضت عليّ منتشرة في وادي بريصا والجوار. وعليه فمن المؤكد أن هذه المنطقة كانت في ما مضى مغطاة بالغابات، وإني لأميل بالتالي إلى الظن بأن النقشين البابليين يؤشران على موضع ورشة يتم فيها قطع الأشجار بغية إرسالها إلى بلاد ما بين النهرين. وفي الواقع، يخبرنا نبوخذنصر أنه استعمل خشب لبنان في بناء (ص

---

[1] يمكن أن يكون الحرف الأخير في السطر الأول من النقش الأول هو IV، والحرف الأخير في السطر الثاني N.

[2] راجع: E. RENAN, Mission de Phénicie, p. 279.

٣٤٩) المعابد التي أقامها في بابل، ولعله أمر فريد أن نجد نصوصاً لا كلام فيها عن حملات عسكرية وهي منقوشة في واد مهجور وبعيد إلى هذه الدرجة عن أي منطقة مأهولة.

في ١٩ أيار بعد أن استكشفت أعلى الوادي، هبطت إلى البقاع، وقبل عودتي إلى بيروت، قمت بجولة حول بحيرة حمص، وزرت رَبلة Rableh (رِبلة القديمة l'ancienne Riblah) التي يبدو أنها كانت مركز الاحتلال البابلي لسورية المجوفة Célé-Syrie (البقاع)؛ ففي ربلة في الواقع مثل سيديسياس Sédicias (صدقيا[1]) أمام نبوخذنصر، وفيها قطعت رؤوس كبار قادة مملكة اليهودية Juda. لن اتحدث عن هذه الرحلة الخارجة عن نطاق المهمة التي أوكلتها معاليكم إليّ، بل سأكتفي بعرض نقش يوناني عُرض عليّ في منزل في ربلة. ها هو نص النقش الذي ليس له على العموم أي قيمة، ولكنه غير منشور ربما:

ANIKH
TEΔIΩ
ΔΩRΩY
ΑΛΥΠΕ
XAIPE

عدت إلى بيروت في ٢٧ أيار، وبعد بضعة أيام توجهت إلى فرنسا. وقبل مغادرة سورية رأيت من الواجب التواصل مع الحاكم العام للبنان حول ضرورة حماية نقشَيْ وادي بريصا من جشع الباحثين عن الكنوز وتجار الآثار في بيروت. ولقد رغب صاحب السعادة واصا باشا بطمأنتي أنه سيعطي الأوامر بتحريم قاطع لتخريب بقايا الحضارة البابلية الفريدة.

تفضلوا سيدي الوزير بقبول تأكيدي على الاحترام الجليل الذي به يشرفني أن أكون الخادم المتواضع والمطيع لمعاليكم.

هـ. بونيون

---

[1] صدقيا: آخر ملوك اليهودية، وهو متنيا الذي حمل اسم صدقيا لما أصبح ملكاً (ق. م.٥٩٧-٥٨٧ ق. م.). تمرد على نبوخذنصر فسبب الاستيلاء البابلي الثاني على القدس ونفي اليهود إلى بابل عام ٥٨٧ ق.م. أسرته القوات البابلية وتم إحضاره إلى ربلة (مركز القيادة البابلية حيث عسكر نبوخذنصر)، فسجن ومات في سجنه (المترجم).

٤- حملة نبوخذنصر الثاني

السياق التاريخي العام لوضع النقوش البابلية في وادي بريصا

تعود القيمة التاريخية لنقوش وادي بريصا أساساً إلى كونها تلقي الضوء على الحملة (أو الحملات) التي شنها نبوخنصر الثاني في لبنان وجواره، وذلك من ضمن المواجهة التاريخية بين وادي النيل وبلاد ما بين النهرين. فمن المعروف كقانون تاريخي أن من كان يسيطر على سورية الطبيعية (من العراق إلى فلسطين، ولبنان في القلب منها) كان يتحكم بمصير العالم القديم. لقد كانت هذه المنطقة، وهي اليوم بلا شك، موضع اهتمام كل الامبراطوريات التي بلغت بلادنا من الشرق أو الغرب. وعليه لقد شكلت السيطرة على بلاد الشام التحدي الأكبر الذي بحُسن مواجهته تمكنت الامبراطورية البابلية الجديدة من ترسيخ حضورها، وذلك خصوصاً على يد نبوخذصر الثاني، الشخصية المحورية في نقوش وادي بريصا.

قامت هذه الامبراطورية في بلاد ما بين النهرين على أنقاض الأشوريين. فحوالي العام ٦٣٠ ق.م. اصبح نابوبولاصر ملكا على الكلدانيين وسرعان ما أخرج الأشوريين من الوركاء (أوروك) وفي العام ٦٢٦ (ق.م.). إن صعود الكلدانيين الجدد أدخلهم في صراع مع الفراعنة (الذين كانوا يسيطرون على سورية) انتهى في تمكن نبوخنصر الثاني (ولي العهد وقائد الجيش) من هزيمة قوات نخاو الثاني المصرية قرب كركميش (٦٠٥ ق.م.).

توفي نابوبولاصر عام ٦٠٥ فخلفه ابنه نبوخذنصر الثاني المنهمك في مطاردة الفراعنة وحلفائهم في سورية (بعد موقعة كركميش). وباستلامه السلطة استكمل القضاء على الأشوريين وعلى غيرهم من حلفاء المصريين وأنصرف إلى محاولة الاستيلاء على مصر.

تغطي نقوش وادي بريصا، من الوجهة التاريخية، بعض وقائع الأحداث في أيام نبوخذنصر الثاني الذي كثيراً ما تنقل بين لبنان وسورية وفلسطين، تأديباً للدويلات المتمردة على سلطته وتصدياً للطموحات المصرية.

حملة نبوخذنصر في لبنان[1]

ولنا في النص الآتي ما يشرح لنا وضعية نبوخذنصر وما يفسر سبب إقامته في ربلة واجتيازه جبل لبنان من منطقة عكار، إذ كانت طريق الساحل والبقاع مقفلة في وجهه من قبل حلفاء الفراعنة.

(ص ٥٤٢) .... كان الملك (الفرعون) الذي سماه اليونان أوافريس Ouaphrès أو أبرييس Apriès، شاباً طوحاً وتواقاً إلى العراك والمجد العسكري، ويستعجل استعمال السلاح الذي أعده سلفه على مدى يقارب خمسة عشرة عاماً: ولم يجد مبعوثوه لما بلغوا القدس صعوبة في في انحياز صدقيا إلى جانبهم في وقت بلغ فيه توتر النفوس ذروته.

أما أدوم ومؤاب والفلسطينيون الذين شاركوا حديثاً في اجتماعات المتمردين رفضوا في آخر الأمر قطع علاقتهم ببابل: وحدها صور والعمونيون استمروا على موقفهم وتحالفوا مع المصريين، شأنهم في ذلك شأن اليهودية. أمام هذا التحدي من ثلاثة أعداء احتار نبوخذنصر في اختيار وجهة تصديه الأولى. أما حزقيال Ezéchiel المكرم في منفاه بحيث يعرف مجريات الأمور يصوره لنا "واقفاً على مفترق الطرق ليستطلع المستقبل: فيخلط أسهم معرفة المستقبل، ويستشير العرافين ويتفحص أحشاء الضحايا"[2]. كانت اليهودية بمثابة رأس جسر منه ينقض المصريون على سورية بأمان، وإذا ما توصل لاحتلالها في الوقت المطلوب فإنه بسرعة يقسم المحالفة إلى ثلاثة أقسام لا يعود بوسعها اللقاء. عمون في الصحراء إلى (ص ٥٤٣) الشرق، صور وصيدا على الساحل، والفرعون في الجنوب الغربي نحو

---

[1] المرجع: G. MASPERO, Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient Classique, les Empires, III, Librairie Hachette, Paris, p. 542 et 543.

[2] حزقيال، ٢١: ٢٦.

حدود مضيقه. فأقام في ربلة على العاصي في موضع مركزي منه يراقب مجمل سير العمليات، ليتدخل بما لديه من قوات الاحتياط حيث يبرز الخطر أو تلاقي صعوبات مفاجئة؛ ثم أطلق فرقتين على خصميه الأساسيين. واحدة تسلقت لبنان، واستولت على ما فيه من حصون وتركت على صخور **وادي بريصا** نصباً لتخليد انتصاره، ثم هبطت منتشرة على طول الساحل متفرغة لحصار صور[١]. أما الفرقة الثانية فانقضت على صدقيا Zédékias تسومه حرباً لا هوادة فيها. فحرقت القرى والمدن المفتوحة وتركت السهول في مهب غضب الفلسطينيين والأدوميين، وحاصرت قلعتي لاكيش Lakish وإزيكا Azékah، ولم ترابط أمام العاصمة إلاّ بعدما جعلت مناطقها جرداء خاوية. وكانت تضيق الخناق حولها عن قرب عندما علمت أن أبرييس ظهر من جهة غزة.

لقد كان صدقيا القلق جداً قد التمس النجدة منه التي يبدو أنها بدأت بالظهور. وهذا ما دفع الملك البابلي إلى فك الحصار والانصراف إلى قطع الطريق على المصريين...

---

[1] رواية هذه الحملة في فينيقيا واردة في النقوش التي اكتشفها وعلق عليها بونيون، في النقوش البابلية في وادي بريصا، ص ٢٠- ٢٢. إن وينكلر Winckler هو الوحيد على حد علمي الذي حاول أن يُعين موقعاً محدداً للوقائع الواردة في النقوش... يروي الملك في هذه النقوش الأعمال التي قام بها من ترميم المعابد وترميم أسوار بابل وتجديد الأقنية، كل تلك الأمور التي تضعنا في في أواسط أو نهاية حكمه. وعليه فإني أتردد بين تاريخين: تاريخ ٥٩٠-٥٨٧ (ق.م.) في غمار الحرب اليهودية، وتاريخ ٥٦٨ (ق.م.) في الحرب ضد أحماسيس Ahmasis... وإني لأفضل التاريخ الأول، بحكم الإقامة المديدة انبوخذنصر في ربلة والتي توفر له الوقت اللازم لنقش هذه النصب في لبنان: ربما تكون نصب وادي بريصا نقشت قبل الاستيلاء على القدس، لأننا لا نعثر فيها على أي تلميح إلى الحرب على اليهود. ولعل العدو المذكور في السطور الأولى هو أبرييس الذي كان أسطوله يجوب البحر قبالة السواحل الفينيقية.

٥- النقوش البابلية في وادي بريصا[1]

مدخل

(ص I) تقع **وادي بريصا** على المقلب الشرقي للبنان على مقربة من بلدة **الهرمل** الشيعية[2] وضفاف نهر العاصي، وعلى مسير يومين تقريباً من **طرابلس الشام**[3].
لا أنوي أن أثقل على القارئ بسرد تفاصيل تجوالي. ولن أخبره، كما يفعل غالباً الرحالة، عن الخانات التي نزلتها وأنواع الطعام التي تناولتها. فمن السهل اليوم التجوال في لبنان وفي سورية المجوفة[4] (البقاع) التاريخية، والمناطق التي نجتازها بالغة الجمال ومثيرة للغاية من الناحية الأركيولوجية. وأخيراً فإن الأمن مستتب كثيراً في كل مكان، بحيث أنه لا يحق لمن يقوم بمثل هذا التجوال أن يتفاخر أدنى مفاخرة بأنه تجسم مواجهة صعاب هي على العموم محمولة تماماً.
لذا أكتفي بالقول أني قمت بزيارة **وادي بريصا** للمرة الأولى في ١٦ تشرين الأول ١٨٨٣. انطلقت صباح ذلك اليوم من **الهرمل** بصحبة أحد أبنائها كدليل وعدني بإرشادي إلى نقوش قديمة. وبعد أن تتبعت لبعض الوقت ضفة العاصي بحثاً عن نقش غير موجود اجتزت النهر لأصل إلى موضع يُدعى **حيرا** Haïra على الضفة اليسرى للنهر، وحيث نرى كما زعم مرشدي آثار مدينة قديمة. بيد أن ما وجدناه كان بقايا قرية حديثة جداً على الأرجح. ترددت قليلاً حول وجهة سيري، وأخذني ميل شديد بالتوجه إلى **ربله** وضفاف بحرية حمص. ولكن مرشدي أكد لي أنه سبق له ورأى نقوشاً في **وادي بريصا** المنفتحة على السهل مقابل **حيرا**. فقررت متابعته وهذا ما لم أندم عليه، لأنه دلني في هذا الوادي، حيث لا يبدو أن أي أوروبي قد أتاه، على نقشَيْن لـــ **نبوخذنصر الثاني** Nabuchodonosor II (ابن **نابوبالوصور** (Nabou-pal-oussour.

---

[1] المرجع: Pognon, Henri: Les inscriptions babyloniennes du Wadi Brissa, F. Vieweg, Paris, 1887.
[2] البلدة المتوالية في الأصل "village métuali "، المترجم.
[3] في النص الفرنسي: "Tripoli de Syrie " طرابلس السورية، المترجم.
[4] العبارة الفرنسية "Célé-Syrie "، المترجم.

(ص II) إن هذه النقوش بقيت سليمة لبضع سنوات خلت، على الرغم من قدمها، هذا ما علمناه على الأقل من سكان الوادي. ولكن ثمة مغربي كان يتجول في البلاد عثر على هذه النقوش، ولما تخيل أن الصخرة تنطوي على كنز فإنه عمد إلى ثقبها بواسطة أداة معدنية، وخدشها في بعض مواضعها على عمق بضعة سنتمترات وخرب كل النقش تقريباً وجعل معظم الكلمات غير مقروءة تماماً. وثمة قطعة من الصخرة المنقوشة عثرت عليها أمام واحد من النقشين برهنت لي أن سكان الوادي كانوا صادقين معي، فتخريب النقوش حديث فعلاً.

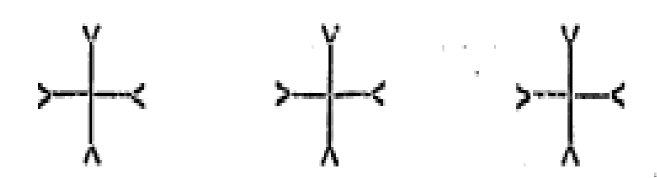
إن الاعتقاد بأن النقوش القديمة تنطوي على الكنوز أو تشير إلى مواضع إخفائها أمر شائع في لبنان وسبّب خسارة الكثير من النصب القديمة. ولقد بذلت الجهود المضنية لأقنع **المتاولة** أني لست باحثاً عن الكنوز. وإني لفي شك بتوصلي إلى إقناع الجميع، ولكن علي أن أضيف أن **متاولة وادي بريصا** مسالمون بقدر ما هم جهلة. فمع أني كنت في زيارتي الأولى لواديهم بصحبة خادم واحد فقط، وعندما عدت لاحقاً لم يكن برفقتي غير خادم ومكاري، فإني لم ألقَ منهم أبداً ما يدعوني إلى الشكوى.

لو أن نقوش **وادي بريصا** بقيت سليمة لكانت بالتأكيد من أهم نصوص **نبوخذنصر**. ولكنها مع الأسف غير مقروءة بقسم منها، وما بقي منها تتخلله ثغرات كثيرة، وأني في طليعة من يعترف بأنها لا تفيدنا بشيء في حالتها الراهنة. بيد أني وجدت مع ذلك من واجبي نشرها. ومع أن النصوص الأشورية المنشورة حتى اليوم كثيرة العدد فإنه ما يزال عدداً غير كافٍ، ولن يأخذ عليّ أحد من المهتمين باللغات السامية قيامي بنشر هذه النصوص على الرغم من ضعف أهميتها، لا سيما وأنها منقوشة منذ أكثر من ألفي سنة بأمر من قاهر اليهود وأشهر واحد من ملوك بابل، وهي نقوش ستزول من الوجود بعد بضع سنوات.

وادي بريصا

(ص ١) إذا انطلقنا من **الهرمل**[1] متجهين نحو الشمال متتبعين سفح الجبال نصل بسهولة بعد مسير ساعتين إلى مدخل **وادي بريصا**. ينفتح الوادي الضيق بمجمله إلى الشرق على السهل وضفاف العاصي، ويغوص في لبنان بالتواءات متعددة، ويؤدي إلى نوع من منبسط طبيعي بالغ الارتفاع تحيطه الجبال من كل الجهات وترويه كثرة من الينابيع. ومن هذا الموقع الذي يسميه سكان المحلة "**مرج حين**" يمكن بسهولة اجتياز "**الجرد**"، أي وسط لبنان، لنصل إلى طرابلس الشام بمسير يومين تقريباً. هذا الوادي كثير الأحراج ويكاد يكون خالياً من المياه (فيه نبع واحد فقط) وقاحلاً وهو غير مزروع. ولا يقطنه غير قلة من المتاولة الرحل والبؤساء الذين يرعون الكثير من قطعان الماعز، ويتنقلون باستمرار من مكان لآخر، ويعيشون تحت الخيم، ونرى فيه مع ذلك بعض البيوت الحقيرة المعزولة، خصوصاً في أسفل الوادي.

إن الرحالة الذي يدخل الوادي من جهة السهل والذي يصعد باتجاه "**مرج حين**"[2] يصل في مدى ساعة ونصف تقريباً إلى خرائب تحتل أسفل الوادي حيث تغطي الأرض كتل من الحجارة المتوسطة الحجم والمصقولة بمعظمها بعناية، كما نشاهد هنا وهناك أساسات الحيطان. أما المتاولة الذي استوضحتهم أمر هذه الخرائب فما استطاعوا إفادتي بشيء حولها حتى أنهم لا يعرفون (ص ٢) اسمها، ومع أني حاولت جاهداً استكشافها فإني لم أعثر على أي نقش فيها أو جزء من نصب أو أعمدة، ولكني عثرت فقط على حجر عليه ثلاثة صلبان على الشكل الآتي:



---

[1] بلدة الهرمل يقطنها المتاولة. وهي تقع على حدود متصرفية لبنان وعلى مقربة من ضفاف العاصي، وذلك في موقع مدينة رومانية لا استطيع تحديدها. وفيها نعثر في الحقيقة على أجزاء من تماثيل وتيجان الأعمدة وبقايا من كل أصناف الأبنية القديمة. وبالقرب من الهرمل على الضفة اليمنى للعاصي نرى على قمة تلة البناء الغريب والمعروف باسم نصب الهرمل.

[2] العبارة واردة في النص الفرنسي: مرج حين، (المترجم).

أشك في أن تكون هذه الآثار قديمة جداً، وأميل إلى الاعتقاد بأنها تعود إلى دير مسيحي من العصور الوسطى. ولكن متى حصل تدمير الدير؟ أجهل ذلك، وربما دمره المتاولة عندما استوطنوا المنطقة. ومع الأسف فإن سكان الوادي، كما أسلفت، لا يعرفون شيئاً حول المكان. بالقرب من هذه الأبنية القديمة على منحدر الجبل يجري النبع الوحيد الموجود في وادي بريصا.

بعد تجاوز هذه الخرائب، بمسير نصف ساعة تقريباً، نصل إلى مكان وجود نقشَيْ **نبوخذنصر**[١]. وهما محفوران على صخرتين متقابلتين تقريباً على يمين ويسار الطريق الواقع في قعر الوادي. نقش اليمين حروفه من البابلية القديمة، أما نقش الشمال فحروفه من البابلية الحديثة. وبجانب كل من النقشين منحوتة ضئيلة البروز في الصخر.

استطلعت بكل عناية رأس الوادي فلم أعثر على غير نقشين لاتينيين لــ **أدريان** Adrien من النوع الذي نصادفه كثيراً في لبنان. من المعروف أن معنى هذه النقوش الموضوعة كلها بكلمات مختصرة بعيد جداً عن اليقين، ويفترض **رينان** بصواب أنها مخصصة للتذكير بأن بعض الأشجار تعود ملكيتها للدولة وممنوع على الناس قطعها[٢].

ثمة عدد من نقوش **أدريان** موجود على ما يبدو في جوار **وادي بريصا**، ولكن لم يتسنَ لي الوقت للتحقق من ذلك. لقد وجدت بعضها في **الجرد** بعد **مرج حين**.

---

[1] اشتبه رنان Renan بوجود نقوش وادي بريصا. ففي الصفحة ١١٧، الحاشية ٣، من مؤلفه Mission de Phénicie نقرأ :"أخبرني أحد العاملين في نحت الأحجار، في مشنقة، أنه شاهد في بريصا فوق الهرمل، نقوشاً كبيرة وتماثيل كبيرة لرجال ونساء. ما هي بريصا هذه؟".

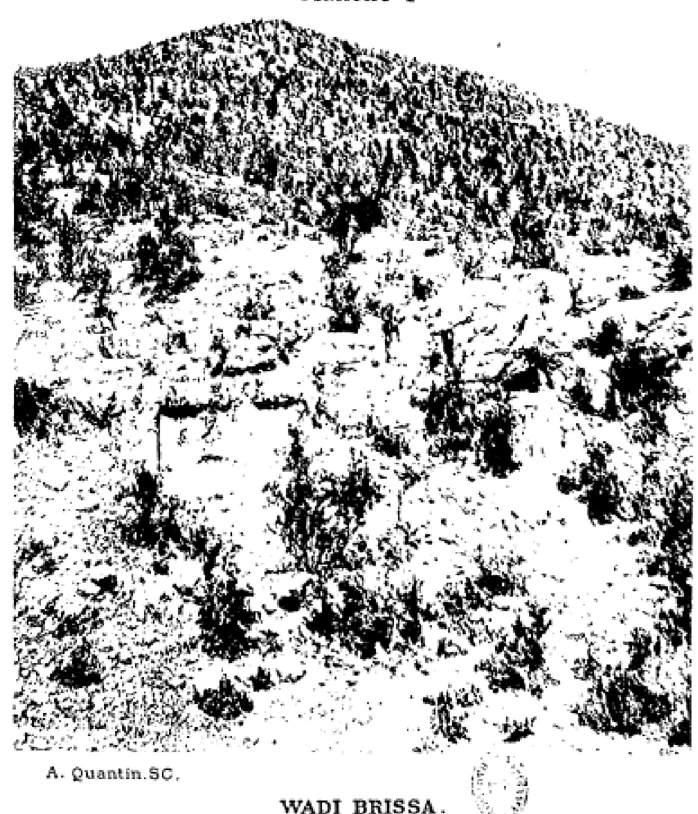
[2] راجع: Renan: Mission de Phénicie, pages 258, 259 et suivantes

وصف نقوش وادي بريصا

(ص ٣) النقش بالبابلية القديمة

إن النقش على يمين الطريق صعوداً في الوادي حروفه من اللغة البابلية القديمة (راجع اللوحة planche I). عمل النحات بداية على تسوية وجه الصخرة بحيث حفر فيها نوعاً من كوة مربعة جوانبها متوفرة في الأطراف الأساسية للصخرة. بيد أن الطرف العلوي بارز جداً وهو أقل بروزاً إلى اليسار، ولا تظهر حدود طرف اليمين بحيث يبدو أن وجه الصخرة هنا لم يتعرض للنحت، بل تم صقله فقط. يبلغ طول الكوة ٥,٥٠م، ويقع طرفها العلوي على ثلاثة أمتار من الأرض. أما طرفها السفلي، إن كان هناك من طرف، فلم يتبقّ شيء منه. فالصخرة تعرضت للتخريب بعمق من قبل الباحثين عن الكنوز، ما جعل الجهة السفلية للنقش غير موجودة.

Planche I



WADI BRISSA.

L'inscription en caractères archaïques.

في قسم اليسار من خلفية الكوة تم نحت تمثال مدمر حالياً، لقد تعرضت الصخرة للكسر وأقسامها البارزة تم انتزاعها بالكامل تقريباً. بيد أنه يُمكن تمييز إطاره. وفي الحقيقة، لقد تمت تسوية خلفية الكوة بعناية، ولكن سطح الصخرة فيه نتوءات بارزة في مواضع وجود التمثال، بينما هي ملساء تماماً في باقي الكوة. يمثل التمثال رجلاً واقفاً يمسك بذراعه الممدودة حيواناً، هو على الأرجح أسد منتصب على قائمتيه الخلفيتين ويرفع إلى الأعلى إحدى قائمتيه الأماميتين ليَهم بضرب خصمه (راجع اللوحة planche II).

Planche II.



A. Quantin SC.

WADI BRISSA.

Bas-relief et commencement de l'inscription en caractères archaïques.

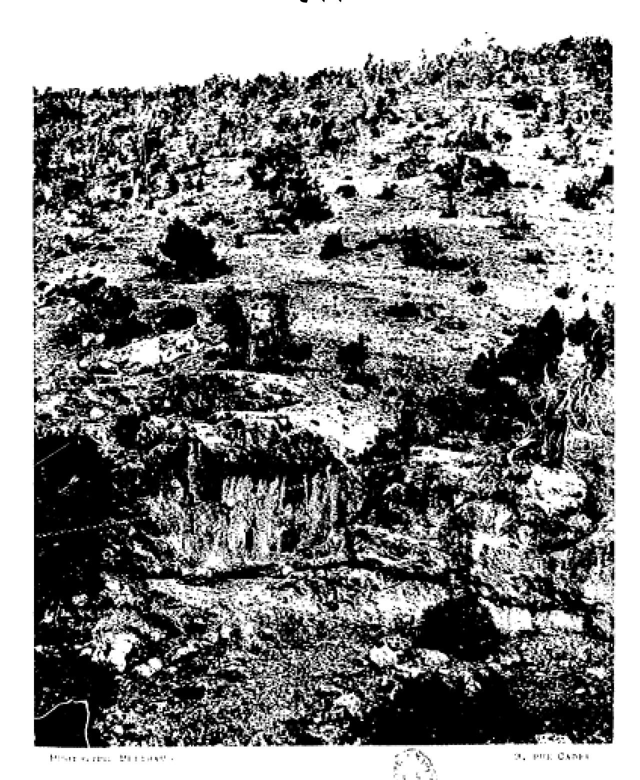
بين جسم الرجل وطرف اليسار ثمة فراغ تم تحته، على مستوى قدمي الرجل، نقش دعاء أو (ص ٤) ابتهال لإلاهة ما. لقد اختفى معظم النقش هنا، ولا يمكن غير تبين بضع كلمات.

يتألف النقش من تسعة أعمدة. العمود الأول محفور على يمين الرجل، تقع سطوره العشرة الأولى فوق الذراع الممدودة التي تلتقط الحيوان، أما السطور الأخرى فهي تحت الذراع. يقع العمود الثاني فوق رأس الأسد. وتتوالى الأعمدة تباعاً بلا انقطاع من الثالث حتى التاسع على يمين النصب وتشغل وسط الكوة ويمينها. لقد وُضعت على اللوحات الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة الأعمدة السبعة الأولى؛ وبما أن حالة العمودين الأخيرين سيئة لدرجة لا يمكن معها قراءة غير بضع كلمات وأحرف متناثرة، فلقد امتنعت عن رسمها. وكما سبق وقلت فإن إسفل النقش ضائع تماماً ومن المستحيل معرفة على أي ارتفاع عن الأرض توجد السطور الأخيرة.

النقش بحروف البابلية الحديثة

النقش القائم على يمين الصاعد في الوادي حروفه من اللغة البابلية الحديثة وهو من عشرة أعمدة (راجع اللوحة planche III). لقد حفر النحات في الصخرة كوة مستطيلة يحيطها من كل جوانبها إطار بالغ البروز. والكوة بطول ٣,٥٠م وارتفاع ٢,٨٠م بين حرفها الأعلى والأدنى، وتعلو من أسفلها عن الأرض ٥٠ سنتم تقريباً. العمود الأول منقوش في خلفية الكوة مباشرة قرب حرفها اليسار، ويتبعه على التوالي العمود الثاني والثالث والرابع والخامس. ثمة فراغ بين العمود الخامس والسادس نقش فيه جزء من التمثال.

Planche III.



WADI BRISSA
L'inscription en caractères cursifs.

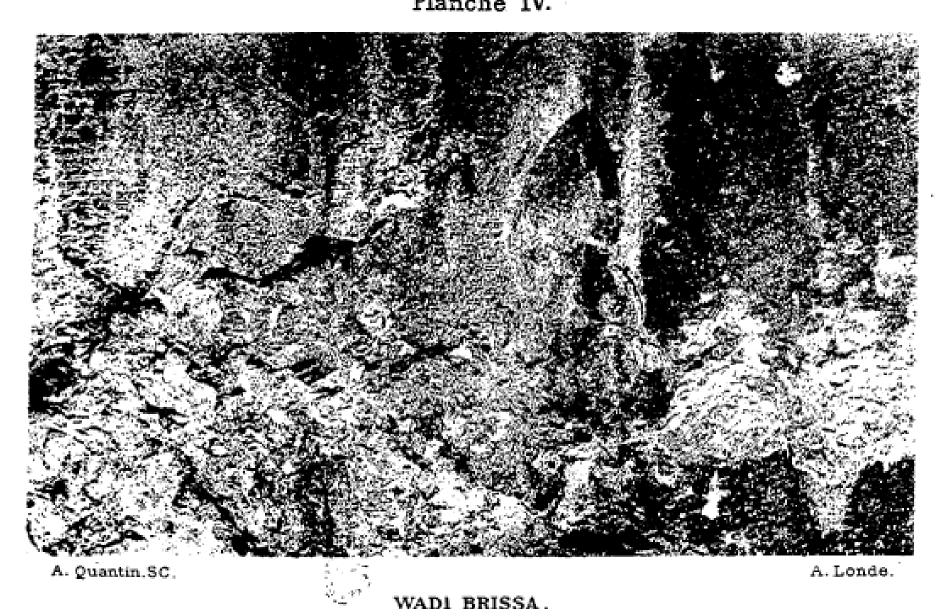
وعلى الرغم من سعة الكوة فهي لم تتسع لكامل النص. فالعمود السادس الواقع على يمين النصب تم نقشه في خلفية الكوة وعلى حرفها اليمين معاً؛ كما نقشت الأعمدة الباقية جميعها على يمين الكوة على الصخرة التي تم مسبقاً تسوية وجهها.

يمثل التمثال، أو بالأحرى كان يمثل، رجلاً يتجه إلى اليسار واقفاً أمام شجرة بلا أوراق؛ ونُحتت صورة الرجل في الفراغ الكائن بين العمود الخامس والعمود السادس، أما الشجرة (ص ٥) فمحفورة في وسط العمود الخامس. ومع أن النقش هنا أقل تشويهاً من نقش الحروف القديمة فإن النصب فيه على حالة بالغة السوء: الأجزاء الوحيدة المحفوظة جيداً هي القسم العلوي من الشجرة وقلنسوة على رأس الرجل[1] (انظر اللوحة planche IV). أضيف قبل الختام، أنه قبل مباشرة النقش تم مرغ وجه الصخرة بطبقة مكونة من نوع من الملاط أو الاسمنت الأبيض وهو على

[1] هذه القلنسوة الفريدة الشكل تختلف تماماً عن القلنسوة الأشورية. فهي دقيقة الرأس وتنتهي بغطاء للرقبة يتدلى على قذال الرجل، وهي تشبه كثيراً التاج الحاد المقفل من الأعلى الذي يضعه الأساقفة اليوم.

قساوة لا تقل عن قساوة الصخرة. وهذا ما نجم عنه كون بعض أجزاء النقش بيضاء تماماً بينما بعضه الآخر غامق بلون الصخرة.

Planche IV.



A. Quantin.SC. A. Londe.

WADI BRISSA.

Haut des bas-reliefs de l'inscription en caractères cursifs.

لهذا النقش بالحروف الحديثة بعض الأهمية بالنسبة لقراءة النصوص القديمة لأنه يمكننا بشكل أفضل من النصوص المحفورة على الآجر من التعرف على الشكل الصحيح للحروف البابلية في زمن نبوخذنصر. ولقد كان قابلاً أكثر من نقش الحروف القديمة لأن يصمد وقتاً أطول أمام عوامل الزمن، ولكن المغربي الذي ذكرت مآثره قام بتخريب قسمه الأكبر مع الأسف. فوسط النصب والأعمدة التي تحتل خلفية الكوة، أي الأعمدة الستة الأولى، اختفى تماماً، كما تم ثقب الصخرة بعمق بضع سنتمترات. وبالتالي من المستحيل حساب العدد الإجمالي للسطور، واضطررت إلى إجراء ترقيم منفصل من الأعلى والأسفل لسطور العمود الثالث والرابع والسادس. كما أن اسفل العمود الأول والثاني مشوه تماماً؛ وأسفل العمود الخامس متضرر لدرجة لا يمكن معها قراءة غير بعض الكلمات والحروف المبعثرة. والعمود السابع المحفور خارج الكوة تضرر أيضاً والعديد من سطوره في حالة سيئة للغاية. أما الأعمدة، الثامن والتاسع والعاشر، فقد نجت من المغربي، ولكن بما أنها أكثر عرضة من الأعمدة الستة الأولى لعوامل الطقس، فقد تعرض

قسم منها للتلف؛ وكذلك فالعمود العاشر غير مقروء بمجمله. وعليه فأجزاء نقش الحروف الحديثة التي أمكنني نسخها هي:

- القسم العلوي من العمود الأول
- القسم العلوي من العمود الثاني
- (ص ٦) القسم العلوي من العمود الثالث
- القسم السفلي من العمود الثالث
- القسم العلوي من العمود الرابع
- القسم السفلي من العمود الرابع
- القسم العلوي من العمود الخامس
- القسم العلوي من العمود السادس
- القسم السفلي من العمود السادس
- العمود السابع
- العمود الثامن
- العمود التاسع
- بعض سطور العمود العاشر

(راجع اللوحات من الرقم ٩ حتى الرقم ١٤)

(ص ٧)

ترجمة وتحليل

نقوش وادي بريصا

النقش بحروف اللغة البابلية القديمة

ابتهال منقوش على يسار النصب

الترجمة: إلى الإلاهة .... التي تكبر .... التي تقيم في الهيكل ([cuneiform])[1]، الهيكل ....

(ص ٨) العمود الأول

الترجمة: نبوخذنصر، ملك بابل، المخلص، المطيع لمردوخ Mardouk، إشاكو ichakkou السامي حبيب الإله نابو Nabou، الملك الشهير المتطلع دوماً لرغبات مردوخ، الإله الكبير الذي خلقه، ورغبات نابو، ابنه المخلص المحبوب من ملكه، العارف بالعلوم، والذي يروقه عبادة قداستهم، ذلك الذي تصيخ أذناه سمعاً لأمر قداستهم، العارف، العلامة (؟) الذي يعبد الإله والإلاهة باسمهما الشهير، الحكيم التقي، مجدد هيكل شاكيل Chakkil وهيكل زيدا Zida (؟)، الابن الشهير لنابو-بال-وصور (نابوبالوصور)، ملك بابل؛

أنا!...
..

---

[1] ([cuneiform]) هي رمز لـ ([cuneiform]) تعني كبير (R., v. II, p. 13, 1. 22) و ([cuneiform]) وتُقرأ على الأرجح بيتو غولاتو bitou goulatou. كان هذا الهيكل في بورسيبا Borsippa ومكرساً للإلاهة ([cuneiform])؛ بناه نبوخذنصر هو وهيكلين آخرين مكرسين لنفس الإلاهة (R., v. I, p. 55, col. Iv, 1, 52, 53, 54, 55, 56).

تكتب أسماء الهياكل (أسماء العلم) عادة رمزياً ولذا فقراءتها مشكوك بها على الدوام تقريباً، ولقد فضلت عدم ترجمتها. ومن المعترف به عموماً أن أسماء العلم هذه هي أسماء أكادية. وإني لأعترف صراحة، وأنا أغامر بالتعرض لسخرية جميع المشتغلين باللغة الأشورية، بعدم اقتناعي بوجود لغة أكادية. يضيق المجال هنا لأعرض الأسباب التي دفعتني أخيراً لتبني معظم آراء هاليفي Halévy؛ ولكني أكتفي بالقول بما أن عدد الكلمات الأشورية المشوهة عمداً والتي نصادفها في نصوص مشهورة أكادية كبير جداً وأشكال النحو التي غلب الظن باكتشافها هي فريدة للغاية، ففي ذلك ما يجعلني لا أستطيع الاقرار بأن مثل هذه اللغة كانت محكية في يوم ما.

العمود الثاني

الترجمة: لقد عهد إلى ساعدي بهراوة(؟) تلقي الهدوء في نفوس الرجال، وأمرني القيام بإصلاحاته وأنا منشغل باستمرار وبدون توقف بسيدي مردوخ، واهتم بلا توقف بهياكل نابو الابن المخلص المحبوب في مملكتي؛ وإني لأتفكر بما يروقهم. من أجل عبادة قداستهم ....

العمود الثالث

نص العمود الثالث على درجة من التشويه يستحيل معها تقديم ترجمة كاملة له. يبدو أن الملك يتحدث فيه عن تقواه تجاه الآلهة، ويفتخر بأنه جاب المسالك الوعرة واجتاز الصحاري (السطر ١٣ و١٤ و١٥) ويتباهى بعظمته وقدرته. يبدأ مع السطر ٢٤ مقطع من السهل استعادته وها هي ترجمته:

كنت أجمع سنوياً وأراكم جزية الجبال ومنتجات البحار والسهول والذهب والفضة و..... الثمينة، والصنوبر الضخم، وقدراً هائلاً من الجزية، والضرائب المتعددة.

واعتباراً من السطر ٣٤ يبدأ الملك بتعداد أعمال الترميم والتجميل التي تم انجازها في هيكل شاكيل نزولاً عند أوامره.

(ص ٩) العمود الرابع

إن السطور الثمانية الأولى واضحة المعنى بلا شك وإن تكن نهاياتها ناقصة، ففيها يتحدث الملك عن هيكل قام بتوسعته ويعبر عن ذلك بقوله:

لقد جعل ارتفاعه ٣٠ ذراعاً[1] ولم يرفع قمته أبداً. أما أنا فمن أجل بنائه رفعت ذراعي[2] وبيدَي الطاهرتين قطعت شجرة صنوبر كبيرة الحجم من تلك الشامخة في لبنان، غابة ......

وفي السطور ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، يتعلق الأمر بأبواب هيكل من المرجح أن الملك صنعها أو رممها، والباب الوحيد الذي يمكن قراءة اسمه يُسمى ([illegible]).

---

[1] الذراع هنا ترجمة لكلمة "coudée" ما يعادل ٥٠ سنتم (المترجم).

[2] اقترحت ضرورة ترميم مطلع السطر الرابع على الشكل الآتي: ([illegible])

من السطر ١٦ حتى السطر ٢٧ النص على حالة سيئة لدرجة لا يسعني معها تقديم معناه العام.

مع السطر ٢٨ يبدأ تعداد شتى أصناف الطعام التي عمل الملك على تقديمها على مائدة الإله مردوخ والإلاهة زاربانيت Zarpanit، النص مشوه للغاية، وبما أنه ثمة حالات لتعداد مماثل في مقاطع أخرى من نقوش وادي بريصا لم أرَ من الضروري ترجمته هنا. ونلاحظ في عداد المشروبات المقدمة للآلهة خمور تسعة بلدان مختلفة؛ هذه البلدان، باستثناء واحد، واردة في مقطع من اسطوانة لنبوخذنصر فيه كلام حول الخمور التي كانت تقدم على مائدة الإله مردوخ والإلاهة زاربانيت (R., v. I, p. 65, col. 1, 1, 22, 23, 24, 25)؛ وها هي أسماؤها: بلد إيزال[١] Izal ([cuneiform])، وبلد تويم[٢] Touim ([cuneiform])، ([cuneiform]) (ص ١٠) بلد سيمّين[٣] Simmin ([cuneiform])، بلد حيلبون[٤] Hilboun ([cuneiform])، بلد أرنابان Arnabân ([cuneiform])، أو كما يرد في الاسطوانة بلد أرانابان[٥] Aranabân ([cuneiform])، بلد سوخ[٦] Soukh ([cuneiform])، بلد بيت كوباتي[٧] Bit-Koubati ([cuneiform])، مدينة[١] ([cuneiform])، وأخيراً بلد بيتاتي[٢] Bitati ([cuneiform]).

---

[1] يقع بلد إيزال في أرمينيا، وربما على مسافة قريبة من منابع دجلة. يعلمنا أشور-ناصر-أبال Achour-nassir-abal أنه لما علم باندلاع ثورة جمع قواته وقصد منبع نهر سوبنات Soubnat، ويضيف أنه في ذلك الوقت جمع جزية بلد إيزال ([cuneiform]) المكونة من الثيران والخراف والخمور (R.,v. I, p. 19, 1. 105,106). من المعروف أن نهر سوبنات، المدعو اليوم باسم سوبينيه-سو Sebbeneh-sou، هو أول رافد لدجلة على ضفته اليسرى.

[2] أجهل موقع بلد تويم. يذكر تغلاتفلاصر الثاني Téglathphalasar بلدة تومين دون تحديد موقعها ([cuneiform]) حيث احتفظ بأسرى (R., v. III, p. 9, n° 3, 1.48).

[3] أجهل موقع بلد سيمين.

[4] يذكر حزقيال خمر هذا البلد الذي يسميه ([Hebrew])، ويخبرنا سترابون (Livre XV) أنه يقع في سورية.

[5] موقع هذا البلد مجهول.

[6] يقع بلد سوخ في وادي الفرات بالقرب من الرقة Rakkah وأناه Anah. راجع: H. POGNON, l'Inscription de Mérou-nérar 1er, roi d'Assyrie, pages 74 et 96.

[7] اجتاح سنحاريب في حملته الثانية بلاد الكاشيين Kaché والياسوبيكاليه Yassoubikallaï، واجتاز الجبال واستولى على مدن بيت- كيلامزاخ Bit-Kilamzakh وكارديبشي Khardichpi ([cuneiform]) وبيت- كوباتي Bit-Koubati ([cuneiform])، وجمع غنيمة كبيرة، وأنزل من الجبال الكاشيين والياسوبيكاليه الذين هربوا من أمامه وأسكنهم في كارديشبي وفي بيت- كوباتي، وعهد بحكم هاتين المدينتين إلى والي أرابخا Arrabkha (R., v. I, p. 37, 1. 63 et suiv.).

(ص ١١) العمود الخامس

السطور الأحد عشرة الأولى غير مقروءة. وفي السطور ١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و١٧ و١٨ يتعلق الأمر بطقوس الاحتفالات ([cuneiform]) بالإله مردوخ، ولكن النص على درجة من السوء مع الأسف بحيث تتعذر ترجمته.

ومن السطر ١٩ يبدأ مقطع طويل نجده بنصه الحرفي في أعلى العمود الثالث من نقش الحروف الحديثة وبالتالي فمن غير المجدي وضع ترجمته هنا.

العمود السادس

يبدأ العمود السادس بتعداد ألقاب الملك: نبوخذنصر، ملك بابل، مجدد هيكل شاكيل وزيدا. واعتباراً من السطر الثالث حتى السطر ١٧ فإن النص مع الأسف تتخلله كثرة من الفراغات بحيث أنه غير مفهوم. وفي السطر ١٨ نجد مقطعاً يتناول الأعمال التي يسعى الملك إلى انجازها في محراب الإله نابو، وها هي ترجمته:

.... قطعت بيدَي الطاهرتين، وكسوتها بالذهب الأحمر، وزينتها بالحجارة، بـــ..... ووضعتها من أجل سطح هيكل ([cuneiform])[٣] ومحراب نابو

وكما قلت في بحثي حول نقوش ميرونيرار الأول (ص ٧٣) أعطت مدينة أربخا اسمها إلى أراباشيتيس Arrapachitis. وبالتالي من المحتمل أن يكون موقع مدينة بيت- كوباتي وبلدها على مقربة إلى الشرق من هذه المقاطعة، أي غربي أو جنوبي بحيرة أورمية. يعني اسم العلم بيت- كوباتي "بيت شخص يُدعى كوبات Koubat"، هذا على الأقل ما اعتقده سنحاريب لأنه أملى اسمه على الشكل الآتي ([cuneiform]). ومن المحتمل أن بلد بيت- كوباتي كان مأهولاً بشعوب سامية الأصل.

زعم يواكيم الحاج في مؤلفه ("عكار في التاريخ"، الجزء الثاني، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩، ص ٨ وما يليها) أن بيت- كوباتي هي بلدة القبيات، وأن كارديشبي هي كرم شباط، هذه المنطقة التي معظمها ملك القبيات. ولم يلتبس الأمر عليه، بل تقدم بكلامه من خلال عملية تزوير لنص بونيون، وعبر هلوسة دفعته إليها رغبته بتعظيم شأن بلدته (بلدتنا) القبيات، وبلغت به الجرأة في التهور أنه ادعى تصحيح قراءة بونيون للنصوص المسمارية! ولقد فندنا بالتفصيل ترهاته هذه في مؤلفنا: تحقيقات في تاريخ عكار والقبيات، دار مكتبة السائح، طرابلس لبنان، ٢٠٠٠، ص ١١٨- ١٢٣ (المترجم).

[1] لا أعرف موقع هذه المدينة التي يُكتب إسمها مرمزاً ([cuneiform])، كما أني لم أتوصل إلى قراءة هذه الرموز. في هذه المدينة انتصر قورش Cyrus على قوات نابوـنايد Nabou-naïd. Transactions of the Society of biblical archæology, vol. VII, part. I, 1880, p. 164, ligne 12.

إن خمر ([cuneiform]) غير وارد في اسطوانة نبوخذنصر.

[2] بلد بيتاتي غير مذكور على حد علمي في أي نص آخر.

[3] إن الهيكل المدعو باسم ([cuneiform]) قديم جداً على الأرجح، لأنه مذكور في قسم من نشيد عُثر عليه في مكتبة كويونجيك Koyoundjik (R.,v. IV, p. 29, n°1, 1. 24). إن أعمال الترميم التي عمل نبوخذنصر على انجازها في هذا الهيكل واردة في اسطوانة منشورة في مصنف نصوص المتحف البريطاني Brit. Muse (R., v. V, p. 34, col. II, 1.4, 5 et suiv).

مقابل ثلاثتهم[1]. وبخصوص الأبنية الستة الملحقة بمحراب نابو، فزينت بالفضة البراقة خشب سطحها المصنوع من السرو. وصنعت تماثيل ضخمة من البرونز وكسوتها بـــ..... ووضعتها على عتبة مدخل المحراب. وطليت بالذهب الأحمر العتبة وأطر الأبواب و([illegible]) وأرضها(؟) و([illegible]) وحلقات الأبواب وباب المحراب. ورصفت جادة المحراب والطريق إلى المعبد بالآجر المغطى بدهان فضي لماع، وزودت الأبواب المصنوعة من خشب السنديان والسرو بقفل(؟) فضي لماع وضعته في كل الأبواب. وجعلت مذبح(؟) المصليات وساكف الباب من الفضة اللماعة ....

(ص ١٢) **العمود السابع**

الترجمة: اعتنيت أكثر من السابق بالكبيرة ...... وقدمت في اليوم الأول، على مائدة أسيادي نابو ونانا Nana، ثوراً ناضجاً .... عجلاً(؟)، خروفاً(؟)، إراقة الخمر تكريماً للآلهة ....، واحداً من ([illegible])، ثلاثة ([illegible])، عشرون .....، البيض(؟)، من ([illegible])، اثنان ([illegible]) حمراوين، واحداً من ([illegible])، سمك البحر، من ([illegible])، خضاراً طازجة(؟) أفضل ما تنتجه الزراعة(؟)، ثماراً ناضجة(؟)، منتجات الحقول، بلحاً(؟)، الزيت ([illegible])، الخمر([illegible])، من ([illegible]) النقي، السمن، من ([illegible])، الحليب، من ([illegible])، الدسم، نبيذ العسل(؟)، من ([illegible])، الخمر الأبيض(؟)، كل ذلك بكميات أكبر ممن السابق.

اعتنيت بـــ.......... مركبه البراق، أنا.......، وطليت بالذهب الأحمر هيكله(؟) المصنوع من السنديان(؟) وساريتيه من السرو.....

---

[1] "مقابل ثلاثتهم". توقف بونيون، في الصفحة ٣٧ من مؤلفه، في قسم "شروحات لغوية"، امام هذه العبارة: "في السطر ٢٣ (من العمود الثالث من "النقش بحروف قديمة") يعطي نبوخذنصر للإله نابو صفة يستحيل عليّ ترجمتها بغير عبارة "مقابل ثلاثتهم". هذا اللقب فريد لدرجة دفعتني بداية إلى الظن بوجود خطأ ارتكبه النقاش. لكننا نعثر في نص آخر لنبوخذنصر على هذا اللقب بشكل يشبه عبارة "مقابل بعل"، وهذا لقب غالباً ما يطلقه القرطاجيون على الإلاهة تانيت Tanit... أغلب ظني أن عبارة "ثلاثتهم" كانت تعني ثلاثة آلهة عند الأشوريين، ولكنني لا أعرفهم.

عند الاعتدال (بداية الربيع)(؟) عند رأس السنة[1]، في عيد أكيت akit سيد الآلهة مردوخ، نابو، يأتي الابن الجبار بكل أبهة من بورسيبا Borsippa إلى بابل في قارب[2] نهر الجمال أسمو(؟). بنيت (ص ١٣) ( ) مكللاً بالأبهة، وملأت جلالاً هيكله(؟) وغطيت بالعاج ساريتيه من أجل تطواف عظمته، بغية إثارة الإعجاب. وصنعت من العظمة لإلاهي نابو، سيدي، ما لم يفعله ملك قبلي. ومن الموضع المسمى "إيشتاريت Ichtarit الذي يُسقط أعداءه" حتى "الباب البراق"، الجادة المعروفة باسم "الجن إيشتاريت حامية رجالها"، ( ) السيد الكبير مردوخ، من الموضع المسمى "إيكيبشوناكار Ikkipchounakar" حتى مدخل نابو في هيكل شاكيل، الشارع المسمى "نابو قاضي رجاله" الــ( )....... مسطح مغطى بالقار و.....

النقش بحروف اللغة البابلية الحديثة

القسم العلوي من العمود الأول

نص القسم العلوي العمود الأول مطابق لنص العمود الأول في نقش الحروف القديمة، وسبق أن عرضت ترجمته.

القسم العلوي من العمود الثاني

الترجمة: .... هيكل زيدا، لهيكل شاكيل، محراب نابو في ( )، في داخله، في اعتدال الربيع(؟) رأس السنة، يأتي نابو الأبن

---

[1] يعالج بونيون في القسم المخصص إلى "الشروحات اللغوية"، في الصفحة ٨٥ وما يليها، معنى "الاعتدال" و"رأس السنة": "شهر نيسان... الشهر الأول... نحن نجهل متى يبدأ شهر نيسان عند الأشوريين. اعتمد السريان باكراً تقويم جوليان Julien، وفي العصور الوسطى كان شهر نيسان يطابق شهر ابريل avril. ولكن الأمر لم يكن كذلك في العصور القديمة... اعتمد تقويم السريان في الأصل الشهر القمري، وكانوا يضيفون كل سنتين أو ثلاثة شهراً إضافياً على السنة بحيث يحصل اعتدال الربيع دوماً في شهر نيسان. وكل ما نعرفه عن التقويم الأشوري أن السنة تبدأ في الأول من نيسان...".

[2] لا نعرف غير القليل جداً عن ديانة البابليين بحيث لا نستطيع أن نعرف بدقة ما هو "قارب نهر أسمو"، و"القارب ( )" المذكور في العمود الثالث من نقش الحروف الحديثة. إن هذه القوارب المقدسة التي كانت تستعمل لتطواف نُصب الآلهة في بعض الأعياد هي بالتأكيد قديمة للغاية، ومن المرجح أنها كانت تلقى أكبر عناية، ويتم ترميمها باستمرار، كما كان يتم ترميم مركب بوصنتور Bucentaur (الحيوان الخرافي) في البندقية. وفي الحقيقة فإن المركبين مذكورين في لائحة المراكب المقدسة الواردة في مكتبة كيونونجيك، وبالتالي هي أقدم بكثير من نبوخذنصر؛ وتفيدنا هذه الوثيقة أن "قارب نهر أسمو" كان مكرساً إلى نابو، و"قارب ( )" إلى مردوخ (R., v. II, p. 62, n° 2, 1. 41, 42).

ومن المحتمل أن هناك قوارب أخرى لتطواف تماثيل عدد كبير من الآلهة، ولكل من هذه القوارب اسمه الخاص به.

الجبار بموكب تطواف في عيد أكيت، منطلقاً من بورسيبا، وحيث يشاء. طليت بالذهب الأحمر ...... أطر أبوابه ونوافذه، و........ وسقفه، و..... (ص ١٤) المعبد .... لنابو الإله المحبوب من مُلكي، وعملت على بهرجة لمعانه.

في السطر ١٣ يبدأ مقطع يتعلق بترميم هيكل هو على الأرجح ([cuneiform])[1]؛ النص بالغ التشويه فلا يمكن ترجمته.

القسم العلوي من العمود الثالث

الترجمة: طليت بالألوان الزاهية سطح القارب ([cuneiform])، ..... قاربه البراق، من الأمام والخلف معاً، أدواته الداخلية، و...............، و..............، وتماثيله الضخمة؛ وزينتها بالصوان وبـــ([cuneiform]). وجعلته يلمع وسط أمواج الفرات، كما تلمع النجوم في السماء؛ من أجل إثارة إعجاب أفواج الرجال، لقد أشبعته روعة.

في الاعتدال(؟) مع حلول رأس السنة وضعت عليه مردوخ سيد الآلهة، وفي عيد التوالد(؟)، عيد أكيت السامي، كنت أجعل هذا الإله يطوف بكل أبهة على قارب ([cuneiform]) .... مردوخ .... الرعاة .... أراخت Arakht .... معبد[2] ([cuneiform]). من أجل دخول سيد الآلهة الكبير، سيد الأسياد، من رصيف (ص ١٥) قارب ([cuneiform]) حتى هيكل ([cuneiform]) جولة السيد الكبير مردوخ ....

القسم السفلي من العمود الثالث

نص القسم السفلي من العمود الثالث هو نفس نص العمود السادس من نقش الحروف القديمة، اعتباراً من السطر ١٨، ولقد سبق وترجمناه.

---

[1] هذا ([cuneiform]) كان هرماً بعدة طوابق ([cuneiform]) في بابل. تعرض هذا المبنى للتدمير في أيام سنحاريب Sennachérib أثناء نهب بابل، وأعاد أسرحدون Assarhaddon بناءه (R., v. I, p. 48, nº 9)؛ ثم أكمله نبوخذنصر وزاد ارتفاعه (R., v. I, p. 51, nº 1, col. I, 1. 23; v. I, p. 54, col. III, 1. 15, 16, 17; v. I, p. 65, col. I, 1. 39; v. V, p. 34, col. I, 1. 53).

[2] كان الاحتفال بعيد أكيت يتم في هيكل ([cuneiform]). ففي الاسطوانة الكبيرة لنبوخذنصر نقرأ: "هيكل ([cuneiform]) أكيت السامي لسيد الآلهة مردوخ، موضوع صراخ الفرح والابتهاج من قبل جماعات إيغيغ Ighig وأنوناك Anounnak (R., v. I, p. 55,col. iv, 1,7,8,9).

القسم العلوي من العمود الرابع

الترجمة: إن ما لم يفعله أي ملك قبلي فعلته بضخامة من أجل سيدي نابو. ووسط صراخ الفرح والابتهالات أسكنت سيدَي، الإله نابو والإلاهة نانا Nana، في مقام يطيب لهما.

في السطر السادس يبدأ تعداد الأضحية والأطعمة التي كانت تقدم للآلهة. النص كثير التشويه فليس من الممكن ترجمته.

القسم السفلي من العمود الرابع

لم يبقَ هنا غير الكلمات الأولى من السطور الأخيرة. ويبدو أن الأمر يتعلق بالأعمال الأخيرة التي قام بها الملك.

القسم العلوي من العمود الخامس

الترجمة: أنا نبوخذنصر، ملك بابل، الذي يعتني بهياكل نابو ومردوخ أسياده، أنجزت إيمغور- بل Imgour-Bel ونيميت- بل Nimit-Bel، الأسوار الكبيرة لبابل، مدينة السيد الكبير مردوخ، مدينة أمجاده. ما لم يفعله أي ملك في السابق، على عتبة الباب الكبير .... ثيران برونزية ....

القسم العلوي من العمود السادس

من أجل الإله شاماش Chamache، القاضي الأعلى في السماء وعلى الأرض، الذي وضع وصاياه المجيدة فتصلني بالوحي الذي يبعثه إليّ، بنيت هيكل[1] (ص ١٦) ([illegible])، هيكله القائم في بابل.

رممت في بابل ([illegible])[2]، هيكل الإلاهة ([illegible])، الواقع على ركن(؟) السور الخارجي، من أجل الإلاهة ([illegible])، السيدة الشهيرة التي تؤكد أعمالي الصالحة.

من أجل الإلاهة ...... السيدة الشهيرة التي تقيم في .... التي تعطيني الصحة وتحفظ روحي، طليت بالذهب الأحمر قبة من خشب السنديان(؟)، الخشب

---

[1] ترميم هذا الهيكل مذكور في اسطوانة نبوخذنصر الكبيرة (R., v. I, p. 55, col. iv, 1. 31).

[2] ترميم هذا الهيكل وارد في نصين آخرين لنبوخذنصر (R., v. I, p. 55, col. iv, 1. 46; R., v. V, p. 34, col. ii, 1. 9).

الأبدي، ورصعته بالصوان وبـــ ([cuneiform]) ونصبتها فوقها. وغطيت بالذهب الأصفر الطاولة .... التي نضع عليها الطعام، وزينتها بالصوان وبـــ([cuneiform]) ووضعتها أمامها. ووضعت على شكل دائري(؟) أمام الأبواب العالية، كلبين من الذهب، وكلبين من الفضة، وكلبين من البرونز، أطرافها هائلة وهي ضخمة الحجم.

ورممت بالقار والآجر حافتي خندق "تاب- سوبورشو" Tab-soubourchou، سور بورسيبا، وأحطت المدينة بنطاق بغية الدفاع عنها.

ومن أجل الإله ([cuneiform]) الذي يحطم أسلحة من يتمرد عليّ، رممت معبد بورسيبا ....

القسم السفلي من العمود السادس

تتعلق السطور الأخيرة من العمود السادس بأعمال سعى نبوخذنصر إلى تنفيذها في بابل والجوار. النص مع الأسف مفرط التشويه بحيث يصعب تعيين معناه العام. في السطور ١٣ و١٤ و١٥ بمضارب أبواب عمد الملك إلى طليها بالبرونز (ص ١٧) ووضعها على مداخل[1] بابل. وتتعلق السطور ١٦ و١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣ بحائط من الجص عمل نبوخذنصر على بنائه وبأعمال تحصين.

في السطر ٢٤ تبدأ جملة هامة، ها هي ترجمتها: من ضفة دجلة حتى ضفة الفرات رفعت الأرض بطول ٤(؟) كاشبو كاكار kachbou qaqqar. مياه غزيرة غزارة البحر على مدى ٢٠ كاشبو كاكار........ من أجل في .... رصيف .... بنيت حائط دعم بالقار والآجر ....

نرى نبوخذنصر يعين عدد كاشبو كاكار الكائنة بين دجلة والفرات، ولو أن هذا النص كان سليماً لكان أبلغنا عن الطول الدقيق لوحدة القياس المسماة كاشبو كاكار (كاشبو من الأرض)؛ ولكن الرقم في مطلع السطر ٢٥ ممحي تقريباً وثمة شك كبير فيه، مع الأسف.

---

[1] في النص ([cuneiform]) كلمة ([cuneiform]) لا أعرفها. أفترض أنه هكذا كانت تسمى الأبواب المحصنة للمدن.

العمود السابع

الترجمة: أنا، نبوخذنصر، ملك بابل، الكاهن الأسمى، مرمم مدينة كبار الآلهة، أعتني بهياكل شاكيل وزيدا؛ وأهتم باستمرار بالأماكن المكرسة لمردوخ، السيد العظيم، خالقي، ولنابو، ابنه الجبار، الإله المحبب لملكي.

وفي أعيادهم المقدسة، في عيد أكيت المجيد، أستعرض أمامهم بالذهب، بالفضة، بالصوان، .... بـ............ اللماع، بمنتج الجبال والسهل، ببواكير(؟) كل شيء طاهر(؟)، بالثيران الناضجة والسمينة والبهية، بالعجول(؟)، بالخراف(؟)، بالماعز، بـ([illegible])، بـ([illegible])، (ص ١٨) بسمك البحر، بطيور السماء، بـ([illegible])، بـ([illegible])، بـ([illegible])، بـ([illegible])، بـ([illegible]) حمراء، بـ([illegible])، بالخضار الطازجة(؟)، بأفضل ما تنتجه الزراعة(؟)، بالثمار الناضجة(؟)، بمنتوج الحقول، بالبلح، بـ([illegible])، بزيت(؟) ([illegible])، بخمر ([illegible])، بـ([illegible]) النقي، بالسمن، بـ([illegible])، بالحليب، بـ([illegible])، بالدسم، بـ([illegible]) الداكن اللون، منتوج .....، بأفضل ما تنتجه السهول، بـ([illegible])، بـ([illegible]) بلا حساب، وبخمر بكميات ضخمة كالماء، كل ذلك سنوياً، بوفرة وكثرة.

نبوخذنصر، ملك بابل، الراعي المخلص الذي يعتني ....

من السطر ٣٤ حتى السطر ٥٤ النص مشوه للغاية فلا يمكن تعيين معناه العام. ولعله كان يتعلق بالأشغال التي عمل الملك على انجازها في هيكل[1] ([illegible]).

وها هي ترجمة السطرين ٥٥ و٥٦ وما يليهما: من أجل تحصين دفاعات ([illegible])، بنيت كما في السابق سقف هيكل ([illegible]) بكامله

[1] هذا المعبد الوارد أيضاً في نص آخر لنبوخذنصر، كان يقع على الأرجح في كوتا Cutha، وكان مكرساً إلى نيرغال Nergal والإله لاس Las. (R., v. I, p. 65, col. ii, 1. 37).

وسقف أبنيته القائمة أمام ( ). بنيت بالقار والآجر حافة خندق كوتا، ومن أجل الدفاع عن المدينة أحطتها بسور. من أجل شاماش سيدي

....

(ص ١٩) في السطور الأخيرة من العمود يتعلق الأمر بترميم الكثير من الهياكل، ومن ضمنها ( )[1].

العمود الثامن

يضم العمود الثامن سرد ترميم الكثير من الهياكل، لا سيما هيكل ( ) وهيكل ( )[2]. () (ص ٢٠) تتناول السطور الأخيرة موضوع القصر الذي بناه الملك في بابل لاستخدامه الشخصي.

---

[1] وجد في بابل هيكلان باسم ( )، يقع أحدهما في سيبارا Sippara والآخر في لارسا Larsa.

الأول مكرس إلى شاماش و( ) بناه منذ أكثر من ٣٧٠٠ ق.م. نارام سن Naram-Sin بن سرجون Sargon. تعرض للتخريب والتدمير الجزئي من جانب قوم سوتيه Souté في زمن يصعب تحديده،؛ أعاد الملك سيماشيخو Simmachikhou العبادة إليه، لتتوقف الاحتفالات الدينية فيه في عهد كاشوناديناخو ( ) Kchou-nadin-akhou خلفه الثاني، وبقيت على هذه الحال حتى عهد ( ). كان نابوباليدين Nabou-pal-iddin المعاصر لأشورناصربال Achour-nassir-abal ولشلمناصر Salmanasar محسناً كبيراً لهذا الهيكل وقدم له عطايا عظيمة (R., v. V, p. 60 et 61). كان في حال الخراب في عهد أشوربانابال Achour-ban-abal الذي أعاد بناءه (R., v. V, p. 62, n° 1, 1. 16) ولا بد أنه تعرض للتدمير بعد قليل من الزمن، لأن نبوخذنصر رممه أيضاً (R., v. I, p. 65, col. ii, 1. 40; R., v. V, p. 34, col. ii, 1. 28). بعد ٤٥ عاماً رمم نابو نيد Nabou-naïd سطحه لأنه كان بحال سيئة، فجدده وجمله واكتشف اسطوانة نارام سن التي بحث عنها نبوخذنصر بلا طائل (R., v. V, p. 63, col. i, 1. 25; R., v. V, p. 64, col. ii, 1. 48; R., v. V, p. 65, col. i, 1. 16; R., v. I, p. 69, col. iii, 1. 27).

نجهل مؤسس هيكل لارسا ( ). ولقد كان هذا الهيكل خرباً منذ زمن طويل على عهد بورنابورياش Pournapouriache الذي أعاد بناءه (R., v. I, p. 4, n° 13). ورممه نبوخذنصر (R., v. I, p. 65, n° 2, col. i, 1.11; R., v. I, p. 65, col. ii, 1. 42)، ومن بعده نابونيد (R., v. I, p. 69, col. i, 1. 55).

[2] إن اسم العلم هذا كان يُكتب بدون ضبط، فيأتي على الشكل ( )، أو بحروف نينوية (حروف مدينة نينوى) ( ) (R.,v. IV, p. 9, 1. 11)، و( ) و( ). من المعروف أن الشكل النينوي للرمز ( ) هو ( ). ومن الواضح أنه مكون من ثلاث كلمات:

١- ( )؛

٢- ( )، مكتوبة أيضاً ( ) و ( )؛

٣- ( ) مكتوبة أيضاً ( ).

الكلمة الأولى تقرأ بيتو bitou "منزل، هيكل"، والثالثة هي بالتأكيد غالو gallou "كبير"، وذلك لأن الرمز (الحرف) ( ) يمكن قراءته غال gal (R., v. V, p. 38, 1. 53). أما الكلمة الثانية فقراءتها موضع شك: إن الشكل البديل ( ) عن الشكل ( ) يبدو أنه يُثبت أن الشكلين ليسا من نوع الرمز، ويجب أن تلفظا كيشنو

العمود التاسع

نص العمود التاسع بحال سيئة للغاية، وما يشكل مدعاة الأسف الشديد كون هذا العمود يحتوي سرداً لوقائع غير مروية في أي نقش آخر لنبوخذنصر.

فبدل تعداد هياكل بابل التي رممها أو التفاخر بعبارات عامة بتقواه تجاه الآلهة، فهذا الأمير، الورع بقدر ما هو مضجر، يقدم بعكس عادته بعض المعلومات حول واحدة من حملاته وحول أعمال قام بها في لبنان. وها هي على العموم ترجمة حرفية لهذا المقطع:

السطر ٢٢: متمرد غريب..........

السطر ٢٣: استولى..........

السطر ٢٤: هرب أهله و............

السطر ٢٥: بقدرة نابو ومردوخ.......

السطر ٢٦: نحو لبنان، نحو..........

السطر ٢٧: كانوا يقاتلون(؟) (أو كنت أقاتل)(؟).......

السطر ٢٨: أعداء(؟)ـــه[1] في الجبل والسهل..........

السطر ٢٩: شتّت وفي البلد................

السطر ٣٠: أهله المشتتين.........

السطر ٣١: وأعدت إلى مواقعهم........

---

kichnou أو غيشنو ghichnou. ومن جهة أخرى، فإن الرمز ( ) يُمكن قراءته ( ) نور (R., v. V, p. 11, 1. 37)، وبالتالي إني لأميل كثيراً إلى الظن بأن في الأشورية توجد كلمة كيشنو أو غيشنو، كمرادف لـ ( ). وبالتالي قد يُقرأ اسم العلم الذي يعنينا بيت كيشنو غالو bit kichnou gallou (بيت النور العظيم)، وذلك لأن الأشوريين لا يعيّنون حركة آخر الكلمات التي يحرفونها قصداً ليجعلوا منها رمزاً. استعجل لأضيف أني لم أعثر في أي مكان على كلمة غيشنو أو كيشنو، وأن القراءة التي اقترحتها موضع شك كبير.

ثمة هيكلان باسم بيت كيشني غالي bit kichni galli وُجدا في بابل. الأول في أور Our ومكرس إلى سن Sin، كان مغرق القِدم ورممه نبوخذنصر (R., v. I, p. 8, n° 4, 1. 4; R., v. I, p. 65, col. ii, 1. 44; R., v. V, p. 34, col. ii, 1. 35). بنى نابونيد في نطاق هذا الهيكل محرابين لكل منهما اسم يختلف عن الآخر، وإعاد فيه بناء هرمه المتعدد الطوابق والذي سبق وصار إلى خراب (R., v. I, p. 68, n° 6,; R., v. I, p. 68, n° 1, col. i, 1. 6).

ووُجد الثاني في بابل ومكرس أيضاً إلى سن، ويبدو أن بانيه هو نبوخذنصر (R., v. I, p. 55, col. iv, 1. 27).

[1] يبدو أن النص فيه ( )، ولكن الحرف الأخير ممحيٌ جزئياً وموضع شك كبير.

السطر ٣٢: ما لم يفعله أي ملك سابق،

السطر ٣٣: قطعت في الجبال العالية، و

السطر ٣٤: أنا................... صخور الجبال و

السطر ٣٥: فتحت طرقاً

السطر ٣٦: فتحت طريقاً للسرو (حرفياً: طريق السرو)

السطر ٣٧: بوجود الملك مردوخ

السطر ٣٨: سرو صلب، مرتفع، ضخم،

السطر ٣٩: قيمته ثمينة

السطر ٤٠: وزنه(؟) هائل.................

السطر ٤١: منتوج لبنان...................

السطر ٤٢: مثل ([illegible])..........

السطر ٤٣: النهر....................

السطر ٤٤: في ....

السطر ٤٥: ....

السطر ٤٦: رجال في لبنان......................

السطر ٤٧: رتبت بهدوء......................

السطر ٤٨: العدو لا..........................

السطر ٤٩: من أجل أحدهم لا.......................

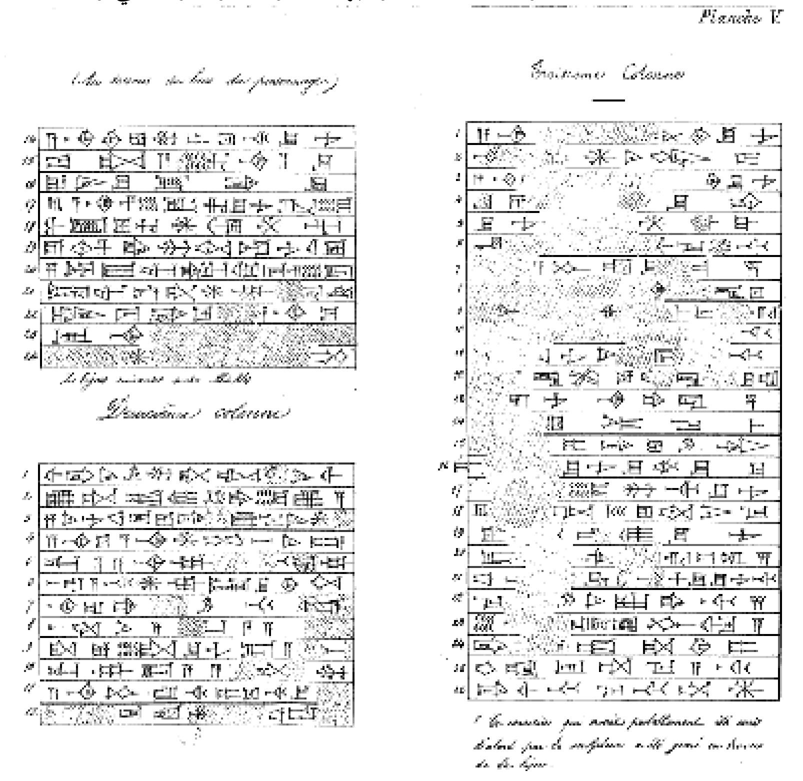
السطر ٥٠: صورة ملكي.....................

يستحيل أن نعين بدقة ما رغب نبوخذنصر بقوله. أظنه تحدث بداية عن حملة قام بها في لبنان: على أثر تمرد أو غزو خارجي تفرق سكان لبنان؛ فقدم الملك بجيشه وقضى على الأعداء، وأعاد السكان الهاربين إلى مواطنهم. ومن ثم شقّ الطرق في الجبال ليتمكن من نقل الأشجار التي قطعها من الجبال إلى السهل وإرسالها إلى بابل؛ وصارت المنطقة هادئة تماماً وعاد إليها الازدهار. أخيراً، في السطور الأخيرة من هذا العمود والسطور الأولى من العمود العاشر، يروي الملك أنه عمل على نقش صورته.

العمود العاشر

إن تشويه العمود العاشر بليغ جداً بحيث يتعذر مجرد تقديم أي تحليل له. وهو ينتهي بصلاة شبيهة بتلك التي نصادفها في نهاية جميع نصوص نبوخذنصر تقريباً. يتمنى الملك، من بين ما يتمناه، أن يبلغ المجد (سطر ٣٥)، وأن يسود ازدهاره الإنسانية إلى الأبد (سطر ٣٩ و٤٠).

نموذج من النقش بحروف قديمة في وادي بريصا
اللوحة الخامسة وفيها العمود الأول والثاني والثالث



نموذج من النقش بحروف حديثة في وادي بريصا

اللوحة التاسعة وفيها القسم العلوي من العمود الأول والثاني والثالث

٦- نصب السبع[1]

وادي السبع، أكروم

(ص ٤٩) ... ... في عندقت، سمعت للمرة الأولى كلاماً على شيء من التفصيل حول جبل أكروم. سمعت روايات حول أمور ملفتة؛ لعل المنطقة "مجال مجهول" فعلاً. فرصة سعيدة بالنسبة لنا استهوانا اغتنامها، لربما كان في جبل أكروم نصب قديمة. وعلى حد علمي لم يسبق أن زار أي أوروبي هذه المنطقة. والجبل غير مذكور على أي خارطة؛ وحدها خريطة لبنان الصادرة عن هيئة الأركان الفرنسية تكتفي بذكر بلدة أكروم، دونما وضع إطار لسلسلة الهضاب حيث تقع البلدة.

يظهر جبل أكروم أدب الجبال السوري كسلسلة من الهضاب طولها أكبر من عرضها وتقع بين **وادي خالد** و**الوعر**، يفصلها وادي خالد عن جبل عكار. وهي تبدأ في الجنوب بُعيد الهرمل بقليل، ويحدها من الشمال **البقيعة** و**وادي عودين**... والمنطقة الجنوبية منها تسمى جبل أكروم وبهذه الصفة تبدو على خارطة بلانكنورن Blanckenhorn.

يستمد **وادي عودين** اسمه من **عودين** دير ماروني تحيط به بضع مزارع. هو بداهة الكلمة السريانية **عودين** اسم دير يعقوبي في مقاطعة **العربية**[2]. مررنا بالدير قبل الشروع بالصعود إلى جبل أكروم: قبل مسافة ١٠ دقائق من الدير، نمر بنبع **عين القبو** المشهور بفعالية مياهه لمعالجة أمراض الجلد. يقصده الناس (ص ٥٠) من البعيد ومن المعتاد تقديم البخور حوله. هنا أيضاً استمرار لعبادة الينابيع[3].

إن صعود جبل أكروم صعب للغاية. فالسلسلة تتكون من تتابع لتلال حادة ووديان عميقة مشجرة بشكل رائع. وكان أعلى ارتفاع بلغناه على مستوى ١١٩٥م، وما تزال بعض القمم الأعلى تشرف علينا مباشرة. وبعد صعود لمدة ساعة عبر ممرات صعبة تلتوي تباعاً وسط غابات خاوية وصلنا إلى فرجة. إنها **خربة معروجا** حيث

---

[1] المرجع: H. Lammens, Notes Epigraphiques et Topographique sur l'Emésène, Extrait du Musée Belge, 1902, p. 49 et suiv.

[2] راجع: XIème congrès des Orientalistes, 4ème section, p. 131, nos 85 et 88.

[3] راجع حول آلهة الحميريين: ZDMG., LV, 245

الدواثر لا قيمة لها؛ على مسافة نصف ساعة بلغنا **وادي صُلَيِّب** (١١٧٥م)، أجمة رائعة تظلل أشجارها كومة من الحجارة. جميع الأشجار مغطاة بخرق من القماش، نذور للقديس (الولي) المدفون في القبة الخضراء. ومما يلفت النظر أن أشجار السنديان حولها تتعرض لشتى أعمال التشويه من قبل حطابي ونيران رعاة المحلة. ولكن أحداً لا يتجرأ على مس غصن واحد من أشجار **ولي صُلَيِّب**.

من هنا يبدأ ممر للهبوط كان مستحيلاً على الدواب اجتيازه، واستلزمنا اتباعه ساعة لبلوغ قعر الوادي الضيق حيث يسيل جدول **نهر السبع**. بعد ١٠ دقائق منه يقع **نصب السبع** (على ارتفاع ٨٧٥م). إنه نصب مربع تقريباً على صخرة تشرف على الجدول عن مسافة بضعة أمتار. يبلغ ضلعه حوالي ٢,٥م". يمثل النصب، كما يبدو في الصورة، رجلاً يصارع حيواناً متوحشاً، يسمونه أسداً، وهو منتصب على قائمتيه الخلفيتين.



يعتمر المحارب قلنسوة حادة الرأس، ويرتدي ثوباً كاشفاً إحدى الركبتين. وجهه مشوه وكذلك ساعده الذي يبدو كأنه يمسك به سلاحاً. الرسوم بالحجم الطبيعي لما تصوره. ونظراً لغياب النقش ولضعف النور (في الرابعة بعد الظهر يكون الوادي كله في الظل)، لم نتمكن من التقاط غير كليشيه سيء للنصب. يبدو مجمل النصب من الطراز الأشوري[١]. ولكن لنتذكر (ص ٥١) أن القوات الأشورية أقامت لفترة طويلة في ربلة، على مقربة من هذا الموضع[٢].

بعد نصف ساعة من المكان وصلنا إلى بلدة أكروم Akroûm، تجمع لحوالي عشرين منزلاً. لم يسبق لهؤلاء البشر، وهم "ما زالوا على الطبيعة" les naturels، أن شاهدوا أوروبياً: هم مسلمون سنة، يعيشون في عزلة قليلاً un peu sauvages، ولكنهم أقل تعصباً مما قيل لنا عنهم.

استناداً إلى الدوائر، لا بد أن أكروم كانت في القديم موقعاً هاماً...

---

[1] بعض تفاصيل الزي، مثل الحذاء المدقق من الأمام والمعقوف قليلاً، تشير إلى احتمال أن يكون النصب من أصل حثي.ولكن القسم العلوي للشخص المشوه تماماً لا يسمح بالتقدم بكلام حاسم.

[2] يوجد على بعد بضعة أميال إلى الجنوب نقشان كبيران من الحروف المسمارية في وادي بريصا (قضاء الهرمل). راجع: Arch. Miss. Scient., 1888, p. 345

٧ - ملاحظات في الأركيولوجيا الشرقية[١]

نصب بابلي

(ص ٦٠٠) تمت الإشارة للمرة الأولى إلى النصب الوارد في اللوحة (الصورة) من قبل الأب الجليل لامنس الذي توفر له الحظ بمشاهدته أثناء رحلة لاستكشاف الآثار[٢] في العام ١٨٩٩. حاول زميلي، على الرغم من ظروفه غير الملائمة، التقاط صورة أولى له بواسطة رفيق دربه الأب دو مارتنبريه de Martimprey: تم عرض الصورة مؤقتاً في سرد الرحلة بانتظار الحصول على صورة أفضل.

وفي صيف السنة الماضية (١٩٠٢) توفرت الفرصة للحصول على صورة ثانية أكبر وأفضل بكثير من السابقة التقطها أيضاً الأب دو مارتنبريه، وهذه الصورة نعرضها اليوم لقراء **المجلة** (التوراتية) Revue Biblique لننقذ من الضياع نصباً يرتبط، كما سنرى بالتاريخ التوراتي، وربما يصبح قريباً ضحية للباحثين عن الكنوز[٣].

النصب محفور على مساحة كبيرة وسط صخرة في **جبل أكروم** المكون من آخر قمم لبنان الشمالي.

يقول الأب الجليل لامنس "أن جبل أكروم يظهر في أدب الجبال السوري كسلسلة من الهضاب طولها أكبر من عرضها وتقع بين **وادي خالد** و**الوعر**، يفصلها وادي خالد عن جبل عكار. وهي تبدأ في الجنوب بعيد الهرمل بقليل، ويحدها من الشمال **البقيعة** و**وادي عودين**...

"إن صعود جبل أكروم (عبر **عودين**) صعب للغاية. فالسلسلة تتكون من تتابع لتلال حادة ووديان عميقة مشجرة بشكل رائع. وكان أعلى ارتفاع بلغناه على مستوى ١١٩٥م، وما تزال بعض القمم الأعلى تشرف علينا مباشرة. وبعد صعود لمدة ساعة عبر ممرات صعبة تلتوي تباعاً وسط الغابات وصلنا (ص ٦٠١) إلى فرجة.

---

[1] المرجع: RONZEVALLE, Sébastien (S. J.): Notes d'Archéologie Orientale, un bas-relief babylonien, Revue Biblique, t. XII, 1903, pp. 600-604

[2] راجع: H. Lammens, Notes Epigraphiques et Topographique sur l'Emésène, Extrait du Musée Belge, 1902, p. 49 et suiv.

[3] تعرض هذا النصب كمثيله في وادي بريصا للثقب والخدش في وسطه (المترجم).

إنها **خربة معروجا** حيث الدواثر لا قيمة لها؛ على مسافة نصف ساعة يقع **وادي صُليب** (١١٧٥م).

"هنا بدأ ممر الهبوط الذي كان مستحيلاً على الدواب اجتيازه، واستلزمنا ساعة لبلوغ قعر الوادي الضيق حيث يسيل جدول **نهر السبع**، بعد ١٠ دقائق منه يقع **نصب السبع** (٨٧٥م). إنه نصب مربع تقريباً على صخرة تشرف على الجدول عن مسافة بضعة أمتار. يبلغ ضلعه حوالي ٢,٥م".

يمثل النصب، كما يبدو في الصورة، رجلاً يصارع أسداً. الرجل واقف حافي القدمين، يرتدي



جلباباً مفتوحاً من الأمام على علو البطن[١]، ويقبض بيد قوية على الشدق الفاغر لهذا الحيوان المفترس الواقف على قائمتيه الخلفيتين منطلقاً بقوة على خصمه، وقائمتاه الأماميتان مرفوعتان ومنفرجتان، طبقاً للموقف المعهود في الفن الأشوري- البابلي. وفي الواقع، ليس هناك أدنى شك بأن النصب ينتمي إلى هذا الفن. صحيح أن النصب تعرض للتشويه عمداً في قسمه العلوي بحيث بالكاد نستطيع أن نميز نطاق رأس الرجل والقلنسوة التي تبدو حادة، كما فقدت أيضاً اليد اليمنى التي تمسك سلاحاً[٢]. ولكن بقيت التفاصيل التي من غير المجدي التوقف أمامها، وكذلك مجمل النصب لا يترك أي مجال للشك بنسبته.

لدينا من حسن الحظ دليل آخر من خارج النصب، وهو ثمين جداً وسيسمح لنا بتوضيح نسبتنا للنصب.

على مسافة قريبة جنوبي أكروم ثمة واد يقع في سلسلة جبال لبنان، وهو مواز تقريباً لوادي **نهر السبع**، اكتشف فيه منذ ٢٠ سنة نقشان مسماريان مع نصبين أحدهما على شبه مثير من نصبنا. إنه **وادي بريصا** الواقع على مسافة ساعتين من الهرمل. وفي هذا الوادي الضيق والكثيف الأشجار كوادي السبع اكتشف السيد **بونيون**، قنصل فرنسا في حلب اليوم، نصبين هامين لنبوخذنصر الثاني، ونشرهما مع التعليقات اللازمة في العام ١٨٨٧، في مؤلف بعنوان **النقوش البابلية في وادي بريصا** (فيوفغ Vieweg). لا ضرورة للكلام على مضمون هذين النقشين اللذين كشف المختصون باللغة الأشورية ومؤرخو العصور القديمة قيمتهما المتعددة[٣]. ولكن يكفينا الإشارة إلى أنه لا بد أن هذين النصين (واحد بحروف بدائية، وآخر بحروف مسمارية عادية) قد تم نقشهما أثناء الإقامة الطويلة لنبوخذنصر في ربلة، وعلى الأرجح قبل حصار صور وتدمير القدس (٥٨٧).

---

[1] يظهر هذا التفصيل في ثلاث صور مختلفة اتخذت للنصب.

[2] قد يبدو للوهلة الأولى أن ما نسميه الذراع اليمنى هو بالأحرى جعبة، وأن هذه الذراع المرسومة ممدودة على يسار النصب كانت عديمة الفائدة تماماً. ولكن الأمر بخلاف ذلك: فتفحص القسم الأخير من هذه القطعة بواسطة العدسة المكبرة يبين أن الفنان تقصد فعلاً رسم الذراع واليد اليمنى تمسك ربما عمودياً سلاحاً كالدبوس ...، وقد اختفت قمته مع الأسف.

[3] راجع خصوصاً: H. Winckler, Altorient. Frschung., I, p. 506; Maspéro, Hist. anc., III, p. 513; et tout récement encore Winckler, dans Schrader, Die Keilinschriftn, u. d., All. Testam. [3], p. 107 et suiv. – Sur une autre inscription de Nabuchodonosor, gravée à l'embouchure du Nahr el-Kelb, cf. Procred. Soc. Bibl. Arch. 1882; Comptes rendus de l'Acad., 1882, p. 86.

إن النصب المشوه جداً والمرافق للنقش بحروف عادية يمثل "رجلاً يتجه إلى اليسار واقفاً أمام شجرة بلا أوراق" ... "الأجزاء الوحيدة المحفوظة جيداً هي القسم العلوي من الشجرة وقلنسوة على رأس الرجل". يضيف السيد بونيون في حاشية له في نفس المكان "هذه القلنسوة الفريدة الشكل تختلف تماماً عن القلنسوة الأشورية. فهي دقيقة الرأس وتنتهي بغطاء للرقبة يتدلى على قذال الرجل، (ص ٦٠٣) وهي تشبه كثيراً التاج الحاد المقفل من الأعلى الذي يضعه الأساقفة اليوم".

أما النقش الآخر الذي يعنينا بشكل خاص فقد كان مشوهاً للغاية كالأول. وفيه، كما يقول بونيون: "رجل واقف يمسك بذراعه الممدودة حيواناً، هو على الأرجح أسد منتصب على قائمتيه الخلفيتين ويرفع إلى الأعلى إحدى قائمتيه الأماميتين ليَهم بمهاجمة خصمه".

إن التفحص الدقيق لصورة النصب الجيدة تسمح لنا بداية بالتعرف على وضعية للأسد شبيهة بالوضعية في نصب وادي السبع، فالذنب فيه يظهر بنفس الطريقة. أما الشخص، فيمكن التأكيد بلا تردد أنه يبدو بنفس وضعية الشخص في نصب وادي السبع. والفرق الملموس الوحيد الذي يُلاحَظ، وهذا أمر ينطبق على كامل المشهد، هو أن الحركات هي أكثر تصلباً، فذراع اليمين أقرب إلى النصف الأعلى من الجسم، والساقان أقل انفراجاً، وإلخ... وكل الاختصار المفروض بحكم ما يستلزمه نقش النص من مجال. ويبدو اللباس مماثلاً في الجانبين، علماً بأنه ليُمكن تعيينه بوضوح في نصب وادي بريصا يجب الاستعانة بنصب وادي السبع. باختصار، التشابه كامل في النصبين[1].

وعليه فالنصب الذي اكتشفه زميلي يمثل بالضرورة الملك نبوخذنصر الثاني يصارع أسداً. وهذا النصب، مع الأسف لا يترافق مع أي نقش من شأنه أن يعين تاريخه بدقة. ولكن ليس من المجازفة اعتباره معاصراً لنصب وادي بريصا. كما ليس من التهور أن نرى في هذين النصبين، لا سيما نصب وادي السبع، الصلة

---

[1] إن إعادة رسم النصب من قبل بوديه Boudier في (Hist. Anc. de Maspéro, II, p. 543) أوضحت أنه يجب أن يُستبعد من نصب السبع الكثير من التفاصيل. فالملك لا يقبض على القائمة اليسارية للأسد؛ أما ذراع اليمين فمن المفروض أن تكون على يسار القسم العلوي من الجسم، وما يثبت ذلك، بصرف النظر عن أي مقارنة، هو أن ظل الرجل إلى الأمام لا يترك أي مجال للاتصال. والخنجر المغروز في صدر الحيوان هو ترميم مجاني، وإن يكن معذوراً بحكم التشويه الحاصل في النصب.

بالفن التشكيلي الذي يصور افتخار الملك البابلي بمأثرة صيد فعلية حققها في المكان أثناء إقامته المديدة في سورية المجوفة (البقاع). ووجود الأسود في لبنان في أواسط القرن السادس ق.م. ليس من المبالغة في شيء، في منطقة كانت في حينه، كما هي اليوم، خاوية تقريباً وإن تكن تكسوها الغابات الغضة[١].

---

[1] يبدو الأمر على معقولية أكبر متى لاحظنا استناداً إلى تاريخ بن يحيا (؟) أن الأسود استمرت موجودة في لبنان حتى القرن الرابع عشر.

٨- نصب بابلي جديد في عكار[١]

شير الصنم

I

يبدأ الأب تالون مقاله بالإشارة إلى "أحداث" ١٩٥٨ وتأثير ذلك في دفع الإدارة اللبنانية بشق الطرق لربط مناطق الشمال الحدودية لا سيما وادي خالد وأكروم بطرابلس. وكان من فوائد ذلك تسهيل حركة الباحثين في الآثار في هذه المنطقة التي قلما ارتادوها.

ثم يستعرض بسرعة ما قام به البعض من الرحالة: بونيون في اكتشافه نقوش وادي بريصا عام ١٨٨٣ ونشرها عام ١٨٨٧، ثم تعميق البحث فيها من جانب لاندون Langdon وويزباخ Weissbach. ورحلة الأب لامنس التي كرس قسماً منها لاستكشاف أكروم صعوداً من عندقت، وعثوره على نصب بابلي جديد في وادي السبع في أكروم على شيء من الشبه بالنصب الذي اكتشفه بونيون في وادي بريصا.

الجديد الذي أتى به الأب تالون في وادي السبع في أكروم هو اكتشافه نصباً بابلياً لم يفطن له زوار هذا الوادي وفي موضع غير بعيد عن النصب الذي عثر عليه الأب لامنس (بعده بستين متراً وأعلى منه بعشرة أمتار). وفي ذلك يقول:

عندما زار أكروم عام ١٩٣٣ الأمير موريس شهاب، يوم كان باحثاً شاباً في الآثار وقد أصبح مسؤولاً لمديرية الآثار في لبنان، لاحظ وجود هذا النصب الثاني ووضع وصفاً وصورة دقيقة له... نرى فيه رجلاً يعتمر قلنسوة tiare، رافعاً ذراعيه ابتهالاً أمام الرموز الدينية[٢]. سمحت لنفسي بنشر صورة لهذا النصب الذي نشر رسمه

---

[1] المرجع: Maurice TALLON (S. J.), “Une Nouvelle Stèle Babylonienne au Akkar (Liban Nord), Mélanges de l’Université Saint-Joseph, tome XLIV, Fasc. I, Beyrouth, 1968, pp. 2-8.

[2] راجع: C.J. GADD, The Harran inscriptions of Nabonidus, dans Anatolian Studies, vol. VIII. 1958, p. 41.

الدقيق جداً في مجلة (Syria, 1935, t. XI, P. 5)[1]. ووضعت معه صورة نصب الأسد لأن طراز هذا النصب، تركيبه، حركته، ما يجعل منه مأثرة قيمة، يكشفها الرسم الدقيق المنشور في نفس الصفحة من المجلة. إن الكليشيه الذي أعده بابوجيان P. Paboudjian يؤهله لذلك.

هكذا على بعد ٦٠م لدينا شاهدان أكيدان عن الحضور البابلي في هذا الوادي. وتفسير ذلك من شأنه أن يكون من خلال النقوش المسمارية في النصب المذكور. وإني لأظن من جهتي بهذا الخصوص أن النصب يحتوي على كتابة منقوشة تحت نقش الشمس حتى طرف اليمين من النصب. فآلاف الثقوب الصغيرة الصامدة في الأجزاء السليمة من الصخرة توحي بأثر المقص الحاد الذي يعين أطر الحروف المسمارية. إن الصخرة الطرية والمعرضة كثيراً لجهة الشمال الشرقي، تعرضت لتخريب الجليد، والقسم السفلي منها تعرض للتخريب على مدى طولها. ويبدو لي ممكناً التعرف من خلال الرشم على بعض الحروف المتفرقة والصامدة.

II

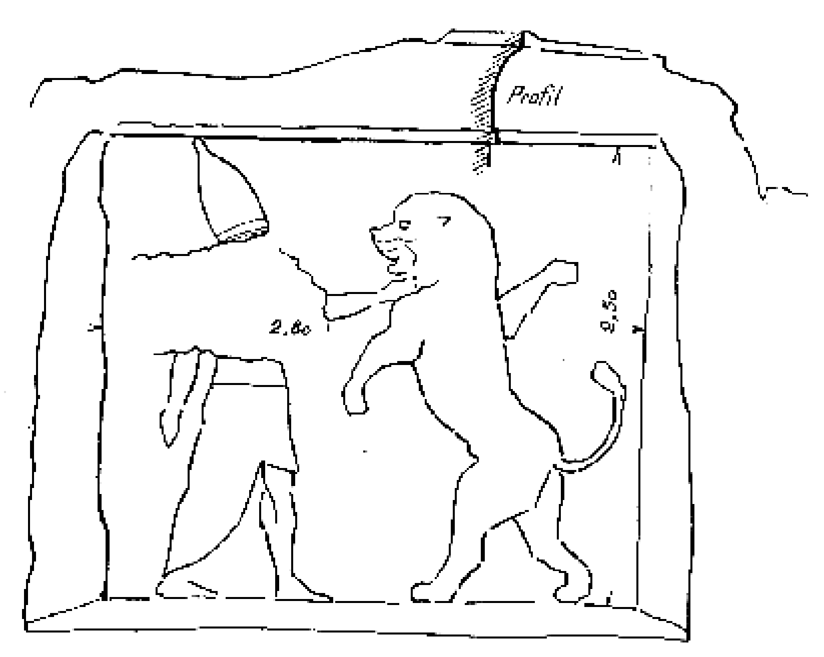
وفي مطلع ربيع ١٩٦٨ قام الأب تالون بدوره بجولة في المنطقة وقد أضحى الوصول إليها سهلاً لأنه بثلاث ساعات بالسيارة، على حد قوله يتم الانتقال من بيروت إلى أكروم، وزار نُصب وادي السبع... ولقد طرح الأب تالون قضية اهتمامه بالمنطقة بقوله:

انطلاقاً من اهتمامي بالطرقات القديمة التي تجتاز جبل لبنان[2] قد خطر لي السؤال الآتي: إلى أين ذهب البابليون لدى مرورهم بوادي السبع؟ وبما أنه توجد في وادي بريصا، على مسافة ١٠ كلم إلى الجنوب، طريق سهلة بصعود خفيف يصل إلى منبسط ممر جبلي واسع يؤدي إلى الوديان التي تسمح بالعبور إلى طرابلس، لماذا اختار البابليون هذا الوادي الضيق بجوانبه الحادة؟

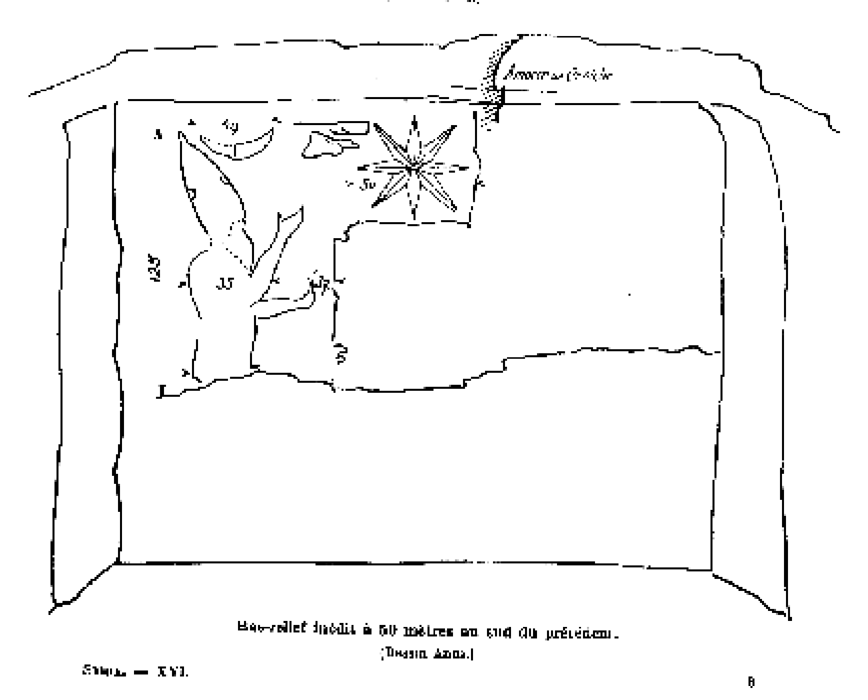
---

[1] الرسم منشور في: t. XVI، لا في: t. XI. وذلك من ضمن القسم الثاني لمقال موريس شهاب بعنوان: Sarcophages en plomb du Musée National Libanais. والصورتان منشورتان بدون تعليق عليها، باستثناء القياسات الموضوعة داخل الصورتين.

[2] راجع: N. TALLON, Sanctuaires et itinéraries romains du Chouf et de la Beqa, dans Mélanges de l'Université Saint-Joseph, t.XLIII, PP. 231-250.



Bas-relief rupestre à [illegible] kilomètres au nord d'Akroun.
(Dessin Anna.)



Bas-relief inédit à 60 mètres au sud du précédent.
(Dessin Anna.)

الرسم الذي وضعه موريس شهاب والمنشور في: Syria, 1935, t. XVI, p. 57

وجدت الإجابة على هذه الأسئلة في صراع البابليين الجدد بوجه التطلعات التوسعية للفراعنة. لقد وجدت مصر التي تربطها التجارة بصور وصيدا في هاتين المملكتين الصغيرتين حلفاء جاهزين لقطع الطريق على البابليين. أما القدس التي أبدت أيضاً استعدادها لتقبل حماية من يسعى إليها ويواجه الهيمنة البابلية فقد انضمت طوعاً إلى المحالفة المصرية. وهكذا في الصراع بوجه التهديد الحاد دوماً عبر المكائد الدبلوماسية، وخشية هجوم جيوش الفراعنة، وجد البابليون لزاماً عليهم تصفية مملكة اليهودية، ولكنهم لا يستطيعون ذلك إلا بعد إخضاع الممالك البحرية القادرة على إرباكهم في هجومهم على القدس.

كانت المحالفة الفينيقية بين القرنين الثامن والسابع ق.م. تضم القدرات الصغيرة لصور وصيدا وأرواد، للدفاع عن وجودها ومصالحها. فقواتها الموحدة الموضوعة في موضع إستراتيجي مختار بعناية، مثل رأس شكا أو نهر الكلب، من شأنها هزيمة قوات بالغة الأهمية. هذا بالإضافة إلى وجود موقع متقدم، في حينه، مدينة عرقة، التي اشتهرت لاحقاً في زمن الرومان: إن تل عرقة المرتفع حوالي ٣٠م عن نهر عرقة يكشف قي قاعدته أثاراً تعود إلى العصر البرونزي. هذه المدينة القابعة على سفح الجبل في الموضع الذي منه يبدأ السهل الساحلي الضيق بالاتساع نحو الشرق من شأنها أن تكون هدفاً يراود كل من يرغب بتأمين ممر له نحو الجنوب على الساحل. وعلى كل ثمة ممر سريع إلى البحر، بفعل انطلاقة جريئة من على المنحدرات الشمالية لهضبة القموعة تؤدي إلى قطع الطريق بين المجال البري لأرواد وفينيقيا الجنوبية. هذه هي الآراء التي أوحاها لي التأمل بنصبي وادي السبع. وعليه كانت فرضيتي البحث عن علامة أو نقش أو نصب على الطريق بين أكروم والعبدة[١].

بدأت التفتيش في عكار العتيقة، ثم بجانب أهل القبيات، البلدة الكبيرة القائمة غربي نقطة انطلاق الطريق المفتوحة حديثاً والمؤدية إلى أكروم. وسرعان ما استجوبت

---

[1] نقصد الوجهة العامة للمر، فالهدف هو تعيين موضع ما على الساحل. قد يكون ذلك في الشيخ زناد Cheikh Zenoud، ونظراً لطبيعته قد يكون هو أيضاً نهاية لهذا الممر، أو تلاً آخر من تلك التابعة لعرقة: تل عباس الشرقي أو تل عباس الغربي أو تل الحيات التي لم يتم حتى الآن استكشافها، والتي كانت قائمة في تلك المرحلة. كما قد يكون تل عباس الغربي أيضاً هو الموضع المختار بحكم دوره كحارس لمدخل وادي نهر الاسطوان الذي تتدفق مياهه من منحدرات القموعة.

أحد الصيادين الكثر في المنطقة وأفادني أنه يعرف فقط صخرة محفوراً عليها نجمة. المؤشر واضح: نجمة أو شمس، فالكوكب المنقوش بيد بشري ينبأ على الأرجح بوجود نصب فيه شخص أو نقش. وفي السابعة من صباح الغد كنا عند "شير الصنم"، وإذا بالصياد يهلل قائلاً لي: "ها هو، وإني لأرى الرجل أيضاً". واستلزمه المغامرة على صخرة على يسار النصب ليصدق وجود "كتابة بشكل المسامير". كان النصب محفوراً بارتفاع ٧,٥م على قمة صخرة منفردة ترتفع ٢٥م عن الأرض.

تقع الكتلة الصخرية التي يقوم عليها النصب متجهاً نحو الجنوب على ارتفاع يتراوح بين ١٥٥٠م و١٦٠٠م، عند منطلق واديين أحدهما يؤدي مباشرة إلى البحر عبر عكار العتيقة، والآخر يتجه نحو الشمال الغربي ليمر في مزرعة زبود ومنها إلى القبيات. وثمة ممر ثالث ينطلق نحو الجنوب ويمر على سفح هضبة القموعة، وعبر غابات الصنوبر وتاشع وممنع والقنطرة ليصل إلى عرقة مباشرة. ما يعني أن اختيار موقع النصب تم بعناية.

من العبث السعي إلى المزيد من تحديد المسار قبل فك رموز النصب. لقد بات معروفاً أن النصب بابلي فعلاً، لأنه يحتوي على نقوش مسمارية يمكن تبينها بواسطة المكبر، كما أن الكواكب وموقف الشخص تسمح بإدراجه في سلسلة نصب وادي بريصا ووادي السبع. ووحدها قراءة النقوش تفيدنا بالمزيد حول وضعه.

لنصف الصورة بالتفصيل استناداً إلى ملاحظاتنا التي أكدتها صورة النصب التي تفضل بالتقاطها باسكال بابوجيان. إن هذا النصب الموجه مباشرة إلى الجنوب تعرض للتآكل، والنقوش فيه باتت تالفة للغاية، ومنها الصعوبة بأخذ صور واضحة للحروف المسمارية.

الملك واقف يمسك بيده اليسرى عصا كبيرة، هي نوع من صولجان منتفخ في بعض أجزائها؛ وترفع اليمنى شيئاً قصيراً يمكن التعرف عليه في النصب الذي نشره باروا Parrot في الصفحة ١٦٩، الكليشيه رقم ٢١٦، في مؤلفه الرائع حول أشور. يعتمر الشخص قلنسوة مزودة بغطاء للوجه يسمح مغيب الشمس بتبينه بشكل أفضل. وهو ملتح، وإذا كانت أطراف قلنسوته المحجوبة إلى الخلف، فالظل يرسمها فوق الجبهة وإلى أدنى منها ملامح الوجه. يمكن تمييز العصا الطويلة التي يمسكها

بيده اليسرى في الصورتين. أما نهاية اليد اليمينى فمبهمة. وأمامه على طرف الصخرة النافر رمز إشتار (نجمة بسبعة أطراف) يبدو نافراً بكل وضوح في إطار مربع غارق في الصخرة. وأما الهلال إن وُجد فلا بد أنه اختفى مع الطرف اليساري العلوي الذي يعين حدود النصب... لا يبدو أن الصورة الثالثة تظهر الحروف المسمارية ولكن يُرى فيها فقط الخطوط المنتظمة بواسطة مقص نقش الحروف. ولكن يمكن تمييز الحروف المسمارية بالنظر بالمكبر ومن موقع على مسافة ٥٠م على الطرف الآخر من الأرض فوق النصب. نأمل أن نقدم قريباً، ما أن تسمح الأحوال الجوية، صوراً وأرشماً للنقش. ووحدها قراءة النص تعلمنا حول مصداقية فرضيتنا وحول الظروف التي أدت إلى أن يُحفر في قلب هذا الجبل تذكاراً لجيش بابلي كان قد اجتاز قمة لبنان على بضعة كلم شمالي القموعة.

زودنا مشكوراً د. **أنطوان ضاهر**، الناشط في مجال البيئة، بمجموعة من الصور التقطها لنصب شير الصنم. في الصورة الأولى أدناه عمل على إبراز حدود



الشخص الواقف فيها، وعلى يمينه إلى الأعلى يبدو طرف النجمة في ظل الكوة. أما الثانية أدناه فحافظ عليها كما التقطها وفيها تظهر النجمة بشكل أوضح.



أما الثالثة أدناه فهي لصخرة النصب بكاملها



٩- لاندون Stephen, LANGDON والنقوش البابلية في وادي بريصا

أجرى لاندون مراجعة نقدية لعمل بونيون حول نقوش وادي بريصا. وربط بين نقش وادي بريصا ونقش نهر الكلب. وقد عرض عمله في مكانين، واحد بالفرنسية وآخر بالإنكليزية.

نستعرض الآن النص الفرنسي، ونتبعه (لاحقاً) بالنص الإنكليزي. وهو يعترف بأن نصه الفرنسي أوسع من الثاني وأشمل منه. ولكننا سننشر الإثنين ليكون عملنا التوثيقي شاملاً قدر الإمكان.

يتضمن العرض:

١- المدخل

٢- الترجمة الحرفية لنقوش وادي بريصا

نص لاندون[1] Stephen Langdon

١- المدخل

(ص ٢٦) تمتد الطريق الكبرى، بين بلاد ما بين النهرين وبلدان آسيا الغربية على ساحل المتوسط، على امتداد السفوح الشمالية لجبال لبنان شمالي حماة وتجتاز العاصي الأعلى لتصل إلى شاطئ البحر عند أرواد القديمة. على مقربة من العاصي لجهة الغرب تمر هذه الطريق بممر بين الصخور الهائلة. ولقد اختار نبوخذنصر، في واحدة من حملاته على البلدان الغربية المتمردة، هذا الموقع البارز بوضوح ana tabrâti kal niši(٢) ليدَوِّن أكبر نقش له عُثر عليه. ثمة نقش آخر خلفه هذا الملك على صخور نهر الكلب حيث تمر الطريق الكبرى إلى الجنوب. لم يُقدِّم

---

[1] المرجع: Stephen, LANGDON: "Les Inscriptions du Wadi Brissa et du Nahr El-Kelb", Recueil des Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archéologie Egyptiennes et Assyriennes, nouvelle série, tome 12ème, 1906, fasc. I et II, pp. 26-61.

[2] كتابة اسم الموقع بالحروف اللاتينية كما يلفظ باللغة المسمارية (المترجم).

أحد حتى الآن نسخة جيدة لهذه النقوش، وسنرى لاحقاً كل ما بحوزتنا من معلومات حوله.

نشر هــ. بونيون H. POGNON، نائب القنصل الفرنسي في بغداد، نقوش وادي بريصا في العام ١٨٨٧، بعنوان نقوش وادي بريصا[1]. ما يزال هذا المؤلف يلاقي إعجاب الباحثين في التراث الأشوري. ولقد لعب، وهو المكتوب في بداية المرحلة العلمية للأبحاث الأشورية، دوراً هاماً في تطور هذا العلم. ونظراً لما أكنه من تقدير لمؤلفات هــ. بونيون أنشر هذه الطبعة الجديدة لنقوش وادي بريصا بلغته الأم (الفرنسية). إن أحداً لا يشك بالحاجة إلى طبعة جديدة؛ فضلاً عن أن السيد ويسباخ Weisbach وعد منذ سنتين بنسخة جديدة لهذه النقوش، مع ترجمتها والتعليق عليها[2]. إن طبعة بونيون لا تقدم نصاً متتابعاً ومتسقاً، وشكل تعليقه عليه يربك القارئ.

(ص ٢٧) إني جاهز لأنشر مصنفاً بجميع النقوش التاريخية للامبراطورية البابلية الجديدة بجزئين، يضم الأول نقوش نابوبولاصر ونبوخذنصر، والثاني نقوش نيريغليصر Nériglissar ونابونايد Nabuna'id[3]. الأول تحت الطبع الآن. بدراسة أدب المدرسة البابلية الجديدة أدهشتني أهمية نقش وادي بريصا؛ وبنقدي الوثائق الأساسية لولاية نبوخذنصر الطويلة (٦٠٤- ٥٦١ ق.م. حوالي نصف قرن تقريباً) كان يخامرني الشك بافتقادنا لمصدر هام يمكننا من تفسير بعض النصوص. وبسعيي إلى تفسير النصوص المتكررة والمنقولة والنقل الواضح للنقش الكبير المعروف باسم نقش "إيست إنديا هاوس" East India House Inscription (EIH) توصلت إلى قناعة بأننا فقدنا مصدراً منه تشتق EIH وكذلك نقش ٨٥، ٤-٣٠-١ ، أو بالأحرى AO 1506[4]. وعندما درست بعناية نقوش وادي بريصا، بدا لي أكثر وضوحاً أنها هي الوثيقة التي تسمح بتوزيع نصوص نبوخذنصر بين نصفي ولايته.

---

[1] Les Inscriptions de Wadi Brissa

[2] راجع الصفحة التالية لصفحة عنوان مؤلفه: Babylonische Miscellen, Wissenschaftliche Mittheilungen der Deutschen Orient. Geseltschaft, III.

[3] راجع: Building Inscriptions of The Neo-Babylonian Empire, Ernest LEROUX, Paris, 1903 (vol. I prêt)

[4] النقوش التي نشرها في PSBA, XI, p. 160 et suiv.، بال Ball، وقد فاتته أهميتها العظيمة في دراسة المناهج الأدبية للمدرسة البابلية الجديدة. لقد أهمل هيغو وينكلر Hugo Winckler وبال هذا النقش كما لو أنه يمثل صيغة من بعض مقاطع EIH، ونشر منها قسمين قصيرين فقط (راجع KB, III, 2, p. 30). في صيف ١٩٠٤ أشار علي السيد

يجب أيضاً القيام فوراً بمراجعة نقدية لهذه الوثائق: ذلك أنه بدأ الشروع بوضع شتى أنماط المخططات لمدينة بابل؛ وبغية الاستفادة من عمليات التنقيب الألمانية يجب تحليل الوثائق الأصلية استناداً إلى طوبوغرافيا بابل، ومعرفة ما تقر به هذه الوثائق وما لا تقره، بل ما تعارضه. وبما أن نقش وادي بريصا قلما خضع للتأويل، بدا لي مرغوباً تقديم طبعة جديدة له، أكثر كمالاً مما استطعت فعله في كتابي. وبغية سد ثغرات النص اضطررت إلى الاستناد إلى القواعد الأدبية التي طورتها المدرسة البابلية الجديدة، وإلى المقاطع الشبيهة في نقوش أخرى والتي لهذا السبب كثيراً ما ذكرتها. وبغية المزيد من الاختصار، أحيل القارئ إلى هذه النقوش من خلال أرقام تشير إليها في طبعتي، وهي:

- ١، راو. Raw. V, 34، ترجمة وينكلر Winckler, KB., III², pp. 38-45.
- ٢، اسطوانة بثلاثة أعمدة نشرها بادج Budge, Trans. Of Victoria Institute، ترجمها وينكلر جزئياً في KB., III², pp. 66-67.
- ٣، اسطوانة بعمودين نشرها وينكلر في ZA., II, pp. 137-140، وترجمها في KB., III², pp. 65-66.
- ٤، اسطوانة بعمودين نشرها وينكلر في ZA., I, p. 337 et suiv.، وترجمتها السيدة جي Mᵉ Gee في BA., III, p. 550.
- ٥، اسطوانة بعمودين نشرها وينكلر في ZA., II, p. 126 et suiv، وترجمتها السيدة جي في BA., III, p. 551.
- ٦، اسطوانة بعمودين نشرها بال Ball في PSBA., XI, p. 248 et suiv.، وترجمها وينكلر في KB., III², pp. 66-69.
- ٧، (ص ٢٨) اسطوانة بعمودين نشرها راو. Raw., I, 52, nº 3، وترجمها وينكلر في KB., III², pp. 54-59.
- ٨، اسطوانة بعمودين نشرها راو. Raw., I, 52, nº 4، وترجمها وينكلر في KB., III², pp. 60-61.

تورو- دانجين Thureau- Dangin بوجود اسطوانة من البابلية الجديدة في اللوفر Louvre وسمح لي بنسخها. كانت هذه الاسطوانة هي بالتحديد الوثيقة التي أبحث عنها بغية تفسير الاتجاهات الدينية والأدبية في 85, 4-30, 1؛ لقد زودني بالمرجع الحقيقي الذي دمجه كاتب EIH بمرجع آخر كنت أجهله. راجع لاحقاً صفحة ٣٢.

-٩، اسطوانة بعمودين نشرها راو. Raw., I, 65-66، وترجمها وينكلر في KB., III^2, pp. 32-39.

-١٠، اسطوانة بعمودين نشرها راو. Raw., I, 51, n^o 2، وترجمها وينكلر في KB., III^2, pp. 58-61.

-١١، اسطوانة بعمودين نشرها راو. Raw., I, 51, n^o 1، وترجمها وينكلر في KB., III^2, pp. 52-55.

-١٢، اسطوانة بثلاثة أعمدة نشرها بال Ball في PSBA., XI, p. 124-130، وترجمها وينكلر في KB., III^2, pp. 62-65.

-١٣، اسطوانة بثلاثة أعمدة نشرها بال Ball في PSBA., XI, p. 368، وترجمها وينكلر في KB., III^2, pp. 46-53، وترجمة أفضل على يد السيدة جي في BA., III, p. 534-539.

-١٤، اسطوانة بثلاثة أعمدة نشرها بال Ball في PSBA., XI, p. 160 et suiv.، وترجم وينكلر مقطعين منها في KB., III^2, pp. 30-31، راجع السيدة جي في BA., III, pp. 539-542. وغير منشورة كوثيقة مستقلة.

-١٥، اسطوانة بعشرة أعمدة نشرها راو. Raw., I, 53-58، وترجمها وينكلر في KB., III^2, pp. 10-28.

-١٦، اسطوانة بعمودين نشرها وينكلر ZA., II, p.169، وترجمها في ZA., II, pp. 132-137.

-١٧، اسطوانة بأربعة أعمدة نشرها هيلبرشت Hilprecht في OBI., vol., I. p. 53، وترجمتها السيدة جي في BA., III, pp. 548-549.

-١٨، نقش مثابة بئر، نشره هيلبرشت في OBI., vol., I, pl. 70.

يحمل نقش وادي بريصا الرقم ١٩، ونقش نهر الكلب الرقم ٢٠. ثمة نقوش أخرى، ولكن المذكور منها هنا وحده على أهمية في تفسير النقش الذي يعنينا.

إن النصوص الكبرى في الأدب المتعلق بمرحلة حكم نبوخذنصر هي بالتسلسل الزمني صاحبة الأرقام ٩، ١، ١٣، ١٩، ١٤، ١٥. يمكن تصنيف هذه النصوص بطريقة أسهل. بداية يجب ملاحظة طريقة النقش في هذه المرحلة. عندما كان الملك يبني معبداً أو قصراً أو أي بناء آخر، كانت تتم كتابة اسطوانة بعمودين تروي هذا

العمل. فالرقم أربعة مثلاً، يمجد بناء سور المدينة الكبير؛ ويمجد الرقم ٦ بناء إ-ماخ E-mah، معبد نينماخ ninmah في بابل (راجع أيضاً الرقم ٧ و٨ و١٠ و١١ و١٦). ومن النادر أن يُكتب نص بهذه الطريقة من ثلاثة أعمدة كما هي حال الرقم ١٢، أو من أربعة كالرقم ١٧. يتشكل المدخل من نشيد في مدح الملك، لتعقبه الرواية الأساسية في النص. ولا أعرف غير استثناء واحد لهذه الطريقة، هو نص الرقم ١٦ الذي يذكر في مدخله بناء إيزاجيلا Esagila وإيزيدا Ezida وإيبارا Ebarra سيبار Sippar.

ولكن بعد أن كان الملك قد أنجز عدة أعمال سرعان ما بدأ الشروع في صنع نقوش أكبر تبعاً للطريقة التي سأصفها. لقد كان كتاب (ص ٢٩) هذه المدرسة يفضلون الشكل النحوي المعروف في السطور الأولى لنشيد التكوين: إ-نو-ما e-nu-ma... إ-نو-مي-سو e-nu-mi-šu "عندما... في ذلك الزمان". قارن ١٠، ١[(١٧-٢٥)]: "عندما رفعني سيدي مردوك، إلخ؛ في ذلك الزمان كان إيبارا في حال من الدمار، إلخ". مع اعتماد هذه الصيغة في النقوش الصغيرة فإننا نلحظ ورود كلمة إ-نو-مي-سو ككلمة البداية للخبر الأساسي. وسرعان ما أصبحت هذه الصيغة شبه دينية. وعندما بدأ العمل بوضع مقدمات طويلة تعدد الكثير من المنجزات بعد كلمة إ-نو-ما، فإن الصيغة القديمة كانت تلزم الناسخ (النقاش) على وضع كلمة إ-نو-مي-سو في موضعها القديم، في مطلع المقطع الأساسي، مع أنها فقدت ترابطها مع كلمة إ-نو-ما.

ولنا في النقش رقم ٩ مثال ملائم: العمود الأول[(٨-١١)]: "عندما رفعني مردوخ، إلخ، كنت مُجلاً لمردوخ خالقي السماوي". لا نجد كلمة إ-نو-مي-سو كلازمة في هذه الجملة حيث نتوقعها، ولكننا نجدها، تبعاً للتقليد القديم، في بداية الخبر الأساسي في العمود الثالث[(٢٧)].

وهكذا فإن النساخ (النقاشين) طوروا طريقتهم في صياغة النقوش الكبيرة. فعندما كان الملك ينجز أي بناء كانوا يكتبون نصاً لرواية هذا العمل، باعتماد مقدمة طويلة تعدد كل عمليات البناء أو كل الأعمال الهامة السابقة. وكانوا العموم يعدّون اسطوانة بثلاثة أعمدة ليوضع الخبر الأساسي في العمود الثالث. لاحظوا النقش رقم واحد الذي يمجد بناء معبد نين- كارّاك Nin-karrak في بابل. في هذا النقش، تحتل

رواية بناء المعبد العمود الثالث (1. 5-37) فقط؛ بينما يشغل تعداد الأعمال السابقة كل باقي الاسطوانة.

إن تحليل النقوش الكبيرة يسمح باستخلاص تسلسلها التاريخي. فالنقش رقم واحد، مثلاً، لاحق على النقش رقم تسعة، لأن الأخير في سرده لعمليات ترميم معابد بابل (العمود ١[٢٩-٤٠]) يذكر منها عدداً أقل من النقش الأول (العمود ١[٤٦]-٢[١١]). لقد اتخذ النقش رقم ١٣ النقش رقم واحد كمقدمة لسرد بناء أولاً سيبار Eulla de Sippar، وهو لاحق عليه، لأننا نجد في لائحته لمعابد بابل (العمود ١[٤٣-٥٨]) معبدين زيادة على اللائحة نفسها الواردة في النقش رقم واحد (العمود ٢[٦-١١]. ثمة شواهد أخرى، ولكني أقدم هنا الأكثر وضوحاً. بعض النساخ، في ما خص سياق السرد، جمعوا بداية جميع الأعمال المنجزة في بابل، ومن ثم الأعمال الحاصلة في باقي المدن، كما في النقش رقم ١، و٩، و١٣. والبعض الآخر، مثل واضع النقش رقم ١٥، فضلوا الكلام على المعابد قبل الشروع بسرد باقي الأشغال، بينما واضع نقش وادي بريصا أهتم بداية بكبريات معابد بابل وبورسيبا، ليلتفت بعد ذلك إلى بابل، فيصف تحصيناتها الداخلية ومعابدها الصغيرة، ومن ثم تحصينات بورسيبا ومعابدها الصغيرة. وبعدها يصف دفاعات بابل الخارجية وقرابين العيد الكبير، لينتهي أخيراً بوصف المعابد خارج بابل.

ومع أن كل كاتب اتبع نسقاً على شيء من الاختلاف فكل منهم استعمل الوثائق السابقة كقاعدة لإنشائه. وعلى سبيل المثال، عندما أنهى نبوخذنصر السور الشرقي الكبير لبابل، وضع كتبته النقش رقم ٤، وهذا النقش يتكرر في كل نقش كبير (راجع النقش ٩، العمود ٢[١-٩] والنقش رقم ١ العمود ٢[١٢-٢١]، وإلخ. وهكذا فإن أول النقوش الكبيرة كانت تجميعاً لمجموعة من النقوش الصغيرة؛ وكان كاتب النقش التالي يدرس هذه الوثيقة واستناداً إليها يحضر نقشاً (ص ٣٠) جديداً، بأن يغير أحياناً تسلسل المقاطع الكبرى فقط، بصياغة توفر عملية تحويل الوثيقة. وعلى من يريد التحقق من هذه الطرق يجدر به مراجعة الملاحظات والمدخل النقدي في مؤلفي القادم. كيف يغير المحرر سرداً ما خدمة لمعتقد أو اتجاه سياسي؟ هذا ما نراه في الطريقة الوحيدة للنقش رقم ١٥.

قبل دراسة المصادر الأدبية لنقش وادي بريصا، بودي مناقشة بضعة أسئلة مادية. قام النقاش، تبعاً لبونيون (ص ٣)، بحفر كوة في الصخرة بطول ٥,٥٠م وبارتفاع ٣م، والكوة لجهة اليسار أعمق من جهة اليمين. في هذه الكوة الكبيرة بالنسبة لنقش ما، بدأ من اليسار، بعد أن حفر في هذا القسم نصباً يمثل رجلاً واقفاً، وجهه متجهاً إلى اليمين، ويقبض بيده على أسد منتصب ليصرع خصمه. وخلف الرجل منقوش إهداء إلى غولا بورسيبا Gula de Borsippa. وبين الأسد والرجل نقش الحفار العمود الأول فوق وتحت اليد التي تقبض على الأسد، والعمود الثاني فوق رأس الأسد. وإلى اليمين تتعاقب تباعاً سبعة أعمدة أخرى تملأ الكوة. وعلى الرغم من المساحة الكبيرة للكوة، فإن العمود التاسع، استناداً لحساباتي، ينتهي بسرد عمليات بناء المعابد في بابل (راجع تحليلي لاحقاً)، أي أن أكثر من نصف هذا النقش بقليل كُتب باللغة القديمة، في هذه الكوة الكبيرة. ولكن لماذا لم ينهِ الحفار عمله؟ أعتقد أنه يأس من إنهاء هذا العمل الصعب واختار صخور نهر الكلب لينحت الأعمدة الأخيرة. ولقد بينت، على الأقل، في تحليل نقش نهر الكلب أن هذا النقش يبدأ من حيث ينتهي العمود التاسع في نقش الحروف القديمة في وادي بريصا، وأن أعمدة نقش نهر الكلب الأربعة تستكمل نقش وادي بريصا حتى النهاية بحروف بابلية جديدة.

ولكن النقش مكتوب بكامله بالحروف البابلية الجديدة على صخرة (في وادي بريصا) مقابلة لصخرة النقش بحروف قديمة. وهناك حفر كوة أصغر بكثير من الأولى، بطول ٣,٥٠م وارتفاع ٢,٨٠م. لقد نقش ستة أعمدة في هذه الكوة، ونحت نصباً بين العمود الخامس والسادس يمثل رجلاً واقفاً أمام شجرة. وهنا أيضاً أخطأ الحفار حساباته، لأنه ملأ الكوة بستة أعمدة، بينما الأعمدة الأربعة الباقية فقد نقشت على وجه الصخرة إلى يمين الكوة. استناداً إلى تقديراتي اللاحقة فإن النصب محفور في وسط السرد المتعلق بمعابد بابل. فهل لهذا الموضع مدلول ما؟ هذا ما أجهله. ولكنني ألاحظ أن العمود الخامس الذي يتجه الرجل نحوه يتحدث عن معبد إيشارساجلا Eharsagella في غولا، وأنه مباشرة بعد العمود السادس يتحدث عن معبد إسابي Esabi في غولا. وفضلاً عن ذلك فإن نقش الحروف القديمة مهدى إلى

غولا بورسيبا. والشجرة الكائنة في منتصف العمود الخامس فهي عارية من الأوراق. فهل في ذلك التماس من غولا، سيدة الحياة، أن تعيد الحياة حتى للشجر؟
وعلى العموم، فإن نقوش وادي بريصا مرقمة أ، ب، ج: أ تشير إلى ألإهداء إلى غولا؛ ب إلى النقش بحروف قديمة؛ ج للنقش بالبابلية الجديدة. أما في عملي هذا فأسمي النقش بالحروف القديمة أ، والنقش بالبابلية الجديدة ب، إن نص أ محفوظ بشكل أفضل من نص ب في النصف الأول من النقش؛ ولهذا فإن أرقام السطور والنص هو نفسه نص أ حتى نهاية (ص ٣١) العمود السابع، أو بدقة أكبر حتى العمود ٧[٥٣]. وبما أن السطور الأخيرة حول قناة ليبيل- شيغالو Libil-hegallu مدمرة في أ فلقد نقلتها عن ب (العمود ٤[٥٨] وما يليه).
ولقد عمدت إلى عرض نص ب حيثما تبين أنه مختلف عن نص أ، أو حيث نص أ غير مقروء. وثمة علامات تبين المقاطع المأخوذة من ب. ولنتذكر أن النص الذي أقدمه ليس نص نقش واحد، بل هو بالأحرى حاصل دمج بين النقشين.
ولا بد بداية من تحليل مضمون هذا النقش العائد إلى المدرسة البابلية الجديدة بغية التمكن من مقارنته مع بقية نقوش نفس المدرسة. وها هو تحليل مضمون نقش وادي بريصا:

(a) النص أ، العمود ١[١]- ٣[٩]: نشيد لتمجيد الملك.
(b) النص أ، العمود ٣[١٠-٣٤]: الحملات العسكرية التي قام بها الملك.
(c) النص أ، العمود ٣[٣٥]- ٤[٢٢]: ترميم محاريب إزاغليا Esaglia: إكووا كا- هيليزوغ Ekua Ka-hilisug (معبد زاربانيت)، إزيدا Ezida في إزاجيلا Esagila، زكورة zikkurat إ-تمن-أنكي E-temen-anki.
(d) النص أ، العمود ٤[٢٣-٥٧]: مبرة القرابين لمردوخ وزاربانيت؛ السطر ٤[٥٨] و٥[١٨]: قرابين خاصة بالإله مردوخ.
(e) النص أ، العمود ٥[١٩-٣٩]: بناء قارب كو-أ Ku-a.
(f) النص أ، العمود ٥[٤٠-٦٠] [؟]: بناء معبد لأضاحي إ-بيربير E-birbir.
(g) النص أ، العمود ٦[١-٥٦]: ترميم إزيدا في بورسيبا ومحاريب إماهيتا Emahita وكا-كووا Ka-kua.
(h) النص أ، العمود ٧[١-٢٠]: مبرة القرابين لنابو ونانا.

(i) النص أ، العمود ٧(٢١-٤٠): بناء قارب كان-أول Kan-ul.

(j) النص أ، العمود ٧(٤١-٥٣): شق طريق مبلطة من أجل زياح نابو.

(k) النص أ، العمود ٧(٥٤-نهاية)= النص ب، العمود ٤(٥٨-٦٣): شق قناة ليبيل-هيغالو. النص ب، العمود ٤(٦٤-٧٢): بناء ثلاثة جسور على هذه القناة.

(l) النص ب، العمود ٥(١-٣٥): انهاء الأشغال التي بدأها نابوبولاصر: الجدران الضخمة ل: إمغور-بل Imgur-Bêl ونيميتي-بل Nimitti-Bêl، الخندق الغربي، قناة أراختو Arahtu، رصيف الفرات.

(m) النص ب، العمود ٥(٣٦-نهاية): بناء معابد صغيرة في بابل: إماخ Emah، إخاد-كالاماسوما Ehad-kalamasumma، إجيسيرغال Egissirgal، إهارساجيلا Eharsagella، إنامخي Enamhi. العمود ٦(١-٢٤): إديكود-كالاما Edikud-kalama، إكيكو-غارزا Ekiku-garza، إسابي.

(n) النص ب، العمود ٦(٢٥-٤٢): أشغال في بورسيبا، حائط تابو-سوبورسو Tabu-supursu، معبد دومو-ليت Dumu-lit، ثلاثة معابد في غولا.

(o) النص ب، العمود ٦(٤٣-٥٦): بناء السور الشرقي الكبير.

(p) النص ب، العمود ٦(٥٧-٦٣): حفر خندق عميق تغمره المياه حول المدينة.

(q) النص ب، العمود ٦(٦٤-٧٨): الخندق الكبير شمالي سيبار (مع خلاصة النقش رقم ٩، العمود ٢(١٥-١٧)، لا النص ١٥، العمود ٦(٣٩-٥٦)).

(r) النص ب، العمود ٧(١-٣١): مبرة القرابين للعيد الكبير في رأس السنة.

(s) النص ب، العمود ٧(٣٢-٤٠): مدخل لسرد الأشغال في المعابد الغريبة.

(t) النص ب، العمود ٧(٤١)-٨(٢٥): أعمال في معابد الغرباء في كوتا Kutha: ١، قرابين من أجل نيرغال Nergal ولاز Laz (٤١-٥٤)؛ ٢، أشغال بناء في كوتا (٥٥-٦١)، سيبار Sippar، باص Bas، ديلبات Dilbat، مارادا Marada، إريك Erech، لارسا، أور.

(u) النص ب، العمود ٨(٢٥-٤٤): ملخص لكل هذا القسم الأول.

(v) (ص ٣٢) النص ب، العمود ٨(٤٥)-١٠(١٥)(؟): رواية الموضوع الأساسي: بناء قصر مع ذكر اجتياح وغزو لبنان (العمود ٩(٢٥-٣٠)).

(w) النص ب، العمود ١٠(١٥ (؟)-٣٩): صلاة.

من أجل تعيين تاريخ تقريبي لنقش ما، يمكننا الاستناد إلى الوقائع التي يذكرها، وإلى وثائق سابقة على ما نقلته عنه الوثائق اللاحقة، أو على اتجاهه الديني. وبغية شرح الصلات السابقة واللاحقة لنقش وادي بريصا علينا البحث في تحليل باقي النقوش، وهذا التحليل نجده في المؤلف الذي سيصدر. ولا يسعني هنا غير تقديم كل البراهين على استنتاجاتي، لذا اقتصر على شرح هذا النقش فقط.

بينت أعلاه أنه من بين النقوش الكبيرة لنبوخذنصر (الأرقام: ٩ و١ و١٣ و١٩ و١٤ و١٥) فإن النقش رقم ٩ أسبق من النقش رقم ١. بيد أن النقش رقم ١٣ هو بداهة لاحق عليه، لأنه يذكر الكثير من المعابد غير واردة في النقش رقم ١ (راجع ملاحظاتي حول الإهداء إلى غولا). إن النقش رقم ١٤ والنقش رقم ١٥ لاحقان على نقش وادي بريصا، لأنهما، في سرد الأشغال التي تمت في بورسيبا (النقش ١٤، العمود ١[٣٩]؛ النقش ١٥، العمود ٣[٦٧])، يذكران زكورة ziggurrat بورسيبا، إ-تاس-إيمين-أنكي E-tas-imin-anki، التي كانت في عداد آخر ما قام به نبوخذنصر ولا يذكرها أي نقش كبير آخر. راجع: النقش ٩، العمود ٢[١٨-٣٥]؛ النقش ١٣، العمود ٢[٣٥-٧١]؛ النقش ١٩ (وادي بريصا)، العمود ٦[١-٥٦] من النص أ. أن يكون النقش ١٥ لاحقاً على النقش ١٩، فهذا أمر نلحظه بمقارنة لائحة المعابد في بورسيبا (النقش ١٥، العمود ٤[٤٩-٦٥]؛ النقش ١٩، النص ب، العمود ٦[٢٥-٤٢]) حيث معبدا رامان Ramman وسن Sin في بورسيبا لا يردان في رواية النقش ١٩. بالإضافة إلى أن النقش ١٤ والنقش ١٥ يذكران قصران وثلاثة، بينما يذكر النقش ١٩ (النص ب، العمودان ٨[٤٥]-١٠[١٥]) واحداً فقط. اضف إلى ذلك أننا نرى عبادة نابو أكثر رواجاً في نقش وادي بريصا مما هي الحال في النقش ١٤، بينما النقش ١٥ غني بالتلميح إلى عبادة مردوخ. وإذا شئنا الاقتصار على مثل واحد فقط فلنراجع إدراج الصلاة إلى مردوخ في النقش ١٥ (العمود ١[٥١]-٢[١١]) واستبدال سو-نو su-nu (هم) بـــ سو su (هو)، في عبارة توكولتي-سو tukulti-su (العمود ٢[١٢])؛ بينما يرد في النص الأصلي، النقش ١٤: "بعونهم" ولا يذكر هذه الصلاة.

كانت عبادة نابو رائجة جداً في زمن كتابة نقوش وادي بريصا، هذا ما نلاحظه في مقاطع النص أ، العمود ٣[٥٠-٥٢] حيث العيد الكبير، عيد زاغموك zagmuk كان ما يزال يُسمى أكيتو نابو akitu de Nabû، ومن خلال غموض بعض عبارات النحات

عندما يقدم روايته عن زياح مردوخ في أيام زاغموك: يرد في النص أ، العمود ٥(٣١-٣٦): أكيتا-سو = أكيتو ماردوخ؛ وفي يرد في النص ب: أكيتا-سو = أكيتو القارب المقدس (راجع: كيربا-سا kirba-sa، ١. ٣٣).

بيّنت في تحليلي للنقش رقم ١٥ أن رواية (النقش ١٥، العمود ٢(٥٤)-٣(١٢)) تسمح بافتراض أن نابو كان الإله الأولي في معبد دول-أزاغ Dul-azag، وأن احتفالات زاغموك كانت على شرفه، وأن النقش ١٥ (العمود ٣(٣)) أدرج على الأرجح كتكريم لاحق لمردوخ. راجع أيضاً النص ب، العمود ٥(٣) حيث يرد نابو أو ماردوخ Nabû u Marduk، لا مردوخ أو نابو Marduk u Nabû، وكذلك النص ب، العمود ٩(٢٥) نابو أو مردوخ. نجد تفضيل مردوخ في زمن نابوبولاصر، راجع: KB., III^2, p. 3^{14}، نابو أو مردوخ، p. 6, nº 2, 1. $^{3+4}$ et p. 8, nº 3, 1. 9؛ وكذلك في نقوش السنوات الأولى لنبوخذنصر، راجع (Raw., I, 52, nº 7, I. 2) قرميدة من قصر: نابو أو مردوخ ما يثبت أن هذا القصر هو القصر القديم الذي يتم تمجيده في النقش ٩ العمود ٣(٢٧-٤٢)، وفي النقش ١٩، النص ب، العمود ٨(٤٥)-١٠(١٥).

وعليه، فنقش وادي بريصا، الرقم ١٩، لاحق على النقش رقم ٩ و١ و١٣، وأسبق من النقش رقم ١٤ و١٥. إن (ص ٣٣) النقش ١٣ هو تقميش قاعدته في النقش ١. في كل المقاطع التي يستقيها النقش ١٩ من النقش ١، فإنه يتبع الرقم ١٣، حتى في الأخطاء الواردة فيه (راجع ملاحظتي على النص ب، العمود ٥(٤)). وعندما يتقدم النقش ١٩ بلوائح المعابد، فإنه يتبع ترتيب النقش رقم ١٣ (لاحظ ١٣(٤٣-٥٢): معابد: نينماخ، نابو، سن، نينكاراك، رامان، شمش، نينليلانا Ninlilanna، والنص ب (٥(٣٦)-٦(٢٤)) معابد نينماخ، N. S. Nk. R. Sh. Nl. وغولا؛ يُضيف النقش رقم ١٩ على لائحة ١٣ معبد تم بناؤه بعد زمن كتابة الأخير). لاحظ أيضاً لائحة المعابد خارج بابل، ١٣(٥٢-٧١)، في مدن كوتا، سيبار، باص، ديبلات، مارادا، إريخ، لارسا، أور؛ وقارن مع النقش ١٩، النص ب (٧(٤١)-٨(٢٥))، حيث نرى نفس الترتيب من جديد. ولكن على الرغم من أنه لا بد أن واضع النقش ١٩ قد درس النقش ١٣ بعناية فائقة فإن تأثير النقش ٩ عليه راجح. فالنقش ٩ هو أول نقش كبير بحوزتنا عن هذه المدرسة، وهو يروي الأمور التي كان نبوخذنصر يعتبرها الأكثر أهمية، ذلك أنه أنجزها قبل غيرها. والمقطع الأساسي في النقش ٩ (العمود ٣(٢٧-

[٤٢]) يمجد نفس القصر الذي يمجده النقش ١٩ في مقطعه الرئيسي. وموضوع (19 v) هذين النقشين هو ذاته: تمجيد بناء القصر القديم. ولكن النقش ٩ كتب لحظة إنجاز البناء، لأن مقطعه الأساسي يبدأ بعبارة "في هذا الزمان" e-nu-mi-su. بينما النقش ١٩ ينتمي إلى ذلك الصنف من النقوش الذي أسميه الحوليات، ولا وجود لعبارة e-nu-mi-su في بداية الرواية، ما يعني أن الكاتب هو الذي يختار الواقعة التي يعتبرها أكثر أهمية، ويعتمدها قاعدة لصياغة طويلة. ونقوش هذا الصنف لم يتم وضعها بمناسبة إنهاء بناء ما، بل هي تمثل بالأحرى محاولة في كتابة التاريخ. ونقش وادي بريصا هو المحاولة الأولى من هذا الصنف. ولهذا الصنف ينتمي النقشان ١٤ و١٥ (النقش ١٥ هو توليف من النقشين ١٤ و١٩).

واقع حال نقش وادي بريصا هو الآتي: النقش ١٩ هو توليف لمعطيات من النقش ٩ و١٣، في منتصف ولاية نبوخذنصر، في العام ٥٨٦ (ق.م.) على الأرجح، أثناء الحملة على البلدان الغربية. وفي السنوات الأخيرة لولايته (٥٨٠-٥٦١) تم وضع النقش رقم ١٥ المليء بمقاطع مأخوذة من النقش ١٩، ما يسمح لنا بإعادة كتابة نص النقش ١٩. لنتفحص منهج واضع النقش ١٩ في صياغة تاريخه. وهنا يجب على الدوام التفكير بالوثائق السابقة على الوثيقة التي ندرسها، والتي من شأن المؤلف أن يكون على إلمام بها. والوثائق التي من المؤكد أنها سابقة على نقش وادي بريصا هي: النقش رقم ٤ و٥ و١٢ و١٠ و٩ و١ و٣ و٢ و٧ و٨ و١٦ و١٣. وإنا لنعثر على آثار كل منها في الحوليات الكبرى لنقش وادي بريصا.

يبدأ محرر النقش رقم ١٩ بنشيد طويل في مدح الملك (راجع التحليل). الفكرة المعروضة في هذا النشيد، الذي ينتهي بعبارة أناكو anaku "أنا"، هي أن الملك يتقي الله. في نشيد النقش رقم ١٣ (العمود ١[١-٢١]) الفكرة هي أن الملك هو من يتقي الآلهة وولي نعمة بلده. ونرى في هذا النشيد (النقش ١٩) الجمل التي يتميز بها النقش رقم ١٣ (لاحظ: pa-te-si siri, irsu itpisu, basa uzunasu). أما نشيد النقش ٩ (العمود ١[١-٧]) فهو ضعيف التأثير. ولنلاحظ أيضاً حقيقة أن الأناشيد التي تنتهي بعبارة أناكو anaku في النقش ١٣ و١٩ هي من ٢١ و٢٢ سطراً.

يُستكمل النشيد بعد عبارة إنوما e-nu-ma (غير الواردة في الرقم ١٩) بكلمات النقش ١٣ (العمود ١[٢٢])، ولكن الكاتب يُدخل هنا منهجاً جديداً بوضع نشيد آخر

بعد إ-نو-ما e-nu-ma، وقبل سرد الحملات العسكرية. هذا المنهج كان متبعاً في النقش رقم ١٤ (العمود ١(١٣-٣٢)) الذي يصف نشيداً أصيلاً، ولكن النقش رقم ١٥ (العمود ١(٢٣-٣٩)) يستعيد نشيد (ص ٣٤) النقش ١٩ (العمود ١(٢٣)-٣(٩))، وينسخ بدقة (في العمود ١(٤٠-٥٠)) نشيد النقش ١٤، حيث يُدخل صلاة لمردوك (راجع نقدي، مرجع مذكور). أما رواية الحملات العسكرية فهي لا تعود بالطبع إلى أي نقش من طراز النقش ٩ إو ١ أو ١٣، أي ليست وثيقة حمد وتسبيح، بل هي بالأحرى عرض تاريخي.

ثم يأتي القسم المتعلق بمحاريب إزاجيلا (19 c) الذي يبدأ بنفس كلمات القسم الموازي له في النقش ١٣ (العمود ١(٢٧-٣٥))، ولكن الكاتب، مع تقيده بالسياق العام للنقش ١٣، عمل على استكمال السرد المختصر للنقش ١٣ بالسرد الأطول للنقش ٩. وهنا اعتمد النقش ١٩ كقاعدة لروايته على مقطع من النقش ٩ (العمود ١(٢٩-٣٩))، هذا ما نراه في الأسلوب وفي ذكر معبد زاربانيت (النقش ٩، العمود ١(٣٢) والنقش ١٩، العمود ٣(٤٥))؛ أما النقش ١٥ الذي صاغ هذا القسم (العمود ٢(٤٠-٥٣)) يتحدث قليلاً عن محراب نابو في إزاجيلا، في حين يصفه مطولاً النقش رقم ١٩؛ وبالعكس يكرس النقش ١٥ مجالاً أكبر لغرفة مردوخ المقدسة، دول-أزاغ. وهكذا نرى أن العبادة الرائجة في وثيقتنا هي عبادة نابو، بينما الرائجة في النقش ١٥ هي عبادة مردوخ. ومن أجل السرد المتعلق بالزكورة استعمل النقش ١٩ (العمود ٣(٥٩)-٤(٢٢)) النقش رقم ١٧.

الرواية المتعلقة بالقرابين في النقش ٩ (العمود ١(١٢-٢٨)) نقلها النقش ١٩ (19 d). ولو أنه تبع الترتيب في النقش ٩ لكان وضع (d) قبل (c)، ولكن النقش ١٣ حافظ على نفس الترتيب ونسخ كل مضمون النقش ٩. ثم ينتقل إلى القارب المقدس الخاص بمردوخ، فيقدم له وصفاً أصلياً، ثم معبد تقدمة القرابين إلى زاغموك. ولقد وضع الكاتب هنا إيبريبير، لأنه أراد أن يجمع سوياً كل ما له صلة مع إزاجيلا. أما النقش ١٥ فقد وضع إيبريبير في مطلع روايته (٤(٧-١٨)) لأنه أراد أن يجمع معاً كل المعابد الصغيرة في بابل.

بعد الانتهاء من إزاجيلا ينتقل بنا مؤرخنا إلى وصف إزيدا استناداً إلى النقش ١٣ (العمود ١(٣٦-٤٢))، فيكرر المقدمة في عمود ٦(٤-٥) من النص أ للنقش ١٩. أما

الترتيب في النقش ٩ فمختلف تماماً، لقد وضع هذه الرواية (العمود ٢[١٨-٢٥]) بعد الانتهاء من وصف تحصينات بابل. ولكن ذلك لم يمنع مؤرخنا من استخدام النقش ٩ (العمود ٢[١٨-٢٥]) كما نرى لدى مقارنة (19 g) مع القسم المذكور في النقش ٩. إن كاتبنا يفضل نابو ومعبده: فثمة عمود بكامله (٦) مكرس إلى إزيدا. ثم تأتي رواية القرابين إلى نابو ونانا، استناداً إلى النقش ٩ (العمود ٢[٢٦-٣٥]). وينتهي مع نابو وإزيدا بوصف القارب المقدس لهذا الإله وشارعه المبلط في بابل؛ وفي هذه الرواية الأخيرة يندس مقطع في النص أ (العمود ٧[٤٣-٤٦]) ما يزال مجهول المصدر (نرى نفس المصدر في النقش ١٥ (العمود ٥[٤٥-٥٦]).
في كل نقش كبير قسم مخصص لذكر ترميم الأسوار الكبيرة وخنادقها وقناة أراختو وأرصفة الفرات وخندق غربي المدينة. هذه الأعمال بدأها نابوبولاصر (راجع: النقش ٩ العمود ١[٤١-٥١]، النقش ١٣ العمود ١[٥٤]-٢[١٨]، النقش ١٥ العمود ٤[٦٦]-٦[٢١]). ولكن مؤرخنا يروي شق قناة ليبيل-هيغالو قبل رواية هذه الأشغال (راجع: 19 k et l). إن السرد في (19 k) هو توليف لما في النقش ٨. ثم بعد ذلك يأتي سرد أعمال ترميم ما بدأه نابوبولاصر. هنا ينسخ النقش ١٩، حرفياً تقريباً، النقش ١٣ (العمود ١[٥٤]-٢[١٨]). وإذا قارن القارئ النقش ١ (العمود ١[١٦-٤٥]) مع النقش ١٣ (العمود ١[٥٤]-٢[١٨]) سيكتشف أن النقش ١٣، بعد أن وضع (العمود ١[٥٤]-٢[١٨]) في موضع جديد، كان مضطراً إلى إدراج كلمات بيلو رابو مردوخ bêlu râbu marduk (راجع ملاحظتي على النقش ١٩، النص ب، العمود ٥[٤]). إن كاتبنا كان ملزماً على نسخ النقش ١٣، لأنه وضع هذه الرواية في سياق ليست مرجعيته مردوخ، كما هي الحال في النقش ١ (العمود ١[١٦]).

(ص ٣٥) لقد عالجت في القسم (19 m) وبينت كيف يتبع النقش ١٣ (العمود ١[٤٣-٥٣]). تجدر ملاحظة أن النقش ٩ لا يذكر من المعابد في بابل غير إزاجيلا، ولكنه يحتوي على لائحة للمعابد خارجها. يؤدي بنا ذلك إلى استنتاج أن أولى أعمال نبوخذنصر، بعد إزاجيلا وتحصينات بابل وإزيدا بورسيبا، قد كانت بناء معبد شاماش في سيبار ولارسا، ومعبد سن في أور، وأنو Anu في ديبلات، وبلساربي Belsarbi في باص، ونانا في إريخ (راجع: ٩ العمود ٢[٤٠-٥٩]). وهذا أمر هام

بالنسبة للتاريخ الديني في بابل، لأنه يبين ما هي أهم المواقع الدينية في تلك المرحلة. ومع أن هذا الملك أدخل عبادة سن ونانا إلى بابل ببناء معابد لهما في المدينة، فهو لم يجسر على بناء معابد للإله شاماش غير تلك القديمة في سيبار ولارسا، وعندما بنى نابوبولاصر زكورة إزاجيلا، كان يتفاخر بأنه كيفها مع إيبارا (راجع نابوبولاصر، النقش ١ (العمود ٣[١٩]).

استمر كاتبنا بمتابعة ترتيب مستقل بوضع أعمال بورسيبا خارج الأعمال القائمة في المعابد الغربية، بخلاف النقش ١٣ (العمود ٢[٣٥-٧١]) والنقش رقم ١ (العمود ٢[٢٢-٣٧]). (راجع ملاحظتي على النقش ١٩ النص ب العمود ٦[٢٨]).

الرواية المتعلقة بالسور الكبير شرقي المدينة موجودة في جميع النقوش الكبيرة، وجميعها ليست غير تطوير للنقش الصغير رقم ٤ الذي كتب في زمن إنجاز هذا العمل. ومن البدهي أن هذا من باكورة أعمال هذا الملك العظيم.

يستلزم نقد الروايات الأخيرة (19 p et w) مراجعة الملاحظات حول هذه المقاطع. وعندها نجد أن الكاتب يستمر بتوليف معطيات النقش ١٣ والنقش ٩ حتى النهاية. لا أستطيع أن أعطي تاريخاً دقيقاً لهذا النقش، غير أنه يحتل مرحلة انتقالية في أدب ولاية نبوخذنصر (٦٠٤-٥٦١ ق.م.) هذا ما لا يشك أحد به. وإني لأقدر، بتحفظ، تاريخ النقش في العام ٥٨٦ (ق.م.). وأظن أن ثمة نسخة عنه في دواثر بابل، لأن كاتب النقش ١٥ استخدمه في كتابته، ولا يبدو معقولاً أنه قرأ النص في وادي بريصا.

كلي أمل بأني شرحت هذا النص بما أمكن من الجودة، نظراً لسوء حالته. وأتمنى أن يقدم لنا السيد ف. هـ. ويسباخ F. H. Weissbach مقاطع جديدة، وأنتظر نصه بفارغ الصبر. لقد كتب لي أنه تمكن من الحصول على رشم أفضل للنصب. والعمل الوحيد على هذا النقش، بين مؤلف بونيون ومؤلفي هذا، هو مقال هـ. ف. هيلبرخت (H. V. Hilprecht: LUTHARD'S Zeistschrift fur kirchliche Wissenschaft, 1889, vol., X, pp. 490-497) حيث يصف وادي بريصا، ولكنه لم ينشر أي شيء من النقش الذي تفحصه وقدم عنه وصفاً جيداً. أشكر صديقي د. هرتفيغ D. Hertwig الذي أعطاني تحليلاً لهذا المقال.

أتقدم بشكري لعلماء باريس الذين أحاطوني برعاية دائمة، خصوصاً السيد ليون هوزي Léon Heuzey من متحف اللوفر ومدير مكتبة السوربون، والسيد ب. شيل P. Scheil أستاذ الأشورية في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا cole pratique des ÉHautes Études.

ترجمة نقش وادي بريصا[1]

(ص ٣٧) (العمود I): [١]نبوخذنصر، [٢]ملك بابل، [٣]الراعي الأمين المحظي عند مردوخ، [٤]ممثل الآلهة العظيم، المحبوب من نابو، [٥]المشهور والسامي، [١٠]الساعي دوماً[2] [٦]على دروب مردوخ، [٧]السيد العظيم، خالقه السماوي، [٨]ونابو، ابنه البار، [٩]المحبوب في هيمنته، [١١]البارع بحكمة، [١٢]الذي يحب عبادة قداستهم، [١٤]الذي يصيخ سمعاً لإرادة قداستهم، [١٦]العالم الماهر، [١٧]التقي تجاه الإله والإلاهة لمجرد سماعه اسمهما المبجل، [١٩]الحكيم الورع، [٢٠]المهتم بأمر إ-ساج-إيلا وإ-زي-دا، [٢١]بكر نابوبولاصر، [٢٢]ملك بابل- أنا.

[٢٣](عندما) السيد خالقي، [٢٤]سيد الآلهة، مردوخ خلقني... (فراغ حوالي ٢٠ سطراً).

(العمود II): [١]وجعل بيدي [٢]صولجاناً يجعل الناس سعداء، [٣]وأرسلني لأقوم بإصلاحاته، [٤]أنا، ملك لمردوخ سيدي، ولا أرتاح أبداً؛ [٨]ولقد التفت بإخلاص [٦]إلى محاريب نابو، إنه الأمين، [٧]المحبوب من ملكي، [١٠]وأفكر دوماً بما يرضيه. [١١]لعبادة ألوهيتهم [١١]..... (العمود III): للقيام بما هو محبب لقلبهم، قلبي يلتمسني، [٣]بحمل أثقالهم [٤]..... [٥]..... الآلهة العظام، [٦]السيد...... القدر..... [٧]..... [٨]..... يسير إلى جانبي [٩]...... [١٠]..... [١١]..... [١٢]الذي..... ليس عنهم سبل، [١٣]دروب صعبة، [١٤]أمكنة جافة، [١٥]أراضي غير مطروقة [١٦](؟) التي هي موحشة، [١٧]بمساعدتهم

---

[1] الأرقام الصغيرة الموضوعة في مطلع الكلمات تشير إلى رقم السطر (المترجم).

[2] ليس هناك أي تفسير لوضع رقم السطر ١٠، بينما السطر الذي قبله رقمه ٥، والذي بعده رقمه ٦. ثمة حالات أخرى على هذه الشاكلة، إما ناجمة عن أخطاء مطبعية، أو هي غير مبررة بكل الحالات. ولقد حافظنا عليها كما هي، ولم نسمح لنفسنا بتعديلها. (المترجم).

[١٨]اجتزت بأمان، مذلالاً عقباتهم. [١٩](؟) وتماثيل لهم (أي تماثيل آلهة نبوخذنصر)، (ص ٣٩) [٢٠](؟) وصوري بالخشب النقي [٢١].... [٢٢]"تقبل توسلي، [٢٣]اسمع لصلاتي[1].
[٢٤]منتوج الجبال، [٢٥]خيرات البحار، [٢٦]ما يوجد في كل مكان، [٢٧]الذهب، الفضة، الحجار الكريمة، نيسيكتو nisiktu، [٢٩]عوارض الأرز الضخمة، [٣٠]جزية ثقيلة، [٣١]هدايا بكمية كبيرة [٣٢]جمعت وكدست، و[٣٣]كل السنين [٣٤]قدمتها لهم.
[٣٥]أما بخصوص إزاجيلا، [٣٦]المسكن الواسع، قصر السماوات والأرض، [٣٧]منزل سيد الآلهة التي تتقيه، [٣٨]إكووا Ekua، محراب [٣٩]سيد الآلهة، مردوخ، [٤٠]صنعت من الذهب اللماع [٤١]وبمثابة التاج وإم-بار Im-Bar، جعلت مقرهم الكبير مشعاً.
[٤٣]باب-حي-لي-سوغ Bab-ḫi-li-sug زينته، [٤٤]بالذهب طليته. [٤٥]إلى ساربانيت سيدتي، [٤٦]إ-لي-سوغ E-li-sug (؟) معبدها (؟)، أنا..... [٤٧]أما بخصوص إزيدا إزاجيلا، [٤٨]غرفة نابو المقدسة، لهذه القاعة الواسعة، [٤٩]حيث، في زاغموك، في رأس السنة، لأجل عيد أكيتو [٥١]نابو[2]، الابن المشهور، [٥٢]يقترب من بورسيبا، [٥٣]حيث يجلس، [٥٤]عتباتها وأقفالها، [٥٥]دعائمها، أفاريزها، درفات أبوابها، [٥٦]طليت بالذهب البراق. [٥٧]لإزيدا نابو، المحبوب من ملكي، [٥٨] عملت على أن يشع سطوعاً.
[٥٩]أما بخصوص إ-تمن-أن-كي، زقورة بابل، [٦٠] نابوبولاصر، ملك بابل، [٦١]والدي ثبت بناءها (العمود IV) ورفعها ٣٠ ذراعاً، [٢]ولكنه لم يبنِ رأسها؛ [٣]أنا، اعتنيت بهذا البناء؛ عوارض من الأرز الضخمة [٥]على جبال لبنان، [٦]الغابة البهية، [٧]قطعت بيدي الطاهرة، [٩]و، من أجل بنائها، وضعت.
[١٠]باب-نون-كالا Bâb-nun-kalama ، باب-تور-نون-نا Bâb-tur-nun-na ، [١١]باب-نون-حوغالا Bâb-nun-ḫugalla ، باب-زقورة Bâb-ziggurrat، [١٢](ص ٤١) أبوابها الكبيرة [١٣]حول إ-تمن-أن-كي، [١٤]كنور النهار جعلتها مضيئة [١٥]وجاهزة. [١٦]عوارض من الأرز الضخمة [١٨]وضعتها هناك [١٧]كدعائم للسطح[3].

---

[1] يصعب استخلاص معنى السطور الأخيرة بسبب كثرة الفراغات، ولكني اعتقد أن المقصود أن نبوخذنصر وضع تماثيله وتماثيل آلهته في الأقاليم التي يجتازها، ونقش على كل منها الصلاة المترجمة أعلاه.

[2] حال البناء تستلزم ترجمة أكيت بعيد نابو. إني مقتنع منذ زمن طويل أن زاغموك في الحقيقة هو عيد نابو لا عيد مردوخ. وآمل أن أكون بينت في مؤلفي (Building Inscriptions of Neo-Babylonian Empire) أن دول-أزاغ Dul-azag "غرفة الأقدار" كانت موجودة، في الأصل على الأقل، في إزيدا إزاجيلا، وكانت غرفة نابو لا غرفة مردوخ. ومن الواضح أن مقطع (النقش ١٥، العمود "3^{1b-3}" هو دس وضعه كاتب هذا النقش الكبير (راجع مناقشتي النقدية حول: .I. 15,ibid).

[3] هكذا في النص الأصلي الرقم ١٨ ورد قبل الرقم ١٧ (المترجم).

[١٩]أبواب، أفاريز، [٢٠]مصاريع، [٢١]مداخل مشعة، [٢٢]هي أبواب من السنديان، أنا........
[٢٣]القرابين العادية لمردوخ [٢٤]وساربانيت، [٢٥]الإلهين سيدَي، [٢٦]أكثر من السابق، [٢٧]اعتنيت ب(إقامتهما (؟)). [٢٨]لكل يوم، ثوران (؟) كبيران [٢٩]سمينان وكاملان، [٣٠]خروف كبير [٣١]وزنه محدد دوماً، [٣٢]وسليم البدن، [٣٣]أربع وأربعون حملاً، [٣٤]سولوحيه zuluḫê جيدة، [٣٥]تليق بآلهة بابل، [٣٦]أربعة عصافير من نوع صغير الأوز Petit-Uz والحمام، ثلاثون ماراتو marratu، [٣٧]أربعة طيور من نوع نونوز-أوز الصغير Petit-Nunuz-uz، ثلاثة أعشاب من سومو šummu، [٣٨]واحد إسيح isiḫ من سمك البحر، [٣٩]أفضل منتوج المستنقعات، [٤٠]خضار بكثرة، [٤١]كل ما ينبت في البساتين، [٤٢]قمح رائع، [٤٣]منتوجات الخريف بكمية كبيرة، [٤٤]بلح، خبز[1]، خشب ما ma الأبيض (؟)، [٤٥]خمر أبيض (؟)، مشروب أو-سا u-sa النقي، [٤٦]زبدة، عسل، [٤٧]حليب صاف، زيت، [٤٨]فاخر..... [٤٩]خمر السمسم، نبيذ أحمر [٥٠]من جبال إزالو Izallu، تويما Tuimma، [٥١]سيميني Simmini، حيلبون Hilbun، [٥٢]أرنابو سوحو Arnabanu Suḫu، [٥٣]بيت-كوباتي أوحكي Bit-kubati Uḫki [٥٤]وبتاتي Bitati. [٥٥]طاولة مردوخ [٥٦]وساربانيت، سيدَي، جعلتها أكثر وفرة مما سبق. [٥٨]..... مردوخ [٥٩]..... [٦٠](؟).

(العمود V): [١]..... [١١]، [١٢]..... pl بابل، [١٣]أل..... اللائقة والناضجة، [١٤]طيور نا(؟)-سو na(?)šu، بذار (؟)، كمية كبيرة من السمك يومياً، [١٥](هذه القرابين) كالأضاحي لمردوخ سيدي [١٦]احتسبت. [١٧]كمية كبيرة من السمك من أجل الأضاحي لمردوخ سيدي، محددة و..... أنا.....

(ص ٤٣) [١٩]أما بخصوص قارب هوسي-كووا (لمعبد إزاجيلا)، سيارته، [٢٠]أطرافه من الأمام والخلف، [٢١] أدواته الداخلية، ـــه.....، [٢٢]أطرافه [٢٣]بالنحاس و(ophicéphales?) البراق طليتها؛ [٢٥](ب)حجارة نيسيكتي، [٢٨]رونقه جعلته مشعاً [٢٧]كالنجوم البراقة [٢٦]في نهر الفرات اللامع [٢٩]وعلى مرأى من جميع الناس [٣٠]ملأته بالثروات. [٣١]في موعد زاغموك، في رأس السنة، [٣٢]مردوخ، سيد الآلهة، [٣٣]وضعته

[1] على الأرجح نفس عبارة أسنان ašnân، راجع .Del., H. W.

فيه؛ [٣٤]في العيد الكبير، [٣٥] أكيتو(هـ) الرائع، [٣٦]جعلته يذهب بالسيارة. [٣٧]في حوسي-كووا Ḫusi-kua، قارب مردوخ البراق، [٣٨]أل..... والسواري [٣٩] ثبتها[1] بشكل رائع.

[٤٠]في قاعة (؟) إ-بير-بير، [٤١]من أجل دخول السامي سيد الآلهة، سيد أسياد [٤٢]موكب[٢] قارب حوسي-كووا [٤٣]يدخل إ-بير-بير، [٤٤]درب الزياح لأجل السيد الكبير مردوخ [٤٥-٦٠(؟)] فتحت.

(العمود VI): نبوخذنصر، [٢]ملك بابل، المهتم بإزاجيلا [٣]وإزيدا، أنا. [٤]إزيدو، المعبد الورع، [٥]..... [٦]إلى نابو، البطل [٧]الذي يطيل بعمر بابل [٨]في بورسيبا بنيت من جديد. [٩]من أجل بنائه وضعت عوارض ضخمة من الأرز، [١١]خشب السنديان الثابت، [١٢]عوارض الأرز الثقيلة، [١٣]بالذهب البراق غطيت، [١٤](البناء (؟)) الذي أقيم مرئياً [١٥]ب..... ضخم، رممته. [١٦]عوارض كبيرة [١٧]في جبل لبنان، الغابة، [١٨]قطعتها بيدَي الطاهرتين، [١٩]وبالذهب المشع طليتها، [٢٠]وزينتها بالحجارة الكريمة نيسيكتو nisiktu. [٢١]من أجل سقف إ-ماح-تيلا، [٢٢]محراب نابو، [٢٣]وضعتها ثلاثة ثلاثة (كل مجموعة ثلاثة). [٢٤] المصليات الصغيرة الستة (؟) [٢٥]في غرفة نابو المقدسة، [٢٦]أرز سقفها، [٢٧]زينته بالذهب البراق.

[٢٨]ثيران ضخمة [٢٩]صنعتها من النحاس [٣٠]وغطيتها بالفضة البراقة كالشمس؛ [٣١]وزخرفتها بحجارة نيسيكتو [٣٢] ووضعتها على عتبة باب الغرفة المقدسة. [٣٣]العتبات، الأقفال، (ص ٤٥) الدعائم، الأفاريز، [٣٤]مصاريع أبواب مدخل الغرفة المقدسة [٣٥]غطيت بالذهب البراق. [٣٦]بالآجر والفضة البراقة بنيت درب الغرفة المقدسة وطريق (المؤدية إلى) المعبد.[٣٩]مصاريع الأبواب من السنديان والأرز غطيتها بالفضة البراقة، [٤١]وفي جميع [٤٢]المداخل ثبتها.

[٤٣]غرف المصليات، سقف البناء، [٤٤]جعلتها مطلية بالفضة البراقة. [٤٥]أرز سطح المصليات [٤٦]غطيته بالفضة[١]. [٤٧]من أجل دخول وخروج [٤٨] الابن العظيم نابو

---

[1] لا علم لي أن هذه الكلمة مشتقة من جذر أراحتو araḫtu، بل هو بالتأكيد فعل في صيغة المتكلم المفرد.

[2] يعني ذلك أن مردوخ ينزل من القارب عند باب إ- بير- بير.

[٤٩]..... [٥٠]..... [٥١]ما لم يفعله أي ملك قبلي [٥٢]من أجل نابو سيدي فعلته بروعة.
[٥٣]نابو ونانا سيداي بفرح وسلام، أسكنتهما المسكن الذي يريح القلب.
(العمود VIII): [٢]اعتنيت بزيادة القرابين الكبيرة المعتادة لتصبح أكبر من السابق. [٣]لكل يوم، ثور كبير سمين وناضج [٤]وزنه محدد [٥]وجسمه سليم، [٦]ستة عشر خروفاً، زولوحو zuluḫu جيدة [٧]تليق بآلهة بورسيبا، [٨](؟) طيور صغيرة من نوع أوز، ثلاث حمامات، عشرون ماراتي [٩]..... طيور صغيرة من نوع نونوز-أوز، عشبتان من سومو، [١٠]واحد إزيح من سمك البحر، أفضل منتوج المستنقعات، [١١]خضار بكثرة، كل ما (ص ٤٧) ينبت في البساتين، [١٢] قمح فاخر، منتوجات الخريف بكميات كبيرة، [١٣]بلح، خبز، خشب ما ma الأبيض، [١٤]خمر أبيض، جعة، مشروب أوزا النقي، [١٥]زبدة، عسل، [١٦]حليب صاف، زيت، [١٧]نبيذ العسل، سيراس siraš، خمر أحمر، [١٨]هكذا جعلت مائدة نابو ونانا سيدَي أكثر وفرة من السابق.
[٢١]القارب المقدس لقناة غانول Ganul، [٢٢]عربته المشعة، [٢٣]زينتها، [٢٤]وعملت على بنائها؛ [٢٥]القبة من سنديان، [٢٦]والساريتين من عوارض الأرز الضخمة وزينتها بالذهب البراق، [٢٨]وبأصابعي أعددتها. [٢٩]في موعد زاغموك، في رأس السنة [٣٠]لعيد أكيتو [٣١]عيد سيد الآلهة السماوي، مردوخ، [٣٢]نابو، الابن البطل والأمين، [٣٣]يخرج من بورسيبا [٣٤]إلى بابل. [٣٥]في قارب النهر غانول، [٣٦]الذي يكون مزيناً بالثروات ومليئاً بالخيرات، [٣٧]وضعته وملأته بقبة براقة [٣٨]وبساريتين، [٣٩]من أجل رحلة سموه [٤٠]وليفتتن به الجميع.
[٤١]ما لم يفعله أي ملك سابق، [٤٢]لنابو سيدي فعلته بروعة. [٤٣]من نانا-ساكيبات-تيبيسو Nana-sakipat-tebišu [٤٤]حتى الباب البراق [٤٥]إشتار-دانات-سابيسو -Ištar dannat-şabêšu شارع عريض [٤٦]باسم السيد الكبير مردوخ: [٤٧]من باب كيبسو-ناكار Kibšu-nakar حتى مدخل نابو في إزاجيلا، [٤٨]المسمى نابو-دايان-نسي-سو Nabu-daian-niši-šu، شارع عريض [٥٠]باسم الابن البطل نابو [٥١]أقمت مصطبة مرتفعة [٥٢]وغطيتها بالملاط والآجر.

---

[1] في هذا المقطع ٤٥+٤٦ النص أ يقدم وصفاً مشابهاً لما في النقش رقم ١٥، العمود ٣(٤٦)، ولولا القليل من الاختلاف لفكرنا أن الرواية ستصف مصليات إماحتيلا الأخرى بجانب تلباناتي، ٦(٢٤). تضع رواية كاتبنا المقطع المتعلق بمحراب مردوخ في نهاية الرواية حول إماحتيلا، أما كاتب الرواية السابقة (النقش ١٥) فيضعه في منتصف رواية إماحتيلا، النقش ١٥، العمود ٣(٣٨-٦٤).

(النص ب، العمود IV): [٥٨]ليبيل-حيغالا Libil-ḫegalla، [٥٩]قناة شرقي بابل، [٦٠]التي دثرت منذ زمن طويل، [٦١]بحثت عن موضعها [٦٢]وصنعت مجراها من الملاط والآجر. [٦٤]في شارع بابل، إيبور-سابو Aibur-šabu، [٦٦]لأجل تطواف (ص ٤٩) السيد الكبير مردوخ، [٦٧]أقمت جسراً على القناة. [٦٨]من خشب السنديان..... [٦٩]من أرز..... [٧٠]من لامو lammu..... [٧١]من النحاس..... [٧٢] حتى ثلاثة.... (صنعت).

(العمود V): نبوخذنصر، [٢]الذي يهتم بالمنازل المقدسة [٣] لنابو ومردوخ [١]سيديه، أنا. [٤]أما بابل، مدينة السيد الكبير مردوخ، [٥]مدينة عظمته، [٦]إمغور-بيل Imgur-bêl ونيميتي-بيلNimitti- bêl، [٧]أكملت أسوارها. [٨]ما لم يفعله أي ملك سابق[٢]، [٩]على عتبات المداخل الكبرى [١٠]وضعت ثيراناً ضخمة من النحاس [١١]وسفنكساً[٣] واقفاً. [١٤]أحاط والدي المدينة [١٢]بحائطين للخندق من ملاط وآجر، [١٥]ولكني بنيت بالملاط والآجر حائطاً كبيراً للخندق، حائطاً ثالثاً، الواحد مقابل الآخر، [١٨]وثبته بجانب ذلك الذي بناه والدي. [١٩]وضعته في قعر [٢٠]الهاوية الواسعة، [٢١]ورفعت سطحه كالجبل. [٢٢]حائط الخندق من الآجر غربي [٢٣] التحصينات الكبيرة لبابل [٢٤]أحطت المدينة.

(النص ب، العمود VI): من أجل شماش Ŝamaŝ، كبير قضاة السماوات والأرض، [٢]الذي يجعل بالوحي صورتي محببة، [٣]جددت إديكود-كالاما edikud-kalama، معبده في بابل، [٥]إ-كيكو-غارزا E-kiku-garza، معبد نينليل-أنّا Ninlil-anna، القريب من السور، [٦]من أجل نينليل-أنّا، السيدة (ص ٥١) العظيمة، [٧]التي تتدخل لصالحي، [٨]جددت في بابل. [٩]من أجل غولا، المشهورة والعظيمة، [١٠]التي تسكن إسابي Esabi، وتجعل جسمي سليماً، [١١]حارسة روحي، [١٢]قبة من السنديان بشكل السماء [١٣]غطيتها بالذهب البراق، [١٤]وزينتها بالحجارة الكريمة نيسيكتو [١٥]ووضعتها فوقها[٤]. [١٦]وطاولة جميلة الصنع، تليق بمائدتها، [١٧]غطيتها بالذهب اللماع، [١٨]وزينتها

---

1 لم يرد نابو قبل مردوخ أبداً في نقوش المرحلة الأخيرة من حكم نبوخذنصر.

2 لو أن هذه الجملة كانت في موضعها الخاص بها، لتوقعنا إيا-تي ia-ti، للتعبير عن موضوع متعلق ب سارو ماهري šarru mahri، كما نعثر على أبي-أ abi-a أ-لي-تو a-li-tu في النقش ١، العمود ١(٢٦). قد يكون موضع الجملة أفضل قبل السطر ١٢.

3 سفنكس كائن خرافي بجسد أفعى وأجنحة ورأس امرأة... (المترجم)

4 تستلزم إلي-سو Eli-šu عائداً مذكراً، يتجه التفكير بالطبع نحو سامو šamu، وتصبح الترجمة: "وضعت الإلاهة على سامو". وبالطبع إلي eli حلت محل (עַל et אֶל) بالعبرية، وذلك لأن هاتين الكلمتين كانتا متبادلتين في كل مكان من نصوص العهد القديم. ولكني أفضل التفسير الآخر، وأرى سو šu خطأ جاء ممكان سا ša.

بالحجارة الكريمة نيسيكتو [١٩]ووضعتها أمامها[1]. [٢٠]كلبان من الذهب، اثنان من الفضة، اثنان من النحاس، [٢١]قوائمها صلبة، وقائمة على قواعد ضخمة [٢٣] في المداخل الكبرى، وضعتها في ساحة فسيحة.

[٢٥]تابيسوبورسو Tabisupurŝu، سور بابل، [٢٦]جددت، وحائط خندقه [٢٧]بالملاط والأجر [٢٨]أحط المدينة لتحصينها. [٢٩]من أجل الإله دوم-ليل Dum-lil، [٣٠]الذي يحطم أسلحة أعدائي، [٣١]معبده في بورسيبا جددته. [٣٢]من أجل غولا Gula، الباحثة عن الحياة، [٣٣]حارسة روحي، التي تقيم في إ-تيل-لا E-til-la، معبدها في بورسيبا جددته. [٣٥]من أجل غولا، المشهورة والعظيمة، [٣٦]التي تزيد من شهرة ملكي، [٣٧]التي تقيم في إغولا Egula، [٣٨]معبدها في بورسيبا جددته. [٣٩]من أجل غولا، السيدة الجليلة، [٤٠]التي تنعش روحي، [٤١]التي تقيم في إزيبا-تيلا Eziba-tilla، [٤٢]معبدها في بورسيبا جددته.

[٤٣]من أجل ترسيخ تحصينات بابل، [٤٤]ما لم يفعله أي ملك قبلي، [٤٥]طول بابل، على مدى ٤٠٠٠آلاف ذراع من الأرض البعيدة لا القريبة، [٤٧]انطلاقاً من الضفة العليا للفرات [٤٨]وصولاً إلى الضفة السفلى من الفرات (ص ٥٣) [٤٩]سور كبير شرقي بابل أحطتها به. [٥٠]وخندقها حفرته وبداخله ثبته بالملاط والآجر. [٥٢]سور كبير من الملاط والآجر، على طرفه عالياً كالجبل بنيته. [٥٤]مداخلها الضخمة وصلتها، [٥٥]والمصاريع من الأرز غطيتها بالنحاس، [٥٦]وثبتها بالمداخل. [٥٧]في ضاحية بابل، [٥٨]انطلاقاً من الشارع الذي يسير من ضفة الفرات ويجتاز كيس Kiŝ بثلاثة (؟) كيسكات-جيت kiskat-git من الأرض [٦٠]وصولاً إلى قناة أراختو، ردمت الأرض [٦١]وأحطت المدينة بأمواج هائلة. [٦٢]بحيث أن أمواجها لا تحدث ثغرات، [٦٣]وجعلتها آمنة من داخلها بالملاط والآجر. [٦٤]وبغية تحصين بابل، [٦٥]اعتنيت أيضاً، وفق أوح Uḫ (؟) بالقرب من سيبار Sippar، [٦٦] من ضفة دجلة حتى ضفة الفرات، [٦٧]على مدى ١٤ (؟) كيسكات-جيت، ردم هائل من الأرض [٦٨]كدسته؛ [٦٩]موجات هائلة كأمواج البحر [٧٠]عملت على إحاطة المدينة على مسافة ٢٠ كيسكات-جيت. [٧١]بحيث أن هذه المياه

---

[1] ماحاروسو Maḫaruššu هي أيضاً خطأ في المؤنث. إن إهمال إقامة الترابط بين الضمائر وعائدها، الذي نصادفه غالباً في النصوص التوراتية النقدية massoretique، هو من خاصية هاتين اللغتين الأشورية والعبرية. ونكون مخطئين تماماً بتصحيح النص العبري عندما نصادف هذا الإهمال، أو بالأحرى هذه البلاهة التي لا نفهمها.

الهائلة [٧٢]لا تصدّع موضع الردم، [٧٣] الذي ثبته بالملاط والآجر [٧٤]..... [٧٥]من أجل (جعله سعيداً) مجرى (؟) ..... حياة [٧٦](شعوب بابل...) [٧٧]في قلبهم..... [٧٨]......
(النص ب، العمود VII): نبوخذنصر، ملك بابل، [٢]الأمير الكبير، [٣]الذي يهتم بمدن كبار الآلهة، أنا. [٤]إلى إزاجيلا وإزيدا [٥]كنت مخلصاً دوماً. [٦]المواضع المقدسة لمردوخ، السيد، الإله العظيم، خالقي، [٧]ولنابو، الابن البطولي، [٨]المحبوب في ملكي [٩]سعيت دوماً للحفاظ عليها. [١٠]في أوقات أعيادهم المقدسة، [١١]أكيتهم الكبير، [١٢]بالذهب، بالفضة وحجارة نيسيكتو البراقة، [١٣]ثمار الحصاد النقية، خيرات الجبال [١٤]والبحر، [١٥]أفضل كل (ص ٥٥) ما هو جيد، [١٦]ثيران جيدة وكاملة، [١٧]زولوحو جيدة، [١٨]نعاج صغيرة وباسيلو pasilu، خراف كبيرة، [١٩]إزيح isiḫ من سمك البحر، طيور السماء. [٢٠]الكوركو kurku، صغار الأوز uz، ماراتو marratu، الحمام، [٢١]أعشاب سومو ŝummu، بيلو pilu، وافضل منتوج المستنقعات، [٢٢]نباتات بكمية كبيرة، خيرات البساتين، [٢٣]حبوب من نوعية جيدة، أفضل ثمار الخريف، [٢٤]قمح(؟) وخبز، خشب ما ma الأبيض، نبيذ أبيض، [٢٥]جعة، المشروب الجيد إوزا usa،... زبدة، [٢٦]عسل، حليب نقي، زيت، [٢٧]بي-دو bi-du البراق، خيرات البلدان البعيدة، [٢٨]الجيد من كل مكان، [٢٩]طوفان من المشروبات المنعشة التي يمكن اعتبارها كالماء، وخمر [٣٠]كل سنة بكثرة ووفرة، [٣١] أتيت بها أمامهم.
[٣٢]نبوخذنصر، ملك بابل، [٣٣]الراعي الأمين الذي يسعى للمحافظة على مدن كل بلادي. [٣٥]لمجرد ذكر اسمهم المشهور، [٣٦] اتقي الإله والإلاهة [٣٧]..... أيام أبدية [٣٨]..... العظام [٣٩]..... العالم [٤٠]..... المحاريب. [٤١]من أجل نرغال Nergal، الذي يسحق أعدائي، [٤٢]أل.... لمنزله إ-سيدلام E-ŝidlam [٤٣]ب..... زينت. [٤٤].... السفلية [٤٥]..... صنعت، [٤٦]... عملت. [٤٧]القرابين الثابتة لنرغال ولاز Laz، [٤٨]آلهة إ-سيدلام وكوتا Cutha، أقمت. [٤٩]..... [٥٠]زبدة وعسل، [٥١]..... أحمر [٥٢].....
[٥٣]القرابين المعتادة لنرغال ولاز، الآلهة، أسيادي، [٥٤]زدت كميتها أكثر من السابق.
[٥٥]بغية توطيد تحصينات إ-سيدلام، [٥٦]تحصينات سور إ-سيدلام [٥٧]ومصلياته القائمة أمام الدار [٥٨]جددتها كما كانت عليه سابقاً، [٥٩]حائط خندق كوتا [٦٠]بنيته بالملاط والآجر، [٦١]ولتوطيد المدينة عملت على تسويرها. [٦٢]من أجل ساماس سيدي، الذي يعلن في رؤياتي الرد المخلص، [٦٤]والذي يقدم في ما يأتيني من وحي الإشارة

الإيجابية، [٦٥]إبارا، معبده في سيبار جددته. [٦٧]من أجل الإله بل-ساربي [٦٨]الذي يقيم في مدينة باس Bas، [٦٩]إدورجينا Edurgina، معبده [٧٠]بنيته في باس. [٧١]من أجل أنو Anu، معبد إ-إدي-أنيم E-idi-Anim [٧٢]في ديبلات Diblat بنيته. [٧٣]من أجل الإله سار-مارادا Ŝar-marada، [٧٤] الذي يسكن مارادا، [٧٥]معبده إ-إدي-كالاما E-idi-kalama بنيت.

(ص ٥٧) (النص ب، العمود VIII): من أجل الإلهة عشتار[١]، التي تقهر خصومها، [٣]إيانا Ianna في إريك بنيت؛ [٤]لمدينة إريك صور سيدو šêdus، [٥]لمدينة أغاد Agadê (؟) بوضع (ها) في مكانها..... [٧] ..... [٨-١١]. [١٢]إبارا Ebarra، معبد شاماش في لارسا، [١٣]رممت. [١٤]من أجل سن Sin، السيد.... [١٥]إجيسيرغال E-gišširgal، معبده في أور، [١٦]رممت. [١٧]محاريب كبار الآلهة [١٨]التي تقف بجانبي [١٩]أنهيت بناءها. [٢٠]كبار الآلهة المقيمون فيها، [٢١]بفرح واحتفال [٢٢]جعلت إقامتهم في منازلهم الرائعة. [٢٤]كبار الآلهة [٢٥]فليتلطفون بها.

[٢٦]نبوخذنصر، أنا. [٢٧]الشعوب الكثيرة التي سيدي مردوك [٢٨]عهد إلي بإدارة [٢٩]رحمته و... [٣٠]جعلتها مطيعة [٣١]... [٣٢]مخلص..... حكمت [٣٣]..... [٣٤]في ظلالها (بابل)، [٣٥]جعلت جميع الشعوب في البر. [٣٦]سنوات الحكم... [٣٧]في المدينة تقبلت. [٣٨]أنا، نبوخذنصر، ملك بابل، [٣٩]الساعي إلى أمور التقوى، [٤٠]ومن أجلها قضى شاماش بترميم المعابد، [٤١]وبترميم مدن الآلهة والإلاهات [٤٣]إلى ذلك دفعني قلبي. [٤٤]لقد اعتنيت بالمعابد ورممت المحاريب. [٤٥]ومع ترميم مدن الآلهة والإلاهات، [٤٦]بنيت القصر لإقامتي، [٤٧]في بابل. [٤٨]تبعاً لأمر مردوك، السيد الكبير، [٤٩]وكبار الآلهة، [٥٠]قصر... (العمود IX) [٣]..... من البحر [٤]..... [٥] ..... أنا ..... [٦] .....[٧]إلى..... [٨]في المدينة..... [٩]لمجد [١٠]و..... لنابو ومردوخ [١١] ..... [١٢]في

---

[1] إشتار ساكيبات تيبي-سا Ištar sakipat tebi-ša ألتي أهدي لها معبد إيانا E-anna في إيريك Erech. نجد في مقاطع (٧[٤٣-٤٦]) و(١٥، ٥[٤٥-٥٦]) أن شارع إيبور-سابو Aibur-šabu يبدأ من من باب إشتار حتى نانا- سيكيبات- تيبي-سا. نانا مكتوبة (١٥، ٥[٤٧]) بالرمز (Br. 8861) وعند كاتبنا (٧[٤٣]) [إلو]ري ([ilu] Ri). أما نانا- إشتار في أور Ur، فنجدها إش- تار Iš-tar، (١، ٢[٢٣])؛ (١٣، ٢[٦٣]) ونانا (Br. 3046)، ٩، ٢[٥٢]. لآ أعرف بوجود معبد إلى نانا- ساكيبات- تيبي- سو في بابل، ولكن ماذا يعني المقطع المذكور حيث يُقال فيه أن نهاية شارع إيبور- سابو كانت في نانا- ساكيبات- تيبيسا، وكلمات النقش ١٥، العمود ٥[٥٣-٥٤]، حيث يذكر نبوخذنصر طريقاً مبلطة لهذه الإلاهة؟ ولا يتضح هنا ما إذا كان المقصود معبد أم باب، ولكني أظن أن المقصود معبد. المعبد الوحيد لإشتار- نانا في بابل مذكور في (Babylonian Chronicle, rev. 6) وهو معبد إ- تور- كالاما E-tur-kalama حيث هرب نابونابيد في وقت سقوط بابل.

ال.... لجبل لبنان [١٣]..... مردوخ..... [١٤]التي رائحتها زكية، [١٥]عوارض من الأرز هائلة. [١٦].... إله آخر.... [١٧]..... ملك آخر.... [١٨]..... [١٩]..... [٢٠]لملء القصر و[٢١]لإغنائه، زينة.... [٢٢]ملك خبيث، حليف.... [٢٣].... [٢٤]شعبه ودفعه إلى التمرد و..... [٢٥]بقدرة نابو ومردوخ، [٢٦]نحو لبنان.... [٢٧]سيرت جيوشي. [٢٨]الخبثاء من فوق وتحت [٢٩]هزمتهم وفي البلد..... [٣٠]من شعبه المهزوم، [٣١]ومواضعه جعلتها أكواماً من الدمار. [٣٢]ما لم يفعله أي ملك سابق (فعلته)، [٣٣]الجبل الوعر حطمت، [٣٤]وصخور الجبل قطعتها.

[٣٥]وفتحت مدخلاً، [٣٦]مهدت طريقاً من أجل العوارض. [٣٧]قبل الملك (ص ٥٩) مردوخ، [٣٨]عوارض ضخمة من الأرز، كبيرة وثقيلة، [٣٩]التي ديمومتها ثمينة، [٤٠]وشكلها مستقيم، [٤١]وفرتها في لبنان [٤٢]مثل.... [٤٣]عملت على نقلها عبر قناة أراختو. [٤٤]في..... [٤٥]..... [٤٦]الشعب في لبنان [٤٧]جعلته يقيم في أمان. [٤٨]المجرم الذي لا..... [٤٩]كيلا يحطم أحد..... [٥٠]صورة شخصي الملكي.

(النص ب، العمود X): ٦صورة شخصي الملكي. ٢٤..... ٢٥أعمالي ٢٦-٢٧..... ٢٨أعمالي التقية..... ٢٩أمام..... ٣٠في إزاجيلا وإزيدا ٣١ اللذين أحب ٣٢..... الأعمال ٣٣من أجل..... أمين ٣٤..... حملك؛ ٣٥أن استطيع الابتهاج بالحصول على بنين ٣٦..... ٣٧...... بتقوى. ٣٨أن يستمر خلفي [٣٩] يحكم فيه إلى الأبد الشعوب السوداء السحنة.

تعليق: بالطبع نتساءل بداية ما إذا كان هناك قصر، اثنان، أو ثلاثة، في المقطع (٨[٤٥]-١٠[١٥]) (؟). بعد دراسة بقية الأعمدة الأخيرة، ومقارنتها بمقاطع من النقش ٩ و١٥ و١١، صرت متيقناً بأن هناك قصراً واحداً فقط، أي القصر في المدينة، وذلك للأسباب الآتية: أولاً، فقط في بناء القصر القديم ثمة ذكر لأرز لبنان (النقش ٩، العمود ٣[٣٦])؛ ثانياً، الجمل تشبه جمل (النقش ٩، العمود ٣[٢٧-٤٢])؛ ثالثاً، لم أستطع العثور على أي تلميح إلى أكثر من بناء واحد.

حول النقوش البابلية في نهر الكلب

اكتشف السيد لوتفيد Loytved، قنصل الدنمارك في بيروت، نقش نهر الكلب، عام ١٨٨٠. وحسب السيد د. هارتمان Hartmann، (مترجم في القنصلية الألمانية) ثمة خمسة نقوش محفورة على صخور الضفة الشمالية لنهر الكلب. ولكن السيد لوتفيد أخذ فقط صور وأرشم النقش الكبير من أربعة أعمدة. وأرسلت هذه الصور والرشم إلى السيد سايس Sayce مع الكاهن تريسترام Tristram. نشر سايس ما استطاع قراءته من النسخ والصور في: P.S.B.A. (1881), vol. IV, pp. 9-11 et 34-35.

يبدو، استناداً إلى هذه النسخ، إن هذا النقش الكبير متلوف بكامله تقريباً. وكان مكتوباً بحروف البابلية الجديدة، كالنص ب في وادي بريصا.

واستناداً إلى حساباتي حول النقش الكبير في وادي بريصا المكون من تسعة أعمدة بالحروف القديمة، فإنه ينتهي بسرد حول المعابد الغريبة. وأعتقد أنه تبين أن الكتابة بالحروف القديمة على صعوبة كبيرة، وتم التوقف عنها في منتصف السرد. ولكن الناقص في النص أ تم استكماله بالأعمدة الأربعة الأخيرة من النص ب (٦(٢٥)-١٠(٣٩)). ونجد أربعة أعمدة في نقش نهر الكلب، ومن يعرف مناهج الكتابة عند نقاشي البابلية الجديدة لا يفوته التعجب من هذا النقش بأربعة أعمدة، الذي لا أعرف نموذجاً غيره سوى النقش رقم ١٧.

يخامرني الظن أنه بتعليق الكتابة بالحروف القديمة في النقش الكبير في وادي بريصا (الذي يوجد قسمه الناقص في الأعمدة الأخيرة من بديله) قد تم استئنافها في موضع آخر، أي على صخور نهر الكلب. وإذا عدنا إلى تحليلي لنقش وادي بريصا، نجد الرواية المفقودة من النص أ تبدأ مع القسم (n)، أي ١٨ سطراً حول الأعمال في بورسيبا. يقر السيد سايس (ص ٣٤) أن (ص ٦٠) بداية العمود الأول مفقودة. لنفترض أن (n) في تحليلنا كانت في بداية العمود الأول من نقش نهر الكلب. ونعود بعد ذلك إلى القسم (o)، أي ١٤ سطراً حول السور الكبير شرقي بابل. فكيف نعجب عندما نجد أن بقايا الرموز والكلمات التي قدمها سايس في العمود الأول، بعد المكان المكسور فيه، مطابقة مع الرواية في النقش ب، العمود ٦(٤٣-٥٦)!

... ...

إذا قارن القارئ النص ب، العمود ٦(٤٣-٧٨) مع بقية هذا النقش المرمم على هذا الشكل، فإنه سيجد تقريباً نفس كلمات وتنسيق السرد. هنا تبدأ البقايا في منتصف سرد السور الكبير إلى الشرق، النص ب، العمود ٦(٤٣-٥٦)، الذي ينتهي هنا عند السطر ١٤. ثم يأتي القسم (p)، رواية الخندق المحفور حول المدينة (النص ب، العمود ٦(٥٧-٦٣)، هنا ٢(١٥-٢٢))، وأخيراً رواية الخندق شمالي سيبار (النص ب، العمود ٦(٦٤-٧٨)، هنا ٢٣-٢٨).

يمكننا تقديم برهان أفضل على صحة الفرضية التي تقدمنا بها حول هذا التنسيق الدقيق بين النقشين. وبالتالي يمكننا التأكيد بثقة أن هذه الأعمدة الأربعة (نهر الكلب) تكمل النقش أ في وادي بريصا، وان الكاتب، لما لم يجد صخرة وادي بريصا واسعة كفاية لمتابعة عمله بالحروف القديمة، فإنه بحث عن موضع آخر لإنهاء نقشه، وهذا ما فعله بحروف البابلية الجديدة على صخرة نهر الكلب. ولكنه بعد أن نقش هذا النقش في هذين الموضعين، عاد إلى وادي بريصا، وبما انه سوى صفحة الصخرة الكبيرة مقابل النقش بالحروف القديمة، نسخ كل النقش، من عشرة أعمدة وبالحروف البابلية الجديدة التي تحتل مجالاً أقل بكثير من النقش بحروف قديمة.

مع الأسف لم يستطع سايس أن يقدم غير القليل من كلمات الأعمدة الثلاثة الباقية. في الأول كان هناك على الأقل الأقسام (n) و(o) و(p) و(q) من النقش ب حيث ينتهي العمود السادس منه، وربما العمود الأول من نقش نهر الكلب. وعليه يجب توزيع الأقسام من (r) إلى (w) على الأعمدة الثلاثة الباقية.

على العموم، يمكن القول: العمود ٢ = النقش ب العمود ٧، العمود ٣ = النقش ب العمود ٨، العمود ٤ = النقش ب العمود ٩ (العمود ١٠ قصير من ١٠ سطور)؛ يقول سايس أنه استطاع أن يقرأ في العمود الثاني ma-miš ur-du، وأن هذا العمود يبدأ (ص ٦١):

[1]Nabû-kudurru-ú-ṣu-ur [2]ru-ba na-da ما يجب أن نقارنه بالنص ب، العمود ٧(١-٣). أما بخصوص كلمة mamiš، فلا يقول سايس في قسم من العمود عثر عليها، ولكنها تطابق بلا شك كلمة ma-mi-iš في النقش ب، العمود ٧(٢٩)، حيث يرد، في معرض وصف القرابين بمناسبة عيد رأس السنة: tibik siras la nebi mamiš

(𒌋𒌋𒌋) karanu "طوفان من المشروبات المنعشة كالماء لا يمكن إحصاؤها، وخمر". أعتقد أن سايس قرأ ur-du بدل Giš-Bi.
يقول سايس أن الكلمات Ba-bi-lu-ki bi-lu-ti et kaspu موجودة في مكان أبعد في العمود الثاني. تطابق كلمة Babilu-ki السطر ٣٢ من العمود ٧ من النقش ب. أما كلمة Be-lu-ti "إقطاعة" فنجدها على الأرجح في الفراغ الكائن في النقش ب، العمود ٧(٣٨-٤٠)، في حين أن كلمة kaspu فتعود بلا شك إلى السطر ٤٣ من العمود ٧ من النقش ب، حيث يرد: E-šid-lam u-za-‘-in… = E-šid-lam [ina kaspi] u-za-‘-in "زينت إزيد-لام Ešid-lam، بالفضة". وحسب سايس، في القسم العلوي من العمود الثالث توجد كلمة šarru المطابقة للسطر ٣٨ من العمود الثامن من النقش ب.
يمتاز السطر[1] ٢٣(٢) من نقش نهر الكلب بأهمية كبرى، لأنه يغطي لنا فراغاً في النقش ب، العمود ٦(٥٩)، أي كلمة Uḫ-ki. كانت هذه المدينة (ما يزال هناك مدينة بهذا الاسم في بابل الجنوبية) في الحقيقة، استناداً إلى نقشنا، قائمة الضفة اليسرى لدجلة، مقابل بورسيبا. لا يبقي نقشنا أي ظلال من الشك حول هذا الأمر.

---
[1] تجاوز سايس سطراً قبل السطر ٢٣(٢).

١٠- نقوش نبوخذنصر الثاني في وادي بريصا ونهر الكلب[1]

المقدمة

على غلاف الدفتر الرابع من "المنشورات العلمية لجمعية الشرق الألمانية" الصادر في صيف ١٩٠٣، أعلنْتُ عزمي على إصدار مؤلف (دفتر) جديد حول نقوش وادي بريصا. مرّ على ذلك الإعلان حوالي ثلاث سنوات. هذا التأخير الذي أتحمل شخصياً على الأقل مسؤوليته، يعود إلى توسيع مخططي الأصلي، من جهة، كما يرجع من جهة أخرى إلى صعوبات في فك رموز أجزاء غير سليمة من النقوش. لن أتفاخر بأني توصلت إلى تفسير رموز لم أحصل على غير آثارها، ولا بأني قرأت بشكل صحيح تماماً كل بقاياها. وإذا كان لا يجوز إبقاء هذه النصوص الهامة بالنسبة للعلم محجوبة، فقد وافتني الفرصة لتقديم خلاصة بحث تفصيلي استمر لعدة سنوات. إن ما يدفع إلى استكمال البحث الآن هو تقدم الطباعة التصويرية (طباعة الألواح من ١ إلى ٦ في هذا الدفتر) والاستفادة من النسخ المقلدة (الموجودة في المتاحف الملكية في برلين). وإذا كان هناك من بتصرفه نماذج لا أعرفها أو لا أستطيع الوصول إليها، فبوسعه استكمال نصي في كثير من المواضع وتصحيحه.
وكما توفر لي نقش نبوخذنصر في نهر الكلب لتفسيره، فهذه المادة التي تم تزويدي بها لنشرها موجودة الآن أيضاً في المتاحف الملكية في برلين.
قلما استرعت النقوش المنشورة هنا الاهتمام بها بكليتها. فنقش نهر الكلب الذي يُنشر نصه الأصلي للمرة الأولى هنا، كان ما يزال غير معروف لسنتين عندما نشر

---

[1] المرجع: WEISSBACH (F. H.): Die Inschriften Nebukadnezar's II im Wadi Bisa und am Nahr El-Kelb, Leipzig, 1906.

ملاحظة على سبيل التنبيه: لم يكن من السهل علينا التعاطي مع نص ألماني. ولم نتمكن من الاستعانة بمتطوع متمكن لترجمة نصوص ويسباخ. فانطلقنا من تجاوب مشكور لبعض الطلاب اللبنانيين الحديثي العهد باللغة الألمانية، والذين لا يتقنونها في غير مجالات العلوم الصحيحة، فقدموا لنا بعض المساهمات الجزئية والمتقطعة وغير الواثقة. فاستعنا مع ذلك ببعض مواقع الترجمة الفورية على الإنترنت. ومنها انطلقنا في ترجمة النص الألماني إلى الفرنسية، وأحياناً إلى الإنكليزية، ومن ذلك إلى العربية. ومن كل ذلك تمكنا من إخراج ترجمة نظنها مقبولة، ولا ندعي خلوها من الخطأ.
وهنا نكرر النداء لمتقني الألمانية بالمساهمة معنا والمساعدة في تعريب العديد من النصوص الألمانية المتعلقة ببلادنا، خصوصاً وأن الاستشراق الألماني لعله من أهم أنماط الاستشراق في مجالات لنا منها فائدة كبيرة. ونتوجه من الذين يطالعون نصنا هذا الإسراع في كشف عيوبه وسد ثغراته فنكون لهم على امتنان كبير (المترجم).

شارل فوسيه "موجز الأشورية" (Charles Fossey: Manuel d'assyriologie, Paris, 1904) حيث كان على شك من أمر نسبة هذا النقش إلى نبوخذنصر. إن نقوش وادي بريصا ونهر الكلب شغلت في العام الماضي العالم الأميركي الشاب لاندون (Stephen Langdon) وذلك في بحثين: واحد فرنسي (Les Inscriptions du Wadi Brissa et du Nahr el-Kelb, Recueil de travaux relatifs a la philologie et à l'archéologie égyptiennes et assyriennes. Vol. 28, pp. 28-61). وأخر إنكليزي (Building Inscriptions of the Neo-Babylonian Empire, Vol. I, pp. 152-175, Paris 1905). وبما أني لا أستطيع في سياق هذا الدفتر اتخاذ موقف من هذين العملين، فإني أكتفي بوضع ملاحظة قصيرة. لقد استطاع لاندون بفضل المقارنات التي قام بها بطريقة رائعة من ردم الكثير من الثغرات، وتوصل إلى أن نقشَيْ وادي بريصا ليسا لوحدهما متماثلين فحسب، بل نقش نهر الكلب أيضاً. وبصرف النظر عن نجاحاته وإخفاقاته فإن أعماله تكشف ما يمكن للمقارنة بين النصوص الأصلية أن تقدمه.

وفي الختام عليّ القيام بواجب الشكر للجمعية الألمانية الشرقية التي تحملت أعباءً ليست قليلة لزيارتي إلى وادي بريصا، والشكر أيضاً لفريق بعثة بعلبك، وخصوصاً السيد فون لوك، لدعمهم الحماسي لي؛ واخيراً لا بد من شكر الأستاذ د. دوليتزش الذي زودني بالمادة المتوفرة عن نقش نهر الكلب.

ليبزيغ، ٨ نيسان ١٩٠٦. ف. هـ. ويزباخ

تمهيد

١- وصف موضع وادي بريصا[1]

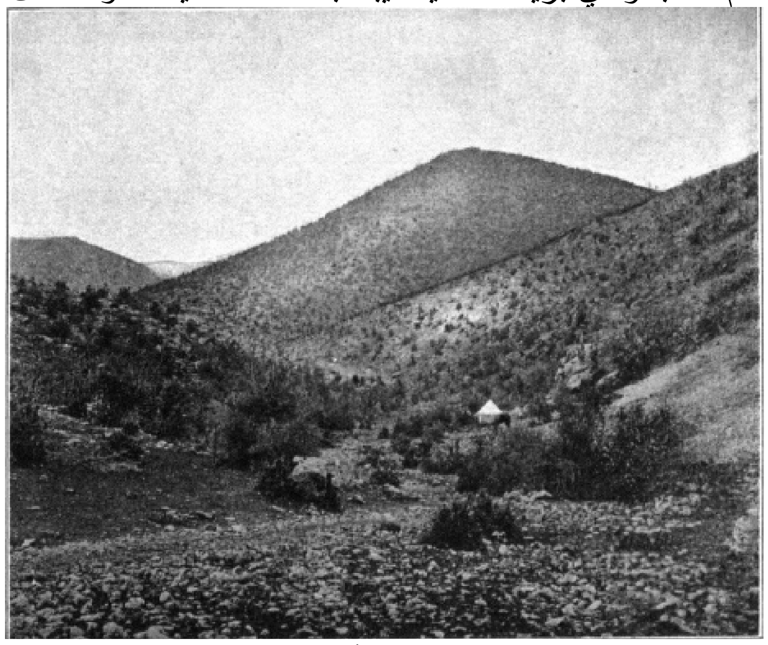
وادي بريصا[2] ضيق ومحفور عميقاً في لبنان. مدخله على البقاع على مسافة ساعة ونصف تقريباً من بلدة الهرمل مركز المنقلب الشرقي لجبل لبنان. بعد ساعة من المسير في منعطفات متنوعة شرقاً وغرباً وانعطاف نحو الجنوب. القسم السفلي من

---

[1] مع الاستعانة الجزئية بوصف كل من بونيون وهيلبرشت. vgl. §§ 3 und **4. D.O.-G. Inschriften vom Wadi Brisa.**

[2] العبارة واردة بالعربية في النص الأصلي: (وادي بريسا)، (المترجم).

الوادي مزروع قليلاً مع أنه فقير بالمياه. على مقربة من مدخل الوادي توجد قرية معروفة باسم "كعب وادي بريصا"[1] حيث يبدأ بالانعطاف قليلاً نحو الشمال.



وادي بريصا: منظر مأخوذ من الجنوب

هنا يوجد النبع الوحيد الذي تتدفق مياهه على المنحدر الشمالي الغربي. البيوت هنا هي ملاجئ أعلى بقليل من قامة الرجل ومبنية بالحجارة غير المنحوتة والطين. سكانه المتاولة على مذهب الشيعة. وبما أن الزراعة ممكنة في منطقة محدودة من الوادي فهم يعيشون على موارد قطعان الغنم والماعز. والوادي غير مسكون أبداً فوق النبع. الصخور المزروعة على جانبي الوادي تقترب من بعضها في قعره ولا تسمح بغير ممر لا يتجاوز بضعة أقدام. وبينما قعر الوادي حيث القرية يمتع النظر ببعض الأشجار المثمرة ففي العالي يقتصر وجود النبات على بعض الشجيرات الشوكية والقليل من الأعشاب التي لا تغطي جوانب الوادي الجرداء. الطريق الذي يتبع التواءات الوادي مبحصة للغاية من بدايتها وصعبة جداً على المشاة. على مسافة ١٠ دقائق من النبع يظهر لنا واد إلى اليسار، ١٠ دقائق أخرى ونصل إلى المكان المقصود في هذه المنطقة النائية التي استقبلت زائراً أوروبياً وربما ستستقبل

[1] نفس الملاحظة السابقة: (كعب وادي بريسا)، (المترجم).

الكثيرين. من اليسير أن نبلغ كوة على يمين الموضع وأخرى على يساره محفورتين في الصخر وفي كل منهما تمثال ونقش كبير. يؤدي الوادي في أعلاه إلى نوع من منبسط مرتفع تحيطه الجبال وترويه كثرة من الينابيع، هذا الموضع يسميه سكان المحلة "مرج حين"[1]. ومنه يمكن الوصول بيسر عبر الجرد، أي المنطقة الوسطى من لبنان، إلى طرابلس سورية (الشام) في مدى يومين.

٢- أول زائر لهذا النصب

أول أوروبي بلغَتْه معلومة بوجود نصب ونقوش وادي بريصا، ولكنه أهملها، هو إرنست رينان Ernest RENAN الذي ترأس "بعثة فينيقيا" المكلفة من الحكومة الفرنسية، وذلك عندما كان في "مشنقة" في حزيران وتموز ١٨٦١. هناك أخبره حجّار أنه شاهد "نقوشاً وتماثيل كبيرة تمثل رجالاً ونساءً" في بريصا، فوق الهرمل.



الكوة الغربية والنقش بالبابلية القديمة

من المؤسف جداً أن رينان، عندما قال: "ما هي بريصا هذه؟"[2]، كان يمكنه الحصول على جواب سريع وأكيد لو أنه قصد المنطقة قرب الهرمل[1]. ولو فعل لما كان هذا

---

[1] نفس الملاحظة السابقة: (مرج حين)، (المترجم).

[2] E. RENAN, Mission de Phénicie, p. 117

العالم الفرنسي أضاف إلى سجل مجده صفحة رائعة فحسب، بل لكان قدم إلى العلم خدمة لا تقدر، لأنه كان توصل إلى هذه النقوش وهي على الأرجح بحالة جيدة في حينه.

٣ - اكتشاف النصب والنقوش

يعود الشرف باكتشاف نقوش وادي بريصا إلى العالم الفرنسي هنري بونيون قنصل فرنسا في حلب. فأثناء رحلته في سورية المجوفة (البقاع) ولبنان في ١٦ تشرين الأول من العام ١٨٨٣ باحثاً على ضفاف العاصي عن نقش تبين أنه غير موجود، قاده مرشده، من أبناء الهرمل، إلى موضع زعم أن فيه آثار مدينة قديمة. بيد أن الموضع تكشف عن بقايا بلدة حديثة. عندها اقترح عليه مرشده أن يدله على وادي بريصا كموضع فيه نقوش. ولكن الفشل السابق جعل بونيون يفكر بالتخلي عن مرشده الذي أكد له أنه شاهد بأم عينه النقوش، فعاد وتبعه. وهذا ما لم يندم عليه لأنه وجد نفسه بعد بضع ساعات أمام كوتين في الصخر وعليهما النقوش والتماثيل المنحوتة. والآن أقدم وصفاً للنقوش متبعاً بشكل وثيق تقرير[٢] بونيون.

أولاً، الكوة على يمين (غرب) الطريق من حوالي ٥,٥م وطرفها العلوي على حوالي ٣م من الأرض. في طرف اليسار من الكوة ثمة تمثال في النقش ما تزال حدوده بينة. وهو يمثل رجلاً واقفاً يمسك بحيوان مستقيماً على قائمتيه الخلفيتين، بينما إحدى قائمتيه الأماميتين مرفوعة وكأنه يهم بضرب خصمه. ثمة نقش يبدأ على اليمين فوق الرجل، وهو من تسعة أعمدة يملأ الفراغ حول التمثال داخل الكوة. ثمة عمود عاشر لم يبقَ منه سوى بعض الحروف القابلة للقراءة. القسم الهام من النقش مفقود، وهو باللغة البابلية القديمة.

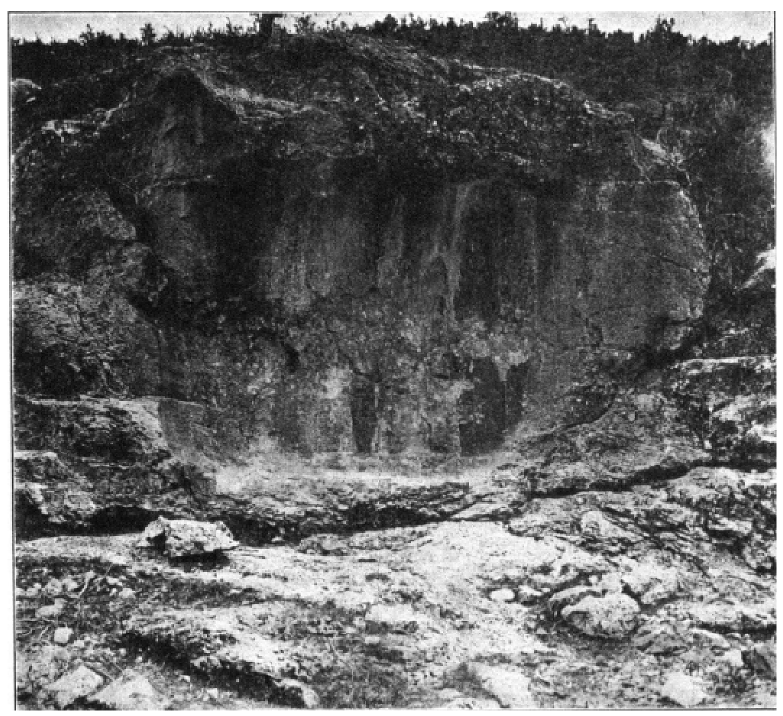
ثانياً، الكوة على يسار (الشرق) الطريق من حوالي ٣,٥م طولاً بارتفاع حوالي ٢,٨م، يرتفع طرفها السفلي عن الأرض حوالي ٥٠سنتم. مع أن مساحة الكوة كافية

---

[1] أرسل رينان لوكروا، عنصراً من بعثته، إلى جوار الهرمل لمعاينة قاموع الهرمل، ولقد صعد في الجبل وسلك وادياً آخر (المترجم).

[2] أول تقرير عن نقوش وادي بريصا وضعه مكتشفها في رسالته المقدمة إلى السيد باربييه مينار Barbier Maynard في كانون الأول ١٨٨٣، راجع: Comtes rendus de l’Acad. Des inscr., IV, ser. II, 412

لاستيعاب النقش فإن الأعمدة الأربعة الأخيرة من الأعمدة العشرة تقع خارج الكوة على نفس الصخرة. في وسط النقش تقريباً نرى تمثالاً منحوتاً يمثل رجلاً وجهه إلى اليسار وواقفاً أمام شجرة عارية من الأوراق. وهو يعتمر قلنسوة عالية تشبه القلنسوة الأسقفية. كتابة النقش هنا باللغة البابلية الجديدة.



الكوة الشرقية والنقش بالبابلية الحديثة

لقد تعرض التمثالين والنقشين أيضاً إلى أضرار بفعل المؤثرات المناخية لعدم توفر الحماية من الجهة العلوية، وكذلك بفعل تخريب مقصود. لقد وجد بونيون أن صفحة النقش تعرضت للتكسير بواسطة آلة حادة، كما أخبره سكان المحلة ان هذا حصل قبل حوالي ١٠ سنوات، عندما افترض المغربي الذي خرب الموضع أن خلف النقش مخابئ كنز، وفق اسطورة واسعة الانتشار في كل الشرق.

لقد قرر بونيون أن النقشين، النقش باللغة البابلية القدية والنقش باللغة الحديثة، يعودان إلى نبوخذصر الثاني (٦٠٥-٥٦٢ ق.م.). ونسخ فوراً قسماً كبيراً من النقوش. ولما بدا له أن يجري مقارنة بالأصل، قبل نشرها، طلب من الحكومة

الفرنسية إرساله بزيارة ثانية إلى المكان، وهذا ما حصل عليه. وفي ١٤ أيار ١٨٨٤ حضر إلى وادي بريصا مجدداً وبقي حتى ١٨ من ذلك الشهر، وهو ينسخ ويأخذ الأرشم. متى أخذ بونيون الصور فهذا غير واضح في تقريره. وكانت ثمرة أعماله مؤلفه "النقوش البابلية في وادي بريصا"[١] Les Inscriptions Babyloniennes de Wadi Brissa, Paris, 1887. وفيه نرى صوره على أربع لوحات، بالإضافة إلى ١٠ لوحات تمثل الكتابة المنقوشة لكل ما استطاع قراءته، ومن بعد ذلك ترجمة مفصلة وتحليلاً ممتازاً وقاموساً صغيراً.

٤ - زيارة هيلبريشت

استرعت أعمال بونيون اهتمام هــ ف هيلبريشت H. V. Hilprecht الذي اغتنم فرصة أول زيارة له إلى الشرق والمخصصة إلى أبحاث حول بيروت من ضمن أمور أخرى، وشرع بالقيام بجولة في لبنان. وزار وادي بريصا في نهاية العام ١٨٨٨، وكذلك منطقة الهرمل بالطبع. لم يتسنَّ له الوقت ليأخذ أرشم النقوش. واعتبر أن النصبين يمثلان "مشاهد من حياة المقاتلين البابليين أثناء واحدة من حملات نبوخذنصر في لبنان"[٢].

٥ - مضمون النقوش

لا ينكر أحد الأهمية الكبرى لنقوش وادي بريصا. وإذا كان نبوخذنصر يخبرنا هنا عن بنائه المعابد في بابل، وعيد رأس السنة فيها، علاوة على ما يقدمه من قرابين لآلهتها، وحول أسوار المدينة، وكذلك أخيراً حول حملته في لبنان، وذلك بطريقة مفصلة أكثر مما هي الحال في جميع باقي نقوشه الكبيرة، فإن نقوش وادي بريصا تتضمن، أو كانت تتضمن، الكثير من المعطيات التي نبحث عنها عبثاً في باقي نقوش نبوخذنصر. ومن ذلك المحاور الثلاثة: عيد رأس السنة (P. Jensen)، حملة نبوخذنصر في سورية، وأسوار بابل.

---

[1] لم ينشر تقريره إلى الحكومة الفرنسية قبل العام ١٨٨٨، في: Archives des missions scientifiqhes, III, ser. 14, 345

[2] مجلة: Zeistschrift fur kirchliche Wissenschaft und, kirchliche leben, 1889, vol. X, pp, 490-497؛ وكذلك: The Sunday School Times, VOL. 31, P. 547. لم يتسنّ لي الحصول على هذه المجلة (المترجم).

٦- الحاجة إلى إصدار جديد حول وادي بريصا

بدت لي الحاجة إلى إصدر جديد حول نقوش وادي بريصا منذ بدأت التعمق فيها. إن ما نشره بونيون عمل محترم. ولكن إذا كانت الدراسات حول كتابه بعد عقد ونصف على تقدم العلم أعطت تحسينات متنوعة، فبوسعنا توقع المزيد بفعل المقارنة مع النقوش الأصلية. لقد عين بونيون الكثير من مقاطع النقش بأنها "غير مقروءة"؛ على سبيل المثال: العمود رقم ٥ من النقش بالبابلية الحديثة، من Z إلى ٢٥. ولكن استناداً إلى صورته (اللوحة رقم ٤)... وبالعودة إلى الأصل قد يجلي الكثير من الغموض.

سبق لبونيون أن لاحظ أن أقساماً كبيرة من النقشين متطابقة حرفياً مع بعضها. وبالتالي فالمزيد من العمل التفصيلي على حالات التطابق يكشفها أكثر ويدعو إلى افتراض أن النقشين يتضمن كلاهما نفس النص. وسواء صحت هذه الفرضية أم لا، فإن التحقق منها لا يكون بغير تفحص دقيق لواقع النقوش الأصلية.

النقش الصغير في الزاوية السفلية اليسارية من الكوة الغربية يشكل لغزاً. يرى بونيون أن سطوره الثلاثة الأول هي ابتهال إلى الإلاهة غولا. وهذا لغز غير مفهوم على الإطلاق، فلماذا يكرس لها نبوخذنصر نداءً بينما هي لا تحتل في باقي نقوشه غير موضع ثانوي؟

كذلك افترض هيلبريشت أن هذا قد يكون العمود الأول من النقش، وهو من ضمن موضوعه الأساسي.

يزعم بونيون أن القسم السفلي من الكوة الغربية مختفية تماماً، ولكن استناداً إلى صورته (اللوحة ٤) يبدو لي بالعكس كما لو أن هذا القسم السفلي محجوباً خلف التراب أو خلف كتل من الحجارة. ولا بد للتأكد من صحة هذا الافتراض من بذل جهد صغير.

أخيراً، ربما المطلوب اكتشاف مدلول النحتين الموجودين وسط النقشين. وصور بونيون لا تفي بالغرض، ويفترض هيلبرشت أنهما يمثلان مشاهد من حياة معسكرات القوات البابلية. ولكن لا شيء يكون مرضياً بغير التمحيص الدقيق للموضع.

استناداً لما سبق، أخذت على عاتقي تنفيذ المهام الواضحة هنا خلال زيارتي لوادي بريصا.

٧- تقرير حول زيارتي لوادي بريصا

وصلت في الأول من نيسان ١٩٠٣، إلى دمشق عائداً من بابل. ولكن تلهفي لزيارة وادي بريصا لم تخفف من حدته المدينة الرائعة التي لم يكن لأي أوروبي إلاّ أن يشعر بروعتها، وهكذا وجدت نفسي في اليوم الثالث، بعد أن أنجزت الأمور الأكثر ضرورة، على طريق بعلبك يصحبني خادمي نَصوري بن اسطفان Naşşûri ibn Işţîfân، مسيحي من بغداد. لم تعد هذه الرحلة متعبة أبداً منذ أن بدأ بالعمل خط سكة الحديد رياق- حماة المتفرع عن خط دمشق- بيروت. وصلنا بعد ظهر الأمس إلى بعلبك، وشرعت مباشرة بعد زيارة منزل البعثة الألمانية التي تدرس آثار المدينة القديمة، في مهمتي السامية. فقيامي بزيارة مرعية لوادي بريصا تحتاج إلى أعضاء من البعثة المبلغة مسبقاً وخطياً، وطلبوا معرفة قصدي، وهو مساعدتي بمشورتهم وخبرتهم. ولقد برهن السادة نحوي عن رعاية فاجأتني واستدعت مني كبير الامتنان. وكان المتوالي أبو محمود من العاملين في البعثة، وكان عارفاً بالمنطقة وأهلها حيث سأقوم بزيارتي؛ لقد قدموا كل ذلك وأكثر. ولأن زيارتي لوادي بريصا لا يمكنها أن تتكلل بغير نصف نجاح على الأكثر بدون أخذ صور فوتوغرافية، وأنا شخصياً عديم الخبرة في "الفن الأسود"، فضلاً عن افتقادي لآلة تصوير، فقد تطوع بكل لطف السيد ت. فون لوك (Th von Lüpke)، أحد أعضاء البعثة، لمرافقتي. وله يعود الفضل، هذا ما أقوله سلفاً، بصور العرض من ١ إلى ٤، واللوحات من ١ إلى ٦.

في اليوم التالي، بعد أن اطلعت على انجازات الألمان في بعلبك، كانا جاهزين للانطلاق. بدأنا رحلتنا في القطار إلى بلدة لبوة. هناك ذهب السيد فون لوك بصحبة أبي محمود إلى البلدة التي تبعد مسافة ساعة تقريباً عن محطة القطار، بحثاً عن مقام الشيخ Sêh. بينما بقيت في المحطة مع خادمي وقضيت الليل تحت خيمتي. وفي الصباح التالي وصل السيد لوك وأبو محمود بعد أن رتبا أمر حيوانات النقل والمستلزمات. ثم انطلقنا في النهار على الخيل قاصدين جوار الهرمل. كان الدرب

صعباً للغاية، خصوصاً بالنسبة لنا نحن الأوروبيين. خلفنا كانت هناك قمم السلسلة الشرقية الجرداء، وأمامنا سلسلة جبال لبنان التي كانت قممها الجليلة مغطاة جزئياً بثلوج الشتاء. في غضون ذلك كانت أمامنا مداخل سورية المجوفة (البقاع) تمتد على مد النظر. ومنازل الهرمل البيضاء تلمع أمامنا على المقلب الشرقي للبنان. بدا الطريق طويلاً، فكان علينا فجأة أن ننحرف باتجاه اليسار، لنترك على يميننا النصب المعروف باسم "قاموع الهرمل"[١] هذا البرج الصغير المبني بالحجارة القديمة، والذي كان يعين مستوى سطح السهل؛ كان يستحق معاينته ولكن ضيق الوقت حرمنا منها. بين خط سكة الحديد ولبنان ثمة هدير في وادٍ أشبه بشعب في الجبل حيث يشق أورنط (العاصي) طريقه عميقاً، هذا النهر باسمه العربي (نهر العاصي)، النهر المتمرد.

كان اجتيازنا نزولاً لمخاضة العاصي وصعودنا إلى الجهة المقابلة صعباً جداً ما اضطرّنا إلى النزول عن الجياد وقيادتها ممسكين بلجامها. بعد مسير أربع ساعات بلغنا بلدة الهرمل. اتجهنا مباشرة إلى شيخ لبنان (Sêh du Liban) حسن أ (Hasan A) الذي كنا نحمل له كتاب توصية من بعلبك. استقبلنا حسن بمودة وعاملنا على الطريقة الشرقية بتقديم القهوة وعصير الليمون وحبات الحلوى. بيد أنه عندما أبلغته أننا ننوي المتابعة إلى وادي بريصا، عمل على عدولنا عن ذلك بكل السبل، مؤكداً أن الثلج ما يزال بسماكة أكثر من متر في الوادي، وبالتالي فهو ليس على استعداد بتحمل أي مسؤولية من هذا النوع. أزعجنا موقفه هذا قليلاً، ولكنه أمام إصرارنا عاد ووافق مرغماً. لقد تم تفريغ حمولتنا بدون علمنا، ورغم إرادتنا، ولما استعدنا كل شيء وحيوانات بديلة، وتم تحميلها امتطينا الجياد، يصحبنا جندي زودنا به الشيخ حسن، وانطلقنا في طريق مبحصة على سفوح الجبال باتجاه الشمال. بعد ساعتين دُرنا في الوادي، في القرية السفلية التي اجتزناها؛ بداية صادفنا على مقربة منا رجلاً أمام منزله دعانا إلى زيارته بحرارة، وهو يقترب منا بسرعة. لقد كان الشيخ مصطفى. لم يكن بوسعنا التجاوب مع دعوته الصادرة عن حسن طوية، لأن الوقت كان يداهمنا ويستدعي إسراعنا. ولكني وعدت الرجل أن زيارتنا له تشرفنا

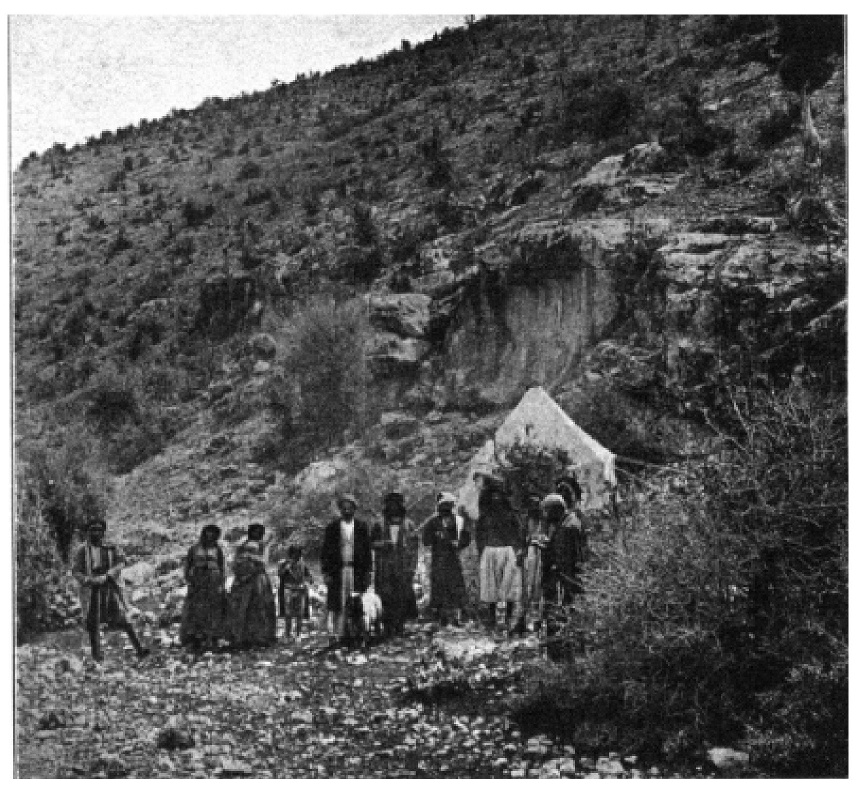
---

[1] العبارة واردة بالعربية في النص الأصلي: (قاموع حرمل)، (المترجم).

في مرة أخرى، ولقد أبدى لاحقاً الكثير من اللياقة نحوي. بعد ساعة كنا بالقرب من النبع، لنصل في عشرين دقيقة منه إلى الموضع المقصود. سرعان ما أنزلنا حمولتنا؛ وعاد أبناء الهرمل مع دوابهم، باستثناء الجندي. نُصبت الخيمة مباشرة بقرب النقوش. وبما أن الوقت صار متأخراً على بدء العمل، اقتصرنا على تفحص النصب بدقة والقيام بنزهة صغيرة صعوداً في الوادي. وتبين لنا أننا كلما تقدمنا في السير كلما بدا لنا المكان مشابهاً، باستثناء تقلص عرض الوادي في الأعلى. بعد حوالي ربع ساعة من موضع النقوش صادفنا وادياً آخر ينحدر إلى اليسار. أما الثلج الذي حدثنا عنه حسن، فكان كحكاية أحد الشعانين[١]؛ فالثلج لا يبدو سوى على رؤوس القمم. ولكن الطقس سرعان ما بدأ يسوء وهطل المطر ليلاً بغزارة، بينما ظروف إقامتنا لا تقدم أي حماية تحت الخيمة. ولكن مرافقينا الشرقيين الثلاثة، أبو محمود ونصري والجندي، عثروا في الوادي على مغارة في سفح الجبل الشرقي، ما وفر ملجأ موقتاً لليل.

---

[1] هو الأحد الذي يحتفل به المسيحيون بدخول المسيح إلى القدس حيث سيحكم عليه بالموت.



الخيمة وموقع النقوش

في صباح اليوم التالي (الاثنين، ٦ نيسان) بدأنا بعملنا. بينما كان السيد فون لوك يحمل آلة التصوير ويلتقط صورة هنا وأخرى هناك، عند هذا الجانب وذاك، كنت أقابل ما طرحه بونيون حول توزيع النقوش. أما أبو محمود والجندي، فكانوا يساعدون فون لوك في تثبيت آلات التصوير، ويعملون على كشف التربة بحثاً عن بعض السطور، وعند الكوة الغربية تحت نقش الابتهال إلى غولا. بهذا العمل، تحقق افتراضي بأن القسم السفلي من اللوحة ليس ضائعاً بلا أثر، بل هو مخفي تحت التراب. بقي السيد فون لوك معنا لمدة ثلاثة أيام؛ وبعد أنهى التقاط الصور التي رسمت الموقع والنقوش، وأجرى قياسات الكوّتين، ودّعنا في صباح الثامن من نيسان. رافقه أبو محمود حتى محطة القطار، ليعود صباح اليوم التالي إلى الموضع. والآن بدأ فوراً العمل لأخذ الأرشم. كان العمل في الأقسام السفلية من النقوش سهلاً، ولكن الأمر صار مختلفاً عند الأعمدة في المناطق العليا التي يصعب بلوغها. بيد أن شقيق الشيخ مصطفى المقيم بقرب النبع وفر لنا سلماً. هذا بالإضافة

إلى أن ابنتيه كانتا تزودانيا بالماء التي نشتريها معبأة في جرة. وأخيراً فان هاتين الفتاتين كشفتا، بواسطة الرفش والمعول، في ١٢ نيسان، يوم أحد الفصح، القسم السفلي من الكوة الغربية المطمور تحت التراب. بعد يوم أنهيت أخذ الأرشم؛ وهكذا كان بوسع أبو محمود الذي قدم لي العون الأساسي بالتعاون مع نصوري العودة إلى بعلبك. أما الجندي فقد تحجج سلفاً بأعمال طارئة، وغادرَنا. بقيت لوحدي مع نصوري في الأيام اللاحقة، أدرس الرشم وأنظمها، واستبدل منها التي لا تروقني، واتحقق من الأمكنة الصعبة في النقوش لمرات متعددة. وفي صباح ١٧ نيسان، انطلقنا عائدين بعد أن قضينا أحد عشر يوماً في هذا الموضع المشهود. بهبوطنا الوادي كان لا بد لنا من المرور بالشيخ مصطفى الذي أعد لنا احتفالاً وذبح لنا خروفاً كتعبير منه على تكريمي. ولكن عندما بلغنا الهرمل عند الظهر قررت عدم المرور بالشيخ مصطفى، وضياع بضع ساعات أخرى. فانعطفت يساراً بقافلتي الصغيرة عند المنازل الأولى للهرمل. تابعنا المسير على الحصان على هذه الطريق المتدرجة حتى بلغنا شارعاً مريحاً يؤدي في نهايته إلى العاصي، وحيث النهر عريض المجرى ويتم اجتيازه على جسر مبني بالحجارة. الوادي هنا أكثر اتساعاً وفيه بعض الملاجئ التي يمكن القول أنها معلقة على الصخور. وما أن ابتعدنا قليلاً بمحاذاة النهر وانحرفنا حتى باتت الصخور تقترب من بعضها لتسد الطريق التي تتجه عندها إلى الشرق لتؤدي مباشرة في الصعود إلى الهضبة. وما أن وصلنا إلى الأعلى حتى شاهدنا ثانية نصب الهرمل الذي صرفنا النظر عنه مرة أخرى وتركناه على يميننا. بعد أربع ساعات بلغنا محطة رأس بعلبك. لقد استغرقتنا الطريق من نقوش نبوخذنصر حتى توقفنا ٨ ساعات بالتمام، بينها ساعة وربع الساعة عند الشيخ مصطفى.

ثمة قطار واحد يتحرك على خط سكة الحديد في سورية، في كل يوم وباتجاه واحد. وهكذا فإن قطار حماة كان قد وصل بعد رياق، وبالتالي كان عليّ النوم ليلة أخرى تحت الخيمة. وصباح اليوم التالي، كنت في بعلبك مجدداً حيث كان السيد فون لوك والصور واللوحات المظهرة بانتظاري. قضيت السهرة في مركز إقامة مواطِنيّ المحترمين. غادرت في اليوم التالي، في ١٩ نيسان، بعد تقديم آيات الشكر القلبية لمساعدتهم الثمينة والنشيطة، لأكمل بعيداً رحلة العودة.

٨- نتائج رحلتي إلى وادي بريصا

إن النقشين، نقش اللغة البابلية القديمة ونقش اللغة البابلية الحديثة، يحتويان كلاهما نفس النص الواحد. القسم السفلي من الكوة الغربية مغطى بالتراب، وإن كانت بعض محتوياته تعرضت للتلف. كما أن طرفها السفلي غارق في الأرض لعمق نصف المتر. لقد تبين أن الكوتين كانتا منذ البداية صغيرتين على حجم النقش. وبينما كان النقاش يستعين بالحجارين لينقش خلاصة النقش على طرف اليمين من الصخرة نفسها التي لم يبقَ فيها هناك متسع، وجد نفسه ملزماً على توسيع الكوة من الأسفل[1]. يجب اعتبار النقش المزعوم مخصصاً إلى غولا بوصفه استمراراً مباشراً من الأعلى للعمود التاسع، وبالتالي كأنه العمود العاشر. وهكذا هنا لدينا أيضاً ١٠ أعمدة قصيرة متتابعة، ولم يبقَ منها غير بعض الأثر. خلاصة النقش بالبابلية القديمة كانت موجودة تحت، وعلى الأرجح، للجهة الأخرى للعمود رقم ٩، لأن بقايا الكتابة المسمارية ما تزال موجودة على القسم الذي كان مطموراً بالتراب.

يبدو أن حالة نقش وادي بريصا بقيت على ما كانت عليه منذ زمن بونيون. لقد عثرت على الحروف التي قرأها سلفي، وربما بدون استثناء. وقلما أخطأ في المواضع الظاهرة جيداً. ولهذا فإن التفحص الأكثر دقة للمواضع التي كانت غير مرئية تماماً كشف عدداً كبيراً من الحروف الأخرى، في جميع السطور بالطبع؛ وإني لأفترض أن زائراً لاحقاً قد يخلص بنتائج أفضل.

أما في ما خص التمثالين المنحوتين في الكوتين، فقد توصلت إلى قناعة بأنهما يمثلان شخص الملك نبوخذنصر الثاني[2]، وذلك للأسباب الآتية:

١- في موضع واحد من النقش بالبابلية الحديثة (العمود ٩، السطر ٥٠) يقول نبوخذنصر بنفسه أنه وضع صورة جلالته، مباشرة بعد الاعلان عن حملته في لبنان. وهكذا من المعقول الافتراض أن الصورة نقشت هناك في حينه.

---

[1] مساحة كل من النقشين التي التقطها بالصور السيد فون لوك، بناءً لطلبي، هي: ٥,٤٥م طول بارتفاع ٢,٢٠م للنقش بالبابلية القديمة، و٥,٤٠ طول بارتفاع ٢,٨٠م للنقش بالبابلية الحديثة.

[2] لم يتردد ماسبيرو (Maspéro: Histoire ancienne des peuples de l'orient classique, t. 3, 1899, p. 543) في تفسير تمثال الكوة الغربية بأنه يمثل مشهد قتال بين نبوخذنصر والأسد، كما لاحظت لاحقاً.

٢- تمثال الكوة الشرقية يعلن ببساطة أن الرجل الواقف أمام الشجرة العارية، ربما كان أمام شجرة أرز. هنا نبوخذنصر يروي (النقش بالبابلية القديمة، العمود ٤، السطر ٤؛ النقش بالبابلية الحديثة، العمود ٢، السطر ٢٠) أنه احتل لبنان وقطع شجرة الأرز "بيديه الطاهرتين".

إذا كان التمثال المنحوت في الكوة الشرقية يمثل نبوخذنصر فالأمر كذلك في الكوة الغربية، لأن تمثال الرجل هو ذاته في الكوتين. المعركة مع الأسد غير واردة في النقوش، ولكن ذلك لا ينفي احتمالاً بأنها كانت موجودة، وربما كتتمة للكلام حول نحت صورة الملك. من المعروف أن اصطياد الأسود عند الأشوريين كان رياضة ملكية. يفتخر تغلاتفلاصر الأول بأنه اصطاد أكثر من ٩٢٠ أسداً (Prisme VI, p. 76). وأشورناصربال قتل ٣٧٠ أسداً وأمسك ١٥ أحياء، ووضع في حديقة الحيوانات ٥٠ شبلاً (Annals of kings f Assyria, ed. By Budge & King, vol. 1, p. 202). وأشوربانيبال عمل على نحت نقش له يمثل مشهد صيد الأسود (Delitzsch, Assyrische Lesestücke 4. Aufl. S. 74). وهذا المشهد يشبه مشهد وادي بريصا ويختلف عنه بوضعية الأسد الهارب، بينما هو في وادي بريصا بمواجهة الخصم ويهم بالهجوم. وفي التمثالين يمسك الصياد الحيوان بيده اليسرى، بينما بيده اليمنى سلاح موجه إلى الحيوان. في النقش الأشوري السلاح كناية عن هراوة سحقت رأس الأسد، بينما في النقش البابلي السلاح بالأحرى سيف محني[1].

إذا صح التقدير بأن تمثالي وادي بريصا يعودان إلى التجارب الشخصية لنبوخذنصر، فإنهما يصبحان على قيمة كبيرة، لأنه لا يوجد حتى الآن أي رسم لهذا الملك البابلي.

٩ - اكتشاف نقوش نهر الكلب

يشكل مصب نهر الكلب الواقع على ثلاث ساعات شمالي شرقي بيروت موضعاً على أهمية تاريخية كبيرة. فما فيه من نقوش، أشورية وبابلية ومصرية ويونانية

---

[1] أثناء إقامتي في وادي بريصا أخبرني سكان المنطقة أن تمثالاً لأسد موجود في جبال أكروم. ولأن المعلومات بدت على مبالغة كبيرة، لجهة القول أن التمثال يترافق مع نقوش كتابية، امتنعت عن القيام بزيارة لتلك المحلة. من الواضح أن المقصود هو صورة المشهد الذي زاره لامنس عام ١٨٩٩ ومن بعده رونزفال عام ١٩٠٢ والمنشورة في: Musée belge, 6, 37, 1902، وفي: Revue biblique, 12, 601, 1903. ولكن هذا النصب بالشخص الممثل في المشهد بقلنسوته الحادة وثوبه الطويل، والأسد يتقدم نحوه، لا يبدو لي أشورياً أو بابلياً، بل هو بالأحرى فينيقي محلي.

ولاتينية وعربية وفرنسية، يعطينا صورة عن المصير المتقلب على مدى آلاف السنين الذي شهده هذا المصب. توجد أكبر النقوش على صخور الضفة الجنوبية للنهر، وهي معروفة منذ زمن طويل، وغالباً ما سبق وزارها الرحالة ووصفوها. ثمة نقوش أخرى موجودة على الضفة الشمالية تعرف إليها في ربيع ١٨٧٨، مارتن هارتمان Martin Hartmann، المترجم حينها في القنصلية الألمانية العامة في بيروت. لاحظ العاملون في بناء قناة على وجه صخرة مغطاة بالعليق والشجيرات الكثيفة علامات مرسومة غريبة فانتزعوا منها قطعة بطول وعرض ٣٨سنتم. تم الاحتفاظ بهذه القطعة في مقهى مجاور ثم اخذها صاحب العقار المجاور لمنزله في سبناي. ولكن المستشرق هارتمن حصل عليها بعد جهد. نقل المستشرق هذا النموذج الأول إلى ألمانيا حيث تفحصه في برلين إ. شرايدر E. Schrader الذي قرر (١٨٨١)، استناداً لتقرير هارتمن، أن لا قيمة له لأن أي سطر فيه لا يحوي على كلمة كاملة. في شهر آب من تلك السنة وضع هارتمن السيد هـ. غوت H. Guth بصورة هذه اللقية، لدى وصوله إلى بيروت آتياً من فلسطين. قرر غوت معاينة كامل النقش على الصخرة بعد إزالة العليق والشجيرات عنها. ولكن الفرصة لم تواتيه لزيارة نهر الكلب. فصنع نموذجاً عن القطعة المأخوذة من سبناي وأخذها إلى ألمانيا حيث تركها إلى دليتزش F. Delitzsch. لقد تقرر صدور تقرير حول هذه القطعة في مجلة الجمعية الفلسطينية الألمانية، وهذا ما لم يحصل.

وفي شهر أيلول قصد هارتمن بصحبة نائب قنصل الدنمارك، جول لويتفد Julius Loytved، نهر الكلب، بعد أن تم تنظيف الصخرة قليلاً في غضون ذلك. عمل لويتفد مع خادمه على تنظيف مجال أوسع في الموضع، وقام بتصوير شتى مواقع النقوش (vgl. Abb. 5 S. II).

كان الإعلان الأول في أوساط العلماء عن هذه اللقية على يد أ. هـ. سايس[1] A. H. Sayce الذي التقى هارتمن في بيروت، في ربيع ١٨٨١. أرسل لويتفد، بعد أن أنهى عمله، إلى صديقه هـ. ب. كريسترام تقريراً قصيراً وصوراً، وبعد فترة أتبع ذلك بنماذج، قام الأخير بارسال الصور إلى سايس. اعتبر العالم بالأشورية أن

---

[1] راجع: Brief vom 16. V 188I, Acadermy, 1881, I, 373.

النقوش بابلية، وصاحبها نبوخذنصر، وبعد بضعة أسابيع نشر معظم محتويات العمود الأول، على أن ينشر الباقي قريباً.

أرسل السيد لوتفيد صوره والنماذج التي أعدها إلى أكاديمية النقوش الباريسية، وعنها تحدث السيد ف. لينورمان، في جلسة الأكاديمة، في نهاية ١٨٨١ أو بداية ١٨٨٢. وبما أن هذا التقرير لم يُنشر سابقاً، ونظراً لأهميته، أنشره هنا.

"سيدي العزيز

إليكم نسخة عن المطالعة التي قدمها السيد ف. لينورمان حول موضوع عرضكم أمام الأكاديمية (Académie des Inscriptions et Belles-lettres).

يشرفني أن أعرض أمام الأكاديمية، باسم السيد جول لويتفد Jules Loytved، قنصل الدنمارك في بيروت، أرشم النقوش المسمارية الجديدة التي اكتشفها مؤخراً على صخور الضفة الشمالية لنهر الكلب.

بالإضافة إلى الرشم، هناك صورة فوتوغرافية للصخرة الحاملة للنقوش، ومخطط مع كل الملاحظات الضرورية يعين وضع النقوش؛ وأخيراً صورتان أكثر توسيعاً لهذه النصوص التي تضم أربعة أعمدة. يسهل، من النظرة الأولى على الأرشم والصور، التعرف إلى أن الوثيقة التي أمامنا هي كتابة بابلية، وبالتحديد من النوع المستعمل في معظم نقوش نبوخذنصر. وفي الحقيقة فإن اسم هذا الملك متبوعاً بقسم من ألقابه المعتادة يُقرأ بيقين في النقش وفي الأرشم والصور.

إن النصب الجديد المكتشف عند نهر الكلب يضيف اسماً جديداً، اسماً مشهوراً للفاتح الرهيب الذي أسقط صور والقدس، إلى لائحة الفاتحين المصريين والأشوريين الذين خلدوا ذكرى فتوحاتهم بالنصب التي نقشوها على معبر هذا النهر القريب من بيروت.

إن لقية نصب من النوع العائد لنبوخذنصر في فينيقيا تشكل للعلم حدثاً فعلياً: هذه أول وثيقة نقشية عن الحروب الكبرى لهذا الملك الذي تحتل فتوحاته مساحة واسعة في أسفار التوراة؛ لا سيما وأنه من المعروف كظاهرة فريدة أن جميع نقوش نبوخذنصر المعروفة حتى اليوم (باستثناء نبذة قصيرة من حولياته المحفوظة على لويحة في المتحف البريطاني) تمجد بفخامة الأبنية الكبرى التي أقامها على شرف الآلهة، ولكنها لا تذكر بشيء حروبه وانتصاراته. هذا الاهتمام بمجد بنّاءٍ لا مثيل له

يتجلى أيضاً في نقش نهر الكلب. ففيه على الأقل عمود يعالج بكليته أعمال البناء التي يُشار إلى أنها واقعة في جوار مدينة سيبارا. بيد أني أتبين في سياق النص بعض مقاطع الجمل التي يبدو أنها تعود إلى رواية حملة عسكرية. ولكن النقش مع الأسف صعب القراءة بفعل سوء حالته البينة في الأرشم والصور على حد سواء.

لم أنجح في تحليلي لهذا النقش بفك رموزه أكثر بكثير مما قاله السيد سايس في العديد من الدوريات الإنكليزية. ولكن يبدو لي أن الدراسة المطولة يمكنها أن تقدم نتائج أفضل، خصوصاً الآن، بعد أن أصبحت الأرشم الورقية للنقش التي لم تكن بحوزتنا في مكتبتنا وهي بتصرف العلماء. لقد اختار السيد لويتفد معهد فرنسا (Institut de France) ليضع لديه ما جمعه من أرشم، ليوجه التحية من خلاله إلى المجموعة العلمية الأولى في أوروبا، وليثير خصوصاً على النص المسماري الأول اهتمام الآثاريين الفرنسيين.

تقدر الأكاديمية مراعاتها هذه، النابعة من مسؤول في أمة كان لها على الدوام صلاة تعاطف وثيقة وصداقة؛ وتهنئ القنصل الدنماركي في بيروت على لقيته التي، وإن لم نتمكن من الاستفادة منها كثيراً كوثيقة أثقلتها عاديات الزمن بالتخريب، تبقى دوماً، لمجرد ملاحظة وجود نصب مسماري لنبوخذنصر في فينيقيا، على أهمية من الدرجة الأولى بالنسبة للتاريخ.

تقبل سيدي العزيز التأكيد على أفضل مشاعري.

المخلص ج. شلومبرجر G. Schlumberger".

أرسل لويتفد لاحقاً نموذجاً لهذه النقوش إلى رستم باشا، متصرف لبنان. وفي جلسة الأكاديمية[1] في أيار ١٨٨٢، أعلن لينورمان أن مضمون النقش عبارة عن تعداد القرابين التي قررها نبوخذنصر لبعض معابد بابل.

١٠- زيارتي إلى نهر الكلب

عندما عدت إلى بيروت قررت زيارة نهر الكلب. جمعتني الصدفة مساء وصولي (٢٢ نيسان ١٩٠٣) مع هوغو وينكلر Hugo Winckler الموجود في بيروت

[1] Comptes rendus de l'Académie des inscriptions, IV. Série 10, 86.

حينذاك آتياً من صيدا. وقررنا نحن الاثنين القيام بزيارة إلى جبيل، والمرور بنهر الكلب في السيارة. وهكذا قصدنا في اليوم التالي نهر الكلب حيث تمت المعاينة بإشراف وينكلر. استعان الزائر بسلم استعمله كجسر ليبلغ نقوش نبوخذنصر وذلك لاجتياز الحقل الفاصل بين الصخور والنهر. ليس من السهل الوصول مباشرة إلى النقوش، لأن هناك قناة ماء بعمق من ٥٠ إلى ٦٠سنتم داخل الصخرة بالذات. هذا فضلاً عن أن أرض الحقل تكون كالمستنقع طيلة فترة طويلة من العام، وحافة النقوش يتدفق عليها الماء الذي يصب في الحقل.

ولأنه استحال عليّ تجاوز العقبات التي حالت دون حصولي على نسخ جديدة قبل رحيلي (٢٥ نيسان)، تراجعت بفعل قوة الأمور. ولكنني قمت في اليوم التالي بزيارة شقة السيد لويتفد حيث توجد نسخه وقمت بتصويرها.



الصخور الحاملة لنقوش نبوخذنصر على الضفة الشمالية لنهر الكلب

١١- وصف مقاطع النقوش

لأنني لم أستطع الشروع بأخذ القياسات والقراءة ميدانياً في الموضع، سأقدم الوصف استناداً إلى التقرير المذكور للسيد هارتمان. إن الرسم ٥ المعد استناداً إلى الصورة يشير إلى أن تقريره صحيح في كل الأمور الأساسية. وبالنتيجة، يجب التمييز بين ٥ مقاطع من النقوش؛ الرقم واحد منها، وهو الأوسع، والأبعد إلى

الغرب. الباقي ينطوي على أربعة أعمدة. وعلى مسافة متر تقريباً إلى الشرق، وحتى سطح الماء في القناة، يبدأ المقطع الثاني، ومنه بقيت فقط بضعة رموز عند حافته.

وعلى مسافة متر تقريباً، من جديد، وعلى متر عن سطح الماء، المقطع رقم ٣، رموزه متلوفة كلياً تقريباً.

وكذلك المقطع رقم ٤، يقع على متر أيضاً إلى الشرق، وعلى ارتفاع أربعة أمتار.

المقطع الخامس، يقع بعيداً إلى اليمين، على صخرة نافرة تمت تسوية وجهها بالنحت. وهنا أيضاً كل شيء تالف. لم تنجح محاولة أخذ رشم له نظراً لاستمرار تدفق الماء.

١٢ - المادة التي جمعها لويتفد

بما أني كنت أغذي الرغبة بأن نقوش نهر الكلب بعد عقدين على اكتشافها، يجب إعلانها للعلماء الذين ليسوا في وضع يسمح لهم بزيارة الموضع، فاقترحت لدى عودتي إلى ألمانيا على السيد الأستاذ د. دوليتزش شراء المادة التي جمعها لويتفد. وفي الحقيقة، بعد بضعة أشهر أصبحت المادة متوفرة في المتاحف الملكية في برلين، وزودني بها السيد دوليتزش لمعالجتها.

وكانت تضم الآتي:

أولاً، ثلاث صور، وهي: (أ)، لقطة عامة لمجمل الموضع على أساس الرسم رقم (٥)؛ (ب)، لقطة للنقش الأكبر (الرقم ١)؛ (ج)، لقطة جزئية للعمود ١، والعمود ٢[١٢-٣٨]، من هذا النقش.

ثانياً، نسخ عن النقوش من ١ إلى ٤.

ثالثاً، مخطوط من ٦ صفحات يتضمن نسخاً من الصفحة ٩ من تقرير شلومبرغر وصفحة من تقرير لينورمان المذكور.

رابعاً، نموذج على طريقة بوسكوينز Boscawens، "خريطة تخطيط لمعبر نهر الكلب" (Transactions of the Society of bibl. Archaeology Bd. 7)، رُسم عليها موضع نقوش نبوخذنصر كتابة .

وبالنتيجة ينقصنا نماذج النقش ٢ و٣ و٥. ولكن استناداً لرأي هارتمن فإن النقشين ٣ و٥ غير مقروءين، والنقش ٢ معروف وصفه من قبل لونورمان. لقد تم إعداد النسختين بعناية، ولكنهما تعانيان من قدمهما ومن فراغات عند الأطراف. بيد إننا توصلنا بفضل المقارنة المستمرة والتفصيلية بين الصور (ب) و(ج) من تفكيك أكيد لكل صف السطور والرموز المبعثرة.

١٣- النتائج

النقش الكبير (الرقم ١) أكثر اقتراباً في مضمونه مع نص نقش وادي بريصا. وذلك كالآتي:

نهر الكلب، العمود ١ يقابله في نقش وادي بريصا (البابلية الحديثة) العمود ٤(٤٩-٧٠).

نهر الكلب، العمود ٢ يقابله في نقش وادي بريصا (البابلية الحديثة) العمود ٧(١٥...-٥٠).

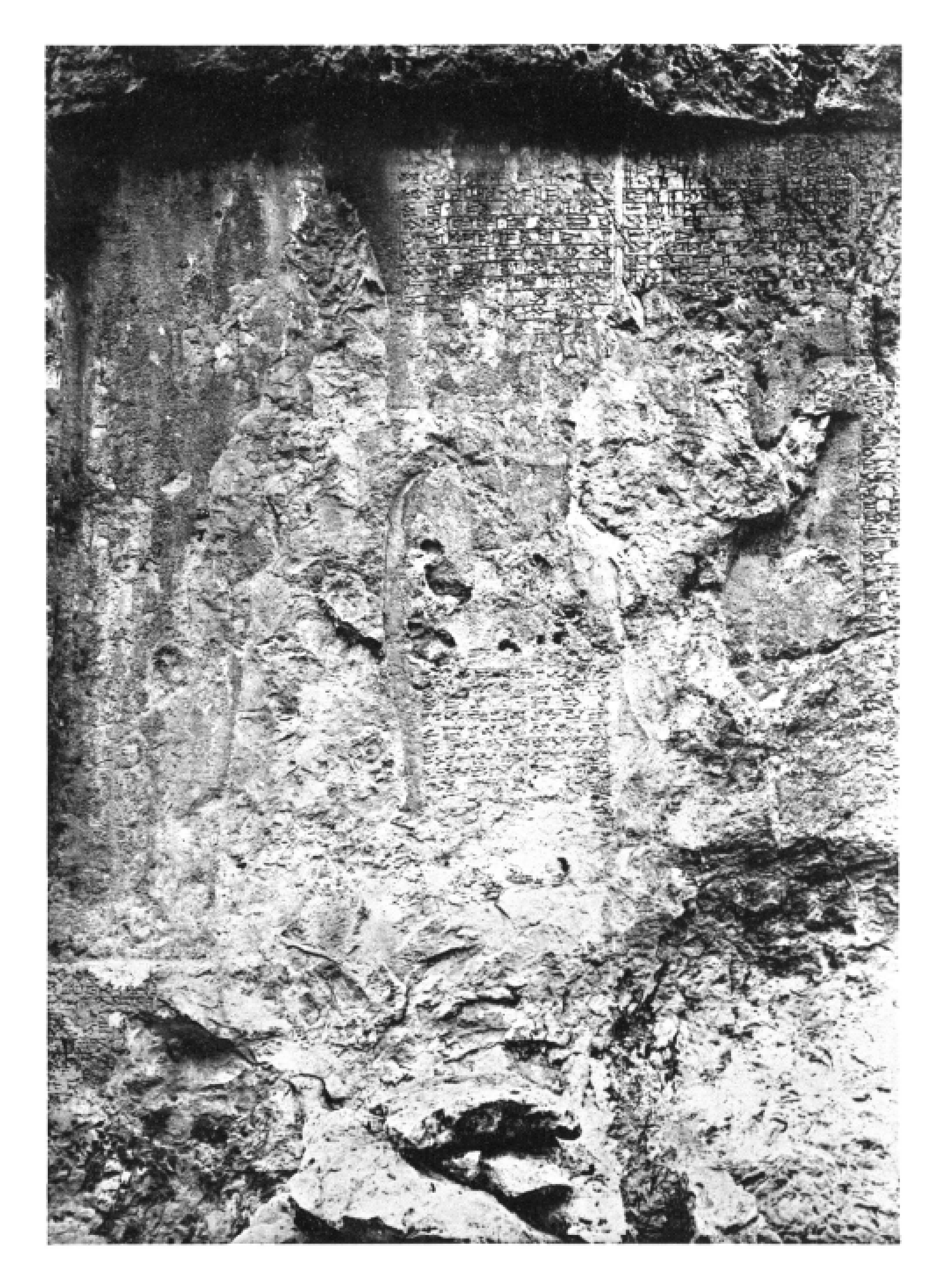
نهر الكلب، العمود ٣ يقابله في نقش وادي بريصا (البابلية الحديثة) العمود ٧(٦٧)-٨(٢٥).

لا استطيع ادراج العمود رقم ٤. ولا أستبعد توافقه مع نهاية العمود ٨ وبداية العمود ٩ في نقش البابلية الحديثة في وادي بريصا. لعل كل نقش نهر الكلب كان في السابق نسخة أخرى لنقش وادي بريصا، مع فروقات طفيفة، كما في الأعمدة الثلاثة الأولى.

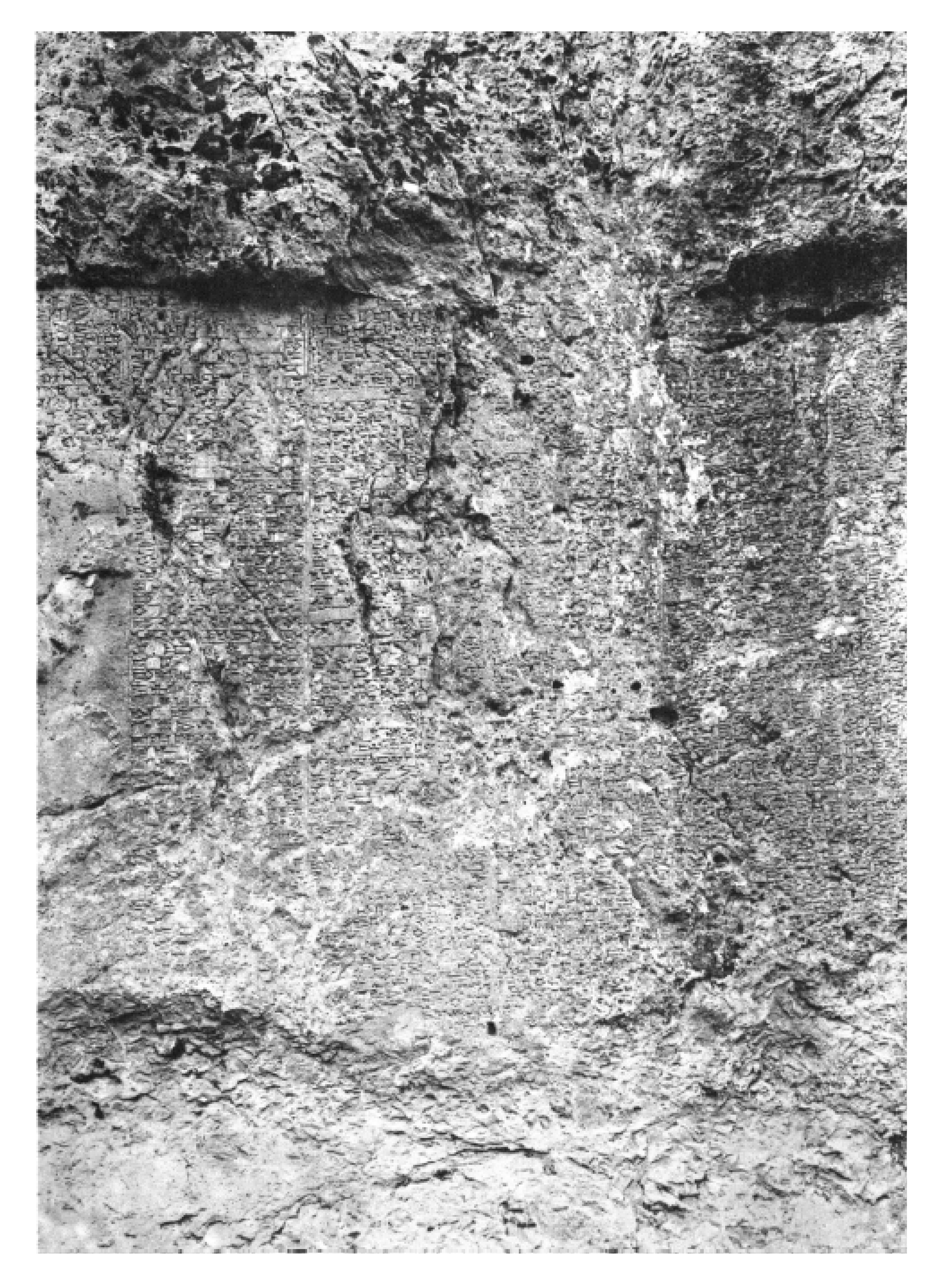
النقش الكبير في نهر الكلب مكتوب باللغة البابلية القديمة، هذا ما نتعرف إليه من قطعة الرقم ٤. ولكن البعض يميل إلى اعتباره من بقايا نقش بالبابلية الحديثة. وفي نفس الآن، ففي السطر الأول، كما سبق ولاحظ هارتمن، وهو أعلى سطر في العمود نقرأ فيه بوضوح كلمة şi-i-ri من البابلية الحديثة.

إن التشابه مع وادي بريصا مكتمل حتى نقطة تخليد الملك اسمه في الكتابة باللغة القديمة وباللغة الحديثة معاً. ولعله مما يستحق المحاولة البحث في صخور نهر الكلب عن بقايا نحت للتماثيل.

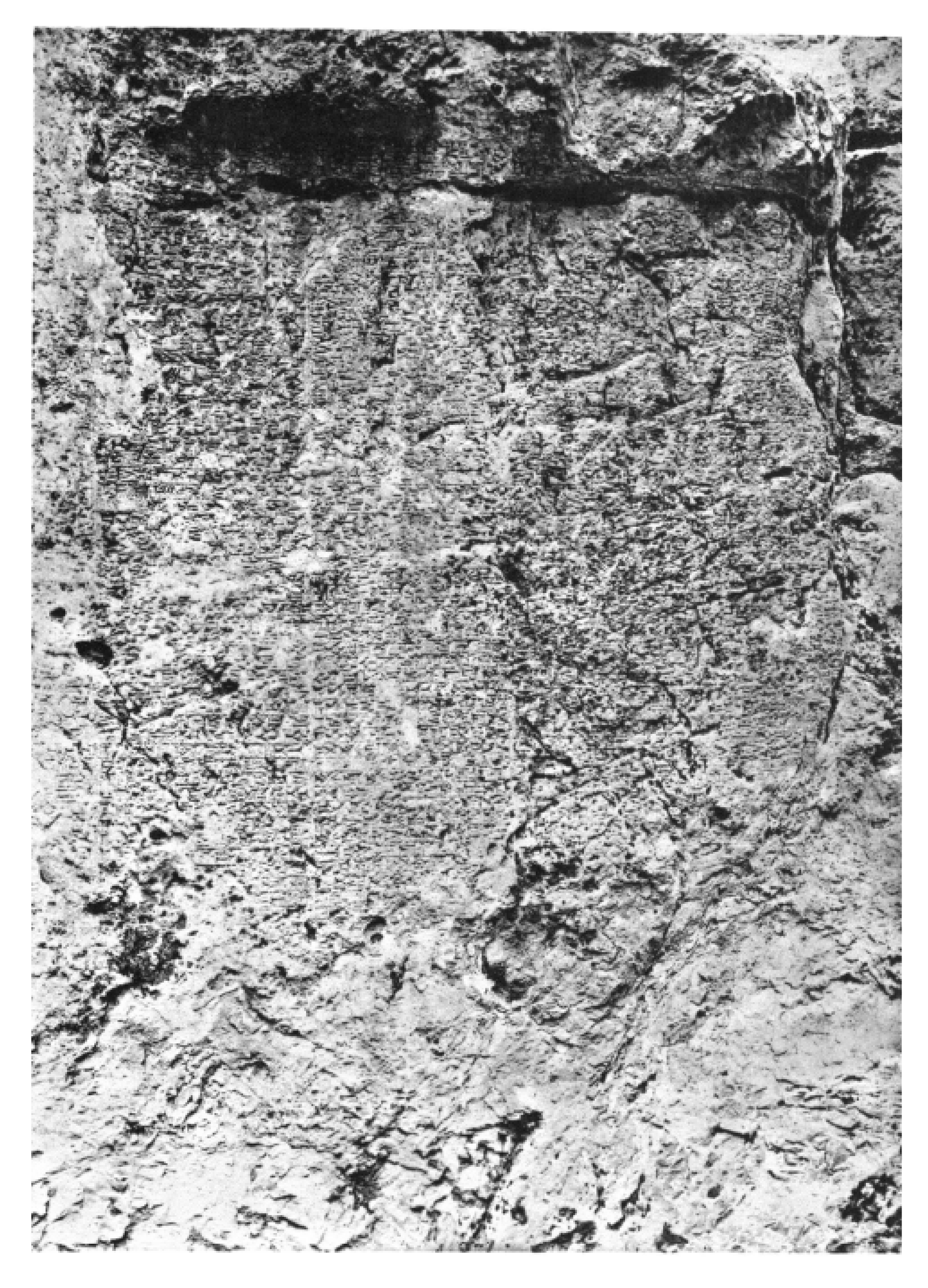
نقوش وادي بريصا من خلال الصور الجزئية التي جاء بها ويسباخ



قسم اليسار من النقش بالبابلية القديمة



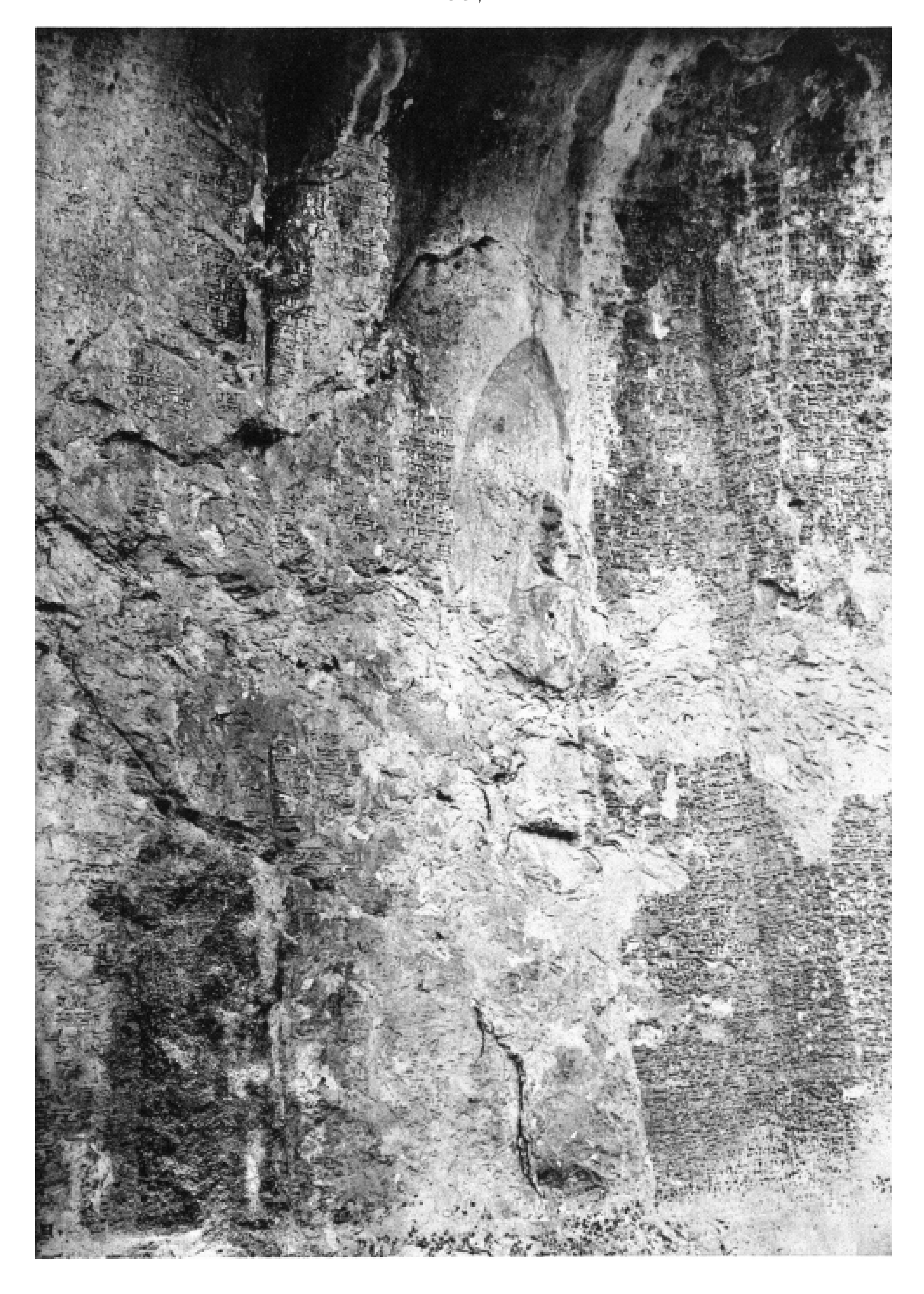
قسم الوسط من النقش بالبابلية القديمة



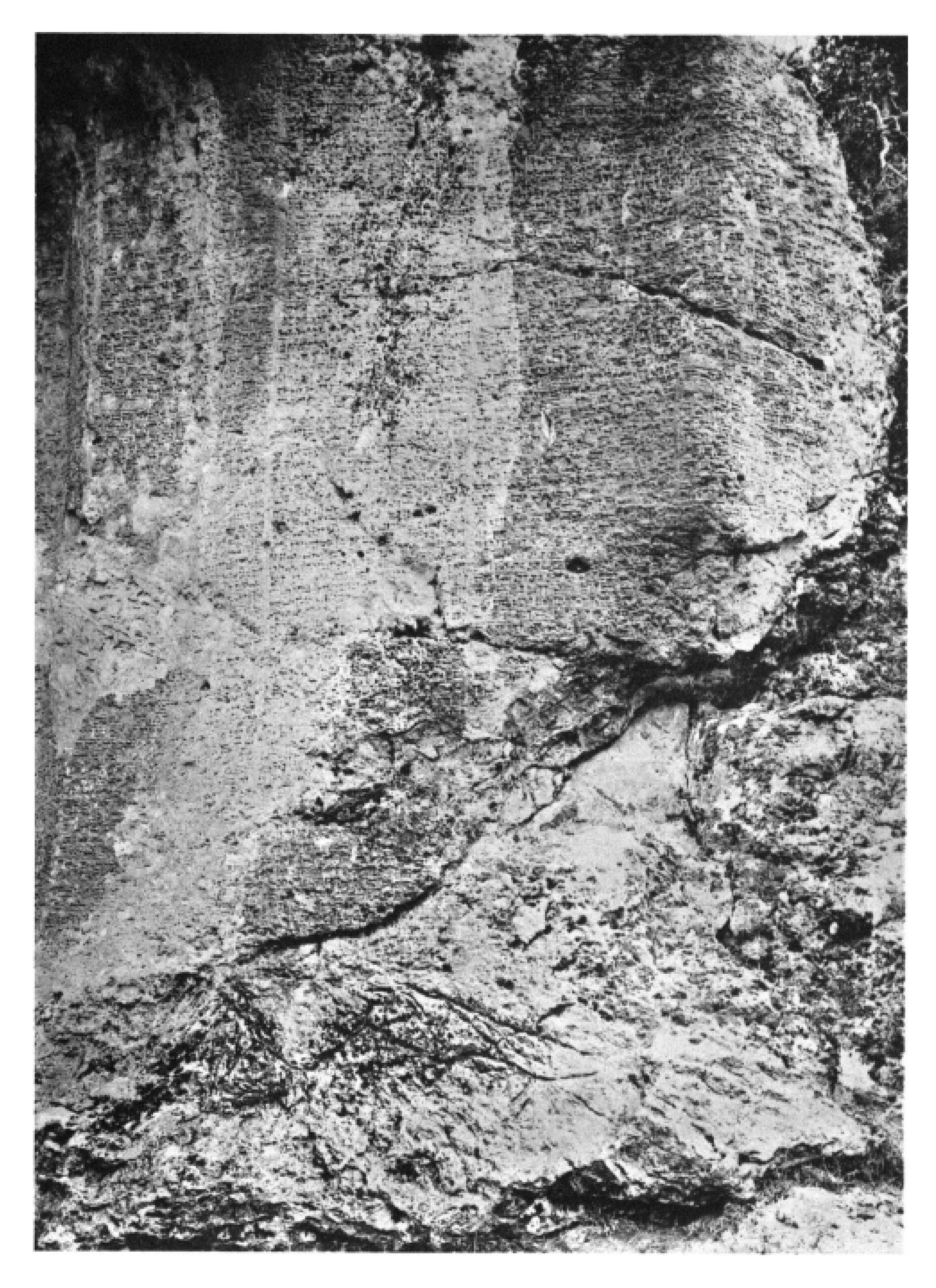
قسم اليمين من النقش بالبابلية القديمة



قسم اليسار من النقش بالبابلية الحديثة



قسم الوسط من النقش بالبابلية الحديثة



قسم اليمين من النقش بالبابلية الحديثة

ملحق

تخللت كتابنا هذا عدة تعقيبات ومناقشات لبعض طروحات تقدم بها مؤرخو القبيات، وبالخصوص منهم د. فؤاد سلوم ود. الأب سيزار (عفيف) موراني.

ولقد وردت هذه التعليقات كاستكمال متقطع لمؤلفنا "تحقيقات في تاريخ عكار والقبيات"[1]. جاءت هذه التعقيبات في سياق بعض النصوص وفي ثنايا بعض الحواشي في:

١- الفصل الأول، في نص وليم تومسون: "من بيروت إلى حلب في العام ١٨٤٥".

٢- الفصل الثالث، في "وثيقتان (عقدان) من القرن الثاني عشر"، في نص جان ريشار: "وثائق دير القديسة مريم اللاتينية"، في نص ماكس فان برشم: "القليعات". وفي مواضع أخرى متفرقة.

تناولنا في هذه التعليقات الترهات وعمليات تزوير النصوص التاريخية التي اعتمدها الثنائي سلوم- موراني. وما عمليات التزوير هذه غير وسيلة للتعبئة استثمراها في تضليل القراء بغية ترسيخ ذهنية مشبعة بالأضاليل وجاهزة لتكون دافعاً للدخول في مشاريع فاشلة انعكست ويلات على المسيحيين خصوصاً وعلى الوطن عموماً.

د. فؤاد سلوم يبادر ويَتّهِمُنا بالتزوير. فمن المُزَوِّر يا ترى؟

جوزف عبدالله

آداب الحوار وأصوله

نشرت مجلة الشمال (وكالة أنباء المشرق) ملفاً خاصاً بعنوان "بلدة القبيات"، كان لنا الدور الأكبر في إعداده وصياغته[2].

---

[1] جوزف عبدالله، تحقيقات في تاريخ عكار والقبيات، مكتبة السائح، طرابلس (لبنان)، ط. ١، ٢٠٠٠.

[2] "بلدة القبيات"، الشمال، (وكالة أنباء الشرق)، ملف العدد العدد ٦٥، ٢٩ أيلول ١٩٨٦، ص ٣٢-٥٦.

لاقى الملف ردود فعل متفاوتة. منها ما عبّر لي عنه د. فؤاد سلوم الذي تربطنا به علاقة قرابة وصداقة وحوار شفهي في أمور شتى، وعلاقة اختلاف جذري فكرياً وسياسياً. وصرح لنا برغبته في الرد على الملف ونقده، ولكنه بحاجة إلى فرصة ومجال للنشر. فتطوعت بالعمل لنشر الرد في نفس المجلة، متى أنجز كتابته. وهكذا كان: سلمني رده ونقلته بحرفيته وطلبت نشره بدون أي تعديل، وصدر في نفس المجلة في ملف بعنوان "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"[1]. بالطبع قرأت الرد، وحملته بكل أمانة طالباً نشره. وعندما سألني مسؤولو المجلة مندهشين: "قرأتَ الرد، وتصرٌ على نشره والكاتب يتهمك بما يتهمك به؟!"، كان ردي: "طبعاً. وإلاّ فما معنى الحوار والنقاش؟ وإذا كنتُ، أنا شخصياً، في ما كتبتُ قد ارتكبتُ المغالط والتزوير، فمن حق النقاد تعيين مغالطي وتزويري للحقائق، ومن حق القراء والمهتمين معرفتها، ومن واجبي تسهيل عملية التعبير عن الرأي، ووصول الرأي الآخر إلى الجميع". هكذا نفهم آداب الحوار، وهكذا مارسناها.

مناسبة ما نقوله هنا هو الحملة التي يشنها اليوم البعض من القبياتيين على مناقشاتنا ونقدنا لما كُتب في تاريخ القبيات وعكار. وهي حملة لا تنطلق من منطلقات فكرية أو علمية، بل تنطلق من مبررات مثل: "لا يجوز تسمية الكاتب"، "لا يجوز الاتهام بالتزوير"، "هكذا يكون الحوار شخصياً"، "هذا ما يُبعد الأمور عن الموضوعية"...

ولكن؛... عندما نناقش فكرة مؤلف أو كاتب، يستهدف النقاش الفكرة بالذات، لا صاحبها. ولكنه ليس مطلوباً منّا أن نجعل صاحب الفكرة "مجهولاً" لأن جمهور القراء "يحبه" (و"من الحب ما قتل")، أو "معجب به"، أو لأنه صاحب "سلطة خطاب" مفروض فيه أنه على مصداقية، كالموقع الديني أو التربوي... نحن نفكر وننشر ونناقش وننتقد لأننا نعتبر أن من واجب المثقف إعلان الحقائق، مهما كانت مؤلمة، بغية تنوير الخاصة والعامة من الناس. ومن هنا نوجه النقد لبعض مثقفي القبيات الذين يعملون على طمس الحقائق، وبالتالي يمارسون فعل "تعمية" الناس بدل تنويرهم، ومن ذلك تسهيل "استغفال" القراء والاستخفاف بعقول وذكاء الجمهور.

---

[1] سلوم، د. فؤاد، "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"، الشمال، (وكالة أنباء الشرق)، ملف العدد ٨٦، ٢٩ أيلول ١٩٨٧، ص ٣٣-٤٠. والملف منشور اليوم على موقع kobayat.org.
راجع الرابط: http://www.kobayat.org/data/books/fouad_salloum/kobayat_maronite/index.htm

وهذا ما يصح خصوصاً على من يحملون، بحكم أدوارهم الروحية والسياسية و...، "سلطة الخطاب" المفروض أنه على مصداقية.

وإذا كان من آداب الحوار وأصوله **نقد الغلط** بكل لطف وكياسة ولياقة ولباقة، فمن آداب الحوار وأصوله أيضاً ضرورة **التشهير بالتزوير وبصاحبه**. فوقوع المؤرخ (كأي فرد، أو أي مفكر) في الخطأ أمر وارد الحصول. وكل باحث عرضة للوقوع في الخطأ. قد يخطئ المؤرخ في تقدير أمر ما، أو في تفسير وثيقة. وقد يختلف المؤرخون في تفسير واقعة تاريخية معينة، بل وفي تفسير وثيقة ما. قد يصيب أحدهم ويخطئ الآخر. كما قد يخطئ الإثنان معاً. الوقوع في الغلط أمر له "مشروعيته" من حقيقة واقع حصوله استناداً إلى خلفيات فكرية وتكوينية ومنهجية وظرفية تؤدي بالمفكر (هنا المؤرخ) إلى الوقوع بالغلط. ونقد الغلط حق للقارئ والناقد، وهو حق مشروع لا يُلامُ عليه القائم به، بل يُحمد.

أما التزوير فأمر آخر. ولا يأتيه إلاّ المؤرخ (والمفكر عموماً) صاحب "النفس الأمارة بالسوء". وهو المؤرخ الذي يعمل "عن سابق تصور وإصرار" على "غش" جمهور القراء. المؤرخ المزوِّر هو الذي يتلاعب بالوثائق بإجراء التعديل فيها من حذف وإضافة في النص، بحيث يجعلها تقول ما لم تقله أو تقصده قبل هذا التعديل. المؤرخ المزوَّر يدرك فعلته، ويعرف مسبقاً أنه يقصد تضليل القراء، وحجب الحقيقة عنهم.

وارتكاب التزوير مختلف جذرياً عن الوقوع بالغلط. وهو أمر لا "مشروعية" فيه مطلقاً. ويستحق القائم به كل لوم، بل أشنعه. ولو أن في الأدب والعلوم والثقافة محاكم لمكافحة الغش والتزوير، كما هي الحال في الحياة العملية، لأقتضى الحكم على المؤرخ الذي يمارس التزوير كما يحاكم أي مجرم بالتزوير وباستخدام المزَوَّر. ولكن يبقى للقراء والنقاد عموماً الحق (بل الواجب) بمحاكمة المؤرخ المزَوِّر ومحاسبته. وهنا يكون كشف التزوير والقائم به عملية على مشروعية مطلقة؛ عملية تستحق الحمد والثناء، ولا يُلام غير المعترض عليها.

كيف حاوَرَنا (اتّهَمَنا) د. سلوم، وبماذا؟

في مطلع تعليقه على ما قلناه في ملف "بلدة القبيات" يرمينا د. سلوم بأمرين: الوقوع في كثرة المغالطة، وارتكاب التزوير في التأريخ. وبشرنا بدحض "المغالطات" وكشف التزوير بقوله: "إن الذي يعنينا من هذا الموضوع هو الناحية التاريخية التي عالجها والتي تضمنت **مغالطات** كثيرة و**تزويراً** لتاريخ المنطقة سندحضها بالحجج الدامغة، استناداً إلى وثائق ثابتة من مظانها الأكيدة..."[1].

هكذا بدون مقدمات حكم علينا د. سلوم بالوقوع بالغلط وبارتكاب التزوير. بل كانت مقدمته هي هذا الحكم بالذات. قد أكون وقعت في الخطأ. فأنا لست معصوماً عن الوقوع فيه. لربما أسأت فهم مسألة ما فأخطأت في تقديرها، وله الشكر على لفت النظر إلى هذا الخطأ، إن وُجد، وتصويبه. ولكن اتهامنا بالتزوير فهو تهمة، لو صحت، لكان التشهير بنا مشروعاً تماماً، وله عليه الحمد. وعلى أي حال لم يوضح د. سلوم، ولم يميز، أين وقعنا في الغلط أو ارتكبنا المغالطات، وأين ارتكبنا التزوير. لعله يعتبر الغلط والمغالطة والتزوير سيّان.

ولكن ماذا لو تبين أن ما يرمينا به د. سلوم لا أساس له من الصحة. وأنه هو من وقع في "المغالطات"، وهو من ارتكب "التزوير"؟ بعد التدقيق سنرى.

أولاً: التهمة الأولى في "المغالطة" و"التزوير" ساقها ضدنا د. سلوم عندما تساءلنا عن مبرر اجتماع أحياء القبيات الستة في بلدة واحدة مع أنها متباعدة عن بعضها البعض وشبه مستقلة.

بداية ردنا على هذه التهمة نسأل د. سلوم. هل في تساؤلنا غلط أم تزوير؟ إن كان تساؤلنا غلطاً، فالخطأ محتمل. وإن كان تساؤلنا تزويراً فهو تزوير لأي أمر؟ أم لا فرق عنده بين الخطأ والتزوير؟!

ثانية الرد، يتطوع د. سلوم بتفسير قصدنا من التساؤل (كأننا عاجزون عن توضيح ما نرغب بقوله!)، فيقول: "يقصد أن تكون أحياء القبيات الستة بلدة واحدة هو أمر موضع **تساؤل** و**شك**"[2].

---

[1] المرجع السابق، ص ٣٣. التشديد لنا.
[2] التشديد لنا.

نحن بطبيعة الحال لم نشك لحظة بوحدة القبيات الراهنة بجميع أحيائها. فهذا أمر واقع. والتساؤل هو بالتحديد حول هذه الوحدة القائمة. فلماذا اخترع د. سلوم "شك"نا بهذه الوحدة؟ لسبب بسيط. إنه صاحب ثقافة تسليمية وإيمانية. وهي ثقافة تحرِّم مساءلة الواقع. وتجرم المساءلة والسائل. عليكم التسليم، بلا تردد. وإلاّ رميناكم بالشك، والشك كفر وجحود. سلموا بما نقول، ولا تفكروا، ولا تسألوا الواقع ما دواعي حصوله. أما ثقافة "الحس السليم" فتسأل الواقع وتسعى إلى تفسيره، وتنظر إليه بعين فاحصة، لا بعين التسليم الأعمى، وثقافة "التعمية".

ثالثة ردنا: كيف طرحنا هذا التساؤل؟ لندقق بالنص حيث قلنا عن القبيات: "أنها أكبر بلدات عكار... تتوزع منازلها ... في مجموعات تكاد تكون متميزة في تموضعها حتى ليخال الرائي أنه أمام مجموعة من القرى لا إزاء بلدة واحدة، خاصة وأن بعضها يبعد بضعة كيلومترات عن بعضه الآخر، ولعل في ذلك مبرراً أولياً للتساؤل عمّا يكوِّن بلدة واحدة من هذه الأحياء الستة المتباعدة وشبه المستقلة، بل المستقلة أحياناً بموقعها"[١].

كلامنا هذا جاء قبل حوالي ربع قرن، يوم لم تكن القبيات على صورتها الراهنة. فهل في كلامنا شك بوحدة القبيات؟ بالطبع لا. هناك تساؤل يطرحه كل من لا يعرف القبيات، كما يطرحه كل قبياتي صاحب عين تتساءل ولا تسلم بدون تدقيق وتمحيص. هكذا يفعل أصحاب "الحس السليم".

نفس التساؤل طرحناه في مكان آخر قلنا فيه: "مرة أخرى لا بد من طرح السؤال حول علة وأسباب اجتماع هذه الأحياء الستة في بلدة واحدة، خصوصاً أن تسمية "القبيات العتيقة" تشير إلى تجددها أو انتقال ما لهذه البلدة عبر سيرورة تاريخية أدت إلى جمعها في واقعها الراهن"[٢].

هنا أيضاً لا يوجد أي شك بوحدة القبيات. ولكن ثمة تساؤل عن أسباب هذه الوحدة. وهو تساؤل يبحث عن أسباب هذه الوحدة في السيرورة التاريخية للقبيات. فهل في هذا غلط ما أو تزوير ما؟

---

[1] "بلدة القبيات"، مرجع سابق، ص ٣٣.
[2] المرجع السابق، ص ٣٥.

يقول د. سلوم في رده على تساؤلنا هذا: "أما أن تكون القبيات بلدة واحدة بأحياء سبعة[1]... فهو أمر أكيد، **قديماً وحديثاً**[2]، باعتبار السكان والرقعة الجغرافية..."[3]. هل هذا الكلام صحيح؟ هو صحيح في ما يخص القبيات الحديثة "**حديثاً**". أما "**قديماً**"؟ فجوابنا لا بالتأكيد. هل هو "تزوير"؟ لا أيضاً. ولكنه كلام غلط، قائم على مجرد التسليم بالوهم.

فمجرد وجود "قبيات عتيقة" محددة في حيز جغرافي لا يضم أحياء القبيات اليوم، يعني أن القبيات بحدودها الراهنة لم تكن قائمة في السابق. ولنا في ذكر شويتا، كقرية في بلاد عكار، في الحوليات المارونية منذ العام ٦٩٤، أي قبل بضعة قرون على ظهور اسم القبيات، بينة على أنها كانت قرية عامرة خارج "القبيات العتيقة". ويذكر الخورسقف الزريبي، في نبذته التاريخية عن القبيات مجموعة من القرى هي اليوم أحياء أو مناطق في القبيات الراهنة، منها "قرية شحلو" و"قرية شويتا" وسوى ذلك من القرى الأخرى.

ثانياً: هل القبيات مارونية أصلاً واستمراراً؟ نعم. هكذا يزعم د. سلوم. واتهمنا بأننا ارتكبنا التزوير عندما قلنا أن القبيات المارونية اليوم، كانت في ما مضى (جزئياً على الأقل) على غير مذهب الموارنة. واستندنا في كلامنا إلى مؤرخين موارنة وغير موارنة. طبعاً لم يكتفِ د. سلوم بـــ"تكذيب" كلام غير الموارنة من المؤرخين، بل قام باتهام الآباء الكرمليين بـــ"الشطط" و"الادعاء" و"التبجح" "لتبرير وجودهم" و"استدراراً للعطف والمال بصورة خاصة"[4]. وهو يكذب بالتالي ما قاله الكرمليون عن دورهم في القبيات، وعن وجود غير الموارنة فيها في منتصف

---

[1] يميل د. سلوم إلى التعظيم. قلنا أحياء القبيات ستة. فقال د. سلوم بأحياء سبعة. كيف أتى بالحي السابع؟ بدل حي الزوق، يقول: الزوق الجنوبي والزوق الشمالي. فاته أن يقول الضهر الشرقي والضهر الغربي، ومرتمورة الشرقية ومرتمورة الغربية، ليصبح عدد الأحياء تسعة، بل ستة. فتكبر القبيات!

[2] التشديد لنا.

[3] سلوم، مرجع سابق، ص ٣٣.

[4] يقول د. سلوم في رده علينا "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً..."، ص ٣٧: "إن الأب أوغسطين شدياق الذي استشهده د. عبدالله وسجل شهادته في ملف "الشمال" قد اشتط في اعتقاده كثيراً... إن المرسلين الأوائل كانوا يكتبون تقاريرهم الدورية إلى مراكزهم في روما **مدعين** أنهم يحولون شعوب الشرق إلى الكثلكة وذلك **تبريراً لوجودهم** هنا **واستدراراً للعطف والمال بصورة خاصة**. ثم عمد الرؤساء المتأخرون في روما إلى نشر بعض محتويات تلك التقارير في نشراتهم اليوبيلية لغرض **ما كالتبجح** أو غيره، فقرأها الكرمليون المتأخرون وصدقها بعضهم".

القرن التاسع عشر: "بناءً لالتماس من البطريركية المارونية افتتح آباؤنا مقراً في منطقة عكار، في القبيات. كانت القبيات في حينه قرية صغيرة من ٨٠٠ نسمة، وكان **عموم أهلها تقريباً من المسيحيين المنشقين**، فاستطاع آباؤنا في قلة من السنين إعادتهم جميعاُ إلى الإيمان الكاثوليكي؛ ولم تتوقف هذه العملية على سنوات التأسيس الأولى بل استمرت لفترة أطول تعيد إلى حضن الكنيسة العائلات المنشقة التي كانت تأتي إلى عكار لزراعة التوت..."[1].

ولو سلمنا جدلاً للدكتور سلوم بتبجح الآباء الكرمليين، فهل البطريرك اسطفان الدويهي متبجح أيضاً في كلامه عن بيعة مونوفيزية في القبيات في نهاية القرن السابع عشر؟ (في قرية شويتا سابقاً، واليوم منطقة في القبيات، بجوار مستشفى سيدة السلام، وحيث بدأ حي بكامله يتكون هناك منذ بضع سنوات).

قلنا في الملف المذكور (ص ٣٨): "يشير الدويهي في مؤلَّفه "أصل الموارنة" (ص ١٨٥)- وهو مؤلِّف ثقة في التاريخ الماروني- إلى وجود تجمع بشري مونوفيزي في القبيات، حوالي نهاية القرن السابع عشر".

ورد علينا: "إن الدويهي في مؤلفه "أصل الموارنة" في الصفحة ١٨٥ بالذات لم يُشر إطلاقاً إلى وجود تجمع بشري مونوفيزي في القبيات حول نهاية القرن السابع عشر، بل على العكس من ذلك تماماً هو قد أشار في نفس المكان الذي قرأه كاتب الملف، إلى وجود شاعر قبياتي ماروني عاش في النصف الأول من القرن السادس عشر...". وبعد اتهامنا بالتزوير، يتابع د. سلوم متشاطراً: "أما رقم ١٦٨٨ المخادع فهو سنة إسفح يونانية المساوية لسنة ١٥٥٧ مسيحية..."، ثم يردف متسائلاً بسخرية: "فكيف إذاً ... يا قارئ التاريخ؟""[2].

تؤكد كل النصوص أن شويتا كانت في السابق قرية مستقلة عن القبيات، ولم تكن من توابعها، وإنما تُنسب إلى عكار الناحية أو البلاد. هذا فضلاً عن أنها لم تكن مارونية "أصلاً"، وعلى الأقل لم يكن سكانها من الموارنة فقط. وعندما ترد "شويتا"

---

[1] المرجع: La missione Carmelitana in Siria، المصدر موقع القبيات على الإنترنت، الرابط: http://www.kobayat.org/data/religious_life/ex_religious/benedetto/benedetto.htm. ننصح د. فؤاد سلوم بقراءة هذه الوثيقة على ضوء مقولته: "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"، اللهم إلاّ إذا كان أكثر مصداقية، كيلا نقول صدقاً، من وثائق ومراجع الرهبنة الكرملية بالذات!

[2] د. سلوم، المرجع السابق.

في معظم الحوليات المارونية، إسماً لقرية قائمة بذاتها في عكار، غالباً ما يُقصد بها قرية غير مارونية أبداً. وهذا ما يُلاحظه الخورسقف الزريبي، بقوله: "... قرية شويتا التي كانت آهلة بالسكان في عهد يوستنيانوس الثاني الأخرم سنة ٦٩٤م... كما يُستدل على ذلك من الهرم المبني فوق ضريح وزيره مرقيان الذي جُرح في قرية أميون... وهرب من عساكر المردة إلى شويتا وتوفي فيها. أما من بنى هذا الهرم فوق ضريحه بعلو ما ينيف عن أربعين ذراعاً هل الملك أم الأهالي فلا يُعلم".
لقد تساءل من بنى الهرم؟ وتردد في الإجابة. لقد تهيب– بتقديرنا – الاستمرار في البحث، لأن بناء الهرم يشير إلى أن من اهتم بما يمثله هذا القائد الذي جاء محارباً للمردة (أي محارباً للموارنة) ما كان من الموارنة؛ وبالتالي لن يهتم به وبتكريمه غير المعادي للمردة (المعادي للموارنة). وهذا ما يعني أن سكان شويتا في حينه كانوا على غير مذهب الموارنة، وربما كانوا ملكيين (أورثوذكس) أو مونوفيزيين، لأن يوستنيانوس الثاني الأخرم كان من أنصار المشيئة الواحدة.

مَن يزور كلام البطريرك الدويهي؟

إن موضوع الكلام الذي أكدته في مقالي وقصده د. سلوم يدور حول العام ٦٩٤م، أي القرن السابع، وهو يتناول ما يُعرف بحملة موريق وموريقيان، بايعاز من يوستنيان الثاني الأخرم، على الموارنة، ومقتل موريق في أميون وجرح موريقيان هناك وانسحابه إلى عكار حيث مات في شويتا. فهل في الصفحة ١٨٥ من مؤلف البطريرك الدويهي "أصل الموارنة" كلام حول هذا الموضوع يشير إلى وجود تجمع مونوفيزي في شويتا (في القبيات) حوالي نهاية القرن السابع عشر، أم لا؟

لنترك النص يكشف ما فيه، لننقله بحرفيته، يقول البطريرك الدويهي: "قُتل موريق وأخذوا دفنوه أهل الكورة في أميون. وأصيب مرقيان رفيقه، فحمل به القوم إلى قرية شويتا، في ناحية عكار، فمات هناك. وبقية العسكر انهزموا هزيمة قبيحة. ومن هذه الغارة التي صارت بين الكورة وجبل لبنان، في سنة ستماية وأربعة وتسعين، كان نشو الفرقة بين الموارنة والملكية. فإن الذين تبعوا ديانة الملك يوسطنيانوس تسموا ملكية، فأقاموا **كنيسة** لمرقيان في شويتا، وكنيسة بأميون على

اسم موريق. وفي كل سنة **يعيدون** له في السادس والعشرين من شهر تموز. **ولم يزالوا إلى يومنا هذا** متمسكين في عوايد الروم كما حلفوا على يد موريق وموريقيان القواد الذين قادوهم إلى **اعتقاد المشيئة الواحدة** التي كان متمسك بها الملك"[١].

هل في هذا الكلام إشارة واضحة إلى أن شويتا لم تكن مارونية، وإلى أنها ناصرت وأيدت مبدأ المشيئة الواحدة التي قال بها الملك يوستنيان الثاني الأخرم؟ الجواب بدهي بالإيجاب لمن يريد أن يقرأ نص البطريرك الدويهي، لا تزويره: "... تبعوا ديانة يوسطنيانوس... أقاموا كنيسة لمرقيان في شويتا... يعيدون له... قادوهم إلى اعتقاد المشيئة الواحدة التي كان متمسك بها الملك".

هذا الكلام يقوله البطريرك الدويهي في أواخر القرن السابع عشر، زمن تأليفه لكتابه "أصل الموارنة". وهو يقول فيه صراحة، في الصفحة ١٨٥: "ولم يزالوا إلى يومنا هذا (أي يوم كتابة الدويهي لــ"أصل الموارنة") متمسكين في عوايد الروم كما حلفوا على يد موريق وموريقيان القواد الذين قادوهم إلى اعتقاد المشيئة الواحدة... "(لاحِظوا: اعتقاد المشيئة الواحدة). ألا يعني هذا الكلام أن البطريرك الدويهي يشير إلى أن شويتا ما تزال، حتى أواخر القرن السابع عشر، على "عوايد الروم" ومع "المشيئة الواحدة"؟ بالطبع الإشارة واضحة لمن يريد رؤية ما كتبه الدويهي لا تزويره.

أما حول التقويم اليوناني، فربما لا نكون على "ثقافة" د. سلوم "الرفيعة" لنعرف حساب هذا التقويم، كما يدعي، ولكننا نُحسن قراءة ما هو مكتوب أمامنا، ولا نخترع، ولا نحتاج لا "ذكاء" ولا "شطارة" د. سلوم الذي لا يفعل هنا غير أن ينقل إلينا ما هو مكتوب في نفس الصفحة، وقرأناه بالطبع: "في سنة إسفح ١٦٨٨ يونانية الموافقة لسنة ألف وخمسماية وسبعة وخمسين مسيحية"!

[1] الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، حققه وقدم له الأب أنطوان ضو، منشورات مؤسسة التراث الأهدني، أهدن، لبنان، ١٩٧٣، ص ١٨٥.

وللذكر فأن ما هو وارد في الصفحة ١٨٥، وارد أيضاً في الصفحة ١٣٤، من نفس المؤلف "أصل الموارنة" حيث جاء: "واضح أن موريق قُتل في الغارة التي تقدم ذكرها، وأخذوه الملكية وقبروه في قرية أميون، وأقاموا على اسمه كنيسة، وفي كل سنة يعيدون له بها في السادس وعشرين من تموز. وأما مرقيان تصوب في تلك الوقعة، وحمله العسكر إلى قرية شويتا التي في بلاد عكار، وهناك مات. ويعيدون له في الكنيسة التي أنشوها باسمه"[١].

ويكرر البطريرك الدويهي في مؤلفه "تاريخ الطائفة المارونية" الذي نشره رشيد الخوري الشرتوني، عن المطبعة الكاثوليكية، بيروت، عام ١٨٩٠. نفس الرواية تقريباً: "وقد تبين أن موريق قُتل في الغارة... فأخذه الملكية ودفنوه في قرية أميون وأقاموا على اسمه كنيسة وفي كل سنة يعيدون له بها في السادس والعشرين من تموز. وأما مرقيان فحملوه من المعركة جريحاً إلى قرية شويتة التي في بلاد عكار فمات هناك وهم يعيدون له في الكنيسة التي بنوها هناك على اسمه"[٢]. هذا ما قرره البطريرك الدويهي في مؤلفه "أصل الموارنة"، وعنه كرره معظم من أرّخ للموارنة لا سيما من المؤرخين الموارنة وخاصة رجال الدين[٣].

نكتفي بهذا القدر لنقول رداً على د. سلوم: نعم من الشرعي والمنهجي والعلمي التساؤل حول ما جمع أحياء القبيات الستة في قرية واحدة جامعة. والقبيات لم تكن كذلك من الأصل. وليس في هذا شيء من الغلط ولا التزوير. ولنقول له: لا، القبيات لم تكن بكاملها مارونية أصلاً. ومن كان منهم على غير المارونية لا ضير فيه.

---

[1] المرجع السابق، ص ١٣٤.

[2] البطريرك اسطفان الدويهي، "تاريخ الطائفة المارونية"، نشره رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، عام ١٨٩٠، ص ٨٦.

[3] منهم: الأب ميشال غبريل: تاريخ الكنيسة السريانية المارونية الأنطاكية، ج١، بيت شباب، جبل لبنان، ١٩٠٠، ص ٥٧٠ - ٥٧٥. المطران يوسف الدبس، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل، ص ٥٧. الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠، ص ٩.

نثبت أدناه صورة عن نص الدويهي. ونسأل: من المُزَوِّر؟ ونترك الجواب للقارئ.

قتل موريق واخذوا دفنوه اهل الكوره في اميون . واصيب مرقيان رفيقه ، فحمل به القوم الى قرية شويتا ، في ناحية عكار ، فمات هناك . وبقية العسكر انهزموا هزيمة قبيحه .

ومن هذه الغاره التي صارت بين الكوره وجبل لبنان ، في سنة ستمايه واربعه وتسعين ، كان نشو الفرقه بين الموارنه والملكيه . فان الذين تبعوا ديانة الملك يوسطنيانوس تسموا ملكيه ، فاقاموا كنيسة لمرقيان في شويتا ، وكنيسه باميون على اسم موريق . وفي كل سنه يعيّدون له في السادس وعشرين من شهر تموز . ولم يزالوا الى يومنا هذا متمسكين في عوايد الروم كما حلفوا على يدّ موريق ومرقيان القوّاد الذين قادوهم الى اعتقاد المشيه الواحده الذي كان متمسك بها الملك .

واما الموارنه تسموا كذلك لكونهم تبعوا البطرك يوحنا الذي كان يتكنّا بمارون على [43r] اسم الدير . ولم يزالوا الى يومنا هذا يتبعون ديانة الفرنج التي كان متمسك بها المذكور . فان قبل هذه الركبه ما احد كان يتكنى باسم مارولي الا رهبان الدير . وعلى موجب ذلك ابن العبري في كتاب [illegible] وغيره من المصنفين يسمّون البطرك يوحنا [illegible] لانه كان من دير مار مارون . وتسما على الاطلاق مارون من الكنوه التي غالب الاوقات تغلب الاسم اذا كان الاسم كثير مشاع .

واما بعد الركبه انسبغوا بهذا الاسم سكانة جبل لبنان ، وخاصة اهالي جبّة بشرّاي ، التي فوق طرابلوس الشام كقول سمعان ابن شمعه القبياتي في الميمر الذي في سنة اسفح [١٦٨٨] يونانيه الموافقة لسنة الف وخمسمايه وسبعه وخمسين مسيحيه . ولقه عن البطرك موسى العكاري :

١٥٥٧م

شكراً لك يا د. فؤاد سلوم

جوزف عبدالله

يستحق منّا الدكتور فؤاد سلوم كل الشكر. نحن ندين له بالامتنان والشكر. لقد وفر علينا الكثير من الكلام ويا ليته فعل ذلك من قبل.

قد يسأل سائل: على ماذا يُشكر د. سلوم؟ وما المناسبة؟

أما المناسبة فهو "التمهيد" الذي نشره على صفحات موقع[١] kobayat.org لترجمته المقبلة إلى العربية لمؤلف الأب د. عفيف (سيزار) موراني، الذي وضع د. سلوم عنوانه بالعربية "القبيات و**ناحيتها**[٢] زمن الصليبيين".

أما دواعي شكرنا له فمتعددة.

أولاً: أنه يلاقينا إلى حيث وصلنا في تقييمنا لكتابات الأب موراني ولكتابات د. سلوم بالذات.

كيف حصل ذلك بخصوص كتابات الأب موراني؟

١- بعد نقدنا الجاد والرصين (وإن رآه البعض قاسياً فذلك لأن الحقيقة جارحة، ليس إلاّ) لما تقدم به مؤرخو القبيات (ومنهم الأب د. موراني) من ترّهات وخيالات وخرافات مُغَلَّفَةٍ برصانة مزعومة لـ"علم"ـهم التاريخي والأركيولوجي (الآثار)، وذلك سواء في مؤلفنا "تحقيقات في تاريخ عكار والقبيات"، أو في ما نشرناه، تحت عنوان "منتخبات التواريخ والآثار في مواضع عكار والجوار"، على صفحات موقع القبيات الإلكتروني، من وثائق زعم الأب موراني أنه استند إليها في الجانب التاريخي من كتابه...

٢- وبعد انكشاف التحريف والتشويه والتزوير الذي تقصده عمداً في الوثائق والمراجع، وما أثاره ذلك من استهجان في أوساط بعض القراء والمتابعين من القبياتيين...

٣- وبغية الحد من سقوط "الهيبة" العلمية لمعلمي أجيال قبياتية ومن بعض "الانزعاج" في أوساط قبياتية تساءَلت عن مبررات هذا القدر من التزوير...

---

[1] على الرابط: http://www.kobayat.org/data/books/fouad_salloum/cobiath-arabic/preamble.htm

[2] التشديد على عبارة "ناحيتها" لنا.

٤ - فرك علاء الدين فانوسه، وتفتقت عبقرية د. سلوم عن الحل، فقال في التمهيد المنشور على صفحات موقع القبيات الإلكتروني: "هنا لا بدّ أن نقول كلمة في تقييم الكتاب فنشددّ، أولاً، على أن هذا الكتاب Histoire de l'art الأطروحة هو دراسة في "تاريخ الفن".

وأضاف: " وليس دراسة في التاريخ، فيكون المعّول عليه هو الفن، فن البناء الديني، فيقيّم الكتاب، أساساً، على هذا المستوى وليس على أساس أنه تاريخ. أما التاريخ فجاء في الكتاب كإطار تزييني من خلال مقدّمات وتمهيدات لا يعوّل عليها لأنها إنما هي تحمل تسجيل موقف شخصي عابر، لا يقدمّ ولا يؤخّر في تقييم الكتاب. نحن شخصياً، قد لا نتفق معه في كثير من تلك الأفكار، لكن ما ينصبّ عليه اهتمامنا فهو الأساس، أي تاريخ الفن...".

إن د. سلوم "شاطر" و"حربوق". كيف يُخرج شريكه د. موراني من مأزق ارتكاب التزوير بعد الفضيحة؟ الأمر سهل. فانوس علاء الدين بيده، يفركه فيأتيه بالحل: يملي على القراء كيفية تقويم ما يطالعون. ويُحَصِّنُهم من أي حس نقدي. يعطيهم "طعماً" (anti virus, vaccin) ضد الحس النقدي. موضوع الكتاب دراسة "تاريخ الفن". انتبهوا: "ليس دراسة في التاريخ... تقييم الكتاب "على هذا المستوى وليس على أساس أنه تاريخ". ناقشوا في الفن، وفي تاريخه. دعكم من التاريخ!

لماذا "حشر الأب موراني التاريخ مع الفن؟ جواب د. سلوم سهل، لديه آلة سحرية، فانوس علاء الدين: التاريخ للزينة. يقول حرفياً: "أما التاريخ فجاء في الكتاب كإطار تزييني... تسجيل موقف شخصي عابر، لا يُقدم ولا يُؤخر".

نسي د. سلوم، وبالأصح تناسى أن أكثر من ثلث صفحات الكتاب يدور حول التاريخ. وهو لا يجهل بالطبع أن الموقف الشخصي يُمَرَّرُ بعبارة، أو بمقطع، أو يتخلل الكلام الرصين والمطلوب، ولا يكون "زينة" بحجم ثلث الكتاب. وتناسى د. سلوم أن التاريخ هو الإطار الحاضن للبحث في الآثار. فلا يصح مبحث في الآثار وفن العمارة الدينية أو العسكرية أو المدنية دون التعمق الرصين في التاريخ. وعليه فالتاريخ هنا ليس للزينة، بل هو لضرورة البحث في فن العمارة. وعندما جاء التزوير فضيحة في كتابات توأم د. سلوم في تشويه وتزوير الوثائق والمراجع بغية تلفيق تاريخ القبيات، وعندما لقيت الانتقادات الجدية بعض الصدى لدى بعض

جمهور القبيات... انتفض د. سلوم ليقول: ما شأن التاريخ؟ لا تهتموا به! عليكم بكم الأفواه والسكوت! وإن تحدث البعض عن التزوير، فمن واجبكم صمّ آذانكم! إنه يخاف أن يعتاد الشباب على المساءلة والنقد. ولهذا يصيح موبخاً: "أيها العاقون، يا قدامى الكشافة؟ أتسمعون يا إخوانه في الجمعية الرهبانية...". تكمن ذروة القمع وذروة التضليل في الدفاع عن مزوري التاريخ.

وفي نهاية الأمر قام د. سلوم بعملية "تسخيف" الإطار التاريخي الذي لفقه د. موراني. وهنا التحق بنا، نحن الذين فضحنا هذا التلفيق لتاريخ القبيات. وعلى ذلك يستحق منا الشكر.

ثانياً: في نقدنا لمؤرخي القبيات تناولنا كتابات د. سلوم بالذات. وبينّا ترهاته هو أيضاً. واعتبرناه مجرد متطفل على التاريخ، شأنه كشأن كل واحد من ثلاثي مؤرخي القبيات. ولقد جاء كلامه في التمهيد الذي نعلق عليه مصدقاً لما قلناه. كيف ذلك.

د. سلوم مؤرخ يَسْخَرُ من وظيفة العلم الذي "تخصص" به وحَمَلَه شهادة في الدكتوراه، ويُسَفِّه قيمته. لنلاحظ تعريف التاريخ كما طرحه د. سلوم في "التمهيد" المنشور مؤخراً: "أفليس التاريخ Histoire من Historia أي أسطورة؟... وأليس التاريخ من معدن الحكاية قد تصدق وقد تكون خيالاً!". فهل التاريخ أسطورة؟ وهل هو مجرد حكاية؟

يعود د. سلوم إلى التعريف اللغوي اليوناني (ولو وجد سبيلاً إلى لغة أقدم لسلكه!) لكلمة تاريخ. فيجد من معانيها (وليس كل معانيها) معنى الأسطورة. فيحتفظ به ويعلنه مضمون التاريخ.

عندما وضع أطروحته قال في مقدمتها عن التاريخ أنه "منهج لتحليل المجتمع وفقاً للتطور التاريخي... كاشفاً القوانين التي حكمت هذا التطور"[1]. يبدو أن كلامه النظري والمنهجي هذا مجرد زينة، مجرد قشرة خارجية، فلا مفعول له في بنيته الفكرية. وإلاّ لما انتهى اليوم معرفاً التاريخ بأنه أسطورة وحكاية.

---

[1] سلوم، د. فؤاد: دريب عكار ١٨٥٠- ١٩٥٠، دراسة في التاريخ الاجتماعي، بإشراف د. جان شرف، جامعة الروح القدس- الكسليك- كلية الآداب، معهد التاريخ،١٩٩٢، ص ١.

إن التاريخ عملية بحث محكومة بقواعد منهجية باحثة عن قوانين التطور الموضوعية، وهي عملية بحث محكومة بهذه القوانين في نفس الآن. هذا ما كان عليك أن تتعلمه في الجامعة، وما عليك الآن أن تُعَلِّمَه للآخرين. وعندما نقول أن التاريخ أسطورة أو حكاية، فمعنى كلامنا أننا لا نبحث عن التاريخ، بل نخترعه ونلفقه خرافة، ونتوهمه "أكذوبة" نعمل على شيوعها بين الناس. وعندما يكون التاريخ أسطورة وحكاية يعني أنه من خارج العلم. فهل يعتبر د. سلوم أن شهادته في الدكتوراه هي شهادة في التاريخ العلمي أم هي شهادة مضمونها أسطوري وخرافي. هل هو دكتور في "علم التاريخ" أم دكتور في "لا علم التاريخ"؟ طبعاً نحن نرجح الجواب الثاني. فهل كلامنا من الظلم والتجني؟

بالطبع لا. فحامل شهادة الدكتوراه في التاريخ هو الذي يقول أن التاريخ غير قابل للتصديق، هو أسطورة وحكاية. أليس هو المستعين لتعريف التاريخ بالشعراء:

"نظرنا في أخبار الحاضرين فرابنا فكيف بأخبار الغابرين نصدق؟"

ولأن علماء التاريخ والمذاهب التاريخية لا يفيدون في معرفة التاريخ يلجأ حامل اللقب العلمي بالتاريخ إلى الشعراء. وهنا يلتقي بنا عندما وصفنا كتاباته بأنها ترهات لا أكثر. وعلى هذا يستحق الشكر أيضاً.

ثالثاً: وصفنا أبحاث مؤرخي القبيات بأنها من صنف التلاعب بالنصوص، واللعب على الكلام. ولنا في "التمهيد" الأخير دليل جديد على هذا التلاعب لدرجة طالت نصوص المؤرخين القبياتيين أنفسهم. لنبدأ بعنوان أطروحة الأب موراني.

جاء العنوان عام ١٩٨٨ على الشكل الآتي: "العمارة الدينية في القبيات في زمن الصليبيين"[1]، ثم جاء العنوان في الكتاب المنشور عام ٢٠٠٦: "القبيات في زمن الصليبيين: التاريخ والعمارة الدينية". النص الفرنسي واضح: Cobiath sous les Croisés: Histoire et Architecture religieuses. التاريخ هنا هو تاريخ القبيات، ولو أن المقصود هو فقط تاريخ العمارة الدينية لكان د. موراني المُتْقِن جيداً للفرنسية قد كتب: histoire de l'architecture religieuse. أما العنوان نفسه فأصبح

---

[1] L'Architecture religieuse de Cobiath sous les Croisés, Thèse pour un Doctorat en Histoire de l'Art. تاريخ الفن Histoire de l'Art هنا هو اسم للفرع العلمي في جامعة Université Le Mirail-Toulouse، وليس عنواناً لموضوع الأطروحة.

مع د. سلوم في مشروع الترجمة العربية مختلف جداً، فهو كما جاء في "التمهيد": "القبيات وناحيتها في زمن الصليبيين". هنا الموضوع تاريخي بامتياز، والبعد التاريخي يطغى على ما عداه. ولكن التلاعب الأكبر يكمن في إضافة كلمة واحدة تقلب الأمور رأساً على عقب، نقصد كلمة "ناحيتها". وفي هذا محاولة لستر ما قام به د. موراني عندما جعل القبيات تبتلع تاريخ وآثار الدريب بما فيها أكروم ووادي خالد وبعض عكار العتيقة. كان الأولى به أن يُعَنْوِنَ أطروحته "العمارة (فقط) في الدريب في زمن الصليبيين". ولكن أوهام العظمة والتعظيم في جعل تاريخ القبيات "الصليبي" أسطورة وحكاية ومورد تعبئة طائفية لأبنائها دفعته إلى طمس الآخر العكاري وتغييبه. فهل يحاول د. سلوم في ترجمته العربية المزيد من التلاعب بنص شريكه ورفيق دربه الروحي والفكري والسياسي. هذا ما سيكشفه لنا الزمن الآتي. وبانتظاره نكتفي بهذه الملاحظات السريعة.

حول فضل الأب موراني والحركة الكشفية

الراهب أو الراهبة لا يحتاج إلى شكر من الناس يطلبه هو أو يُطلب له، فأجره عند ربه لأنه نذر. لا لم يخدم أحد القبيات أكثر من أهلها. ولا يستطيع حبها أكثر من محبة أهلها ولا بقدرهم. وحب البلدة والأرض والوطن فطرة في الناس، لا منة لأحد فيها. ولا يحب أحد أرضاً اكثر من شاغليها وخصوصاً أكثر من فلاحيها. والذي لا يحب موطنه ومسقط رأسه وشعبه لا يحق له التباهي بحب أرض غيره وشعبها.

أما الكشافة والحركة الكشفية (ونخص هنا المؤسِّسين والقدامى) فقيمتهم لا في خلقهم عصبية تُضاف إلى العصبيات الأخرى في المجتمع، نستنفرها ونُعَنِّفُها لمنع النقد، وللتستر على المغالط وتبريرها. بل كل القيمة في التربية المدنية éducation civique التي تخلق منهم مواطنين واعين ومدركين ونقديين يساهمون في رفع مستوى العلاقات الاجتماعية خصوصاً في قضايا الشأن العام. وهنا تكمن المسؤولية في التعاطي مع الشأن البلدي انتخاباً وممارسة في مواقع المسؤولية. وعلى ضوء هذه الممارسة يُحاكم المؤسِّسون والقدامى والجدد في الحركة الكشفية. فإن أحسنوا كانوا مشكورين. وإن تسكعوا على أبواب الزعامات التقليدية وأرباب المناصب

والمال وتوزيع المغانم وتحولوا إلى مفاتيح انتخابية لهـم، فمعنـاه أنهـم أفـسدوا واستحقوا كل اللوم والنقد. وها هي الانتخابات البلدية على الأبواب (ولو تأجلت إلى حين) فلنترقب الممارسة، ففيها معيار حاسم للتربية المدنية التي تلقاها الكشافة علـى أيدي المؤسِّسين والقدامى.

سؤال أخير برسم قراء مؤلّف د. موراني: أين هي العمارة الدينية الـصليبية التـي اكتشفها لنا الأب المحترم في القبيات؟